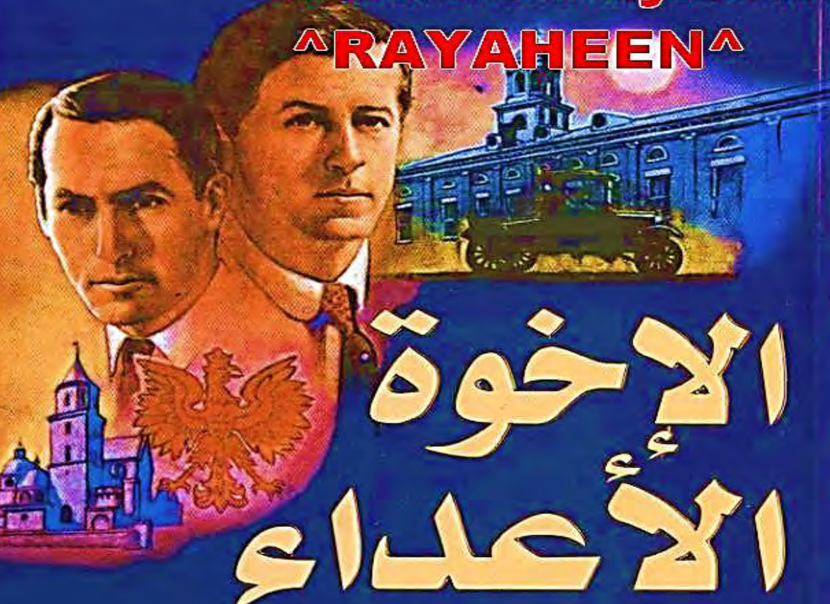
الرواية الأكثر مبيعاً بين الروايات في العالم

# جيفري آرتشر





# الإخوة الأعداء

كتبها مؤلف أكثر الكتب مبيعاً، طبقاً لما جاء
عن صحيفة نيويورك تايمز وصاحب رواية
TO CUT A LONG STORY SHORT

# الجزء الأول

١٩٠٦ - ١٩٢٣

## الفصل الأول

١٨ أبريل عام ١٩٠٦

سلونيم ؛ بولندا



لم تكف عن الصراخ إلا عندما لفظت أنفاسها الأخيرة . عندها بدأ هو يبكى .

لم يكن الطفل الصغير الذى كان يطارد الأرانب فى الغابة واثقا مما إن كانت هذه الصرخة التى اخترقت أذنه الصغيرة هى صرخة الأم الأخيرة أم صرخة الوليد الأولى . استدار فجأة ، مستشعرا الخطر المرتقب ، وأخذت عيناه تدوران بحثا عن الحيوان الذى بدا من الواضح أنه يتألم . لم يكن قد سمع من قبل أن هناك حيواناً يمكن أن يصرخ بهذه الطريقة . اقترب بحرص وتؤدة من مصدر الضوضاء ، عندها تحول الصراخ إلى نواح ولكنه كان مازال مختلفا عن أى صوت من أصوات الحيوانات التى كان يعرفها . تمنى أن يكون حجم الفريسة صغيراً إلى الحد الذى يمكنه من قتلها ، على

الأقل كان هذا سوف يمثل وجبة تختلف عن عشاء الأرانب المعتاد فى كل مساء .

أخذ الصياد الصغير يتحرك خلسة فى ترقب باتجاه النهر الذى انبعثت منه هذه الضوضاء الغريبة وهو يعدو من شجرة إلى شجرة ويستشعر لحاء الأشجار وكأنها تحتضنه وتربت على كتفيه ؛ كان هذا يثير فيه الشعور بالطمأنينة . " إياك أن تبقى فى الخلاء " ؛ هكذا علمه والده . عندما وصل إلى حافة الغابة ؛ أصبح المشهد أمامه واضحاً تماماً ؛ كان الطريق المنحدر صوب الوادى ومنه إلى النهر مفتوحا ولكن بالرغم من ذلك فقد وجد بعض الصعوبة إلى أن تبين أن مصدر الصوت الغريب ، لم يكن حيوانا تقليديا . واصل اقترابه الحذر من مصدر النواح ولكنه كان عندها وحيدا فى الخلاء . وفجأة رأى امرأة ؛ ترتدى ثوبا مرفوعا لما فوق خصرها ؛ وساقاها العاريتان كانتا مفتوحتين عن آخرهما . لم يكن قد رأى امرأة بهذه الصورة من قبل . جرى سريعا إلى أن وقف بجوارها وأخذ يحدق فى بطنها وهو يخشى أن يلمس أى شيء . وهناك وجد ما بين ساقيها ؛ جسداً لمخلوق صغير مبتل وردى اللون ؛ لا يربطه بالأم سوى شيء أشبه بالحبل . ألقى الصياد الصغير حصيلة صيده من الأرانب وجثا على ركبتيه بجوار هذا الكائن الغريب .

تأمل المشهد طويلا ؛ وبقى مذهولا للحظة ثم أدار عينيه جهة المرأة وداهمه على الفور شعور بالندم على قراره . كانت المرأة قد فارقت الحياة بالفعل ؛ كان جسمها باردا أزرق اللون ؛ بدا وجهها ذو الثانية وعشرين عاما منهكا عجوزا مقارنة بوجه الطفل ؛ لم يكن بحاجة لأن يتأكد من أنها كانت قد فارقت الحياة . التقط الجسد الصغير الزلق ؛ ولكن ما الذى دفعه إلى ذلك ؟ لم يسأله أحد أبدا عن السبب ولكنه لو كان قد سئل لأجاب بأن الذى دفعه هو تلك



الأنامل الصغيرة التى كانت تعبث بوجهه الجعد ؛ كان هذا هو ما أثار شفقته ، ثم سرعان ما أدرك بأنه لا يمكن فصل الطفل عن الأم بسبب هذا الحبل النحيل .

كان الصياد قد شهد مولد حمل صغير منذ بضعة أيام وحاول أن يسترجع ما حدث . أجل ؛ هذا هو ما فعله الراعى ولكن هل أجرؤ على فعل نفس الشيء مع الطفل ؟ كان الرضيع قد كف عن البكاء وأدرك عندها أن القرار كان واجبا . استخرج سكينه ؛ الذى كان قد سلخ به الأرانب ومسحه فى سترته ؛ لم يتردد سوى لحظات ثم قطع الحبل بالقرب من جسد الطفل . تدفق الدم من نهايات الحبل . ثم ماذا فعل الراعى ؟ لقد عقد عقدة لكى يوقف تدفق الدماء . أجل بالطبع ؛ بالطبع هذا ما قد حدث . اقتلع بعض العشب الطويل من الأرض وبسرعة عقد عقدة فى الحبل ثم حمل الرضيع بين ذراعيه . نهض ببطء من فوق ركبتيه وترك وراءه ثلاثة أرانب نافقة وجثة السيدة الميتة التى أنجبت هذا الرضيع . وقبل أن يدير ظهره أخيرا للأم ؛ وضع ساقيها بجانب بعضهما البعض وجذب ثوبها حتى ركبتيها . بدا له ذلك هو التصرف الصحيح الذى يجب أن يقوم به .

قال الطفل فى صوت مرتفع : " يا إلهى ! " ؛ كانت هذه هى العبارة التى اعتاد أن يقولها كلما أقدم على فعل شيء جيد للغاية أو سيىء للغاية . ولكنه فى هذه المرة لم يكن بعد واثقا إن كان تصرفه هذا جيدا أم سيئا .

ثم أسرع الصياد الصغير خطاه بعد ذلك عائدا إلى الكوخ الذى كان يقطن فيه ؛ كان يعرف جيدا أن والدته كانت هناك تعد العشاء ؛ فقط فى انتظار حصيلة صيده من الأرانب ؛ أما فيما عدا ذلك فكل شيء كان معدا . كانت والدته تسأله فى كل مرة عن عدد

الأرانب التى نجح فى اصطيادها فى ذلك اليوم والتى تكفى لإطعام أسرة مؤلفة من ثمانية أشخاص ، كان بحاجة إلى ثلاثة أرانب على الأقل . كان أحيانا ، ينجح فى اصطياد بطة أو أوزة أو حتى طائر ضل طريقه من مزرعة البارون حيث كان يعمل والده . ولكنه فى هذه الليلة تحديدا كان قد اصطاد حيوانا مختلفا ، وعندما وصل إلى الكوخ ، أبى إلا أن يمسك بحصاد يومه بكلتا يديه ، فطرق الباب بقدمه العارية إلى أن فتحت له والدته . لم تبادر والدته بحمل هذا الكائن من بين يديه وإنما بقيت واقفة ، بعد أن صكت صدرها بإحدى يديها بينما أخذت تحملق فى هذا المشهد العجيب .

قالت : " يا إلهى " . أخذ ابنها يحملق فى وجهها بحثا عن أية إشارة تنم عن السعادة أو الغضب . بدت علامات الحنو ـ التى كان ابنها قد شاهدها من قبل ـ تلوح فى عينيها . أدرك عندها الصبى أنه قد أحسن صنعا .

" إنه طفل رضيع يا أمى ؟ "

أجابت الأم ، وهى تومئ فى أسى : " إنه ذكر ، أين وجدته ؟ " .

قال الابن : " وجدته أسفل النهر يا أمى " .

" وأين الأم ؟ " .

" لقد ماتت " .

" ماتت ؟! " .

" هيا ، أسرع وأخبر والدك بما حدث . اطلب منه أن يبحث عن أورزولا يوجانك فى المزرعة وأن يذهبا سويا بحثا عن الأم ثم احرص على أن يعودا إلى هنا " .



سلم الصياد الصغير الرضيع إلى أمه وهو يشعر بالغبطة لأن هذا المخلوق الزلق لم يسقط من بين يديه . والآن بعد أن تخلص من حمله ، مسح يديه فى بنطاله ثم أخذ يعدو بحثا عن والده .

أغلقت الأم الباب بكتفيها ونادت على ابنتها الكبرى لكى تضع الإناء على الموقد . ثم جلست على المقعد الخشبى وفكت أزرار ردائها وزجت بحلمة ثديها المنهكة صوب فم الرضيع المتغضن . كان هذا يعنى أن على صوفيا ـ ابنتها الصغرى ذات الستة أشهر ـ أن تبقى بلا عشاء هذه الليلة . عندما طرأ ذلك على بالها ، أدركت أنها ليست صوفيا وحدها التى سوف تبقى بلا عشاء وإنما كل أفراد الأسرة .

قالت المرأة بصوت مرتفع ، وهى تلف بشالها ذراعها وجسد الصبى : " ولم كل هذا العناء ؟ إن هذا الطفل المسكين سوف يموت بحلول الصباح " .

ولكنها لم تفصح عن مشاعرها ثانية لـ " أورزولا يوجانك " عندما قامت بغسل الرضيع وتعهد الحبل السرى بالتنظيف فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم . بقى زوجها واقفا فى صمت وهو يراقب المشهد .

" ضيف فى البيت يعنى هدية من السماء . " هكذا قالت المرأة مستشهدة بالمقولة البولندية القديمة .

بصق زوجها قائلاً : " اللعنة على هذا الطفل . يكفينا ما لدينا من أبناء . "

تظاهرت السيدة بأنها لم تسمع ما قاله الزوج بينما أخذت تربت على تلك الشعيرات السوداء القليلة النابتة على رأس الطفل .

سألت السيدة وهى تنظر إلى زوجها : " ما هو الاسم الذى سوف نطلقه عليه ؟ " .

أجاب مستهجنا : " لا يهم ، دعيه يذهب إلى قبره بلا اسم " .

# الفصل الثانى

## ١٨ أبريل عام ١٩٠٦

## بوسطن ؛ ماساشوسيتس

التقط الطبيب الطفل الوليد من كاحليه وربت على مؤخرته ؛ فأخذ الطفل يبكى .

فى بوسطن ؛ مساتشوسيتس ؛ كان هناك مستشفى يرعى الأغنياء من المرضى وفى بعض المناسبات المعدودة يتولى مهمة توليد الأغنياء . فى مستشفى مساتشوسيتس العام كانت النساء لا تصرخ كما أنها بالطبع لم تكن ترتدى كامل ثيابها أثناء الولادة . لم يكن هذا هو ما يجرى .

كان هناك رجل شاب يحوم ذهابا وإيابا أمام غرفة الولادة ؛ كان هناك اثنان من أطباء التوليد وطبيب العائلة لإنجاز المهمة . لقد رأى هذا الأب أنه ليس هناك مجال للمجازفة فى إنجاب أول أبنائه . كان الأب سيدفع مبلغا طائلا لهذين الطبيبين فقط لكى





يبقيا بجوار الأم ويراقبا ما يجرى من أحداث عملية الوضع . كان أحد الأطباء يرتدى ملابس السهرة فى انتظار حضور حفل عشاء فى تلك الليلة غير أنه لم يكن بوسعه أن يفوت هذه الولادة تحديدا . كان الأطباء قد اقترعوا فى وقت سابق لاختيار الطبيب الذى سيتولى مهمة التوليد وجاء الاقتراع من نصيب الدكتور مكينزى ؛ طبيب العائلة . " أريد اسما أنيقا ؛ أصيلا " ؛ هذا ما كان يجول فى ذهن الأب بينما كان يذرع الردهة جيئة وذهاباً . لم تكن هناك أية أسباب تستدعى القلق . كان روبرتز قد قاد السيدة آن زوجة الرجل إلى المستشفى هذا الصباح فى العربة الفاخرة ؛ كان ذلك اليوم هو اليوم الثامن والعشرين من الشهر التاسع ، هكذا حسبها الأب . كان المخاض قد داهمها بعد الإفطار بفترة قصيرة ؛ وكان زوجها واثقا من أنها لن تلد قبل انتهاء موعد عمله فى ذلك اليوم . كان الرجل فى غاية الانضباط ولم يجد أن هناك سببا يفرض أن يحول الإنجاب دون متابعته لبرنامجه اليومى الدقيق . ومع ذلك فقد واصل سيره ذهابا وإياب . كانت المرضات والأطباء يسرعون الخطى بجواره وهم يدركون وجوده مما كان يدفعهم إلى خفض أصواتهم وهم بالقرب منه ليرفعوها ثانية فقط عندما يدركون أنهم قد باتوا بمنأى عن أذنيه . ولكنه لم يلحظ هذا التصرف ؛ لأن الكل كان يتصرف معه على هذا النحو . لم يكن معظمهم قد رآه من قبل بشكل شخصى ؛ ولكنهم كانوا جميعا يعرفون من يكون .

لو كان الوليد ذكرا ؛ فإن الرجل على الأرجح سوف يتولى مهمة بناء جناح الأطفال الجديد على نفقته والتى كان المستشفى فى أمس الحاجة إليه . كان بالفعل قد بنى من قبل مكتبة ومدرسة . حاول الأب أن يقرأ صحيفة المساء ؛ حاول أن يركز على الكلمات ولكنه لم ينجح فى فهم المعنى . كان قلقا بل ومضطربا . إنهم يجب أن

يدركوا جميعا ( ثم نظر إلى كل شخص منهم تقريبا ؛ كان هؤلاء الأشخاص هم من يعنون بالنسبة له جميعا ) أنه يجب أن يكون ذكرا ؛ ولدا يحل محله لاحقا كرئيس ومدير للبنك . أخذ يقلب صفحات الجريدة . لقد اندمجت شركة بوسطن " ريد سوكس " مع شركة " نيويورك هايلاندرز " ـ لابد أن الآخرين يحتفلون بتلك المناسبة . ثم تذكر الرجل العنوان الرئيسى فى الصفحة الأولى وعاد إليه ثانية . أسوأ زلزال فى التاريخ يضرب أمريكا . دمار فى " سان فرانسيسكو " ؛ أربعمائة شخص على الأقل لقوا حتفهم وآخرون سوف يلحقون بهم ، سوف يتذكر الناس أن هناك حدثا آخر قد وقع فى نفس هذا اليوم .

لم يطرأ بباله قط ؛ حتى ولو للحظة ؛ أن الوليد يمكن أن يكون أنثى . عاد إلى صفحات الشئون المالية فى الجريدة وأخذ يتفقد أحوال سوق الأسهم ؛ لقد انخفض مؤشر البورصة بضع نقاط ؛ هذا الزلزال اللعين قد انتقص من قيمة أسهمه فى البنك بمقدار ١٠٠ ألف دولار ولكن ثروته الشخصية مازالت تتخطى الـ ١٦ مليون دولار . إن زعزعة مثل هذه الثروة تتطلب ما يفوق زلزال " كاليفورنيا " بمراحل . يمكنه الآن أن يعيش على الفائدة فقط ؛ إن رأس ماله الذى يتألف من ١٦ مليون دولار سوف يبقى دون أن يمس ؛ فى انتظار ابنه ؛ الذى لم يولد بعد . واصل الرجل تظاهره بقراءة الصحيفة .

دفع طبيب التوليد الذى يرتدى ملابس السهرة الباب الهزاز لغرفة الوضع لكى يعلن النبأ . شعر أنه يجب أن يقوم بعمل شىء ما مقابل المبلغ الطائل الذى سوف يحصل عليه بلا جهد يذكر . كما أنه كان يرتدى الثياب الأكثر ملاءمة لإعلان النبأ . أخذ الرجلان يحدقان فى وجه بعضهما البعض للحظة . شعر الطبيب هو الآخر



بشىء من التوتر ؛ ولكنه كان يجب أن يتمالك نفسه ولا يبدى هذا الشعور أمام الأب .

" تهانينا يا سيدى ؛ لقد رزقت ولدا ؛ ولدا صغيرا رائعا " .

" ما هذه التعليقات السخيفة التى يطلقها الناس على الأطفال حديثى الولادة ؛ كيف يمكن أن يكون رائعا وهو ليس سوى جسد متناهى الصغر ؟ " . ولكن النبأ لم يكن قد أخذ بعد مأخذه من الأب ـ إنه ولد . أخذ الرجل يحمد الله . ثم بادر طبيب الولادة بطرح سؤال لكى يكسر حاجز الصمت .

" هل اخترت له اسما بعد ؟ " .

أجاب الوالد بدون أى تردد : " ويليام لويل كين " .

# الفصل الثالث

بعدما خبا الشعور بالإثارة الذى صاحب وصول الرضيع بفترة طويلة وآوى كل أفراد الأسرة إلى فراشهم ؛ بقيت الأم ساهرة وهى تحمل الطفل بين ذراعيها . كانت هيلينا كوسكيفيتش تؤمن بالحياة ؛ كانت قد أنجبت ستة من الأبناء تعبيرا عن صدق إيمانها بذلك . بالرغم من أنها كانت قد فقدت ثلاثة أبناء فى سن الطفولة ؛ فإنها كانت قد ناضلت طويلا قبل أن تسلمهم إلى المنية .

كانت هيلينا فى ذلك الوقت فى الخامسة والثلاثين من عمرها وكانت تدرك تماما أن زوجها جازيو الذى كان يوما مفعما بالرجولة والفحولة لم يعد قادرا على منحها المزيد من البنين أو البنات . لقد منحها الله ذلك الرضيع ؛ وهذا يعنى أنه قد قدر له بكل تأكيد أن يبقى على قيد الحياة . كانت " هيلينا " محدودة الفكر ولعل هذا كان أمرا جيدا لأن القدر لم يكن ليمنحها أكثر من تلك الحياة المتواضعة . كانت شاحبة وهزيلة ؛ ليس باختيارها ولكن لقلة الغذاء





والجهد الشاق الذى كانت تبذله وضيق ذات اليد . لم يطرأ ببالها يوما أن تشكو أو تتذمر ؛ ولكن تلك الخطوط المرتسمة على وجهها كانت تجعلها تبدو وكأنها جدة لأبنائها وليست أما لهم . لم تكن قد حظيت من قبل بملابس جديدة حتى ولو مرة واحدة فى حياتها .

أخذت هيلينا تضغط على ثديها لكى تدر اللبن حتى ارتسمت علامات حمراء غامقة اللون حول حلمة ثديها . وتساقطت بعض قطرات اللبن منها . فى الخامسة والثلاثين من العمر ؛ أى فى منتصف طريق الحياة ؛ لابد أن يملك المرء قدرا من الخبرة التى يمكن أن يستفيد بها ، وقد كانت هيلينا كوسكيفيتش تشعر أنها قد تلقت هبة من السماء .

" أنت طفلى الصغير " ، همست فى حنان للرضيع وهى تمرر ثديها الذى يقطر باللبن على فمه المغلق . فتح الرضيع عينيه الزرقاوين وبدأت قطرات العرق الرقيقة تتصبب فوق أنفه بينما كان يبذل جهده ليلتقم ثديها . وأخيراً راحت الأم رغماً عنها فى سبات عميق .

كان جازيو كوسكيفيتش هذا الرجل البدين الكئيب الذى يحمل شاربا كبيرا ـ الذى كان يمثل مصدر ثقته الوحيد فى الوجود ـ أول من اكتشف وجود زوجته نائمة وهى تحتضن الرضيع فوق الكرسى الهزاز عندما استيقظ فى الخامسة صباحا . لم يكن قد لاحظ غيابها عن الفراش طوال الليل . أخذ يحدق فى ذلك اللقيط الذى كان عندها ـ والحمد لله ـ قد كف على الأقل عن النواح . هل مات الرضيع ؟ لم يجد جازيو لنفسه مخرجا من هذه الحيرة إلا أن يمضى فى طريقه إلى العمل دون أن يمس الرضيع . سوف أدعها هى تهتم بأمر الحياة والممات ، كانت مهمته وشغله الشاغل أن يذهب إلى

عمله فى مزرعة البارون مع بزوغ أول خيط من خيوط الصباح . شرب القليل من لبن الماعز ومسح شاربه الكث الطويل بأكمامه . ثم اقتطع جزءا كبيرا من الخبز وأمسك به فى إحدى يديه وأمسك مصيدته باليد الأخرى ثم تسلل فى هدوء خارج الكوخ خشية أن يوقظ زوجته ويوقع نفسه فى مأزق . مضى فى طريقه سائرا فى الغابة ؛ بدون أن يشغل باله ولو لحظات بهذا الرضيع الدخيل ، ظنا منه بأن هذه هى المرة الأخيرة التى سوف يراه فيها .

كانت فلورنتينا ؛ الابنة الكبرى ؛ هى ثانى شخص يدخل المطبخ ؛ قبل أن تعلن الساعة القديمة التى حافظت على انضباطها على مدى سنوات طويلة ؛ عن السادسة صباحا . لم تكن هذه الساعة العتيقة تعنى لهم أكثر من كونها وسيلة لتبين موعد النهوض والاستيقاظ من النوم أو موعد الإيواء إلى الفراش . من بين مهام فلورنتينا اليومية ؛ كان تحضير الإفطار ـ الذى كان فى حد ذاته لا يمثل سوى مهمة بسيطة تتمثل فى تقسيم مقدار معروف من لبن الماعز ورغيف من خبز الجاودار بين أفراد الأسرة الثمانية ..ومع ذلك فإن هذه المهمة كانت تستوجب حكمة سليمان حتى لا يتذمر أى من أفراد الأسرة من أن نصيب الآخر يفوق نصيبه من الغذاء .

كانت فلورنتينا تثير إعجاب وانبهار كل من يراها للمرة الأولى بوجهها الجميل الوضاح وجسدها المكتنز . لم يكن من الإنصاف ألا تحظى على مدى عامين على الأقل إلا برداء واحد فقط كانت ترتديه طوال الوقت ؛ ولكن كل من كان يملك القدرة على الفصل بين الطفلة وبين البيئة التى تحيط بها كان يستطيع أن يستشف السبب الذى جعل جازيو يسقط فى هوى زوجته . كانت فلورنتينا تملك شعرا مسترسلا طويلا أشقر وعيونا بندقية اللون كانت تتلألأ بالرغم من حياتها المتواضعة وغذائها الفقير .



سارت فلورنتينا على أطراف أصابعها نحو الكرسى الهزاز وأخذت تحدق فى أمها والطفل الرضيع الذى عشقته منذ أن وقع نظرها عليه للمرة الأولى . لم تكن فلورنتينا على مدى الثمانية أعوام التى تمثل كل عمرها قد امتلكت دمية ؛ بل إنها لم تكن قد رأت أى دمى إلا فى المرة الوحيدة التى دعيت فيها لحضور حفل سانت نيكولاس فى قصر البارون . حتى فى تلك المرة لم تلمس الدمية الجميلة ولكنها فى هذه المرة شعرت برغبة ملحة غير مبررة فى لمس هذا الشىء الجميل الماثل أمامها. انحنت وجذبت الرضيع ببطء من بين ذراعى والدتها وأخذت تحدق فى عينيه الزرقاوين ؛ يالها من عيون زرقاء جميلة ؛ بدأت تتمتم . بيد أن تغير درجة الحرارة ما بين يد الأم الدافئة ويدى الفتاة الباردة كان قد أثار استياء الرضيع . فشرع على الفور فى البكاء وأيقظ الأم ؛ التى كان رد فعلها الأول هو الشعور بالذنب لأنها قد استسلمت للنوم .

قالت لفلورنتينا : " يا إلهى ؛ إنه مازال حيا . أعدى أنت الإفطار لإخوتك بينما سوف أحاول أنا أن أرضعه ثانية " .

أعادت فلورنتينا الرضيع فى تردد إلى والدتها وأخذت تراقب الأم ثانية وهى تحاول أن تضغط على ثديها المتعب لكى يدر بعض قطرات من اللبن . تسمرت الفتاة فى مكانها .

صاحت الأم : " أسرعى يا فلورنتينا يجب أن يأكل باقى أفراد الأسرة بدورهم " .

أطاعت فلورنتينا أمر والدتها ؛ وفى هذا الوقت كان أخوتها قد استيقظوا من نومهم وجاءوا إلى حيث كانت تجلس والدتهم لكى يقبلوا يدها ويحدقوا إلى الضيف الرضيع . كان كل ما يعرفونه هو أن هذا الطفل لم يكن قد ولد من بطن أمهم . كانت الإثارة قد بلغت مبلغها من فلورنتينا فى هذا الصباح حتى أنها لم تتمكن من تناول

وجبة إفطارها ؛ فتقاسم باقى الإخوة نصيبها من الطعام فيما بينهم بدون أى تفكير وتركوا نصيب أمهم على المائدة . لم يكن أى منهم قد لاحظ ؛ بينما كان كل منهم يؤدى عمله اليومى المتعاد ، أن الأم لم تكن قد تناولت شيئا من الطعام منذ وصول الرضيع .

كانت هيلينا كوسكيفيتش تشعر بالرضا لأن أبناءها كانوا قد تعلموا منذ وقت مبكر فى حياتهم كيف يعتمدون على أنفسهم . فقد كانوا يعرفون كيف يطعمون الحيوانات ويحلبون الماعز والبقر وكيف يعتنون بخضراوات الحديقة بدون أى مساعدة أو إرشاد من والدتهم . عندما عاد جازيو إلى المنزل فى هذا المساء ؛ أدركت زوجته عندئذ فجأة أنها لم تكن قد أعدت أى طعام للعشاء ؛ ولكن فلورنتينا كانت قد تسلمت الأرانب من أخيها الصياد وبدأت بالفعل فى طهيها للعشاء . كانت فلورنتينا تشعر بالفخر لأنها قد تولت مهمة إعداد العشاء ؛ لم يكن يسعدها الحظ بالقيام بهذه المهمة إلا نادرا ؛ فقط عندما تكون أمها متعبة ؛ وهو امتياز لم تكن هيلينا كوسكيفيتش تمنحه لنفسها إلا نادرا . كان الصياد الصغير قد حمل أربعة أرانب فى ذلك اليوم والوالد كان قد أحضر ست ثمرات من عيش الغراب وثلاث ثمرات من البطاطا ؛ أى أنه كان عيدا حقيقيا .

وبعد العشاء ؛ جلس جازيو كوسكيفيتش على كرسيه بجوار المدفأة وأخذ ينظر إلى الرضيع ملياً ويتفحصه جيداً للمرة الأولى . حمله من تحت إبطه وأحكم الإمساك برأسه الضعيف براحة يده ثم أخذ يحدق فى كل جزء من الطفل . وجهه الجعد الخالى من الأسنان ؛ لم يكن يميز وجهه سوى تلك العيون الزرقاء الزائغة . وبينما أدار الرجل وجهه صوب جسد الرضيع النحيل ؛ لفت أمر ما



انتباهه فى الحال ؛ . فقطب وجهه وفك أزرار رداء الصبى بإبهاميه ليكشف عن صدره .

قال الصياد ؛ وهو يشير إلى القفص الصدرى للرضيع : " هل لاحظت ذلك يا هيلينا ؟ إن هذا اللقيط القبيح لا يحمل سوى حلمة واحدة ! " .

فتجهمت زوجته وهى تحك جلد الرضيع بإبهامها كما لو كانت هذه الحركة سوف تعيد إلى الطفل عضوه الناقص . كان زوجها محقا ؛ كانت الحلمة اليسرى متناهية الصغر عديمة اللون موجودة ؛ بينما مثيلتها التى كان يجب أن تبدو فى الجانب الأيمن ؛ كانت ملساء ووردية اللون .

بدأت النزعة الخرافية لدى المرأة تكشف عن نفسها فى الحال ، حيث صاحت تقول : " لقد وهبه لى الله ، هذه هى علامة الهبة الإلهية " .

دفع الرجل بالرضيع إليها فى غضب : " أنت مجنونة يا هيلينا . إن هذا الطفل هو ثمرة رجل ملوث الدماء " ثم بصق فى النار لكى يعبر عن مزيد من شعوره بالاستياء من نسب الطفل . " على أية حال إننى لن أبذل أى جهد للإنفاق على هذا اللقيط " .

لم يكن جازيو كوسكيفيتش بالفعل يكترث البتة بحياة هذا الطفل . لم يكن الرجل بطبعه قاسى القلب ولكن الطفل لم يكن ابنه ؛ وكانت مهمة إطعام شخص إضافى لا تعنى سوى قدر أكبر من الشقاء . ولكن إن كان قد قدر له أن يبقى هذا الطفل فى بيته فهذه هى إرادة الله التى لا يمكن أن يعترض عليها . وبدون مزيد من التفكير فى الرضيع ؛ استسلم للنوم العميق بجوار المدفأة .

-

وبمرور الأيام ؛ بدأ جازيو كوسكيفيتش يؤمن بأن الطفل قد يبقى على قيد الحياة وأن يقينه بأن الطفل لن ينجو كان خاطئا . أما الابن الأكبر ؛ الصياد ؛ فقد نجح بمساعدة أخويه الأصغر منه فى إعداد سرير صغير للطفل من الخشب الذى جمعاه من غابة البارون . كما أعدت له فلورنتينا ملابسه بقص قطع صغيرة من ملابسها وحياكتها مع بعضها البعض . كان يمكن أن يطلقوا عليه اسم هارلكين لو كانوا يعلمون معنى الاسم . إن تسمية الطفل كانت بمثابة مشكلة حقيقية أثارت أكبر قدر من الجدل بين أفراد الأسرة على مدى شهور ؛ كان الأب وحده هو الذى لم يبد رأيه فى هذا الموضوع . وأخيراً ؛ اتفقوا على تسميته وودك ؛ وفى يوم الأحد التالى على التسمية ؛ اقيم حفل بسيط وسمى الطفل باسم وودك كوسكيفيتش حيث شكرت الأم الله على نعمة بقائه على قيد الحياة ، أما الأب فقد أعفى نفسه من كل ما يمكن أن يقوم به تجاهه . وازداد الحفل ابتهاجا بوصول أوزة هدية من البارون . تناول الجميع الطعام فى سعادة .

ومنذ ذلك اليوم ؛ تعلمت فلورنتينا كيف تقسم الطعام على تسعة .

# الفصل الرابع

نامت آن كين طوال الليل فى هدوء . وبعد الإفطار ؛ عاد إليها ابنها ويليام تحمله إحدى ممرضات المستشفى . كانت تتوق إلى حمله ثانية .

قالت الممرضة فى زيها الأبيض بحماس : " والآن يا سيدة آن هل نتولى نحن أيضا تقديم طعام الإفطار للطفل " .

ثم أجلست آن - التى شعرت فجأة بثديها المتورم - فى فراشها وأخذت ترشد الأم إلى كيفية إرضاع طفلها . آن - التى كانت تعلم أن إبداءها لأى شعور بالحرج يمكن أن ينال من أمومتها - حاولت أن تتخطى هذا الشعور بتركيز نظرها على عينى ابنها ويليام الزرقاء . لقد كانت عيناه أشد زرقة من عينى أبيه ؛ ثم قامت بدورها الجديد الذى لم يكن من المنطقى إلا أن يشعرها بالسعادة . لم تكن آن ، البالغة من العمر واحداً وعشرين عاماً ، تشعر بأنها مفتقدة لأى شىء فى حياتها . فقد ولدت فى أسرة كابوت ؛ و تزوجت من أحد أبناء

عائلة لويل ، أما الآن فقد أنجبت أول أبنائها مصداقا للتقليد الذى لخصته لها ببلاغة إحدى صديقاتها القدامى فى المدرسة من خلال بطاقة تهنئة أرسلتها إليها .

**وهذه هى بوسطن القديمة الجميلة**
**التى تجمع بين الزراعة والملاحة**
**حيث تلجأ عائلة لويل إلى عائلة كابوت**
**أما عائلة كابوت فهى لا تلجأ إلا إلى الله**

أخذت آن تتحدث على مدى نصف ساعة مع ويليام ولكن بدون أى رد . عندما عاد لينام ثانية واستسلم لنفس السبات العميق الذى كان قد وصل به إليها . امتنعت آن بمنتهى الإباء عن تناول الفاكهة والحلوى التى كانت موضوعة بجانبها . كانت مصممة على ارتداء كل ملابسها واستعادة رشاقتها بحلول فصل الصيف وكذلك استعادة مكانتها التى تستحقها فى كل صحف الموضة . ألم يقل الأمير دى جارون ذات يوم إنها أجمل شىء فى بوسطن؟ كان شعرها الذهبى الطويل ؛ وقسماتها الدقيقة الرقيقة وقوامها الرشيق مثار إعجاب الآخرين حتى فى المدن التى لم تكن قد زارتها . نظرت إلى نفسها فى المرآة ؛ ليست هناك أية خطوط فى وجهها ؛ كان من الصعب التصديق بأن هذا الطفل الممتلئ هو ابنها . قالت آن لنفسها : " أشكرك يا إلهى ؛ إنه طفل معافى " .

تناولت آن غداء خفيفا وأعدت نفسها للزيارات التى كان من المقرر أن تبدأ فى الظهيرة والتى كانت قد علمت بها مسبقا من سكرتيرها الخاص . لن يسمح بزيارتها فى الأيام الأولى إلا لأفراد العائلة أو المنتمين لأعرق العائلات ؛ أما الآخرون فسوف يقال لهم بأنها ليست بعد على استعداد لاستقبال الزائرين ، ولكن بما أن



بوسطن كانت آخر مدينة قد بقيت فى أمريكا يعرف كل من فيها مكانته الاجتماعية بمنتهى الدقة ؛ فلم يكن من الوارد حدوث أى خطأ فى هذا الصدد .

كانت الغرفة التى تشغلها آن ؛ تتسع بمنتهى الارتياح لتشمل خمس أسرة أخرى ما لم تكن قد ملئت ـ كما حدث بالفعل ـ بالورد والزهور . إن أى عابر كان يمكن أن يخطئ الغرفة على أنها أحد المتاحف الزراعية باستثناء وجود الأم فى سريرها فى منتصف الغرفة . أدارت آن الضوء الكهربائى ؛ الذى كان مازال أحد المستحدثات فى ذلك الوقت ؛ كانت هى وريتشارد قد انتظرا لحين إدخال عائلة كابوت الكهرباء فى بيوتهم ؛ إيذانا لكل من فى بوسطن بإمكانية إدخال الكهرباء وبأنه قد بات أمرا مقبولا اجتماعيا .

كان أول الزائرين هى حماة آن ؛ السيدة توماس لويل كين ؛ التى أصبحت عميدة العائلة بعد وفاة زوجها فى العام السابق . كانت السيدة توماس فى نهاية سنوات منتصف العمر ؛ كانت تجيد فن اقتحام أى غرفة وهى محتفظة بكامل هيبتها ومثيرة بلا شك لارتباك كل الحاضرين . كانت ترتدى ثوبا طويلا يستحيل أن يكشف عن كاحليها ؛ كان الرجل الوحيد المسموح له برؤية الكاحلين هو زوجها الذى كان قد توفى عندئذ . وقد حرصت السيدة دائما على رشاقتها إذ إنها كانت تعتبر أن المرأة البدينة علامة على الطعام السيئ والنشأة الأكثر سوءاً . كانت فى ذلك الوقت هى الأكبر سناً فى عائلة " لويل " ؛ كما كانت أكبر فرد فى عائلة كين ، ولذلك فقد كانت ترى أنها يجب أن تكون أول من يحضر للزيارة . أليست هى من أعد اللقاء بين آن وريتشارد ؟ كان الحب لا يشكل أى اعتبار يمكن الاعتداد به بالنسبة للسيدة كين . بل كان

الثراء والمكانة الاجتماعية والهيبة هو كل ما يمثل قيمة بالنسبة لها . كان الحب بالنسبة لها أمراً لا بأس به ولكنه كان آخر ما ينبغى أن يهتم به المرء ؛ أما العناصر الثلاثة الأخرى فقد كانت هى الأكثر أهمية وثقلا بالنسبة لها . طبعت قبلة على جبين زوجة ابنها تعبيرا عن رضاها عنها . لمست آن أحد الأزرار الموجودة على الجدار وإذا بأزيز خافت يصدر منه . فاجأ الصوت السيدة كين ، فلم تكن تتوقع أن تدخل الكهرباء مدينتهم بهذه السرعة . ثم ظهرت الممرضة وهى تحمل ولى العهد . تفحصته السيدة كين وعبرت عن ارتياحها ثم صرفته .

قالت السيدة الكبيرة كما لو كانت زوجة ابنها قد فازت بجائزة : " أحسنت صنعا يا آن . نحن جميعا فخورون بك " .

وصلت والدة آن السيدة إدوارد كابوت بعد مرور بضع دقائق . كانت هى الأخرى - مثل السيدة كين - قد فقدت زوجها فى سن مبكرة وكانت لا تختلف عنها كثيرا من حيث المظهر بحيث كان يصعب على أى مشاهد لهما عن بعد التمييز بينهما . ولكن إحقاقا للحق ؛ فقد أبدت قدرا أكبر كثيرا من الاهتمام بحفيدها الوليد وبابنتها . واصلت السيدة كابوت تفحصها حتى للزهور التى كانت تملأ الغرفة .

همست السيدة كابوت : " يا له من كرم من عائلة جاكسون أن يرسلوا لنا زهوراً " .

أما السيدة كين فقد قامت بإجراء أكثر عملية حيث ألقت نظرة خاطفة على الورود ثم تفحصت بطاقات المهنئين . أخذت تتمتم لنفسها بالأسماء الواحد تلو الآخر : عائلة آدمز ؛ عائلة لورنس ؛ عائلة لودج ؛ عائلة هيجنسون . لم تعلق أى من الجدتين على أى اسم مجهول بالنسبة لهما ؛ كانا قد تخطا سن الرغبة فى تعلم أى



جديد أو معرفة أى شخص جديد . غادرا المستشفى سويا فى سعادة ورضا حيث بدا لهما ولى العهد للوهلة الأولى فى صحة جيدة . اعتبرت كل منهما أن التزامها الأسرى الأخير قد تم إنجازه على أكمل وجه وأن كلاً منهما يمكن أن تتراجع عن دور الريادة وتعيشا حياتهما كباقى أفراد العائلة .

ولكن ظنهما لم يكن فى محله.

توافد أصدقاء آن وريتشارد المقربون إلى الغرفة فى عصر نفس اليوم محملين بالهدايا ، وأما الأمنيات الطيبة . أما الهدايا فقد كانت من الذهب والفضة ، وأما الأمنيات فقد جاءت فى لهجة راقية أنيقة .

عندما وصل زوجها إليها بعد الانتهاء من العمل فى ذلك اليوم ؛ كانت آن تشعر بالإنهاك . كان ريتشارد قد تناول الشراب مع الغداء لأول مرة فى حياته ، حيث أصر آموس كربس العجوز ، بينما كان الجميع فى نادى سمرست ، على أن يتناول ريتشارد الشراب فلم يكن بوسعه إلا أن يلبى رغبته . بدا لزوجته أكثر مرونة عن ذى قبل . وقد وقف فى ثبات مرتديا معطفه الأسود الطويل وبنطاله دقيق الخطوط ، وظهر طوله الفارع الذى يبلغ ستة أقدام وشعره الأسود المفترق من الوسط الذى كان يلمع تحت ضوء المصباح الكهربائى فى الغرفة . القليل فقط كان يمكن أن يتنبأ بسنه الحقيقى الذى لا يتعدى ثلاثة وثلاثين عاما ، ولكن الشباب لم يكن يعنى أى شىء بالنسبة له ؛ كانت المادة هى كل ما يعنيه . وثانية تم استدعاء ويليام لويل كين ليتفحصه والده ويلقى عليه نظرة وكأنه يتفحص ميزانية البنك فى نهاية يومه المصرفى . بدا له كل شىء طبيعياً ؛ كان ابنه يملك ساقين وذراعين وعشرة أصابع فى يده

وأخرى فى قدمه ؛ لم ير ريتشارد أن هناك ثمة ما يمكن أن يثير حرجه فيما بعد لذا سمح بصرف ويليام .

" لقد اتصلت بمدير مدرسة سانت بول مساء أمس . وسوف يلتحق بالمدرسة فى سبتمبر عام ١٩١٨ " .

لم تجب آن بكلمة ؛ يبدو أن ريتشارد كان قد بدأ بالفعل التخطيط لمستقبل ويليام المهنى .

أخذ يسألها : " حسنا يا عزيزتى ؛ هل تعافيت تماما اليوم ؟ " ؛ لم يكن قد أمضى من قبل يوما كاملا فى المستشفى بطول عمره الذى يبلغ ثلاثة وثلاثين عاما .

أجابت زوجته فى خجل ؛ وهى تكبت رغبتها المتزايدة فى البكاء لكى لا تغضب زوجها : أجل ـ كلا ـ أعتقد ذلك " . لم تكن إجاباتها من النوع الذى يمكن أن يفهمه زوجها . قبل ريشتارد زوجته على خدها وعادوا فى عربته الأنيقة إلى البيت الأحمر فى ميدان " لويس برج " حيث بيت العائلة . فى وجود طاقم العاملين والخدم والمولود الجديد وممرضته ؛ أصبح هناك الآن تسعة أفواه ليطعمها . لم يتعد تفكير ريتشارد هذا الحد .

أقام ريتشارد حفلاً فاخراً بمناسبة ولادة ابنه ويليام حضره عدد من الشخصيات المهمة ممن كانوا يشغلون مكانة مرموقة فى مجال العمل المصرفى ، أمثال مورجن وآلان لويد وميلى برستون وصديقات آن المقربات . نثر الأب ماء الورد على رأس الوليد الذى بقى رابط الجأش وكأنه قد بدأ بالفعل يتشرب أسلوب عائلته فىالحياة . شكرت آن ربها على وصول المولود بسلام وشكر ريتشارد الله على أن منحه وريثاً يترك له ثروته ، ولكنه مازال يعتقد أنه من الأحوط أن ينجب ابنا ثانيا . بينما كان جالساً على المائدة نظر ريتشارد إلى زوجته بجواره وهو يشعر بتمام الرضا عنها .

# الفصل الخامس

كان وودك كوسكيفيتش ينمو ببطء . بدا من الواضح لأمه بالتبنى أنه سوف يعانى دائما من مشاكل صحية . فقد كان يصاب بكل أنواع الأمراض والعدوى التى يصاب بها فى العادة كل الأطفال فى هذه السن والتى لا يصابون بها أيضا . وكان ينقل هذه الأمراض بدون أى تفريق لكل أفراد أسرة كوسكيفيتش . كانت هيلينا تعامله على أنه واحد من أبنائها الذين أنجبتهم وكانت تستميت فى الدفاع عنه عندما يشرع جازيو فى التحدث عنه وكأن الشيطان وليس الله هو الذى زج به فى بيتهم المتواضع . أما فلورنتينا فى المقابل فقد كانت تعتنى بوودك وكأنه ابنها الذى أنجبته . وقد أحبته منذ الوهلة الأولى التى وقع فيها بصرها عليه وبدافع شعور ملح كان مسيطرا عليها بأنها لن تجد من يتزوجها عندما تكبر لأنها فتاة معدمة وابنة رجل فقير ، مما كان يعنى بالنسبة لها أنها لن تنجب أبناء . ومن ثم كانت تعتبر أن وودك هو ابنها .

أما الأخ الأكبر ، الصياد ، الذى كان قد عثر على وودك ، فقد كان يعامله على أنه لعبة يعبث بها وكان يخشى أن يفصح لوالده عن أية مشاعر يكنها للطفل الصغير والذى أصبح طفلا عنيدا . على أية حال كان من المقدر أن يترك الطفل الأكبر المدرسة فى يناير التالى لكى يلحق بالعمل فى مزرعة البارون وكان الأطفال بالنسبة له عبئاً يجب أن تتحمله الأم ؛ هكذا علمه والده . أما الأشقاء الثلاثة الأصغر سنا فلم يبدوا اهتماما يذكر بوودك ، أما العضو المتبقى من أفراد الأسرة وهى صوفيا فقد كانت تكتفى بمداعبته وهدهدته .

وما لم يكن مستعدا له أى من الزوجين هو أن يشب هذا الطفل ليملك عقل وشخصية تختلف تماما عن أبنائهم . لم يكن هناك من يمكن أن يخطئ أوجه الاختلاف البدنى والفكرى . كان كل أفراد عائلة كوسكيفيتش طوال القامة ؛ قويى البنية ؛ أصحاب شعر أشقر وعيون رمادية باستثناء فلورنتينا . أما وودك فقد كان قصير القامة وممتلئ الجسم وصاحب شعر أسود وعيون شديدة الزرقة . كان أفراد عائلة كوسكيفيتش لا يميلون إلى التعليم وكان يتم استبعادهم من مدرسة القرية بمجرد أن يسمح لهم سنهم بذلك أو تملى عليهم الظروف . أما وودك ـ فى المقابل ـ فبالرغم من أنه قد تأخر فى المشى فإنه قد تحدث وهو فى الشهر الثامن عشر من عمره . وتعلم القراءة وهو فى الثالثة من عمره ولكنه مع ذلك بقى غير قادر على ارتداء ثيابه بنفسه . كان يكتب فى الخامسة ولكنه كان مازال يتبول فى فراشه . أصبح وودك بذلك مثار فخر أمه وإحباط أبيه . كانت سنواته الأربع الأولى فى الدنيا لا تنسى بسبب مرضه البدنى المتواصل فما يكاد يشفى من مرض إلا ويصاب بغيره ، ولولا جهود هيلينا وفلورنتينا المتواصلة للحفاظ على صحته لما نجا من تلك الأمراض . كان يعدو حول الكوخ الخشبى بقدمين عاريتين وهو



يرتدى ثياباً رثة ، مع عدم الابتعاد كثيراً عن أمه . عندما كانت فلورنتينا تعود من المدرسة كان يظل ملتصقا بها ولا يتركها إلا عندما تضعه فى فراشه . عندما كانت فلورنتينا تقسم الطعام على تسعة أنصبة كانت تعمد فى أغلب الأوقات إلى تقسيم حصتها بينها وبين وودك أما فى حالة مرضه فقد كانت تترك له حصتها كاملة . كان وودك يرتدى الملابس التى كانت تعدها له ويحفظ الأغانى التى تعلمها له ويشاركها اللعب ببعض الألعاب القليلة والهدايا التى كانت تقدم لها .

ونظرا لأن فلورنتينا كانت تتغيب معظم اليوم فى المدرسة ؛ فقد حدت وودك رغبة منذ نعومة أظافره فى الذهاب معها إلى هناك . وحينما سمح له بذلك ( على أن يبقى متشبثا بيد فلورنتينا إلى أن يصل إلى مدرسة القرية ) كان يسير فى طريق يبلغ طوله ما يقرب من تسعة أميال ، على قدميه عبر غابات أشجار البتولاء المغطاة بالطحالب وشجر السرو وأشجار الليمون والكرز إلى أن يصل إلى " سلونيم " حيث يبدأ يومه الدراسى .

أحب وودك المدرسة منذ اليوم الأول ؛ فقد كانت مهربا له من الكوخ الضيق الذى كان يمثل له حتى ذلك اليوم عالمه كله . وقد واجهته المدرسة للمرة الأولى فى حياته بوحشية الاحتلال الروسى لبولندا الشرقية . وقد أدرك عندها أنه لا يمكن أن يتحدث لغته البولندية الأم إلا داخل جدران منزله ، أما فى المدرسة فلا يجب أن يتحدث إلا الروسية . كان كل من حوله من الأطفال يستشعرون فخرا طاغيا باللغة والثقافة الأم المقهورة فى ظل الاحتلال . كان هو الآخر يشعر بنفس هذا الفخر . ولكن ما فاجأه هو أن مدرس الفصل السيد كوتوفيسكى لم يكن ينظر إليه نفس النظرة المتدنية التى كان ينظر إليه بها أبوه فى البيت . ولم يمض وقت طويل إلا وكان قد

أثبت تفوقه على كل زملائه فى الفصل فى كل شيء باستثناء طول القامة . كانت ضآلة حجمه سببا دائما لسوء تقدير قدراته بشكل دائم ؛ فقد كان الأطفال يتصورون دائما أن الأكبر يعنى الأفضل . ومع بلوغ الخامسة كان وودك قد أثبت تفوقه فى كل المواد التعليمية .

وفى المساء ؛ بعد عودته إلى الكوخ الخشبى الصغير ؛ بينما كان الأطفال يلهثون لقطف زهور البنفسج التى كانت تزدهر وتتفتح فى الربيع وجمع التوت وتقطيع الأخشاب والإمساك بالأرانب وإعداد الثياب ؛ كان وودك يشغل وقته بالقراءة المتواصلة إلى أن قرأ كل كتب أخيه الأكبر وأخته الكبرى التى لم يمساها . وبدأت هيلينا كوسكيفيتش تدرك أنها قد حظيت بأكثر مما راهنت عليه عندما عاد إليها ابنها الأكبر بهذا المخلوق الغريب بدلا من الأرانب ؛ فقد كان وودك بدأ بالفعل يطرح عليها أسئلة تعجز عن الإجابة عنها . وسرعان ما أدركت أنها لن تكون قادرة على مجاراته ولم تكن تعرف كيف تواجه هذا الأمر . كانت هيلينا تملك إيمانا راسخا بالقدر ولذلك فإنها لم تفاجأ عندما جاء القرار خارجًا عن نطاق سيطرتها .

فى مساء أحد أيام الخريف من عام ١٩١١ ؛ حدثت أول نقطة تحول فى حياة وودك . كانت الأسرة جميعها قد انتهت من تناول طعام العشاء البسيط المعد من حساء جذور البنجر والقليل من اللحم . كان كوسكيفيتش يغط فى سبات عميق بجوار المدفأة بينما كانت هيلينا تحيك بعض الملابس وكان وودك جالسا عند أقدام والدته يقرأ عندما سمع ، بالرغم من الضوضاء التى كان يثيرها ستيفان جوزيف أثناء شجارهما على بعض أخشاب الصنوبر المطلية حديثا ، طرقاً قويا على الباب . ساد الصمت المكان . كان هذا الطرق دائما بمثابة مفاجأة بالنسبة لأسرة كوسكيفيتش لأن أهل هذا الكوخ



الصغير ، والذى كان يبعد مسافة تسعة أميال عن قرية سلونيم وأكثر من ستة أميال من ممتلكات البارون ؛ لم يعتادوا استقبال ضيوف ولم يكن بوسعهم أن يقدموا سوى عصير التوت وضوضاء تسع من الأطفال الذين يقطنون بداخله . تحول نظر جميع أفراد الأسرة إلى الباب فى هلع وترقب . وبقوا بلا حراك وكأنهم لم يسمعوا شيئا لحين أن يعاد الطرق مرة ثانية . وبالفعل عاود الطرق ولكن فى هذه المرة على نحو أكثر قوة . نهض جازيو وهو نصف نائم من فوق كرسيه وسار باتجاه الباب وفتحه بحذر . عندما رأى الجميع الرجل الماثل أمام الباب ؛ أحنوا رؤوسهم باستثناء وودك الذى أخذ يحدق إلى هذا الوجه الأرستقراطى النبيل الوسيم وهو يرتدى معطفه السميك من الفراء والذى استحوذ وجوده على كل من فى الغرفة الصغيرة وأثار الخوف فى عينى والده . ولكن الرجل بابتسامة رقيقة أذاب هذا الخوف . ودعا الصياد البارون روزنوفسكى للدخول . لم ينبس أحد ببنت شفة . لم يكن البارون قد زارهم من قبل ولم يكن أحد واثقا مما يجب قوله .

نحى وودك كتابه جانبا ونهض وسار باتجاه الرجل الغريب ؛ وهو يمد له يده قبل أن يتمكن والده من ثنيه عن ذلك .

قال وودك : عمت مساء يا سيدى .

أمسك البارون بيده ونظر كل منهما فى عينى الآخر . وعندما ترك البارون يده ؛ وقعت عينا وودك على السوار الفضى الرائع الذى كان يلف معصمه والذى كان يحمل حفرا لم ينجح وودك فى فك طلاسمه .

" لابد أنك وودك " .

أجاب الفتى بدون أن يبدى أية دهشة أو شعور بالمفاجأة لكونه يعرف اسمه : " نعم يا سيدى " .

قال البارون : " أنت من جئت أقابل والدك بشأنه " .

بقى وودك أمام البارون يحدق فيه . أشار الصياد إلى أبنائه لكى يغادروا الغرفة ويتركوه مع البارون ؛ انحنى اثنان منهم فى تبجيل بينما حياه الأربعة الآخرون وانسحب الستة فى صمت داخل غرفة النوم . بقى وودك ولم يطلب منه أحد أن يفعل غير ذلك .

بدأ البارون حديثه قائلاً : " كوسكيفيتش ، لقد جئت لكى أطلب منك أن تسدى لى خدمة " ، وكان الرجل لا يزال واقفا إذ لم يدعه أحد للجلوس . لم يكن القناص قد عرض عليه الجلوس لسببين أولا لأنه كان يشعر بخجل بالغ وثانيا لأنه افترض أن البارون قد جاء إليه لكى يصدر إليه تأنيبًا قاسيًا .

قال الأب وهو يتساءل ما إذا كان يملك ما لا يملك البارون منه أضعافا مضاعفة : " أمرك مجاب يا سيدى " .

واصل البارون حديثه : " إن ابنى ليون الآن قد بلغ السادسة من عمره وقد بدأ يتلقى تعليما خصوصيا فى القصر بواسطة مدرسين ؛ أحدهما بولندى والآخر ألمانى . وقد أخبرونى أنه ولد ذكى ولكنه بحاجة إلى المنافسة ؛ حيث إنه يتلقى الدروس بمفرده ولا يجد من ينافسه . وقد أخبرنى السيد كوتوفيسكى مدرس القرية أن وودك هو الفتى الوحيد القادر على هذه المنافسة التى يتطلع إليها ابنى بشدة . وإننى أرجو أن تسمح لابنك بأن يغادر مدرسة القرية وينضم إلى ابنى ليون ومدرسيه فى القصر " .

بقى وودك واقفا أمام البارون يحدق فيه بينما أخذ يتخيل المشهد الزاخر بالطعام والشراب والكتب والمدرسين الذين هم بكل تأكيد أكثر كفاءة من السيد كوتوفيسكى . ثم ألقى نظرة على والدته ، التى كانت هى الأخرى بدورها تحدق فى البارون بينما



غطى وجهها الشعور بالأسى والدهشة . استدار الأب جهة الأم بحثا عن إجابة صامتة فورية مرت على وودك وكأنها دهر كامل .

ثم أجاب الوالد فى صوت أجش وهو ينظر إلى حذاء البارون : " سوف يشرفنا ذلك يا سيدى " .

نظر البارون نظرة استفهام إلى هيلينا كوسكيفيتش .

أجابت فى رقة : " الله يحرم علىَّ أن أقف فى طريق ابنى بالرغم من أنه هو وحده الذى يعلم كم سيحزننى ذلك " .

" ولكن يا سيدة كوسكيفيتش إن ابنك يمكن أن يعود إلى البيت بانتظام لزيارتك " .

" نعم يا سيدى أتوقع أنه سيفعل ذلك ؛ فى البداية " وكانت على وشك إضافة رجاء ولكنها تراجعت .

ابتسم البارون : " حسنا ؛ قضى الأمر ؛ أرجوك أحضر الصبى إلى القصر فى تمام السابعة صباحا غدا . سوف يعيش معنا وودك طول فترة الدراسة وفى أعياد رأس السنة سوف يعود لزيارتكم " .

انفجر وودك فى البكاء .

قال الأب : " اهدأ يا فتى " .

قال وودك فى تصميم الذى كان يريد بالفعل الذهاب : " لن أذهب " .

" اهدأ يا فتى " قالها الأب بصوت أكثر حزما فى هذه المرة .

سأله البارون ؛ بنبرة عطف : " ولم لا ؟ " .

" إننى لن أترك فلورنتينا أبدا " .

تساءل البارون : " فلورنتينا ؟ " .

تدخل الأب قائلا : " إنها ابنتى الكبرى يا سيدى ، لا تشغل بالك يا سيدى . إن الصبى سوف يفعل ما آمره به " .

لم يتحدث أحد . ثم فكر البارون للحظة . وواصل وودك بكاءه المصطنع .

سأل البارون : " كم يبلغ عمرها ؟ " .

قال الأب : " إنها فى الرابعة عشرة " .

سأل البارون ؛ بعد أن شعر بالارتياح من كون هيلينا كوسكيفيتش لم تكن على وشك البكاء هى الأخرى : " هل تجيد أعمال المطبخ ؟ " .

أجابت الأم : " أجل يا سيدى بالطبع . إن فلورنتينا تستطيع أن تطهو وتحيك و ..... " .

" حسنا ؛ هذا جيد ؛ يمكنها أن تأتى هى الأخرى . إننى أنتظر مجيئهما فى السابعة من صباح الغد " .

سار البارون جهة الباب وألقى نظرة ثانية على وودك وابتسم له ؛ فرد عليه وودك بنفس الابتسامة . كان وودك قد نجح فى عقد أول صفقة له واستسلم لحضن والدته الدافئ بينما أخذ يحدق فى الباب المغلق ؛ عندها سمع أمه وهى تهمس قائلة : " آه ؛ يا ابنى الصغير ؛ ما الذى سوف يؤول إليه حالك الآن ؟ " .

لم يكن وودك يطيق صبرا لمعرفة الإجابة .

أمضت هيلينا كوسكيفيتش ليلتها فى إعداد حقيبة وودك وفلورنتينا ؛ لم يكن الأمر ليستغرق كل هذا الوقت حتى وإن كانت تحزم كل ممتلكات الأسرة . وفى الصباح وقف كل أفراد الأسرة أمام الباب لمراقبة رحيل الاثنين إلى قصر البارون بينما كان كل منهما يحمل لفافته الورقية تحت إحدى ذراعيه . أخذت فلورنتينا ذات القوام المشوق تنظر خلفها وتبكى وتلوح لكل أفراد الأسرة . أما وودك ذو القامة القصيرة ، فلم يكن يعبأ حتى بالالتفات مرة واحدة



خلفه . تشبثت فلورنتينا بيد أخيها طوال الرحلة إلى قصر البارون . لقد انقلبت الأدوار الآن ؛ لقد أصبح منذ اليوم هو المسئول عنها وليس العكس .

كان هناك رجل فى انتظار وصولهما إلى القصر . كان الرجل يرتدى حلة خضراء مطرزة أنيقة وفتح لهما بعد أن سمع طرقهما الرقيق على الباب الكبير المصنوع من خشب البلوط . لقد سبق لهما رؤية الجنود الذين كان يحرسون الحدود البولندية الروسية بزيهم الرمادى وكانوا يتأملونهم بإعجاب . ولكنهم بالطبع لم يكن قد سبق لهم من قبل أبداً رؤية شىء يفوق تألق هذا الخادم صاحب البزة المميزة الذى بدا شديد الاعتزاز والترفع والذى كان من الواضح أنه صاحب أهمية بالغة . كانت هناك سجادة سميكة فى قاعة الاستقبال أخذ وودك يتأمل تداخل لونيها الأخضر والأحمر منبهرا بجمالها ومتسائلا ما إن كان يجب أن يخلع حذاءه قبل أن يمر عليها واندهش عندما مر عليها بدون أن تُحدث أى صوت . قادهما هذا الرجل المذهل إلى غرفة نومهما فى الجناح الغربى للقصر . كانتا غرفتين منفصلتين ؛ وهل يمكن أن يناما فى غرفتين منفصلتين ؟ على الأقل كان هناك باب واصل بينهما ؛ أى أنهما لن ينفصلا عن بعضهما البعض انفصالا كليا ؛ ولكنهما آثرا النوم بجوار بعضهما البعض فى فراش واحد فى ليال كثيرة .

عندما أفرغ كل منهما محتويات حقيبته ؛ اقتيدت فلورنتينا إلى المطبخ ووودك إلى غرفة اللعب فى الجناح الجنوبى من القصر حيث قابل ابن البارون . كان ليون طويلا ووسيما وأبدى على الفور فرحته وترحيبه الحار بوودك مما دفع وودك إلى التخلى عن تحفظه المصطنع ليحل بدلاً منه الشعور بالدهشة والارتياح . كان ليون وحيد أبويه ؛ ولم يكن لديه رفيق للعب إلا مربيته ؛ تلك السيدة

اللتوانية المتفانية فى خدمته التى كانت قد أرضعته وتولت كل شئونه منذ وفاة والدته فى سن مبكرة . لقد كان هذا الفتى القصير الممتلئ القادم من الغابة يمثل له الصحبة الدائمة التى طالما تاق إليها . كان هناك شيء واحد على الأقل يدرك كلاهما أنهما متساويان فيه .

عرض ليون على وودك على الفور أن يريه القصر ؛ واستغرقت الجولة باقى اليوم كله . بقى وودك منبهرا بحجم القصر واتساعه وثراء أثاثه وتلك السجاجيد التى كانت تغطى أرضيات كل الغرف . كان ليون يشعر بتقدير ممتزج بسعادة لوجود وودك ؛ فقد كان يشعر أنه اكتسب مكانه فى القصر عن استحقاق . وأوضح ابن البارون أن القصر مبنى على الطراز القوطى ، فأومأ وودك يعرف معنى كلمة قوطى . ثم قاده ليون بعد ذلك إلى القبو الشاسع الذى كان زاخرا بصفوف زجاجات النبيذ المتراصة المغطاة بالأتربة وخيوط العنكبوت . كانت غرفة وودك المفضلة هى غرفة المائدة الكبيرة الواسعة بأعمدتها الشاهقة وأرضيتها المكسوة بالرخام . كانت رؤوس الحيوانات تزين كل الجدران . وقد عدد عليه ليون أسماء تلك الحيوانات ؛ إنها رؤوس الثور الأمريكى والدب والظبى والخنزير البرى والذئب . وفى نهاية الغرفة ؛ كان معطف البارون المتوهج معلقاً تحت قرون وعل . كان شعار عائلة روزنوفسكى هو " الثروة تحب الشجاعة " . بعد تناول العشاء الذى لم يتناول منه وودك إلا القدر البسيط لأنه لم يكن يجيد استخدام أدوات المائدة ؛ التقى بمدرسيه ؛ اللذين لم يرحبا به بنفس قدر ترحيبهما بابن البارون . وفى المساء صعد وودك فوق أطول سرير شاهده وقص على فلورنتينا كل مغامراته . بقيت عيناها المشدوهتان مثبتتين على وجهه وبقيت



فاغرة فاها وهى تنصت فى انبهار لكل ما يقصه عليها وخاصة عندما حكى لها عن أدوات المائدة .

بدأت الحصص التعليمية فى السابعة تماما قبل تناول الإفطار وبقيت متواصلة على مدار اليوم مع فترات استراحة مقتضبة لتناول الوجبات . كان ليون فى البداية متفوقا بوضوح على وودك ولكن وودك ناضل بتصميم والتهم الكتب التهاما وبمرور الأسابيع أخذت الهوة التى تفصل بينهما تضيق شيئا فشيئا بينما أخذت الصداقة وروح التبارى بينهما تتزايد فى نفس الوقت . وجد المدرسان الألمانى والبولندى صعوبة فى تعليم تلميذيهما ابن البارون وابن الصياد على قدم المساواة بالرغم من أنهما أكدا للبارون عندما كان يسألهما أن السيد كوتوفيسكى قد قدم لهم الاختيار الأكاديمى الصحيح . ولكن سلوك هذين المدرسين تجاه وودك لم يزعجه أو يشغل باله يوما لأنه كان يلقى دائما نفس المعاملة التى يلقاها ليون .

كان البارون سعيدا بالتقدم الذى ينجزه ليون ووودك وكان من وقت إلى آخر يكافئ وودك ويقدم له الملابس والألعاب . وقد تطور إعجاب وودك المتحفظ للبارون إلى احترام ، وعندما حان وقت عودة وودك إلى الكوخ الصغير فى الغابة لقضاء عيد رأس السنة بين أفراد أسرته ؛ شعر بالحزن لفكرة مفارقة ليون .

وقد كان لهذا الحزن مبرر قوى . فبالرغم من السعادة التى شعر بها فى بادئ الأمر لأنه سوف يرى والدته ؛ فإن تلك الفترة القصيرة التى امتدت لثلاثة أشهر فى قصر البارون كانت قد كشفت له عن أوجه القصور فى بيت الأسرة والتى لم يكن قد التفت إليها من قبل . وجاءت العطلة . وأحس وودك بالضيق من هذا الكوخ الخانق الضيق وهذا الطعام الفقير القليل الذى يؤكل باليد ؛ ليس هناك من يقسم الطعام على تسعة أنصبة فى القصر . كان وودك يتوق للعودة

إلى ليون والبارون . وفى مساء كل يوم كان يسير مسافة ستة أميال كاملة إلى أن يصل إلى القصر ويجلس هناك ليحدق إلى الجدران الضخمة التى تحيط به . أما فلورنتينا التى كانت هى الأخرى تعيش فى القصر ولكن داخل حدود المطبخ فقط ؛ فقد كانت العودة بالنسبة لها أسهل كثيرا ولم تكن تدرك لم لا يمكن أن يعود هذا الكوخ ثانية منزلا لـ وودك . لم يكن الأب واثقا من الطريقة التى يجب أن يتبعها فى معاملة وودك ؛ الذى أصبح الآن يرتدى ثيابا أنيقة ويتحدث بطريقة متأنقة ويتحدث عن أشياء لم يكن حتى يفهمها ولم يكن يعبأ بفهمها وهو ما زال فى السادسة من عمره . كان الصبى يقضى يومه كاملا فى القراءة . ما الذى يمكن أن يجنيه هذا الطفل إن لم يكن بوسعه أن يصوب قوسا أو يصطاد أرنبا ، فكيف يمكن أن يتنبأ له بأنه سوف ينجح فى كسب قوت يومه ؟ كان يدعو الله هو الآخر أن تنتهى العطلة سريعا .

كانت هيلينا فخورة بـ وودك ولم تكن تريد أن تعترف لنفسها فى البداية أن هناك حاجزاً يفصل بينه وبين إخوته . ولكن فى النهاية لم يكن بوسعها سوى أن تعترف بذلك . وأثناء ممارسة لعبة الجنود فى إحدى الأمسيات ، رفض كل من ستيفان وفرانك اللذين كان كل منهما يمثل قائدا لجيشين متعاديين أن ينضم وودك إلى جيشه .

قال وودك وهو يبكى : " لِمَ يريد كل منهما دائما إبعادى عن جيشه ؟ أريد أن أتعلم القتال أنا أيضا " .

قال ستيفان : " لأنك لست واحدا منا ، أنت لست أخا لنا فى حقيقة الأمر " .



ساد صمت طويل قبل أن يواصل فرانك حديثه قائلا : " لم يكن أبونا يريدك أن تبقى فى المقام الأول ولكن أمنا هى التى أصرت على ذلك " .

بقى وودك واقفا بدون حراك مثبتا عينيه على دائرة الأطفال بحثا عن فلورنتينا .

سأل وودك : " ما الذى يعنيه فرانك بأننى لست أخاكم ؟ " .

وهنا استمع وودك للمرة الأولى لقصة مولده وفهم سر انفصاله الدائم عن باقى إخوته وأخواته . بالرغم من أن والدته قد شعرت عندها بحزن بالغ لما آل إليه حاله ، إلا أن وودك شعر بغبطة دفينة داخل نفسه عندما علم بهذا الأمر وبأنه لا ينتمى إلى دماء هذا الصياد الوضيع . إنه ينتمى إلى أصل مجهول ؛ إنه يحمل بداخله بذور الفكر والحكمة وبدا له عندها كل شيء ممكنا .

عندما وصلت العطلة الحزينة أخيرا إلى نهايتها ؛ عاد وودك إلى القصر فى سعادة . رحب به ليون ثانية وهو فاتح ذراعيه وكأنه يتنصل من ثروة أبيه ، وهو ما فعله وودك بدوره وكأنه يتنصل من فقر أسرته وذلك العيد المتواضع الذى لم يحظ خلاله إلا بقدر ضئيل من الاحتفال . منذ تلك اللحظة ازداد التقارب بين الاثنين حتى أنهما كان لا يفترقان عن بعضهما البعض . وعندما اقتربت العطلة الصيفية ، توسل ليون لأبيه أن يسمح لـ وودك بالبقاء فى القصر ، فوافق البارون ؛ حيث كان هو وابنه يكنان له الاحترام . شعر وودك بسعادة غامرة ولم يدخل كوخ الصياد من يومها سوى مرة واحدة فقط .

عندما كان وودك وليون ينهيان واجبهما المدرسى فى كل يوم ؛ كانا يقضيان الساعات المتبقية من اليوم فى اللعب . كانت لعبتهما

المفضلة هى لعبة شوو أميجو أى لعبة التستر ، ونظرا لأن القصر كان يضم اثنتين وسبعين غرفة فلم تكن هناك سوى فرصة ضئيلة لتكرار مكان الاختباء . كان مكان وودك المفضل للاختباء هو القبو الواقع تحت القصر والذى كان مظلماً ولا ينفذ إليه سوى خيط من النور من خلال صخرة صغيرة أعلى الجدار ، وحتى بالرغم من ذلك فقد كان أى شخص بحاجة إلى شمعة للتحرك فى المكان . لم يكن وودك يعرف سبب وجود هذا المكان ولم يشر إلى ذلك أى من الخدم لأنه لم يكن قد سبق لأحد منهم استخدامه من قبل .

كان وودك يعرف جيدا أنه كان مساويا لـ ليون فقط فى الفصل الدراسى ، أما خارج هذا النطاق فلم يكن يقوى على منافسته فى أية لعبة إلا الشطرنج . كان نهر شارا الذي يحيط بالقصر امتدادا للمساحة التى كانا يلعبان فيها . فى الربيع كانا يمارسان الصيد وفى الصيف كانا يسبحان وفى الشتاء عندما كان النهر يتجمد ؛ كانا يرتديان الزلاجات ويطاردان بعضهما البعض فوق الجليد بينما كانت فلورنتينا تحذرهما من المناطق الهشة . ولكن وودك كان لا يلقى إليها بالا دائما ولا يلتفت لما تقول ولذا كان يسقط دائما فى مثل هذه البؤر الهشة . كبر ليون سريعا وأصبح قويا ؛ كان يجيد السباحة والعدو وكان يبدو دائما صحيح البدن وكأنه لا يصاب بأى مرض أو تعب . أما وودك فقد أدرك للمرة الأولى معنى كلمة وسيم الملامح وقوى البنيان ؛ وكان يعلم جيدا عندما كان يمارس السباحة أو العدو أو التزلج أنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى ليون . ولكن الأسوأ من ذلك هو أن ما كان يطلق عليه ليون سرة البطن ، كان غير ملحوظ عليه تقريباً ؛ لأن وودك كان قصيرا وسمينا وقبيحا وبارز البطن .



كان وودك يقضى الساعات الطويلة منزويا فى غرفته الهادئة ؛ كان يتفحص خلالها تكوينه البدنى فى المرآة ؛ ويسأل نفسه دائما لماذا وخاصة فيما يتعلق بحلمة ثديه ؛ لم لا يملك سوى حلمة واحدة بينما يملك كل الصبية الذين سبق ورآهم حلمتين بما يضفى التناسق المطلوب على شكل الجسم . وأحيانا كان عندما يستلقى على فراشه فى حالة أرق ؛ كان يتحسس صدره بأصابعه وتتساقط دموع الشفقة على وسادته إلى أن يغلبه النعاس فى النهاية فيستسلم للنوم على أمل أن يستيقظ فى الصباح ليجد الأشياء قد اختلفت . ولكن دعاءه لم يكن يستجاب .

كان وودك يخصص وقتا كل ليلة لأداء التدريبات الرياضية والتى لم يكن أحد يراه وهو يمارسها ولا حتى أخته فلورنتينا . وقد نجح من خلال قوة عزيمته فى تعلم شد قامته بحيث يبدو أكثر طولاً . كان يشد ذراعيه وساقيه ويتشبث بأطراف أصابعه بعارضة فى غرفة نومه أملا أن ينمو بعض الشىء بينما ليون كان يزداد طولا حتى وهو نائم . ولكنه وجد نفسه فى النهاية مجبرا على قبول كونه سيظل دائما أقصر قامة من ابن البارون بكثير وأنه ليست هناك وسيلة ، أية وسيلة ، لاستعاضة الحلمة المفقودة . لم يكن ليون هو الذى يثير بداخله عدم الرضا بجسمه لأنه لم يعلق يوما على مظهره ولم يكن يعرف أطفالاً غيره ؛ كان عشق ليون لوودك يتعدى مستوى النقد .

كان إعجاب البارون روزنوفسكى هو الآخر يزداد يوما بعد يوم بهذا الفتى العنيد أسود الشعر الذى حل محل الأخ الأصغر لليون عندما مات ميتة مأساوية بوفاة والدته البارونة أثناء الوضع .

كان ليون ووودك قد دأبا على تناول العشاء كل ليلة مع البارون فى القاعة الكبيرة ذات الجدران المبنية بالحجارة ، بينما كان

وميض الشموع يعكس ظلاله الكئيبة على رؤوس الحيوانات المحنطة على الجدران . كان الخدم فى ذلك الوقت يروحون ويجيئون بدون إحداث أية ضجة حاملين أوانى التقديم المصنوعة من الفضة والأطباق المصنوعة من الذهب ؛ ويقدمون الأوز واللحم والأسماك والشراب الفاخر والفاكهة وأحيانا طبق المازورك الذى أصبح طبق وودك المفضل . وبعدها ؛ عندما يلقى الليل بظلاله الكثيفة حول المائدة ؛ كان البارون يصرف الخدم ويحكى لـ ليون ووودك قصصا مقتبسة من التاريخ البولندى . وكان وودك يلح دائما على البارون لسماع قصة تاديوز كوسكيوسكو .

" إنه كان رجلا وطنيا عظيما وبطلا مغوارا " ، هكذا كان يجيبه البارون . " إنه رمز كفاحنا ونضالنا من أجل الاستقلال ؛ لقد تدرب فى فرنسا ... " .

أجاب وودك ؛ الذي كان سر إعجابه بالقصة يزداد بمعرفته الدقيقة للكلمات التى يستخدمها البارون لروايتها : " التى نكن لشعبها كل الإعجاب والحب بقدر ما نكره الروس والنمساويين " .

ضحك البارون : " من منا الذى يقص القصة يا وودك ؟ "...

" ثم قاتل مع جورج واشنطن فى أمريكا سعيا وراء الحرية والديمقراطية . وفى عام ١٧٩٢ ؛ قاد البولنديين فى معركة دوبينكا . عندما تخلى عنا الملك الخائن " ستانيسلو أوغسطس " لينضم إلى الروس ؛ عاد كوسكيوسكو إلى وطنه الذى يحبه ليلم شمل الوحدة الوطنية . ثم انتصر فى معركة ؛ ماذا ؛ يا ليون ؟ " .

" انتصر فى معركة راكلاويس يا سيدى ثم حرر وارسو "

" ممتاز يا بنى . ثم حشد الروس مع الأسف قوات ضخمة فى ماسجويز حيث منى بالهزيمة هناك ووقع فى الأسر . لقد حارب



جدى الأكبر مع كوسكيوسكو فى هذا اليوم وحارب بعدها مع فيالق دبروسكى التى انضمت إلى نابليون بونابرت العظيم " .

قال وودك : " وقد حظى بلقب البارون روزنوفسكى تقديرا لهذه الجهود التى بذلها لبلاده ، وهو اللقب الذى سوف نحمله دائما تخليدا لذكرى هذه الأيام العظيمة " ، قالها فى فخر وكأنه سوف يحمل هذا اللقب فى يوم من الأيام .

قال البارون فى هدوء : " نعم وهذا الأيام العظيمة سوف تعود ثانية ، إننى أدعو الله أن أبقى على قيد الحياة إلى أن أشهد هذه الأيام " .

فى عيد رأس السنة ؛ جاء بعض الفلاحين العاملين فى المزرعة بصحبة أسرهم إلى قصر البارون للاحتفال بعشية العيد . كان الكل يصوم عشية عيد رأس السنة وكان الأطفال ينظرون عبر النافذة بحثا عن ظهور أول نجمة فى السماء التى كانت بمثابة إشارة بدء الاحتفال بالعيد . كان البارون عندها ؛ يتمنى للجميع عيدا سعيداً ؛ بنبرة صوته الرصين العميق ولسانه البليغ . عندما كان يجلس الجميع لتناول العشاء ؛ كان وودك يشعر بحرج شديد بسبب شره جازيو كوسكيفيتش الذى كان يصر على تناول كل صنف من الأصناف الثلاثة عشر المقدمة على مائدة الطعام بدءاً من الحساء وحتى الكعك والفاكهة مما كان يصيبه بالإعياء والغثيان - كدأبه فى السنوات السابقة - وهو فى طريق عودته إلى المنزل عبر الغابة .

وبعد العيد ؛ كان وودك يجد متعة بالغة فى توزيع الهدايا على أبناء الفلاحين المعدمين ؛ وقد أعطى دمية لصوفيا وسكينا لجوزيف وثوبا جديدا لـ فلورنتينا ؛ كانت هذه الهدية هى أول طلب يطلبه وودك من البارون .

قال جوزيف لوالدته عندما تلقى الهدية من وودك : " أهذا صحيح ؟ إنه ليس أخانا يا أمى ؟ " .

أجابت الأم : " بلى ولكنه سوف يبقى دائما ابنى " .

وعلى مدى شتاء وربيع عام ١٩١٤ ؛ ازداد وودك علما وقوة ، وفجأة فى شهر يوليو من ذلك العام ؛ ترك المدرس الألمانى القصر بدون حتى كلمة وداع ؛ لم يعرف أى من الصبيين سر هذا التصرف . لم يدر بخلد أى منهما أن يككون لرحيله علاقة باغتيال الأرشيدوق فرانسيس فردناند فى ساريبفو على يد طالب متمرد ؛ وهو الحادث الذى كان قد قصه عليهما مدرسهما البولندى بنبرة جادة بدون أن يبدى أى تبرير . ولكن البارون فى هذا الوقت أصبح يميل إلى العزلة ؛ لم يكن أى من الصبيين يعرف السبب . ثم بدأ الخدم الأصغر سنا الذين كانوا الأكثر قربا من الأبناء ، يختفون الواحد تلو الآخر بدون أن يدرك أى من الصبيين السبب . وبمرور العام ازداد ليون طولا وازداد وودك قوة ، وازداد الاثنان حكمة ونضجا .

وفى صباح أحد الأيام من شهر أغسطس عام ١٩١٥ ؛ فى تلك الأيام الخاملة الجميلة ؛ تأهب البارون للقيام برحلة طويلة إلى وارسو لكى يدبر شئونه ؛ على حد تعبيره . وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع أى خمسة وعشرين يوما كاملة أحصاها وودك كل صباح على الروزنامة التى كان يحتفظ بها فى غرفة نومه ؛ بدا هذا الوقت لـ وودك دهراً كاملاً . وفى اليوم الذى كان من المقرر فيه وصول البارون ؛ ذهب الصبيان إلى محطة القطار فى سلونيم لاستقبال القطار الأسبوعى ذى العربة الواحدة والترحيب بالبارون فور وصوله . ثم عاد الثلاثة إلى القصر فى صمت تام .



شعر وودك أن الرجل الكبير بدا متعبا وأكبر سنا ؛ كان هذا بمثابة حدث غير متوقع بالنسبة له ؛ وعلى مدى الأسابيع القليلة التالية كان البارون كثيرا ما يثير مع كبير خدمه حوارا سريعا قلقا وكان يقطع حواره معه دائما عندما يقتحم وودك و ليون الغرفة ؛ كان هذا سلوكا غير مألوفا ومثيراً للريبة بالنسبة للصبيين اللذين شعرا بالخوف وعدم الارتياح لكونهما ربما السبب المحتمل لهذه الحالة . خشى وودك من أن يعيده البارون ثانية إلى منزل الصياد الفقير لأنه لم ينس يوما أنه شخص غريب يعيش فى بيت غريب .

وفى مساء أحد الأيام التالية ؛ بعد عودة البارون ؛ طلب من الصبيين اللحاق به فى القاعة الكبيرة . سار الاثنان فى تؤدة وحذر يحدوهما الخوف منه . وبدون أية مبررات أخبرهما البارون أنهما بصدد القيام برحلة طويلة . ولكن هذا الخبر المقتضب الذى بدا غير موضوعى لوودك فى ذلك الوقت قد بقى راسخا فى ذهنه طوال حياته .

بدأ البارون حديثه بنبرة خفيضة مترددة قائلاً : " أبنائى الأعزاء ، لقد وصل السفاحون من القوات الألمانية والنمساوية والمجرية إلى قلب وارسو وسرعان ما سوف ينقضون علينا هنا " .

تذكر وودك عبارة كان المدرس البولندى قد قالها رغما عنه للمدرس الألمانى فى آخر عهدهما سويا الذى كان يسوده التوتر .

فسأل وودك : " هل هذا يعنى أن ساعة الاجتياح الأوروبى علينا قد أتت ؟ " .

نظر البارون فى حنان إلى وجه وودك البرىء وقال : " إن روحنا الوطنية المتأججة لم تخمد على مدى مائة وخمسين عاما من القهر والإذلال ، ولكن يبدو أن بولندا على شفا نفس الهاوية التى تتعرض

لها صربيا وإننا لا نملك القوة الكافية لتغيير مجرى التاريخ . لقد سقطنا تحت رحمة ثلاث قوى عظمى محيطة بنا " .

قال ليون : " ولكننا أقوياء ، ونملك القدرة على المقاومة ، نحن نملك سيوفاً خشبية ودروعاً واقية . نحن لا نخشى الألمان أو الروس " .

" يا بنى ، أنت لم تعرف الحرب إلا من خلال اللعب . ولكن هذه المعركة ليست معركة أطفال . يجب أن نبحث الآن عن مكان صغير آمن وهادئ نعيش فيه إلى أن يقرر التاريخ مصيرنا ، ويجب أن نغادر هذا القصر بأسرع ما يمكن . إننى فقط أدعو الله ألا يكون قد حان وقت نهاية طفولتكما " .

أثار حديث البارون حيرة وغضب كل من ليون ووودك . لقد كانت الحرب بالنسبة لهما بمثابة مغامرة مثيرة سوف تفوتهم إن غادروا القصر . استغرق الخدم عدة أيام لحزم ممتلكات البارون وأخبر البارون ليون وودك أنهما سوف يغادران إلى المنزل الصيفى الصغير فى شمال " جروندو " يوم الاثنين القادم . واصل الصبيان جدهما ولهوهما سويا بدون إشراف فى معظم الأوقات ولكنهما لم يجدا فى القصر أذناً مصغية على استعداد للإجابة عن طوفان الأسئلة التى كانت تدور فى خلدهما .

فى أيام السبت ، كانت الدروس تقتصر على الفترة الصباحية فقط . كان ليون ووودك يترجمان إحدى القصائد لآدم ميكيفيتش إلى اللاتينية عندما سمعا طلقات نارية . فى البداية ، ظن وودك أن هذا هو أحد الأصوات المألوفة لأحد الصيادين الذى خرج بحثا عن غنيمة فى مزرعة البارون ، فواصل هو وليون ما كانا يقومان به . ثم سمعا دفعة أخرى من الطلقات ولكن فى هذه المرة كانت الطلقات أكثر قربا مما دفعهما إلى النظر إلى أعلى ، ثم سمعا صرخات من الدور



السفلى . أخذ كل منهما يحدق إلى الآخر فى دهشة وتعجب ، لم يخشيا شيئا ، لأنهما لم يشهدا من قبل فى حياتهما شيئا كهذا يدفعهما إلى الشعور بالخوف . ثم انسل المدرس وتركهما بمفردهما ، ثم سمعا طلقات أخرى ولكن فى هذه المرة فى ردهة المنزل خارج الغرفة التى كانا يجلسان بها . بقى الولدان بلا حراك ، تسمر كل منهما فى مكانه فى حالة من الذعر عاجزاً عن التقاط أنفاسه .

وفجأة اقتحم رجل يقارب مدرسهما فى العمر باب الغرفة ، كان يرتدى زى الجنود الرمادى وخوذة من الصلب ، وقف الرجل أمامهما فى استعلاء . تشبث ليون بـ وودك بينما ثبت وودك بصره على هذا الرجل المقتحم . صاح الجندى فى وجهيهما باللغة الألمانية سائلا كلا منهما عن هويته ولكن بدون أية إجابة من الصبيين بالرغم من أن كليهما كان يجيد الألمانية إجادة تامة . ثم ظهر جندى آخر خلف الجندى الأول بينما تقدم الجندى الأول قبالة الصبيين وأمسك بعنقيهما وجذبهما إلى الردهة ومنها إلى القاعة إلى الساحة الأمامية للقصر ومنها إلى الحديقة حيث وجدا فلورنتينا تصرخ بصورة هستيرية مثبتة بصرها على الأرض أمامها . لم يقوى ليون على النظر ودفن رأسه بين كتفى وودك . أخذ وودك يتأمل المشهد وقد سيطر عليه الشعور بالذهول أكثر من الشعور بالذعر أمام هذه الكومة المؤلفة فى الجزء الأكبر منها من جثث الخدم . وقد وقف مشدوها عندما شاهد وسط كومة الجثث هذا الشارب الذى يعرفه جيدا وسط بركة من الدماء . إنه الصياد . لم يشعر وودك بشىء بينما واصلت فلورنتينا صراخها .

سأل ليون : " هل أبى وسط هذه الكومة ؟ هل أبى وسط هذه الكومة ؟ " .

تفقد وودك كومة الجثث ثانية . وحمد الله لأنه لم يجد أثرا للبارون روزنوفسكى . كان على وشك إعلان النبأ السار لـ ليون عندما نهض أحد الجنود إليهما .

قال الجندى فى وحشية : " من الذى تحدث الآن ؟ " .

أجابه وودك فى تحدٍ : " أنا " .

فرفع الجندى بندقيته وضرب بها رأس وودك ، فسقط وودك وقد تساقطت الدماء على وجهه . أين ذهب البارون ، ما الذى يجرى ، لم يعاملان بهذه الطريقة فى منزلهما ؟ قفز ليون سريعا فوق وودك محاولا حمايته من التسديدة الثانية التى كان سيوجهها الجندى إلى معدته ، فانطلق عيار نارى فى ظل هذه الفوضى وأصاب مؤخرة رأس ليون .

سقط الصبيان بلا حراك ؛ وودك لأنه كان لا يزال فاقد الوعى إثر اللكمة التى تلقاها وسقوط جسد ليون المفاجئ عليه ، وليون لأنه كان قد مات .

استطاع وودك تحت وطأة هذا الوضع أن يتبين توبيخ أحد الجنود لزميله الذى أقدم على هذه الفعلة . والتقطا ليون فتشبث به وودك . تطلب الأمر جنديين لرفع جسد ليون وإلقائه بدون اكتراث فوق كومة الجثث التى وضعت وجوهها صوب الأرض . لم يدر وودك عينيه عن جثة صديقه الحميم الهامدة إلى أن اقتيد أخيرا داخل القصر مع حفنة من المذعورين الذين بقوا على قيد الحياة ، اقتيد الجميع إلى القبو . لم ينبس أي منهم ببنت شفة خشية أن يلحق بكومة الجثث الملقاة على أرض الحديقة إلى أن فتحت أبواب القبو وزج بهم جميعا بداخله وخبا صوت الجنود مع ابتعادهم عن المكان . تمتم وودك قائلا : " يا إلهى ! " . وإذا بالبارون جالسا منزويا فى أحد الأركان فى مقابل الجدار ، كان مصابا ولكنه كان



فى حالة ذهول ، كان يحدق فى الفضاء وكان مازال على قيد الحياة فقط لأن الغزاة أرادوا له أن يبقى مسئولا عن السجناء . سار وودك نحوه بينما ظل الباقون على أبعد مسافة ممكنة من سيدهم . أخذ الاثنان يحدقان إلى بعضهما البعض تماما كما حدث فى أول يوم التقيا فيه ثم مد وودك يده فأمسك بها البارون . شاهد وودك الدموع وهى تنهمر على وجه البارون الشامخ . لم ينطق أى منهما بكلمة . كان كل منهما قد فقد الشخص الذى يكنان له كل الحب فى هذا العالم .

# الفصل السادس

كبر ويليام سريعا وكان كل من يعرفه يُكن له كل الإعجاب والحب ؛ كان كل من يعرفه فى السنوات المبكرة من عمره هم الأقارب والخدم الذين يتولون رعايته .

تحول الدور العلوى من منزل عائلة كين المبنى على طراز القرن الثامن عشرة فى ميدان " لويز برج " فى " بيكون هيل " إلى حضانة أطفال ؛ كان المكان زاخرا بالألعاب . تمت إضافة غرفة نوم وغرفة جلوس للممرضة الجديدة . كان هذا الطابق العلوى بعيدا كل البعد عن ريتشارد كين لكى يبقى دائما بمنأى عن مشاكل الطفل مثل التسنين والحفاضات المبللة و الصراخ غير المنضبط وغير المبرر لمزيد من الطعام وهكذا . وقد تم تدوين كل ما يخص الطفل الناشئ فى كتاب الأسرة على يد أمه ؛ أول صوت وأول سنة وأول خطوة وأول كلمة ؛ كما حرصت أيضا على تدوين طوله ووزنه . ولكن آن شعرت بالانزعاج قليلا من كون هذه الإحصاءات تختلف قليلا عن باقى





الأطفال الذين كانت تعرفهم في بيكون هيل .

وقد حرصت الممرضة الإنجليزية على تنشئة الطفل وفق نظام محكم وكأنه من أبناء أحد الملوك والأمراء . كان والد ويليام يزوره فى كل مساء فى السادسة . وبما أنه كان يرفض أن يتحدث مع الطفل بلغة الأطفال ؛ فقد آل به الحال إلى عدم التحدث معه كلية ؛ كان كل منهما يكتفى بالتحديق إلى الآخر . كان ويليام يقبض على سبابة أبيه ؛ هذا الإصبع الذى كان الأب يراجع به أوراق الميزانية ؛ وكان الطفل يتشبث بهذا الإصبع بأقصى قوته . وكان ريتشارد فى هذه الحالة يسمح لنفسه بأن يمنح ابنه الصغير ابتسامة . ومع نهاية العام الأول ؛ تغير النظام المتبع قليلا وسمح للطفل بالنزول إلى الدور السفلى لرؤية والده . كان ريتشارد يجلس على كرسيه المرتفع من الجلد البنى ويراقب ابنه الأول وهو يزحف على أربع بين قطع الأثاث ويختفى فيما بينها ليظهر من أقل الأماكن توقعا ، مما قاد ريتشارد إلى الاعتقاد بأن ابنه سوف يصبح بلا شك سيناتور . خطا ويليام خطواته الأولى عندما بلغ ثلاثة عشر شهرا عندما كان يتعلق بذيل معطف أبيه . كانت كلمته الأولى هى كلمة دادا ؛ والتى كانت تثير إعجاب الجميع بمن فى ذلك جدته كين وجدته " كابوت " اللتان كانتا تحرصان على زيارته بانتظام . لم تكن أى منهما فى واقع الأمر تدفع بنفسها عربة الصبى التى كان يجوب بها أرجاء بوسطن ، وإنما كانتا لا تمانعان فى السير فى تؤدة خلف العربة التى كانت الممرضة تتولى مهمة دفعها عصر أيام الخميس بينما يراقبان الأطفال الذين يتبعون نظاما أقل التزاما فى المنتزه . بينما كان باقى الأطفال يطعمون البط فى الحدائق العامة ؛ نجح ويليام فى إطعام البجع الجميل فى البحيرة التابعة لقصر فينيتيان الرائع التى كان يملكها السيد جاك جردنر .

وبعد مضى عامين ؛ ألمحت الجدتان بكل الوسائل إلى أنه قد آن الأوان للإقدام على إنجاب ولى عهد ثان ؛ شقيق مناسب لـ ويليام . وقد انصاعت آن لهذا المطلب ولكنها شعرت بالحزن عندما شعرت بالوهن وأصابها الشحوب وهى تدخل شهرها الرابع من الحمل .

كف الدكتور مكنزى عندها عن الابتسام وتخلى عن تفاؤله بينما كان يختبر الجنين المتنامى والأم المفعمة بالأمل ؛ وعندما فقدت آن جنينها فى الأسبوع السادس عشر من الحمل ؛ لم يندهش الطبيب من ذلك ، ولكنه لم يسمح لها بالاستمرار فى أحزانها . حيث أخبرها قائلا : " عزيزتى آن ؛ إن سبب شعورك بالتعب أثناء الحمل هو ما تعرضت له من ارتفاع شديد فى ضغط الدم والذى كان سيواصل ارتفاعه على الأرجح مع التقدم فى الحمل . إن الطب لم يعثر إلى الآن ـ مع الأسف ـ على إجابة لارتفاع ضغط الدم ؛ بل إننا لا نعرف عنه سوى أنه من الحالات شديدة الخطورة بالنسبة لأى شخص وخاصة السيدة الحامل " .

كتمت آن دموعها بينما أخذت تفكر فى المعنى الذى يحمله حديث الدكتور مكنزى وعدم قدرتها على إنجاب أبناء فى المستقبل .

" إن هذا لن يتكرر بالطبع فى حملى المقبل ؟ " قالت آن ذلك وهى تصيغ سؤالها لكى تفرض على الطبيب موافقتها بإجابة مرضية .

" سوف يدهشنى كثيرا عدم تكرر الأمر يا عزيزتى . للأسف يجب أن أصارحك بأننى يجب أن أشدد عليك بعدم الإقدام على الحمل مرة أخرى " .



" ولكننى لا أكترث إن كنت سأصاب بالشحوب لبضعة أشهر إذا كان القابل هو ... " .

" إننى لا أقصد بذلك الإصابة بالشحوب يا آن وإنما أعنى أنك بذلك تعرضين حياتك للخطر " .

كان وقع الصدمة مروعا على ريتشارد وآن ؛ اللذين كان كل منهما قد حرم فى طفولته من الأشقاء ؛ ربما بسبب وفاة أبويهما فى سن مبكرة . كان كلاهما يتطلع إلى إنجاب الكثير من الأبناء بما يتناسب مع حجم البيت الكبير والمسئولية التى يتحملان عبئها أمام الجيل التالى . " ما الذى بقى إذن لشابة فى مثل سنها ؟ " هكذا أخذت تتساءل كل من الجدة " كابوت " والجدة كين . لم يكترث أحد بالتنويه إلى هذا الأمر ثانية وأصبح ويليام هو محط انتباه الجميع .

كان ريتشارد الذى تولى رئاسة بنك " كابوت " و كين بعد ستة أعوام قضاها عضواً فى مجلس إدارة البنك ورأس شركة " تراست " بعد وفاة والده عام ١٩٠٤ ؛ يغرق نفسه دائما فى العمل المصرفى . كان البنك الذى يقف فى شموخ فى شارع " ستيت " ؛ رمزا للجمال المعمارى والصلابة المالية وكان يملك فروعا فى كل من نيويورك ولندن وسان فرانسيسكو. كان الفرع الأخير قد تسبب فى مشكلة لـ ريتشارد يوم مولد ابنه ويليام عندما تعرض هو وبنك " كروكر القومى " و " ويلز فراجو " وبنك " كاليفورنيا " للانهيار ؛ ليس الانهيار المالى وإنما الانهيار الفعلى للمبانى إثر الزلزال المدمر عام ١٩٠٦ . كان ريتشارد بطبيعته رجلا حريصا حذرا وكان قد أمن تأمينا شاملا على البنك لدى شركة تأمين " ليود " الإنجليزية التى سددت كل نفقات إعادة بناء البنك من جديد . ومع ذلك فقد كان ذلك العام عاما شاقا بالنسبة لـ " ريتشارد " حيث فرض عليه طوال

العام التنقل بالقطار ذهابا وإيابا إلى سان فرانسيسكو فى رحلة تدوم على مدى أربعة أيام داخل القطار لكى يشرف بنفسه على مهمة إعادة البناء . فتح البنك فرعه الجديد فى ميدان يونيون فى أكتوبر من عام ١٩٠٧ ؛ وما كاد ريتشارد ينجز هذه المهمة إلا وتوالت عليه المشاكل من الجانب الشرقى للبحر . كان هناك تراجع بسيط فى سيولة بنوك نيويورك مما أعجز بعض المنشآت الصغيرة عن مواصلة العمل فانسحبت من المشروعات التى تمولها البنوك ، مما حدا برئيس بنك " جى بي مورجان " الرئيس الأسطورى للبنك الذى يحمل اسمه إلى طلب الاندماج مع ريتشارد لمواجهة الأزمة . وافق ريتشارد وبالفعل تصدى هذا الدمج للأزمة إلى أن تلاشت المشكلة ولكن بعد بضع ليال قضاها ريتشارد فى أرق وترقب .

أما ويليام ، فقد كان فى المقابل ؛ ينام بعمق غير مدركة لخطورة الزلازل أو انهيار البنوك . كان يعرف أن هناك دائما بجعاً فى انتظار الإطعام ورحلات لا تنتهى من وإلى " بوسطن " و " بروكلين " و " بيفرلى هيلز " لزيادة أفراد عائلته البارزين من أصحاب المكانة الرفيعة .

وفى وقت مبكر من ربيع العام التالى عاد ريتشارد لاستثمار المال بحرص وحذر مع رجل يدعى هنرى فورد ؛ زعم بأنه يستطيع أن يخترع سيارة مزودة بموتور للتنقل . دعا البنك السيد فورد لتناول الغداء ؛ وكان ريتشارد متخوفا من فكرة امتلاك سيارة موديل " تى " مقابل مبلغ كبير يصل إلى ٨٥٠ دولاراً . ولكن هنرى فورد أكد لـ " ريتشارد " بأن السعر سوف يتراجع بمساندة البنك - إلى ٣٥٠ دولاراً فى غضون سنوات قليلة وأن كل شخص سوف يملك عندها القدرة على شراء هذه السيارة ؛ مما سوف يدر للبنك أرباحاً



طائلة . وقد سانده ريتشارد بالفعل وكانت هذه هى المرة الأولى التى أقدم فيها على مساندة شخص بمبلغ طائل من المال أملا فى أن ينخفض سعر منتجه لكى يصل إلى أقل من النصف .

كان ريتشارد فى البداية متخوفا من ركوب هذه المركبة - بالرغم من أنها كانت سوداء اللون - وبأنه يمكن ألا يعتبرها الناس وسيلة نقل محترمة لرئيس بنك ، ولكنه استعاد رباطة جأشه وطمأنينته عندما لمح نظرات الإعجاب التى يلقيها المارة على المركبة أثناء سيرها فى المدينة . كانت تلك المركبة تسير بسرعة ١٠ أميال فى الساعة محدثة جلبة وضجة تفوق جلبة الحصان ولكنها لم تكن تترك أية مخلفات وراءها فى شراع " ماونت فرنون " . كان اختلافه الوحيد مع السيد فورد هو أن المركبة يجب أن تكون متوافرة فى مجموعة متنوعة من الألوان غير اللون الأسود . ولكن السيد فورد أصر على أن يقتصر الانتاج على اللون الأسود للمحافظة على انخفاض السعر . أما آن التى كانت أشد حرصا من زوجها على اكتساب قبول المجتمع الراقى فقد رفضت ركوب المركبة إلى أن تقدم عائلة " كابوت " على اقتناء واحدة .

ويليام - فى المقابل - كان يعشق " السيارة " ؛ كما أطلقت عليها الصحافة ؛ وقد افترض على الفور أن هذه المركبة قد جاءته عوضا عن عربة الأطفال التى أصبحت الآن بالية فضلا عن أنها كانت غير مزودة بمحرك . كما أنه كان يفضل أيضا قائد السيارة - بقفازه وقبعته - عن مربيته . أما الجدة " كابوت " والجدة كين فقد أعلنا رفضهما التام للسفر داخل هذا الاختراع المخيف وبالفعل لم يركباها يوما بالرغم من أنه تجدر الإشارة إلى أن الجدة كين قد شيعت جنازتها داخل السيارة ذات المحرك ولكن بدون أن يخبرها أحد .

وعلى مدى العامين التاليين ؛ ازداد البنك ازدهاراً وحجما وهو ما ينطبق بنفس الدرجة على ويليام . بدأ الأمريكيون ثانية يستثمرون أموالهم فى التوسعات ؛ فتوالت دفعات كبيرة من المال على بنك كين و " كابوت " حتى يعاد استثمارها فى مشروعات التوسع مثل مشروع توسع مصنع " لويل " للجلود فى " مساتشوستس " . أخذ ريتشارد يرقب ازدهار البنك وابنه برضا تام . وفى عيد ميلاد ويليام الخامس ؛ انتزع الوالد طفله من بين أيدى النساء لكى يتلقى دروسه على يد معلم خاص مقابل ٤٥٠ دولارا سنويا ؛ كان قد وقع اختيار ريتشارد على السيد مونرو من بين قائمة تحمل أسماء لثمانية معلمين متخصصين تم اختيارهم من قبل سكرتيره الخاص . كانت مهمة السيد مونرو هى تهيئة ويليام للالتحاق بمدرسة " سانت بول " مع بلوغ الثانية عشرة من عمره . وقد تعلق ويليام من فوره بالسيد مونرو الذى وجد أنه معلم كبير السن والذكاء أيضا . كان السيد مونرو فى واقع الأمر فى الثالثة والعشرين من عمره وكان يملك شهادة امتياز من الدرجة الثانية فى اللغة الإنجليزية من جامعة إيدنبرج .

سرعان ما نجح ويليام فى تعلم القراءة والكتابة بسهولة ولكنه كان مولعا فى المقام الأول بالأرقام . كانت شكواه الوحيدة من أنه كان يتلقى ثمانى حصص فى كل يوم من أيام الأسبوع من بينها حصة واحدة فقط للرياضيات . وسرعان ما ذكر لوالده أن تخصيص ثمن اليوم فقط لمادة الرياضيات كان وقتا متواضعا بالنسبة لشخص سيصبح يوما ما رئيسا ومديرا لأحد البنوك .

لتعويض هذا التقصير من جانب معلمه ؛ عمد ويليام إلى الإفادة من خبرة أقاربه المقربين ومطالبتهم بطرح مسائل رياضية لكى يجريها فى عقله . وسرعان ما وجدت الجدة كابوت ـ التى كانت



تملك قناعة بأن قسمة الرقم على أربعه لا يجب أن تتساوى بالضرورة مع ضربه بالربع والتى كانت بالفعل تحصل على قيمة مختلفة لكلا العمليتين الحسابيتين ـ نفسها أقل من مستوى التجاوب مع حفيدها ؛ أما الجدة كين فبقليل من التعلم والذكاء وجدت نفسها قادرة على التعامل مع الأرقام العشرية والفائدة المركبة وقسمة ثمانى قطع من الكعك على تسعة أطفال .

قال ويليام بلطف لجدته ولكن بحزم عندما عجزت عن إجابة الحسبة التى طرحها عليها " جدتى ألا يمكنك أن تشترى لى مسطرة رقمية وعندها لن أعاود إزعاجك ثانية ؟ " .

تعجبت الجدة من نضج حفيدها المبكر ولكنها مع ذلك أجابت طلبه وهى متشككة فى إمكانية استخدامه لهذه الأداة . كانت هذه هى أول مرة فى حياتها تذعن فيها للحل الأسهل للخروج من أية مشكلة .

بدأت مشاكل ريتشارد فى الجانب الشرقى تتفاقم . كان مدير فرع لندن قد توفى فى مكتبه ووجد ريتشارد نفسه مطالبا بالذهاب إلى الفرع فى شارع " لمبارد " . اقترح على آن أن تصحبه هى وريتشارد إلى أوروبا ورأى أن الرحلة لن تضير الصبى فى تعليمه بل على العكس يمكنه هناك أن يزور كل الأماكن التى حدثه عنها السيد مونرو كثيرا . رحبت آن ـ التى لم تكن قد زارت أوروبا من قبل ـ بالفكرة وحزمت كل ملابسها الثمينة الأنيقة الجديدة فى ثلاث حقائب سفر كبيرة لكى تواجه هذا العالم القديم . وقد وجد ويليام أنه من غير المنصف أن ترفض أمه طلبه فى حمل دراجته التى تمثل أهمية قصوى بالنسبة له .

سافرت أسرة كين إلى نيويورك بالقطار للحاق بالسفينة " أكيتانيا " التى سوف تقلهم فى رحلتهم إلى ساوثمبتون . شعرت

آن بالفزع من الباعة المتجولين من المهاجرين الذين كانوا يعرضون سلعهم ولم تشعر بالسعادة والأمان إلا عندما وطئت قدماها سطح السفينة واستقرت داخل غرفتها المخصصة . أما ويليام ــ فعلى النقيض ـ فقد انبهر باتساع نيويورك لأنه كان يتصور حتى ذلك الوقت ؛ أن بنك أبيه هو أكبر بناء فى أمريكا بل وفى العالم بأسره . أراد أن يشترى البوظة الصفراء والوردية الملونة من أحد الباعة المتجولين ولكن والده كان يستحيل أن يوافق على ذلك كما أنه على أية حال لم يعتد الاحتفاظ بأية عملات نقدية صغيرة . عشق ويليام السفينة الضخمة منذ أن وقع بصره عليها وسرعان ما اكتسب صداقة القبطان الذى شرح له كل أسرار المهنة . وقد شعر كل من ريتشارد وآن اللذين كانا يجلسان بطبيعة الحال على مائدة القبطان بوجوب الاعتذار للقبطان ـ بعد قطع مسافة قصيرة من الرحلة ـ على ذلك الوقت الذى يهدره طاقم البحارة بسبب أسئلة ابنهم ويليام .

أجاب القبطان ذو اللحية البيضاء : " كلا البتة ، هناك بالفعل صداقة قوية تجمع بينى وبين ويليام . ولكننى فقط أتمنى أن أستطيع الإجابة عن كل الأسئلة التى يطرحها علىَّ بشأن الوقت والسرعة والمسافة . يجب أن أتدارس هذه المعلومات جيدا مع المهندس الأول للسفينة أملا فى الإجابة عن كل الأسئلة المحرجة التى سوف يطرحها علىَّ ويليام فى صباح اليوم التالى " .

أبحرت أكيتانيا إلى أن وصلت إلى سولنت لكى ترسو فى النهاية فى ساوثمبتون بعد عشرة أيام من الإبحار . حزن ويليام لمغادرة السفينة ولم يمنعه من البكاء سوى رؤية تلك السيارة الفارهة من طراز " الرولز رويس " الماثلة أمام الميناء والتى كانت ستقله هو وأسرته بقيادة سائقها إلى لندن . قرر ريتشارد فى خضم الموقف أن هذه



السيارة هى التى سوف تقله فى نهاية الرحلة إلى نيويورك ؛ كان هذا القرار السريع غريبا عن طبيعته الشخصية المتأنية ولم يتخذ قراراً مثله طوال حياته . ثم أخبر آن أنه يريد أن يُرى هذه السيارة لـ " هنرى فورد " .

كانت عائلة كين قد اعتادت الإقامة فى فندق " ريتز " فى بيكاديللى فى لندن ، لأن موقع الفندق كان مناسبا لمكتبه فى المدينة . كانت آن تستغل هذا الوقت الذى كان يقضيه ريتشارد فى عمله لكى ترى ويليام برج لندن وقصر " بكنجهام " ومراسم تغيير حرس القصر . وقد كان ويليام منبهرا بكل ما رآه باستثناء اللهجة الإنجليزية التى كان يجد صعوبة فى فهمها .

سألها ويليام : " لم لا يتحدثون مثلنا يا أمى ؟ " فتعجبت من طريقة طرحه للسؤال لأنه عادة ما يطرح الأسئلة بشكل عكسى . كانت أكثر الأشياء التى يفضل ريتشارد إنفاق وقت فراغه فيها هى مراقبة الحرس بزيهم اللامع الأحمر وأزرارهم الذهبية البراقة الكبيرة ممن كانوا يتولون الحراسة خارج قصر بكنجهام . حاول أن يتحدث معهم ولكنهم بقوا مثبتين بصرهم فى الفضاء بدون أن ترمش لهم عين .

سأل ويليام والدته : " هل يمكن أن نحمل أحدهم إلى بلادنا ؟ " .

" كلا يا عزيزى ؛ يجب أن يبقوا هنا لحراسة الملك " .

" ولكنهم يملكون الكثير من الحرس ؛ ألا يمكن أن نأخذ ولو حتى واحدا منهم ؟ " .

وبناء على طلب آن كان ريتشارد يأخذهما لمشاهدة مسرحية انجليزية بعنوان " جاك آند ذا بينستك " كانت تعرض بالطريقة الإيمائية .

أحب ويليام " جاك " كثيرا وشعر على الفور برغبة ملحة فى جز كل شجرة تقع عيناه عليها متصورا أن كل هذه الأشجار لابد أنها تؤوى وحوشا بداخلها . تناول الجميع الشاى بعد مشاهدة العرض فى مطعم فورتنام وماسون فى شارع " بيكاديلى " . وسمحت آن لـ ويليام بتناول حصتين من البوظة وفطيرة يطلق عليها اسم الدونت . دأب ويليام يوميا بعد ذلك على الذهاب إلى غرفة الشاى فى فورتنام لتناول " الدون بان " كما كان يطلق هو عليها .

مرت العطلة سريعا لـ ويليام وأمه ؛ ولكن ريتشارد كان راضيا عن مقدار ما حققه من إنجاز فى شارع " لمبارد " وكان راضيا أيضا عن المدير الجديد الذى أوكل إليه مهام البنك ومن ثم أخذ يتطلع إلى يوم العودة إلى بلاده .أخذت البرقيات تتوالى عليه يوميا من بوسطن مما أثار قلقه وعجل برغبته فى العودة السريعة إلى هناك . وعندما وصله أخيرا نبأ إضراب ٢٥٠٠ عامل من عمال القطن فى أحد المصانع التى كانت تملك استثمارا هائلا فى بنكه فى لورنس فى مساتشوستس ؛ كان سعيداً بأن الموعد المرتقب لإبحار سفينته قد تحدد بعد ثلاثة أيام فقط .

كان ويليام يتوق إلى العودة هو الآخر لكى يقص على السيد مونرو كل تلك الأشياء المثيرة التى فعلها فى إنجلترا وكذلك لكى يلتقى بجدتيه . كانت أكثر التجارب إثارة بالنسبة له هى زيارة المسرح المفتوح ومشاهدة العرض مع العامة . كانت آن هى الأخرى سعيدة بعودتها إلى وظنها ؛ بالرغم من أنها كانت قد استمتعت برحلتها بنفس قدر ويليام ؛ لأن ملابسها وجمالها كان قد اجتذب إعجاب حتى الإنجليز الذين يتحفظون عادة فى التعبير عن مشاعرهم . كانت الرحلة الترفيهية الأخيرة لـ ويليام هى ذهابه بصحبة والدته آن إلى حفل الشاى المقام فى ميدان " إيتون " كانت



قد دعت إليه زوجة مدير البنك الجديد لفرع لندن . كانت هى الأخرى لديها ابن يدعى " ستيوارت " وكان فى الثامنة من عمره وكان ويليام ينظر إليه ، بعد الأسبوعين اللذين قضاهما فى اللعب معه ؛ على أنه صديق كبير ناضج . ولكن بهجة الحفل كانت قد خبت بسبب مرض ستيوارت وقد قرر ويليام ـ كما ذكر لأمه ـ أن يمرض هو الآخر تعاطفاً مع صديقه . عادت آن وويليام إلى فندق " ريتز " فى وقت مبكر عن المتوقع ؛ مما منحها المزيد من الوقت لكى تشرف على إعادة حزم حقائبها الكبيرة . وعندما وضعت ويليام فى فراشه فى المساء ؛ وبالرغم من أنها كانت واثقة من أن ويليام يتظاهر بالمرض إرضاء لصديقه ستيوارت ، إلا أنها وجدت أنه لم يكن على ما يرام وأنه مصاب بسخونة بسيطة . وذكرت ذلك لـ " ريتشارد " على العشاء .

أجابها ريتشارد بدون أن تبدو عليه أية أمارة للقلق : " ربما لفرط سعادته بسبب عودتنا إلى بوسطن " .

أجابت آن : " أتمنى ذلك ، ولكننى لا أريده أن يكون مريضا ونحن بصدد رحلة بحرية سوف تدوم لستة أيام " .

قال ريتشارد وكأنه يصدر أمرا غير قابل للمناقشة : " سوف يكون على خير ما يرام غدا ولكن عندما ذهبت آن فى الصباح لكى توقظ ويليام ؛ وجدت جسده مغطى ببقع حمراء صغيرة وقد وصلت درجة حرارته إلى ١٠٣ درجات . شخص طبيب الفندق المرض على أنه الحصبة وأصر فى أدب جم على أن حالته لا تسمح له بحال بأن يسافر فى رحلة بحرية ؛ ليس فقط من أجل سلامته الشخصية وإنما أيضا من أجل سلامة الركاب . لم يكن أمامه سوى أن يبقى فى الفراش وبجواره زجاجة الماء الساخن إلى أن يشفى تماما . ولكن ريتشارد لم يكن بوسعه أن ينتظر طيلة أسبوعين ، فقرر بناء على

ذلك أن يبحر فى الموعد المحدد وحده . واستجابت آن - فى تردد - لتلك التغيرات السريعة . أخذ ويليام يتوسل إلى والده أن يصحبه معه حيث بدت له الأربعة عشر يوما التى كان سيلازم فيها الفراش إلى أن تعود السفينة ثانية إلى ساوثمبتون وكأنها دهر ، ولكن ريتشارد أصر على بقائه واستأجر له ممرضة لكى تبقى بصحبته وتقنعه بوجوب ملازمته للفراش نظرا لحالته المرضية الضعيفة .

سافرت آن بصحبة زوجها ريتشارد إلى " ساوثمبتون " فى السيارة الرولز رويس .

" سوف أشعر بالوحدة فى لندن بدونك يا ريتشارد " اجترأت آن على التصريح بهذه المشاعر بالرغم من أنها كانت تدرك جيدا أن زوجها لم يكن يقر هذه النزعة العاطفية فى النساء .

" حسنا يا عزيزتى ؛ وأنا أيضا سوف أشعر بالوحدة فى بوسطن بدونك " قالها وعقله منشغل بإضراب العمال .

عادت آن إلى لندن فى القطار ؛ وهى تتساءل كيف ستشغل وقتها على مدى الأسبوعين التاليين . قضى ويليام ليلة أفضل من سابقتها وفى الصباح كانت البقع قد خفت حدتها قليلا . ومع ذلك فقد أصر كل من الطبيب والممرضة على أن يبقى ملازما لفراشه . كانت آن تستغل وقت فراغها الطويل فى كتابة خطابات مطولة لأفراد عائلتها ؛ بينما بقى ويليام ملازما لفراشه فى حالة تمرد ولكنه فى صباح يوم الثلاثاء ؛ نهض مبكرا وذهب إلى غرفة أمه ؛ وكأنه قد عاد إلى حالته الطبيعية . صعد بجوارها وأيقظها على الفور عندما شعرت ببرودة . شعرت آن بالارتياح عندما رأت أن ويليام قد استعاد كامل عافيته . فدقت الجرس لتطلب الإفطار فى السرير لكى تتناوله مع ابنها ؛ كان هذا هو أحد أنواع الرفاهية المفرطة التى لم يكن يسمح بها والده أبدا .



سمعا طرقا على الباب ؛ ودخل رجل يرتدى زياً ذهبياً به بعض الأحمر حاملا صينية الإفطار الفضية . كان يحمل البيض واللحم المدخن والطماطم والخبز المحمص والمربى وكأنه عيد حقيقى . نظر ويليام إلى الطعام فى شره ؛ لم يكن يذكر آخر مرة تناول فيها مثل هذا الطعام الشهى . ألقت آن نظرة سريعة على الصحيفة اليومية . كان ريتشارد يحرص دائما على قراءة التايمز وهو فى لندن ؛ مما دفع إدارة الفندق إلى إرسال الصحيفة كالعادة .

قال ويليام وهو يحدق فى الصورة داخل الصحيفة : " آه ؛ انظرى إنها صورة السفينة التى أبحر عليها أبى . ما معنى كارثة يا أمى ؟ " .

كانت هناك صورة للسفينة تيتانيك بعرض الصفحة .

تخلت آن عن كل تقاليد عائلتى كابوت وكين ؛ وانفجرت فى بكاء حار وتعلقت بابنها . بقيا جالسين على الفراش على مدى عدة دقائق ممسكين ببعضهما البعض . لم يكن ويليام يدرك السبب . أدركت آن أنهما قد فقدا هما الاثنان الشخص الأحب إليهما فى هذا العالم .

وصل السير " بيرس كامبل " - والد ستيوارت الصغير - إلى الجناح ١٠٧ فى فندق ريتز . انتظر فى غرفة الاستقبال إلى أن ارتدت الأرملة زيها الأسود الوحيد الذى كانت تملكه . ارتدى ويليام ثيابه وهو مازال غير متأكد من معنى كلمة كارثة . طلبت آن من السيد بيرس أن يشرح لابنها كل ما تعنيه هذه الأنباء بالنسبة له ؛ فما كان من ويليام إلا أن رد قائلا : " أردت أن أركب السفينة معه ولكنهم لم يسمحوا لى بذلك " . لم يبك لأنه لم يكن يريد أن يصدق أن هناك مكروها قد وقع بالفعل لأبيه . فقد كان متأكداً من أن أباه سوف يكون من بين الناجين .

على مدى عمر السير بيرس السياسى والدبلوماسى ومنصبه الحالى فى ذلك الوقت كرئيس لبنك كابوت وكين فى لندن ؛ لم يكن قد صادف رباطة جأش فى صبى فى عمر ويليام . إن الحضور لا يُمنح إلا لقلة ؛ هكذا سمع بعد مرور بضع سنوات . لقد كان ريتشارد كان يملك هذا الحضور الذى أورثه لابنه الوحيد . فى يوم الخميس من نفس الأسبوع ؛ أتم ويليام السادسة من عمره ولكنه لم يفتح أى هدية من هداياه .

كانت قوائم الناجين التى تصل بشكل دورى من أمريكا تفحص بمنتهى الدقة ويعاد فحصها من قبل آن . كانت كل القوائم تؤكد أن ريتشارد لويل مازال مفقودا فى البحر أى أنه من المفترض أنه قد لقى حتفه غرقا . وبعد مرور أسبوع آخر حتى ويليام نفسه كان قد فقد أمله فى أن يكون والده قد بقى على قيد الحياة .

خافت آن من ركوب السفينة " أكيتانيا " ، ولكن ويليام كان يشعر بحماس مستغرب لأن يركب البحر ثانية . بقى جالسا ـ ساعة بعد ساعة ـ على سطح المراقبة مثبتا عينيه على صفحة الماء . .

أخذ يعد أمه مرارا وتكرار : " غدا سوف أعثر عليه " ، فى البداية كانت نبرة صوته واثقة ثم توارت هذه الثقة مع مرور الأيام وكأنها تفضح خيبة أمله ويأسه من العثور على أبيه .

" ويليام ؛ لا يمكن أن يبقى أى شخص على قيد الحياة على مدى ثلاثة أسابيع فى المحيط الأطلنطى " .

" ولا حتى والدى ؟ " .

" ولا حتى والدك . "

عندما وصلت آن إلى بوسطن ؛ كانت الجدتان فى انتظارها فى البيت الأحمر ؛ وقد كانا يشعران بوطأة المسؤلية التى ألقيت على عاتقهما . لقد عادت المسئولية إليهما ثانية . وقد قبلت آن فى



استسلام دور الوصاية الذى فرضاه عليها . لم يعد قد بقى لها أمل فى الحياة سوى ويليام ؛ والذى كان مصيره يبدو وكأنه تحت السيطرة التامة . كان ويليام مهذبا ولكنه لم يكن متعاونا . على مدار اليوم كان يجلس فى صمت لتلقى دروسه مع السيد مونرو وفى المساء كان يبكى فى حجر أمه .

أعلنت الجدتان فى ثقة : " إن ما يحتاجه ويليام هو صحبة غيره من الأطفال " . لذا قررا إقالة السيد مونرو والمربية وإرسال ويليام إلى أكاديمية " ساير " أملا فى أن يدفعه الاحتكاك بالعالم الحقيقى والصحبة الدائمة لغيره من الأطفال إلى الرجوع إلى سابق عهده .

كان ريتشارد قد ترك النصيب الأكبر من ثروته لويليام على أن تبقى الثروة تحت وصاية العائلة إلى أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره . كما هناك ملحق بالوصية . كان ريتشارد يريد لابنه أن يصبح رئيساً ومديراً لبنك " كابوت " و " كين " عن جدارة . كان هذا هو الجزء الوحيد الذى يثير حماس ويليام فى وصية أبيه لأن باقى الوصية كان حقاً اكتسبه بالولادة ليس إلا . حصلت آن على مال يقدر بـ ٥٠٠ ألف دولار ودخل على مدى الحياة يقدر بمائة ألف دولار سنويا بعد خصم الضرائب شريطة ألا تتزوج ثانية . كما أنها حصلت على منزل " بيكون هيل " والبيت الصيفى فى " نورث شور " وبيت " مين " وجزيرة صغيرة فى " كاب كود " والذى كان جميعه سوف يؤول إلى ويليام بوفاة والدته . تلقت كل من الجدتين مبلغ ٢٥٠ ألف دولار وخطابات أكدت لهما حجم المسئولية التى يجب أن يتحملا عبئها إن توفى ريتشارد قبلهما . كان البنك هو الذى سيتولى إدارة رأس المال بينما جدتا ويليام سوف يتوليان دور

الوصى المساعد . أما العائد من رأس المال فكان يعاد استثماره سنويا فى بعض الشركات ذات الثقل .

بقيت الجدتان فى حالة حداد على مدى عام كامل وبالرغم من أن آن كانت مازالت فى الثامنة والعشرين من عمرها ، فقد بدت للمرة الأولى فى حياتها فى سنها الحقيقى .

كانت الجدتان - بخلاف آن - يخفيان حزنهما عن ريتشارد إلى أن عاتبهما ريتشارد فى النهاية قائلا .

" ألا تفتقدان أبى ؟ " مثبتا عينيه الزرقاوين على وجه جدته كين مما أعاد إليها ذكرى ابنها .

" أجل يا بنى ، ولكنه لم يكن ليتمنى أبدا أن نستسلم للجلوس والرثاء لحالنا . "

قال ويليام فى صوت متهدج : " ولكننى أريد أن نتذكره جميعا دائما " .

ويليام ، سوف أتحدث إليك للمرة الأولى وكأنك شخص ناضج . سوف نحتفظ دائما بذكرى أبيك ، سوف تظل دائما تحيط بنا ، وسوف تقوم أنت بالدور الذى يجب أن تقوم به وهو أن تظل دائما عند مستوى توقعات أبيك . أنت عميد ورأس العائلة الآن ووريث ثروة طائلة . يجب لذلك أن تعد نفسك من خلال العمل الجاد لكى تكون جديرا بهذه الثروة الهائلة وأن تتحلى بنفس الروح التى تحلى بها أبوك وعمل من خلالها على تنمية ثروته من أجلك " .

لم يجب ويليام . لقد حصل على دافعه فى الحياة الذى كان يفتقده من قبل وقد عمل على تنفيذ وصية جدته . حيث تعلم كيف يتعايش مع الحزن بدون شكوى ومنذ هذه اللحظة ؛ أغرق ويليام نفسه فى الاستذكار والتهام دروسه فى المدرسة ولم يكن يشعر بالرضا



إلا عندما يشعر برضا جدته كين عنه . كان متفوقا فى كل المواد أما فى مادة الرياضيات على وجه الخصوص فقد كان دائم التفوق فيها بل وكان سابقا لعمره بسنوات . كان مصرا على إنجاز كل ما كان ينجزه والده بل ويتفوق عليه . كبر ويليام وهو شديد الالتصاق بأمه والتشكك فى كل شخص لا ينتمى إلى العائلة ؛ لذا كان كثيرا ما ينظر إليه على أنه يؤثر العزلة والوحدة وكثيرا ما كانت تفسر هذه النزعة - خطأ - على أنها تعال .

وقد قررت الجدتان عندما أتم ويليام السابعة من عمره أن الوقت قد حان لتعليمه قيمة المال . لذا قررا منحه مصروفا يقدر بدولار واحد أسبوعيا ولكنهما أصرا على أن يحتفظ بكشف حساب لكل سنت يقوم بإنفاقه على مدى الأسبوع . بعد أن اتخذا القرار ، قدما له دفتر أخضر اللون لتدوين المصروفات والذى بلغ ثمنه ٩٥ سنتا خصماها من أول مصروف أسبوعى له . ومنذ الأسبوع الثانى كانت الجدتان تقسمان الدولار فى صباح كل سبت . كان ويليام يستثمر ٥٠ سنتا وينفق ٢٠ سنتا ويمنح ١٠ سنتات للجمعيات الخيرية التى يقع اختياره عليها ويحتفظ بـ ٢٠ سنتا كمدخرات . ومع نهاية كل أسبوع كانت الجدتان تتفقدان دفتر ويليام وتراجعان تقريره المكتوب عن التعاملات المالية . عندما مرت الشهور الثلاثة الأولى ؛ كان ويليام قد أثبت جدارته فى تحمل مسئولية نفسه . كان قد منح دولاراً و ٣٠ سنتا لمؤسسة الكشافة التى كانت قد أسست حديثا فى أمريكا . واستثمر ٥ دولارات و ٥٥ سنتا كان قد طلب من جدته كين أن تحتفظ له بها فى مدخراته فى بنك أبيه الروحى الراحل السيد جى بى مورجان . وقد أنفق دولارين و ٦٠ سنتا ؛ واحتفظ

بدولارين و ٦٠ سنتا كمدخرات . وقد حاز دفتره على رضا وقبول الجدتين ، لقد كان ويليام ـ بلا شك ـ هو ابن رينتشارد كين .

اقتصر أصدقاء ويليام في المدرسة على عدد قليل من الزملاء ، ربما لأنه يرجع ذلك فى جزء منه إلى خجله الذى يحول دون اختلاطه بأشخاص خارج نطاق عائلة " كابوت " و " كين " أو الأطفال الذين ينتمون إلى عائلات أكثر ثراء من عائلته . وقد عمل هذا على الحد من اختياراته بدرجة كبيرة ؛ فتحول إلى حد ما إلى طفل يميل إلى العزلة والتأمل مما أثار قلق والدته التى كانت تريد له أن يحيا حياة طبيعية والتى لم تكن فى صميم قلبها توافق على دفتر الحساب الذى مُنح إياه وبرنامج الاستثمار . كانت آن تفضل لو أن ابنها قد حظى بعدد كبير من الأصدقاء بدلا من المستشارين كبيرى السن ؛ كانت تفضل لو أنه أخذ يلهو إلى أن يصيب نفسه بالوسخ والجروح بدلا من أن يبقى دون أن يمس ؛ كانت تفضل لو أنه سار ليجمع الضفادع من الطين ويطارد السلاحف بدلا من أن يجمع الأموال وتقارير الشركة ؛ باختصار كانت تفضل أن يكون طفلاً مثل باقى الأطفال . ولكنها لم تملك يوما الشجاعة الكافية لكى تفصح عن رغباتها للجدتين ؛ لقد كان شغلهم الشاغل على أية حال هو ذلك الفتى الصغير .

وفى عيد ميلاد ويليام التاسع ، قدم دفتر الحساب لجدتيه للفحص السنوى الثانى . وقد كشف الدفتر عن قيمة مدخرات ويليام على مدى عامين والتى كانت قد وصلت إلى خمسين دولارا . وقد شعر ويليام بمنتهى الفخر وهو يشير لجدتيه إلى أحد أبواب الدفتر الذى أطلق عليها اسم " ب ٦ " والذى يثبت أنه قد سحب أمواله التى كان قد أودعها فى بنك جى بى مورجان فور سماعه نبأ وفاة الرجل لأنه كان قد لاحظ أن قيمة الأسهم فى بنك أبيه كانت قد



انخفضت فور إعلان نبأ وفاته . كان ويليام قد أعاد استثمار نفس قيمة المبلغ بعد ثلاثة أشهر لاحقة قبل أن يدرك العامة أن المنشأة كانت أكبر حجما من أى شخص .

وقد ترك ذلك انطباعا رائعا لدى الجدتين فسمحا لويليام باستبدال دراجته القديمة بدراجة جديدة ؛ وقد بقى معه بعد هذه الصفقة ١٠٠ دولار استثمرتها له جدته كين فى شركة " ستاندرد " للبترول فى نيوجيرسى . قال ويليام فى وعى عن البترول ؛ إن ثمنه سوف يزداد ارتفاعاً . كان ويليام يحرص بمنتهى الدقة على تحديث بيانات دفتر الحساب الخاص به حتى عيد ميلاده الحادى والعشرين . ولو أن جدتيه كانتا قد بقيتا على قيد الحياة حتى ذلك الحين لشعرتا بالفخر لرؤية الباب الجديد الذى أطلق عليه اسم " أصول " .

# الفصل السابع

وودك كان الشخص الوحيد الذى يعرف القبو جيداً من بين كل هؤلاء الذين بقوا على قيد الحياة . فقد كان ـ أيام لعبة الاختباء مع ليون ـ يقضى ساعات طويلة فى حرية وسط غرف القبو الصغيرة ؛ كان يشعر بالارتياح وقتها لأنه كان يدرك أن بإمكانه العَودة إلى القصر وقتما شاء .

كان هناك أربعة زنزانات فى القبو ؛ مقسمة على طابقين . كانت هناك غرفتان ؛ غرفة صغيرة وأخرى كبيرة فى الطابق الأول . كانت الغرفة الصغيرة متاخمة لجدران القصر مما كان يسمح بمرور خيط رفيع من الضوء عبر نافذة مزودة بقضبان مثبتة فى مكان مرتفع بين الأحجار . أما الطابق السفلى ؛ بعد نزول خمس درجات من الدرج ، فقد كان هناك غرفتان أخريان من الحجر غارقتان فى ظلام دامس وبهما القليل من الهواء . قاد وودك البارون إلى الزنزانة العلوية حيث بقى جالسا بدون حراك فى صمت محدقا إلى الفضاء ؛ ثم عين بعد ذلك فلورنتينا خادما شخصيا له .





بما أن وودك هو الشخص الوحيد الذى كان يجرؤ على البقاء فى زنزانة البارون ؛ فإن الخدم لم يستطيعوا يوما مساءلته . وهكذا أصبح وودك وهو فى التاسعة من عمره مسئولا عن السجناء . لم يجد سكان القبو ـ بعد أن تحول سكونهم إلى ذهول بائس إثر الاعتقال ـ أية غرابة فى أن يتولى طفل فى التاسعة إدارة شئون حياتهم . وبذلك أصبح وودك القائد المسئول . قسم من تبقى من الخدم والذين وصل عددهم إلى أربعة وعشرين شخصا إلى ثلاثة مجموعات ؛ كل مجموعة مؤلفة من ثمانية أشخاص مع حرصه على إبقاء الأسر مع بعضها البعض . كان ينقلهم بشكل منتظم بناء على نظام للورديات ؛ بحيث يبقون على مدى الساعات الثمانى الأولى فى الزنزانة العلوية حيث الضوء والهواء والطعام وممارسة الرياضة ثم الوردية الثانية والأكثر شعبية المؤلفة من ثمانى ساعات للعمل فى القصر المستعمر والثمانى ساعات الأخيرة فى النوم فى الزنزانة السفلية من القبو . لم يكن أحد يعرف على وجه التحديد ـ باستثناء البارون وفلورنتينا ـ متى كان ينام وودك ؛ فقد كان متواجدا بشكل دائم مع نهاية كل دورية للإشراف على الخدم أثناء انتقالهم من وردية إلى أخرى . وكان الطعام يقسم كل اثنتى عشرة ساعة . كان الحرس يعطونه لبن الماعز والخبز الأسمر والدخن والقليل من المكسرات من آن إلى آخر وكان وودك يتولى مهمة تقسيم الطعام على ثمانى وعشرين حصة ؛ وكان يحرص دائما على منح البارون حصتين من الطعام ولكن بدون أن يخبره .

وبمجرد أن يفرغ وودك من تنظيم كل دورية كان يعود ثانية إلى البارون فى زنزانته الصغيرة . كان فى البداية ينتظر الحصول على بعض الإرشاد من قبله ولكن نظرته المثبتة كانت تنم عن حقد وقهر يكاد لا يختلف كثيرا عن تلك النظرة التى كان يراها فى عيون

الحراس الألمان المتوافدين للإشراف على الزنزانة . لم يكن البارون قد نطق بكلمة واحدة منذ اللحظة التى وقع فيها القصر تحت قبضة الأسر والاحتلال . نما شعر ذقنه إلى أن صار طويلا ووصل إلى صدره وبدأت بنيته القوية المستقيمة تتهاوى مع الوقت . وحلت نظرة استياء محل النظرة الشامخة الفخورة التى كانت تميزه . أصبح وودك نادرا ما يسترجع ذلك الصوت المحبب العميق لسيده بل وهيأ نفسه لعدم سماعه ثانية . وبعد فترة ؛ انصاع وودك لصمت البارون وبقى صامتا فى حضرته .

عندما كان وودك يحيا فى أمان القصر لم يكن يشغل باله كثيرا بما حدث فى اليوم السابق لكثرة الأمور التى كان يعج بها يومه من ساعة إلى ساعة . ولكنه أصبح الآن عاجزا عن تذكر حتى الساعة السابقة لأن شيئا لم يكن يتغير . تحولت الدقائق البائسة إلى ساعات والساعات إلى أيام والأيام إلى شهور إلى أن فقد وودك قدرته على إحصائها . كان وصول الطعام أو حلول الظلام أو بزوغ النهار هى الإشارات الوحيدة لمرور اثنتى عشرة ساعة أخرى ؛ بينما كانت حدة الضوء وخفوته وهبوب العواصف وتساقط الثلوج وتكتلها على جدران الزنزانة وذوبانها عند بزوغ الشمس ثانية علامات تميز كل فصل على نحو لم يكن وودك ليتعلمه بمثل هذه الدقة إلا من خلال حصص الطبيعة . أثناء الليالى الطويلة ؛ أصبح وودك أكثر إدراكا لرائحة الموت التى تخللت كل شىء حتى أكثر الأركان بعدا فى الزنزانات الأربع ؛ تلك الرائحة التى كان لا يخفف من وطأتها إلا أشعة الشمس التى كانت تتخلل المكان من آن إلى آخر أو تلك النسمة الرقيقة أو الوسيلة الأفضل على الإطلاق وهى هطول الأمطار .

وفى نهاية أحد الأيام العاصفة ؛ استغل وودك وفلورنتينا هطول المطر واغتسلا فى إحدى البرك المائية الصغيرة التى تشكلت فوق



الأرضية الحجرية للزنزانة العلوية . لم يلحظ أى منهما أن عينى البارون قد ازدادا اتساعا عندما خلع وودك سترته وأخذ يتدحرج فى الماء الذى كان نظيفا نسبيا حيث واصل حك نفسه إلى أن ظهرت علامات بيضاء على جسده . وفجأة نطق البارون :

" وودك ـ كانت الكلمة مسموعة بالكاد ـ إننى لا أراك جيداً " ثم أضاف الرجل ؛ فى صوت متهدج : " اقترب هنا " .

ذهل وودك عند سماع صوت سيده بعد طول صمت حتى أنه لم ينظر إليه . لقد كان شبه واثق من أنه قد سقط فريسة الجنون الذى أصاب بالفعل اثنين من الخدم .

" تعال هنا يا بنى "

أطاع وودك أمر سيده فى خوف ووقف أمامه ؛ قلص الرجل عينيه فى حركة تنم عن التركيز الشديد وهو يتقدم متعثرا صوب الصبى . تحسس صدر وودك وأخذ يتأمله فى ارتياب .

" وودك هل يمكنك أن تشرح لى سر هذا التشوه البسيط ؟ "

قال وودك وهو يشعر بالحرج : " كلا يا سيدى ؛ لقد ولدت بهذا العيب . وقد دأبت أمى بالتبنى على تفسيره بأنه علامة إلهية اختصنى بها الله "

قال البارون فى رقة : " امرأة غبية . إنها علامة أبيك " ثم سقط فى صمته لبضع دقائق . بقى وودك واقفا أمامه بدون أن يحرك ساكنا . ثم تحدث البارون أخيرا ثانية ؛ وجاء صوته هذه المرة متحمسا .

" اجلس يا بنى "

أطاع وودك الأمر فى الحال . وبينما جلس ؛ لاحظ وودك ثانية الأسورة الفضية الثقيلة التى كانت فى ذلك الوقت تتدلى حول معصم البارون . ثم سقط وميض من الضوء نفذ عبر أحد شقوق الجدار على

الحروف المحفورة فى الأسورة الفضية مما أضفى ضياء على ظلام الزنزانة .

" إننى لا أعرف إلى متى سوف يبقينا الألمان سجناء هنا . لقد ظننت فى البداية أن هذه الحرب سوف تنتهى فى غضون أسابيع . ولكننى كنت مخطئا ، ويجب أن نفكر الآن فى أننا يمكن أن نبقى هنا لفترة طويلة من الوقت . ولهذا فإننا يجب أن نشغل أوقاتنا بشىء بناء لأننى أدرك الآن أن حياتى قد أوشكت على النهاية " .

أجاب وودك متذمراً : " كلا ، كلا " ولكن البارون واصل حديثه وكأنه لم يسمع شيئا :

" ولكن حياتك أنت يا بنى سوف تبدأ ولذلك فإننى سأواصل مهمة تعليمك بنفسى " .

لم يتحدث البارون ثانية فى هذا اليوم .بدا وكأنه يفكر فى معنى كل حرف يتفوه به . وهكذا اكتسب وودك معلما جديدا ولكن لم يكن لديهما أية كتب أو أوراق للكتابة ، لذا حرص وودك على تكرار كل ما يقوله البارون . حفظ وودك مقطوعات شعرية طويلة عظيمة لآدم ميكيفيتش وجان كوتشانوفيسكى . وفى هذا المكان الكئيب القاسى تعلم وودك الجغرافيا والرياضيات وأجاد أربع لغات وهى الروسية والألمانية والفرنسية والإنجليزية . ولكن أسعد لحظاته كانت ـ كما كان دأبه دائما ـ عند تعلم التاريخ ، تاريخ وطنه على مدى مائة عام من التقسيم والاحتلال ، الأمال المحبطة المتوالية لتوحيد بولندا ، الحزن العميق الذى سيطر على كل البولنديين عندما منى نابليون بهزيمة منكرة على يد الروس فى عام ١٨١٢ . عرف وودك قصص البطولة فى العهد السابق الأكثر سعادة ، عندما استطاع الملك جان كزيمير تحرير بولندا بعدما دحض الجيش السويدى فى معركة " زستوشووا " ، وكيف أن الأمير العظيم



" رادزيويل " ، أحد كبار ملاك الأرضى ومحب الصيد شكل محكمته فى القصر العظيم بالقرب من وارسو لمحاكمة الخونة . كانت الحصة الأخيرة التى يتلقاها وودك فى نهاية يومه عن تاريخ عائلة روزونوفسكى . لم يكن البارون يكف عن رواية قصة جده الأكبر الذى خدم تحت قيادة الجنرال دبروسكى عام ١٧٩٤ ثم تحت قيادة نابليون شخصيا عام ١٨٠٩ وكيف أنه حصل فى المقابل على أرضه ولقب البارونية كمكافأة من الإمبراطور العظيم تقديرا لجهوده . وقد تعلم وودك أيضاً أن جد البارون كان من بين أعضاء مجلس وارسو وأن والده قد لعب هو الآخر دوراً مهماً فى بناء بولندا الجديدة . كان وودك يشعر بسعادة غامرة عندما يحيل البارون زنزانته الصغيرة إلى فصل تعليمى .

كان الحراس المشرفون على القبو يستبدلون كل أربع ساعات وكانت الحوارات المتبادلة بينهم وبين السجناء مقتضبة . ولكن وودك من خلال بعض الكلمات والعبارات استطاع أن يعرف تطور مجريات الحرب وأفعال كل من " هيدينبرج " و " لودندورف" وقيام الثورة فى روسيا وانسحابها من الحرب بموجب اتفاقية " برستليتوف " .

بدأ وودك يؤمن بأن مهرب المساكين الوحيد من الزنزانة هو الموت . كانت أبواب فتحة الجحيم النتنة قد فتحت تسع مرات على مدى العامين التاليين حتى بدأ وودك يتساءل بما يمكن أن تعود به عليه كل هذه المعرفة التى سلح نفسه بها إن لم يخرج من غياهب هذا السجن .

واصل البارون تعليم وودك بالرغم من التدهور التدريجى الذى أخذ يصيب سمعه وبصره مما فرض على وودك بمرور الوقت أن يزداد فى مجلسه اقترابا أكثر فأكثر من البارون .

أما فلورنتينا ـ أخته وأمه وصديقته المقربة ـ فقد انخرطت فى صراع أكثر مادية لإزالة النتن الذى كان يملأ المكان . كان الحراس يمدونها من وقت إلى آخر بدلو من الرمل النقى أو القش لتغطية الأرض السبخة لتصبح الزنزانة أقل قبحا على مدى الأيام التالية لذلك . كانت الهوام تحوم فى الظلمة بحثا عن بقايا خبز أو بطاطس وتنقل معها الأوبئة والمزيد من القذارة . كانت الرائحة النتنة الكريهة المنبعثة من الجثث المتحللة وبول وبراز الحيوانات ينفذ عبر الأنوف ويصيب وودك دائما بحالة من الغثيان والدوار . لقد كان أكثر ما يتطلع إليه قبل كل شىء هو أن يستعيد نظافته لذا كان يقضى الساعات جالسا متأملا سقف الزنزانة متذكرا مشهد البخار المنبعث من المواسير والماء الساخن والصابون ذا الرغوة الغزيرة فى دورة المياة القريبة منه مكانيا ولكن البعيدة عنه زمانيا والتى كان يغتسل بها بعد يوم زاخر بالمرح واللهو مع ليون وبعد أن يكون الطين قد غطى ركبتيه وأصاب الوسخ أصابعه .

ومع حلول ربيع عام ١٩١٨ ؛ لم يكن قد بقى مع وودك على قيد الحياة سوى خمسة عشر سجينا من الستة والعشرين سجينا الذين كانوا قد سجنوا معه . كان البارون يعامل من قبل الجميع على أنه السيد بينما أصبح وودك راعيه الرسمى المعتد به . شعر وودك بمزيد من الحزن حيال عزيزته فلورنتينا التى كانت فى ذلك الوقت قد بلغت العشرين من عمرها . كانت قد يئست من الحياة منذ فترة طويلة وكانت قد أقنعت نفسها بأنها سوف تبقى ما بقى لها من عمر فى الزنزانة . أما وودك فإنه لم يستسلم يوما لليأس وكان يحدوه دائما الأمل ولكن بالرغم من أنه كان مازال فى الثانية عشرة من عمره ؛ فقد بدأ يسأل نفسه ما إن كان مازال يملك الجرأة على التطلع إلى المستقبل .



وفى مساء أحد الأيام ؛ فى وقت مبكر من الشتاء ؛ اقتربت فلورنتينا من وودك فى الزنزانة العلوية الكبيرة :

" البارون يستدعيك لرؤيته " .

نهض وودك سريعا وترك مهمة تقسيم الطعام لأحد كبار الخدم وذهب إلى الرجل العجوز . كان البارون يعانى آلاما مبرحة وقد رأى وودك بوضوح ـ كما لو كان ذلك للمرة الأولى ـ كيف أن المرض قد التهم كل بشرة البارون ولم يخلف وراءه سوى قشرة خضراء نحيلة تغطى عظام وجهه . طلب البارون بعض الماء ؛ فجاءت له فلورنتينا ببعض الماء فى الجرة نصف المثلثة التى كانت تتدلى خارج الأسوار الحجرية . عندما فرغ العجوز من الشرب ؛ تحدث ببطء وبصعوبة بالغة :

" لقد شهدت الكثير من الوفيات يا وودك ؛ أى أن هذه الوفاة لن تمثل فارقا بالنسبة لك . أعترف بأننى لم أعد خائفا من الهروب من هذا العالم " .

بكى وودك ؛ وهو يتعلق بالرجل لأول مرة فى حياته : " كلا ؛ كلا ؛ لا تقل هذا ! نحن على وشك الانتصار عليهم ؛ لا تستسلم يا سيدى البارون . لقد أكد لى الحراس أن الحرب على وشك الانتهاء وأنه سوف يطلق سراحنا قريبا " .

" لقد وعدونا بهذا منذ شهور ؛ يا وودك . لم يعد بوسعنا أن نثق بهم ؛ وعلى أية حال فإنه لم يعد بى رغبة لمواصلة العيش فى ظل هذا العالم الجديد الذى خلقوه لنا " . توقف وهو ينصت إلى بكاء الصبى . تركز فكر البارون وقتها على أنه يمكن جمع الدموع لكى تكون مياه شرب ثم تذكر أن الدموع ملحية ثم ضحك فى نفسه !

" استدعى الساقى وكبير الخدم يا وودك " .

أطاع وودك الأمر فى الحال وهو لا يدرى سبب الاستدعاء .

أيقظ وودك الخادمين اللذين كانا يغطان فى سبات عميق فهرعا وجاءا ليمثلا أمام البارون . بعد ثلاث سنوات فى السجن كان النوم هو أسهل امتياز يمكن الحصول عليه . كان كل منهما مازال يرتدى زيه الرسمى للخدمة ولكن بعد أن خبا اللونان الأخضر والذهبى المميز للزى والذى كان فى أحد الأيام فخر عائلة روزنوفسكى . وقف كلاهما فى صمت أمام سيدهما فى انتظار ما سوف يقول .

سأل البارون : " هل وصلا يا وودك ؟ "

" أجل يا سيدى ، ألا تراهما ؟ " ، أدرك وودك لأول مرة فى حياته أن البارون قد فقد بصره تماما .

" اطلب منهما أن يقتربا منى حتى أستطيع أن ألمسهما " .

أحضر وودك الخادمين بالقرب من البارون لكى يتحسس وجهيهما .

قال البارون آمرا : " اجلسا . هل تسمعانى جيدا يا لودويك وألفونس ؟ "

" أجل ، يا سيدى " .

" إن اسمى هو البارون روزنوفسكى " .

أجاب الساقى فى براءة : " نعلم يا سيدى " .

قال البارون : " لا تقاطعنى أنا على وشك الوفاة " .

كان الموت قد أصبح بالنسبة لهم من الأشياء المألوفة لذا لم يبد أى منهم اعتراضه على ما يقول البارون .

" ليس بوسعى أن أعد وصية جديدة لأننى لا أملك ورقا أو ريشة ومحبرة . ولذلك فإننى سوف أترك لكم وصيتى شفهيا وسوف تكونان شهودا عليها طبقاً للقانون البولندى القديم . هل تفهمان ما أقول ؟ " .



أجاب الاثنان فى صوت واحد : " أجل يا سيدى " .

" ابنى الأول ليون ، قد توفى " ثم سكت البارون ثم قال : " ولذلك فسوف أترك ممتلكاتى كاملة ومزرعتى لهذا الفتى الذى يدعى وودك كوسكيفيتش " .

وهنا أدرك وودك أنه لم يكن قد سمع اسم عائلته منذ عدة سنوات حتى أنه لم يستوعب فى الحال ما كان يقصده البارون بكلماته .

واصل البارون حديثه : " ودليل قرارى هذا هو أننى سوف أمنح أسورة العائلة لوودك " .

رفع العجوز ذراعه اليمنى ببطء ونزع الأسورة الفضية من معصمه وأمسك بها ومنحها لـ " وودك " بدون أن ينطق بكلمة . ثم عانق وودك بقوة ومرر أصابعه لكى يتحسس صدره ويتأكد من أنه الشخص المقصود . قال البارون وهو يضع الأسورة الفضية حول معصمه : " يا بنى " .

اجهش وودك بالبكاء وارتمى فى أحضان البارون طوال الليل إلى أن توقفت دقات قلب العجوز وشعر بأصابعه وقد تراخت حوله .

وفى الصباح نقل جثمان البارون بواسطة الحرس وسمح للوودك أن يدفنه بجانب ابنه ليون فى حديقة القصر التابعة للعائلة أمام القصر . وبينما كان الجسد ينكس فى القبر غير العميق الذى حفره وودك بيده ، انفتحت سترة البارون . وأخذ وودك يحدق إلى صدر الرجل الميت .

لم تكن لديه سوى حلمة واحدة .

وهكذا ورث وودك كوسكيفيتش ثروة تقدر بـ ٦٠ ألف فدان من الأراضى وقصر ومنزلين واثنين وسبعين كوخا ومجموعة قيمة من اللوحات والأثاث والمجوهرات بينما كان يعيش فى غرفة حجرية

مظلمة صغيرة تحت الأرض . منذ ذلك اليوم ، اعتبره باقى المسجونين سيدهم عن جدارة ؛ وكانت كل مملكته مؤلفة من أربع زنزانات وكانت حاشيته مؤلفة من ثلاثة عشر خادما فى حالة يرثى لها فضلا عن حبه الوحيد فلورنتينا .

عاود وودك نظامه اليومى المعهود حتى قرب نهاية شتاء عام ١٩١٨ . وفى أحد الأيام الجافة قليلة البرودة ، سمع السجناء وابلا من الطلقات النارية وصوت معركة قصيرة . كان وودك واثقا من أن الجيش البولندى قد جاء لينقذه وأنه سوف يكون قادرا الآن على المطالبة بميراثه الشرعى . عندما ترك الحراس الألمان باب السجن الحديدى ؛ بقى السجناء فى حالة من الصمت مذعورين فى الدور السفلى من القبو بينما وقف وودك وحيدا عند المدخل يعبث بأسورته الفضية فى معصم يده وهو يشعر بالانتصار فى انتظار محرريه . وأخيرا وصل الجنود الذين هزموا الألمان وتحدثوا باللغة السلافية التى كان وودك يعرفها جيدا من أيام المدرسة كما أنه تعلم كراهية الناطقين بها أكثر من كرهه للألمان . اقتيد وودك فى وحشية هو وباقى السجناء فى الممر . انتظر السجناء ، ثم تم تفحصهم بمنتهى الدقة وزج بهم ثانية داخل الزنزانة . لم يكن الغزاة الجدد يدركون أن هذا الصبى ذا الاثنى عشر عاما كان وريث كل تلك الممتلكات التى تحيط بهم . لم يكن أى منهم يتحدث لغته . كانت الأوامر الصادرة إليهم واضحة وضوح الشمس وهى قتل العدو إن أبدى أية مقاومة لاتفاقية بريست ليتوفسك والتى أحالت هذا الجزء من بولندا إلى مستعمرة تابعة لهم ؛ وإرسال كل من لا يبدى مقاومة إلى المعسكر ٢٠١ لباقى حياته . غادر الألمان المكان بعد مقاومة لا تذكر لكى يتراجعوا خلف حدودهم الجديدة بينما بقى وودك



وزملاؤه متطلعين إلى حياة جديدة ؛ غير مدركين لما سوف يؤول إليه مصيرهم المشئوم .

بعد قضاء ليلتين آخريين فى الزنزانة ، بدأ وودك يوطن نفسه على أنهم بصدد فترة اعتقال أخرى طويلة ملعونة . لم يكن أى من الحرس الجديد يتحدث إليهم ؛ وكان هذا يذكره بما كان يحدث على مدى السنوات الثلاث السابقة ، بدأ وودك يشعر أن جحيم الألمان كان جنة بالنسبة لما يجرى .

وفى صباح اليوم الثالث ، ولدهشة وودك ؛ اقتيد كل من فى القبو إلى الحديقة الخارجية أمام القصر ؛ كانوا خمسة عشر جسدا نحيلا قذرا . انهار اثنان من الخدم تحت وطأة أشعة الشمس غير المألوفة بالنسبة لهم . حتى وودك نفسه شعر بوطأة هذا الضوء المكثف لأشعة الشمس ودأب على تغطية عينيه . وقف السجناء فى صمت فوق العشب فى انتظار أوامر الجنود . طلب منهم الحراس أن يقفوا جميعا فى صف واحد ويسيروا باتجاه النهر ليغتسلوا هناك . فوضع وودك الأسورة الفضية بين طيات ملابسه ، ثم قفز فى الماء محاولا أن يضبط أنفاسه مع برودة الماء بالرغم من أن تأثير الماء كان رائعا على بشرته . أما باقى السجنا فقد انضموا إليه وحاولوا بلا جدوى إزالة وسخ ثلاث سنوات كاملة .

عندما خرج وودك من النهر مجهدا ؛ لاحظ أن الحراس ينظرون إلى فلورنتينا بطريقة غريبة وهى تغتسل فى النهر . كانوا يتضاحكون ويشيرون إليها . أما المرأة الأخرى التى كانت معهم فإنها لم تثر نفس درجة الاهتمام . ثم قبض أحد الجنود وكان رجلا ضخم الجثة قبيح الوجه على ذراعها عندما مرت بجواره فى طريق عودها إلى الضفة بعد الاستحمام وألقى بها على الأرض ؛ لم تكن عيناه قد فارقتها منذ أن وقع نظره عليها . ثم بدأ يخلع ملابسه بسرعة فى

نهم ويطويها بإتقان ويضعها على العشب . أخذ وودك يحدق فى عدم تصديق إلى الرجل الذى بدأ يحاول اغتصاب فلورنتينا ثم انقض عليه ولكمه فى بطنه بكل ما أوتى من قوة . تراجع الرجل إلى الوراء ثم أمسك الآخر بوودك وشل حركته بعد أن عقص يديه بقوة وراء ظهره . أثارت هذه الضجة انتباه باقى الحرس فهرعوا للمشاهدة . كان الرجل الذى قبض على وودك يضحك عندها ضحكة عالية بلا شفقة . ثم توالت التعليقات والكلمات من قبل باقى الجنود والتى لم تزد إلا من شعور وودك بالضيق والحزن .

قال الأول : " أدخل حامى الحمى العظيم " .

قال الثانى : " تعالى لكى تدافع عن شرف الأمة " .

قال الجندى الذى كان يمسك به : " دعونا على الأقل نفسح له مساحة ضيقة للنظر " .

توالت الضحكات بين كل تعليق وآخر وعجز وودك عن فهم بعضها . أخذ يراقب الجندى العارى وهو يتقدم بجسده الضخم الصلب ببطه من فلورنتينا التى شرعت فى الصراخ . وأخذ وودك يناضل لكى يفلت من قبضة الجندى ويحرر نفسه من بين يديه ؛ ولكنه كان عديم الحيلة بين ذراعى الحارس . سقط الرجل العارى بكل ثقله على فلورنتينا وأخذ يقبلها ويصفعها على وجهها كلما حاولت أن تقاوم أو تدير وجهها عنه ؛ وأخيرا اغتصبها . عندها سمع وودك صرخة لم يكن قد سمع مثلها من قبل . واصل الحرس حديثهم وضحكهم الذى اقتصر عليهم حتى بين من لم يكن ينظر إلى المشهد .

قال الجندى الأول وهو ينهض من فوقها : " اللعنة ؛ إنها عذراء . "

ضحك الجميع .



قال الحارس الثانى : " لقد سهلت مهمتى " .

تعالت الضحكات . وعندما نظرت فلورنتينا فى عينى وودك ؛ بدأ يتقيأ . ولكن الجندى الذى كان يقبض عليه لم يكترث ؛ كان كل ما يعنيه هو ألا يسقط أى من التقيؤ على ملابسه العسكرية أو حذائه . أسرع الجندى الأول لكى يغتسل فى النهر . استغرق الحارس الثانى فترة أطول فى اغتصاب فلورنتينا ويبدو أنه كان يجد متعة أكبر وسعادة كبيرة أيضا فى صفعها . وصاحت فلورنتينا ولكن بصوت أقل حدة عن ذى قبل .

" هيا يا فلدى ؛ لقد استكثرت " .

عندها توقف الرجل فجأة وانضم إلى زمرة أصحابه . أجبر وودك نفسه على النظر إلى فلورنتينا . كانت مصابة بجروح وكانت الدماء تنزف بين ساقيها . ثم تحدث الجندى الذى كان يمسك به .

" تعال هنا وأمسك بهذا الملعون يا بوريس ؛ لقد حان دورى "

خرج الجندى الأول من النهر وأمسك بوودك بقوة . وثانية حاول وودك أن يفك نفسه من قبضته مما أثار ضحك الجنود ثانية .

" نحن الآن نعرف مبلغ قوة الجيش البولندى " .

تواصلت الضحكات الصاخبة غير المحتملة بينما كان هناك جندى ثالث يخلع ملابسه لكى يأخذ دوره مع فلورنتينا التى كانت عندها مستلقية فى حالة بلادة فوق العشب . عندما انتهى منها ونزل إلى النهر ؛ صعد الجندى الثانى وبدأ يرتدى ملابسه .

" أعتقد أنها قد بدأت تستمتع " ، قالها وهو يجلس تحت الشمس وهو ينظر إلى زميله . بدأ الجندى الرابع يقترب من فلورنتينا ، حيث بلغ عدد الجنود الذين اغتصبوا أخته ستة عشر جنديا كما أحصاهم وودك . عندما فرغ الجندى الأخير من

مضاجعتها أقسم قائلا : " أعتقد أننى قد عاشرت امرأة ميتة . " وتركها بلامبالاة فوق العشب .

أخذ الجميع يضحكون بصوت أكثر ارتفاعا ؛ بينما كان الجندى الأخير يسير متسخطا صوب النهر . وأخيرا أطلق الجندى سراح وودك . جرى وودك بجوار فلورنتينا بينما كان باقى الجلوس مستلقين على العشب يتناولون الشراب الذى كانوا قد أخذوه من قبو البارون ويأكلون الخبز الذي جاءوا به من المطبخ .

بمساعدة اثنين من الخدم ؛ حمل وودك فلورنتينا على حافة النهر وهناك أخذ يبكى وهو ينظف الدماء والجروح التى لطختها . لم يكن هناك بصيص من الأمل ؛ فقد كانت آثار الكدمات السوداء والحمراء تغطى كل جسدها وكانت عاجزة عن الكلام . بعد أن بذل وودك أقصى جهده ؛ غطى جسدها بسترته وحملها بين ذراعيه . وبقيت مستلقية بين ذراعيه ولكنه كان يعرف أنها لم تكن واعية ، وبينما كانت دموعه تتساقط على جسدها الملىء بآثار الكدمات شعر أنها قد تيبست . أخذ ينتحب بينما كان يحمل جسدها الميت أعلى الضفة . صمت الحرس وهم يراقبونه وهو يحمل جسدها نحو المقابر . وضعها على العشب بجوار قبر البارون وبدأ يحفر بيديه قبرها . عندما عكس ضوء الشمس ظلال القصر الطويل على العشب ؛ كان وودك قد انتهى من الحفر . دفن فلورنتينا بجوار ليون ، ثم انهار وودك فوق الأرض بين فلورنتينا وليون وسقط فى الحال فى سبات عميق غير آبه إن كان سيستيقظ ثانية أم لا .

# الفصل الثامن

عاد وليام إلى أكاديمية ساير فى شهر سبتمبر وهو أكثر استقراراً ورغبة فى الاختلاط . بدأ على الفور يبحث فى المنافسة مع من هم أكبر منه سنا . كان ويليام لا يرضى بأقل من التفوق والامتياز فى كل ما ينجزه من أعمال وقد أثبت بالفعل تفوقه على كل زملائه ممن فى مثل سنه الذين كانوا أقل من مستوى المنافسة بالنسبة له . بدأ ويليام يدرك أن كل هؤلاء الزملاء ممن كانوا ينتمون إلى بيئات لا تقل ثراء ومكانة عن ثرائه ومكانته كانوا يفتقدون عاملا بالغ الأهمية ألا وهو دافع وحافز المنافسة حيث كانت أعتى منافسة صادفها من هؤلاء الزملاء ضعيفة نسبيا بالنسبة له .

وفى عام ١٩١٥ ساد هوس جمع ملصقات علب الثقاب أكاديمية ساير . أخذ ويليام يراقب هذا الهوس المحموم على مدى أسبوع باهتمام بالغ ولكن بدون أية مشاركة من جانبه . وفى غضون أيام قليلة ؛ بدأت حركة استبدال الملصقات وتداولها بين الطلاب حيث

وصل سعر اللصق العادى إلى عشرين سنتا بينما وصل سعر اللصق النادر إلى خمسين سنتا . بدأ ويليام يدرس الوضع جيدا وقرر أن يصبح تاجرا وليس جامعا للطوابع .

وفى السبت التالى ؛ ذهب ويليام إلى ليفيت وبيرس ، أحد أكبر تجار التبغ فى بوسطن وقضى فترة الظهيرة فى تدوين أسماء وعناوين أكبر مصنعى علب أعواد الثقاب فى العالم ؛ مع التركيز بدرجة خاصة على الدول التى لم تكن فى حالة حرب . استثمر ويليام خمس دولارات لشراء أوراق وأظرف وطوابع وراسل مديرى ورؤساء كل الشركاء التى دونها فى قائمته . كان خطابه بسيطا بالرغم من أنه قد سعى لإعادة كتابته وصياغته سبع مرات .

سيدى الرئيس

أنا مولع بجمع ملصقات علب أعواد الثقاب ولكننى لا أملك القدرة المادية على شراء كل الأنواع . يبلغ مصروفى الأسبوعى دولاراً واحداً فقط ولكننى أرفق فى هذا الظرف طابعاً بريدياً يصل ثمنه إلى ثلاثة سنتات لكى أثبت جديتى فى هذا الشان . آسف لإزعاج شخصك ولكن اسمك هو الاسم الوحيد الذى نجحت فى العثور عليه ومراسلته .

صديقك المخلص

ويليام كين ( ٩ سنوات )

ملحوظة : أنت من بين أكثر الشخصيات التى أفضلها .

وفى غضون أسبوعين ؛ حصل ويليام على استجابة وصلت نسبتها إلى ٥٥ بالمائة من الخطابات التى أرسلها مما عاد عليه



بـ ٧٨ ملصقاً مختلفاً . وقد أعادت معظم الشركات التى راسلها الطابع الذى تصل قيمته إلى ثلاثة سنتات إليه ثانية كما توقع .

وعلى مدى الأيام السبعة التالية ؛ أنشأ ويليام سوقا لبيع الملصقات فى المدرسة وكان يحرص دائما على اختبار السوق والملصقات الرائجة قبل أن يقدم على الشراء . وقد لاحظ أن هناك بعض الصبية ممن لا يكترثون بندرة الملصق وإنما يركزن فقط على شكله وقد حرص على مقايضتهم لكى يحصل على الملصقات النادرة لكى يقتنيها لمن هم أكثر حرصا على شراء الطوابع النادرة . بعد مرور أسبوعين آخرين من حركة البيع والشراء ؛ أحس ويليام أن السوق كان قد تشبع وأنه إن لم يحرص ــ مع اقتراب العطلة الدراسية ـ على بيع كل الملصقات ؛ فإن نسبة الربح سوف تتهاوى . ومن خلال حيلة دعائية محكمة ؛ أعد ويليام مطبوعات كلفته نصف سنت فقط للمطبوع الواحد ووضعها على مكتب كل طالب من زملائه . وقد أعلن ويليام أنه سوف يجرى مزادا لبيع الملصقات التى يصل عددها إلى ٢١١ ملصقا . وقد أقيم المزاد فى مرحاض المدرسة أثناء وقت الغداء وفاق عدد الحضور أفضل مباريات الهوكى التى كانت تعقد فى المدرسة .

والنتيجة هى أن إجمالى المبيعات الذى حققه ويليام وصل إلى ٥٧،٣٢ دولار ، وربح صافى بلغ ٥١،٣٢ دولار على استثماره الأصلى . وقد أودع ويليام ٢٥ دولارا فوق رأسماله الذى كان يحتفظ به فى البنك مقابل فائدة تصل إلى اثنين ونصف فى المائة واشترى لنفسه آلة تصوير بمبلغ ١٠ دولارات وتبرع بمبلغ ٥ دولارات لجمعية خيرية والتى كانت قد وسعت نطاق نشاطها لكى تخدم أفواج المهاجرين الجدد واشترى لوالدته باقة من الورود واحتفظ بما تبقى له من دولارات قليلة فى جيبه . وقد انهار سوق علب الثقاب

بالفعل حتى قبل نهاية الفصل الدراسى . كانت هذه هى المرة الأولى من بين مرات كثيرة نجح فيها ويليام فى اعتلاء قمة السوق . شعرت الجدتان بالفخر عندما علما بتفاصيل ما قام به ويليام ؛ وهو ما لم يكن يختلف عما قام به زوجاهما لجمع ثروتهما فى ظل حالة الذعر التى سادت السوق عام ١٨٧٣ .

وعندما جاءت العطلة ؛ لم يقو ويليام على مقاومة فكرة إمكانية الحصول على عائد أفضل لرأس ماله يفوق الاثنين ونصف بالمائة التى كان يحصل عليها على مدخراته . وعلى مدى الثلاثة أشهر التالية أخذ يستثمر ماله ـ من خلال جدته كين ـ فى سوق الأسهم وفق توصيات جريدة الوول ستريت . وعلى مدى الفصل الدراسى الثانى خسر أكثر من نصف ماله الذى كان قد جناه من عمله فى ملصقات علب الثقاب . كانت هذه هى المرة الوحيدة فى حياته التى اعتمد فيها على خبرة جريدة الوول ستريت أو أية معلومة عامة متاحة للجميع .

وقد أثارت هذه الخسارة التى وصلت لأكثر من ٢٠ دولارا.غضب ويليام الذى قرر أن يعوض خسارته أثناء عطلة الربيع . تحايل على الحفلات وكل المناسبات الأخرى التى كانت أمه تريده أن يحضرها ووجد أن كل ما تبقى له هو أربعة عشر يوما فقط وكانت هذه الفترة كافية بالنسبة له لكى ينجز مشروعه . باع ويليام كل أسهمه التى اشتراها بناء على نصائح " وول ستريت " والذى وصل إلى مبلغ صافى قدره ١٢ دولارا فقط . واشترى لنفسه بهذا المبلغ قطعة مسطحة من الخشب ومجموعتين من الأطر ومحاور للأطر وحبالاً بتكلفة ٥ دولارات بعد التفاوض . ثم وضع قبعة بالية فوق رأسه وارتدى ملابس قديمة كان قد كبر عليها وذهب إلى محطة القطار ، المحلية . وقف عند باب الخروج وقد ارتسمت عليه علامات الجوع



والإعياء وأخذ يخبر بعض المسافرين الذين كان ينتقيهم بدقة أن الفنادق الكبرى فى بوسطن كانت تقع بجوار محطة القطار . أى أنهم لن يكونوا بحاجة إلى ركوب سيارة أجرة أو غيرها من المركبات الأنيقة الأخرى وأنه يستطيع أن يحمل حقائبهم فوق عربته النقالة مقابل ٢٠ بالمائة من تكلفة السيارة الأجرة وقد أضاف أيضا أن التمشية سوف تعود عليهم بالفائدة . وبالعمل لمدة ست ساعات يوميا ؛ وجد ويليام أن بإمكانه أن يكسب ٤ دولارات يوميا .

قبل بدء الفصل الدراسى الثانى بخمسة أيام ؛ كان ويليام قد استعاد خسارته كاملة وكسب عشرة دولارات إضافية . ومع ذلك فقد صدمته مشكلة . بدأ قائدو السيارات الأجرة ينزعجون من وجوده . ولكن ويليام أكد لهم أنه سوف يكف عن ممارسة مهنته وهو فى التاسعة من عمره فقط إن منحه كل منهم ٥٠ سنتا لكى يغطى نفقات عربة النقلة التى كان قد صنعها بنفسه . وقد وافقوا جميعا على هذا العرض وجمعوا له ثمانية ونصف دولار إضافية . وفى طريق عودته إلى منزله فى بيكون هول ؛ باع ويليام عربته النقالة مقابل دولارين فقط لأحد أصدقائه فى المدرسة يكبره بعامين ووعده بأنه لن يتراجع عن صفقته . وسرعان ما اكتشف صديقه فى المدرسة أن سائقى السيارات الأجرة كانت يتربصون به فضلا عن أن الأمطار انهمرت على مدى ذلك الأسبوع .

وفى اليوم الذى كان من المقرر فيه العودة إلى المدرسة ؛ كان ويليام قد أضاف المبلغ إلى وديعته البنكية بفائدة اثنين ونصف بالمائة . وعلى مدى العام التالى لم يشعر أن هذا القرار قد أثار لديه أية مخاوف لأن مدخراته كانت تزداد باطراد . لم يسبب غرق السفينة لوستينا فى مايو عام ١٩١٥ وإعلان نيكسون الحرب فى ابريل عام ١٩١٧ قلق ويليام . ليس هناك شىء أو شخص يمكن أن

يقهر أمريكا ؛ هكذا أكد لأمه . وقد أقدم ويليام فى هذه الفترة على استثمار ١٠ دولارات فى ليبرتى بوندز لكى يؤيد حكمه .

ومع بلوغ ويليام الحادية عشرة من عمره ؛ وصلت الفائدة فى بند الدائن فى دفتره إلى ٤١٢ دولارا . كان ويليام قد أهدى والدته قلم حبر وأهدى كل جدة من جدتيه بروش اشتراه من أحد المتاجر المحلية . وقد كان القلم الحبر من طراز باركر . أما البروش فقد وصل إلى بيت جداته فى علب تحمل أسماء المحلات الكبرى مثل شريف وكرامب والتى كان قد عثر عليها فى سلة المهملات خلف هذه المتاجر الشهيرة . ولإنصاف الفتى ؛ فإنه لم يكن يهدف إلى خداع جدتيه وإنما كان قد تعلم من تجربة علب الثقاب أن التعبئة الجيدة تساعد على بيع المنتج . وبالرغم من أن الجدتين كانتا تعلمان جيدا أن البروشات لم تكن تحمل علامات محلات شريف وكرامب ؛ إلا أن كلاً منهما قد حرصت على ارتدائه بمنتهى الفخر .

واصلت الجدتان متابعة كل تحركات وتصرفات ويليام وقررتا أن يلتحق بمدرسة سانت بيترز الداخلية فى كونكورد فى نيو همسفير فى سبتمبر التالى وفق الخطة الموضوعة . وقد أبلى الفتى بلاء حسنا فى المقابل عندما حصل على أعلى منحة دراسية فى مجال الرياضيات ووفر للعائلة ٣٠٠ دولار كانت فى غنى عن توفيرها . وقد قبل ويليام المنحة وأعطت جدتاه المبلغ لـ " فتى أقل حظا " على حد تعبيرهما . كانت آن تكره فكرة ابتعاد ابنها عنها والالتحاق بمدرسة داخلية ولكن الجدتان أصرتا على هذا القرار ولكن الأهم من ذلك هو أن آن كانت تعلم أن هذه كانت رغبة ريتشارد . حاكت اسم ويليام ووضعته على حذائه وفحصت ملابسه وحزمت حقائبه بنفسها ووضعتها فى السيارة رافضة مساعدة أي من الخدم .



وعندما حان وقت رحيل ويليام ؛ سألته أمه عن قيمة المصروف الذى يريد أن يأخذه على مدى الفصل الدراسى .

" لا أريد شيئا . " هكذا أجاب بدون أن يضيف كلمة واحدة .

قبل ويليام أمه على خدها مودعا ؛ لم تكن لديه أدنى فكرة إلى أى مدى سوف تفتقده . سار فى طريقه نحو المر مرتديا أول بنطال طويل فى حياته بعد أن كان قد حلق شعره جيدا وحمل حقيبة صغيرة ؛ سار ويليام فى طريقه نحو روبرت قائد السيارة . وركب فى المقعد الخلفى للسيارة الرولز رويس التى انطلقت به . لم يلتفت خلفه. أخذت أمه تلوح وتلوح له بيدها ثم أجهشت بالبكاء . كان ويليام يريد أن يبكى هو الآخر ولكنه كان يعلم أن والده ما كان ليؤيد ذلك .

أول ما صدم ويليام كان فى زملاء المدرسة الإعدادية الجديدة وهو أن أحداً لم يأبه بأصله ونسبه . لم تعد هناك نظرات إعجاب أو تقدير لشخصه ووجوده . بل إن أحد الصبية الأكبر منه سنا قد سأله بالفعل عن اسمه وكانت الطامة أنه عندما أخبره ؛ لم يبد الصبى أى بادرة انبهار أو إعجاب . حتى أن بعض الزملاء كان يطلقون عليه اسم " بيل " وهو ما صوبه سريعا بتبريره بأنه لم يسبق أن أطلق أحد على والده اسم " ديك " .

كانت غرفة ويليام الجديدة صغيرة ومزودة بأرفف خشبية وطاولتين وسريرين وأريكة وثيرة مريحة . كان زميله فى الغرفة من نيويورك وكان يدعى " ماثيو ليستر " وكان والده هو رئيس بنك ليستر وشركة أخرى فى نيويورك أى أنه كان ينتمى هو الآخر إلى عائلة بنكية عريقة .

سرعان ما تعود ويليام على نظام المدرسة الجديدة . كان يستيقظ فى السابعة والنصف صباحا ويغتسل ويتناول الإفطار فى قاعة تناول الطعام الرئيسية مع باقى طلبة المدرسة الذين كان يبلغ عددهم ٢٢٠ طالبا ، كانوا يتناولون جميعا البيض وشرائح اللحم المدخن والعصيدة . وبعد الإفطار ، كان الجميع يبدأون يومهم الدراسى بثلاث حصص دراسية يصل زمن كل منها إلى خمسين دقيقة ثم يتناولون طعام الغداء ليواصلوا يومهم الدراسى على مدى حصتين تليهما حصة موسيقى وهى الحصة التى كان يمقتها ويليام لأنه لم يكن يجيد التوافق مع الإيقاع الموسيقى فضلا عن أنه لم يكن يملك أية رغبة فى تعلم العزف على أى من الآلات الموسيقية . كان الطلبة يمارسون لعبة كرة القدم فى الخريف والهوكى والاسكواش فى الشتاء والتجديف وكرة التنس فى الربيع بما لا يدع لهم سوى القدر الضئيل من وقت الفراغ . بصفته حاصلا على منحة فى مادة الرياضيات ، كان ويليام يتلقى ثلاثة دروس خصوصية إضافية أسبوعيا على يد ناظر المدرسة السيد " جى راجلان " ، والذى كان يطلق عليه باقى الطلبة اسم " العبوس " .

على مدى العام الدراسى الأول ، أثبت ويليام جدارته استحقاقه للحصول على هذه المنحة الدراسية ، كان دائما من بين القلة المتفوقة فى كل مادة وكان له فصله الخاص فى مادة الرياضيات . كان صديقه الجديد ماثيو ليستر هو الوحيد الذى يملك بالكاد القدرة على منافسته فى هذه المادة ربما لأنه كان يشاركه نفس الغرفة . فى الوقت الذى رسخ فيه ويليام مكانته الأكاديمية ، ذاع صيته فى الأمور المالية على الصعيد الآخر . بالرغم من أن استثماره الأول كان سيئ العواقب ، فإنه لم يتخل عن إيمانه الراسخ بأنه سوف يجنى ثروة طائلة ويحقق أرباحاً كبيرة فى سوق الأسهم ، كان ينظر إلى



هذا الأمر على أنه أحد الأمور الأساسية . أخذ ويليام يترقب فى حذر صحيفة الوول ستريت وتقارير الشركات وبينما كان مازال فى الثانية عشرة من عمره ، بدأ حياته العملية ببرنامج استثمارى خيالى . كان يسجل فى دفتر كل مشترياته ومبيعاته الخيالية ، كل ما هو جيد وكل ما ليس جيداً من خلال دفاتر جديدة مختلفة الألوان وكان يقارن مستوى أدائه فى نهاية كل شهر فى ضوء السوق . لم تكن قوائم الأسهم الرائدة تثير انزعاجه بل كان يركز بدلا من ذلك على الشركات الأكثر غموضا ، والتى كان حجم تعاملاتها المادية محدودا بحيث كان يستحيل على أحد شراء أكثر من بضعة أسهم قليلة فى أى وقت من الأوقات . كان ويليام يتوقع إنجاز أربعة أشياء من وراء استثماره : أولا قدر بسيط من المكاسب ومعدل نمو مرتفع وأسهم قوية ونظرة تجارية ثاقبة . لم يعثر ويليام إلا على القليل من الأسهم التى تحقق له هذه الأهداف الأربعة ولكنه عندما كان ينجح فى العثور عليها ، كان بلا شك يجنى من ورائها أرباحاً جيدة .

فى الوقت الذى تأكد فيه ويليام أنه استطاع أن يهزم مؤشر داو جونز ببرنامجه الاستثمارى الخيالى ، أدرك ويليام أنه قد أصبح مهيأ لاستثمار أمواله ثانية . بدأ نشاطه بـ ١٠٠ دولار ولم يتوقف أبدا عن تحديث أسلوبه فى التعامل مع سوق الأوراق المالية . كان دائما يبحث عن المكسب والربح ويسعى للحد من الخسائر . وبمجرد أن يرتفع سعر أى أسهم من أسهمه كان يبيع نصف حصته ويحتفظ بالنصف الباقى بدون أن يمس على اعتبار أنه امتياز محفوظ . من بين مكتشفاته المبكرة أنه كانت هناك بعض الشركات التى أصبحت فيما بعد شركات قومية رائدة مثل شركة كوداك وشركة آى بى إم . كما قد ساند شركة سيرز ، إحدى شركات الخدمات البريدية

الكبرى إيمانا منه بأنها إحدى الشركات التى تواكب مجريات العصر والتى سوف يكون لها شأن كبير .

ومع نهاية عامه الأول كان بمثابة مستشار مالى لنصف أعضاء هيئة التدريس وعدد من آباء زملائه فى المدرسة . كان " ويليام كين " سعيدا فى المدرسة .

ولكن " آن كين " لم تكن سعيدة وكانت تشعر بالوحدة فى بيتها بعد أن رحل ويليام إلى " سانت بول " وبقيت هى فى محيطها الأسرى المؤلف من الجدتين ؛ اللتين كانتا تقتربان فى ذلك الوقت من سن الهرم . كانت قد أدركت آسفة أنها قد تخطت الثلاثين من عمرها وكان ذلك الجمال البرىء الشاب الذى كانت تتمتع به قد خبا بدون أن يخلف وراءه الكثير . فبدأت تواسى نفسها بعد أن حطمتها وفاة زوجها مع بعض أصدقائهم القدامى . بدأ جون وميلى بريستون ؛ صديقا العائلة واللذان كانت تعرفهما طيلة حياتها ؛ يدعوان آن للعشاء والمسرح ؛ مع الحرص على دعوة رجل إضافى فى كل مرة فى محاولة للتوفيق والعثور على رفيق لـ " آن " . كانت اختيارات آل " بريستون " دائما غير موفقة وصادمة حتى أن آن كثيراً ما كانت تضحك منها فى سريرتها إلى أن جاء أحد أيام شهر يناير عام ١٩١٩ فور عودة ويليام من المدرسة بعد الفصل الدراسى الشتوى ؛ عندما تلقت دعوة من آل " بريستون " لعشاء آخر لأربعة أشخاص . اعترفت لها ميلى بأنها لم تقابل الضيف المرتقب من قبل ، السيد " هنرى أوسبورن " ؛ ولكنها تعتقد أنه كان فى هارفرد فى نفس الوقت الذى كان فيه جون هناك .

قالت ميلى لآن عبر الهاتف : " فى الواقع جون لا يعرف الكثير عنه يا عزيزتى باستثناء كونه وسيما " .



بالفعل كان كذلك وهو ما تأكدت منه آن وميلى . كان هنرى أوسبورن يستدفىء بجوار النار عندما وصلت آن وقد نهض من مكانه فى الحال لكى يسمح لميلى بأن تقدمه إليها . كان طوله يبلغ ستة أقدام ؛ صاحب عينين سوداوين أو تكاد تكون سوداء وشعر ناعم أسود اللون ؛ كان نحيفا كما كان يتمتع بهيئة رياضية . شعرت آن بوميض سريع من السعادة لأن هذا الرجل الشاب المفعم بالحيوية سوف يكون رفيقها فى هذه الليلة بينما كان على ميلى أن توطن نفسها على زوجها الذى كان يبدو فى منتصف العمر مقارنة بزميل دراسته الفاتن . كانت هناك ضمادة تحيط بذراع هنرى وتكاد تغطى رابطة عنقه كاملة .

سألت آن فى تعاطف : " هل هى إصابة حرب ؟ "

أجاب وهو يضحك : " كلا ؛ لقد وقعت على السلم فى الأسبوع الذى عدت فيه من الجبهة الغربية " .

كان عشاءً جميلاً استمتعت به آن إلى حد أنها لم تشعر بالوقت ؛ مضى الوقت على المائدة سريعا وانسل فى سعادة وسلاسة . كان هنرى أوسبورن يجيب عن كل أسئلة آن الفضولية ؛ بعدما تخرج من هارفرد ؛ عمل فى إحدى شركات العقارات فى شيكاغو ؛ موطنه الأصلى ؛ ولكن عندما اندلعت الحرب لم يقو على مقاومة رغبته فى مواجهة الألمان . كان يملك ثروة من القصص الرائعة عن أوروبا وحياته هناك وهو يخدم كملازم أول صغير حفاظا على مجد وشرف أمريكا فى موقعة مارن . لم يكن ميلى وجون قد سبق لهما رؤية آن تضحك بهذه الصورة منذ وفاة ريتشارد وقد ابتسم كل منهما للآخر عندما طلب هنرى من آن أن تسمح له بتوصيلها إلى المنزل بعد نهاية السهرة .

—

سألت آن هنرى أوسبورن وهو يقود سيارته متوجها إلى شارع تشارلز : " وما الذى سوف تفعله الآن بعد أن وطئت أرض الأبطال ؟ " .

أجاب : " لم أقرر بعد ، إننى لحسن الحظ أملك ثروة متواضعة أى أننى لست بحاجة للتسرع فى اتخاذ قرار ، كما يمكننى أن أشرع فى تأسيس شركة عقارية هنا فى بوسطن . فلطالما شعرت بألفة مع هذه المدينة منذ أيام دراستى فى هارفرد " .

" أى أنك لن تعود ثانية إلى شيكاغو ؟ "

" كلا ؛ ليس هناك ما يستدعى عودتى إلى هناك . لقد توفى والداى وكنت ابنهم الوحيد ، أى أننى يمكن أن أبدأ من أى مكان يقع اختيارى عليه . أين أستدير ؟ "

قالت آن : " الشارع القادم إلى اليمين " .

" هل تعيشين فى بيكون هيل ؟ "

" نعم ؛ ما يقرب من خمسين ياردة إلى الجانب الأيمن من تشست نات ؛ إننى أسكن فى البيت الأحمر فى أحد أركان ميدان لويز برج " .

أوقف هنرى أوسبورن سيارته وصحب آن إلى الباب الأمامى للمنزل . بعدما تمنى لها أمسية طيبة ؛ انصرف حتى قبل أن يتيح لها فرصة تقديم الشكر له . أخذت تراقب سيارته وهى تنحدر ببطء فوق مرتفعات بيكون هيل ؛ وهى تدرك تماما أنها ترغب فى رؤيته ثانية . كانت تشعر بغبطة ، ولكنها لم تشعر بدهشة كاملة عندما اتصل بها هاتفيا فى صباح اليوم التالى .

" أوركسترا بوسطن السيمفونى ؛ موتزارت وهذا الفتى البطل الجديد الرائع ، " مالر " ؛ يوم الاثنين القادم ؛ هل يمكن أن تقبلى دعوتى ؟ "



انزعجت آن قليلا من مدى تطلعها للقاء هنرى يوم الاثنين . أحست أنه قد مر وقت طويل إلى أن عثرت على رجل جذاب يسعى وراءها . وصل هنرى أوسبورن فى الوقت المحدد ؛ تصافحا فى شىء من التردد وقبل دعوتها لتناول شراب .

" لابد أن العيش فى ميدان لويز برج أمر ممتع . أنت فتاة محظوظة " .

" نعم ؛ أعتقد ذلك ؛ إننى لم أشغل نفسى كثيرا بالتفكير فى ذلك . لقد ولدت ونشأت فى شارع كومن ويلث . كنت أجد هذا مقيدا إلى حد ما " .

" أعتقد أنه يجدر بى أن أشترى منزلا فى الهيل أنا الآخر إن قررت البقاء فى بوسطن " .

قالت آن : " إن مثل هذه المنازل لا تتوافر فى السوق بسهولة ولكن قد تكون محظوظا . ألا يجدر بنا أن نذهب ؟ إننى أكره أن أصل متأخرة عن الحفل وأضطر إلى دهس أصابع الآخرين إلى أن أصل إلى مقعدى " .

ألقى هنرى نظرة على ساعة يده : " أجل ؛ أوافقك الرأى يجب ألا نفوت دخولنا على يد المرشد . ولكن لا تشغلى بالك بأقدام أى أحد باستثنائى أنا . نحن نسير على المشى الآن "

مع توالى المعزوفات الموسيقية من الطبيعى أن يمسك هنرى بذراع آن بينما كانا يشقان طريقهما للوصول إلى مقعدهما . كان الشخص الوحيد الذى فعل ذلك منذ وفاة ريتشارد هو ابنها ويليام ؛ وفقط بعد طول إقناع من جانبها لأنه كان ينظر إليه على أنه تصرف جبان غير لائق . ومرة أخرى انسل الوقت بدون أن تشعر آن ؛ هل كان السبب هو الطعام الشهى أم صحبة هنرى ؟ فى هذه المرة جعلها هنرى تضحك على القصص التى رواها لها عن هارفرد وتبكى على

القصص التى رواها لها عن الحرب . بالرغم من أنها كانت واثقة تماما من أنه كان يبدو أقل منها سنا ؛ فإن تجربته فى الحياة كانت تشعرها دائما وهى بصحبته بأنها أقل منه عمرا وأقل خبرة . قصت عليه آن وفاة زوجها وذرفت المزيد من الدموع . فأمسك بيدها ثم تحدثت عن ابنها بفخر وحنو . فأخبرها بأنه أراد دائما أن ينجب ولدا . لم يكن هنرى يتحدث عن شيكاغو أو حياته فى بيته إلا نادرا ؛ ولكن آن كانت واثقة من أنه كان بلا شك يفتقد عائلته . عندما أوصلها إلى بيتها فى هذه الليلة ؛ بقى معها لتناول شراب سريع ثم قبلها برفق على خدها وغادر . أخذت آن تسترجع كل أحداث الليلة دقيقة بدقيقة قبل أن تستسلم للنوم .

ذهبا سويا إلى المسرح يوم الثلاثاء ؛ ثم زارا منزل آن الصيفى فى نورث شور يوم الأربعاء ؛ وتزلقا على الجليد سويا فى ساحة مسشوسيتس يوم الخميس ؛ وتسوقا فى متجر التحف يوم الجمعة وفاتحها فى الزواج منها يوم السبت . وبعد يوم الأحد لم يكد أى منهما يفترق عن الآخر . شعر ميلى وجون "بسعادة غامرة." لأن اختيارهما قد توج بالنجاح أخيرا . وأخذت ميلى تجوب أنحاء بوسطن لتخبر الجميع بأنها صاحبة الفضل فى جمع شمل الاثنين سويا .

لم يكن إعلان خطبتهما فى صيف هذا العام مفاجئا لأحد باستثناء ويليام . لم يكن ويليام يحب هنرى على الإطلاق منذ اليوم الذى أقدمت فيه آن بشيء من التردد على تقديم كل منهما للآخر . اتخذ الحوار الأول بينهما شكل استجواب حيث كان هنرى يطرح أسئلة طويلة محاولا إثبات رغبته فى اكتساب صداقة ويليام ؛ فى الوقت الذى اكتفى فيه ويليام بذكر إجابات مقتضبة تعبيرا عن رغبته فى عدم قبول هذه الصداقة . وقد بقى ويليام متشبثا بموقفه



ولم يغير رأيه . وقد أرجعت آن شعور ويليام بالاستياء إلى شعور مبرر بالغيرة إذ كان ويليام هو محور حياتها منذ وفاة زوجها ريتشارد . كما أنه كان من المعروف أيضاً أن يرى ويليام أنه ليس هناك رجل يستطيع أن يحل محل أبيه . وقد أقنعت آن ويليام بأنه بمرور الوقت سوف يتخلص من شعوره بالغضب .

أصحبت آن كين زوجة لهنرى أوسبورن فى أكتوبر من نفس العام حيث عقدت مراسم الزفاف فى سانت بول فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه تساقط الأوراق الحمراء والذهبية ؛ أى بعد ما يقرب من تسعة أشهر من لقائهما الأول . تظاهر ويليام بالمرض لكى لا يحضر الزفاف أما الجدتان فقد حضرتا ولكن لم تنجح أي منهما فى إخفاء عدم رضاها لتزوج آن ثانية وخاصة من شخص يبدو أقل منها عمرا بكثير . حيث قالت الجدة " كين " : " إن هذا الزواج لا يمكن أن ينتهى إلا بكارثة " .

أبحر العروسان إلى اليونان فى اليوم التالى ولم يعودا إلى البيت الأحمر فى هيلز إلا فى الأسبوع الثانى من شهر ديسمبر ؛ فى الوقت المناسب تماما لاستقبال ويليام عند عودته لقضاء عطلة عيد رأس السنة . وقد صدم ويليام عندما وجد أن كل شيء فى البيت قد تغير وتم إعادة تجديده على نحو محا كل أثر لوالده فيه . وعلى مدى عطلة عيد رأس السنة ؛ لم تصدر أية بادرة من ويليام تبشر بأى تحسن فى علاقته مع زوج والدته بالرغم من الدراجة الجديدة التى أهداها إليه هنرى والتى اعتبرها ويليام شكلاً من أشكال الرشوة . وقد تقبل هنرى هذا الرفض كأمر واقع وكف عن محاولة اكتساب رضاه . وشعرت آن بحزن بالغ عندما وجدت أن زوجها لا يبذل أى جهد يذكر لكى يخطب ود ابنها .

لم يعد ويليام يشعر بالارتياح فى هذا البيت الذى غزاه هذا الشخص الدخيل مما كان يدفعه إلى الاختفاء لفترات طويلة أثناء اليوم . وكانت آن كلما سألت عنه ؛ لم تتلق أية إجابة تذكر . لقد كان بالطبع يفتقد جديته ، فضلا عن شعوره بالوحشة فى بيت أبيه . وعندما انتهت عطلة عيد رأس السنة ؛ شعر ويليام بسعادة بالغة لعودته إلى المدرسة ، كما لم يشعر هنرى من جانبه بأى حزن على فراقه .

أما آن فقد شعرت بالضيق تجاههما .

# الفصل التاسع

صاح أحد الجنود وهو يدق ببندقيته على ضلوع وودك : " انهض يا فتى ، هيا انهض ! " . جلس وودك فى البداية ونظر إلى قبر أخته وقبر ليون والبارون ولم يذرف ولو دمعة واحدة ثم استدار جهة الجندى .

" سوف أحيا ؛ إنك لن تقتلنى " ، قالها بالبولندية وأضاف : " هذا هو بيتى وأنت فوق أرضى " .

بصق الجندى على وجه وودك ودفعه إلى الخلف فوق الحشائش حيث كان يقف الخدم ؛ كانوا جميعا يرتدون ثيابا أشبه ببيجاما نوم رمادية تحمل أرقاما من الخلف . صدم وودك عند رؤيتهم لأنه أدرك عندها ما هو بصدد الوقوع له . اقتاده الجندى إلى الجانب الشمالى من القصر وأمره أن يجثو على ركبتيه فوق الأرض . شعر بسكين حادة تمر فوق رأسه بينما شاهد شعره الأسود الكثيف يتساقط على العشب . عشر ضربات مدمية على رأسه تماما مثل إزالة فرو الخروف وكانت المهمة قد أنجزت . بعد أن حلق شعره ؛

أمره أحد الجنود أن يرتدى الزى ؛ الذى كان عبارة عن قميص رمادى وبنطال . وقد نجح وودك فى إخفاء الإسورة الفضية جيدا بينما سار لينضم إلى الخدم أمام القصر .

بينما بقى الجميع منتظرا فوق العشب ؛ بعد أن أصبح كل منهم الآن يحمل رقما وليس اسما ؛ وصلت إلى مسامع وودك ضوضاء عن بُعد لم يكن قد سمع مثلها من قبل . أدار عينيه فى اتجاه الصوت المريب . ومن خلال الأسوار الحديدية العالية رأى حافلة تتحرك على أربعة إطارات ولكن دون أن تجرها الخيول أو الثيران . أخذ كل السجناء يتأملون الحافلة فى حالة ذهول . عندما توقفت الحافلة ، جذب الجنود السجناء المتوجسين فى اتجاهها وطلبوا منهم أن يصعدوا على متنها . ثم استدارت الحافلة التى لا تجرها الخيول وتحركت بطول المر عبر الأسوار الحديدية . لم يجرؤ أحد على التفوه بكلمة واحدة . جلس وودك فى مؤخرة الحافلة وأخذ يحدق فى القصر إلى أن اختفى وتوارى تماما .

سارت الحافلة التى لا تجرها الخيول وشقت طريقها على نحو غير معلوم نحو قرية سلونيم . كانت الحافلة ستثير قلق وانزعاج وودك بدرجة كبيرة إن لم يكن بالفعل منزعجا ومشغول الفكر بالمكان الذى سوف تقودهم إليه الحافلة . بدأ وودك يتعرف على الطرق التى كان يعرفها بالفعل منذ أيام ذهابه إلى المدرسة ولكن ذاكرته كان قد أصابها التشوش بالفعل من جراء السنوات الثلاث التى قضاها فى القبو حتى أنه عجز عن تذكر إلى أى مكان سوف يقودهم إليه الطريق . وبعد مرور بضع دقائق فقط ، توقفت الحافلة وزج بهم جميعا خارجها . كانوا قد وصلوا إلى محطة القطار المحلية . كان وودك قد شاهدها مرة واحدة من قبل فى حياته عندما ذهب مع ليون لاستقبال البارون فور عودته من رحلته إلى وارسو . تذكر أن



الحرس وقتها قد ألقوا التحية عليهم عندما ساروا على رصيف الانتظار . ولكن فى هذه المرة لم يكن هناك أحد يحييه ، وقد تناول السجناء عندها لبن الماعز وحساء الكرنب والخبز الأسود وتولى وودك ثانية مسئولية تقسيم الطعام على حصص بمنتهى العناية على السجناء الثلاثة عشر المتبقين بالإضافة إليه هو . جلس على الأريكة الخشبية ؛ مفترضا أنهم فى انتظار وصول القطار . نام الجميع ليلتها على الأرض وأخذوا يتأملون النجوم ؛ كانت نومة هانئة مقارنة بنومهم فى القبو . وقد حمد وودك الله وقتها على أن الجو لم يكن شديد البرودة .

جاء الصباح وبقى الجميع منتظرين . ثم قاد وودك الخدم لممارسة بعض التدريبات الرياضية ولكن معظهم لم يقو على استكمالها وتهاوى بعد بضع دقائق . أخذ يدون بعض الملاحظات الخاصة بأسماء كل من بقى على قيد الحياة من السجناء . كان قد بقى اثنا عشر رجلا وامرأتان من أصل سبعة وعشرين سجيناً كانوا محبوسين داخل القبو . بقى الجميع فى انتظار وصول القطار الذى لا يأتى أبدا . وصل قطار بالفعل ونزل من على متنه المزيد من الجنود ، كانوا يتحدثون لغتهم البغيضة ؛ ولكن القطار مضى فى طريقه بدون أن يحمل جماعة وودك المثيرة للرثاء . فنام الجميع ليلتهم ثانية فى العراء .

بقى وودك مستيقظاً أثناء استلقائه تحت النجوم وأخذ يفكر فى طريقة تمكنه من الهرب ولكن أثناء هذه الليلة حاول أحد السجناء الثلاثة عشر أن يفلت من قبضة الجنود عبر شريط القطار ولكنه أصيب بطلقة نارية من قبل أحد الحرس حتى قبل أن ينجح فى الوصول إلى الجانب المقابل . أخذ وودك يحدق إلى المنطقة التى وقع عندها السجين ؛ وهو يخشى أن يذهب بنفسه للمساعدة خشية أن

يلقى نفس المصير . ترك الحراس الجسد ملقى على الشريط طوال النهار لكى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه أن يقدم على نفس هذا التصرف .

لم يشر أحد إلى هذا الحادث طوال اليوم بالرغم من أن عينى وودك نادرا ما كانت تبرح جثة الرجل . كانت الجثة لساقى البارون ، " لودويك " ، الذى كان شاهدا على وصية البارون أى أن وودك كان قد فقد بذلك أحد شهود وصيته .

وفى مساء اليوم الثالث ، وصل أحد القطارات إلى المحطة ، كان قطارا ضخما يعمل بالبخار وكان يجر عربات بضائع مفتوحة وعربات ركاب مغلقة ، كانت أراضى عربات الركاب مغطاة بالقش وكانت كلمة " كاتل " مدونة على كلا جانبيه . العديد من العربات المفتوحة كانت محملة بالسجناء ، ولكن لم يتمكن وودك من تحديد جنسيتهم ، كان مظهرهم يشبه مظهره البشع . زج به هو وجماعته فى إحدى العربات لكى يبدأوا رحلتهم . بعد انتظار استمر لعدة ساعات أخرى ، بدأ القطار يتحرك خارجا من المحطة فى اتجاه غروب الشمس - وفق علم وودك - أى انه سوف يتجه صوب الجانب الشرقى .

بين كل ثلاث عربات مفتوحة كان هناك حارس يجلس فوق سقف عربة مغلقة . وعلى مدى الرحلة اللانهائية ، كان وودك يسمع من وقت إلى آخر وابلاً من الرصاص يثبت له عدم جدوى أو إمكانية التفكير فى الهروب .

عندما توقف القطار فى " مينسك " ، تناول السجناء أول وجبة مشبعة لهم مؤلفة من الخبز الأسود والماء والمكسرات والدخن ، ثم واصلوا رحلتهم . أحيانا كان يمضى عليهم ثلاثة أيام كاملة دون أن يمروا بمحطة قطار واحدة . كان الكثير من الركاب الضعفاء يلقون



حتفهم من شدة الجوع حيث كان يتم التخلص من جثثهم بإلقائها من القطار أثناء سيره . وعندما كان القطار يتوقف فى محطته النهائية ، كان عليهم فى العادة الانتظار لمدة يومين آخرين لكى يتم إفساح الطريق لقطار آخر متوجه نحو الغرب . كانت تلك القطارات التى تؤخر رحلتهم زاخرة بالجنود مما أكد لوودك أن القطارات الناقلة للجنود كانت مقدمة على كل وسائل النقل الأخرى . كانت فكرة الهروب لا تبرح عقله لحظة ولكن كان هناك شيئان يحولان دون إقدامه عليها . أولا ، أنه لم تكن هناك سوى أميال من البرية الموحشة المتدة على جانبى شريط السكة الحديد وثانيا ، أن كل من بقى على قيد الحياة من القبو كان يعتمد عليه . فقد كان وودك هو الذى ينظم لهم طعامهم وشرابهم ويحاول أن يبقى الرغبة على مواصلة العيش بداخلهم . كان الأصغر سنا وآخر من ظل متمسكا بإيمانه فى الحياة .

عندما حل المساء ، كان البرد قد أصبح قارسا ، كان قد وصل لما يقرب من ٣٠ درجة تحت الصفر وكان كل منهم يستلقى فى خط مستقيم فى مقابل الآخر فى صف واحد فوق الأرضية بحيث يدفئ جسد كل منهم جسد زميله المقابل . كان وودك عندها يرتل قصائد الشعر على نفسه بينما كان يسعى فى نفس الوقت لاستراق بعض النوم . كان يستحيل على أى منهم أن يدير جسده ما لم يوافق الجميع ، لذا كان وودك يستلقى فى المؤخرة وفى كل ساعة - فى أقرب نقطة يمكنه فيها أن يراقب تغيير الحرس - ويضرب جانب السيارة لكى يستدير الجميع على الجانب الآخر . كانت كل الأجساد تستدير على الجانب الآخر وراء بعضها البعض تماما مثل قطع الدومينو المتساقطة . وفى إحدى الليالى ، لم يقو جسد امرأة فى مجموعته على الحركة لأنه كان قد فقد قدرته على ذلك ، فتم إخبار

وودك بذلك الذى أخبر بدوره الحارس فقام أربعة من الحرس بحمل جثتها وألقوا بها على جانب القطار المتحرك . ثم أمطر الحرس بعدها الجسد بوابل من الرصاص لكى يتأكدوا من أنها ليست محاولة للهرب .

بعد مائتى ميل من " مينسك " ؛ وصولوا إلى بلدة " سمولنسك " حيث تناولوا المزيد من حساء الكرنب الساخن والخبز الأسود . التقى وودك فى عربته ببعض السجناء الجدد الذين كانوا يتحدثون نفس لغة الحرس . كان قائد السجناء الجدد فى مثل سن وودك . وقد شعر وودك وجماعته المؤلفة من الأحد عشر رفيقا المتبقين ؛ عشرة رجال وامرأة واحدة ؛ بالتوجس من هذه الزمرة الجديدة التى انضمت إليهم مما دفعهم إلى تقسيم السيارة إلى نصفين بحيث تبقى كل مجموعة بعيدة عن المجموعة الأخرى .

وفى إحدى الليالى ؛ كان وودك مستلقيا فى حالة يقظة يتأمل النجوم ؛ كان يحاول أن يستدفئ عندما شاهد زعيم زمرة السمولنسكيين وهو يحبو صوب آخر رجل فى صفه حاملا قطعة حبل صغيرة فى يده . شاهده وهو يلف الحبل حول عنق ألفونس ـ خادم البارون ـ الذى كان نائما . وقد أدرك وودك أنه إن تحرك بسرعة بالغة فإن الصبى كان سيسمعه ويلوذ بالفرار إلى النصف الخاص بجماعته فى السيارة ويتلقى الحماية من زملائه ، مما دفعه إلى الزحف ببطء على بطنه بطول صف السجناء البولنديين . عندما وصل إلى نهاية الصف ؛ وثب فوق المعتدى وأيقظ كل من فى العربة . تراجعت كل من فى العربة إلى الوراء ما عدا ألفونس الذى بقى بلا حراك أمام الجميع .

كان قائد السمولنسكيين أكثر طولا ورشاقة من وودك ولكن هذا لم يكن يشكل فارقا كبيرا بما أن الصراع كان يدور على الأرض . دام



الشجار لعدة دقائق مما لفت انتباه الحرس وأثار ضحكهم وأخذ كل منهم يراهن على أحد المصارعين . وعندما مل أحد الحراس من الصراع الذى لم ير فيه دماء ألقى بسكين فى وسط العربة . تصارع الصبيان من أجل اقتناء هذه السكين اللامعة ؛ ولكن قائد السمولنسكيين كان أول من التقطها . صاحت عصبة السمولنسكى تحية لبطلها المغوار الذى غرس السكين فى جانب ساق وودك وجذبها وهى مخضبة بالدماء ثم طعنه بها ثانية . ولكن الطعنة الثانية غرست السكين بشدة فى أرضية السيارة بجوار أذن وودك . بينما كان زعيم السمولنسكيين يسعى لانتزاع السكين ؛ ركله وودك بكل ما بقى له من قوة فى أحد الأركان ، وبعد أن أطاح به إلى الوراء نجح فى نزع السكين . وأمسك بها وقفز فوق خصمه ؛ وصوب السكين فى فمه مباشرة . صرخ الفتى صرخة مدوية أيقظت كل من فى القطار . استخرج وودك السكين من فم الصبى وهو يديرها وأخذ يسدد بها اللكمات المتوالية لخصمه السمولنسكى حتى بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة بفترة طويلة . جثا وودك فوقه وأخذ يتنفس بصوت مرتفع ثم حمل الجسد وألقى به من العربة . سمع صوت ارتطام الجسد بجانب الطريق وطلقات الجنود المصوبة على الجسد النافق .

سار وودك فى اضطراب نحو " ألفونس " ، الذى كان يرقد جثة هامدة فوق الأرضية الخشبية وجثا بجواره وأخذ يهز جسده الميت ؛ ها هو شاهده الثانى قد توفى هو الآخر . من الذى سيصدق الآن أن وودك هو الوريث المختار لثروة البارون ؟ هل بقى هناك هدف ليعيش من أجله . انهار على ركبتيه . جذب السكين بكلتا يديه مصوبا إياه نحو معدته . ولكن قفز أحد الحراس فجأة داخل العربة وأخذ يصارع وودك إلى أن انتزع السلاح من يده .

قال فى صوت أجش : " كلا ، كلا ، لا تفعل . نحن نريد أمثالك من أجل الحفاظ على النظام داخل المعسكرات . لا يمكن أن نقوم نحن بكل العمل هناك " .

دفن وودك رأسه بين يديه ، وقد شعر للمرة الأولى بهذا الألم المبرح الذى أصاب ساقه المجروحة . كان وودك قد فقد ميراثه وتحول إلى زعيم لعصبة معدمة من السمولنسكيين . أصبحت العربة بأكملها تحت قيادته ، أصبح الآن مسئولا عن عشرين سجينا . قسم المجموعة على الفور إلى فريقين بحيث ينام كل بولندى بجوار سمولنسكى بحيث يستحيل أن تنشب حرب بين الفريق بعد ذلك .

أمضى وودك قدرا كبيرا من وقته فى تعلم اللغة الغريبة التى بقى لعدة أيام غير مدرك كونها الروسية ؛ لأنها تختلف بدرجة كبيرة عن اللغة الروسية التقليدية التى تعلمها على يد البارون ؛ والتى تبينها للمرة الأولى عندما أدرك الوجهة التى كان سيبلغها القطار .

أثناء النهار ، كان وودك يستعين باثنين من السمولنسكيين لكى يلقنوه لغتهم وبمجرد أن يشعرا بالتعب كان يختار اثنين آخرين وهكذا دواليك إلى أن يصيب التعب الجميع .

وبالتدريج أصبح وودك قادرا على تحدث اللغة بطلاقة مع الجماعة التابعة له . وقد اكتشف أن بعضاً منهم كان من الجنود الروس الذين تم نفيهم بعد تحريرهم من الأسر بتهمة الاستسلام للألمان . أما باقى المجموعة فقد كانت تنتمى إلى روسيا البيضاء - أى من الفلاحين وعمال المناجم والعمال - ممن كانوا يناهضون الثورة .

مر القطار على أراض لم يكن وودك قد شاهد أراضى أكثر قحلا منها فى حياته ، وبلدان لم يكن قد سمع بها من قبل - أومسك ونوفوسيبيرسك وكرزنويرسك - كانت أسماء البلاد ذات وقع مشئوم



على أذنيه . وأخيرا بعد شهرين وأكثر من ثلاثة آلاف ميل ؛ وصل القطار إلى إيركوتسك حيث توقف هناك بشكل مفاجئ .

هرع الجميع خارج القطار ، حيث تناولوا الغذاء وارتدوا أحذية طويلة وسترات ومعاطف ثقيلة وبالرغم من أنه قد نشبت الكثير من النزاعات بغرض انتقاء الملابس الأكثر ثقلا ؛ فقد كانت الملابس توفر لهم قدرا ضئيلا من الحماية ضد البرد القارس .

وصلت عربات بدون خيول قريبة الشبه بتلك العربة التى حملت وودك بعيدا عن قصره ؛ وتم إلقاء قيود طويلة خارجها . تملك وودك الرعب والفزع عندما تم ربط أيدى الأسرى بالأغلال ؛ خمسة وعشرون زوجا من السجناء مع بعضهم البعض أخذت العربة تجرهم وهى تسير بينما ركب الحراس فى مؤخرة العربة . ساروا على هذا النحو على مدى اثنتى عشرة ساعة قبل أن يمنحوا فترة استراحة لمدة ساعتين ليواصلوا السير بعدها . بعد مرور ثلاثة أيام ؛ شعر وودك أنه سوف يموت من قسوة البرد والإنهاك ، ولكن حينما كانوا يسيرون فى مناطق غير آهلة بالسكان ؛ كان السير يتواصل على مدى اليوم ويتوقف طوال الليل للراحة . كان هناك مطبخ متحرك مصاحب للسجناء ، كان يقدم لهم حساء السلجم أو اللفت والخبز مع بزوغ أول خيوط الصبح ثم يعاد تقديم نفس الوجبة ثانية فى المساء . وقد عرف وودك من السجناء أن الظروف داخل المعسكر أكثر قسوة من ذلك .

على مدى الأسبوع الأول ؛ بقى السجناء مكبلين بقيودهم ولكن عندما تخلى السجناء تماما عن فكرة الهروب فى وقت لاحق ؛ كان يتم فك قيودهم ليلا لكى يناموا حيث كانوا يحفرون ثقوباً فى الثلج للاستدفاء . أحيانا فى بعض الأيام الطيبة كان الحظ يجود عليهم بالعثور على غابة لكى يناموا فى ظلها ؛ بدأت الرفاهية عندها

تتخذ أشكالا غريبة . واصل السجناء مسيرتهم ومروا على بحيرات شاسعة وشقوا طريقهم عبر العواصف الباردة والتساقط الكثيف للثلوج . كانت ساق وودك المصابة تسبب له ألما خفيفاً متواصلا ؛ ثم تطور الألم ليصبح أكثر حدة بعد أن أصابت لسعة الصقيع أذنيه وأصابعه . لم يكن هناك أثر للحياة أو الطعام بامتداد الثلوج البيضاء التى كانت تغطى هذه الأماكن وقد أدرك وودك وقتها أن أية محاولة للهرب لا تعنى أكثر من الموت البطيء من شدة الجوع . كان العجائز والمرضى يلقون حتفهم فى هدوء أثناء النوم ليلا إن أسعفهم الحظ . بينما كان الأقل حظا يسقطون جثثا هامدة أثناء المسيرة المنهكة ويتهاوون من القيود ليتركوا فرادى فى ظل الثلوج اللانهائية . واصل الناجون مسيرتهم عبر الثلوج ؛ متجهين دائما نحو الشمال إلى أن فقد وودك كل حسه بالوقت ولم يعد واعيا إلا بتلك القبضة القاسية للقيود التى تحيط بيده ؛ بدون أن يدرى متى سوف يحفر حفرة فى الثلج لكى ينام ليلا أو يدرى ما إن كان سوف يستيقظ ثانية فى الصباح . كان كل من لم يحفر حفرة لكى ينام فيها ؛ حفر قبره .

بعد مسيرة دامت تسعمائة ميل ؛ قابل كل من بقى على قيد الحياة قبائل الأوستيك ؛ إحدى القبائل الروسية الرحالة ممن كانوا يرتدون الزلاجات المصنوعة من جلد الرنة . قيد السجناء بالزلاجات لكى يواصلوا المسيرة . ثم هبت عاصفة ثلجية عاتية أجبرتهم على التوقف على مدى يومين كاملين واستغل " وودك " هذه الفرصة للتواصل مع الأوستيكى الصغير الذى كان مقيدا إلى زلاجته . وباستخدام لغة روسية ذات لهجة بولندية ؛ كان التواصل صعبا للغاية ؛ ولكنه استطاع أن يكتشف أن الأوستيك كانوا يبغضون روس الجنوب ممن كانوا يعاملونهم تماما مثلما يعاملون أسراهم . وقد



أبدى الأوستيكى قدرا من التعاطف مع السجناء البائسين ممن كانوا قد فقدوا كل أمل فى المستقبل أو " المنبوذين " كما كان يطلق عليهم .

وبعد مرور تسعة أيام ؛ وفى ظل الضوء الخافت لإحدى ليالى بداية شتاء المنطقة القطبية الشمالية ؛ وصل الأسرى إلى معسكر ٢٠١ . لم يكن وودك يصدق أنه يمكن أن يسعد لمشاهدة مثل هذا المكان ؛ كانت هناك صفوف من الأكواخ الخشبية المتراصة المتتالية فى هذا المكان الموحش فى الخلاء . كانت الأكواخ مرقمة تماما مثل السجناء . كان كوخ وودك يحمل رقم ٣٣ . كانت هناك مدفاة صغيرة سوداء فى وسط الغرفة وكانت هناك مصاطب خشبية بالية متراصة بجوار الجدران مغطاة بمراتب صلبة من القش وغطاء هزيل واحد. لم ينجح سوى عدد محدود للغاية من السجناء فى الاستسلام للنوم فى الليلة الأولى وكانت الصرخات والتأوهات الصادرة من الكوخ ٣٣ تعلو على عواء الذئاب فى الخارج .

وفى صباح اليوم التالى وقبل إشراق الشمس ؛ استيقظ الجميع على صوت ارتطام مطرقة بمثلث معدنى . كانت الثلوج الكثيفة تغطى جانبى النافذة وشعر وودك أنه سوف يموت حتما من شدة البرودة . تناول الجميع الإفطار فى قاعة عامة شديدة البرودة حيث كان الوقت المخصص لهذا الغرض هو عشر دقائق فقط . كان الإفطار مؤلفا من إناء من العصيدة الفاترة المزودة بقطع من السمك العفن وأوراق من الكرنب . ألقى السجناء الجدد بعظام السمك فوق المائدة بينما أتى السجناء القدامى على السمك كله بعظامه وحتى عينيه .

وبعد الإفطار ؛ كان قد خصص لكل واحد منهم مهمة يقوم بها . أصبح وودك مسئولاً عن تقطيع الأخشاب . سار مسافة سبعة

أميال عبر بادية عديمة الملامح إلى أن وصل إلى الغابة حيث أمره الجنود بتقطيع عدد معين من الأشجار يوميا . كان الحرس يتركونه بصحبة مجموعته المؤلفة من ستة أشخاص ومعهم حصتهم من الطعام المؤلفة من الخبز وعصيدة المجارا الصفراء عديمة الطعم . لم يكن الحراس يخشون هروب أى من المساجين أو سعى أحد منهم لذلك ؛ لأن الأمر كان يتطلب قطع أكثر من ألف ميل لحين الوصول إلى أقرب بلدة حتى إن كان الشخص يعرف وجهته جيدا .

ومع نهاية كل يوم ؛ كان الحراس يعودون لإحصاء عدد الأشجار التى تم تقطيعها ؛ بعد أن أخبروا كل فريق أن المجموعة التى سوف تعجز عن إنجاز مهمتها لن تتناول الطعام فى يومها . ولكن الحارس عندما عاد إلى وودك فى السابعة مساء لجمع عمال الخشب ؛ كان الظلام قد حل بالفعل حتى أنه عجز عن تحديد كمية الأشجار التى نجحوا فى قطعها . وقد علم وودك زملاءه فى الفريق أن يقضوا الجزء الأخير من الظهيرة فى إزالة الثلوج عن الخشب المقطع فى اليوم السابق ورص الأخشاب المقطعة فى ذلك اليوم . وقد أثبتت هذه الخطة نجاحها الدائم حتى أنها لم تفوت يوما تناول الطعام على وودك وجماعته . أحيانا ؛ كان الفريق ينجح فى تهريب قطعة خشب صغيرة إلى المعسكر ؛ بعد ربطها فى الجزء الداخلى من ساق أحدهم لكى تكون وقودا للمدفأة فى المساء . كان الحذر مطلوباً ؛ حيث إنه فى كل مرة يخرجون فيها من المعسكر ثم يعودون إليه ؛ يتم اقتياد واحد منهم على الأقل ويطلب منه أن يخلع أحد نعاله أو الزوج كاملا ليقف وسط الثلوج . وكانت العقوبة المستحقة لأى شخص يسعى لتهريب أى شىء هى الحرمان من الغذاء على مدى ثلاثة أيام .



وبمرور الأسابيع ؛ ازدادت حالة ساق وودك سوءا واشتدت عليه الآلام . كان يتوق وقتها للأيام الخوالى لأنه عندما كانت تقل درجة الحرارة لتصل إلى أربعين درجة تحت الصفر ؛ كان يحظر الخروج فى ذلك للعمل فى ذلك الجو ، أما الآن فيتم تعويض تلك الأيام بالعمل أيام الآحاد التى من المفترض أن يبقوا خلالها مستلقين فى فرشهم طوال اليوم باعتباره يوم راحة أسبوعية .

وفى مساء أحد الأيام بينما كان وودك يشد الأخشاب ؛ بدأت ساقه ترتجف بلا رحمة . عندما نظر إلى الجرح الذى أصابه به السمولنسكى ؛ وجد أنه قد أصبح منتفخا ولامعا . وفى هذه الليلة أرى وودك جرحه للحارس الذى أمره بأن يستشير طبيب المعسكر مع مطلع الصباح . بقى وودك مستيقظا طوال الليل وساقه تكاد تلمس المدفأة ومحاطة بزوج النعال ؛ ولكن السخونة كانت خافتة إلى حد لم يكن يسمح بتخفيف الألم .

وفى صباح اليوم التالى ؛ استيقظ وودك فى ساعة أكثر بكورة عن العادة ، لأنه إن لم يعثر على الطبيب قبل موعد العمل المحدد فلن يجده إلا فى اليوم التالى . لم يكن وودك يطيق تحمل مثل هذا الألم المبرح ليوم آخر .

ذهب وودك إلى الطبيب وذكر له اسمه ورقمه . كان بيير دوبان رجلا مسنا وودوداً ، أصلع الرأس ؛ صاحب انحناءة واضحة فى جسده حتى شعر وودك أنه حتى أكبر سنا من البارون فى أيامه الأخيرة . تفحص ساق وودك فى صمت .

سأل وودك : " هل سيشفى الجرح يا سيدى الطبيب ؟ "

" أنت تتحدث الروسية ؟ "

" نعم يا سيدى " .

—

" بالرغم من أنك سوف تصاب بالعرج لباقى حياتك أيها الشاب الصغير فإن ساقك سوف تصبح على ما يرام ؛ ولكن ما جدوى ذلك ؟ سوف تبقى باقى عمرك تقطع الأشجار هنا " .

قال وودك : " كلا يا سيدى الطبيب ؛ إننى عازم على الهروب والعودة إلى بولندا " .

نظر إليه الطبيب فى حدة : " أخفض صوتك أيها الفتى الغبى ... يجب أن تكون قد أدركت الآن أن الهروب مستحيل . لقد بقيت فى السجن على مدى خمس عشرة سنة لم يمض يوم خلالها لم أفكر فيه فى الهروب . ليس هناك أمل ؛ لم ينجح أحد فى الهروب والبقاء على قيد الحياة ؛ وحتى الحديث فى هذا الأمر يعنى الحبس عشرة أيام فى زنزانة انفرادية ؛ وعدم تناول الطعام إلا كل ثلاثة أيام وعدم إشعال المدفأة إلا لإذابة الجليد من على الجدران . أى أنك إن خرجت من الزنزانة حيا فهذا يعنى أنك محظوظ " .

قال وودك وهو يحدق فى العجوز : " سوف أهرب ؛ سوف أفعل ؛ سوف أفعل " .

نظر الطبيب فى عينى وودك وابتسم : " يا صديقى ؛ إياك أن تذكر فكرة الهروب ثانية وإلا فسوف يقتلونك . عد إلى عملك ثانية ؛ ودرب ساقك جيدا وأعلمنى بحالتها بشكل دورى صباح كل يوم " .

عاد وودك إلى الغابة وتقطيع الأشجار ولكنه اكتشف أنه لا يقوى على سحب الألواح لأكثر من بضعة أميال قليلة وأن الألم قد أصبح أكثر حدة حتى أنه شعر أن ساقه سوف تنهار . عندما عاد فى صباح اليوم التالى ؛ فحص الطبيب ساقه بدقة أكثر .

قال الطبيب : " سيئة للغاية : كم عمرك يا فتى ؟ " .



قال وودك : " أعتقد أننى فى الثالثة عشرة . فى أى عام نحن ؟ " .

أجاب الطبيب : " نحن فى عام ١٩١٩ " .

سأل وودك : " أجل ؛ أنا فى الثالثة عشرة . كم يبلغ عمرك أنت ؟ " .

نظر الرجل فى عينى الفتى الصغير الزرقاء وهو مندهش من سؤاله .

وأجابه فى هدوء : " أنا فى الثامنة والثلاثين " .

قال وودك : " يا إلهى " .

" سوف تبدو هكذا عندما تبقى فى الأسر لمدة خمسة عشر عاما يا بنى " ، قالها الطبيب وكأنه يقر أمراً واقعاً .

قال وودك : " ما هو سبب وجودك هنا فى المقام الأول ؟ لم يدعوك ترحل بعد كل هذا الوقت ؟ " .

" سجنت فى موسكو عام ١٩٠٤ بعد أن حصلت على شهادة الطب مباشرة . كنت أعمل فى السفارة الفرنسية هناك وادعوا أننى كنت جاسوسا وزجوا بى فى سجن موسكو . ظننت أن وضعى هناك كان سيئا إلى أن انتهت الثورة ؛ حيث أرسلونى إلى هذا الجحيم الذى نعيش فيه . حتى الفرنسيون أنفسهم قد نسوا الآن أمرى كلية . لم يسبق أن أتم أحد فترة عقوبته فى المعسكر ٢٠١ وهذا يعنى أننى حتما سوف أموت هنا ؛ مثل غيرى ؛ لن يكون هذا قريبا " .

" لا ؛ يا سيدى الطبيب ؛ يجب ألا تتخلى عن الأمل " .

" أمل ؟ لقد فقدت أملى منذ فترة طويلة . ربما يمكننى أن أتمسك بالأمل فيك أنت ؛ هناك سجناء هنا يمكن أن يقايضوا مثل هذه الأحاديث مقابل ثمن زهيد لا يتعدى قطعة خبز إضافية أو ربما

غطاء . الآن يا وودك ؛ سوف ألحقك بالعمل فى المطبخ لمدة شهر ويجب أن تواصل موافاتى بحالتك الصحية صباح كل يوم . هذا هو أملك الوحيد لكى لا تفقد ساقك وأنا لا أستسيغ فكرة كونى من سيتولى بتر ساقك . " ثم أضاف الطبيب وهو ينظر إلى سكين حادة : " نحن لا نملك أية أدوات جراحية متقدمة هنا " .

انتفض وودك .

دوَّن السيد دوبان اسم وودك على قطعة ورق صغيرة . وفى صباح اليوم التالى ؛ اقتاد وودك إلى المطبخ ؛ حيث كان ينظف الأطباق بالماء المجمد ويساعد فى إعداد الوجبات التى لم تكن بحاجة إلى تجميد . بعد أن كان يقطع الأشجار طوال اليوم ؛ وجد أن العمل فى المبطخ مريح ؛ حيث كان يحصل على حساء سمك إضافى ويتناول الخبز الأسود وشرائح نبات القراص وكذلك لديه الفرصة فى قضاء الوقت فى الداخل حيث التدفئة . وفى إحدى المرات أتيحت له فرصة تناول نصف بيضة مع الطاهى بالرغم من أن أياً منهما لم يكن واثقا أى الطيور باض هذه البيضة . تعافت ساق وودك ببطء ؛ وخلفت الإصابة عرجاً واضحاً . لم يكن بوسع الدكتور دوبان أن يفعل الكثير لمساعدته فى غياب كل المعدات والعقاقير الطبيبة باستثناء مراقبة مدى ما يحرزه وودك من تطور . وبمرور الأيام ؛ توطدت الصداقة بين الطبيب وودك حتى أنه بدأ يحدوه أمله القديم فى المستقبل . كانا يتحدثان بلغة مختلفة فى صباح كل يوم ؛ ولكن صديقه الجديد كان يستمتع بالفرنسية التى كانت لغته الأم .

" بعد سبعة أيام يا وودك ؛ يجب أن تعود إلى عملك فى الغابة ؛ سوف يفحص الحراس ساقك ولن أتمكن من إبقائك فى المطبخ لأكثر من ذلك . لذا يجب أن تصغى إلىَّ جيدا ؛ لأننى قد قررت خطة سوف تمكنك من الهروب " .



قال وودك : " سوف نهرب سويا يا سيدى الطبيب ، سويا " .

" كلا ؛ فقط أنت . أما أنا فقد كبرت على هذه الرحلة الطويلة وبالرغم من أننى حلمت بالهروب على مدى خمسة عشر عاما فإننى سوف أكتفى بمساندتك . سوف يكفينى أن ينجح شخص آخر فى تحقيق هذا الإنجاز ؛ أنت أول شخص قابلته وأقنعنى بأنه يمكن أن ينجح فى هذا الأمر " .

جلس وودك على الأرض فى صمت وهو ينصت إلى خطة الطبيب .

" لقد ادخرت على مدى خمسة عشر عاما ؛ مائتى روبل ؛ وهو مبلغ جيد بالنسبة لسجين روسى " . حاول وودك أن يضحك على تلك المزحة القديمة المعروفة فى المعسكر . " وقد احتفظت بهذا المبلغ مخبأ فى إحدى زجاجات الأدوية ؛ أربع عملات ورقية كل منها بمبلغ خمسين روبل . عندما يحين وقت رحيلك ؛ سوف أحيك لك هذا المبلغ فى ملابسك . سوف أكون قد أنجزت هذه المهمة بالفعل من أجلك " .

سأل وودك : " أية ملابس ؟ " .

" إننى أملك بزة وقميصاً كنت قد رشوت أحد الحراس منذ اثنى عشر عاما لكى أحصل عليها عندما كنت مؤمنا أننى يمكن أن ألوذ بالفرار . ليست البزة حديثة ولكنها سوف تفى بالغرض " .

خمسة عشر عاما كان قد قضاها الطبيب فى جمع مائتى روبل وقميص وبزة وكان على استعداد للتضحية بها من أجل وودك فى لحظة . لم يقدم وودك فى حياته ثانية على مثل هذا التصرف الذى ينم عن أنانية .

واصل الطبيب حديثه : " الخميس القادم هو فرصتك الوحيدة ، سوف يصل السجناءِ الجدد بالقطار إلى إيركوتسك ؛ وقد دأب

الحراس على اصطحاب أربعة أشخاص من المطبخ لإعداد شاحنات الطعام للوافدين الجدد ، وقد تدبرت الأمر بالفعل واتفقت مع كبير الطهاة ـ ثم ضحك على هذه التسمية ـ ، إننى سوف أقدم له بعض الأدوية مقابل أن يسمح لك بأن تنضم إلى شاحنة المطبخ . لم يكن هذا مستحيلاً لأن أحداً لا يحب أن يقوم بهذه الرحلة المجهدة ذهابا وإيابا ؛ ولكنك لن تقطع الرحلة إلا ذهابا فقط " .

كان وودك مازال ينصت فى اهتمام .

" عندما تصل إلى المحطة ، انتظر إلى أن يصل قطار السجناء . بمجرد أن يهبط الجميع على رصيف المحطة ، اعبر صف السجناء وضع نفسك فى القطار المتجه إلى موسكو ، الذى لا يمكن أن يرحل بدون أن يصل أولاً القطار الذى يحمل السجناء لأنه لا يوجد سوى خط حديدى واحد فى المحطة . ادع الله أن تنجح فى الاختباء عن أعين الحرس فى خضم زحام السجناء الجدد الذين سوف يعج بهم المكان . منذ هذه اللحظة فصاعدا ، سوف تكون حرا . تذكر أنهم إن عثروا عليك فسوف يطلقون عليك النار من فورهم بدون لحظة تردد واحدة . هناك شىء واحد فقط يمكننى أن أفعله من أجلك . منذ خمسة عشر عاما عندما جئت إلى هنا ، كنت قد رسمت خريطة من الذاكرة للطريق من موسكو إلى تركيا . ربما لم تعد صحيحة بشكل كامل ؛ ولكنها سوف تفى بغرضك . ولكن احرص على التأكد من أن الروس لم يحتلوا تركيا أيضا . يعلم الله إلى أى مدى قد وصلوا إلى الآن . ربما يكونون قد وضعوا أيديهم على فرنسا أيضاً " .

ذهب الطبيب إلى خزانة الأدوية واستخرج زجاجة كبيرة بدت وكأنها تحتوى على كمية كبيرة من مادة بنية . فك غطاء الزجاجة وأزال قطعة قماش قديمة . كان الحبر الأسود قد بهت لونه على مدى السنوات . كانت الورقة تحمل تاريخ " أكتوبر عام ١٩٠٤ " .



وكانت تحتوى على خارطة للطريق من موسكو إلى أوديسا ومن أوديسا إلى تركيا ، إنها مسافة ١٥٠٠ ميل نحو الحرية

" تعال لتقابلنى صباح كل يوم على مدى هذا الأسبوع وسوف نراجع الخطة مرارا وتكرارا سويا . وهذا يعنى أنك إن فشلت فلن يكون السبب هو نقص الإعداد " .

بقى وودك مستيقظا طوال الليل على مدى الأيام التالية وهو يحدق إلى الشمس عبر النافذة ، ويراجع خطة تصرفه فى ظل كل المواقف ، ويعد نفسه لكل احتمال ممكن . وفى الصباح كان يراجع الخطة مرارا وتكرارا مع الطبيب . فى مساء يوم الأربعاء الذى سبق محاولة وودك للهرب ثنى الطبيب الخريطة على ثمانى ثنيات ووضعها مع ورقات الخمسين روبل الأربع فى لفافة صغيرة وحاك اللفافة فى كم البزة . خلع وودك ملابسه وارتدى قميص البزة ثم أعاد ارتداء ملابس السجن فوقها . بينما كان وودك يعيد ارتداء زى السجناء ، وقع بصر الطبيب على الأسورة الفضية للبارون ، والتى كان وودك يحتفظ بها فوق مرفقه منذ أن تلقى زى السجن لكى لا يراه الحرس ويقدموا على سرقة الكنز الوحيد الذى بقى له .

سأل الطبيب : " ما هذا ؟ إنها أسورة رائعة " .

قال وودك : " إنها هدية من أبى . هل يمكننى أن أمنحك إياها لكى أعبر لك عن مدى شكرى ؟ " ثم خلع الأسورة من معصمه وأعطاها للطبيب .

أخذ الطبيب يحدق فى الأسورة الفضية عدة لحظات ثم نكس رأسه قائلاً : " كلا لا أقبل أبدا . إن هذه الأسورة لا يمكن أن تقتنى إلا من قبل شخص واحد فقط " ، بدأ الطبيب حديثه فى هدوء مع الصبى ، " لابد أن والدك كان رجلا عظيما " .

أعاد الطبيب الأسورة ثانيـة إلى معصـم وودك وصافحه بحـرارة بيده .

" حظا سعيدا يا وودك . أتمنى ألا نلتقى ثانية أبدا " .

احتضن كل منهما الآخر ثم سار وودك ليبيت - كمـا كـان يـدعو الله - ليلته الأخيرة فى السجن . عجـز عـن الاستسـلام للنوم طـوال الليل خشية أن يكتشف أحد الحراس البزة التى كان يرتديها تحت ملابس السجن . وعندما دق جرس الصباح ، كان بالفعل قد ارتـدى ملابسه وحرص على عدم التأخر عن المطبخ . دفع أكبر السجناء فى المطبخ وودك إلى الأمام عندما جاء الحرس لاستلام تفاصيل شاحنة الطعام . كان الفريق مؤلفاً من أربعة أشخاص فقط . وكـان وودك هـو الأصغر سنا بفارق كبير .

سـأل الحـارس وهـو يشـير إلى وودك : " لم اخـتـرت هـذا الشخص ؟ "

توقف قلب وودك وتسربت البرودة فى كل أنحـاء جسـده . لقـد أوشكت خطـة الطبيـب علـى الفشـل ولـن تصل دفعـة جديـدة مـن السجناء إلى المعسكر قبل ما لا يقل عن ثلاثة أشهر . وعنـدها سـوف يكون قد استبعد من المطبخ .

قال السجين الأكبر سنا : " إنه طاه ممتاز ، لقد تدرب فى قصر البارون . إنه الأفضل للحرس " .

قال الحارس وقد سبق طمعه تشككه : " أجل أسرع إذن " .

أسرع الطهاة الأربعة إلى الشاحنة - وبـدأ الركـب يشـق طريقـه . بدأت الرحلة بطيئة وقاسية . ولكـن علـى الأقـل كـان راكبـا داخـل الشاحنة فى هذه المرة كما كان الوقت صيفا وليس شتاء غير محتمـل كما فى المرة السابقة . بذل وودك جهده فى إعداد الطعام ؛ لم يكـن



يريد أن يلحظه أحد ولم يكن يتحدث تقريباً مـع أى شـخص طـوال الرحلة باستثناء ستانيسلو ؛ كبير الطهاة .

وعندما وصل الركب فى النهاية إلى إيركوتسك ، كان الطريق قد استغرق ما يقرب من ستة عشر يوما . كان القطار المتجـه إلى موسـكو موجودا بالفعـل فـى المحطـة . كـان قـد وصـل إلى هنـاك منـذ عـدة ساعات بالفعل ولكن لم يكن من الممكـن أن يبـدأ رحلتـه إلى موسـكو قبل وصـول القطـار الآخـر المحمـل بالسجناء الجدد . بقـى وودك جالسا على حافة الرصيف مع باقى زملائه فى المطبخ؛ بقى الثلاثـة بلا أى رغبة أو هدف فى التطلع إلى أى شىء يحيط بهـم ؛ بعـد أن سئموا حياتهم . أما الرابع الذى هـو وودك فقـد بقـى منتبهـا ويقظـا لكل ما يجـرى مـن حولـه ؛ أخـذ يـدرس بمنتهـى الحـرص القطـار الواقف فى الجانب المقابل من الرصيف . كانت هناك أربعة مداخل للقطار انتقى من بينها وودك المدخل الذى سوف يسـتخدمه حينمـا تحين اللحظة الموعودة .

سأله ستانيسلو فجأة : " هل أنت عازم على الفرار ؟ " .

بدأ وودك يتصبب عرقا ولكنه لم يجب .

أخذ ستانيسلو يحدق إليه : " أنت بالفعل عازم على ذلك " .

بقى وودك صامتا دون أن ينطق بكلمة واحدة .

واصل الطاهى الكبير تأمله للفتى ذى الثلاثة عشر عاما ثـم أومـأ بالموافقة . لو كان لديه ذيل ؛ لكان ذيله قد تحرك .

" حظا سعيدا . سوف أحرص على صرف انتبـاههم عـن تغيبـك لأطول فترة ممكنة " .

ربت ستانيسلو ذراعه وعندها لمح وودك قطـار السـجناء وقـد لاح من على بعد وسار يشق طريقه ببطء فى اتجاههم . شعر بتوتر وهـو يترقب وصوله فى حماس ؛ وخفـق قلبـه ؛ وأخـذت عينـاه تراقبـان

تحرك كل جندى من الجنود . انتظر لحين توقف القطار المقبل وأخذ يراقب السجناء الموثوقين بالقيود وهم يمرون فوق رصيف المحطة ؛ كان هناك المئات ؛ كانوا رجالاً مجهولين لا يملكون سوى ماضيهم . عندما دبت الفوضى فى أنحاء المحطة وعجت بالسجناء ورجال الحرس وانهمك الحرس فى عملهم ؛ جرى وودك تحت قطار السجناء وقفز داخل قطار موسكو . لم يبد أحد أية بادرة اهتمام به عندما ذهب إلى دورة المياه فى نهاية القطار ؛ أغلق على نفسه الباب وأخذ يتضرع إلى الله فى كل لحظة ألا يطرق أحد عليه الباب . مر الوقت على وودك وكأنه دهر قبل أن يشرع القطار فى التحرك من المحطة . لم يكن قد مضى فى واقع الأمر سوى سبع عشرة دقيقة .

" أخيرا ؛ أخيرا " قالها بصوت مرتفع . ثم نظر من خلال نافذة صغيرة فى دورة المياه وأخذ يتأمل المحطة وهى تزداد تضاؤلاً فى الحجم كلما ابتعد القطار عنها ؛ أخذ يراقب كتلة السجناء الجدد الموثوقين فى القيود ؛ وهم بصدد قطع رحلتهم نحو المعسكر ٢٠١ . كان الحراس يتضاحكون وهم يوثقونهم بالقيود . كم منهم سيصل إلى المعسكر حيا ؟ كم منهم ستلتهمه الذئاب ؟ كم سيمضى من الوقت إلى أن يفتقدوا وجوده ؟

بقى وودك جالسا فى دورة المياه لعدة دقائق إضافية أخرى ؛ مرتعدا من أى تحرك ؛ غير مدرك لما يجب أن يقوم به . وفجأة سمع طرقا على الباب . توالت الصور سريعا على عقله . هل هو أحد الحراس ؛ أم أنه جامع التذاكر أم هو جندى ؟ توالت الصور على عقله ؛ وكل واحدة منها تثير فزعه أكثر من السابقة . كان بحاجة لاستخدام المرحاض للمرة الأولى . ولكن الطرق بقى متواصلا .



جاءه صوت روسى أجش : " هيا أسرع ؛ أسرع " .

لم يكن أمام وودك أى خيار حقيقى . إن كان جندياً ؛ فهذا يعنى أنه ليس أمامه مهرب ؛ لا يمكن لأى شىء حتى وإن كان نباتا أو حيوانا أن يخرج من تلك النافذة الصغيرة . إن لم يكن الطارق جنديا ؛ فسوف يجذب الانتباه ببقائه فى دورة المياه . خلع وودك ملابس السجن وطواها فى لفافة صغيرة قدر الإمكان ؛ ثم ألقى بها من النافذة . ثم استخرج قبعة مطوية من جيب بزته وغطى بها رأسه الحليق ثم فتح الباب. اندفع رجل حانق داخل المرحاض وخلع بنطاله حتى قبل أن يغادر وودك المرحاض .

بمجرد أن خرج فى ردهة القطار ؛ شعر وودك بالعزلة وشكله المثير للريبة وهو يرتدى بذته البالية ـ شعر وكأنه ثمرة تفاح وسط كومة برتقال . خرج على الفور يبحث عن مرحاض آخر . وعندما عثر على مرحاض خال آخر ؛ دخله على الفور وأغلق على نفسه الباب وبدأ يستخرج النقود من داخل كمه . أعاد أربعة منها ثم خرج فى الردهة . أخذ يبحث عن أكثر العربات ازدحاما وزج نفسه بداخلها وانزوى فى أحد أركانها . كان هناك زمرة من الرجال فى منتصف العربة يلعبون لعبة مراهنة مقابل مبلغ نقدى ضئيل . كان وودك يهزم ليون دائما فى هذه اللعبة عندما كانا فى القصر وشعر برغبة فى المشاركة ولكنه خشى أن يفوز ويجذب الانتباه إليه .

تواصل اللعب لفترة طويلة وبدأ وودك يتذكر المهارات التى اكتسبها فى حياته . كانت رغبته الملحة فى المقامرة بال ٢٠٠ روبل التى كان يحملها لا تقاوم .

ثم جاء أحد المقامرين الذي كان قد خسر مبلغا كبيرا من نقوده ؛ وجلس بجوار وودك فى استياء وهو يسب ويتوعد .

قال وودك ، وكأنه يريد أن يسمع صوته : " لم يحالفك الحظ " .

قال المقامر : " إنه ليس الحظ ، إننى فى معظم الأيام أستطيع أن أهزم هؤلاء الفلاحين ؛ ولكننى لم أعد أملك المال " .

سأله وودك : " هل تريد أن تبيع معطفك ؟ " .

كان المقامر من بين الركاب القلائل الذين يرتدون معطفا قديما سميكا جيد المظهر من فراء الخروف . حدق الرجل إلى الصبى الصغير .

" ولكنك لا تملك ثمنه يا فتى " . استشعر وودك من إجابة الرجل أنه يتمنى لو كان يملك ثمنه . " إننى أريد سبعين روبل مقابل المعطف " .

قال وودك : " سوف أعطيك أربعين روبل " .

قال المقامر : " ستين " .

قال وودك : " خمسين " .

قال المقامر : " كلا ؛ ستون روبل هو أقل سعر يمكن أن أمنح المعطف مقابله . إنه يساوى أكثر من مائة روبل " .

قال وودك وهو يفكر فى كل ما سوف يوحى به استخراج النقود من بطانة كم سترته لكى يمنحه المبلغ كاملا : " أجل كان يساوى مائة روبل منذ زمن طويل " . وقد قرر ألا يقدم على ذلك لكى لا يجذب الانتباه إليه ؛ كان يجب عليه أن ينتظر فرصة أخرى . لم يكن وودك يريد أن يُظهر أنه لا يملك ثمن المعطف ، فلمس ياقة المعطف وقال فى احتقار واضح : " لقد دفعت الكثير من أجل اقتنائه يا صديقى . خمسون روبل فقط ولن أضيف فوقها " ، ثم نهض وودك وكأنه على وشك الانصراف .

قال المقامر : " انتظر ؛ انتظر . سوف أقبل الخمسين روبل " .



استخرج وودك المبلغ من جيبه ومنحها للرجل الذى خلع معطفه فى المقابل . كان المعطف كبيرا جدا بالنسبة لوودك حتى أنه يكاد يلمس الأرض ؛ ولكنه حقق له المراد المطلوب تحديدا ؛ وهو إخفاء تلك البزة المثيرة للريبة التى كان يرتديها . ظل على مدى بضع لحظات يراقب المقامر الذى عاد للعب ثانية وللخسارة ثانية . وقد تعلم وودك من معلمه الجديد شيئين ؛ أولا ألا تقدم على المقامرة أبدا ما لم يكن الحظ يحالفك وهو ما سوف تدركه من خلال خبرتك أو مهارتك ، وثانيا أن تكون على استعداد للإفلات من أى اتفاق عندما تكون وصلت إلى أقصى حد لك .

غادر وودك العربة وهو يشعر أنه قد أصبح آمنا قليلا فى ظل معطفه الجديد ، بدأ يتجول فى القطار الذى كان يركبه ؛ بمزيد من الثقة . كانت العربات مقسمة إلى درجتين ؛ الدرجة العامة حيث كان الركاب يقفون أو يجلسون على أسطح خشبية ، ودرجة خاصة حيث كان الركاب يجلسون فيها على مقاعد وثيرة . وقد كانت كل العربات ممتلئة عن آخرها باستثناء عربة خاصة واحدة كانت تجلس فيها سيدة وحيدة . كانت السيدة فى منتصف العمر وفق تقدير وودك ، كما كانت ترتدى ثياباً أكثر رقيا من باقى ركاب القطار . كانت ترتدى فستانا غامق الزرقة وكانت تغطى شعرها بوشاح . بينما وقف وودك يحدق إليها فى تردد ؛ ابتسمت له مما شجعه على دخول العربة .

" هل يمكننى الجلوس ؟ "

قالت السيدة وهى تنظر إليه فى حرص : " على الرحب والسعة " .

لم يتحدث وودك ثانية ولكنه كان ـ كلما أتيحت له الفرصة ـ يدقق فى المرأة ومقتنياتها . كان جلدها شاحباً تشقه تجاعيد متعبة

وكان جسدها يميل إلى الامتلاء وهو ما لم يحدث إلا نادرا عند تناول الطعام الروسى . كان شعرها الأسود القصير وعيناها البنيتان توحيان بأنها كانت جذابة فى شبابها . كانت تحمل أيضا حقيبتين كبيرتين تضعهما فوق الرف العلوى فى القطار وحقيبة صغيرة كانت تحتفظ بها بجوارها . بالرغم من خطورة موقفه ؛ فقد شعر وودك فجأة أنه فى حالة إعياء شديد . ولكنه كان يشعر أنه لا يجرؤ على الاستسلام للنوم ؛ وعندها تحدثت السيدة :

" ما هى وجهتك ؟ "

فاجأ السؤال وودك فأجاب وهو يكتم أنفاسه : " موسكو " .

قالت السيدة : " وأنا أيضا " .

كان وودك قد بدأ بالفعل يشعر بالندم على وجوده فى هذه العربة المنعزلة وهذه المعلومة التى قالها بالرغم من قلة أهميتها ، فقد قال له الطبيب محذراً : " لا تتحدث مع أى أحد ؛ لا تثق بأحد " .

ولكن السيدة لم تطرح عليه أية أسئلة أخرى مما أشاع الشعور بالارتياح فى نفس وودك . بينما بدأ يستعيد ثقته المفقودة ؛ ظهر جامع التذاكر. بدأ وودك يتصبب عرقا ؛ بالرغم من أن درجة الحرارة كانت أقل من ٢٠ درجة تحت الصفر . أخذ الرجل تذكرة السيدة وشطرها وأعادها إليها ثم استدار ناحية وودك .

" تذكرتك يا فتى " ، كانت هذه العبارة هى كل ما قاله الرجل فى نبرة بطيئة رتيبة .

لم ينبس وودك ببنت شفة وأخذ يعبث فى جيوب معطفه بحثا عن بعض النقود .

قالت السيدة فى حزم : " إنه ابنى " .



نظر إليها جامع التذاكر وألقى على وودك نظرة ثانية ثم حيا السيدة وغادر بدون أن يضيف كلمة أخرى .

أخذ وودك يتأملها . تمتم قائلا : " أشكرك " وهو لا يدرى ما الذى يمكن أن يقوله أكثر من ذلك .

قالت المرأة فى هدوء : " لقد شاهدتك وأنت تتسلل تحت قطار السجناء " . شعر وودك بالغثيان . " ولكننى لن أتخلى عنك . فلدى ابن عم شاب فى هذه المعسكرات الرهيبة ؛ كلنا نشعر بالفزع من أن ينتهى بنا المآل يوما ما هناك فى هذه المعسكرات البشعة التى سمعنا عنها . ما الذى ترتديه تحت معطفك ؟ "

وازن وودك بين المزايا المحتملة للهروب من القطار وفتح معطفه . إن هرب من القطار ؛ فليس هناك مكان يمكنه أن يختبئ فيه بداخله . ففتح وودك معطفه .

قالت السيدة : " ليس سيئاً بقدر ما تخيلت . وكيف تخلصت من زى السجن ؟ "

" لقد ألقيته من النافذة " .

" لنأمل ألا يعثر عليه أحد قبل وصولك إلى موسكو " .

لم ينطق وودك بكلمة .

" هل لديك مكان تذهب إليه فى موسكو ؟ "

فكر وودك ثانية فى نصيحة الطبيب بألا يثق فى أحد ولكن كان يجب عليه أن يثق بها .

" ليس لدىَّ مكان أذهب إليه " .

" إذن يمكنك أن تبقى معى إلى أن تعثر على مكان تعيش فيه . إن زوجى هو ناظر محطة موسكو وهذه العربة مخصصة فقط لموظفى الحكومة " . ثم أضافت السيدة : " إن اقترفت هذا الخطأ ثانية فسوف يرسلونك ثانية إلى إيركوتسك "

ابتلع وودك ريقه عندها وقال : " هل يجب أن أرحل الآن ؟ "

" لا ، لا يمكن أن ترحل الآن بعد أن شاهدك جامع التذاكر . سوف تكون أكثر أمنا معى فى الوقت الراهن . هل تحمل أية أوراق هوية ؟ "

" كلا . ما هى هذه الأوراق ؟ "

" منذ أن اندلعت الثورة وكل مواطن روسى أصبح يحمل أوراقاً لإثبات هويته والمكان الذى يعيش فيه ومقر عمله ؛ وإلا فسوف ينتهى به المآل إلى أن يزج به فى السجن لحين استصدار الأوراق المطلوبة . وبما أنه سوف يعجز عن استصدارها فى السجن فهذا يعنى أنه قد حكم عليه بالبقاء هناك مدى الحياة ، لذا يجب أن تبقى قريبا منى عندما نصل إلى موسكو . واحرص على ألا تتفوه بكلمة " .

قال وودك فى ارتياب : " لقد أغدقت علىَّ يا سيدتى " .

أضافت : " لقد توفى القيصر الآن ولم يعد أحد منا فى مأمن . لقد أسعدنى الحظ بالتزوج من الرجل المناسب . ولكن لم يعد.هناك مواطن روسى واحد ـ بما فى ذلك موظفو الحكومة ـ لا يشعر بخوف دائم من الاعتقال والالتحاق بالمعسكرات . ما اسمك ؟ "

" وودك " .

" حسنا . والآن نم يا وودك لأن علامات الإعياء تبدو واضحة عليك ومازالت الرحلة طويلة كما أنك لست بعد فى مأمن " .

نام وودك .

وعندما استيقظ ؛ كانت قد مرت عدة ساعات وكان الظلام قد حل بالفعل فى الخارج . أخذ يتأمل السيدة التى وفرت له الحماية فابتسمت . فابتسم لها وودك وهو يتضرع إلى الله ألا تبلغ عنه المسئولين . ترى هل أقدمت على ذلك بالفعل ؟ قدمت له بعض



الطعام من إحدى اللفافات التى كانت تحملها ؛ تناولها وودك فى صمت . عندما وصلوا إلى المحطة التالية ؛ خرج كل الركاب تقريبا من القطار . غادر البعض نهائيا وخرج البعض الآخر لإراحة الأوصال التى تيبست من طول الجلوس داخل القطار ، بينما خرج فريق ثالث بحثا عن بعض المرطبات .

نهضت السيدة متوسطة العمر ونظرت إلى وودك وقالت له : " اتبعنى " .

نهض وافقا وتبعها فوق رصيف المحطة . هل هى بصدد إعادته ثانية ؟ أخرجت يدها فأمسك به مثلما يفعل أى طفل فى الثالثة عشرة من عمره مع أمه . سارت نحو دورة المياه الخاصة بالسيدات . تردد وودك ولكن أصرت السيدة . وما إن دخلا المرحاض ؛ طلبت منه أن يخلع ملابسه . فأطاع أمرها بلا مناقشة ، إذ لم يعد ذلك الفتى العنيد منذ وفاة البارون . وعندما خلع ملابسه ؛ كانت هى قد فتحت الصنبور الوحيد الذى قطر بعد عناء قطرات من الماء البنى البارد . شعرت بغثيان . أما وودك فقد كانت نوعية الماء تفوق كثيرا نوعية الماء الذى كان متوافرا فى المعسكر . بدأت السيدة تنظف جروحه بواسطة فوطة مبللة وحاولت ولكن بلا جدوى أن تنظف جسده . ولكنها شعرت بالنفور عندما شاهدت الجرح الغائر فى ساقه . لم يبد وودك أية إشارة للتذمر الناجم من الألم الذى كان يشعر به مع كل لمسة ؛ بالرغم من أن السيدة كانت تبذل جهدها لكى لا تشعره بالألم .

قالت السيدة : " عندما نعود إلى البيت ؛ سوف أداوى هذه الجروح بشكل أفضل . ولكن هذا يكفى الآن " .

ثم رأت السيدة السوار الفضى وتفحصت النقش الذى كا محفورا فيـه وقالـت لـ " وودك " : " هـل هـذا ملكـك ؟ ، تـرى ممـن سرقته ؟ "

شعر وودك بالاستياء وأجاب قائلا : " كلا ؛ إننى لم أسرقه ؛ بل منحنى إياه أبى قبل وفاته " .

أخذت تحدق إليه ثانية ولكن بنظرة مختلفة تماما فى عينيها . هل هو الخوف أم الاحترام ؟ أحنت رأسها قائلة : " احذر يا وودك . هناك من يمكن أن يقدم على القتل لكى يفوز بهذه الجائزة الثمينة " .

أومأ بالموافقة وأخذ يرتدى ملابسه سريعا ثم عاد الاثنان إلى العربة . لم يكن التأخر لمدة ساعة أمرا مستغربا فى محطة القطار ، وعندما بدأ القطار يتحرك فى طريقه ؛ شعر وودك بالسعادة عندما بدأت الإطارات تدور من تحته . استغرق القطار اثنى عشر يوما ونصف اليوم إلى أن وصل إلى موسكو . كان وودك والسيدة يمران بنفس الإجراءات كلما ظهر لهم جامع التذاكر فى القطار ؛ بدأ وودك لأول مرة فى حياته يحاول أن يبدو بريئا وصغيراً ، أما هى فقد كانت أماً مقنعة . كان كل جامعى التذاكر يحيون السيدة فى منتهى الاحترام مما دفع وودك إلى الاعتقاد بأن وظيفة ناظر المحطة لابد أن تكون إحدى الوظائف شديدة الأهمية فى موسكو .

حين انتهاء الرحلة التى استغرقت ألف ميل إلى موسكو ، كان وودك قد وثق تماما فى السيدة وكان يتطلع إلى رؤية منزلها . كان القطار قد وصل إلى موسكو فى محطته النهائية الأخيرة فى وقت مبكر من الظهيرة ؛ وبالرغم من كل شيء فقد عاود وودك ثانية الشعور بالفزع والخوف من المجهول . لم يكن قد سبق له من قبل أن زار مدينة كبيرة ؛ ناهيك عن كونها عاصمة روسيا ؛ لم يكن قد



سبق له أن رأى من قبل كل هذا الكم من البشر وهو يهرع من حوله . أحست المرأة بما يشعر به من فزع .

" اتبعنى ؛ لا تنطق بكلمة ولا تخلع القبعة من فوق رأسك " .

أنزل وودك حقائبها من فوق الرف العلوى ؛ ووضع القبعة على رأسه ـ الذى كان قد نما فيه بمرور الوقت بعض الشعر الأسود القصير ـ وثبتها فوق أذنيه وسار خلف السيدة فوق الرصيف . كان هناك حشد من البشر عند الحاجز فى انتظار الخروج من الباب الضيق . كان هذا المدخل قد أعد لكى يظهر كل شخص أوراق هويته للحارس قبل المرور . بينما اقترب هو والسيدة من الحاجز ؛ سمع وودك قلبه وهو يخفق فى عنف وكأنه دقات الطبول ، ولكن عندما حان دورهما تبدد هذا الخوف فى لحظة . حيث اكتفى الحارس بإلقاء نظرة سريعة على أوراق السيدة .

سأل الحارس وهو يلقى عليه التحية : " وأنت يا فتى ؛ أين أوراق هويتك ؟ "

قالت السيدة : " إنه ابنى " .

حياه الحارس ثانية ، وأضاف : " أجل بالطبع ؛ تفضل يا فتى " .

كان وودك قد أصبح الآن فى موسكو .

بالرغم من الثقة التى كان قد وضعها فى رفيقته الجديدة ؛ كانت أول رغبة قد حدته هو أن يهرب ؛ ولكن بما أن ١٥٠ روبل لم تكن كافية لتدبر نفقات الحياة ، فقد قرر أن يبقى مع السيدة حيث إنه سوف يكون بوسعه أن يهرب دائما فى فرصة لاحقة . كان هناك حصان وعربة فى انتظارهما لدى خروجهما من المحطة أقلت السيدة وابنها إلى بيتهما الجديد . لم يكن ناظر المحطة موجودا هناك عندما وصلا إلى المنزل ؛ لذا أسرعت المرأة لتعد

الفراش الإضافى لوودك . ثم صبت الماء وسخنته فوق المدفأة ؛ وملأت به حوض الاستحمام . كان هذا هو أول استحمام له منذ أكثر من أربع سنوات باستثناء المرات التى كان ينظف فيها نفسه فى المجرى . سخنت المزيد من الماء وأضافت الصابون وأخذت تنظف ظهره . بدأ لون الماء يتغير وبعد عشرين دقيقة تحول لون الماء إلى السواد . بمجرد أن جفف وودك نفسه ، بدأت السيدة تضع بعض الدهان على جسده وساقيه وتضمد الأجزاء التى بدت أكثر تضررا من جسده . أخذت تحدق إلى حلمته الواحدة . ارتدى ملابسه سريعا ثم لحق بها فى المطبخ . كانت قد أعدت بالفعل إناء من الحساء الساخن وبعض البقول . التهم وودك غذاءه فى نهم . لم ينطق أى منهما بكلمة واحدة . عندما انتهى من تناول وجبته ، رأت السيدة أنه يجدر به أن يأوى إلى فراشه وينال قسطا من الراحة .

قالت السيدة : " لا أريد أن يراك زوجى قبل أن أخبره بسبب وجودك هنا . هل تحب أن تبقى معنا يا وودك ، إن وافق زوجى ؟ " .

أومأ وودك بالموافقة فى امتنان .

قالت السيدة : " إذاً اذهب الآن إلى فراشك " .

أطاع وودك أمر السيدة وأخذ يتضرع إلى الله أن يوافق زوج السيدة على أن يعيش معهما . بدأ يخلع ملابسه فى تؤدة ثم صعد فوق السرير . كان السرير نظيفا للغاية وكانت الملاءات نظيفة للغاية وكانت المرتبة ناعمة ووثيرة ، ثم ألقى بالوسائد على الأرض ولكن الإنهاك كان قد دفعه إلى الاستسلام للنوم بالرغم من وثارة الفراش المريح . استيقظ من نومه العميق بعد مرور بضع ساعات قليلة على أصوات مرتفعة صادرة من المطبخ . لم يتمكن من تحديد الوقت الذى استغرقه فى النوم . كان الظلام قد حل فى الخارج عندما تسلل من



سريره وسار نحو الباب ؛ وفتحه برفق وأخذ ينصت إلى الحوار الدائر فى المطبخ .

" أنت امرأة حمقاء " ، سمع وودك العبارة فى صوت حاد . " ألا تدركين ما كان يمكن أن يحدث إن كان قد قبض عليك ؟ كانوا سيرسلونك أنت إلى معسكرات الاعتقال " .

" ولكنك لو رأيته يا بيوتر ، لقد كان أشبه بالحيوان المطارد " .

قال الرجل : " لذلك فقد قررت أن تحيلينا جميعا إلى حيوانات مطاردة . هل رآك أشخاص آخرون ؟ " .

أجابت المرأة : " كلا ، لا أظن ذلك " .

" نحمد الله على ذلك . يجب أن يرحل على الفور من هنا قبل أن يدرك أى شخص أنه موجود . هذا هو أملنا الوحيد " .

أخذت الزوجة ترجو زوجها : " ولكن إلى أين يذهب يا بيوتر ؟ إنه تائه ولا يعرف أحدا ، كما أننى طالما أردت أن يكون لى ولد " .

" أنا لا أكترث بما تريدين أو إلى أين يذهب ؛ هذه ليست مسئوليتنا ويجب أن نتخلص منه سريعا " .

" ولكن يا بيوتر ، أعتقد أنه من أصل ملكى ؛ أعتقد أن والده كان بارونا . إنه يرتدى سوارا فضيا حول معصمه محفور عليه ... " .

" إن هذا لا يزيد الأمور إلى سوءا . أنت تعلمين جيدا ما قرره زعماؤنا الجدد . لا للقياصرة ، لا للملكية ؛ لا للامتيازات . إننا حتى لم نملك وقتا للذهاب إلى المعسكر لأن السلطات سوف تقتلنا فى مكاننا " .

" ولكننا طالما أردنا أن ننجب ولدا يا بيوتر . ألا يشجعنا هذا على أن نقدم على هذه المجازفة الوحيدة فى حياتنا ؟ " .

" فى حياتك أنت ربما ولكن فى حياتى أنا فلا . أنا أقول إنه يجب أن يرحل ويجب أن يرحل الآن " .

لم يكن وودك بحاجة إلى الاستماع إلى المزيد من الحوار . وقد قرر أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن يساعد بها السيدة التى آوته وأحسنت إليه هو أن يختفى بدون أن تدرى فى ظلام الليل . فارتدى ملابسه سريعا وأخذ يتأمل الفراش الوثير آملا ألا تمر أربع سنوات أخرى قبل أن تتسنى له فرصة النوم فى سرير مشابه . كان بصدد فتح النافذة عندما فتح الباب ودخل ناظر المحطة إلى الغرفة ؛ كان رجلا ضئيلا ؛ لا يتعدى طوله وودك وكان صاحب بطن كبيرة ورأس صلعاء باستثناء بعض الخصلات الرمادية التى كان يستحيل تمشيطها بشكل لائق والتى كانت تبدو وكأنها ريشة . كان الرجل يرتدى نظارة غير مؤطرة كانت قد تركت أنصاف دوائر حمراء تحت كل عين . وكان يحمل لبة إضاءة من البرفين . وقف يتأمل وودك بينما وقف وودك يتأمله هو الآخر فى ريبة .

قال الرجل فى لهجة آمرة : " تعال فى الدور السفلى " .

سار وودك خلف الرجل فى تردد نحو المطبخ . كانت المرأة تبكى وهى جالسة على المائدة .

قال الرجل : " الآن ؛ اصغ إلىّ يا فتى " .

اعترضته السيدة قائلة : " اسمه وودك " .

" والآن ؛ اصغ إلى يا فتى " كرر الرجل عبارته . " أنت سوف تكون بمثابة مصدر مشاكل بالنسبة لنا وأريدك أن تخرج من هنا وتذهب فى أبعد مكان . سوف أخبرك بما سوف أفعله لكى أساعدك " .

" تساعدنى ؟ " تأمله وودك فى ذهول .

" سوف أمنحك تذكرة قطار . إلى أين تريد أن تذهب ؟ "



" أوديسا " . قال وودك ذلك وهو يجهل مكان هذه المدينة وقيمة التكلفة التى سوف يتكبدها للوصول إلى هناك ؛ كان كل ما يعلمه هو أنها كانت المدينة الثانية فوق طريق الحرية كما جاء فى خريطة الطبيب .

" أوديسا ؛ أم الجريمة ؛ إنه مكان مناسب " . قالها ناظر المحطة فى تهكم . " ولكنك سوف تتعرض للأذى هناك " .

" إذاً دعه يبقى معنا يا بيوتر . سوف أتولى مهمة رعايته ؛ سوف ... " .

" كلا ؛ يستحيل ؛ سوف أدفع لهذا اللقيط ثمن التذكرة " .

قالت المرأة فى توسل : " ولكن كيف سينجح فى اجتياز السلطات ؟ " .

" سوف أصدر له تذكرة وبطاقة مرور إلى أدويسا " . ثم أدار رأسه فى اتجاه وودك : " بما أن تستقر على متن القطار ؛ يا فتى ؛ إن سمعت عنك أو رأيتك ثانية هنا فى موسكو فسوف أقبض عليك بنفسى وأزج بك فى أقرب سجن. وسوف تعاد ثانية إلى معسكر الاعتقال بأسرع ما يمكن ؛ هذا إن لم أطلق النار عليك أولا " .

أخذ الرجل يتأمل الساعة المعلقة على رف المطبخ ؛ كانت تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق . استدار نحو زوجته : " هناك قطار سوف يرحل إلى أوديسا فى منتصف الليل . سوف أصحبه إلى المحطة بنفسى . أريد أن أتأكد من أنه سوف يغادر موسكو . هل تحمل أية حقائب يا فتى ؟ "

كان وودك على وشك أن يجيب بالنفى ؛ عندما قالت له السيدة : " نعم ؛ سوف أذهب لإحضار الحقائب " .

أخذ وودك وناظر المحطة يتأملان بعضهما البعض باحتقار متبادل . غابت المرأة لفترة طويلة . دقت ساعة الجد مرة واحدة فى غيابها . لم يكن أى منهما قد تفوه بكلمة بينما بقيت عينا ناظر المحطة مثبتتين على وودك . عندما عادت زوجة الرجل ، كانت تحمل لفافة ورقية كبيرة بنية اللون مربوطة بشريط . أخذ وودك يحدق فيها وكان على وشك الاعتراض ولكن عندما نظر فى عين السيدة ، استشعر مدى الخوف الذى كانت تشعر به فما كان منه إلا أن أجاب فى اقتضاب : " أشكرك " .

قالت السيدة وهى تزج بإناء الحساء الخاص بها فى اتجاه وودك : " تناول هذا " .

أطاع وودك أمرها ، بالرغم من أن معدته المتقلصة كانت فى ذلك الوقت ممتلئة عن آخرها ، تناول الحساء فى أسرع وقت ممكن ، حتى لا يسبب لها المزيد من المشاكل .

قال الرجل : " حيوان " .

نظر إليه وودك وقد ملأ الكره عينيه ، وشعر بالشفقة تجاه السيدة التى كان قد حكم عليها أن تظل مرتبطة بهذا الرجل طوال حياتها .

قال ناظر المحطة : " تعال هنا يا فتى ، لقد حان وقت الرحيل . نحن لا نريد أن يفوتك القطار ، أليس كذلك ؟ " .

سار وودك خلف الرجل خارجا من المطبخ ، وقد شعر بالتردد وهو يمر بجوار السيدة . لمس يدها وشعر باستجابتها . لم ينطق أحد بكلمة ، لم تبد الكلمات مناسبة فى ظل هذا الموقف . تسلل ناظر المحطة والهارب فى شوارع موسكو وهما يسيران بعيدا عن الأعين إلى أن وصلا إلى المحطة . قطع ناظر المحطة تذكرة ذهاب إلى أوديسا ثم أعطى قصاصة الورق الحمراء الصغيرة إلى وودك .



سأل وودك فى تشكك : " هل هذا هو جواز مرورى ؟ " .

استخرج الرجل من جيبه الداخلى أحد النماذج الرسمية ووقع عليها بسرعة وأعطاها لوودك خلسة . بقيت عينا ناظر المحطة تدوران فى كل أنحاء المكان ترقبا لأى خطر محدق . كان وودك قد رأى مثل هذه العيون كثيرا على مدى السنوات الأربع الأخيرة . إنها عيون الجبناء .

قال ناظر المحطة فى نبرة تهديد المحتالين : " إياك أن أراك أو أسمع عنك ثانية " . كان وودك قد سمع هذا الصوت كثيرا على مدى السنوات الأربع الماضية .

رفع عينيه وكأنما يريد أن يقول شيئا . ولكن ناظر المحطة كان قد توارى بالفعل فى سواد الليل الحالك حيث مكانه المناسب . أخذ وودك ينظر فى أعين الناس الذين كانوا يمرون بسرعة بجانبه . نفس العيون ، نفس الخوف ، هل هناك شخص يشعر بالحرية فى ظل هذا العالم ؟ أحكم وودك قبضته على اللفافة الورقية بنية اللون تحت ذراعه وثبت قبعته فوق رأسه وسار نحو الحاجز . كان يشعر فى هذه المرة بمزيد من الثقة . استخرج جواز مروره وأبرزه للحارس الذى سمح له بالمرور بدون تعليق . صعد على متن القطار . كانت زيارته إلى موسكو قصيرة كما أنه لن تتاح له فرصة رؤيتها ثانية فى المستقبل . بالرغم من أنه لن ينسى أبدا طيبة السيدة التى قابلها ، زوجة ناظر المحطة ، يا إلهى ! .... لم يكن حتى يعرف اسمها .

بقى وودك جالسا فى عربة الدرجة العامة بالقطار لكى يقطع رحلته . كانت المسافة بين أوديسا وموسكو أقل كثيرا من المسافة التى تفصل بين إيركوتسك وموسكو . كان طول المسافة يقترب من طول إصبع واحد على خريطة الطبيب ، كانت على بعد ٨٠٠ ميل فى واقع الأمر . بينما كان وودك يدرس خريطته البدائية ، لفت

انتباهه ثانية لعبة القمامرة الدائرة فى عربة القطار . طوى خريطته وأعادها بحرص ثانية إلى بطانة بزته وبدأ يبدى اهتماما باللعبة . وقد لاحظ أن أحد المقامرين كان يكسب بشكل دائم حتى عندما تكون كل فرص الحظ مناوئة له . أخذ وودك يراقب الرجل بمزيد من الحرص وسرعان ما أدرك أن الرجل كان يغش فى اللعب .

انتقل وودك إلى الجانب الآخر من العربة بحيث يتمكن من رؤية الرجل وهو يغش وهو فى مواجهته ولكنه عجز عن ذلك . تقدم وودك إلى الأمام واتخذ لنفسه مكانا فى دائرة المقامرين . وعرف كيف كان المقامر الغشاش يكسب المقامرين الآخرين ، واستطاع وودك " بكشفه الطريقة أن يحقق المكسب ، وشعر المقامر الغشاش بأنه من الحكمة أن يبقى صامتا أمام وودك إلى أن وصل القطار إلى المحطة التالية ؛ كان وودك قد كسب أربعة عشر روبل أنفق اثنين منها لشراء ثمرة تفاح وكوب من الحساء الساخن . كان قد كسب ما يكفيه من المال حتى نهاية رحلته إلى أوديسا وكان مسرورا لأنه كان قد تعلم حيلة لكسب المزيد من المال باستخدام طريقته الجديدة الآمنة . شكر المقامر المجهول فى نفسه وعاد ثانية داخل القطار لكى يطبق استراتيجيته الجديدة . ولكن ما إن لمست قدمه الدرج العلوى ؛ إلا وقد أطيح به فى أحد أركان القطار . ثم تم توثيق يديه بشدة خلف ظهره ودفع رأسه بقوة فى مقابل جدار العربة . بدأ أنفه ينزف . شعر أن حافة السكين تلمس فص أذنه .

" هل تسمعنى يا فتى ؟ " .

أجاب وودك فى ذعر : " أجل " .

" إن عدت إلى عربتى ثانية ؛ فسوف أقتلع أذنك هذه . ولن تستطيع بعدها أن تسمعنى ثانية ؛ أليس كذلك ؟ " .

قال وودك : " أجل يا سيدى " .



شعر وودك بحافة السكين وهى تخترق سطح جلده خلف أذنه وبدأت الدماء تتساقط على عنقه .

" ليكن هذا تحذيرا لك يا فتى " .

ضربه الرجل بأقصى قوته فى كليتيه . فانهار وودك فوق الأرض . ثم دس الرجل يده فى جيوب معطف وودك وسرق المبلغ الذى كان وودك قد كسبه .

قال الرجل : " إنها لى ؛ أليس كذلك ؟ " .

كانت الدماء مازالت تسيل من أنف وودك وخلف أذنه . عندما استجمع شجاعته لكى ينظر إلى أعلى ؛ وجد نفسه وحيدا ؛ لم يكن هناك أثر للمقامر . حاول أن ينهض على قدميه ؛ ولكن جسده رفض أن ينصاع للأمر الصادر من عقله ؛ فبقى ملقى فى أحد الأركان لبضع دقائق . وأخيرا عندما نجح فى النهوض من مكانه ؛ سار ببطء نحو الطرف المقابل للقطار فى أبعد مكان عن عربة المقامر ؛ كان يعرج بشكل ملحوظ . اختبأ فى عربة تشغلها النساء والأطفال وسقط فى سبات عميق .

عندما توقف القطار فى المحطة التالية ؛ لم يغادر وودك القطار . فك لفافته الصغيرة وأخذ يحدق إليها . كانت تحتوى على التفاح والخبز كما كان فيها قميص وبنطال حتى أنه وجد حذاء داخل هذا الكنز الصغير . ارتدى وودك ملابسه الجديدة . يالها من سيدة نبيلة وياله من زوج وقح .

أكل ونام وحلم . وأخيرا وبعد خمس ليال وأربعة أيام ؛ وصل القطار محطته الأخيرة فى أوديسا . مر وودك بنفس إجراء فحص الهوية المعتاد عند الحاجز ولكن كل أوراقه كانت سليمة حتى أن الحارس لم يلق إليه سوى نظرة خاطفة ثانية . لقد أصبح وودك الآن

حر نفسه . كان مازال يملك ١٥٠ روبل فى بطانة كمه ولم تكن لديه نية إهدارها .

قضى وودك باقى اليوم فى التجول فى أنحاء المدينة محاولا التآلف مع جغرافيتها ولكنه وجد نفسه مشدوها ومشوشا بشكل دائم بالمشاهد التى لم يكن قد شاهد مثلها من قبل ؛ المنازل الكبيرة والمتاجر ذات النوافذ والباعة المتجولين وهم يبيعون بضائعهم فى الشوارع ، والإنارة بالغاز وحتى القرود التى تلهو على العصى . أخذ وودك يسير إلى أن وصل إلى الميناء والبحر المفتوح . نعم ؛ ها هو ذا ؛ هذا هو البحر الذى أشار إليه البارون . أخذ وودك يتأمل طول البحر وامتداده فى زرقة الأفق ؛ هذا هو طريق الحرية والفرار من روسيا . لابد أن هذه المدينة قد ذاقت هى الأخرى نصيبها من ويلات الحروب ؛ بدا ذلك واضحا فى البيوت المحروقة والوسخ ؛ كان الشيء المثير للاستغراب وسط كل هذا هو عبير البحر الفواح . أخذ وودك يتساءل ما إن كانت المدينة مازالت تعيش حالة حرب . ولكن لم يكن هناك أحد يمكنه أن يطرح عليه هذا السؤال. ومع اختفاء الشمس خلف البنايات ؛ أخذ وودك يبحث عن مكان يمكن أن يقضى فيه ليلته . سار وودك فى أحد الشوارع الجانبية وظل يواصل السير ؛ لابد أن مظهره قد بدا غريبا وهو يرتدى المعطف من فراء الخروف الذى ظل يجره بطول الطريق واللفافة الورقية البنية التى كان يحملها تحت ذراعه . لم يبد له أى شيء آمنا إلى أن وصل إلى أحد أركان محطة القطار حيث كانت تقف بعض عربات القطار فى عزلة . أخذ يحدق إليها بحذر ؛ لم يكن يحيط بالمكان سوى الظلام والصمت ؛ لم يكن هناك أحد . ألقى لفافته الورقية فى العربة ورفع جسده المنهك على متنها وانزوى فى أحد الأركان وراح



فى سبات عميق . وبمجرد أن لمست رأسه الأرض الخشبية ؛ إذا بجسد ينقض عليه ويدين يقبضان على عنقه . كاد يختنق .

زمجر صاحب الصوت قائلا : " من أنت ؟ " ؛ كان الصوت لفتى بدا له فى الظلام فى مثل سنه .

" وودك كوسكيفيتش " .

" من أين أتيت ؟ " .

" من موسكو " ؛ كانت سلونيم على طرف لسانه .

أجابه الصوت : " حسنا ولكنك لن تنام فى عربتى يا موسكوفيتش " .

قال وودك : " آسف " لم أكن أعرف " .

قال الصوت وهو يضغط على حلق وودك : " هل تحمل أية نقود ؟ " .

قال وودك : " القليل فقط " .

" كم من النقود ؟ "

" سبعة روبلات " .

" أعطنى إياها " .

أخذ وودك يبحث فى جيب معطفه الخارجى بينما دس الفتى أيضا يده بقوة داخل المطعف بعد أن فك قبضته عن عنق وودك .

وفى لحظة ؛ ركل وودك بطن الفتى بركبتيه بكل ما أوتى من قوة . فطار خصمه إلى الخلف فى ألم ؛ وهو قابض على بطنه . وثب وودك عليه وأخذ يسدد له اللكمات بوحشية . وفجأة انقلب ميزان القوة لصالح وودك وأيقن الفتى أنه ليس أهلاً للصراع معه . كان النوم فى إحدى عربات القطار بمثابة النوم فى فندق خمس نجوم مقارنة بحياته فى القبو ومعسكر الأعمال الشاقة فى روسيا .

لم يكف وودك عن مهاجمة خصمه إلا عندما وجده مسجى على الأرض دون حراك . عندها أخذ الفتى يتوسل إلى وودك .

قال وودك : " اذهب إلى مؤخرة العربة وابق هناك . إن حركت ساكنا ؛ فسوف أقتلك " .

قال الفتى وهو يسير إلى هناك ناجيا بنفسه : " نعم ؛ نعم " .

سمعه وودك وهو يلقى بنفسه فى مؤخرة العربة . بقى وودك جالسا فى مكانه فى سكون وأخذ ينصت لبضع دقائق ـ بدون حراك ـ ثم نكس رأسه ثانية على الأرض وفى لحظات استسلم لسبات عميق .

عندما استيقظ وودك ؛ كانت الشمس قد ألقت بخيوط ضوء الصباح على أسطح عربات القطار . استدار وألقى نظرة على خصم ليلته الماضية للمرة الأولى . كان لا يزال مستلقيا فى الوضع الذى نام عليه ؛ وكان لا يزال يغط فى نومه فى نهاية الطرف المقابل من العربة .

قال له وودك آمرا : " تعال هنا " .

استيقظ الفتى فى بطء .

" تعال هنا " كررها وودك ؛ بصوت أكثر ارتفاعا .

أطاع الفتى أمره على الفور . كانت هذه هى أول فرصة أتيحت لوودك لكى يلقى نظرة متفحصة على الفتى . كان الفتى فى مثل عمره تقريبا ولكنه كان أطول منه بقدم ؛ وصاحب وجه أكثر براءة وشعر أشقر جعد .

قال وودك : " لنبدأ بالأولويات . كيف يمكن أن نحصل على شيء لتناوله على الإفطار ؟ " .

قال الفتى : " اتبعنى " ؛ ثم وثب خارج العربة . سار وودك وراءه ؛ وتبعه فوق المرتفع ثم إلى المدينة ؛ حيث وجدا سوق الصباح



قد فتح أبوابه بالفعل . لم يكن وودك قد رأى كل هذا الكم من أنواع الطعام منذ أيام العشاء المترف مع البارون . كانت هناك أكوام متراصة من الفاكهة والخضر وحتى أنواع المكسرات المفضلة . وقد لمح الفتى نظرة الانبهار فى عين وودك .

قال الفتى ؛ فى نبرة ثقة لم يسبق له أن تحدث بها من قبل : " والآن سوف أخبرك بما سوف نفعله . سوف أذهب إلى أحد أركان مكان العرض وأسرق برتقالة ثم ألوذ بالفرار ، ثم تصيح أنت بأعلى صوتك " اقبضوا على اللص ! " سوف يهرع عندها صاحب البضاعة لمطاردتى ؛ وعندما يهم بذلك تتحرك أنت وتملأ جيوبك بالطعام . ولكن لا تكن طماعا ؛ احصل على ما يكفينا لوجبة واحدة . ثم تعود بعدها إلى هذه النقطة التى نقف عندها . اتفقنا ؟ "

قال وودك : " نعم ؛ أعتقد ذلك " .

" دعنا نرى إن كنت ستجيد ذلك يا موسكوفيت " . نظر إليه الفتى ؛ وكشر عن وجهه ثم مضى . أخذ وودك يتأمله فى إعجاب عندما ذهب إلى ركن أول عارضة مبيعات فى السوق وسرق برتقالة من أعلى هرم البرتقال ؛ثم أشار إلى صاحب العارضة فى صمت وبدأ يجرى فى بطء . ثم نظر إلى وودك ؛ الذى كان قد نسى تماما أن يصيح قائلا : " امسك باللص " ولكن صاحب المحل تنبه من تلقاء نفسه وبدأ يطارد الفتى . بينما التفتت كل الأنظار إلى رفيق وودك ؛ أسرع وودك ونجح فى جمع ثلاث برتقالات وتفاحة وثمرة بطاطا ووضعها فى جيوب معطفه الكبيرة . وعندما كاد صاحب المحل أن يمسك بصاحب وودك أعاد إليه الفتى البرتقالة وأخذ الرجل يسبه ويلعنه ويشير بقبضة يده وهو يشكو فى تذمر لباقى التجار من حوله .

كان وودك يشعر بالانتشاء من شدة الفرح وهو يراقب المشهد . وإذا به يجد يدا تقبض على كتفه . استدار فى فزع ظنا منه بأن أحدا قد قبض عليه .

" هل حصلت على شيء يا موسكوفيت ؛ أم أنك قد اكتفيت بالمشاهدة ؟ "

انفجر وودك فى الضحك بعد أن زال عنه الذعر واستخرج البرتقالات الثلاث والتفاحة وثمرة البطاطا . ثم شاركه الفتى الضحك .

سأله وودك : " ما اسمك ؟ " .

" ستيفان " .

" دعنا نعيد الكرة ثانية ؛ يا ستيفان " .

" تمهل يا موسكوفيت ؛ لا تكن أحمق . فإذا أردنا هذا ثانية الآن ؛ فيجب أن نذهب إلى الطرف المقابل من السوق وننتظر لمدة ساعة واحدة على الأقل . أنت تعمل مع شخص محترف ؛ ولكن لا تتصور أنه لا يمكن القبض علينا " .

سار الفتيان فى هدوء إلى أن وصلا إلى نهاية السوق المقابلة . كان ستيفان يسير فى ثقة كان وودك على استعداد للمقايضة عليها مقابل البرتقال والتفاح والبطاطا وال١٥٠ روبل . اختلط الفتيان مع باقى المتسوقين ، وعندما قرر ستيفان أن الوقت المناسب قد حان ؛ كررا نفس الحيلة ثانية . بعد أن حصدا حصيلة جيدة ؛ عادا إلى محطة القطار للاستمتاع بتناول الغنيمة ؛ ست برتقالات وخمس تفاحات وثلاث ثمرات بطاطا وثمرة كمثرى ومجموعة متنوعة من المكسرات وأخيرا الجائزة الكبرى ؛ ثمرة شمام . فى الماضى لم يكن ستيفان يستطيع أن يحصل على مثلها لأنه لم يكن يملك جيبا واسعا لحملها



بداخله . ولكن معطف وودك الكبير هو ما سمح له باقتناء هذه الثمرة .

قال وودك وهو يغرس أسنانه فى ثمرة البطاطا : " ليس سيئا " .

سأله ستيفان فى فزع : " هل تأكل القشر أيضا ؟ "

أجاب وودك : " هناك أماكن يكون فيها تناول القشر رفاهية " .

قال سيفان : " أنت تريد أن تحصل على كل شيء فى يوم واحد ، أليس كذلك ؛ أيها الزعيم ؟ مجموعة تشين فى الضفة هى الأفضل ؛ هل تظن أنك أهل للانضمام إلى هذه المجموعة يا موسكوفيت ؟ "

قال وودك : " أرنى إياها " .

بعد أن تناولا نصف حصيلة الفاكهة وقاما بتخبئة النصف الآخر منها تحت كومة القش فى أحد أركان عربة القطار ؛ قاد ستيفان وودك وهبطا الدرج إلى أن وصلا إلى الميناء وأراه هناك السفن المتعددة . لم يصدق وودك عينيه . كان البارون قد حكى له من قبل عن السفن الكبيرة التى كانت تعبر أعالى البحار وهى تحمل البضائع من دولة إلى أخرى ؛ ولكن السفن التى شاهدها كانت أكبر مما تصوره كما أنها كانت تقف فى صف يمتد على مرمى البصر .

قاطع ستيفان حبل أفكار وودك قائلا : " هل ترى هذه السفينة الواقفة هناك ؛ تلك السفينة الخضراء الكبيرة ؟ حسنا ؛ ما عليك هو أن تحمل سلة من أسفل سلم السفينة وتملأها بالحبوب ثم تصعد السلم ثانية وتفرغ حمولتك بداخلها . سوف تحصل على روبل مقابل كل أربع رحلات . ولكن احرص على أن تعد جيدا يا

موسكوفيت ؛ لأن هذا المحتال المسئول عن العصابة سوف يخادعك لكى يحصل على المال لنفسه " .

قضى ستيفان وودك باقى الظهيرة فى حمل الحبوب . ووصلت حصيلتهما إلى ستة وعشرين روبل . بعد تناول عشاء مؤلف من المكسرات المسروقة والخبز وثمرة بصل لم يكن فى نيتهما سرقتها ؛ ناما فى سعادة فى عربة القطار الخاصة بهما .

كان وودك هو الأول فى الاستيقاظ فى صباح اليوم التالى حيث وجده ستفيان يدرس خريطته .

قال ستيفان : " ما هذا ؟ " .

" هذا هو الطريق الذى يجب أن أسلكه لكى أفر من روسيا " .

قال ستيفان : " ولم تريد أن تترك روسيا ؛ يمكنك أن تبقى معى ونعمل سويا ؟ يمكن أن نصبح شركاء " .

" كلا ؛ يجب أن أذهب إلى تركيا ؛ هناك سوف أكون رجلا حرا لأول مرة . لم لا تأتى معى يا ستيفان ؟ "

" لا يمكننى أن غادر أوديسا أبدا . هذا هو وطنى ؛ هنا فى المحطة التى أعيش فيها والأشخاص الذين عرفتهم طوال سنوات عمرى كما أن الأمر يمكن أن يكون أكثر سوءا فى تركيا . ولكن إن كان هذا هو ما تريد ـ فسوف أساعدك " .

سأله وودك : " ولكن كيف أتعرف على السفينة المتجهة إلى تركيا ؟ " .

" هذا أمر سهل ؛ لأننى أستطيع أن أعرف المكان الذى ترسو فيه كل سفينة . سوف أحصل على هذه المعلومة من جو صاحب السنة الواحدة والذى يقطن فى نهاية الجسر . ولكن يجب أن تمنحه روبل واحداً فى المقابل " .

" وسوف تتقاسم معه المبلغ بكل تأكيد ؛ أليس كذلك " .



قال ستيفان : " النصف مقابل النصف ، أنت تتعلم سريعا يا موسكوفيت " .

وهنا وثبا ثانية من العربة .

سار وودك خلفه بينما كان هو يجرى بين عربات القطار ؛ وقد أدرك وودك ثانية كيف أن غيره من الصبية يملكون القدرة على العدو بسهولة بينما هو يتعثر ويعرج فى مشيته . عندما وصلا إلى نهاية الجسر ؛ قاده ستيفان إلى غرفة صغيرة ممتلئة بالكتب المغطاة بالأتربة وموائد قديمة . لم يستطع وودك أن يلمح أى شخص آخر هنا ولكنه سمع بعدها صوتا من رواء كومة كبيرة من الكتب يقول : " ماذا تريد أيها الفتى الصغير ؟ ليس لدىَّ وقت لكى أضيعه معك " .

" أريد بعض المعلومات لصديقى المسافر يا جو . ما هى الرحلة التالية إلى تركيا ؟ "

قال الرجل العجوز الذى ظهرت رأسه من وراء الكتب : " أعطنى المال مقدما " ؛ كان صاحب وجه نحيف مكفهر وكان يرتدى قبعة بحرية فوق رأسه . بقيت عيناه السوداوان مثبتتين على وودك .

قال ستيفان وهو يتمتم فى صوت مرتفع قليلا لكى يسمع جو : " لقد كان بحارا عظيما " .

" لا تخادع يا فتى ؛ أين الروبل ؟ " .

قال ستيفان : " صديقى يحمل حافظتى . أره الروبل يا وودك " .

استخرج وودك عملة معدنية . قضمها جو بالسنة الوحيدة المتبقية لديه وسار يجر قدميه إلى أن وصل إلى حاملة الكتب واستخرج جدولاً زمنياً كبيراً أخضر اللون . وما إن فعل حتى تناثر

التراب فى كل أنحاء المكان . بدأ يسعل وهو يقلب الصفحات المتسخة ؛ ويراجع القوائم الطويلة بإصبعه القصير البدين المغطى بقطعة من القماش .

" الخميس المقبل سوف تأتى الريناسكا لكى تحمل بالفحم وسوف تغادر على الأرجح يوم السبت . إن نجحت فى تعبئة حمولتها فى وقت مبكر فقد تبحر مساء الجمعة وتوفر بعض نفقات الوقوف فى الميناء . سوف ترسو عند المرسى رقم سبعة عشر " .

قال ستيفان : " أشكرك يا صاحب السنة الواحدة . سوف أرى إن كان بوسعى أن أصحب لك المزيد من أصدقائى الأثرياء فى المستقبل " .

رفع جو معصمه وهو يسب بينما جرى ستيفان وودك إلى الخارج متجهين نحو رصيف الميناء .

بقى الصبيان على مدى الأيام الثلاثة التالية يسرقان الطعام وينقلان الحبوب إلى السفن ثم ينامان . ومع حلول الموعد الذى وصلت فيه السفينة التركية فى الخميس التالى ؛ كان ستيفان قد أقنع وودك بأن يبقى معه فى أوديسا . ولكن خوف وودك من الروس فاق كل المزايا التى حظى بها فى حياته مع ستيفان .

وقفا فوق رصيف الميناء وهما يحدقان فى السفينة القادمة التى سوف ترسو فوق الرصيف ١٧ .

سأل وودك : " كيف سأصعد على متن السفينة ؟ "

قال ستيفان : " هذا أمر بسيط . يمكننا أن ننضم إلى مجموعة نقل البضائع صباح غد . سوف أقف وراءك ؛ وعندما تكون حمولة الفحم على وشك الاكتمال ؛ يمكنك أن تقفز داخل السفينة وتختبئ بينما سوف أحضر لك أنا سلتك وأسير نازلا من الجانب الآخر " .



قال وودك : " وسوف تحصل أيضا على حصتى من المال ؛ بلا شك " .

قال ستيفان : " بالطبع . يجب أن تكون هناك بعض المكافآت المادية لذكائى الخارق وإلا فكيف أواصل احتفاظى بثقتى فى الشركات الحرة ؟ " .

انضم الفتيان إلى مجموعة نقل البضائع فى الصباح الباكر وأخذا يحملان الفحم وينقلانه إلى السفينة إلى أن أوشك اليوم على نهايته ولكن الحمولة مع ذلك لم تكن قد امتلأت حتى نصفها مع حلول الليل . نام الصبيان ليلتهما . وفى صباح اليوم التالى ؛ بدءا ثانية وبعد منتصف الظهيرة ؛ عندما كانت الحمولة قد أوشكت على الاكتمال ؛ ركل ستيفان كاحل وودك .

قال ستيفان : " فى المرة القادمة يا موسكوفيت " .

عندما وصلا إلى قمة السلم ؛ أفرغ وودك حمولته من الفحم وألقى بالسلة على رصيف الميناء وقفز فوق جانب السفينة ورسا فوق الفحم بينما حمل استيفان سلة وودك وواصل سيره إلى أن هبط من الجانب المقابل من السلم وهو يصفر .

قال ستيفان : " إلى اللقاء يا صديقى . وحظا سعيدا مع الخونة الأتراك " .

انزوى وودك فى أحد أركان الحمولة وأخذ يراقب الفحم وهو يصب بجواره . كان التراب يغطى أرجاء المكان ؛ كان يغطى أنفه وفمه ورئتيه وعينيه . وبجهد مؤلم منع نفسه من السعال خشية أن يسمعه أحد أفراد طاقم الإبحار. وفى الوقت الذى كان قد أدرك فيه أنه لن يستطيع تحمل الهواء الصادر من الحمولة وأنه يجدر به أن يعود إلى ستيفان ويبحث له عن مهرب آخر ؛ إذا بالأبواب تغلق أمامه . أخذ يسعل سعالا متواصلا .

وبعد لحظات ؛ شعر أن هناك شيئاً يقضم كاحله . تجمدت الدماء فى عروقة من شدة الخوف عندما أدرك حقيقة ما يجرى . نظر إلى أسفل محاولا التعرف على المكان الذى جاء منه هذا القارض . وبما أن ألقى قطعة من الفحم للوحش الصغير الذى جرى يعدو وراءها حتى ظهر له وحش آخر ثم ثالث ورابع . كانت الأكثر شجاعة تعض ساقيه . بدا له وكأن هذه الحيوانات الصغيرة تظهر من تلقاء نفسها . كانت سوداء وكبيرة وجائعة . أخذ يحدق فى الأرض بحثا عنها . كانت المرة الأولى فى حياته التى أدرك فيها أن الفئران لها عيون حمراء . أخذ يصعد بصعوبة إلى أن وصل إلى قمة كومة الفحم وفتح الباب . عظت أشعة الشمس أرجاء المكان واختفت الفئران داخل جحورها الخاصة فى الفحم . بدأ يصعد خارجا ولكن السفينة كانت قد ابتعدت كثيرا عن الميناء . فسقط ثانية داخل المخزن وهو يشعر بالرعب . إن اضطرت السفينة للعودة ثانية وتسليم وودك فهذا يعنى عودة أكيدة إلى المعسكر ٢٠١ والروس البيض . ولهذا فقد قرر أن يبقى مع الفئران السوداء . بمجرد أن أغلق وودك الباب ؛ ظهرت له الفئران ثانية . كانت هذه المخلوقات القذرة ما إن يختفى بعضها إثر إلقاء وودك لقطع الفحم ؛ يظهر البعض الآخر فى بقعة أخرى . كان وودك يقوم بفتح باب المخزن كل بضع دقائق لكى يسمح بمرور بعض الضوء الذى بدا له أنه حليفه الوحيد الذى يخيف تلك القوارض القبيحة ويصرفها عنه .

على مدى يومين وثلاث ليال ؛ بقى وودك يخوض حرباً ضروساً ضد الفئران بدون أن يحظى ولو بدقيقة واحدة من النوم الهادئ . وعندما رست السفينة أخيرا فى ميناء القسطنطينية وقام أحد العمال بفتح باب المخزن ؛ كان وودك قد غطاه السواد من منبت رأسه حتى ركبتية وكانت الدماء تغطيه من ركبتيه وحتى أخمص قدميه .



سحبه العامل إلى الخارج . حاول وودك أن يتمالك نفسه ويقف ولكنه سقط فوق كومة على سطح السفينة .

عندما وصل وودك ـ لم يكن يعرف أين وصل وبعد أى قدر من الوقت ـ وجد نفسه فى سرير داخل غرفة صغيرة ووجد ثلاثة رجال فى معاطف بيضاء طويلة يتفحصونه بمنتهى الدقة . كانوا يتحدثون لغة لم يكن وودك قد سمع بها من قبل فى حياته . كم يبلغ عدد اللغات فى العالم ؟ نظر إلى نفسه ؛ كان مازال يغطيه اللونان الأسود والأحمر ، وعندما حاول أن يجلس ؛ دفعه أحد الرجال الثلاثة الذى كان الأكبر سنا بينهم ؛ بقوة فى فراشه ؛ كان الرجل صاحب وجه نحيل طويل ولحية . أخذ يخاطب وودك فى لغته الغريبة . هز وودك رأسه . حاول الرجل أن يتحدث مع وودك بالروسية . فهز وودك رأسه ثانية ؛ فقد كان تحدثه بالروسية يعنى إعادته سريعا إلى المكان الذى أتى منه . ثم تحدث الرجل الألمانية وقد لاحظ وودك فى هذه الأثناء أن إجادته للغات تفوق إجادة المتحدث لها .

" هل تتحدث الألمانية ؟ " .

" نعم " .

" إذن أنت لست روسيا ؟ " .

" كلا " .

" ماذا كنت تفعل فى روسيا ؟ " .

" كنت أحاول الهرب " .

" نعم " . استدار الرجل نحو زملائه وبدأ يترجم لهم الحوار بلغتهم . ثم غادر ثلاثتهم الغرفة .

دخلت إحدى الممرضات فى غرفة وودك وأخذت تنظف جروحه بدون أن تلتفت إلى صرخات الألم الصادرة منه . غطت ساقيه بمرهم

بنى سميك وتركته لينام ثانية. عندما استيقظ وودك فى المرة الثانية ، كان وحيدا داخل الغرفة . أخذ يحدق إلى السقف الأبيض وهو يفكر فى خطوته التالية .

لم يكن واثقا فى أى بلد من البلاد كان قد وصل ؛ صعد إلى النافذة المرتفعة وأخذ ينظر عبرها . شاهد أحد الأسواق التى لا تختلف كثيرا عن سوق أوديسا باستثناء أن الرجال كانوا يرتدون رداء أبيض طويلاً وكانوا أكثر اسمراراً . كانوا يرتدون أيضا قبعات ملونة بدت وكأنها أصص مقلوبة لزهور صغيرة كما كانوا يرتدون الصنادل فى أقدامهم . كانت كل النساء مغطاة بالسواد حتى وجوههن كانت مغطاة باستثناء العيون . أخذ وودك يتأمل صخب السوق بينما كانت النساء تقايض من أجل شراء احتياجاتهن ؛ يبدو أن هذا الأمر على الأقل كان من الأمور المتعارف عليها دوليا .

مرت عدة دقائق قبل أن يلحظ أن هناك فى أحد جوانب المبنى بجوار النافذة سلما حديديا أحمر اللون يصل الأرض . نزل من عند النافذة وسار بحرص صوب الباب وفتحه وأخذ يراقب الردهة . كان هناك الكثير من النساء والرجال الذين يحومون ذهابا وإيابا ولكن لم يبد أى منهم أية بادرة اهتمام به . أغلق الباب فى رفق ؛ ووجد مقتنياته فى الدولاب فى أحد أركان الغرفة . ارتدى ملابسه بسرعة . كانت ملابسه مازالت سوداء بفعل تراب الفحم وكان يشعر أنها رملية خشنة فوق بشرته النظيفة . عاد ثانية إلى النافذة وفتحها بسهولة . وأمسك بإحكام سلم الطوارئ ومر من النافذة وبدأ ينزل فى طريقه إلى الحرية . كان أول شىء صدمه هو السخونة . تمنى لو لم يكن مرتديا معطفه الثقيل .

بمجرد أن لمس الأرض حاول أن يعدو ولكن ساقيه كانتا أضعف من ذلك فلم يقو سوى على السير ببطء . لكم تمنى أن يشفى من هذا



العرج . لم ينظر ثانية فى اتجاه المستشفى وظل سائرا إلى أن غاب فى زحام السوق .

بدأ وودك ينظر إلى الطعام المغرى وأماكن العرض وقرر أن يشترى برتقالة وبعض المكسرات . وقف فى الصف وهو يرتدى بزته ؛ بالطبع سوف أجد المال فى الكم . ولكنه لم يعثر على المال ؛ والأسوأ من ذلك هو أنه لم يجد سواره الفضى أيضا . فكر أن يعود ثانية إلى المستشفى لكى يسترجع سواره ولكنه قرر ألا يعود قبل أن يتناول بعض الطعام . ربما كان قد بقى لديه بعض المال فى جيبه . أخذ يبحث فى جيوب معطفه الخارجى وعثر على الفور على ثلاث عملات ورقية وبعض العملات المعدنية . وجدها موضوعة مع خريطة الطبيب وسواره الفضى . شعر وودك بغبطة لهذا الاكتشاف . ارتدى السوار سريعا ودفعه أعلى مرفقه .

اختار وودك أكبر ثمرة برتقال وقعت عيناه عليها وحفنة من المكسرات . قال له صاحب المتجر شيئا لم يفهمه وودك . وجد وودك أن أسهل طريقة للخروج من المأزق هو أن يمد يده إلى البائع بخمسين روبل . نظر البائع في النقود وأخذ يضحك ثم رفع يده إلى السماء .

" يا الله " . صاح الرجل بذلك وهو يستعيد المكسرات والبرتقال من وودك ويصرفه بعيدا بإصبعه . سار وودك فى يأس ؛ لابد أن اللغة المختلفة تعنى عملة مختلفة . فى روسيا كان وودك فقيرا أما هنا فهو معدم . كان يجب أن يسرق برتقالة ؛ فإن شعر أن البائع سوف يقبض عليه ، يمكنه أن يلقيها ثانية إليه . سار وودك حتى طرف السوق المقابل بنفس الطريقة التى علمها له ستيفان ولكنه لم ينجح فى تقليده كما أنه لم يكن يملك نفس الثقة التى كان يتمتع بها ستيفان . اختار آخر متجر وعندما تيقن أن أحدا لا ينظر إليه ؛

التقط برتقالة وبدأ يجرى . وفجأة سمع هديراً . بدا له وكأن نصف المدينة تطارده .

قفز رجل ضخم الجثة على وودك المتعثر فى مشيته ودفعه على الأرض . أحكم ستة أو سبعة أشخاص قبضتهم على مختلف أجزاء جسده لشل حركته بينما كان هناك حشد أكبر من البشر متجمعين حوله وهو يسحب ليعاد ثانية إلى المتجر الذى سرقه . كان هناك رجل شرطة يقف فى انتظار الحشد . تم تحرير محضر وكان هناك حديث جهرى بين صاحب المتجر ورجل الشرطة ؛ كان صوت كل منهما يزداد ارتفاعا مع كل عبارة . استدار رجل الشرطة بعدها صوب وودك وأخذ يصيح فيه هو الآخر ولكن وودك لم يفهم كلمة واحدة . رفع رجل الشرطى كتفيه إلى أعلى ثم سحب وودك من أذنه . واصل الحشد صياحه فى وودك . حتى أن بعضهم كان يبصق عليه . عندما وصل وودك إلى قسم الشرطة اقتيد إلى القبو حيث ألقى هناك فى زنزانة صغيرة كان يشغلها بالفعل عشرون أو ثلاثون مجرما ما بين لصوص وقطاع طرق . لم يتحدث وودك معهم ولم يبد أى منهم رغبته فى التحدث معه . بقى وودك مسندا ظهره للحائط فى فزع وذعر . بقى على مدى يوم وليلة هناك بلا طعام . كانت رائحة البراز قوية إلى الحد الذى جعله يتقيأ كل ما فى معدته . لم يخطر بباله يوما أنه سيأتى يوما يكون قبو سلونيم بالنسبة لما هو فيه مكاناً هادئاً وغير مزدحم .

وفى صباح اليوم التالى اقتيد وودك من القبو على يد حارسين وسار معهما إلى أن وصل إلى قاعة تجمع فيها مع عدد كبير من السجناء الآخرين . ثم قام الحراس بتقييدهم مع بعضهم البعض فى حبال من الخصر واقتيدوا جميعا من السجن فى صف طويل إلى أن وصلوا إلى الشارع . كان هناك حشد كبير آخر مجتمع فى الشارع



أخذ يهتف ويرجب بهم فى صوت عال مما دفع وودك إلى الاعتقاد بأنهم كانوا قد انتظروا مقدم السجناء لفترة طويلة . سار الحشد خلفهم إلى أن وصلوا إلى السوق وقد عمه الصياح والتصفيق والصراخ ولكن ترى لأى سبب . خشى وودك حتى أن يتأمل المشهد من حوله . توقف الصف عندما وصلوا إلى ميدان السوق . وعندها تم تحرير وثاق السجين الأول واقتيد إلى منتصف الميدان الذى كان يعج بالفعل بمئات من البشر يصيحون بأعلى صوت .

راقب وودك المشهد فى حالة عدم تصديق . وهناك هاله فظاعة عقوبة السرقة ، حيث كان السارق فى هذا البلد يلقى عقاباً رادعاً لم يكن ليتصوره وودك .

أخذ وودك يبحث فى كل اتجاه عن المساعدة أو أية وسيلة للهرب ؛ أخذت عيناه تدوران فى الوجوه المحتشدة من حوله إلى أن شاهد رجلا يرتدى زيا أوروبيا وسط الزحام ؛ كان الرجل يرتدى بدلة سوداء ويقف على بعد ما يقرب من عشرين ياردة من وودك وكان يشاهد تنفيذ عقوبة السرقة وعلامات الدهشة ترتسم على وجهه . ولكنه لم ينظر مرة واحدة فى اتجاه وودك ؛ كما أنه لم يسمع صيحاته وهو يحاول أن يستنجد به وهو يقف فى المؤخرة . هل كان الرجل فرنسيا ؛ ألمانيا ؛ إنجليزيا أو حتى بولنديا ؟ لم يستطع وودك أن يتبين جنسيته ولكن لسبب ما كان الرجل واقفا ليشاهد هذا الحدث . أخذ وودك يحدق إليه ، محاولا أن يلفت نظره إليه ولكن الرجل لم يفعل . حرك وودك يده الحرة وأخذ يلوح بها ولكن مع ذلك عجز عن جذب انتباهه . فك وثاق الرجل الذى كان يسبق الرجل الذى أمام وودك واقتيد على الأرض جهة منصة تنفيذ العقوبة . وعندما لمح الرجل وودك استدار ليتحدث مع زميله الذى لم يكن وودك قد لاحظه من قبل . كان الحارس الآن يناضل

مع السجين الذى يقف أمام وودك مباشرة لكى يقتاده إلى منصة تنفيذ الحكم لكى يلقى عقوبته . ظل وودك ينظر ثانية إلى الأوربيين . كان كلاهما فى هذه المرة ينظران إليه . كان يريدهما أن يتحركا ولكنهما اكتفيا بالتحديق إليه .

جاء الرجل وألقى بمعطف وودك الذى كان يساوى ٥٠ روبل على الأرض وفك طرف كمه ثم طواه . أخذ وودك يناضل بلا جدوى بينما كان يسحب فى الميدان . لم يكن كفئا للحارس . عندما وصل إلى منصة تنفيذ العقوبة لكمه الحارس فى مؤخرة ركبتيه فتهاوى على الأرض . تم تقييد معصمه الأيمن فى لوح خشبى ولم يكن قد بقى أمامه سوى أن يغمض عينيه أثناء ارتفاع السيف فوق رأس منفذ الحكم . ظل منتظرا فى حالة ذعر للضربة القاضية ولكن فجأة حدث صمت مفاجئ فى الحشد عندما سقط سوار البارون الفضى من فوق مرفق وودك واستقر فوق معصمه على اللوح الخشبى . ساد الحشد صمت مخيف عندما أخذ السوار الموروث يلمع تحت ضوء الشمس . توقف منفذ الحكم ونكس سيفه وأخذ يفحص الكلمات المحفورة على السوار . فتح وودك عينيه . حاول الحارس انتزاع السوار من معصم وودك ولكنه عجز عن تمريره عبر الرباط الجلدى الذى كان يوثق يده . جرى أحد الرجال ممن كانوا يرتدون ملابس رسمية صوب منفذ الحكم . بدا أنه كان صاحب سلطة أعلى . بقى السيف على الأرض بينما بدأ الحشد عندها يسخر ويتهكم . حاول الضابط الثانى أيضا أن ينتزع السوار الفضى ولكنه عجز هو الآخر عن تمريره عبر اللوح الخشبى وبدا أنه لم يكن على استعداد لفك وثاق وودك . أخذ يصيح ببعض الكلمات فى وجه وودك ولكنه لم يفهم ما كان يقوله فأجاب بلغته البولندية : " أنا لا أتحدث لغتكم ".



ارتسمت علامات الدهشة على الرجل ورفع يده فى الهواء وقال : " الله ! " . سار الضابط ببطء نحو الرجلين اللذين كانا يرتديان اللباس الغربى وسط الحشد بينما كانت الأيدى تلوح فى كل مكان وكأنها طاحونة هواء مضطربة . أخذ وودك يتضرع إلى الله كما يفعل الجميع فى هذه الحالة باختلاف الملل . كان الأوربيان مازالا يحدقان إلى وودك بينما كان وودك يومئ فى جنون . انضم أحد الرجلين إلى الضابط التركى بينما كان يسير عائدا إلى اللوح الخشبى . جلس الأخير على ركبتيه بجوار وودك وتفحص السوار الفضى ثم نظر إليه بعناية . بقى وودك منتظرا . كان يجيد خمس لغات وكان يدعو الله أن تكون لغة الرجل من بين هذه اللغات الخمس التى كان يعرفها . شعر بقبضة فى قلبه عندما وجد الرجل الأوروبى يتحدث إلى الضابط بنفس لغته . كان الهرج والمرج قد أصاب عندها الحشد المجتمع الذى بدأ يلقى بالفاكهة الفاسدة صوب اللوح الخشبى . أومأ الضابط بالموافقة بينما كان الرجل الأوروبى يحدق إلى وودك بمنتهى التركيز .

" هل تتحدث الإنجليزية ؟ " .

تنهد وودك فى ارتياح : " أجل يا سيدى ؛ إلى حد معقول . أنا مواطن بولندى " .

" وكيف حصلت على هذا السوار الفضى ؟ " .

" إنه لأبى ؛ يا سيدى . لقد مات فى السجن عندما احتل الألمان بولندا ، وعندما انتصر الروس قبضوا علىَّ وتم إرسالى إلى معسكر الاعتقال فى روسيا . هربت وجئت إلى هنا عن طريق البحر . لم أتناول الطعام منذ أيام . وعندما رفض صاحب المتجر قبول الروبل مقابل البرتقال ؛ أخذت واحدة لأننى كنت أتضور جوعا " .

نهض الرجل الإنجليزى ببطء من فوق ركبتيه واستدار جهة الضابط وتحدث إليه بمنتهى الحزم . فقام الضابط بدوره بالتحدث مع منفذ الحكم حيث أعلمه أن وودك كان يتضور جوعاً وأن نقوده لا يتم تداولها فى هذا البلد الأمر الذى اضطره للسرقة ، وهو ما يعنى سقوط عقوبة السرقة عنه ، حينئذ جثا الحارس على ركبتيه وقام بفك وثاق وودك .

قال الرجل الإنجليزى : " تعال معى ، تعال معى سريعا قبل أن يغيروا رأيهم " .

جذب وودك معطفه وهو مازال مشدوها ، وسار خلف الرجل . أخذ الحشد يتذمر ويتهكم ويلقى بأشياء عليه وهو يغادر المكان وعندها أسرع منفذ الأحكام بشد سجين آخر واقتياده إلى منصة تنفيذ الأحكام ، فهدأت حشود الناس .

سار الرجل الإنجليزى بسرعة عبر الحشد خارجا من الميدان حيث لحق بزميله .

" ما الذى حدث يا إدوارد ؟ " .

" هذا الفتى يدعى أنه من أصل بولندى وأنه قد هرب من روسيا . وقد أخبرت الضابط التركى أنه إنجليزى الجنسية وأنه تابع لنا . دعنا نصحبه إلى السفارة ونحقق فى أقواله ومدى صدقها " .

أخذ وودك يعدو بين الرجلين بينما كانا يسيران مسرعين عبر السوق ثم فى شارع السبع ملوك . وتوارى صوت الحشد الذى كان يصيح فى رضا مع كل ضربة بالسيف .

سار الرجلان عبر مدخل حجرى فوق أرض مغطأة بالحصاة صوب مبنى رمادى كبير وطلبا من وودك أن يتبعهما . كانت كلمة السفارة الإنجليزية مدونة مصحوبة بعبارة ترحيب على باب



السفارة . ما إن دخلوا جميعا المبنى ؛ بدأ وودك يشعر بأنه فى مأمن للمرة الأولى . مضى خلف الرجلين مجاريا سرعتهما فى ممر طويل محفوف بجدران مغطاة برسومات لجنود وبحارة غرباء الشكل . وفى نهاية الجدار كانت هناك صورة رائعة لرجل كبير السن فى زى بحرى أزرق اللون متوج بالميداليات والنياشين . وقد ذكرته لحية الرجل الأنيقة بالبارون . ظهر لهم جندى فجأة وحياهم .

" خذ هذا الصبى أيها العريف سميثرس لكى يأخذ حماما ثم يتناول الطعام فى المطبخ . عندما يفرغ من تناول الطعام وتتحسن رائحته الكريهة ؛ ابحث له عن ملابس جديدة وأحضره إلى مكتبى " .

قال العريف محييا الرجل : " أمرك يا سيدى " .

" تعال معى أيها الغلام . " ثم سار الجندى مبتعدا . سار وودك خلف الرجل فى انصياع وهو يجرى لكى يجارى سرعته . اقتيد إلى قبو السفارة وترك فى غرفة صغيرة ذات نافذة ضيقة . طلب منه العريف أن يخلع ملابسه ثم تركه لحاله . عاد إليه بعد بضع دقائق حاملا بعض الملابس ؛ ليجد وودك مازال جالسا على حافة السرير بكامل ملابسه وهو يعبث بالسوار الفضى ويديره حول معصمه .

" أسرع يا غلام ؛ أنت لست فى مشفى " .

قال وودك : " آسف يا سيدى " .

" لا تنادنى بسيدى يا غلام وإنما بالعريف سميثرس . نادنى بالعريف " .

" أنا وودك كوسكيفيتش ؛ نادنى بوودك " .

" لا تكن مهرجا يا غلام . لدينا ما يكفى من المهرجين فى الجيش الإنجليزى ولسنا بحاجة للمزيد " .

لم يفهم وودك ما كان يعنيه العريف . ولكنه خلع ملابسه بسرعة .

" اتبعنى سريعا " .

حمام رائع آخر من الماء الساخن والصابون . تذكر وودك السيدة الكريمة فى موسكو وكيف أنه كاد يصبح ابناً لها ولكن ليس لزوجها . حصل وودك على ملابس جديدة كانت تبدو غريبة ولكنها كانت نظيفة طيبة الرائحة . ولكن لأى أب سوف ينتمى هذه المرة ؟ عاد الجندى ثانية عند الباب .

قاد العريف سميثرس وودك إلى المطبخ وتركه هناك مع طاهية ممتلئة القوام ذات وجه وردى دافئ الملامح لم يكن وودك قد شاهد مثله منذ أن غادر بولندا . لقد ذكرته بـ " نيانيا " . أخذ وودك يتساءل عما يمكن أن يحدث لمقاس خصرها بعد قضاء أسابيع قليلة فى المعسكر ٢٠١ .

قالت السيدة فى ابتسامة حنونة : " مرحبا . ما اسمك إذن ؟ " .

أخبرها وودك باسمه .

" حسنا أيها الغلام الصغير ؛ يبدو أنك بحاجة إلى وجبة إنجليزية شهية ؛ لأن الطعام التركى الردىء لن يجدى معك . سوف نبدأ بتناول بعض الحساء الساخن وشرائح اللحم البقرى . أنت بحاجة إلى وجبة دسمة تستطيع أن تواجه بها السيد برندرجاست " . ثم ضحكت واستطردت قائلة : " فقط تذكر أن فعله أقل وطأة من كلامه . بالرغم من أنه مواطن إنجليزى فهو يتمتع بقلب طيب " .

سأل وودك مندهشا : " ولكنك إنجليزية يا سيدتى الطاهية ؟ " .



قالت وهى تضحك : " يا إلهى ، كلا يا غلامى الصغير أنا اسكتلندية . هناك فارق كبير . نحن نكره الإنجليز أكثر مما نكره الألمان " . وضعت أمام وودك طبقاً من الحساء الساخن المزود باللحم والخضراوات . كان وودك قد نسى تماما رائحة الطعام الزكية ومذاقه الشهى . تناول طعامه ببطء خشية ألا يحصل على مثله ثانية قبل مرور زمن طويل .

ظهر العريف ثانية : " هل أنهيت تناول الطعام يا غلام ؟ "

" أجل ؛ أشكرك يا سيدى العريف " .

نظر إليه العريف فى ارتياب ؛ ولكنه لم ير أى أثر للسخرية فى تعبير الفتى . " حسنا ؛ إذاً دعنا ننصرف من هنا . لا يمكن أن نتأخر عن السيد برندرجاست " .

اختفى العريف ثانية بعد أن مر عبر باب المطبخ ثم نظر وودك إلى الطاهية . كان يكره دائما أن يودع شخصا قد قابله لتوه وخاصة إن كان هذا الشخص قد عامله بلطف .

" هيا امض يا غلامى الصغير ؛ يجب أن تعرف جيدا ما يجب عليك فعله " .

قال وودك : " أشكرك يا سيدتى الطاهية . لن أنسى طعامك أبدا " .

ابتسمت إليه الطاهية مرة أخرى . كان عليه أن يسير مسرعا ثانية لكى يجارى العريف الذى كانت سرعته فى السير غير متوافقة مع عرج وودك . توقف الجندى فجأة خارج باب كاد وودك أن يلج من خلاله داخل الغرفة .

" انظر إلى أين تذهب يا غلام ؛ انظر إلى أين تذهب " .

طرق الرجل طرقة خفيفة على الباب .

أجابه صوت من الداخل : " ادخل " .

فتح العريف الباب وحيا الرجل : " الفتى البولندى يا سيدى ؛ لقد استحم وتناول الطعام كما أمرت يا سيدى " .

" أشكرك أيها العريف . هل يمكنك أن تتكرم بدعوة السيد جرانت للحضور والانضمام إلينا ؟ "

نظر إدوارد برندرجاست إلى وودك وهو جالس على مكتبه . ثم دعا وودك للجلوس بإشارة من يديه وواصل انهماكه فى بعض الأوراق . بقى وودك محدقا إلى الرجل ثم أخذ يتأمل الصور المعلقة فوق الجدار . المزيد من اللواءات والأميرالات وها هو الرجل صاحب الذقن ثانية ؛ ولكن فى هذه المرة وهو يرتدى الزى الحربى كاكى اللون . مرت بضع دقائق ثم جاء الرجل الإنجليزى الآخر الذى كان وودك قد قابله فى ميدان السوق .

" أشكرك لانضمامك إلينا يا هارى . أرجوك اجلس أيها الفتى " . استدار السيد برندرجاست نحو وودك : " والآن يا غلام ؛ دعنا نسمع قصتك من البداية بدون مبالغات؛ نحن فقط نريد الحقيقة . هل تفهم ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

بدأ وودك قصته من أيام بولندا . كان يبذل جهدا لكى يعثر على الكلمات الإنجليزية الصحيحة . كانت علامات الريبة مرتسمة بوضوح على وجه السيدين الإنجليزيين فى البداية . كانا يعترضان حديثه من وقت إلى آخر لطرح بعض الأسئلة ثم يومئ كل منهما للآخر عند سماع الرد . بعد ساعة من الحديث ، كانت قصة حياة وودك قد وقفت عند حد وجوده فى مكتب السيد صاحب السمو البريطانى ؛ القنصل الثانى فى تركيا .



قال القنصل : " أعتقد يا هارى أن واجبنا أن نخطر الوفد البولندى على الفور ونقوم بتسليم كوسكيفيتش الصغير لهم . أعتقد أنه بلا شك تحت مسئوليتهم فى ظل هذه الظروف " .

أجاب الرجل الذى كان يدعى هارى : " موافق . أتعرف يا بنى ، لقد نجوت اليوم بمعجزة فى ميدان السوق . إن العقوبة هنا فى تركيا تقضى بقطع يد السارق " .

قال وودك وهو يقبض على معصم يده : " ولكن لماذا لم يبتروا يدى أنا " .

قال إدوارد برندرجاست مقاطعا : " لقد قلت لهم إن بوسعهم تطبيق ذلك على المسلمين كما يحلو لهم ولكن ليست يد رجل إنجليزى " .

قال وودك فى صوت خافت : " الحمد لله " .

قال القنصل الثانى ؛ وهو يبتسم للمرة الأولى : " اشكرنى أنا أيضا . يمكنك أن تقضى الليلة هنا وسوف نصحبك إلى وفد بلادك غدا . إن البولنديين لا يملكون سفارة فى القسطنطينية فى واقع الأمر . ولكن مثلى لا يعجز عن المساعدة " . كان الرجل يتحدث فى شىء من التعالى ، ثم ضغط على زر ؛ فظهر العريف ثانية فى الحال .

" أمرك سيدى " .

" أيها العريف ؛ خذ كوسكيفيتش الصغير إلى غرفته وفى الصباح احرص على أن يتناول إفطاره ثم أحضره إلى مكتبى فى تمام الثامنة " .

" أمرك سيدى ؛ سر يا فتى " .

قاد العريف وودك . لم تتح له أبدا فرصة شكر الرجلين الإنجليزيين اللذين كانا قد أنقذا يده وربما حياته كلها . عاد وودك

ثانية إلى الغرفة الصغيرة النظيفة بفراشها الوثير النظيف المرتب جيدا كما لو كان فى انتظار شرف ضيافته . خلع وودك ملابسه وألقى بالوسائد على الأرض ونام فى سبات عميق إلى أن أشرقت شمس الصباح عبر النافذة .

" قم وانشط يا غلام " .

قالها العريف مرتديا زيه المتأنق المكوى بمنتهى الدقة والذى بدا وكأنه لم ينم فى فراش مطلقا من قبل . وقد شعر وودك وهو يستيقظ من نومه أنه قد عاد إلى المعسكر ٢٠١ لأن العريف كان قد طرق على طرف الإطار المعدنى للسرير بعصاه مما أصدر صوتا شبيهاً بالطرق على المثلث الذى كان وودك قد تعود عليه . نهض من على فراشه وذهب لارتداء ملابسه .

" اغتسل أولا يا غلام ، اغتسل أولا. نحن لا نريد أن تتسرب رائحتك الكريهة إلى السيد برندرجاست وتؤذيه فى وقت مبكر من الصباح " . لم يكن ووك يدرى أى جزء من جسده ينبغى أن يغسله ، حيث إنه لم يعتد النظافة منذ فترة طويلة . أخذ العريف يحدق فيه .

" ما الذى أصاب ساقك ، يا غلام ؟ " .

قال وودك وهو ينأى بنفسه عن عيون العريف : " لا شيء ، لا شيء " .

حسنا . سوف أعود فى غضون ثلاث دقائق . ثلاث دقائق ، هل تسمعنى يا غلام ؟ احرص على أن تكون مستعدا " .

غسل وودك يديه ووجهه بسرعة ثم ارتدى ملابسه . ثم بقى منتظرا فوق مؤخرة السرير وهو ممسك بمعطفه الطويل المصنوع من فراء الخروف حتى عاد العريف لكى يصحبه إلى القنصل الثانى . رحب به السيد برندرجاست وبدا أكثر ودا عن اللقاء الأول .



" صباح الخير يا كوسكيفيتش " .

" صباح الخير يا سيدى " .

" هل استمتعت بالإفطار ؟ " .

" لم أتناول الإفطار يا سيدى " .

قال القنصل الثانى وهو ينظر إلى العريف : " ولم لا ؟ " .

" أخشى أنه أفرط فى النوم يا سيدى . أى أنه كان سيتأخر على موعدك يا سيدى " .

" حسنا ، يجب أن نتدبر هذا الأمر . اطلب من السيدة هندرسون أن تعد له إفطارا سريعا ، تفاحة أو أي شيء يمكن تناوله " .

أجاب العريف : " أمرك يا سيدى " .

سار وودك مع القنصل الثانى ببطء بطول الردهة نحو الباب الأمامى من السفارة فوق الطريق المغطى بالحصاة إلى أن وصلا إلى السيارة التى كانت تقف فى انتظارهما ، كانت سيارة أوستين ، إحدى المركبات القليلة ذات المحركات فى تركيا وأول رحلة لوودك فى سيارة خاصة . كانت يشعر بالأسف لمغادرة السفارة البريطانية . كان أول مكان يشعر فيه بالأمان منذ سنوات . أخذ يتساءل إن كان سيتسنى له أن ينام أكثر من ليلة فى نفس الفراش لباقى حياته . هبط العريف الدرج وجلس فى مقعد قائد السيارة . وأعطى وودك تفاحة وبعض الخبز الدافئ .

" احرص على ألا تخلف أى فتات فى السيارة يا غلام . الطاهية ترسل لك بتحياتها " .

مضت السيارة تشق طريقها وسط الشوارع المزدحمة الحارة بنفس سرعة المشاة حيث إن الأتراك كانوا لا يؤمنون بأنه لا توجد أى سرعة تفوق سرعة الجمل مما كان يجعلهم لا يبذلون أى جهد

لإفساح الطريق للسيارة الأوستين الصغيرة . حتى بالرغم من أن كل النوافذ كانت مفتوحة ، كان وودك يتصبب عرقا جراء السخونة المتأججة بينما بقى السيد برندرجاست محتفظا بهدوئه ورباطة جأشه . حاول وودك أن يخفى نفسه وهو جالس على المقعد الخلفى للسيارة خشية أن يتعرف عليه أى شخص يمكن أن يكون قد شاهده فى اليوم السابق فيثير عليه الغوغاء . عندما توقفت السيارة السوداء عند مبنى متهالك مكتوب عليه السفارة البولندية ، شعر وودك بشيء من الإثارة تشوبها خيبة الأمل .

خرج ثلاثتهم من السيارة .

سأله العريف : " أين قلب التفاحة ، يا فتى ؟ "

" أكلته " .

ضحك العريف وطرق الباب . فتح رجل ذو وجه ودود وشعر أسود فاحم وفم مضلع . كان يرتدى قميصا ذا أكمام وكانت بشرته قد اكتسبت سمرة شديدة جراء التعرض للشمس . تحدث الرجل بالبولندية . كانت كلماته هى أول ما سمعه وودك بلغته الأم منذ أن ترك معسكر الاعتقال . أجاب وودك سريعا وهو يشرح سبب وجوده . استدار الرجل البولندى نحو القنصل الإنجليزى الثانى .

" تفضل يا سيد برندرجاست " ، قالها الرجل فى انجليزية متقنة " لقد أحسنت صنعا بإحضار الفتى بنفسك إلى هنا " .

جرت بعض المداولات الدبلوماسية القليلة بين الجانبين إلى أن قام السيد برندرجاست والعريف ليغادرا المكان . أخذ وودك يتأمله وهو يبحث عن تعبير إنجليزى أكثر ملاءمة من كلمة " أشكرك " .

ربت برندرجاست على رأس وودك كما لو كان جروا صغيرا . وعندما أغلق العريف الباب، همس لوودك قائلا : " حظا سعيداً يا غلام . يعلم الله أنك تستحق المعروف " .



قدم القنصل البولندى نفسه لوودك باسم " باول زالسكى " . وطلب من وودك ثانية أن يعيد عليه قصته كاملة ؛ وقد وجد وودك سهولة أكبر فى رواية قصته بالبولندية عن الإنجليزية . أنصت إليه باول زالسكى فى صمت وهو يهز رأسه فى أسى .

قال القنصل فى أسى : " أيها الفتى المسكين ، لقدت تحملت عبئا كبيرا من معاناة بلادنا ؛ عبئا يفوق عمرك . والآن ما الذى تريد أن نفعله من أجلك ؟ "

قال وودك : " يجب أن أعود إلى بولندا وأطالب بحقوقى الشرعية فى قصر أبى وممتلكاته " .

قال باول زالسكى : " بولندا ! أين ممتلكاتك هذه ؟ إن مساحة الأرض التى تتحدث عنها مازالت تخضع للنزاع ومازالت هناك حرب طاحنة بين البولنديين والروس . إن الجنرال بيلسودسكى يبذل قصارى جهده لكى يحمى أراضى أجدادنا ويزود عنها . ولكنه سوف يكون من الجنون بالنسبة لأى منا أن يكون متفائلا فى ظل هذه الأحداث . هناك القليل مما بقى لك الآن فى بولندا . كلا ؛ إن أفضل خطة بالنسبة لك الآن هى أن تبدأ حياة جديدة فى إنجلترا أو أمريكا " .

" ولكننى لا أريد أن أذهب إلى إنجلترا أو أمريكا فأنا بولندى " .

" سوف تبقى دائما بولنديا يا وودك ؛ لا يمكن لأحد أن ينتزع هذا منك فى أى مكان استقر اختيارك عليه . ولكن يجب أن تتسم بالواقعية فى حياتك ، التى بدأت بالفعل " .

نكس وودك رأسه فى يأس . هل أقدم على فعل كل هذا وخوض الصعاب لكى يكتشف فى نهاية المطاف أنه لن يملك العودة إلى وطنه الأم ؟ أخذ يقاوم حتى لا يذرف الدمع .

لف باول زالسكى كتف الطفل بذراعيه : " إياك أن تنسى أنك أحد المحظوظين الذين نجحوا فى الهروب أحياء . يجب أن تتذكر يا صديقى دائما الدكتور دوبان لكى تتذكر دائما ما كان يمكن أن تكون حياتك عليه " .

لم يتحدث وودك .

" والآن يجب أن تلقى ماضيك وراء ظهرك وتفكر فى المستقبل فقط يا وودك ؛ وربما سوف تشهد نهوض بولندا ثانية فى حياتك ولكن هذا أكثر مما يمكن أن أتطلع أنا إليه " .

بقى وودك صامتا .

قال القنصل فى صوت رقيق : " حسنا - ليس هناك ضرورة لاتخاذ قرار عاجل . يمكنك أن تبقى هنا كما يحلو لك إلى أن تتخذ قرارا بشأن مستقبلك " .



# الفصل العاشر

كان المستقبل من الأشياء التى تثير قلق آن . كانت الشهور القليلة الأولى من زواجها شهورا سعيدة ؛ لم يكن ينغصها سوى قلقها من الكراهية المتزايدة من ويليام لهنرى وعدم قدرة زوجها الجديد على بدء حياته العملية . كان هنرى حساسا فى هذا الصدد وكان يفسر ذلك لزوجته آن بأنه كان مازال مشوشا جراء الحرب وأنه ليس مهيأ للإسراع والتعجل خشية التداعيات التى يمكن أن تقع له إن أقدم على هذه الخطوة فى ظل حالة عدم استقراره . وجدت آن صعوبة فى تصديق هذا التبرير مما دفعها إلى المبادرة بإثارة هذا الأمر فى أول فرصة سانحة .

" أنا لا أفهم سبب عدم إقدامك على بدء حياتك العملية فى مجال العقارات الذى كنت تتوق إليه يا هنرى " .

" لا أستطيع ، ليس الوقت مناسبا تماما بعد . إن السوق لا يبدو مشجعا فى الوقت الراهن " .

" لقد دأبت على قول ذلك منذ ما يقرب من عام إلى الآن . وإنى أتساءل متى سوف يكون مناسبا بشكل كاف بالنسبة لك ؟ " .

" سوف يحين الوقت المناسب بالطبع ولكن الحقيقة هى أننى بحاجة لإضافة القليل من رأس المال لكى أبدأ . أى أنك إن أقرضتنى بعض المال فسوف أتمكن من اقتحام السوق غدا " .

" ولكن هذا مستحيل يا هنرى . أنت تعلم شروط وصية ريتشارد . إن مخصصاتى المالية قد توقفت منذ اليوم الذى تزوجتك فيه ، فلم أعد أملك الآن إلا رأس المال " .

" القليل فقط من رأس مالك سوف يساعدنى على البدء ، ولا تنسى تلك الثروة الطائلة التى يملكها ابنك الغالى والتى تصل إلى عشرين مليون دولار تحت وصية العائلة " .

قالت آن فى ريبة : " يبدو أنك تعرف الكثير عن ثروة ويليام " .

" أرجوك يا آن ، امنحينى الفرصة لكى أكون زوجك . لا تشعرينى بأننى ضيف وأنا فى بيتى " .

" ولكن أين مالك يا هنرى ؟ لقد قدتنى إلى الاعتقاد بأنك تملك ما يكفى من المال لبدء حياتك العملية " .

قال فى سخرية : " لقد كنت تعرفين دائما أننى لست فى نفس المستوى المادى لريتشارد ، وفى إحدى المرات ،زعمت لى يا آن أن الأمر لا يعنيك وأنك سوف تتزوجين منى حتى إن كنت معدما " .

انفجرت آن فى البكاء وحاول هنرى أن يهدئ من روعها . فظلت باقى يومها بين ذراعيه وهما يتحدثان فى الأمر . وقد أقنعت آن نفسها فى نهاية المطاف أنها هى التى لم تتصرف التصرف الذى يليق بزوجة مخلصة وأنها لم تكن كريمة معه . إنها تملك من المال



ما يفوق احتياجاتها بكل المقاييس . لم لا تمنح الرجل الذى منحته حياتها القليل من هذا المال ؟

وبناء على ذلك ، وافقت آن على منح ريتشارد ١٠٠ ألف دولار لكى يؤسس شركته العقارية فى بوسطن . وفى غضون شهر كان هنرى قد أسس مكتبا جديدا أنيقا فى أحد الأحياء الراقية فى المدينة وعين طاقماً من العاملين وبدأ عمله . وسرعان ما بدأ يختلط بكبار رجال السياسة والعقارات فى بوسطن . كانوا يتحدثون عن الطفرة فى مجال الأراضى الزراعية وكانوا يطرون هنرى بعبارات النفاق . لم تكن آن تكترث كثيرا بهم كصحبة اجتماعية ولكن هنرى كان سعيدا وكان يبدو وكأنه ناجح فى عمله .

عندما بلغ ويليام الخامسة عشرة من عمره ، جاء ترتيبه السادس على فصلة فى عامه الثالث فى سانت بول بينما كان الأول فى الرياضيات . كما أصبح إحدى الشخصيات اللامعة فى المجتمع الأكاديمى . كان يكتب لأمه خطاباً كل أسبوع يذكر لها فيه مدى ما أحرزه من نجاح وكان يوجه خطاباته دائما باسم السيدة ريتشارد . كان رافضا الاعتراف بوجود هنرى أوسبورن . لم تكن آن واثقة من أنها يجب أن تفاتحه فى هذا الأمر وكانت تحرص صباح كل اثنين على استخراج خطاب ويليام من صندوق الخطابات لكيلا يرى هنرى المظروف . ظلت تأمل أن يعدل ويليام عن رأيه فى هنرى وأن يألفه بمرور الوقت . ومع ذلك بدا من الواضح لها أن هذا الأمل كان وهماً ، وخاصة عندما طلب منها فى أحد خطاباته أن تسمح له بقضاء عطلة الصيف مع صديقه ماثيو ليستر ، أولا فى المعسكر الصيفى فى فرمونت ثم مع أفراد أسرته فى نيويورك . كان هذا

الطلب بمثابة صدمة لآن ولكنها فضلت أن تتعامل مع الأمر ببساطة وأن تسمح له بذلك وهو ما حبذه هنرى أيضا .

كان ويليام يكره هنرى أوسبورن وكان يحرص على هذه الكراهية ويغذيها حتى أنه لم يكن واثقا أن بإمكانه فى واقع الأمر أن يفعل شيئا حيال هذا الشعور . كان ممتنا لأن هنرى لم يزره مرة واحدة فى المدرسة ، فلم يكن ويليام ليتحمل أن يرى باقى زملائه والدته بصحبة هذا الرجل . كان ما يثير ضيقه بشكل كبير هو أنه كان يجب أن يعيش معه فى نفس المنزل فى بوسطن .

لأول مرة منذ زواج والدته ، شعر ويليام بالقلق من اقتراب موعد العطلة .

قادت سيارة آل ليستر الباكار الهادئة ويليام وماثيو إلى المعسكر فى فرمونت . وفى أثناء الرحلة كان ماثيو يسأل ويليام من آن إلى آخر عن خططه المستقبلية عندما يحين وقت مغادرة سانت بول .

أجاب ويليام بلا تردد : " عندما أغادر سوف أكون أول فصلى ورئيس الفصل وسوف أكون قد حصلت على منحة هاميلتون الدراسية فى مادة الرياضيات فى هارفرد " .

سأل ماثيو فى براءة : " لم تمثل كل هذه الأمور أهمية بالغة بالنسبة لك ؟ " .

" لأن أبى فعل كل هذا " .

" عندما تفرغ من سباقك مع أبيك سوف أقدمك لأبى " .

ابتسم ويليام .

كان الفتيان مفعمين بالنشاط وقد استمتعا بالأسابيع الستة التى قضياها فى فرمونت وهما يمارسان كل الألعاب من لعبة الشطرنج وحتى كرة القدم . عندما حان وقت نهاية العطلة ، سافر الاثنان إلى نيويورك لقضاء الشهر الأخير من العطلة فى منزل آل ليستر .



ألقى الخادم عليهما التحية فور دخولهما من الباب ، مخاطبا ماثيو بلقب " سير " ثم جاءت فتاة فى الثانية عشرة من عمرها وجهها مغطى بالنمش وخاطبت ماثيو قائلة : " أيها البدين " . مما دفع ويليام إلى الضحك لأن صديقه كان نحيفا أما هى فقد كانت بدينة . ابتسمت الفتاة وكشفت عن أسنانها التى كانت مختبئة تماما خلف التقويم .

قال ماثيو فى ازدراء : " بالطبع لا يمكنك أن تصدق أن سوزان هى أختى ، أليس كذلك ؟ " .

قال ويليام وهو يبتسم إلى سوزان : " كلا ، لا أعتقد أننى يمكن أن أصدق ذلك . فهى أجمل منك بكثير " .

أعجبت سوزان بويليام منذ هذه اللحظة .

كما أعجب ويليام بوالد ماثيو منذ اللحظة الأولى التى التقى فيها به ، لقد ذكره كثيرا من عدة جوانب بأبيه وأخذ يلح على تشارلز ليستر ويرجوه أن يسمح له بزيارة البنك العظيم الذى كان يرأسه . فكر تشارلز بإمعان فى طلبه . لم يكن قد سمح لأى طفل من قبل بزيارة مقر البنك الأنيق الكائن فى ١٧ شارع برود ، ولا حتى ابنه . ولكنه مع ذلك قبل طلبه ـ كما يفعل أصحاب البنوك عادة ـ وصحب الفتى فى جولة فى أرجاء البنك فى وول ستريت مساء أحد أيام الأحد .

وقد انبهر " ويليام " بالمكاتب المتعددة وغرفة المعاملات المالية وقاعة مجلس الإدارة والخزنة ومكتب رئيس البنك . كانت أنشطة بنك ليستر تفوق حجم أنشطة بنك " كين وكابوت " وكان ويليام يعرف من خلال كشف حساب استثماراته الشخصية الضئيل والذى كان يحصل من خلاله على نسخة من التقرير السنوى العام أن ليستر كان يملك قاعدة رأس مال تفوق كثيرا قاعدة رأس مال " كين

وكابوت " . بقى ويليام صامتا ، ساهما ، أثناء طريق العودة إلى المنزل داخل السيارة .

سأله تشارلز ليستر فى صوت دافئ : " حسنا يا ويليام ، هل استمتعت بجولتك داخل البنك ؟ " .

أجاب ويليام : " أجل بالطبع يا سيدى . لقد أعجبنى البنك بالطبع " ثم سكت للحظة وأضاف : " وأنا عازم على أن أكون رئيسا لهذا البنك فى يوم من الأيام يا سيد ليستر " .

ضحك تشارلز ليستر . وأخبر ضيوفه على العشاء فى مساء ذلك اليوم بما قاله : " ويليام كين " مما دفعهم بدورهم إلى الضحك أيضا .

ولكن ويليام وحده هو الذى كان يعرف أنه لم يكن يمزح .

صدمت آن عندما عاد هنرى يطلب منها المزيد من المال .

قال لها مؤكدا : " إنه استثمار آمن للغاية . اسألى آلان ليويد ، إنه كرئيس للبنك لن يوافق إلا على ما يضمن مصلحتك للحد الأقصى " .

قالت آن فى تساؤل : " ولكنها مائتان وخمسون ألف دولار ؟ "

" إنها فرصة رائعة يا عزيزتى . إنه استثمار يحقق ضعف رأس المال فى غضون عامين " .

وبعد جولة مطولة أخرى ، استسلمت آن ثانية وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعى السلس . عندما راجعت آن حافظتها الاستثمارية مع البنك ، وجدت آن أن رأس مالها قد انخفض إلى ١٥٠ ألف دولار . ولكن هنرى بدا وكأنه يلتقى بالأشخاص المناسبين ويعقد كل الصفقات المناسبة . فكرت أن تناقش المشكلة بأسرها مع " آلان ليويد " فى بنك " كين وكابوت " ولكنها تراجعت عن هذه



الفكرة فى النهاية لأن هذا كان سيعكس عدم ثقتها فى زوجها الذى كانت تتمنى أن يكن له العالم كله كل الاحترام . كما أن هنرى بالطبع ما كان ليقدم على هذا الاقتراح ما لم يكن واثقا تمام الثقة من أن هذا الاستثمار سوف يلاقى قبول " آلان " .

بدأت آن من ناحية أخرى ، تلتقى بالدكتور مكنزى ثانية لكى تعرف ما إن كان قد بقى لها أمل فى إنجاب طفل آخر ، ولكنه بقى ثابتا على رأيه وبأنه ضد هذه الفكرة . فضلا عن إصابتها بارتفاع ضغط الدم الذى كان السبب وراء إجهاضها المبكر فى الحمل ، لم يكن أندرو مكنزى يرى أن عمر آن الذى كان قد بلغ خمسة وثلاثين عاما مناسبا للتفكير فى إنجاب طفل . طرحت آن الفكرة على الجدتين ولكنهما أيدتا بمنتهى الحماس رأى الطبيب المخلص . لم تكن أى منهما تكترث بهنرى كثيرا ، أما الأهم من ذلك فإنهما لم يحبذا على الإطلاق فكرة إنجاب ابن لأوسبورن يطالب بحقه فى ثروة عائلة كين بعد رحيلهما . بدأت آن توطن نفسها وتستسلم لفكرة كونها أما لابن واحد مما أثار ضيق هنرى بدرجة كبيرة لما وصفه بأنه خيانة ودفعه إلى اتهامها بأنه لو كان ريتشارد مازال على قيد الحياة لكانت قد حاولت ثانية . كم يختلف الرجلان عن بعضهما البعض ، ولكنها أحبت كليهما . حاولت أن تخفف عن هنرى وهى تتضرع إلى الله أن يسير عمله كما ينبغى لكى يشغل كل فكره ويصرفه عن التفكير فى هذا الأمر . كان هنرى قد تعود على العمل حتى وقت متأخر للغاية فى المكتب .

فى يوم الاثنين من شهر أكتوبر ، كانت عطلة نهاية الأسبوع التالية لثانى عيد زواج لهما ، عندما وصلت إلى آن بعض الخطابات الموقعة باسم " صديق " والتى تؤكد لها بأن هنرى يقيم علاقات مع نساء أخريات فى بوسطن مع وجود سيدة بذاتها على وجه التحديد

والتى لم يكترث المرسل بذكر اسمها ، فى البداية ، عمدت آن إلى حرق الخطابات فى الحال . وبالرغم من أنها كانت تثير قلقها إلا أنها لم تناقش الأمر أبدا مع هنرى وتتمنى من أعماق قلبها أن يكون كل خطاب تتلقاه هو الأخير ، لم تملك حتى الشجاعة لمواجهة هنرى عندما طلب منها آخر ١٥٠ ألف دولار بقيت لها .

" سوف أفقد الصفقة كاملة إن لم أحصل على هذا المبلغ فى الحال يا آن " .

" ولكن هذا هو كل ما تبقى لى . إن أعطيتك كل المال فلن يبقى لى شيء " .

" إن هذا البيت وحده يساوى أكثر من مائتى ألف دولار . يمكنك أن ترهنيه غدا " .

" ولكن هذا البيت ملك ويليام " .

صاح هنرى فى انفعال : " ويليام ، ويليام ، ويليام ، إن ويليام هو الذى يعترض دائما طريقى نحو النجاح " .

عاد هنرى ليلتها بعد منتصف الليل ، مبديا ندمه وأخبرها بأنه يفضل أن تحتفظ بمالها وأن يتخلى هو عن صفقته على أن يحتفظا على الأقل بالحب الذى يكنه كل منهما للآخر . أثارت هذه الكلمات ارتياح آن وباتا ليلتهما فى هدوء . ثم وقعت على شيك بمبلغ ١٥٠ ألف دولار فى صباح اليوم التالى محاولة أن تتناسى أنها قد أصبحت بذلك لا تملك مليما واحدا حتى يعقد ويليام الصفقة التى كان يتحدث عنها . ولكنها أخذت تتساءل هل كانت مجرد صدفة أن يساوى المبلغ الذى طالبها به كل ما بقى لها من ميراثها .

وفى الشهر التالى ، فاتت آن حيضة .

شعر الدكتور مكنزى بالقلق ولكنه حاول أن يخفيه ، أما الجدتان فقد ارتعدتا وقد عبرتا عن قلقهما . ولكن هنرى من ناحية



أخرى شعر بسعادة غامرة وأكد لآن أن هذا أروع ما حدث له طوال حياته . حتى أنه وافق على بناء جناح جديد للأطفال فى المستشفى الذى كان ريتشارد قد خطط لبنائه قبل وفاته .

عندما سمع ويليام بالنبأ عن طريق أحد خطابات والدته ، استغرق فى تفكير عميق عشية ذلك اليوم حتى أنه عجز عن الإفصاح بالأمر حتى لصديقه ماثيو . فى صباح السبت التالى ، بعد أن حصل على تصريح خاص من ناظر المدرسة السيد جرامبى راجلان أو " عبوس " كما كان يطلق عليه ، ركب القطار إلى بوسطن وسحب فور وصوله مائة دولار من حساب مدخراته . ثم توجه بعدها إلى مكتب " كوهين " للشئون القانونية ، مكتب " كوهين ويابلون " فى شارع جيفرسون . كان السيد " توماس كوهين " ـ الشريك الأكبر ـ رجلا طويلا شديد النحولة مترهل الخدين وقد شعر بشيء من الدهشة عندما فوجئ بدخول ويليام عليه فى مكتبه .

بدأ السيد كوهين حديثه : " لم يسبق من قبل أن زارنى فتى فى السادسة عشرة من عمره . سوف يكون هذا حدثا جديدا بالنسبة لى " . ثم قال فى تردد : " يا سيد كين " . لقد شعر أن كلمة " السيد كين " لم تكن تخرج بشكل انسيابى من فمه . " وخاصة أن والدك لم يكن ـ كيف لى أن أعبر عن ذلك ـ ممن يبدون تعاطفهم مع جنسنا " .

أجاب ويليام : " والدى كان من أشد المعجبين بإنجازات السلالة العبرية وكان يكن احتراما خاصا لشركتك وهى تمثل منافسينا . لقد سمعته هو والسيد ليويد يذكران اسمك فى عدة مناسبات . وهو ما دفعنى إلى اختيارك يا سيد كوهين ، لابد أن هذا تأكيد كاف بالنسبة لك " .

سرعان ما نحى السيد كوهين عمر ويليام جانبا : " بالطبع ، بالطبع ، يمكننى أن أقدم استثناء لابن ريتشارد كين . والآن ما الذى يمكن أن أسديه لك ؟ " .

" أريد أن أعرف الإجابة عن ثلاثة أسئلة يا سيد كوهين . أولا ، أريد أن أعرف إن كانت أمى السيدة هنرى أوسبورن سوف تنجب طفلا - ذكرا كان أو أنثى - فهل سيكون لهذا الطفل أية حقوق قانونية فى ثروة عائلة " كين " ؟ ثانيا ، هل هناك أية التزامات قانونية يجب أن أمنحها للسيد هنرى أوسبورن بصفته زوجا لأمى ؟ ثالثا أريد أن أعرف فى أى سن يحق لى أن أطلب من السيد أوسبورن أن يغادر منزلى فى ميدان ليوزبرج فى بوسطن ؟ " .

كان القلم يجرى فى يد السيد كوهين وهو يدون على الورق أمامه ما يقوله ويليام وهو ينثر بقع الحبر على سطح مكتبه الذى كان زاخرا بالفعل ببقع الحبر .

وضع ويليام مائة دولار على المكتب ففوجئ المحامى ، ولكنه أمسك بالعملات وأخذ يعدها .

" استخدم النقود بحرص يا سيد كوهين . سوف أكون بحاجة إلى محام جيد فور تخرجى من هارفرد " .

" هل تم قبولك بالفعل فى جامعة هارفرد يا سيد كين ؟ تهانيا . أتمنى أن يلتحق ابنى بها هو الآخر " .

" كلا لم أقبل بعد ولكننى سوف أقبل بعد عامين . سوف أعود إلى مكتبك هنا فى بوسطن بعد أسبوع يا سيد كوهين . إن بلغنى على مدار حياتى أن هناك شخصا آخر قد علم بهذا الأمر ، فاعتبر أن علاقتى بك قد انتهت . يوما سعيدا يا سيدى " .



كان توماس كوهين على وشك التفوه بكلمة " يوما سعيدا " هو الآخر ولكنه لم ينجح فى التفوه بها قبل أن يغلق ويليام الباب وراءه .

عاد ويليام إلى مكتب " كوهين " بعد سبعة أيام .

قال توماس كوهين : " مرحبا بك يا سيد كين . يسعدنى أن ألتقى بك ثانية . هل تريد تناول بعض القهوة ؟ " .

" كلا ، شكرا لك " .

" هل أرسل فى شراء المياه الغازية ؟ " .

لم يبد ويليام أى رد فعل .

" إذن إلى العمل ، إلى العمل " قالها كوهين وهو يشعر بقدر من الحرج . " لقد بحثنا لك الأمر جيدا يا سيد كين بواسطة مكتب تحقيق خاص فائق السمعة لكى يساعدنا فى الإجابة عن الأسئلة التى طرحتها علينا والتى لم تكن أكاديمية بشكل بحت . أستطيع أن أقول لك بمنتهى الارتياح إننى قد عثرت عن أجوبة لكل أسئلتك . لقد سألت إن كان لابن السيد أوسبورن من أمك أية حقوق فى ثروة " كين " وبشكل خاص الوصية التى تركها لك والدك . وأنا أجيبك بأنه ببساطة لا يملك أية حقوق يمكن أن يطالب بها ، ولكن السيدة أوسبورن يمكن بالطبع أن تكتب له جزءاً من ثروتها التى تركها لها والدك والتى يمكن أن تقسمها كما يحلو لها " .

ثم نظر السيد كوهين إلى ويليام .

" ومع ذلك ، قد يهمك أن تعرف يا سيد " كين " ، أن والدتك قد سحبت الخمسمائة ألف دولار كاملة من حسابها الخاص فى " كين وكابوت " على مدار الثمانية عشر شهرا الماضية ، ولكننا عجزنا عن معرفة مآل هذه الأموال . ربما تكون قد قررت أن تحتفظ بها فى بنك آخر " .

ارتسمت على ويليام علامات الصدمة ، كانت هذه هى أول مرة يلاحظ فيها السيد كوهين عدم قدرة ويليام على ضبط نفسه .

قال ويليام : " لم تكن هناك حاجة تدفعها إلى عمل ذلك . إن النقود لا يمكن أن تكون قد ذهبت إلا إلى شخص واحد فقط " .

بقى المحامى صامتا ، فى انتظار سماع المزيد ولكن ويليام تمالك نفسه ولم يضف كلمة واحدة فواصل السيد كوهين حديثه :

" أما الإجابة عن سؤالك الثانى فهو أنك لست مطالبا بأية التزامات قانونية أو شخصية حيال السيد أوسبورن بالمرة . فإن وصية والدك تقضى بأن تكون والدتك وصية على ثروتك هى والسيد آلان ليويد والسيدة جون برستون ـ أى من بقى على قيد الحياة من الأوصياء ـ إلى أن تصل إلى سن الحادية والعشرين من عمرك " .

ثم نظر توماس كوهين إلى ويليام ثانية . لم تبد أية استجابة على وجه ويليام بالمرة . كان كوهين قد أدرك وقتها أن هذا يعنى أنه يمكنه المواصلة .

" وثالثا ، لا يمكنك يا سيد كين ، أن تطالب السيد أوسبورن بمغادرة المنزل فى بيكون هيل طالما بقى متزوجا من والدتك ومقيما معها . إن هذا البيت لن يؤول إلى ملكيتك بشكل كامل إلا عند وفاة والدتك . إن كان مازال على قيد الحياة عندها ، يمكنك أن تطالبه بالرحيل . أعتقد أن هذا يجيب عن كل تساؤلاتك يا سيد كين .

قال ويليام : " أشكرك يا سيد كوهين ، أشكر لك كفاءتك وتكتمك هذا الأمر . والآن أرجوك أخبرنى بأتعابك " .

" مائة دولار لا تغطى التكلفة يا سيد كين ولكننا نريد أن نتعاون معك فى المستقبل " .



" لا أريد أن أكون مدينا لأى أحد يا سيد كوهين . يجب أن تعاملنى باعتبارى شخصا لن تتعامل معه ثانية فى المستقبل . ضع هذا فى اعتبارك وأخبرنى ، ما هو المبلغ المستحق ؟ " .

فكر السيد كوهين فى الأمر لبرهة ثم أجاب : " فى هذه الحالة ، فسوف تكون التكلفة هى مائتين وعشرين دولارا يا سيد كين " .

أخرج ويليام ست عملات ورقية فئة العشرين دولارا من جيبه وسلمها للسيد كوهين . ولكن السيد كوهين فى هذه المرة لم يعد النقود .

" أنا ممتن لتعاونك معى يا سيد كوهين . أنا واثق من أننا سوف نلتقى ثانية . طاب يومك يا سيدى " .

" طاب يومك يا سيد كين . دعنى أخبرك بأننى لم أشرف بلقاء والدك المبجل من قبل ولكن بعد تعاملى معك ، تمنيت لو كنت قد تعاونت معه " .

ابتسم ويليام وأجاب فى امتنان : " أشكرك يا سيدى " .

* * *

شغل الاستعداد للمولود الجديد كل وقت " آن " ، كانت تجد نفسها متعبة فى معظم الوقت وكانت تسعى دائما للحصول على قسط وافر من الراحة . كانت كلما سألت " هنرى " عن عمله ، عثر دائما على الإجابة الشافية التى تثلج صدرها بدون أن يمنحها تفاصيل وافية .

وفى صباح أحد الأيام بدأت الخطابات المجهولة تتواصل ثانية . ولكن فى هذه المرة مع الإفصاح عن المزيد من التفاصيل أى

أسماء النساء والأماكن التى يذهب إليها هنرى . حرقت آن الخطابات حتى قبل أن تحفظ الأسماء والأماكن فى ذاكرتها . لم تكن تريد أن تصدق أن زوجها يمكن أن يخونها خاصة وهى تحمل ابنه . لابد أن هناك شخصا ما يغار من هنرى ويريد أن ينال منه .

تواصلت الخطابات ، أحيانا بأسماء جديدة ؛ وواصلت آن التخلص منها ولكنها أصبحت تشوش فكرها . كانت تريد أن تناقش المشكلة برمتها مع أى أحد ولكنها لم تعثر على الشخص المناسب الذى يمكن أن تحادثه فى مثل هذا الامر ، فالجدتان متحاملتان بالفعل على هنرى وكان هذا الأمر سينزل عليهما نزول الصاعقة . كما أنها لم تكن تتوقع أن يتفهم آلان ليويد هذا الأمر لأنه لم يسبق له الزواج مطلقا . أما ويليام فقد كان صغيرا بعد على مثل هذا الأمر . لم يبد لها أى شخص مناسبا . فكرت آن فى استشارة طبيب نفسى بعد أن استمعت إلى إحدى محاضرات سيجموند فرويد ولكن لم تكن من سمات عائلة كابوت مناقشة أية أمور عائلية مع الغرباء .

ولكن الأمور تطورت بعد ذلك إلى حد لم تستطع آن تحمله . ففى صباح أحد أيام الاثنين ، تلقت ثلاثة خطابات ، خطابها المعتاد من ويليام والموجه إليها باسم السيدة " ريتشارد كين " ؛ والذى كان يطلب منها فيه أن تسمح له بقضاء عطلة الصيف مع صديقه ماثيو ليستر . ثم خطاب من مجهول يخبرها فيه بأن هنرى على علاقة غرامية بـ " ميلى برستون" ، والخطاب الثالث من آلان ليويد رئيس البنك يطلب منها أن تتصل به لتحديد موعد للقائه فى أقرب فرصة ممكنة . جلست آن مكبلة بالهموم ؛ وهى تشعر باضطراب أنفاسها وبأنها ليست على ما يرام ؛ ووجدت نفسها مجبرة على إعادة قراءة الخطابات الثلاثة . لقد صدمها خطاب ويليام الذى أشعرها إلى أى حد أصبح منفصلا عنها . كانت تكره أن



تعرف أنه قد فضل قضاء الصيف مع ماثيو ليستر . لقد ظلا فى حالة تباعد متزايد منذ زواجها من هنرى . أما الخطاب الموقع من قبل مجهول بشأن وجود علاقة غرامية بين هنرى وصديقتها المقربة فقد كان يستحيل عليها تجاهله . لم تستطع آن أن تمنع نفسها من التفكير بأن ميلى هى التى قدمت لها هنرى فى المقام الأول ، وأنها كانت فى نفس الوقت أما روحية لابنها ويليام . أما الخطاب الثالث من آلان ليويد ، الذى كان قد أصبح رئيسا لبنك " كين وكابوت " ، بعد وفاة ريتشارد ، فقد أشاع فيها الشعور بالذعر والخوف . كان الخطاب الوحيد الذى وصلها من آلان هو خطاب تعزية إثر وفاة ريتشارد . فخافت ألا يحمل لها هذا الخطاب إلا المزيد من الأنباء السيئة .

اتصلت بالبنك . فأوصلها عامل الهاتف على الفور بالسيد آلان .

" آلان ، لقد كنت تريد مقابلتى ؟ " .

" نعم يا عزيزتى ، أريد أن أتحدث معك قليلا . متى يمكن أن نتقابل ؟ " .

سألت آن : " هل هى أنباء سيئة ؟ " .

" ليس تحديدا . إننى أفضل ألا نتحدث فى هذا الأمر عبر الهاتف . ليس هناك ما يثير قلقك . هل يمكن أن نتناول الغداء سويا ؟ " .

" أجل يا آلان " .

" حسنا فلنلتق فى فندق ريتز فى الواحدة . إننى فى انتظار لقائك هناك يا آن " .

الواحدة ظهرا ، مازال أمامى ثلاث ساعات . تحول تفكيرها من آلان إلى ويليام ثم إلى هنرى ولكنها ركزت تفكيرها على ميلى

برستون . هل يمكن أن يكون هذا صحيحا ؟ قررت آن أن تأخذ حماما طويلا دافئا وأن ترتدى ثوبا جديدا . ولكن هذا لم يجد . لقد شعرت أنها قد بدأت تبدو منتفخة . كانت البقع قد غطت ساقيها وكاحليهما اللذين كانا يتميزان دائما بالنحافة والأناقة . كان ما يثير خوفها قليلا هو التنبؤ بمدى تدهور الأمور قبل مولد ابنها . نظرت إلى نفسها فى المرآة وبذلت أقصى جهدها فى العناية بمظهرها الخارجى .

" تبدين فى غاية الأناقة يا آن . لو لم أكن قد تخطيت السن المناسبة لكنت قد غازلتك صراحة " . قالها الرجل المصرفى ذو الشعر الفضى وهو يقبلها على خديها محييا لها كما لو كان جنرالا فرنسيا . ثم قادها إلى المائدة .

كان من التقاليد غير المعلن عنها أن تخصص مائدة الزاوية لرئيس بنك " كين وكابوت " لكى يتناول عليه غداءه ما لم يتناوله فى البنك . كان هذا هو ما دأب عليه ريتشارد وحافظ عليه آلان ليويد . كانت أول مرة تجلس فيها آن على المائدة مع أى شخص . كان الندال يحومون حولهما كالفراشات وكأنهم يعرفون متى يختفون ويظهرون من جديد بدون أية مقاطعة للحديث الخاص .

" ما هو التاريخ المتوقع للإنجاب يا آن ؟ " .

" ليس قبل ثلاثة شهور " .

" هل هناك أية مضاعفات ، أعتقد أنك كنت تعانين " .

قالت آن : " أجل . إن الطبيب يفحصنى كل أسبوع وتبدو عليه علامات الانزعاج والضيق عند قراءة ضغط الدم لدى ولكننى لا أشعر بقلق كبير " .

قال الرجل ولمس يدها فى حنو وكأنه أبوها : " أنا سعيد للغاية يا عزيزتى ولكنك تبدين متعبة ، أتمنى ألا تجهدى نفسك " .



رفع آلان ليويد يده قليلا فظهر له أحد الندل وتولى مهمة تدوين الطلبات .

" آن ، أريد أن أطلب منك النصيحة " .

كانت آن تدرك بكل أسف موهبة آلان ليويد فى المواراة والتحدث بدبلوماسية . إنه لم يكن ليتناول الغداء معها لكى يطلب منها النصيحة وإنما هو الذى جاء لكى يقدم لها النصيحة ولكن بتلطف .

" هل تعلمين كيف تسير شئون زوجك فى مجال العقارات ؟ " .

قالت آن : " كلا ، لا أعرف . فأنا لا أقحم نفسى أبدا فى عمل هنرى . كما أننى ـ كما تذكر ـ لم أكن أتدخل فى أعمال ريتشارد . ولكن لماذا ؟ هل هناك ما يدعو للقلق ؟ " .

" كلا ، كلا ، لا أحد فى البنك يعرف حقيقة وضعه . بل على العكس ، نحن نعلم أن هنرى قد اشترك فى مناقصة للحصول على عقد بناء ملحق المستشفى الجديد . ولكننى كنت أسألك فقط لأنه كان قد جاء إلى البنك طلبا لاقتراض مبلغ خمسمائة ألف دولار " .

ذهلت آن .

قال : " أرى أن هذا يدهشك . نحن نعرف الآن من خلال كشف حسابك أنك أصبحت لا تملكين إلا أقل من عشرين ألف دولار فى حساب مدخراتك ، كما أن هناك سحبا بسيطا على المكشوف يصل إلى سبعة عشر ألف دولار من حسابك الشخصى " .

وضعت آن ملعقة الحساء وهى مرتعدة . لم تكن تدرك أن وضعها المالى قد وصل إلى هذا السوء . وقد لاحظ آلان ما تشعر به من ضيق .

أضاف الرجل سريعا : " ليس هذا هو سبب دعوتى لك على الغداء يا آن . إن البنك سوف يسعده أن يخسر المال لصالح حسابك الشخصى على مدى حياتك . إن ويليام يحقق أرباحا تصل إلى

مليون دولار سنويا ؛ كقيمة فائدة سنوية على ثروته وهذا يعنى أن هذا السحب لن يسبب أى ضرر وكذلك الخمسمائة ألف دولار التى يطلبها هنرى ؛ إن حصلنا على مساندتك بوصفك وصية قانونية على ثروة ويليام " .

قالت آن : " لم أكن أعلم أننى أملك سلطة على ثروة ويليام " .

" أنت لا تملكين بالفعل السلطة على رأس مال ويليام ، ولكن من الناحية القانونية يحق لك استثمار الفائدة فى أى مشروع يمكن أن يعود بالفائدة على ويليام بصفتك وصية قانونية وميلى برستون وأنا بوصفنا مشرفين على تنفيذ الوصية وهذا إلى أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره . أنا الآن بوصفى رئيسا لثروة ويليام يمكننى أن أصرف الخمسمائة ألف دولار بعد موافقتك . لقد أخبرتنى ميلى بالفعل أنه سوف يسعدها أن تقبل بهذا العرض أى أن التصويت بذلك سوف يصل إلى صوتين بعد الحصول على صوتك مما يعنى أن صوتى لن يكون له قيمة " .

" ميلى برستون قد وافقت بالفعل يا آلان ؟ " .

" أجل . ألم تخبرك بذلك " .

لم ترد آن فى الحال .

سألت آن بعد فترة صمت : " ولكن ما هو رأيك " .

" حسنا ؛ أنا لم أطلع على حسابات هنرى لأنه لم يبدأ عمله إلا منذ ثمانية عشر شهرا فقط كما أنه ليس له تعاملات بنكية معنا ، لذا فإننى لا أملك أدنى فكرة عن نفقاته ودخله على مدى العام الجارى وما هو دخله المتوقع للعام ١٩٢٣ . ولكننى أعرف أنه قد تقدم للحصول على عقد المستشفى ، كما أن هناك الكثير من الشائعات التى تؤكد أنه سوف يحصل على هذا العقد فى الغالب " . قالت آن : " ألا تعلم أننى قد أعطيت هنرى خمسمائة





ألف دولار من حسابى الخاص على مدى الثمانية عشر شهرا الماضية ؟ " .

" لقد أخبرنى المسئول فى البنك لأن هذا هو واجبه عند سحب مبلغ نقدى كبير كهذا من أى حساب . لم أكن أعلم فيما سوف تنفقين المال ولكن هذا ليس من شأنى يا آن . لقد ترك لك ريتشارد هذا المال ويحق لك أن تنفقيه كيفما شئت " .

" ولكن فى حالة الفائدة الخاصة بثروة العائلة فهذا شأن آخر . إن كنت قد قررت سحب خمسمائة ألف دولار لاستثمارها فى شركة هنرى ، فإن البنك يجب أن يفحص حسابات هنرى لأن هذا سيكون بمثابة استثمار آخر فى حافظة ويليام . إن ريتشارد لم يمنح الوصاة حق الاقتراض وإنما منحهم فقط حق الاستثمار باسم ويليام . لقد شرحت هذا الوضع برمته لهنرى ، وإن أردنا المضى قدماً فى هذا الاستثمار فإن الوصاة يجب أن يقرروا نسبة الفائدة المناسبة التى سوف نحصل عليها من وراء شركة هنرى إن وافقنا على إقراضه مبلغ الخمسمائة ألف دولار . إن ويليام بالطبع يطلع بشكل دائم على الدخل الذى تدره ثروته ، لأنه كان قد طلب منا أن يحصل على تقرير ربع سنوى يحتوى على كشف حساب برنامجه الاستثمارى ولم نجد غضاضة فى الاستجابة لطلبه شأنه شأن أى وصى من الأوصياء . وأنا لا أشك من جهتى وحسب علمى أن ويليام سوف يكون له رأى آخر فى هذا الصدد لأنه سوف يطلع عليه بلا أدنى شك عند تسلم تقريره ربع السنوى " .

" ربما يكون من دواعى سرورك فى هذا الصدد أن تعرفى أنه منذ بداية عامه السادس عشر ، حرص ويليام على إرسال آرائه الخاصة بشأن كل استثمار نقدم عليه . فى البداية كنت أطلع على هذه الملحوظات بدون اكتراث حقيقى بصفتى وصياً حريصاً على

مصلحة الموصى عليه . ولكن بمرور الوقت ، كنت أحرص على دراسة آرائه بمنتهى الاهتمام وباحترام بالغ . عندما يحتل ويليام مكانته فى مجلس إدارة " كين وكابوت " ، سوف يكون لهذا البنك شأن آخر ".

قالت آن وهى تشعر بالوحشة : " ولكن لم يسبق أن طلب منى أحد النصيحة بخصوص ثروة ريتشارد ".

" حسنا يا عزيزتى . لقد كنت تطلعين على التقارير التى كان البنك يرسلها لك فى أول يوم كل ثلاثة شهور وكان بوسعك أن دائما أن تتحرى عن الاستثمارات التى نقوم بها نيابة عن ويليام " .

أخرج آلان ليويد قطعة ورق من جيبه وبقى صامتا إلى أنهى النادل صب الشراب الفاخر . بما أن أصبح النادل خارج نطاق السمع ، واصل آلان حديثه .

" إن ويليام يملك أكثر من واحد وعشرين مليون دولار خاضعة للاستثمار داخل البنك بنسبة فائدة تصل إلى أربعة ونصف بالمائة سنويا إلى أن يبلغ الحادية والعشرين من عمره . نحن نعيد استثمار الفائدة من أجله كل ربع سنة فى الأسهم والسندات ، ولكن لم يسبق لنا أن استثمرنا المال فى شركات خاصة . قد يدهشك أن تعرفى يا آن أننا أصبحنا نجرى إعادة الاستثمار هذا مناصفة أى خمسين بالمائة بناء على توصية البنك والخمسين بالمائة الأخرى مقابل نصائح ومقترحات ويليام . نحن إلى الآن متقدمون عليه قليلا مما يثير ارتياح تونى سيمونس ـ مديرنا الاستثمارى ـ والذى وعده ويليام بأنه سوف يشترى له سيارة رولز رويس إن نجح مرة فى التقدم عليه بنسبة تزيد على عشرة بالمائة " .



" ولكن من أين له بالعشرة آلاف دولار ثمن السيارة الرولز رويس إن خسر الرهان ما لم يسمح له بسحب المال من الوصية قبل أن يبلغ الحادية والعشرين ؟ " .

" لا أعرف الإجابة عن هذا التساؤل يا آن . ولكن ما أنا واثق منه هو أن ويليام يعتز بنفسه إلى حد لا يسمح له أن يطلب منا المال مباشرة ، كما أننى واثق من أنه لن يقدم على المراهنة ما لم يكن يملك المال . هل أتيحت لك فرصة مشاهدة دفتر حسابه مؤخرا ؟ " .

" هذا الدفتر الذى كانت جدتاه قد أهدتاه إليه ؟ " .

أومأ آلان ليويد بالموافقة .

" كلا لم أره منذ أن ذهب إلى المدرسة . ولم أكن أعلم أنه مازال موجودا أصلا " .

قال الرجل : " بلى ، إنه مازال موجودا وإنى على استعداد لأن أصرف للعاملين بالبنك مرتب شهر كامل مكافأة إن سنحت لى الفرصة بالاطلاع على حجم رصيده . ولكن أعتقد أنك تعرفين أنه قد أصبح يحتفظ بأمواله الآن فى بنك ليستر فى نيويورك وليس فى بنكنا ! إنهم لا يقبلون حجم تعامل فى الحساب الشخصى يقل عن عشرة آلاف دولار . كما أننى واثق من أنهم لن يسمحوا بأى استثناء حتى إن كان هذا الاستثناء لابن ريتشارد كين . قالت آن : " ابن ريتشارد كين " .

" آسف ، لم أقصد أية إساءة يا آن " .

" كلا ، كلا ، هو بلا شك ابن ريتشارد كين . هل تعلم أنه لم يطلب منى مليما واحدا منذ عيد ميلاده الثانى عشر ؟ أعتقد أننى يجب أن أحذرك يا آلان بأنه لن يرحب باستثمار الخمسمائة ألف دولا فى شركة هنرى " .

سأل آلان وهو يرفع حاجبيه : " هل هما غير متفقين مع بعضهما البعض ؟ "

قالت آن : " نعم مع الأسف " .

" آسف لسماع ذلك . لأن معارضة ويليام سوف تجعل هذا الإجراء أكثر تعقيدا . بالرغم من أنه لا يملك سلطة حقيقية على وصيته إلى أن يبلغ الحادية والعشرين ؛ فقد اكتشفنا من خلال مصادرنا الخاصة بأنه يملك شجاعة الاستعانة بمحام مستقل للتعرف على حقيقة وضعه القانونى " .

قالت آن : " يا إلهى لا يمكن أن تكون جادا " .

" بلى ؛ أنا جاد تماما ؛ ولكن ليس فى هذا ما يقلقك . بل إننى لكى أكون صريحا معك ؛ لقد ترك هذا انطباعا مثيرا لدينا جميعا فى البنك وما ان تعرفنا على مصدر هذا الطلب ؛ قدمنا له المعلومات اللازمة التى كنا فى الظروف العادية نسعى لتكتمها . إنه لسبب خاص فى نفسه لم يسع لسؤالنا بشكل مباشر " .

قالت آن : " يا إلهى . ولكن كيف سيتصرف إذن عندما يبلغ الثلاثين من عمره ؟ " .

قال آلان : " هذا يتوقف على ما إن كان سيسعده الحظ بالسقوط فى هوى جميلة مثلك . لقد كان هذا دائما هو سر قوة ريتشارد " .

" أنت مغازل محترف يا آلان . ألا يمكن أن ننحى مشكلة الخمسمائة ألف دولار جانبا إلى أن تتاح لى فرصة مناقشة الأمر مع هنرى ؟ " .

" بالطبع يا عزيزتى ؛ لقد سبق وقلت لك إننى قد جئت طلبا لنصيحتك " .



طلب آلان القهوة ثم أمسك يد آن برفق بين يديه وقال لها : " ولكن تذكرى أنك يجب أن تعتنى بنفسك جيدا يا آن . أنت أهم بكثير من مصير الخمسمائة ألف دولار " .

عندما عادت آن إلى بيتها بعد تناول الغداء ، بدأت على الفور تشعر بالقلق حيال الخطابين الآخرين اللذين كانت قد تلقتهما فى صباح ذلك اليوم . كان هناك شىء واحد فقط قد تأكد لها بعد أن تكشفت لها كل تلك الحقائق عن ابنها على لسان آلان ليويد ؛ وهو أنه سوف يكون من الحكمة أن تستسلم بكياسة لطلب ويليام بأن يقضى العطلة التالية مع ماثيو ليستر .

أما احتمال أن تكون هناك علاقة غرامية بين ميلى وهنرى فقد كانت بمثابة مشكلة أعجزتها عن تصور أى حل ممكن . جلست على المقعد الجلدى البنى ـ مقعد ريتشارد المفضل ـ وهى تنظر عبر النافذة إلى الزهور البيضاء والوردية الجميلة ، لم تكن تشاهد أو تتأمل شيئا ، كانت فقط ممعنة فى التفكير . كانت آن تستغرق عادة وقتا طويلا فى التفكير قبل اتخاذ أى قرار ، ولكن عندما تتخذ القرار كانت نادرا ما تتراجع عنه .

عاد هنرى إلى البيت يومها قبل موعده المعتاد مما دفعها إلى التساؤل عن السبب . ولكنها سرعان ما عثرت على الإجابة .

قال هنرى وهو يدخل الغرفة : " سمعت أنك قد تناولت الغداء اليوم مع آلان ليويد " .

" من أخبرك بذلك يا هنرى ؟ " .

" لدىّ جواسيس فى كل مكان " قالها وهو يضحك .

" نعم ؛ دعانى آلان لتناول الغداء معه اليوم . كان يريد أن يعرف رأيى فى استثمار خمسمائة ألف دولار من أموال ويليام فى شركتك " .

سألها هنرى وهو يحاول أن يخفى قلقه : " ماذا قلت له ؟ "

" ولكننى أخبرته بأننى أريد مناقشة هذا الأمر معك أنت أولا ، ولكن لم بالله عليك لم تصارحنى بالأمر قبل أن تتصل بالبنك ، يا هنرى ؟ لقد شعرت بالحماقة عندما سمعت بهذا الأمر من آلان للمرة الأولى " .

" لم أكن أظن أنك تهتمين على الإطلاق بالأعمال يا عزيزتى ، وقد عرفت بمحض المصادفة أنك أنت وآلان ليويد وميلى برستون أوصياء على ثروة ويليام وأن لكل منكم صوتا فى الاستثمارات الخاصة بأرباح ويليام " .

سألت آن : " ولكن كيف عرفت ذلك ؟ فى حين أننى لم أكن أنا شخصيا أعرف ذلك " .

" أنت لا تقرئين التقارير يا حبيبتى . ولم أكن أنا أيضا أفعل ذلك حتى وقت قريب . لقد أخبرتنى ميلى برستون بمحض المصادفة عن تفاصيل الوصية . إنها ليست فقط صديقة مقربة للعائلة وإنما هى أيضا أحد الأوصياء ، لقد أدهشها هذا الأمر كلية عندما عرفته فى البداية . والآن دعينا ندرس الأمر وإن كان بوسعنا أن نديره لصالحنا . لقد أخبرتنى ميلى بأنها سوف تساندنى إن حصلت على موافقتك " .

مجرد سماع اسم ميلى أثار فى آن الشعور بالضيق .

قالت آن : " أعتقد أننا يجب ألا نمس ثروة ويليام .

إننى لم أنظر أبدا إلى الوصية باعتبارى أملك فيها أى حق . بل إنه سوف يسعدنى بحق أن أدع الأمور تسير كعادتها . أى أن أجعل البنك يعيد استثمار الفائدة كما كان الحال دائما فى الماضى " .



" لِمَ تصرين على الاستمرار فى الحصول على فائدة استثمار البنك فى الوقت الذى أنا فيه بصدد إبرام عقد بناء مستشفى المدينة ؟ إن ويليام سوف يجنى أرباحاً طائلة من وراء شركتى تفوق ما سوف يحصل عليه من البنك . قطعاً يوافقنى آلان الرأى ؟ " .

" إننى لست واثقة من ذلك . إنه كدأبه دائما رجل متحفظ . بالرغم من أنه قد أكد لى أن العقد سوف يكون فرصة ممتازة لتحقيق مكاسب وبأنك سوف تجنى أرباحاً جيدة إن نجحت فى إبرامه " .

" تماما " .

" ولكنه كان يريد أن يرى دفتر حساباتك قبل أن يقدم على أى إجراء حاسم ، كما أنه يريد أن يعرف أيضا مصير الخمسمائة ألف دولار الخاصة بى " .

" الخمسمائة ألف دولار الخاصة بنا ، يا عزيزتى ، على خير ما يرام ، كما سوف يتأكد لك فى أسرع وقت . سوف أرسل دفاتر الحساب إلى آلان غدا صباحا حتى يتسنى له مراجعتها بنفسه . إننى أؤكد لك بأنه سوف يرضى عنها تمام الرضا " .

قالت آن : " أتمنى ذلك يا هنرى ، سوف يكون ذلك فى صالح كل منا . الآن دعنا ننتظر لكى نعرف وجهة نظره ، فأنت تعلم جيدا كم أثق به " .

قالت هنرى : " ولكن ليس بى أنا " .

" كلا ، كلا يا عزيزى ، أنا لم أقصد " .

" قصدت فقط مداعبتك . أنا أعلم تماما أنك تثقين بزوجك " .

شعرت آن برغبة جامحة فى البكاء ، تلك الرغبة التى كانت تكبتها دائما أمام ريتشارد ، ولكن مع هنرى لم تكن تبذل جهدا لكى تسمك دموعها .

" إننى أن أستطيع . لا أريد الآن أن أقلق بشأن الأمور المادية ، هذا يفوق قدرتى الآن . إن الطفل يشعرنى دائما بالإعياء والتعب " .

غير هنرى من أسلوبه فى الحال وبدأ يواسي آن قائلا : " أعلم يا عزيزتى ، وأنا لا أريدك أن تشغلى بالك أبدا بمثل هذه الأمور الخاصة بالعمل . يمكننى دائما أن أتحمل عبء هذا الجانب . لم لا تذهبين إلى الفراش مبكرا اليوم وسوف أحضر لك العشاء على السرير ؟ سوف يمنحنى هذا فرصة العودة إلى المكتب لإحضار المستندات التى سوف أعرضها على آلان فى الصباح " .

استجابت آن لطلبه ، ولكن حينما غادر هنرى المنزل ، لم تسع آن للنوم ؛ برغم شعورها بالتعب ، ظلت جالسة فى سريرها تقرأ رواية " سينكلير " . كانت تعلم أن هنرى سوف يستغرق خمس عشرة دقيقة إلى أن يصل إلى مكتبه . ظلت منتظرة طيلة عشرين دقيقة كاملة ثم اتصلت به هاتفيا . ظل الجرس يدق على مدى ما يقرب من دقيقة .

حاولت آن أن تتصل به ثانية بعد مرور عشرين دقيقة أخرى ، ولكن بدون رد . ظلت تحاول وتحاول كل عشرين دقيقة ولكن بدون أن يجيب أحد على الهاتف . بدأ حديث هنرى عن الثقة يتردد بمرارة داخل رأسها .

عندما عاد هنرى أخيرا إلى المنزل بعد منتصف الليل ، بدت عليه علامات الاضطراب عندما وجد آن مستيقظة وجالسة فى فراشها . كانت لا تزال تقرأ فى رواية سينكلير لويس .

" لم أجهدت نفسك بانتظارى إلى الآن ؟ " .



قبلها بحرارة . هيئ لآن أنها قد اشتمت رائحة عطر نسائى أو أنه الشك الذى بدأ يستحوذ عليها .

" كان يجب علىَّ أن أبقى لوقت أطول مما توقعت فى البداية ، فى البداية لم أتمكن من العثور على كل الأوراق التى يريدها آلان . كان دان قد احتفظ بها - لحماقته - تحت عناوين خاطئة . قالت آن : " لابد أنك قد شعرت بالوحدة لبقائك فى المكتب وحيدا حتى منتصف الليل " .

قال هنرى وهو يصعد على الفراش ويستقر مقابل ظهر آن : " كلا ، الأمر ليس سيئا إلى هذا الحد إذا كان لدى المرء عمل يشغله . على الأقل هناك ميزة واحدة فى ذلك وهى أننى لا أتعرض بشكل دائم لمقاطعة المكالمات الهاتفية " .

استسلم للنوم فى غضون دقائق . بينما بقيت آن مستيقظة ؛ بعد أن اتخذت قرارا بتنفيذ ما كانت قد عزمت عليه فى ظهيرة ذلك اليوم .

عندما غادر هنرى المنزل للذهاب إلى عمله بعد تناول الإفطار فى صباح اليوم التالى - لم تكن آن واثقة إلى أى مكان كان قد توجه - قامت آن بتفحص جريدة جلوب التى تصدر فى بوسطن وأجرت بحثا صغيراً فى الإعلانات . ثم التقطت سماعة الهاتف وحددت موعدا اضطرها إلى الذهاب إلى الجانب الجنوبى من بوسطن قبل منتصف اليوم ببضع دقائق . صدمت آن بقذارة الأبنية فى هذا الجزء من بوسطن ، لم يكن قد سبق لها من قبل زيارة الحى الجنوبى من المدينة ، بل إنها فى الظروف العادية لم تكن لتفكر فى الذهاب إلى مثل هذه الأماكن طوال حياتها .

كان هناك سلم خشبى صغير مغطى بأعقاب الثقاب والسجائر وغيره من أنواع القمامة التى أخذت تتطاير أمام الباب والنافذة المتهالكة التى كتب فوقها بأحرف كبيرة " جلين ريكاردو " وتحتها عبارة " محقق خاص " ( معتمد فى كومنويلث مساشوستس ) . طرقت آن الباب برقة .

صاح صوت أجش عميق من الداخل : " أدخل ، الباب مفتوح " .

دخلت آن . كان الرجل جالسا خلف مكتب وقد مد ساقيه عن آخرهما فوق سطح المكتب أمامه ، رفع الرجل نظره من فوق المجلة التى كانت على الأرجح مجلة نسائية . كان سيجاره على وشك السقوط من فمه عندما وقع نظره على آن . كانت أول مرة يرى فيها امراة ترتدى معطفاً من الفراء داخل مكتبه .

قال الرجل وهو ينهض بسرعة : " صباح الخير . اسمى جلين ريكاردو " . انحنى عبر مكتبه ومد يده المكسوة بالشعر وبقع النيكوتين لكى يصافحها . صافحته فى المقابل وهى تشعر بالسعادة لأنها كانت ترتدى قفازها . " هل حددت موعدا ؟ سألها ريكاردو غير آبه إن كانت قد حددت موعدا بالفعل أم لا . فقد كان مستعداً بشكل دائم لتقديم الاستشارات لأصحاب المعاطف ذات الفراء .

" أجل فعلت " .

" إذن لابد أنك السيدة أوسبورن . هل يمكن أن آخذ معطفك ؟ " .

قالت آن : " أفضل الاحتفاظ به " بعد أن عجزت عن رؤية أى موضع يمكن تعليق المطعف عليه باستثناء الأرض .

" بالطبع ، بالطبع " .



نظرت آن إلى ريكاردو خلسة وهو يجلس على كرسيه ويشعل سيجارة أخرى . لم تعبأ ببدلته ذات اللون الأخضر الفاتح ، أو رابطة عنقه متنافرة الألوان أو شعره المتلبد . كان كل ما أثار قلقها هو أنها كانت تفضل أن تجلس فى مكان أفضل من هذا .

قال ريكاردو ، الذى كان قد بدأ بالفعل يشحذ سن قلمه القصير بواسطة سكين غير حادة : " والآن ، ما هى مشكلتك ؟ ". تساقطت نشارة القلم فى كل مكان باستثناء سلة المهملات . " هل فقدت كلبك أم مجوهراتك أم زوجك ؟ " .

بدأت آن قائلة : " أولا يا سيد ريكاردو ، أريد أن أطمئن تماما على السرية التامة " .

قال ريكاردو وهو لا يرفع نظره عن قلمه متناهى الصغر : " بالطبع بالطبع ، هذا أمر مفروغ منه " .

قالت آن : " ومع ذلك ، فإننى أود أن أؤكد عليه " .

" بالطبع ، بالطبع " .

شعرت آن أن الرجل إن كرر كلمة " بالطبع " ثانية فسوف تصرخ . أخذت نفسا عميقا . " لقد دأبت منذ فترة على تلقى خطابات مجهولة تتهم زوجى بالخيانة مع أعز صديقاتى . أريد أن أعرف مصدر هذه الخطابات كما أحب أن أعرف أيضا مدى صحة هذه الاتهامات " .

شعرت آن بارتياح كبير عندما نفست عن مشاعرها للمرة الأولى . نظر إليها ريكاردو بعدم اكتراث ، كما لو كان قد اعتاد على مثل هذه التصريحات . مرر يده فى شعره الأسود الطويل والذى لاحظت آن للمرة الأولى أنه كان متوافقاً مع أظافره .

بدأ حديثه : " حسنا . أمر الزوج سوف يكون سهلا . أما مرسل الخطابات فسوف تكون مهمة أكثر مشقة بكثير . لقد احتفظت بالخطابات بالطبع ، أليس كذلك ؟ " .

قالت آن : " احتفظت فقط بالخطاب الأخير " .

تنهد جلين ريكاردو ومد رأسه عبر المائدة فى تعب . أخرجت آن فى تردد الخطاب من حقيبة يدها ولكنها ترددت ثانية لبرهة .

" أتفهم شعورك جيدا يا سيدة أسبورن ولكن لا يمكن أن أنجز المهمة بيد واحدة والأخرى مقيدة خلف ظهرى " .

قالت آن : " بالطبع يا سيد ريكاردو . آسفة " .

لم تصدق آن أنها قالت كلمة " بالطبع " .

قرأ ريكاردو الخطاب مرتين أو ثلاث مرات قبل أن يتحدث :

" هل كانت كل الخطابات مكتوبة على الآلة الكاتبة على هذه النوعية من الورق وداخل نفس المظروف ؟ " .

قالت آن : " نعم ، أعتقد ذلك . بقدر ما أذكر " .

" حسنا ، فى المرات القادمة التى تصلك فيها خطابات ، احرصى على ـــــ " .

قاطعته آن : " هل أنت واثق من أننى سوف أتلقى المزيد ؟ " .

" بالطبع . احرصى على الاحتفاظ بها . والآن أعطنى كل التفاصيل الخاصة بزوجك . هل تحملين صورة له ؟ " .

ترددت آن ثانية ثم قالت : " نعم " .

قال ريكاردو : " إننى فقط أريد أن أنظر إلى وجهه . لا أريد أن أضيع وقتى فى مطاردة الرجل الخاطئ ، أليس كذلك ؟ " .

فتحت آن حقيبة يدها ثانية وأعطته صورة قديمة لهنرى وهو فى زيه العسكرى .



قال المحقق : " إنه رجل وسيم السيد أوسبورن . متى التقطت هذه الصورة ؟ " .

قالت آن : " منذ خمسة أعوام ، على ما أظن . لم أكن أعرفه عندما كان فى الجيش " .

طرح ريكاردو على مدى عدة دقائق على آن بعض الأسئلة الخاصة بتحركات زوجها اليومية . وقد اندهشت آن عندما اكتشفت أنها لا تعرف إلا القدر الضئيل عن عادات هنرى أو ماضيه .

" أنت لا تملكين الكثير من المعلومات يا سيدة أوسبورن ولكننى سوف أبذل قصارى جهدى . والآن أتعابى هى عشرة دولارات فى اليوم الواحد فضلا عن التكاليف . سوف أعد لك تقريرا مكتوبا كل أسبوع تقريبا . أرجو أن تتفضلى بدفع نفقات أسبوعين مقدما " ثم مد يده فوق مكتبه ثانية بحماس يفوق المرة السابقة .

فتحت آن حقيبة يدها مرة ثانية وأخرجت ورقتين بمائة دولار وأعطته لريكاردو . تفحص العملات الورقية جيدا وهو لا يدرى من هى هذه الشخصية المرموقة المطبوعة فوقها . أخذ بنجامين فرانكلين يحدق بلا انقطاع فى ريكاردو الذى بدا عليه أنه لم يكن قد رأى هذا الرجل العظيم منذ فترة طويلة . أعاد إليها ريكاردو ستين دولارا فى عملات ورقية بالية فئة الخمسة دولارات .

قالت آن وهى سعيدة بعقليتها الرياضية : " سوف أطلع على تقريرك كل أحد يا سيد ريكاردو " .

قال الرجل : " بالطبع . هل سيكون نفس الوقت بعد مرور أسبوع من يوم الخميس مناسبا بالنسبة لك يا سيدة أوسبورن ؟ " .

قالت آن : " بالطبع " ، ثم غادرت سريعا لكى لا تضطر إلى مصافحة الرجل الماثل خلف المكتب .

عندما قرأ ويليام التقرير ربع السنوى الخاص بوصيته والمرسل إليه من بنك كين كابوت وعرف أن هنرى أوسبورن - أخذ يردد اسمه بصوت مرتفع لكى يصدق نفسه - يطلب اقتراض خمسمائة ألف دولار للاستثمار الشخصى ؛ كان يومه عصيبا . للمرة الأولى فى تاريخ حياته الدراسية فى سانت بول جاء ترتيبه الثانى فى الرياضيات . حتى أن ماثيو ليستر الذى تفوق عليه سأله إن كان هناك خطب ما .

فى مساء هذا اليوم ؛ اتصل ويليام بآلان ليويد فى المنزل . لم يندهش رئيس بنك كين وكابوت كلية بعدما سمع بعدم وفاقه مع هنرى من خلال حديثه مع آن .

" ويليام ؛ ابنى العزيز ؛ كيف حالك وحال سانت بول ؟ " .

" كل شيء على ما يرام ؛ أشكرك يا سيدى ولكن هذا ليس سبب اتصالى بك " .

أدرك آلان أن هذا أسلوب شخصية عملية مرموقة . فكر آلان ثم قال فى جفاف : " كلا . لا أعتقد ذلك . ما الذى يمكن أن أسديه لك ؟ " .

" أود أن أقابلك غدا فى الظهيرة " .

" يوم الأحد يا ويليام ؟ " .

" نعم ؛ هذا هو اليوم الوحيد الذى يمكننى فيه الخروج من المدرسة . سوف أحضر إليك فى أى مكان وأى وقت يناسبك " .

جعل ويليام هذه العبارة تبدو وكأنها تنازل من جانبه : " كما أننى لا أود أن تعرف أمى بهذا اللقاء تحت أية ظروف " .

بدأ آلان ليويد حديثه : " حسنا يا ويليام " .



ثم ازداد صوت ويليام صرامة وهو يقول : " لا أريد أن أذكرك يا سيدى ، أن استثمار مال الوصية فى مشروع زوج أمى الشخصى ليس غير قانونى وإنما هو بلاشك يعتبر غير أخلاقى " .

بقى آلان ليويد صامتا لبضع دقائق وهو يسائل نفسه ما إن كان يجب أن يسعى لتهدئة روع الصبى عبر الهاتف أو يحتج على ما يقوله . ولكن الوقت كان قد فات .

" حسنا يا ويليام . لم لا تأتى لتناول الغداء معى فى نادى الصيد ، لنقل فى الواحدة ظهرا ؟ " .

" فى انتظار مقابلتك يا سيدى " قالها ويليام ثم أغلق سماعة الهاتف .

شعر آلان ليويد بشيء من الارتياح لأن المواجهة سوف تكون على الأقل فى أرضه . ثم أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها وهو يصب لعناته على السيد بيل الذى اخترع هذه الآلة اللعينة .

كان آلان قد اختار نادى الصيد لأنه لم يكن يريد أن يكون هذا اللقاء سريا . كان السؤال الأول الذى طرحه ويليام فور وصوله إلى مقر النادى هو إن كان سيسمح له بجولة جولف بعد تناول الغداء .

قال آلان : " سوف يسعدنى ذلك يا بنى " ، وحجز له أول جولة فى الثالثة ظهرا .

اندهش الرجل من أن ويليام لم يفاتحه فى موضوع عرض هنرى أوسبورن أثناء وقت الغداء . بل إنه اكتفى بالحديث عن وجهات نظر الرئيس هردينجز عن تعديل التعريفة وعدم كفاءة تشارلز جى كويز كمدير عام للميزانية . مما دفع آلان للتساؤل ما إن كان ويليام قد عدل عن رأيه - بعد أن تفكر فى الأمر - بشأن مناقشة قرض هنرى ، ولكنه اضطر إلى الوفاء بموعده حتى لا يغير رأيه فيه . قال آلان لنفسه : حسنا إن كانت هذه هى الطريقة التى يود أن يلعب

بها الصبى ؛ فهذا يناسبنى تماماً . أخذ آلان يتطلع إلى الاستمتاع بممارسة لعبة الجولف فى الظهيرة . بعد تناول غداء رائع غير كل منهما ملابسه فى المكان المخصص وسارا للممارسة الجولف .

سأل ويليام : " أمازلت تتمتع بكفاءتك المعهودة فى اللعب يا سيدى ؟ " .

" تقريبا يا بنى ، ولكن لماذا ؟ " .

" إذن فلنتراهن على عشرة دلارات مقابل الهدف " .

تردد آلان ليويد ؛ لأنه كان يعرف أن ويليام كان يجيد ممارسة اللعبة . ثم قال : " نعم ؛ أوفق " .

لم يتفوه أى منهما بكلمة قبل الهدف الأول الذى نجح آلان فى تسجيله بعد أربع تمريرات ، بينما نجح ويليام فى إحرازه بعد خمس تمريرات . فاز آلان أيضا بالهدف الثانى والثالث بسهولة وبدأ يشعر بشيء من الاسترخاء والرضا عن سير المباراة . ولكن مع حلول الهدف الرابع ؛ كان الاثنان قد سارا ما يزيد عن نصف ميل من مقر النادى . انتظر ويليام إلى أن يرفع آلان يده بالمضرب ..

" ليست هناك أية ظروف تجعلك تقرض خمسمائة ألف دولار من مال وصيتى لأية شركة أو شخص مشارك لهنرى أوسبورن " .

جاءت تسديد آلان سيئة وطاحت تماما . كانت ميزة التسديدة الوحيدة هى أنها أبعدته عن ويليام إلى أقصى حد ممكن مما منحه بضع دقائق للتفكير قبل أن يرد على ويليام . بعد أن سدد آلان ليويد ثلاث ضربات أخرى ؛ التقى الاثنان فى النهاية فوق الأرض الخضراء . ونجح آلان فى تسجيل الهدف .

" ويليام ؛ أنت تعرف أننى لا أملك سوى صوت واحد من بين ثلاثة أصوات كوصى ، كما أنك يجب أن تعرف أيضا أنك لا تملك سلطة التدخل فى قرارات الأوصياء ؛ لأنك لا تملك حق إدارة المال



لحسابك إلى أن تبلغ الحادية والعشرين من عمرك . كما يجب أن تدرك أيضا أننا لا ينبغى أن نناقش هذا الموضوع من الأساس " .

" أنا على دراية تامة بكل هذه الشئون القانونية يا سيدى ولكن بما أن الوصيتين الأخريين يعاشرن هنرى أوسبورن —— " .

ارتسمت علامات الصدمة على وجه آلان ليويد .

" لا تدعى أنك الشخص الوحيد فى بوسطن الذى لا يعرف أن ميلى برستون لا ترتبط بعلاقة غرامية مع زوج أمى ؟ " .

لم ينبس آلان ليويد ببنت شفة .

واصل ويليام حديثه : " أريدك أن تؤكد لى أننى سوف أحصل على صوتك لصالحى وأنك لن تألو أى جهد للتأثير على أمى لكى ترفض القرض حتى إن كان هذا يفرض عليك أن تصارحها بحقيقة العلاقة التى تربط بين ميلى برستون وزوجها " .

قال آلان وهما يلتقيان فى طريق الهدف الخامس على الأرض الخضراء : " أنت تطلب منى الكثير " .

" هذا لا يساوى شيئا مقابل ما كان يمكن أن أفعله إن لم أكن واثقا من مساندتك يا سيدى " .

قال آلان وهو يرى كرة ويليام وهى تسقط من على بعد أربعة عشر قدما : " لا أظن أن والدك كان سيقرك على استخدام أسلوب التهديدات يا ويليام " .

قال ويليام : " إن الشيء الوحيد الذى ما كان أبى ليقره هو أوسبورن " . توقفت كرة آلان ليويد على بعد أربعة أقدام من الهدف .

" على أية حال يا سيدى ؛ لابد أنك تدرك جيدا أن هناك شرطاً فى الوصية يقضى بأن المال المستثمر من خلال الوصية هو أمر خاص وأن المستفيد يجب ألا يعرف أبدا أن عائلة كين لها أى دخل

شخصى . لقد كانت هذه قاعدة لم يخترقها أبى فى حياته أبدا كرجل مصرفى . إن هذه الطريقة هى التى كانت تضمن له دائما عدم وقوع أي تداخل بين استثمارات البنك وأموال العائلة " .

" حسنا ؛ ربما تشعر والدتك أنه يمكن خرق هذه القاعدة لصالح فرد من أفراد العائلة " .

" هنرى أوسبورن ليس فردا من أفراد العائلة وأنا عندما أتحكم فى الوصية سوف تكون هذه هى إحدى القواعد التى سوف أحرص على عدم خرقها تماما مثل والدى " .

" ربما تثبت لك الأيام خطأ موقفك المتشدد هذا يا ويليام " .

" لا أعتقد ذلك يا سيدى " .

أضاف آلان : " حسنا ، حاول أن تفكر للحظة فى تأثير اكتشاف أمر ميلى على والدتك " .

" إن أمى قد خسرت بالفعل خمسمائة ألف دولار من مالها الخاص يا سيدى . أليس هذا كافيا لزوج واحد ؟ لم يجب أن أخسر أنا الآخر خمسمائة ألف دولار أخرى من مالى ؟ " .

" نحن لسنا متأكدين من ذلك يا ويليام . إن هذا الاستثمار يمكن أن يعود عليك بفائدة كبيرة . إننى لم أطلع بعد على حسابات هنرى بدقة " .

أجفل ويليام عندما ذكر آلان ليويد اسم هنرى .

" أؤكد لك يا سيدى أنه قد أهدر كل مليم من أموال أمى . ولكى أكون محددا فإنه لم يبق معه سوى ثلاثة وثلاثين ألفا وأربعمائة واثنى عشر دولارا متبقية . أقترح ألا تدقق كثيرا فى حسابات أوسبورن ، بل يجدر بك أن تفتش بدقة فى خلفيته وماضيه وسجل أعماله وشركائه . ناهيك عن كونه مقامرا محترفا " .



صوب آلان التسديدة الثامنة فى البحيرة أمامهم مباشرة ؛ تسديدة لم يكن المبتدئون فى اللعب ليخطئوها . أخطأ الهدف .

قال آلان وهو شبه واثق من أن ويليام قد حصل عليها من خلال مكتب توماس كوهين : " كيف حصلت على هذه المعلومات عن هنرى ؟ " .

" أفضل أن أحتفظ بهذا لنفسى يا سيدى " .

آثر آلان الصمت فى هذا الصدد ، ظنا منه بأنه قد يحتاج هذه الأداة فى جعبته لكى يستخدمها فى وقت لاحق فى حياة ويليام .

" إن كان كل ما تقوله صحيحا يا ويليام ، فإننى بالطبع سوف أنصح والدتك برفض قرض هنرى ؛ كما أنه سوف يكون من واجبى أيضا طرح الأمر برمته مع هنرى بشكل مباشر " .

" اتفقنا إذن يا سيدى " .

سدد آلان ضربة أفضل ولكنه شعر أنه لم يكن بصدد الفوز .

واصل ويليام حديثه قائلا : " قد يهمك أيضا أن تعرف أن هنرى يريد أن يحصل على خمسمائة ألف دولار من وصيتى ليس لعقد المستشفى ولكن لكى يسدد دينا قديما فى شيكاغو . أعتقد أنك لم تكن تعلم ذلك يا سيدى " .

لم يتفوه آلان بكلمة ؛ لم يكن بالفعل لديه علم عن ذلك . كسب ويليام الهدف .

عندما وصلا إلى الهدف الثامن عشر ، كان آلان قد أخطأ ثمانية أهداف وبصدد إنهاء أسوأ جولة فى حياته . كان مقدما على هدف يبعد خمسة أقدام سوف يمكنه على الأقل من التعادل مع ويليام .

سأل آلان : " أمازال معك المزيد من القنابل المدوية فى جعبتك ؟ " .

" قبل أم بعد التسديدة يا سيدى ؟ " .

ضحك آلان وقرر أن يطلق عليه الماكر : " قبل التسديدة يا ويليام " قالها وهو ينحنى فوق مضربه .

" مثلاً ، إن أوسبورن لن يحصل على عقد المستشفى . إذ يرى المسئولون أنه قام على الأرجح برشوة بعض صغار الموظفين فى الحكومة . لن يكشف عن أى من هذا على الملأ . ولكن لضمان تجنب أية تداعيات لذلك فى وقت لاحق ، فقد تم استبعاد اسم شركته من القائمة النهائية . إن العقد سوف يمنح فى واقع الأمر إلى شركة كيرك برايد وكارتر . ولكن هذه المعلومة يا سيدى سرية ، حتى كيرك برايد وكارتر لن يطلعوا عليها إلا قبل أسبوع من يوم الخميس ، لذا يجب أن تبقى فى طى الكتمان يا سيدى " .

أطاح آلان بالتسديدة . أما ويليام فقد سددها ثم سار إليه وصافحه بحرارة .

" أشكرك على المباراة يا سيدى . أعتقد أنك مدين لى بتسعين دولارا " .

أخرج آلان حافظته وأعطاه ورقة بمائة دولار : " ويليام ، أعتقد أنه قد حان الوقت الذى يجب أن تكف فيه عن مناداتى بكلمة سيدى ، إن اسمى ـ كما تعرفه جيدا ـ هو آلان " .

" أشكرك يا آلان " وأعاد إليه ويليام عشرة دولارات .

وصل آلان ليويد إلى البنك صباح الاثنين وأمامه من العمل بعد لقائه مع ويليام ما يفوق ما خطط له من قبل . أوكل مهمة التحقق من اتهامات ويليام إلى خمسة من مديرى الإدارات فى البنك . كان يخشى نتائج هذه التحقيقات وما سوف تكشف عنه ، ونظرا لوضع آن فى البنك فقد حرص ألا يعلم أى قسم بما يقوم به القسم الآخر . كانت تعليماته لكل مدير من مديرى الإدارات واضحة وهو الحفاظ



على السرية التامة لكل التقارير بحيث يقتصر الاطلاع عليها على المدير فقط . ومع حلول يوم الأربعاء من نفس الأسبوع كانت التقارير الأولية موضوعة على مكتبه . بدت كل التقارير متوافقة مع حكم ويليام ، بالرغم من أن كل مدير من المديرين طلب منه أن يمنحه المزيد من الوقت للتحقق من بعض التفاصيل . قرر آلان ألا يزعج آن بما توصل إليه إلى أن يحصل على المزيد من الأدلة المادية . رأى أن أفضل ما يمكنه عمله فى ذلك الوقت هو أن يقبل دعوة آن لحضور حفل عشاء فى بيتها فى تلك الليلة وأن ينصحها بألا تتعجل فى اتخاذ قرار بشأن هذا القرض .

عندما وصل آلان إلى الحفل ، صدم لرؤية آن متعبة وشاحبة إلى هذا الحد مما دفعه إلى الترفق فى حديثه معها بدرجة أكبر . عندما نجح أخيرا فى الانفراد بها لم يكن أمامها أكثر من بضع لحظات . نظر إليها آلان ولسان حالة يقول : لو لم تكن بصدد إنجاب طفل فى ظل هذه الظروف لكان للأمور مسار آخر .

استدارت آلان وابتسمت له : " كم هو لطيف منك أن تأتى يا آلان بالرغم من انشغالك الشديد فى أعمال البنك " .

" لا يمكن أن تفوتنى إحدى حفلاتك يا عزيزتى . إنها مازالت الأفضل فى بوسطن " .

ابتسمت آن : " أعتقد أنك لا تخطئ القول أبدا " .

" ليس كثيرا . آن هل فكرت ثانية بشأن القرض ؟ " حاول أن يبدو السؤال عابرا .

" كلا ، لم أفعل ، لقد كنت مشغولة فى أشياء أخرى يا آلان . كيف تبدو دفاتر حسابات ويليام ؟ " .

" جيدة ، ولكننا لا نملك سوى حسابات عام واحد فقط ، لذا يجب أن نطلب من محاسبينا مراجعة الحسابات . هذه هى

السياسة التى يتبعها البنك دائما مع أى شخص يقل حجم تعاملاته عن ثلاث سنوات . أنا واثق أن هنرى سوف يتفهم موقفنا ويوافق على ذلك " .

جاء صوت مرتفع خلف آلان : " آن يا عزيزتى ، حفل رائع " . لم يتعرف آلان على الوجه ولكنه افترض أنه أحد أصدقاء هنرى من رجال الساسة . واصل الصوت العاطفى حديثه : " كيف حال الأم الصغيرة ؟ " .

انسل آلان بعيدا ، على أمل كسب بعض الوقت للبنك . كان الحفل يعج بالساسة من مجلس البلدية حتى أنه كان هناك رجلان من الكونجرس مما دفع آلان إلى التساؤل عن مدى صحة معلومات ويليام عن العقد . لم تكن مهمة البنك هى التحقق من ذلك لأن الإعلان الرسمى الصادر من البلدية كان من المقرر له أن يصدر فى الأسبوع التالى . ودع آلان مضيفته ومضيفه والتقط معطفه الأسود من حجرة المعاطف وغادر .

" فى نفس هذا الوقت من الأسبوع المقبل " قالها بصوت مرتفع وكأنه يريد أن يطمئن نفسه وهو يعود أدراجه من شارع تشست نات إلى منزله .

أثناء الحفل ، وجدت آن وقتا لمراقبة هنرى أثناء تواجده بالقرب من ميلى برستون . لم تكن هناك بكل تأكيد أية إشارات خارجية بينهما ، بل إن هنرى قضى معظم الوقت مع جون برستون . فكرت آن أنها ربما تكون قد أخطأت الحكم على زوجها مما دفعها إلى التفكير فى إلغاء موعدها مع جلين ريكاردو فى اليوم التالى . انتهى الحفل قبل ساعتين من الموعد الذى توقعته آن ، تمنت لو كان هذا يعنى أن الضيوف قد استمتعوا بوقتهم .



" حفل عظيم يا آن ، نشكرك لدعوتنا " قالها صاحب الصوت المرتفع ثانية الذى كان آخر المغادرين . لم تستطع آن أن تتذكر اسمه ولكنه كان يشغل منصبا ما فى مجلس البلدية . اختفى داخل سيارته .

صعدت آن الدرج فى تؤدة وهى تخلع ثوبها حتى قبل أن تصل إلى غرفة النوم وتتعهد لنفسها بأنها لن تقيم حفلاً آخر قبل إنجاب طفلها المتوقع بعد عشرة أسابيع .

كان هنرى بالفعل قد خلع ملابسه : " هل سنحت لك فرصة التحدث مع آلان يا عزيزتى ؟ " .

أجابت آن : " أجل . لقد قال إن حساباتك تبدو جيدة ولكن بما أنه لم يمض على عمل الشركة سوى عام واحد يجب أن يستعين بمحاسبيه لمراجعة الحسابات الخاصة بالشركة . يبدو أن هذه هى سياسة البنك فى مثل هذه الظروف " .

" اللعنة على سياسة البنك . ألا تشمين رائحة ويليام وراء كل ما يجرى ؟ إنه يحاول أن يعرقل القرض يا آن " .

" كيف يمكن أن تقول هذا ؟ إن آلان لم يذكر شيئا بشأن ويليام " .

قال هنرى وصوته يرتفع : " ألم يفعل ؟ ألم يزعج نفسه بإخبارك بأنه قد تناول الغداء مع ويليام يوم الأحد فى نادى الجولف بينما كنا نجلس هنا بمفردنا فى المنزل ؟ " .

قالت آن : " ماذا ؟ لا أصدق ذلك . إن ويليام لا يمكن أن يحضر إلى بوسطن دون أن يمر علىّ . لابد أنك مخطئ يا هنرى " .

" لقد كانت نصف المدينة هناك يا عزيزتى ، ولا أتصور أن ويليام قد سافر ما يقرب من خمسين ميلا فقط لكى يلعب مباراة جولف مع آلان ليويد . اسمعى يا آن ، أنا بحاجة إلى هذا القرض

وإلا فلن أكون مستوفيا لشروط المناقصة الخاصة بعقد المستشفى . فى وقت ما ـ فى وقت قريب جدا ـ يجب أن تقررى من منا سوف توليه ثقتك ، ويليام أم أنا . يجب أن أحصل على هذا المال فى غضون أسبوع من الغد أى لم يبق أمامى سوى ثمانية أيام فقط لأننى إن لم أثبت لمجلس البلدية أننى أملك هذا المبلغ فلن أكون مستوفيا للمواصفات المطلوبة . سوف أكون غير مستوف لأن ويليام لم يؤيد زواجنا . أرجوك يا آن اتصلى بآلان غدا واطلبى منه أن يحول هذا المبلغ ؟ " .

انفجر صوته الغاضب فى رأس آن ، مما جعلها تشعر بالدوار والوهن .

" كلا ، ليس غدا يا هنرى . ألا يمكن أن ننتظر حتى يوم الجمعة ؟ لدىَّ يوم مشحون غدا " .

تمالك هنرى نفسه واقترب منها وهى تقف أمام المرآة . مرر يده فوق بطنها المنتفخة : " أريد أن نمنح طفلنا الصغير هذا فرصة جيدة مثل ويليام " .

فى اليوم التالى بذلت آن جهدا مضنيا لكى تمنع نفسها من زيارة جلين ريكاردو ولكنها قبل الظهر بقليل وجدت نفسها داخل سيارة أجرة فى طريقها إليه . صعدت الدرج الخشبى ذا الصرير وهى تشعر بالارتعاد مما سوف تعرفه . كان بوسعها فى أية لحظة أن تدير ظهرها وتعود من حيث أتت . ترددت ثم طرقت الباب .

" تفضل " .

فتحت الباب .

" السيدة أوسبورن ، كم تسعدنى رؤيتك ثانية . تفضلى بالجلوس " .

جلست آن وأخذا يحدقان إلى بعضهما البعض .



قال جلين ريكاردو وهو يمرر يده فى شعره الأسود الطويل : " الأنباء ، للأسف ، ليست جيدة " .

شعرت آن بغصة فى حلقها .

" السيد أوسبورن لم يلتق بالسيدة برستون أو أية سيدة أخرى على مدى السبعة أيام الماضية " .

قالت آن : " ولكنك قلت إن الأنباء ليست سارة " .

" بالطبع يا سيدة أوسبورن ، كنت أظن أنك تبحثين عن مبررات للطلاق . إن الزوجة الغاضبة لا تحضر إلى هنا وهى تتمنى أن أثبت أن زوجها برىء " .

قالت آن وهى تتنهد فى ارتياح : " كلا ، كلا . إنها أفضل أخبار سمعتها منذ أسابيع " .

قال السيد ريكاردو مأخوذا قليلا : " حسنا ، حسنا . لنأمل أن الأسبوع الثانى لن يكشف عن أى جديد أيضا " .

" يمكنك أن توقف التحريات الآن يا سيد ريكاردو . أنا واثقة من أنك لن تكشف عن أى جديد فى الأسبوع المقبل " .

" لا أظن أنه من الحكمة أن نفعل ذلك يا سيدة أوسبورن . إن التوصل إلى قرار نهائى بناء على ملاحظات أسبوع واحد ليست شافية " .

" حسناً ، إن كنت ترى أنها سوف تجعلنا نتأكد من صحة ما توصلنا إليه ، فلا بأس ولكننى واثقة من أنك لن تتوصل إلى شىء فى الأسبوع المقبل " .

واصل جلين ريكاردو حديثه ، وهو ينفث دخان سيجارته ، التى بدت أكبر وأزكى رائحة عن الأسبوع الماضى : " على أية حال ، لقد سددت بالفعل ثمن أسبوعين من العمل " .

" وماذا عن الخطابات ؟ " سألت آن ذلك بعد أن تذكرتها فجأة . " أعتقد أن المرسل هو شخص يكن الحقد لزوجى " .

" حسنا ، كما ذكرت لك فى الأسبوع الماضى ، يا سيدة أوسبورن ، فإن تتبع خطابات لشخص مجهول لن يكون أمرا سهلا بالمرة . ومع ذلك ، فقد تمكنا من تحديد المحل الذى تم شراء الآلة الكاتبة منه لأن هذا النوع من الأنواع غير المعروفة ولكننى إلى الآن لا أملك المزيد من المعلومات فى هذا الصدد . ولكننى أكرر ثانية أننى قد أتوصل لمزيد من المعلومات فى الأسبوع المقبل . هل وصلتك المزيد من الخطابات على مدى الأيام القليلة الماضية ؟ " .

" كلا ، لم تصلنى أية رسائل " .

" حسنا ، يبدو أن كل الأمور تسير لصالحنا . دعينا نأمل أن الحال سوف يبقى على ما هو عليه فى الأسبوع التالى وأن مقابلة يوم الخميس سوف تكون الأخيرة " .

أجابت آن فى سعادة : " نعم . دعنا نأمل ذلك . هل يمكن أن نسوى نفقات الأسبوع المقبل ؟ " .

" بالطبع ، بالطبع " .

كادت آن تنسى هذه العبارة ، ولكنها فى هذه المرة لم تثر فيها سوى الرغبة فى الضحك . فى طريق عودتها إلى البيت قررت آن أن هنرى يجب أن يحصل على الخمسمائة ألف دولار والفرصة لإثبات خطأ ظن ويليام وآلان . لم تكن بعد قد تخطت محنة حضور ويليام إلى بوسطن بدون علمها ، ربما يكون هنرى محقا فى قوله بأن ويليام يحاول أن يخطط دون علمهما .

سعد هنرى سعادة غامرة عندما أخبرته آن فى هذه الليلة أنها قررت أن تمنحه القرض فقدم لها المستندات القانونية فى صباح



اليوم التالى لكى توقع عليها . لم تقو آن على منع نفسها من الفكير بأن الأوراق كانت معدة بالفعل ، وخاصة أن توقيع ميلى برستون كان مدونا عليها ؛ أم أنها أصبحت شديدة التشكك ثانية ؟ تجاهلت الفكرة ووقعت بسرعة .

كانت على أتم استعداد لمواجهة آلان ليويد عندما اتصل بها هاتفيا فى صباح يوم الاثنين .

" آن ، دعينا نتروى قليلا حتى الخميس المقبل . وعندها سوف نعرف من الذى حصل على عقد المستشفى " .

" كلا يا آلان ، لقد اتخذت القرار بالفعل . هنرى بحاجة إلى المال . يجب أن يثبت لمجلس البلدية أنه قادر ماديا على إنجاز العقد وأنت قد حصلت بالفعل على إمضاء اثنين من الأوصياء وهذا يعنى أن الأمر أصبح خارجا عن نطاق سيطرتك " .

" إن البنك يمكنه دائما أن يدعم وضع هنرى بدون أن يمنحه المال . أنا واثق من أن مجلس البلدية سوف يقبل بهذا الحل . على أية حال ، أنا لم أمنح وقتا كافيا لكى أراجع حسابات شركة هنرى " .

" ولكنك كنت تملك وقتا كافيا لتناول الغداء مع ويليام يوم الأحد الماضى بدون أن تزعج نفسك بإخبارى " .

سادت لحظة صمت فى الطرف الآخر .

" آن ، أنا ـــــ " .

" لا تقل لى إنه لم تسنح لك الفرصة ، لقد جئت إلى حفلنا يوم الأربعاء وكان بوسعك أن تخبرنى بالأمر . ولكنك اخترت ألا تقول ، ومع ذلك فقد وجدت الوقت لكى تنصحنى بإرجاء الحكم على القرض الخاص بهنرى " .

" آن ، أنا آسف . أتفهم تماما ما تبدو عليه الصورة الآن وسر شعورك بالضيق ، ولكن هناك بالفعل سببا لذلك ، صدقيني . هل يمكنني أن أحضر لزيارتك وتوضيح كل الأمور ؟ " .

" كلا يا آلان ، لا يمكن . أنتم جميعا تتآمرون ضد زوجى . لا أحد منكم يريد أن يمنحه فرصة لكى يثبت ذاته . لذا ، سوف أمنحه أنا هذه الفرصة " .

وضعت آن سماعة الهاتف ، وهى راضية عن نفسها ، وقد تملكها الشعور بالإخلاص لزوجها هنرى وكأنها تكفر عن شكها فيه فى البداية .

حاول آلان ليويد أن يتصل بها هاتفيا ثانية ولكن آن كانت قد أبلغت الخدم بأن ينكروا وجودها فى المنزل لباقى اليوم . عندما عاد هنرى إلى المنزل فى المساء ، سعد عندما قصت عليه زوجته ما فعلته مع آلان .

" كل الأمور سوف تسير على ما يرام ، يا حبيبتى ، سوف ترين . وفى صباح يوم الخميس ، سوف أحصل على العقد وسوف تقبلينني وتتصالحين مع آلان ، يفضل أن تبتعدى عن طريقه حتى ذلك الوقت . بل إنك إن أردت يمكننا أن نحتفل سويا بتناول الغداء فى مطعم ريتز يوم الخميس وأن نلوح إليه من الجانب الآخر من المطعم .

ابتسمت آن ووافقت . لم تنجح فى تناسى موعدها المزمع مع ريكاردو يوم الخميس لآخر مرة فى الثانية عشرة ظهرا . ولكن مع ذلك سوف يبقى أمامها وقت للحاق بزوجها فى مطعم ريتز فى الواحدة ظهرا لكى تحتفل بالمناسبتين فى آن واحد .

حاول آلان بلا جدوى الوصول إلى آن ، ولكن الخدم كانوا يتعللون دائما بأعذار سابقة الإعداد . بما أن المستندات قد استوفت



توقيع اثنين من الأوصياء لم يكن بوسع آلان أن يرجئ الدفع لأكثر من أربع وعشرين ساعة . كانت الصيغة القانونية للوصية والتى كتبها ريتشارد كين لا تترك أية ثغرة قانونية يمكن النفاذ منها . عندما غادر الشيك الذى يحمل خمسمائة ألف دولار البنك على يد وسيط خاص ظهيرة يوم الثلاثاء ، كتب آلان خطابا طويلا إلى ويليام ، يذكر له فيها كل ما جرى من أحداث والتى عجلت باستصدار الشيك مع التحفظ فقط على النتائج التى توصلت إليها التقارير البنكية فى هذا الصدد . وقد أرسل فى نفس الوقت نسخة من الخطاب إلى كل مدير من مديرى البنك وهو مدرك تماما أنه بالرغم من أنه قد تصرف بالشكل المناسب فإنه قد وضع نفسه فى موضع التواطؤ .

تلقى ويليام خطاب آلان ليويد فى مدرسة سانت بول صباح يوم الخميس بينما كان يتناول إفطاره مع ماثيو .

كان إفطار يوم الخميس فى بيكون هيل مؤلفاً من البيض وشرائح اللحم المقدد والخبز الساخن والشوفان البارد وكوب من القهوة الساخنة . كان هنرى متوتراً ومرحا فى آن واحد ، كان يخاطب الخدم بحدة ويمزح مع صغار الموظفين عبر الهاتف والذين اتصلوا به هاتفيا لإخباره بأن موعد إعلان الشركة التى حصلت على عقد المستشفى سوف يعلق فى مقر مجلس البلدية قرابة العاشرة . كانت آن بالفعل تتطلع إلى موعدها الأخير مع جلين ريكاردو . تصفحت سريعا مجلة " فوج " وحاولت تجاهل يد زوجها المرتعدة وهو يمسك بجريدة جلوب .

سأل هنرى وهو يحاول أن يجرى حوارا : " ما هى خططك لهذا الصباح ؟ " .

قالت آن : " ليس الكثير قبل غداء الاحتفال ، هل يمكن أن تطلق على جناح الأطفال فى المستشفى اسم ريتشارد تخليدا لذكراه ؟ " .

" ليس تخليدا لريتشارد يا عزيزتى . هذا سوف يكون إنجازى أنا ، لذا يجب أن يكون فى شرفك أنت . جناح السيدة هنرى أوسبورن " . قالت آن وهى تضع المجلة وتبتسم إليه : " يا لها من فكرة رائعة . ولكن لا تدعنى أفرط فى تناول الشراب على الغداء لأن الدكتور مكنزى سوف يفحصنى اليوم ولا أعتقد أنه سوف يرحب بإفراطى فى الشراب قبل موعد الإنجاب ببضعة أسابيع . ولكن متى ستعرف على وجه التأكيد أنك قد حصلت على العقد ؟ "

قال هنرى : " أنا أعرف الآن . الموظف الذى تحدثت إليه كان واثقا بنسبة مائة بالمائة ولكن الإعلان الرسمى لن يصدر قبل العاشرة صباحا " .

" أول شيء يجب أن تفعله عندها يا هنرى هو أن تتصل بآلان وتخبره بالأنباء السارة . لقد بدأت أشعر بالذنب للطريقة التى عاملته بها على مدى الأسبوع الماضى " .

" ليس هناك ما يدعو للشعور بالذنب ، إنه لم يكبد نفسه عناء إخبارك بأفعال ويليام " .

" لا . ولكنه حاول أن يشرح موقفه فى وقت لاحق يا هنرى وأنا لم أمنحه أية فرصة لكى يبرر موقفه " .

" حسنا ، حسنا ، أوافقك على كل ما تقولين . إن كان هذا سيسعدك سوف أتصل به فى العاشرة وخمس دقائق ويمكنك أن تخبرى ويليام بأننى سوف أمنحه مليون دولار إضافية " . ثم نظر فى ساعته وقال : " يجب أن أنصرف الآن . تمنى لى حظا طيبا " .

قالت آن : " أظن أنك لست بحاجة إلى الحظ " .



أجاب هنرى : " كلا ، كلا ، إنه مجرد تعبير . أراك فى فندق ريتز فى الواحدة ظهرا " . ثم طبع على جبينها قبلة وأضاف : " بحلول المساء سوف تصبحين قادرة على إثبات خطأ موقف آلان وويليام وسوف تنظرين إلى كل هذا على أنها مشاكل منتهية ، صدقينى . إلى اللقاء يا عزيزتى " .

" أتمنى ذلك يا هنرى " .

بقى الإفطار دون أن يمس على المائدة أمام آلان ليويد . كان يقرأ صفحات المال فى جريدة جلوب ، وقد لاحظ خلال القراءة فقرة صغيرة فى الجانب الأيمن تشير إلى أن الإعلان عن نتيجة الشركة التى فازت بعقد المستشفى الذى يصل إلى خمسة ملايين دولار سوف سوف يتم فى العاشرة صباحا .

كان آلان ليويد قد قرر بالفعل التصرف الذى سوف يقدم عليه إن فشل هنرى فى الحصول على العقد وتبين أن كل ما ادعاه ويليام كان صحيحا . سيتصرف تماما بنفس الطريقة التى كان ريتشارد سيتصرف بها إن كان قد واجه نفس الموقف ، سيتصرف فقط وفق مصلحة البنك . كانت التقارير التى حصل عليها آلان مؤخرا عن طريق أقسام البنك بشأن وضع هنرى المادى تثير قلقه بدرجة كبيرة . كان أوسبورن بالفعل مقامراً محترفاً كما أنه لم ينجح فى اقتفاء أثر الخمسمائة ألف دولار التى اقترضها من آن فى أعمال شركته . تناول آلان ليويد عصير البرتقال على عجل دون أن يمد يده إلى باقى الإفطار ، ثم اعتذر إلى مدير منزله وسار فى طريقه إلى البنك . إنه يوم حافل .

" ويليام هل أنت مستعد للعب التنس فى الظهيرة ؟ " .

كانا يتناولان الإفطار ، وكان ماثيو ليستر يقف قبالة ويليام وهو يقرأ خطاب آلان ليويد للمرة الثانية .

" ما الذى قلت ؟ " .

" هل أصبت بالصمم أم أنك تعانى من شيخوخة مبكرة ؟ هل تريدنى أن ألحق بك هزيمة منكرة فى ملعب التنس اليوم ؟ " .

" كلا لن أكون موجودا فىهذا الوقت يا ماثيو . لدىَّ شئون أكثر أهمية يجب أن أتولى أمرها " .

" بالطبع أيها الفتى الناضج ، لقد نسيت أنك بصدد القيام برحلة أخرى من تلك الرحلات الغامضة إلى البيت الأبيض . أعرف أن الرئيس هاردينج فى انتظارك لكى تكون مستشاره المالى الأول وأنت بالفعل الرجل المناسب لهذا المنصب بدلا من هذا الأحمق الذى يدعى تشارلز جى داوز . أخبره بأنك موافق على قبول المنصب شريطة أن يعين ماثيو ليستر فى وظيفة النائب " .

لم تكن هناك إجابة من ويليام .

قال ماثيو وهو يجلس بجوار ويليام وينظر إليه بإمعان : " أعرف أن المزحة لم تكن جيدة ولكن مع ذلك فهى جديرة بالتعليق . إنه البيض ، أليس كذلك ؟ إن مذاقه يوحى بأنه قد جاءنا من أحد معسكرات الاعتقال الروسية " .

" بدأ ويليام حديثه وهو يعيد خطاب آلان داخل الظرف : " ماثيو أنا بحاجة إلى مساعدتك " .

" لقد تلقيت خطابا من أختى وهى تخبرك بأنك تصلح بديلا جيداً لرودلف فلنتينو " .

وقف ويليام : " كفى مزاجا يا ماثيو . لو تعرض بنك والدك للسرقة فهل كنت ستكتفى بإلقاء النكات ؟ " .



كان التعبير الذى ارتسم على وجه ويليام بالغ الجدية . تغيرت نبرة ماثيو وقال : " كلا لن أفعل " .

" حسنا . إذن دعنا نخرج من هنا وسوف أشرح لك كل شيء " .

غادرت آن بيكون هيل بعد العاشرة بقليل لكى تتسوق قليلا قبل أن تذهب إلى لقائها الأخير مع جلين ريكاردو . بدأ الهاتف يدق وهى تغادر فى طريقها إلى شارع تشستنات . أجاب الخادم على الهاتف ثم نظر عبر النافذة فوجد أن سيدته قد ابتعدت كثيرا إلى حد لا يسمح برجوعها . لو كانت آن قد عادت لتلقى المكالمة لكانت قد تعرفت على قرار مجلس البلدية الخاص بعقد المستشفى ، ولكنها بدلا من ذلك اشترت بعض الجوارب الحريرية وجربت عطرا جديدا . ووصلت إلى مكتب ريكاردو بعد الثانية عشرة بقليل وهى تأمل أن تغطى رائحة العطر الجديد على رائحة دخان سيجاره .

" أتمنى ألا أكون قد تأخرت يا سيد ريكاردو " .

" تفضلى يا سيدة أوسبورن " . لم تكن علامات التفاؤل مرتسمة على وجهه ولكن آن كانت تعتقد أنها لا ترتسم بحال على وجهه . ثم لاحظت أنه لا يدخن سيجاره المعتاد .

فتح جلين ريكاردو ملفاً بنياً انيقاً ؛ كان الشيء الجديد الوحيد الذى نجحت آن فى ملاحظته على المكتب ، واستخرج بعض الأوراق منه .

" دعينا نبدأ بالخطابات المجهولة يا سيدة أوسبورن " .

لم ترتح آن إلى نبرة صوته بالمرة . " أجل بالطبع " ، هذا هو ما نجحت فى إجابته به .

" إنها مرسلة من قبل السيدة روبى فلاورز " .

قالت آن وهى لا تطيق صبرا لمعرفة الإجابة : " من ؟ لماذا ؟ ".

" أعتقد أن أحد الأسباب هو أن السيدة فلاورز قد رفعت دعوى ضد زوجك " .

قالت آن : " حسناً هذا يكشف الغطاء عن السر كاملا . لابد أنها تسعى للانتقام منه . ما هو المبلغ الذى تزعم أن هنرى يجب أن يسدده لها ؟ " .

" إنها لا تطالب بسداد دين يا سيدة أوسبورن " .

" حسنا ، ما الذى تطالب به إذا ؟ " .

دفع جلين ريكاردو نفسه لكى ينهض من فوق الكرسى وكانت هذه الحركة تتطلب بذل كامل قوة ذراعيه لكى يدفع بجسده المتعب إلى أعلى . سار نحو النافذة ونظر من خلالها إلى ميناء بوسطن المزدحم .

" إنها تقاضيه لأنه نقض عهده معها يا سيدة أوسبورن " .

قالت آن : " كلا ، لا يمكن " .

" يبدو أنه كان قد خطبها وكان قد عزم على الزواج منها فى الوقت الذى التقى فيه بك وعندها قرر أن يفسخ خطوبته بدون أن يبدى أية أسباب واضحة " .

" يا إلهى . لابد أنها كانت تلهث وراء ماله " .

" كلا ، لا أعتقد ذلك . لأن السيدة فلاورز تملك بالفعل ثروة معقولة . بالطبع إنها ليست فى مثل مستواك . ولكن زوجها الراحل كان قد ترك لها شركة تعبئة مياه غازية وقدراً معقولاً من المال " .

" زوجها الراحل ، كم عمرها ؟ " .

عاد المحقق إلى المكتب ثم راجع صفحة أو اثنتين فى الملف وأخذ يقلب الورق إلى أن توقف إصبعه الأسود عند صفحة ما :

" سوف تبلغ الخامسة والثلاثين فى عيد ميلادها القادم " .



قالت آن : " يا إلهى ! يا لها من امرأة مسكينة ، لابد أنها تكرهنى " .

" نعم يا سيدة أوسبورن ، ولكن هذا لن يساعدنا بحال . لأننى الآن يجب أن أتحدث عن باقى أنشطة زوجك " .

عاد الإصبع الملطخ ببقع النيكوتين يقلب المزيد من الصفحات . بدأت آن تشعر بالغثيان . ما الذى جاء بها إلى هنا ، لماذا لم تكتف بزيارة الأسبوع الماضى ؟ ما كان يجب أن تعرف ، ما كانت تريد أن تعرف . لِمَ لم تقم وتغادر المكان ؟ لكم تمنت فى ذلك الوقت أن يكون ريتشارد بجانبها ، فقد كان يعرف تحديدا كيف يتعامل مع مثل هذه المواقف . وجدت نفسها عاجزة عن الحركة . وجدت نفسها وكأنها قد وثقت بجلين ريكاردو ومحتويات ملفه الأنيق الجديد .

" لقد التقى السيد أوسبورن على مدى الأسبوع الماضى مع السيدة برستون مرتين وقضى معها فى كل مرة ثلاث ساعات على انفراد " .

أجابت آن فى يأس : " ولكن هذا لا يثبت شيئا . فأنا أعلم أنهما كانا يناقشان بعض الأمور المالية المهمة " .

" فى فندق صغير فى شارع لاسال " .

لم تقاطع آن حديث المحقق ثانية .

" فى المرتين شوهد الاثنان وهما يسيران ممسكين بيد بعضهما البعض فى طريقهما إلى الفندق وهما يتهامسان ويتضاحكان . هذا ليس دليلا قاطعا بالطبع ولكننا حصلنا على صور لهما وهما يدخلان ويغادران الفندق " .

أجابت آن فى هدوء : " مزقها " .

نظر إليها جلين ريكاردو فى دهشة : " كما تحبين يا سيدة أوسبورن . ولكننى أخشى أن هناك المزيد . لقد تأكدنا من خلال البحث أن السيد أوسبورن لم يلتحق بهارفرد فى يوم من الأيام كما أنه لم يخدم أيضا فى القوات الأمريكية . كان هناك رجل يدعى هنرى أوسبورن فى هارفرد يصل طوله إلى خمسة أقدام ونصف ، أشقر الشعر ولكن من ولاية ألباما . وقد قتل فى مين عام ١٩١٧ . كما أننا علمنا أيضا أن عمر زوجك يقل كثيرا عما يقوله وأن اسمه الحقيقى هو فيتوريو توجنا ، وأنه قد خدم ـــــــ " .

قالت آن والدموع تنهمر على خديها : " كفى لا أريد أن أسمع المزيد . لا أريد أن أسمع المزيد " .

" بالطبع ، يا سيدة أوسبورن ، أتفهم ذلك . ولكننى آسف لأن هذه الأخبار قد أثارت شجونك . فى عملى أحيانا ـــــــ " .

قاومت آن لكى تتمالك نفسها : " أشكرك يا سيد ريكاردو وأقدر لك جهدك . ما هو المبلغ المطلوب ؟ " .

" حسنا لقد دفعت بالفعل أسبوعين مقدما . هناك يومان إضافيان وهذا يعنى أن إجمالى النفقات يصل إلى سبعين دولارا " .

أعطته آن ورقة بمائة دولار ونهضت من مقعدها .

" لا تنسى الباقى يا سيدة أوسبورن " .

هزت رأسها وأشاحت بيدها فى عدم اكتراث .

" هل أنت بخير يا سيدة أوسبورن . تبدين شاحبة بعض الشىء . هل يمكن أن أحضر لك كوبا من الماء أو شيئاً من هذا القبيل ؟ " .

قالت آن : " أنا على ما يرام " .

" هل يمكن أن تسمح لى أن أقودك إلى المنزل ؟ " .



استدارت وابتسمت : " كلا ، أشكرك يا سيد ريكاردو ، يمكننى أن أصل إلى هناك بمفردى . هذا لطف منك " .

أغلق جلين ريكاردو الباب بهدوء خلف عميلته ، وسار فى بطء نحو النافذة وقضم نهاية آخر سيجارة كبيرة لديه وبصقها وصب لعناته على عمله .

توقفت آن عند بداية الدرج ، وهى تتعلق بالترابزين على وشك أن تصاب بالإغماء . تحرك الجنين داخل بطنها مما أصابها بالغثيان . عثرت على سيارة أجرة عند أحد أركان الشارع وألقت بنفسها فى المقعد الخلفى ، كانت عاجزة عن التوقف عن النواح والبكاء وهى لا تدرى ما يمكن أن تكون عليه خطوتها القادمة . بمجرد أن عادت إلى البيت الأحمر ، توجهت مباشرة نحو غرفتها قبل أن يلحظ أى من الخدم الحال التى هى عليها . كان الهاتف يدق عندما دخلت غرفتها فالتقطت السماعة بحكم العادة وليس بدافع فضول معرفة اسم المتصل .

" هل يمكن أن أتحدث مع السيدة كين من فضلك ؟ " .

تعرفت على صوت آلان فى الحال . صوت آخر منهك وحزين .

" مرحبا يا آلان ، أنا آن " .

" آن ، يا عزيزتى ، لقد أسفت لسماع ما حدث هذا الصباح " .

" وكيف عرفت ما حدث يا آلان ؟ كيف يمكن أن تكون قد عرفت ؟ من الذى أخبرك ؟ " .

" لقد اتصل بى أحد مسئولى مجلس البلدية وأبلغنى بكل التفاصيل بعد العاشرة صباحاً . حاولت أن أتصل بك ولكن خادمك أبلغنى بأنك قد غادرت المنزل لشراء بعض الأغراض " .

قالت آن : " أجل ، يا إلهي . كنت قد نسيت مسألة العقد " . جلست بكل ثقلها وهى عاجزة عن التقاط أنفاسها بشكل جيد .

" هل أنت بخير يا آن ؟ " .

أجابت وهى تحاول بلا جدوى أن تغير صوتها المنتحب : " نعم أنا بخير . ما الذى أبلغك به مجلس البلدية ؟ " .

لقد تم منح العقد لشركة تدعى كيرك برايد . يبدو أن هنرى لم يسجل ضمن أفضل ثلاث شركات . لقد بذلت جهدى للاتصال به طوال اليوم ولكن يبدو أنه قد غادر مكتبه بعد العاشرة بقليل ولم يعد منذ ذلك الحين . هل تعرفين أين ذهب يا آن ؟ " .

" كلا ، ليست لدىَّ أية فكرة " .

قال : " هل تريدين أن آتى إليك يا عزيزتى ؟ يمكننى أن أصل إليك فى دقائق " .

" كلا ، أشكرك يا آلان " . صمتت آن لكى تلتقط نفسا متهدجا ثم أضافت : " أرجوك سامحنى على الطريقة التى عاملتك بها على مدى الأيام القليلة الماضية . لو كان ريتشارد مازال على قيد الحياة لما كان قد غفر لى أبدا ذلك " .

" لا تقلقى يا آن . إن صداقتنا التى امتدت لسنوات أكبر من هذا الحادث البسيط " .

أثارت رقته رغبتها فى البكاء من جديد .

" يجب أن أنهى المكالمة الآن يا آلان . إنى أسمع وقع أقدام شخص ما عند الباب الأمامى ، ربما يكون هنرى " .

" اعتنى بنفسك يا آن ولا تقلقى بشأن ما حدث اليوم . مادمت رئيسا للبنك فإن البنك سوف يدعمك دائما . لا تترددى فى الاتصال بى إن احتجت لشيء " .



وضعت آن سماعة الهاتف ، والضوضاء تتردد فى أذنيها . كان الجهد الذى تبذله لكى تلتقط أنفاسها يفوق الاحتمال . تهاوت على الأرض وبدأت آلام المخاض العنيفة تداهمها .

مرت دقائق معدودة ثم طرقت الخادمة باب الحجرة . نظرت بالداخل ، كان ويليام يقف وراءها . لم يكن قد دخل غرفة والدته منذ زواجها من هنرى أوسبورن . هرع الاثنان بجوار آن التى كانت ترتعد فى تشنج . لم تشعر آن بوجودهما . تناثرت بعض الرغاوى على شفتها العليا وبعد ثوان انتهت النوبة وبقيت تئن فى هدوء .

قال ويليام فى انزعاج : " أمى ما الخطب ؟ " .

فتحت آن عينيها وأخذت تحدق بتمعن إلى ابنها : " ريتشارد ، حمدا لله على مجيئك ، أنا بحاجة إليك " .

" أنا ويليام يا أمى " .

خبت نظرتها : " لم أعد أملك المزيد من القوة . يجب أن أدفع ثمن خطئى ، سامحنى ــــ " .

ثم انقلب صوتها إلى تأوه عندما داهمها تقلص قوى آخر .

قال ويليام فى يأس : " ما الذى يحدث ؟ " .

أجابت الخادمة : " أعتقد أنها على وشك الوضع بالرغم من أن موعد الولادة قد بقى عليه عدة أسابيع " .

قال ويليام للخادمة وهو يخرج مسرعا من باب غرفة النوم : " اتصلى بالدكتور مكنزى على الفور . ماثيو ! اصعد سريعا " .

صعد ماثيو الدرج مسرعا ودخل مع ويليام غرفة النوم : " ساعدنى لكى أحمل والدتى إلى السيارة " .

جثا ماثيو على ركبتيه . ثم حمل الفتيان آن وهبطا بها الدرج فى رفق إلى أن وضعاها داخل السيارة . كان من الواضح أنها تعانى

من آلام مبرحة . أسرع ويليام عائدا إلى المنزل والتقط سماعة الهاتف من الخادمة بينما بقى ماثيو منتظرا داخل السيارة .

" دكتور مكنزى " .

" نعم ، من المتحدث ؟ " .

" اسمى ويليام كين ، أنت لا تعرفنى يا سيدى " .

" كيف لا أعرفك ، أيها الشاب الصغير ؟ لقد ولدت على يدى . ما الذى يمكننى أن أسديه لك ؟ " .

" أعتقد أن أمى تعانى آلام المخاض ، سوف أحملها إليك فى المستشفى فى الحال . سوف أصل هناك بعد ثلاث دقائق " .

تغيرت نبرة صوت الدكتور مكنزى : " حسنا يا ويليام ، لا تقلق سوف أبقى هنا فى انتظارها . سوف يكون كل شيء معدا عند وصولها " .

قال ويليام فى تردد : " أشكرك يا دكتور . يبدو أنها أصيبت بنوبة تشنج ، فهل هذا طبيعى ؟ " .

أثارت كلمات ويليام ذعر الطبيب الذى تردد هو الآخر وأجاب قائلا :

" حسنا ، ليس هذا طبيعيا تماما ولكنها سوف تكون بخير بمجرد أن تضع الطفل . أحضرها بأسرع ما يمكن . وضع ويليام سماعة الهاتف وجرى خارج المنزل وقفز فى السيارة الرولز رويس .

قاد ماثيو السيارة بدون أن يتخطى السرعة الأولى أو يتوقف عند أية إشارة أو لأى شيء إلى أن وصلا إلى المستشفى . حمل الفتيان آن ثم جاءت ممرضة بنقالة وقادتها إلى قسم الولادة . كان الدكتور مكنزى واقفا عند غرفة الجراحة فى انتظارها . تسلمها ثم طلب من الفتيان البقاء خارج الغرفة .



جلس ويليام وماثيو فى صمت على الأريكة الصغيرة فى انتظار ما سوف يحدث . توالت من داخل غرفة الولادة الصيحات والصرخات المفزعة التى لم تكن تشبه أى صوت قد سمعاه من قبل . تلاها صمت مطبق أكثر إثارة للفزع . شعر ويليام لأول مرة فى حياته بالعجز التام . بقى الفتيان جالسين فوق الأريكة لأكثر من ساعة بدون أن يتفوه أى منهما بكلمة واحدة . وفى النهاية خرج عليهما الدكتور مكنزى وهو فى حالة إعياء . نهض الصبيان ونظر الطبيب إلى ماثيو ليستر موجها حديثه إليه .

سأل الطبيب : " هل أنت ويليام ؟ " .

" كلا يا سيدى ، أنا ماثيو ليستر ، هذا هو ويليام " .

استدار الطبيب ووضع إحدى يديه على كتف ويليام .

" ويليام ، أنا آسف . لقد توفيت والدتك منذ بضع دقائق . أما الطفل والذى كان أنثى فقد أجهض " .

لم يتمالك ويليام نفسه وهوى فوق الأريكة .

هز الطبيب رأسه فى إعياء : " لقد بذلنا قصارى جهدنا لإنقاذها ولكن الوقت كان قد تأخر كثيرا . إنها لم تصغ إلى وأصرت على الإنجاب . ما كان يجب أن يحدث هذا أبدا " .

جلس ويليام فى بداية الأمر فى صمت ، وهو مذهول من وقع الكلمات العصيبة . ثم تمتم قائلا : " كيف يمكن أن تموت ؟ كيف تركتموها تموت ؟ " .

جلس الطبيب بين الصبيين : " لم تكن تصغى إلىَّ " كررها الطبيب ببطء . " طالما حذرتها من الإنجاب عندما فقدت جنينها ولكنها عندما تزوجت ثانية ، لم تكن هى وزوجها يصغيان إلىَّ ويأخذان كلامى على محمل الجد . لقد كانت تعانى من ارتفاع فى ضغط الدم فى حملها الأخير . لقد كان ضغطها يقلقنى فى هذه المرة

ولكنه لم يقترب أبدا من حد الخطر . ولكنك عندما أحضرتها اليوم كان ضغط الدم قد قفز إلى معدل خطير أصابها بالإرجاج ؟ " .

" الإرجاج ؟ " .

" إنها تلك التقلصات التى أصابتها . أحيانا قد ينجح بعض المرضى فى تخطى العديد من النوبات ولكن فى أحيان أخرى قد يعجز المريض ببساطة عن التنفس " .

التقط ويليام أنفاسه بصعوبة وترك رأسه يهوى بين يديه ، قاده ماثيو ليستر صديقه بطول الردهة وسار الطبيب خلفهما . عندما وصلوا إلى المصعد ، نظر الطبيب إلى ويليام وقال له :

" لقد أصابها ارتفاع مفاجئ فى ضغط الدم وهو أمر لا يحدث فى العادة كما أنها لم تبذل أى جهد للمقاومة كما لو كانت لا تعبأ . هذا أمر غريب ، هل كان هناك ما يقلقها فى الآونة الأخيرة ؟ " .

رفع ويليام رأسه المغطى بالدموع ورد قائلا : " ليس شيئا " ثم أضاف فى كراهية : " وإنما شخص " . كان آلان ليويد جالسا فى إحدى زوايا غرفة الرسم عندما عاد ويليام وماثيو إلى البيت الأحمر . نهض فور دخولهما .

قال فى الحال : " ويليام . إننى ألوم نفسى على السماح بهذا القرض " .

نظر ويليام إليه بدون أن يلقى بالا لما يقول . كسر ماثيو حاجز الصمت وقال : " لا أعتقد أن هذا الأمر قد أصبح الآن ذا أهمية " ثم أضاف فى هدوء : " لقد توفيت والدة ويليام لتوها أثناء الوضع " .



بهت آلان ليويد عند سماع النبأ ثم استند إلى رف المدفأة لكى يتمالك نفسه . استدار فى الجهة المقابلة . كانت هذه هى المرة الأولى التى يرى فيها الصبيان رجلا كبيرا يبكى .

قال الرجل : " أنا السبب . لن أسامح نفسى أبدا . كان يجب أن أخبرها بكل شيء . كنت أحبها إلى الحد الذى منعنى من إخبارها " .

هدأ حزن الرجل من روع ويليام .

قال ويليام فى حزم : " لم يكن خطأك بكل تأكيد يا آلان . " لقد بذلت قصارى جهدك . أنا واثق من ذلك . وأنا الآن الذى سوف أكون بحاجة إلى مساعدتك " .

تمالك آلان ليويد نفسه وسأل ويليام : " وهل علم أوسبورن بوفاة والدتك ؟ " .

" لا أعلم ولا أعبأ " .

" لقد حاولت أن أتصل به طوال اليوم لكى أحادثه بشأن الاستثمار ولكنه كان قد غادر مكتبه بعد العاشرة بقليل ولم يعد إليه أبدا منذ ذلك الوقت " .

قال ويليام فى تجهم : " سوف يعود هنا إن عاجلا أم آجلا " .

بعد أن غادر آلان ليويد ، بقى ويليام وماثيو جالسين فى الغرفة الأمامية معظم الليل وهما يغفوان من آن إلى آخر . وفى الرابعة صباحا ، بينما كان ويليام يحصى مجموعة الأجراس فى ساعة جده هيئ إليه أنه قد سمع جلبة فى الشارع . كان ماثيو ينظر إلى المشى عبر النافذة . سار ويليام فى ثبات إلى أن وقف بجواره . أخذا يتأملان هنرى أوسبورن وهو يسير مترنحا فى ميدان لويز برج حاملا زجاجة فى يده . تعثر هنرى فى المفاتيح لبعض الوقت وأخيرا ظهر

عند البهو وسار نحو الغرفة الأولى وأخذ ينظر إلى الصبيين فى ذهول .

قال فى صوت منهك واهن وهو يحاول أن يدفع ويليام جانبا : " أريد آن وليس أنت . ما هو سبب تغيبك عن المدرسة ؟ أنا لا أريدك ، أين آن ؟ " .

قال ويليام فى هدوء : " لقد توفيت والدتى " .

نظر إليه هنرى أوسبورن فى بلاهة لبضع ثوان .

أثارت نظرته الغبية أعصاب ويليام .

صاح قائلا : " أين كنت عندما كانت بحاجة إلى زوج ؟ " . بقى أوسبورن واقفا وهو يترنح قليلا : " وما الذى أصاب الوليد ؟ " .

" لقد أجهض الجنين؛ لقد كانت أنثى " .

سقط هنرى أوسبورن فوق أحد المقاعد وأخذت الدموع الثملة تغطى وجهه : " لقد فقدت وليدى الصغير " .

كان ويليام عندها قد جن جنونه وراح يصيح فى حدة وجزع : " وليدك ؟ كف عن التفكير فى نفسك ولو مرة واحدة . لقد كنت تعلم أن الدكتور مكنزى قد حذرها من الإنجاب ثانية " .

" وهل أنت خبير فى هذه الأمور أيضا ، أنت خبير فى هذا مثل كل الأشياء ؟ إن كنت قد اكتفيت بالاهتمام بشئونك اللعينة لكنت أنا قد اعتنيت بزوجتى بدون تدخل منك " .

" واعتنيت بأموالها أيضا ، أليس كذلك ؟ " .

" المال ، أيها اللقيط البائس ، أعتقد أن خسارة المال هى أكثر ما يثير ضيقك " .

قال ويليام وهو يجز على أسنانه : " انهض ! " .



دفع هنرى بنفسه إلى أعلى وكسر الزجاجة فى جانب الكرسى . تناثرت الخمر فوق السجادة . تقدم نحو ويليام وهو شاهر الزجاجة . بقى ويليام ثابتا فى مكانه بينما تدخل ماثيو بينهما وسحب الزجاجة فى رفق من يد الرجل المخمور .

نحى ويليام وجه صديقه جانبا وتقدم إلى أن أصبح وجهه على بعد بضع بوصات قليلة من هنرى أوسبورن .

" الآن أنصت إلىّ ، وأنصت إلىّ جيدا . أريدك أن تغادر هذا البيت فى ساعة واحدة . إن سمعت عنك ثانية طوال حياتى فسوف أجرى تحقيقا جنائيا فى النصف مليون دولار التى استوليت عليها من أمى . وسوف أعيد فتح كل الملفات الخاصة بهويتك وماضيك فى شيكاغو .

أما إن لم أسمع عنك ثانية ، فإننى فى المقابل سوف أعتبر أن التسوية قد تمت وانتهى الأمر . والآن اخرج من هنا قبل أن أقتلك " .

أخذ الصبيان يراقبانه وهو يغادر المكان باكيا ، حانقا مضطربا .

وفى صباح اليوم التالى ، ذهب ويليام لزيارة البنك حيث دخل على الفور إلى مكتب الرئيس . كان آلان ليويد يحزم بعض الملفات فى حقيبته . رفع الرجل رأسه وقدم لويليام ورقة بدون أن يتفوه بكلمة . كان خطاب استقالة من منصبه كرئيس للبنك وكان الخطاب موجها إلى كل أعضاء مجلس الإدارة .

قال ويليام : " استدعى السكرتيرة من فضلك ؟ " .

" كما تريد " .

ضغط آلان ليويد على أحد الأزرار بجوار مكتبه ، فدخلت سيدة فى منتصف العمر من الباب الجانبى .

قالت السيدة عندما رأت ويليام : " صباح الخير يا سيد كين . لقد أحزننى نبأ وفاة والدتك " .

قال ويليام : " أشكرك . هل رأى أى شخص فى البنك هذا الخطاب ؟ " .

أجابت السكرتيرة : " كلا يا سيدى . لقد كنت على وشك نسخه على الآلة الكاتبة لكى أوزعه على رؤساء الأقسام " .

" حسنا ، لا تنسخيه وانسى أمر هذه المسودة نهائيا ، لا تذكريها لأحد ، هل فهمت ؟ " .

نظرت السكرتيرة فى عينى الصبى ذى الستة عشر عاما ولسان حالها يقول : " أمرك يا سيد كين " وانصرفت فى هدوء وهى تغلق الباب وراءها . رفع آلان ليويد وجهه .

قال ويليام : " إن بنك كين وكابوت ليس بحاجة إلى رئيس جديد الآن يا آلان . إنك لم تفعل شيئا ما كان أبى ليقدم على فعله لو كان مكانك " .

قال آلان : " ولكن الأمر ليس بهذه البساطة " .

قال ويليام : " بل هو كذلك . يمكننا أن نناقش ذلك مرة أخرى عندما أبلغ الحادية والعشرين ولكن ليس قبل هذا الوقت . ولحين بلوغ هذه السن ، سوف يسعدنى أن تدير بنكى بأسلوبك الدبلوماسى المحافظ ، لا أريد أن يتسرب أمر كل ما قد حدث خارج حدود هذا المكتب . يجب أن تتخلص من كل المعلومات التى جمعتها عن هنرى أوسبورن وتعتبر هذا الأمر منتهيا " .

مزق ويليام خطاب الاستقالة ونثر أوراقه فى نار المدفأة . ثم وضع يده على كتفى آلان .

" لم تعد لى أسرة الآن يا آلان ، لم يبق لى سواك ، فبربك لا تتخل عنى " .



عاد ويليام إلى بيكون هيل . كانت الجدتان كابوت وكين تجلسان فى صمت فى غرفة الرسم . نهضت الاثنتان عندما دخل ويليام الغرفة . كانت المرة الأولى التى أدرك فيها ويليام أنه قد أصبح عميد عائلة كين .

شيعت الجنازة فى هدوء بعد يومين من كاتدرائية سانت بول . لم يدع إليها سوى أفراد العائلة والأصدقاء المقربين . كان الغائب الوحيد هو هنرى أوسبورن . قدم المشيعون تعازيهم إلى ويليام عند المغادرة بينما وقفت الجدتان لتقبل العزاء خلفه بقليل . كانتا تقفان مثل أفراد الحرس الذين يراقبون ويؤيدون هدوء ويليام ونبله . عندما غادر الجميع ، صاحب ويليام آلان ليويد إلى سيارته .

وقد شعر آلان بالفخر عندما صرح له ويليام بطلبه

" كما تعرف يا آلان ، طالما أرادت أمى أن تبنى جناحاً للأطفال تكريما لذكرى والدى وأنا أريد أن أحقق لها هذه الأمنية " .

# الفصل الحادى عشر

أقام وودك فى القنصلية البولندية فى القسطنطينية على مدى عام كامل وليس فقط على مدى عدة أيام قلائل كما كان يظن فى بداية الأمر . كان يعمل ليل نهار فى مساعدة باول زلسكى حتى أصبح ساعده الأيمن وصديقه المقرب . لم يكن هناك شىء يستعصى على وودك ، مما دفع زلسكى إلى التساؤل كيف كان ينجز كل هذه الأعباء قبل مجىء وودك . كان وودك يزور السفارة الإنجليزية مرة واحدة أسبوعيا لكى يتناول الطعام فى المطبخ مع السيدة هندرسون ، الطاهية الأسكتلندية هناك . وفى إحدى المناسبات تناول الطعام مع القنصل الإنجليزى الثانى شخصيا .

كان نمط الحياة الإسلامية القديم يتهاوى من حولهم وكانت الإمبراطورية العثمانية تنهار . وبدأ اسم مصطفى كمال يتردد على كل الألسنة . كان حس التغيير الوشيك يثير الحماس بداخل وودك . كان عقله يسترجع بلا انقطاع أيام البارون وكل الوجوه التى كان يحبها فى القصر . كان كفاحه من أجل البقاء والذى كان





يفرض عليه أن يعيش يوما بيوم قد حجب عنه كل هؤلاء الأحباب . أما فى تركيا فقد ظلت كل هذه الذكريات تتراءى له فى موكب صامت بطىء . كان يرى هذه الوجوه أحيانا قوية وسعيدة ، كان يرى ليون وهو يسبح فى النهر وفلورنتينا وهى تلهو داخل حجرته ووجه البارون وهو مفعم بالقوة والفخار فى الليالى التى كانت تضيئها الشموع . ولكن كل هذه الوجوه الحبيبة التى كان يتذكرها وودك جيدا كانت سرعان ما تضطرب وتتحول إلى الشكل الرهيب الذى آلت إليه فى النهاية كلما حاول وودك أن يتشبث بها ، كان ليون يتحول إلى تلك الجثة الهامدة التى ارتمت فوقه . وفلورنتينا إلى الجسد الذى أخذ ينزف فى تأوه وكمد . أما البارون فكان يتحول إلى الوجه الكفيف العاجز .

وقد بدأ وودك عندها يدرك أنه لا يمكن أن يعود أبدا إلى هذه الأرض التى تسكنها الأشباح قبل أن يحقق شيئا ذا قيمة فى حياته . وحينما استقرت هذه الفكرة فى عقله ، عقد عزمه على الهجرة إلى أمريكا حيث كان البارون قد حكى له قصصا رائعة عن تاديوز كوسكيفيسكى الذى كان قد هاجر إليها منذ زمن . كان باول زلسكى يطلق على الولايات المتحدة اسم العالم الجديد . وقد بثت هذه التسمية فى وودك روح الأمل فى المستقبل وفتحت أمامه آفاق الرغبة فى العودة ظافرا إلى بولندا فى يوم من الأيام .

كان باول زلسكى هو الذى دفع ثمن شراء جواز سفر هجرة وودك إلى الولايات المتحدة . كان من الصعب الحصول على مثل هذه الجوازات لأنها كان يجب أن تحجز قبل سنة على الأقل . وقد بدا وقتها أن وودك وكل أوروبا الشرقية تتوق للفرار وبدء حياة جديدة فى العالم الجديد .

وفى ربيع عام ١٩٢١ ، غادر وودك كوسكيفيتش أخيرا القسطنطينية وصعد على متن سفينة سرس بلاك أرو التى كانت ستقله إلى جزيرة أليس فى نيويورك . كان يحمل حقيبة واحدة يضع فيها كل مقتنياته ومجموعة من الأوراق التى كان قد استخرجها له باول زلسكى .

صحبه القنصل البولندى إلى الميناء واحتضنه فى حب قائلاً :
" اذهب فى حفظ الله يا بنى " .

فجاء رد وودك ردا بولنديا تقليديا نابعا من نشأته قائلا :
" ابق فى حفظ الله "

عندما وصل وودك إلى قمة سلم السفينة ، تذكر رحلته المروعة من أوديسا إلى القسطنطينية . ولكنه فى هذه المرة لم ير الفحم وإنما كان المكان يعج بالناس من كل مكان ، من بولندا وآستونيا وأوكرانيا ولتوانيا وغيرها من الأجناس والأصول التى كان وودك يجهلها . أحكم وودك قبضته علي مقتنياته القليلة وبقى منتظرا فى الصف . كان هذا الصف هو صفاً من صفوف الانتظار الطويلة التى سيقف فيها وودك إلى أن يصل إلى الولايات المتحدة . قام أحد الموظفين بتفحص أوراق وودك بمنتهى الدقة حتى يتأكد من أنه لا يسعى للتهرب من الخدمة العسكرية فى تركيا ، ولكن أوراق باول زلسكى كانت محكمة الإعداد مما دفع وودك إلى الدعاء للقنصل البولندى من أعماق قلبه عندما شهد كم الأشخاص الذى استبعدوا وأعيدوا إلى تركيا ثانية .

ثم حان بعد ذلك وقت التطعيم والفحص الطبى ، ما لم يكن وودك قد أمضى عاما كاملا فى تناول الطعام الصحى الجيد والاستشفاء لكان قد استبعد أيضا بعد الفحص الطبى . وأخيرا ، وبعد اجتياز كل الاختبارات والفحوصات الطبية سمح له بأن يستقر



على متن السفينة فى المكان المخصص للمسافرين من أصحاب التعريفة الأقل سعرا . كانت هناك أقسام إقامة منفصلة للرجال والنساء والمتزوجين . بادر وودك باتخاذ مكانه فى المكان المخصص للرجال حيث كان المهاجرون من هولندا يشغلون جزءا كبيرا من المضاجع الحديدية التى تتألف كل وحدة منها من سريرين عتيقين فوق بعضهما البعض . كان كل سرير يحمل مرتبة هزيلة من القش وملاءة خفيفة ولم تكن هناك وسائد وهو الأمر الذى لم يثر ضيق وودك لأنه كان قد اعتاد أن ينام بدون وسائد منذ مغادرة روسيا .

اختار وودك سريراً سفلياً وكان هناك صبى فى مثل سنه يقطن الفراش العلوى وقد بادر وودك بتقديم نفسه لزميله قائلا :"أنا وودك كوسكيفيتش ".

" وأنا جيرزى نوواك من وارسو " .

هكذا رد الفتى بشكل تلقائى وأضاف قائلا : " وسوف أصنع ثروة فى أمريكا " .

ثم مد الفتى يده إلى الأمام .

قضى وودك وجيرزى وقتهما قبل إبحار السفينة فى تبادل القصص والتجارب الخاصة بكل منهما ، كان كل منهما سعيدا بصحبة الآخر ولم يكن أى منهما يريد أن يكشف عن جهله التام بأمريكا . وقد اكتشف وودك أن جيرزى كان قد فقد والديه فى الحرب ولم يعد يبقى له شىء فى بلده .

وقد انبهر جيرزى بقصة وودك ، ابن البارون الذى تربى فى كوخ الصياد ثم سجن على يد الألمان ثم معتقلات الروس ثم هرب من سيبريا وبعدها صدر عليه حكم ببتر يده فى تركيا ولكنه نجا منه بفضل السوار الفضى الذى كان يرتديه فى يده والذى لم ينجح جيرزى فى تحويل بصره عنه . كان الصبى يرى أن وودك قد

اكتسب خلال خمسة عشر عاما خبرة كان الصبى يعجز عن اكتسابها على مدى عمره كاملا . أخذ وودك طوال الليل يحادث جيرزى عن ماضيه ، وكان الأخير يصغى إليه بمنتهى الإمعان . لم يكن أى منهما يريد أن ينام أو يقر بخوفه من المجهول .

فى صباح اليوم التالى ، أبحرت السفينة ووقف وودك وجيرزى على سطحها وهما يتأملان القسطنطينية وهى تتلاشى شيئا فشيئا مع ابتعاد السفينة فى زرقة البوسفور . وبعد أن اجتازت السفينة بحر مرمرة الهادئ ، أثار تلاطم الأمواج ذعر الركاب . لم تكن دورات المياة المخصصة لهذه الدرجة من الركاب كافية حيث كانت تحتوى فقط على عشرة أحواض وستة مراحيض وصنابير من الماء المالح . وبعد مرور بضعه أيام كانت الرائحة النتنة التى تفوح من كل أرجاء المكان لا تطاق .

كان الطعام يقدم على موائد طويلة داخل قاعة الطعام الكبيرة البالية . وكان الطعام مؤلفا من الحساء الدافئ والبطاطا والسمك واللحم البقرى المسلوق والكرنب والخبز البنى أو الأسود . لم يكن وودك قد تناول طعاما أسوأ من هذا الطعام منذ مغادرة روسيا . وكان سعيدا بالمؤنة الغذائية التى أعدتها له السيدة هندرسون والتى كانت مؤلفة من السوسيس والمكسرات والقليل من الشراب . كانا يأكلان سويا ، ويجوبان أنحاء السفينة سويا وفى الليل كانا وودك ينام فى السرير السفلى بينما كان جيرزى ينام فى السرير العلوى .

وفى اليوم الثالث من الإبحار أحضر جيرزى فتاة بولندية على مائدة الطعام . كان اسمها ـ كما أشار لوودك بشكل عابر ـ زافيا . كانت هذه هى المرة الأولى التى ينظر فيها وودك إلى فتاة مرتين ولكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من مواصلة النظر إليها .



لقد أثارت زافيا داخل وودك ذكريات فلورنتينا . كانت تحمل نفس العيون الرمادية الدافئة ونفس الشعر الأشقر المسترسل حتى كتفيها ونفس الصوت الرقيق .

شعر وودك أنه يريد أن يلمسها . كانت الفتاة تبتسم له من وقت إلى آخر . ولكنه أدرك عندها بمنتهى الأسى كم كان جيرزى يفوقه وسامة . بقى وودك مثبتا بصره عليها بينما قام جيرزى ليقودها إلى قسم النساء .

استدار جيرزى نحو وودك بعد قليل وقال له فى نبرة يشوبها القليل من الغضب : " ألا تستطيع أن تعثر لنفسك على فتاة ، إن هذه الفتاة هى فتاتى أنا " .

لم يكن وودك مستعدا للاعتراف بأنه لا يملك أدنى فكرة عن كيفية العثور على فتاة لنفسه وقال فى استهزاء : " سوف يكون هناك من الوقت ما يكفى للفتيات عندما نصل إلى أمريكا " .

" ولم الانتظار لحين الوصول إلى أمريكا ؟ فأنا عازم على الحصول على أكبر عدد من الفتيات على متن هذه السفينة " .

سأل وودك سعيا لاكتساب المعرفة بدون الكشف عن جهله : " وكيف ستفعل ذلك ؟ "

قال جيرزى فى فخر : " مازال أمامنا اثنا عشر يوما على متن هذه السفينة اللعينة وأنا عازم على الحصول على اثنتى عشرة امرأة " .

سأل وودك : " وما الذى يمكن أن تفعله باثنتى عشرة امرأة ؟ "

" أصاحبهن ، وهل هناك شىء آخر ؟ " .

ارتسمت علامات الذهول على وجه وودك .

قال جيرزى فى ذهول : " يا إلهى ! أيمكن أن يكون الرجل الذى عاش فى سجون الألمان وفر من معتقلات الروس وقتل رجلا فى الثانية عشرة من عمره وكاد يفقد يده بالبتر ، أيمكن ألا يكون قد حظى بامرأة من قبل ؟ "

أخذ جيرزى يضحك إلى أن ضج المحيطون به وأمروه باختلاف ألسنتهم فى صوت واحد أن يكف عن الضحك .

واصل جيرزى حديثه هامسا : " حسنا . لقد حان وقت توسيع مداركك ، لأننى قد عثرت أخيرا على شيء واحد يمكننى أن ألقنه لك " . ثم أخذ يحدق إلى وودك من أحد أركان فراشه بالرغم من أنه عجز عن تبين وجهه تماما فى ظلمة الليل وأضاف : " زافيا فتاة متفهمة وأنا أستطيع أن أؤكد لك بمنتهى الارتياح أنها لن تمانع فى مساعدتك على توسيع مداركك قليلا . سوف أتدبر الأمر " .

لم يرد عليه وودك .

لم يطرح الأمر ثانية ولكن فى اليوم التالى ، بدأت زافيا تولى المزيد من الاهتمام لوودك . كانت تجلس بجواره عند تناول الطعام وكانا يتحدثان لساعات مع بعضهما البعض عن التجارب التى مر بها كل منهما . كانا يتحدثان عن أحلامهما وآمالهما . كانت زافيا فتاة يتيمة من بوزنان وكانت فى طريقها للعيش فى شيكاغو مع أبناء عمومتها هناك . قال لها وودك إنه فى طريقه إلى نيويورك وأنه سوف يعيش على الأرجح مع جيرزى .

قالت زافيا : " أتمنى أن تكون نيويورك قريبة من شيكاغو " .

قال جيرزى فى فخر : " هذا يعنى أنك سوف تأتين لزيارتى عندما أصبح عمدة المدينة " .

أجابته فى استخفاف : " أنت بولندى حتى النخاع يا جيرزى . إنك حتى لا تجيد تحدث الإنجليزية مثل وودك " .



قال جيرزى فى ثقة : " سوف أتعلمها ، وسوف أبدأ بتغيير اسمى لكى يبدو أمريكيا . من الآن فصاعدا سوف أطلق على نفسى اسم جورج نوفاك . وهكذا لن أواجه أية صعوبات بالمرة . ماذا عنك يا وودك كوسكيفيتش ؟ ليس هناك الكثير مما يمكن أن تفعله لكى تعدل اسمك أليس كذلك ؟ "

نظر وودك إلى المدعو جورج فى صمت وهو يشعر بالاستياء من اسمه الجديد وبدا عاجزا عن تطويع اسم العائلة الذى شعر أنه الوريث الشرعى له. كم كان يمقت اسم كوسكيفيتش الذى كان يذكره بشكل دائم بأنه ابن غير شرعى .

أجاب وودك : " سوف أجد مخرجا . كما أننى سوف أساعدك على تحسين لغتك الإنجليزية إن أردت " .

" وسوف أساعدك فى العثور على فتاة " .

ضحكت زافيا وقالت : " لا تشغل بالك بهذا الأمر فقد عثر بالفعل على واحدة " .

كان جيرزى أو جورج الذى أصر على أن يلقب به منذ ذلك الوقت ينسحب كل ليلة بعد تناول العشاء داخل أحد قوارب النجاة المغطاة بالقماش المشمع ومعه فتاة مختلفة . كان وودك يتوق إلى معرفة ما كان يفعله بداخل القارب حتى بالرغم من أن بعض السيدات اللاتى كان يقع اختيار جيرزى عليهن لم تكن قذرة فحسب وإنما كانت تبدو دميمة حتى بعد تنظيفها جيدا من الأوساخ .

وفى إحدى الليالى ، وبعد تناول العشاء ، بعدما اختفى جورج كعادته داخل أحد القوارب ، جلس وودك على سطح السفينة مع زافيا التى لفت ذراعها حوله وطلبت منه أن يقبلها ، فما كان منه

إلى أن أطبق فمه على فمها بعنف ، وشعر بجهل تام لما يجب أن يفعله . بقى وودك مشدوها للحظات ثم أحس بإثارة عميقة .

سار وودك فى خطى متعثرة نحو فراشه وهو يفكر فيما يفعله وفى إمكانية تكرار ذلك فى اليوم التالى . ولكنه بمجرد أن جلس فى فراشه مفكرا فى كيفية لقائه بها مرة أخرى إذا بيد كبيرة تجذبه من شعره وتطيح به على الأرض . وفى لحظة تلاشت كل الإثارة التى كان يشعر بها وانقض عليه رجلان لم يكن قد سبق له أن رآهما من قبل ثم سحباه فى ركن بعيد مقابل الحائط . أطبقت يد كبيرة على فم وودك بينما لمست سكين حلقه .

همس الرجل الذى كان يحمل السكين وهو يدفعه فى عنق وودك : " لا تتنفس ! كل ما نريده هو السوار الفضى " .

كان مجرد التفكير فى احتمالية فقد السوار مرعبا بالنسبة لوودك بنفس قدر رعبه من فكرة فقد يده . ولكن قبل أن يفكر فى كيفية التصرف كان أحد الرجلين قد انقض على معصمه وخلع السوار . لم يتمكن وودك من تبين وجه الرجلين فى الظلام لذا خشى أن يكون قد فقد سواره إلى الأبد . ولكن عندما انقض شخص ما على ظهر الرجل الذى كان يحمل السكين منحت هذه الحركة وودك الفرصة للتخلص من الرجل الذى كان يثبته على الأرض . بدأ المهاجرون يستيقظون من نومهم إثر هذه الجلبة ويتنبهون لما يجرى . مما دفع الرجلين إلى الفرار بأسرع ما يمكن ولكن ليس قبل أن ينجح جورج فى تسديد طعنة فى جانب واحد منهما .

قال وودك وهو يشهد انسحاب الرجلين : " اذهبا إلى الجحيم " .

قال جورج : " يبدو أننى قد وصلت فى الوقت المناسب . لا أعتقد أنهما سوف يعاودان الكرة سريعا " ثم أضاف وهو يتأمل



السوار الفضى الملقى بين نشارة الأخشاب على الأرض : " إنه رائع . سوف يكون هناك دائما من يحوم حوله لسرقته منك " .

التقط وودك السوار وأعاده ثانية إلى معصمه .

قال جورج : " حسنا ، لقد كدت تفقد سوارك الثمين إلى الأبد بالفعل هذه المرة . لحسن حظك أننى تأخرت قليلا هذه الليلة " .

سأله وودك : " وما هو سبب تأخرك هذه الليلة ؟ " قال جورج فى فخر : " إن سمعتى قد باتت تسبقنى . ولكن ما حدث فى واقع الأمر هو أننى قد وجدت أحمق آخر فى قاربى الليلة . كان الرجل قد خلع بنطاله بالفعل ولكننى سرعان ما تخلصت منه عندما أخبرته بأن الفتاة التى هو بصدد اللقاء بها كنت أنا الآخر بصدد ملاقاتها الأسبوع الماضى ولكننى لم أكن واثقا من أنها لم تكن مصابة بداء الجدرى . لم أر فى حياتى رجلا ارتدى ثيابه بهذه السرعة " .

سأله وودك : " ولكن ما الذى تفعله بداخل القارب ؟ " .

" أيها الأحمق ، ما الذى تظن أننى أفعل ؟ " قالها جورج ثم قفز فوق سريره واستسلم للنوم .

أخذ وودك يحدق فى السقف ويفكر فيما قاله جورج وهو يلمس السوار الفضى ، أخذ يفكر كيف سيكون شعوره عندما يلتقى بزافيا .

وفى صباح اليوم التالى واجهت السفينة عاصفة وفرض على كل الركاب عدم الخروج للسطح . ولكن الرائحة النتنة التى تفاقمت بفعل نظام التسخين فى السفينة أصابت وودك بالغثيان .

قال جورج : " ولكن الأسوأ هو أننى لن أستكمل جولتى الثانية عشرة . "

عندما هدأت العاصفة ، هرب كل الركاب تقريبا إلى السطح . وأخذ وودك وجورج يشقان بصعوبة طريقهما وسط الزحام بحثا عن الهواء المنعش النقى . كانت هناك الكثير من الفتيات اللاتى يبتسمن

لجورج . أما وودك فقد شعر أنهن حتى لا يشعرن بوجوده من الأساس . مرت فتاة ذات شعر أسود بجوار جورج وقد اكتست وجنتاها باللون الوردى بفعل الهواء وابتسمت له . فاستدار لوودك وقال :

" سوف أحصل عليها الليلة " .

تأمل وودك الفتاة وأخذ يتفحص الطريقة التى نظرت بها إلى جورج .

" الليلة " قالها جورج وهو فى مرمى سمعها . تظاهرت بأنها لم تسمعه ومضت فى طريقها ، مسرعة قليلا .

" استدر يا وودك وانظر إن كانت تنظر إلىَّ ؟ "

استدار وودك وقال فى دهشة : " نعم بالفعل تنظر إليك " .

قال جورج : " إذاً سوف أحظى بها الليلة . هل التقيت بزافيا بعد ؟ "

قال وودك : " كلا " .

" لقد أزف الوقت ، أليس كذلك ؟ إنك لن تراها ثانية أبدا بمجرد أن نصل إلى نيويورك " .

وبالطبع قام جورج فى هذه الليلة بصحبة الفتاة ذات الشعر الأسود . بدون كلمة واحدة قام وودك بصحبة زافيا وغادرا المائدة وقد أحاط كل منهما خصر الآخر بذراعه وخرجا إلى السطح وأخذا يتجولان حول السفينة عدة مرات . نظر وودك إلى وجه الفتاة الجميل الشاب . فكر وودك : " لقد كانت زافيا فى غاية الإعجاب به وحاولت أن تغريه لكى يمارس الحب معها ، لكنها سريعاً ما استاءت منه حيث أدركت من تصرفاته معها أنها المرة الأولى التى يقيم فيها علاقة مع فتاة ، ولقد أعربت عن ذلك بسؤالها له :

" هل هذه المرة الأولى التى تصاحب فيها فتاة ؟ " .



قال وودك : " كلا ، بالطبع لا " .

" هل تحبنى يا وودك ؟ "

" نعم أحبك . وعندما أستقر فى نيويورك سوف آتى لزيارتك فى شيكاغو " .

" ليتك تفعل يا وودك . فأنا أيضًا أحبك " .

* * *

" هل شاركتها الفراش ؟ " كان هذا هو السؤال الذى طرحه جورج مباشرة فور عودة وودك .

" نعم " .

" هل استمتعت ؟ "

" نعم " قال وودك ذلك فى تشكك ثم استسلم للنوم .

وفى الصباح ، استيقظ وودك وجورج على أصوات الإثارة المنبعثة من باقى الركاب ، كان الجميع يشعر بسعادة لكون هذا اليوم كان يومهم الأخير على متن السفينة . كان بعضهم قد صعد على سطح السفينة قبل شروق الشمس أملا فى رؤية أول إشارة لظهور اليابسة . حزم وودك متعلقاته القليلة فى حقيبته الجديدة وارتدى بدلته الوحيدة وقبعته وراح ليرافق جورج وزافيا على السطح . أخذ ثلاثتهم يستنشقون هواء البحر العليل منتظرين فى صمت أول إشارة للولايات المتحدة الأمريكية .

صاح أحد الركاب الذى كان يقف أمامهم : " ها هى قد ظهرت ! " . أخذت أصوات الهتافات تتوالى مع رؤية الشريط الرمادى للجزيرة الطويلة التى كانت تقترب منهم فى هذا الصباح الربيعى . بدأت الحبال الصغيرة ترمى إلى جانبى السفينة لتسحبها

ما بين بروكلين وجزيرة ستاين داخل ميناء نيويورك . بدا تمثال الحرية الضخم ينظر إليهم فى قسوة وهم يحدقون فى ذهول فى صفحة سماء منهاتن ؛ بدت لهم سماؤها مرتفعه فى ظل ضوء الصباح الباكر .

وأخيرا رست السفينة بالقرب من أبنية منهاتن ذات الطوب الأحمر التى تشبه الأبراج . كان الركاب من أصحاب الكبائن الخاصة هم أول من غادروا السفينة . لم يكن وودك قد سبق له رؤيتهم قبل هذا الوقت . لابد أنه كان لهم سطح آخر وقاعة طعام أخرى . كان هناك حمالون يحملون لهم حقائبهم وكان الجميع يودعونهم بوجوه باسمة . كان وودك يعرف أن هذا لن يحدث له .

بعد نزول النخبة محدودة العدد ،أعلن قبطان السفينة من خلال مكبر الصوت أن باقى الركاب لن يغادروا السفينة قبل عدة ساعات . سادت نبرة خيبة الأمل بين الركاب وجلست زافيا على السطح وانفجرت فى بكاء حار . حاول وودك أن يهدى من روعها . وفى النهاية ظهر رجل يرتدى ثيابا رسمية وهو يحمل القهوة ، وظهر آخر وهو يحمل بطاقات رقمية وضعها حول أعناق الركاب . كان رقم وودك هو " ب ١٢٧ " . وقد ذكره ذلك بآخر مرة كان يرتدى فيها رقما . ما الذى زج بنفسه فيه ؟ هل تشبه أمريكا معسكرات الروس ؟

وفى منتصف الظهيرة ؛ لم يكن أى منهم قد حصل على أى طعام أو أية معلومات أخرى . وتم إنزال الجميع على المرسى فى جزيرة إليس . تم فصل الرجال عن النساء وإرسال كل فريق إلى سقيفة مختلفة . ودع وودك زافيا وبقى متشبثا بها مما عرقل الصف . إلى أن جاء أحد الضباط وفرق بينهما .



قال الرجل : " حسنا ، هيا تحرك . هيا أفسح الطريق وسوف نعقد قرانكما بأسرع مما تتصور " .

اختفت زافيا عن نظر وودك عندما زج به هو وجورج إلى الأمام . قضوا ليلتهم فى سقيفة قديمة رطبة ولكنهم عجزوا عن النوم بسبب تجول المترجمين الدائم بين صفوف المهاجرين الملتاعين لتقديم مساعدات مقتضبة ولكن ليست سيئة .

وفى الصباح تم إرسال الجميع للفحص الطبى . كانت الجولة الأولى هى الأصعب حيث طلب من وودك أن يتسلق مجموعة من السلالم المعلقة فى الهواء . جعله الطبيب الذى كان يرتدى زيا أزرق اللون يتسلق السلالم مرتين وهو يراقب توازنه بمنتهى الدقة . بذل وودك جهده لكى يخفى عرجه وأخيرا تم قبوله . ثم طلب من وودك بعد ذلك أن يخلع قبعته ويفك ياقة قميصه لكى يفحص الطبيب بعناية وجهه وعينيه وشعره ويديه وعنقه . كان الرجل الذى يلى وودك مباشرة ذا شفاة أرنبية فأوقفه الطبيب فى الحال ورسم علامة خطأ على كتفه الأيمن . وأرسله إلى طبيب آخر فى نهاية السقيفة . بعد أن فرغ الطبيب من الفحص ؛ عاد وودك لينضم ثانية إلى جورج فى صف انتظار طويل آخر خارج غرفة الفحص العام ؛ كان كل شخص يستغرق فى هذا الإجراء ما يقرب من خمس دقائق . مرت ثلاث ساعات تالية إلى أن دخل جورج الغرفة . أخذ وودك يتساءل عن نوعية الاستجواب الذى سوف يواجهه .

عندما خرج جورج فى النهاية ، ابتسم لوودك .

وقال : " إنه أمر سهل ، سوف تجتازه ببساطة . شعر وودك بتبلل راحة يديه بالعرق وهو يسير فى طريقه للاستجواب .

سار خلف الرجل المسئول داخل غرفة صغيرة خالية من أية زينة . كان هناك رجلان منهمكان فى الكتابة والتدوين فى أوراق تشبه الأوراق الرسمية .

سأله الأول : " هل تتحدث الإنجليزية ؟ "

" نعم يا سيدى ، أتحدثها جيدا " أجاب وودك بذلك متمنيا لو أنه كان قد تدرب عليها أكثر من ذلك قليلا أثناء الرحلة .

" ما اسمك ؟ "

" وودك كوسكيفيتش يا سيدى " .

" هل تؤمن بالله ؟ "

" نعم يا سيدى أؤمن به " .

" أقسم بأنك سوف تجيب عن كل الأسئلة بصدق " .

قال وودك " أقسم بأننى سوف أقول الحقيقة " .

" ما هى جنسيتك ؟ "

" أنا بولندى " .

" من الذى سدد نفقات رحلتك إلى هنا ؟ " .

" سددت الثمن من مالى الذى اكتسبته من عملى فى القنصلية البولندية فى القسطنطينية " .

تفحص أحد الرجلين أوراق وودك وأومأ ثم سأله : " هل هناك بيت سوف تتوجه إليه ؟ "

" نعم يا سيدى سوف أبقى فى منزل السيد بيتر نوفاك ، إنه عم صديقى وهو يعيش فى نيويورك " .

" حسنا، هل لديك عمل ؟ "

" نعم يا سيدى ، سوف أعمل فى مخبز السيد نوفاك " .

" هل سبق وتم اعتقالك ؟ "



مرت روسيا بعقل وودك . ولكن هذا لا يعتد به . أما ما حدث فى تركيا فإنه لن يذكره بالطبع .

" كلا يا سيدى لم يحدث هذا أبدا " .

" هل أنت شيوعى ؟ "

" كلا يا سيدى فأنا أكره الشيوعيين ، لقد قتلوا أختى " .

" هل أنت على استعداد للالتزام بقوانين الولايات المتحدة الأمريكية ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل تحمل أية أموال ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل يمكن أن نراها ؟ "

" نعم يا سيدى " ووضع وودك بضع عملات ورقية وبعض القطع النقدية على المنضدة .

قال المحقق : " شكرا لك . يمكنك أن تعيد الأموال إلى جيبك " .

نظر المحقق الثانى إلى وودك وسأله : " ما هو حاصل واحد وعشرين وأربعة وعشرين ؟ "

قال وودك بلا تردد : " خمسة وأربعون " .

" كم يبلغ عدد سيقان البقرة ؟ "

لم يصدق وودك أذنيه وأجاب : " أربعًا يا سيدى " وهو يسائل نفسه ما إن كانت هناك خدعة وراء ذلك .

" والحصان كم يملك ؟ "

أجاب غير مصدق : " أربع سيقان يا سيدى " .

قال المحقق " أيهما سترمى خارج القارب إن كنت فى قارب صغير تريد أن تخفف وزنه وأنت فى عرض البحر ، هل هو المال أم الطعام ؟ "

قال وودك : " المال يا سيدى " .

" جيد " . التقط المحقق بطاقة تحمل كلمة "مقبول" وأعطاها لوودك . وقال له : " بعد أن تستبدل نقودك بالعملة الأمريكية ، أظهر هذه البطاقة لموظف الهجرة . سوف تمنح بعدها شهادة دخول . حظا سعيدا يا وودك " .

" أشكرك يا سيدى " .

عند المكان المخصص لاستبدال العملات ، مد وودك يده بمدخرات عمله على مدى ثمانية عشر شهرا فى تركيا وثلاث ورقات من فئة الخمسين روبل . فمنح ٤٧,٢٠ دولار فى مقابل النقود التركية . أما العملة الروسية فقد أخبروه بأنها لا تساوى شيئا . لم يخطر بباله وقتها إلا الدكتور دوبان والخمسة عشر عاما التى كان قد قضاها فى إدخار كل مليم من هذا المبلغ .

كانت الخطوة الأخيرة هى مقابلة موظف الهجرة الذى كان يجلس خلف منضدة طويلة عند حاجز الخروج تحت صورة للرئيس هردينج مباشرة . سار وودك وجورج لمقابلته .

سأل الموظف المسئول جورج : " اسمك بالكامل " .

" جورج نوفاك " جاءت إجابته فى ثبات . فدون الموظف اسمه فوق بطاقة .

" وعنوانك ؟ "

" ٢٨٦ شارع بروم ؛ " .

سلم الموظف البطاقة إلى جورج . وقال : " هذه هى شهادة هجرتك رقم ٢١٨٧١ يا جورج نوفاك . مرحبا بك فى الولايات



المتحدة الأمريكية يا جورج . أنا أيضا بولندى . سوف يعجبك الحال هنا . تهانيا وحظا سعيدا " .

ابتسم جورج وصافح الموظف ووقف فى انتظار وودك .

نظر الموظف إلى وودك . فأعطاه وودك بطاقته التى تحمل كلمة "مقبول " .

قال الموظف : " اسمك بالكامل ؟ "

وقف وودك مترددا

" ما اسمك ؟ " كرر الرجل سؤاله ، بصوت أكثر ارتفاعا وبقليل من نفاد الصبر .

لم يستطع وودك أن يتفوه باسمه . كم كان يكره هذا الاسم القروى.

" لآخر مرة ، ما اسمك؟ "

أخذ جورج يحدق إلى وودك ومعه عدد من الأشخاص الآخرين الذين وقفوا فى الصف فى انتظار موظف الهجرة . ولكن وودك مع ذلك بقى ملتزمًا الصمت . وفجأة قبض الموظف على معصمه وتأمل الكلمات المحفورة على السوار الفضى جيداً ثم دونها فى بطاقة وأعطاها لوودك .

" ٢١٨٧٢ ــ البارون هابيل روزنوفسكى . مرحبا بك فى الولايات المتحدة الأمريكية . تهانيا وحظا سعيدا يا هابيل " .

# الجزء الثانى

١٩٢٣ - ١٩٢٨



# الفصل الثانى عشر

عاد ويليام ليبدأ عامه الدراسى الأخير فى سانت بول فى سبتمبر عام ١٩٢٣ ، وتم انتخابه رئيسا للصف النهائى فى المدرسة بعد مضى ثلاثة وثلاثين عاما تحديدا على تولى والده لنفس المنصب . لم يكن ويليام قد فاز باللقب بنفس الطريقة التقليدية المعتادة ، أى لكونه أفضل رياضى أو الفتى الأكثر شعبيه فى المدرسة . لأن صديقه المقرب ماثيو ليستر كان هو الأجدر بالفوز بهذا المنصب بناء على المعايير السابقة . ولكن ويليام كان الفتى الأكثر إثارة للإعجاب فى المدرسة ولهذا السبب لم يقو ماثيو ليستر على منافسته علما منه بذلك . رشحت سانت بول ويليام نيابة عنها للاشتراك فى مسابقة هملتون للرياضيات للحصول على منحة دراسية فى هارفارد . وقد ركز ويليام كل اهتمامه على الفوز بهذه المنحة وكرس فصل الخريف كله لإعداد نفسه جيدا لهذا الهدف .

عندما عاد ويليام إلى البيت الأحمر لقضاء عطلة عيد رأس السنة ، كان يتطلع إلى فترة استذكار ممتدة لمادة الرياضيات . ولكن هذا الأمر لم يكن سهلا ، حيث كانت هناك الكثير من الدعاوى والمناسبات والحفلات فى انتظاره . وقد نجح ويليام فى اختلاق أعذار وجيهة للتنصل من الكثير من هذه المناسبات ولكن بقيت بعض المناسبات التى كان يستحيل عليه أن يفلت منها . كانت الجدتان قد أعدتا حفلاً فى البيت الأحمر فى ميدان لويز برج . كان ويليام يتطلع إلى السن التى سيسمح له فيها أن يحمى بيته من الغزاة الذين يفرضون عليه من قبل جدتيه ولكنه قرر أن الوقت لم يحن بعد وأن هذا على الأقل سوف يمنح الخدم فرصة لعمل أى شيء . لم يكن لويليام سوى عدد قليل من الأصدقاء المقربين فى بوسطن . ولكن هذا لم يحل دون إعداد الجدتين لقائمة طويلة من أسماء المدعوين .

ولتخليد هذه المناسبة ، أهدت الجدتان لويليام أول سترة عشاء متماشية مع آخر صيحة لخطوط الموضة ، وقد تلقى الهدية بشيء من اللامبالاة ولكنه فيما بعد أخذ يجوب بها غرفته فى خيلاء وهو يتوقف من آن إلى آخر لكى يلقى نظرة على نفسه فى المرآة . وفى اليوم التالى ، أجرى ويليام مكالمة هاتفية طويلة إلى نيويورك لكى يدعو ماثيو لحضور حفله الإلزامى . كانت شقيقة ماثيو تريد أن تحضر هى الأخرى ولكن والدتها رأت أن هذا التصرف لن يكون لائقا .

ذهب ويليام لاستقبال صديقه فى محطة القطار .

قال ماثيو والسائق يقودهما إلى بيكون هيل : " لقد خطر على بالى أمر ما . ألم يحن وقت أن تحظى برفيقة يا ويليام ؟ لابد أن هناك فتيات رائعات فى بوسطن ؟ "



" لماذا ، وهل حظيت أنت بفتاة يا ماثيو ؟ "

" بالطبع فى الشتاء الماضى فى نيويورك " .

" ولكن ما الذى كنت أفعله أنا فى ذلك الوقت ؟ "

" كنت فى هذا الوقت تحادث برتراند راسيل " .

" ولكنك لم تخبرنى أبدا بهذا الأمر " .

" لم يكن هناك ما يستحق الحديث . على أية حال ، لقد بدا عليك الاهتمام ببنك أبى أكثر من حياتى العاطفية . لقد حدث كل شيء فى إحدى حفلات العمل التى دعى فيها كل العاملين للاحتفال بذكرى تأسيس واشنطن . كانت إحدى المناسبات شديدة التقليدية التى تناسب كبار السن . ولكن لكى أصف ما حدث وصفا دقيقا يجب أن أعترف أن سيدة بدينة تدعى سينثيا تعمل سكرتيرة لأحد رؤساء البنك كانت تنظر إلىّ نظرات إعجاب مريبة " .

مرقت صورة سكرتيرة آلان ليويد الأولى متوسطة السن فى عقل ويليام .

فكر ويليام فى نفسه : " لا أعتقد أن فكرة إقامة علاقة حب مع سكرتيرة رئيس البنك سوف تكون جيدة " .

أضاف ماثيو فى لهجة الخبير : " سوف تندهش إن عرفت أن أكثر النساء تحفظاً يكن فى الغالب الأكثر استعداد لإقامة علاقات حب . لقد أصبحت الآن أرحب بكل الدعوات سواء الرسمية أو غير الرسمية . إن ما يهمنى هو العنصر النسائى فى كل هذه المناسبات " .

وضع السائق السيارة فى مرآب المنزل وسار ويليام بصحبة ماثيو إلى المنزل .

قال ماثيو فى نبرة إعجاب بالأثاث الجديد وورق الحائط الحديث : " لقد أجريت بعض التعديلات على البيت عن المرة

الأخيرة " . لم يكن قد بقى سوى المقعد الجلدى الراسخ فى مكانه المعهود .

أجاب ويليام : " كان المكان بحاجة لقليل من التحديث " .

" لقد كنت أشعر أننى أعيش فى العصر الحجرى . لم أكن أريد أن أتذكر دائما ... دعنا من هذا الآن فليس هذا وقت الحديث عن التصميم الداخلى " .

" متى سيصل الجميع إلى الحفل ؟ " .

" الحفل الراقص ، يا ماثيو - تصر جدتاى على تسميته بذلك " .

" هناك شيء واحد يمكن أن يطلق عليه الحفل الراقص فى مثل هذه المناسبات " .

" ماثيو ، إن سكرتيرة المدير لا تؤهلك لأن تكون خبيرا فى النساء " .

قال ماثيو ضاحكا : " يا له من حقد من صديقى المقرب " .

ضحك ويليام ونظر إلى ساعته : " سوف يصل الضيف الأول بعد ساعتين . حان وقت الاستحمام وتغييرالملابس . هل أحضرت بدلة السهرة ؟ " .

" نعم ، ولكننى إن كنت قد نسيتها يبقى بوسعى دائما أن أرتدى ملابس النوم .فأنا إما أن أنسى بدلة السهرة أو ملابس النوم ، لم يسبق لى أن نسيت كليهما . بل إننى يمكن أن أطلق صيحة جديدة فى عالم الأزياء إن حضرت بلباس النوم " .

قال ويليام : " لا أعتقد أن جدتىَّ سوف تضحكان لهذه الدعابة " .

* * *



وصل طاقم الخدمة فى السادسة وكان مؤلفا من ستة وعشرين شخصا . أما الجدتان فقد وصلتا فى تمام السابعة فى ملابس السهرة السوداء الأنيقة ذات الذيل الأسود الطويل الممتد حتى الأرض . انضم ويليام وماثيو إلى الجدتين فى الغرفة الأمامية قبل الثامنة ببضع دقائق .

كان ويليام على وشك انتزاع ثمرة كرز حمراء تزين إحدى الكعكات المثلجة الشهية عندما جاءه صوت جدته كين من الخلف محذرة .

" لا تلمس الطعام يا ويليام ، إنه ليس لك " .

سأل الجدة وهو يقبلها على خدها : " لمن إذاً ؟ " .

قالت الجدة : " لا تكن فظا يا ويليام . إن تخطى طولك الستة أقدمك لا يعنى أننى لم أعد قادرة على زجرك " .

ضحك ماثيو ليستر .

" جدتى ، اسمحى لى أن أقدم لك صديقى المقرب ، ماثيو ليستر " .

نظرت إليه الجدة كين بتقدير واهتمام بعد أن تفحصته جيدا بنظارتها الأنفية وقالت : " كيف حالك أيها الشاب الصغير ؟ "

" لقد شرفت بلقائك يا سيدة كين . أعتقد أنك كنت تعرفين جدى " .

" أعرف جدك . كالب لونج وورث ليستر ؟ لقد تقدم للزواج منى ذات مرة منذ أكثر من خمسين عاما مضت . ولكننى رفضت طلبه . أخبرته وقتها أنه كان يفرط فى الشراب وأن هذا سوف يودى بحياته مبكرا . وقد كنت محقة فى ذلك . يجب ألا يشرب أى منكما . تذكرا أن الخمر تودى بالعقل " .

قال ماثيو فى براءة : " لا يسعنا أن نتناول الكثير فى ظل الحظر المفروض " .

قالت الجدة وهى تتنحنح : " ولكن هذا الحظر سوف ينتهى قريبا مع الأسف . لقد نسى الرئيس كوليدج نشأته . لم يكن ليصبح رئيسا ما لم يمت هاردينج الأحمق بهذا الغباء " .

ضحك ويليام : " إن ذاكرتك قد أصبحت بالفعل انتقائية يا جدتى . إنك لم تصغى لأية كلمات انتقاد ضده أثناء إضراب الشرطة " .

لم تجب السيدة كين .

بدأ المدعوون يتوافدون ، كان الكثير منهم مجهولين تماما بالنسبة للمضيف الذى سعد سعادة غامرة باستقبال آلان ليويد من بين أوائل المدعويين.

قال آلان ليويد وقد وجد نفسه ينظر أعلى إلى ويليام للمرة الأولى فى حياته : " تبدو فى حالة جيدة يا بنى " .

" وأنت أيضا يا سيدى ، كان لطفا منك أن تتفضل بالحضور " .

" لطفا منى ؟ هل نسيت أننى تلقيت الدعوة من جدتيك ؟ أنا بالكاد أملك رفض دعوة إحداهما ولكن الاثنين معا لا ! "

قال ويليام ضاحكا : " وأنت أيضا يا آلان ؟ هل يمكننى أن أنفرد بك للحظات ؟ " ثم قاد ضيفه إلى ركن هادئ : " أريد أن أغير خطتى الاستثمارية قليلا وأبدأ بشراء المزيد من أسهم بنك ليستر كلما طرحت فى السوق . أريد أن أحمل ما يقرب من خمسة بالمائة من أسهم هذا البنك مع بلوغى الحادية والعشرين " .

قال آلان : " ولكن الأمر ليس بهذه السهولة . إن أسهم ليستر لا تطرح كثيرا فى السوق لأنها تقتصر على عدد محدود من



الأشخاص ولكننى على أية حال سوف أرى ما يمكن فعله فى هذا الصدد . ما الذى يدور فى عقلك يا ويليام ؟ "

" حسنا ، إن هدفى الحقيقى هو ... " .

" ويليام .. " نادته جدته كابوت لكى يحضر على عجل : " ها أنت ذا تتآمر مع السيد ليويد ولم أرك تراقص أية فتاة بعد ؟ ما الذى تظن إذن أننا أعددنا هذا الحفل الراقص من أجله ؟ "

قال آلان ليويد وهو ينهض : " أنت محقة تماما . تفضلى بالجلوس بجوارى يا سيدة كابوت ، وسوف أركل هذا الفتى داخل العالم . يمكننا أن نستريح ونشاهده وهو يرقص ونستمع إلى الموسيقى " .

" موسيقى ؟ هذه ليست موسيقى . إنها ليست أكثر من ضوضاء مثيرة مجردة من أية ألحان جميلة " .

قال ويليام : " جدتى العزيزة . إنها أغنية " نعم لا نملك الموز " ، إنها أحدث أغنية فى عالم الغناء " .

قالت الجدة كابوت فى إجفال : " إذاً لقد حان وقت رحيلى من هذا العالم " .

قال آلان ليويد فى تأنق : " لا تقولى هذا أبدا " .

رقص ويليام مع فتاتين كان يعرفهما بالكاد وكان عليه أن يستعلم عن اسميهما لتذكره . وعندما وقع بصره على ماثيو جالسا فى أحد الأركان ، سعد بأنه قد وجد عذرا لائقا يعفيه من مواصلة الرقص . لم يكن قد لاحظ الفتاة الجالسة بجوار ماثيو إلى أن وقف قبالتهما . عندما رفعت الفتاة وجهها ونظرت فى عينى ويليام ، شعر بانتفاض فرائصه .

سأل ماثيو بشكل عابر : " هل تعرف آبى بلونت ؟ "

قال ويليام وهو يمنع نفسه بالكاد من ضبط رابطة عنقه : " كلا " .

" إنها ضيفتك يا سيد ويليام لويل كين " .

نكست الشابة الصغيرة عينيها فى حياء عندما جلس ويليام بجانبها على الطرف الآخر . وقد لاحظ ماثيو أثر نظرة ويليام على آبى فقام من فوره بحثا عما يفعله .

قال ويليام : " كيف عشت طوال حياتى فى بوسطن بدون أن ألتقى بك أبدا ؟ " .

" و لكننا تقابلنا مرة واحدة من قبل، عندما دفعتنى فى حوض المياه فى حمام السباحة ، كنا نحن الاثنان فى الثالثة من عمرنا فى ذلك الوقت وقد استغرقت أربعة عشر عاما إلى أن شفيت من هذا الحادث " .

قال ويليام بعد فترة صمت أخذ يبحث خلالها بدون جدوى عما يمكن أن يقوله : " أنا آسف " .

" يا له من منزل رائع ، منزلك هذا يا ويليام " .

سادت فترة صمت أخرى أخذ ويليام يبحث خلالها ثانية عن الكلمات ثم أجاب : " أشكرك " فى صوت خافت . أخذ ينظر فى الجانب الذى كانت تجلس فيه آبى لكى يسترق النظر إليها بدون أن تشعر بذلك . لقد كانت نحيفة - نحيفة للغاية - ذات عينين بنيتين شديدتى الاتساع وأهداب طويلة وكانت تملك وجها أثار إعجاب ويليام . كانت آبى قد عقصت شعرها الأسود من خلال تصفيفة معينة كان ويليام يكرهها إلى أن شاهدها على آبى .

حاولت أن تحادثه ثانية : " لقد أخبرنى ماثيو أنك سوف تلتحق بهارفارد فى العام المقبل " .

" نعم بالفعل . أعنى ، أترغبين فى مشاركتى الرقص ؟ "



أجابت قائلة : " أشكرك " .

كانت الخطوات التى بدت لويليام سهلة منذ بضع دقائق قد أصابته بالتعثر الآن . فدهس أصابع قدميها وكان من وقت إلى آخر يطيح بها على باقى الراقصين . اعتذر لها فأجابته بابتسامة . قربها منه قليلا وواصلا الرقص .

سألت الجدة كابوت فى تشكك : " هل نعرف هذه الشابة الصغيرة التى استحوذت على ويليام على مدى الساعة الأخيرة ؟ " .

أعلنت الجدة كين : " إنها آبى بلونت " .

سألت الجدة كابوت : " هل هى ابنة الأدميرال بلونت ؟ "

" نعم " .

أومأت الجدة كابوت فى شيء من القبول .

قاد ويليام آبى بلونت نحو نهاية طرف الحديقة وتوقف بها عند أحد الأشجار التى كان يستخدمها فى الماضى لأغراض التسلق فقط .

سألت آبى : " هل تحاول دائما أن تقبل الفتيات فى المرة الأولى التى تلتقى فيها بهن ؟"

قال ويليام : " لكى أكون صادقا لم يسبق لى من قبل أن قبلت فتاة " .

ضحكت آبى : " هذا من دواعى فخرى " .

أصرت بعدها على العودة إلى الداخل . راقبت الجدتان العودة المبكرة للشابين بشيء من الارتياح .

وفى وقت لاحق ، أخذ ويليام وماثيو يتبادلان أطراف الحديث عما جرى فى الحفل .

قال ماثيو : " لم يكن حفلا سيئا . ربما يستحق الرحلة التى قطعتها من نيويورك إلى هنا بالرغم من أنك قد سرقت فتاتى " .

سأله ويليام متجاهلا اتهام ماثيو الساخر : " هل تظن أنها سوف تساعدنى على فقد عذريتى ؟ " .

قال ماثيو : " حسنا ، بقى أمامك ثلاثة أسابيع لكى تكتشف ذلك ولكننى أخشى أنك سوف تكتشف أنها لم تفقد عذريتها بعد " . وأضاف ماثيو : " هكذا تحدثنى خبرتى فى هذه الأمور حتى أننى على استعداد لأن أراهنك على خمسة دولارات أنها لن تذعن حتى لإغراء ويليام لويل كين " .

أخذ ويليام يعد استراتيجيته بإحكام . العذرية كانت شيئا قيما ولكن الخمسة دولارات التى كان يمكن أن يخسرها لماثيو شيء مختلف تماما . كان يقابل آبى بلونت يوميا بعد الحفل الراقص . كان قد بدأ للمرة الأولى يستغل بيته الخاص وسيارته الخاصة وهو مازال فى السابعة عشرة . شعر أنه سوف يكون فى حال أفضل إن تخلص من مراقبة والدى آبى الخفية والدائمة لها والتى بدت له دائما وكأنها تحول بينهما . ولكنه بالرغم من ذلك لم يقترب من تحقيق هدفه حتى عندما حل اليوم الأخير من عطلته الدراسية .

بدافع إصراره وتصميمه على الفوز بالدولارات الخمسة ، أرسل ويليام إلى آبى باقة زهور جميلة فى وقت مبكر من هذا اليوم وصحبها إلى عشاء فاخر فى مطعم جوزيف ثم أخيرا نجح فى إقناعها بأن تعود معه ليجلسا سويا فى الغرفة الأمامية من منزله .

جلس بجانبها ووضع ذراعه فى ثقة حول كتفيها . فاستقرت بين ذراعيه .

" آبى أنت بارعة الجمال " بدا حديثه بذلك هامسا وهو يمرر يده بين خصلات شعرها المتموج



فنظرت إليه بجدية واتسعت عيناها البنيتان : " آه يا ويليام " وقالت وهى تلتقط أنفاسها : " وأعتقد أنك شديد الروعة " .

ثم استدركت : " ويليام لا يجب أن تفعل ذلك " .

قال ويليام وهو يبذل جهده بلا جدوى لكى يمسك بها : " ولم لا ؟ " .

" لأنك لا يمكن أن تتنبأ إلى أى شيء سوف يقودنا ذلك " .

" لدى فكرة معقولة " .

وقبل أن يتمكن من إعادة الكرة دفعته آبى بعيدا ونهضت فى حماس وأخذت تهندم ثيابها " .

" أعتقد أننى يجب أن أعود إلى المنزل الآن يا ويليام " .

" ولكنك قد وصلت لتوك " .

" سوف تسعى أمى لمعرفة كل التفاصيل " .

" وسوف يكون بوسعك أن تجيبيها قائلة بأنه لم يحدث شيء " .

أضافت آبى : " وأعتقد أنه من الأفضل أن يبقى الحال هكذا " .

" ولكننى سوف أعود غدا " . تجنب ويليام أن يذكر كلمة " إلى المدرسة " .

" حسنا يمكنك أن تراسلنى يا ويليام " .

وعلى عكس فلنتينو ، كان ويليام يعرف متى يكون قد منى بهزيمة . نهض من مقعده وضبط رابطة عنقه وأمسك آبى من يدها وأوصلها إلى منزلها بسيارته .

وفى اليوم التالى ، بعد عودته إلى المدرسة ، قبل ماثيو ليستر ورقة الخمسة دولارات التى قدمها له ويليام وقد رفع حاجبيه فى ذهول ساخر .

" فقط تفوه بكلمة واحدة يا ماثيو وسوف أطاردك فى كل أرجاء سانت بول بمضرب كرة البيسبول " .

" لا أكاد أعثر على أية كلمات يمكن أن تعبر عن شعورى العميق بالأسى من أجلك " .

" ماثيو ؛ سوف أطاردك فى كل أنحاء سانت بول " .

وكانت زوجة ناظر المدرسة التى يدرس بها ويليام - جرامبى راجلان - معجبة بويليام . وقد انتهزت فرصة سفر زوجها لحضور أحد المؤتمرات وحاولت إغراء " ويليام " والذى قاوم فى البداية ولكن مع جمالها الأخاذ ضعفت مقاومته واستسلم لها فى النهاية .

وفى يوم السبت التالى عاد جرامبى راجلان من مؤتمره ؛ ولم يستطع ويليام مقابلة زوجته منذ ذلك الحين .

وفى نهاية عطلة شم النسيم ؛ وفى يوم الخميس تحديدا ؛ أذعنت آبى بلونت أخيرا لسحر ويليام وأعلنت حبها له مما كبد ماثيو خمسة دولارات . كان هذا هو الحدث الوحيد الجدير بالذكر على مدى العطلة كاملة والتى قضى فيها ويليام جل وقته داخل البيت لاستذكار دروسه والتى لم يكن يلتقى خلالها إلا بجديته والسيد آلان ليويد . كانت اختباراته النهائية وشيكة ؛ لم يكن قد بقى عليها سوى أسابيع معدودة .

وأثناء الفترة الدراسية الأخيرة ؛ : كان ويليام وماثيو يعكفان لساعات فى استذكار دروسهما بدون أن ينطق أحدهما بكلمة إلا عند تعثر ماثيو فى حل إحدى المسائل الرياضية . وعندما حان وقت الاختبارات المرتقبة أخيرا ؛ تواصلت على مدى أسبوع شاق واحد فقط . ومع انتهاء الاختبارات ؛ كان كلاهما يتحرق لمعرفة النتيجة المؤكدة ولكن بمرور الأيام وانتظارهما الطويل بدأت ثقتهما تتراجع . كانت هناك معايير تنافسية صارمة تحكم منحة هاملتون للرياضيات



وكانت متاحة لكل طالب من طلاب المدارس فى أمريكا . لم تتح لويليام فرصة تقييم منافسيه . وبمرور المزيد من الوقت وعدم وصول أية أنباء بدأ ويليام يتوقع الأسوأ .

وعندما وصل التلغراف الذى تسلمه أحد طلاب الصف الثانى فى المدرسة ؛ كان ويليام يلعب كرة البيسبول مع بعض زملائه فى الصف السادس فى محاولة لقتل الوقت المتبقى من الفترة الدراسية الأخيرة قبل مغادرة المدرسة ؛ كانت أيام صيف ساخنة وكان يكثر فيها من طرد الصبية لإفراطهم فى تناول الشراب أو كسر النوافذ أو محاولة الاعتداء على بنات الأساتذة أو حتى زوجاتهم .

كان ويليام يعلن على الملأ بصوت مرتفع لكل من يهمه الأمر بأنه على وشك إنجاز أول ركضة له إلى القاعدة الأولى . كان قد تم إعلان اسم ماثيو . قوبل تصريح ويليام المبالغ فيه بالضحكات . عندما وصل التلغراف إلى ويليام نسى الجميع أمر الركض إلى القاعدة الأولى . رمى ويليام مضربه وفتح المظروف الأصفر . بقى الرامى منتظرًا فى نفاد صبر هو وباقى اللاعبين فى أرض الملعب وهو يقرأ التلغراف فى بطء .

صاح أحدهم من القاعدة الأولى : " يريدونك أن تصبح محترفا " ؛ لم يكن وصول التلغراف أمرا مألوفا أثناء مباريات كرة القاعدة . سار ماثيو من خارج أرض الملعب وانضم إلى ويليام ؛ كان يريد أن يستقرئ النبأ من وجه صديقه ويعرف إن كان سارا أم غير ذلك . بدون أن يغير تعبيره ؛ سلم ويليام التلغراف إلى ماثيو الذى قرأه ثم قفز عاليا فى الهواء فى سعادة ورمى قطعة الورق على الأرض لكى يعدو مع ويليام أرض الملعب مرورا بكل القواعد حتى بالرغم من أنه لم يكن أحد قد ضرب الكرة بالفعل . سار الرامى بخطوات واسعة والتقط التلغراف من الأرض وقرأه ثم قذف الكرة فى

حيوية نحو اللاعبين . تناقل اللاعبون بعد ذلك التلغراف من يد إلى يد وكان آخر من قرأها هو طالب الصف الثانى الذى كان سبب كل هذه الفرحة الغامرة . وبما أنه لم يكن قد تلقى أية كلمة شكر فقد شعر أن أقل ما يستحقه هو أن يعرف سبب كل هذه السعادة .

كان التلغراف موجها إلى ويليام لويل كين الذى افترض الفتى أنه الضارب قليل الكفاءة . كان محتوى التلغراف يقول : " تهانينا لفوزك بمنحة هاملتون للرياضيات فى هارفارد . سوف نوافيك بكل التفاصيل فى وقت لاحق . الرئيس أبوت لورنس لوييل " . لم يتمكن ويليام أبدا من الوصول إلى القاعدة الأولى بسبب تكالب اللاعبين عليه قبل الوصول إليها .

ارتسمت علامات الفرح على وجه ماثيو الذى سعد سعادة غامرة بنجاح صديقه المقرب ولكنه حزن فى نفس الوقت لأن هذا كان يعنى إمكانية افتراقهما . وقد شعر ويليام بذلك هو الآخر ولكنه لم يقل شيئا . كان عليهما الانتظار تسعة أيام أخرى لحين وصول نبأ قبول ماثيو فى هارفارد هو الآخر .

وفى خضم هذه الأنباء السارة ؛ وصل تلغراف آخر من تشارلز ليستر يهنئ فيه ابنه ويدعو الصبيين لتناول الشاى فى فندق بلازا فى نيويورك . أرسلت كل من الجدتين تهانيهما إلى ويليام والذى عبرت عنه الجدة كين لآلان ليويد بقولها فى شيء من الأسف : " إن الفتى لم يفعل أقل مما كان متوقعا منه أو أكثر مما فعل أبيه من قبله " .

سار ويليام وماثيو ببطء فى شارع فيفث آفينيو فى اليوم المحدد بمنتهى الفخر . كان انجذاب الفتيات للشابين الوسيمين لا يخفى عليهما . وقد خلع كلاهما قباعات القش بمجرد أن دخلا من الباب الأمامى لفندق البلازا فى الثالثة وتسع وخمسين دقيقة وسارا



فى رباطة جأش نحو قاعة البالم حيث كان الجمع العائلى فى انتظارهما . هناك فوق المقاعد المريحة المستقيمة كانت تجلس الجدتان كين وكابوت وسيدة ثالثة مسنة ؛ يبدو أنها كانت نظيرة الجدتين من عائلة ليستر كما افترض ويليام . كما كان هناك أيضا الابنة سوزان ( التى لم تدر بصرها عن ويليام طوال الوقت ) وآلان ليويد ومقعدان خاويان لويليام وماثيو .

أشارت الجدة إلى أقرب نادل بإيماءة آمرة بحاجبها : " إناء من الشاى الساخن والمزيد من الكعك من فضلك " .

أسرع النادل إلى المطبخ ثم قال فور عودته : " إناء من الشاى الساخن وكعك بالكريمة يا سيدتى " .

قال الرجل العجوز للفتى الأكثر طولا : " كان والدك سيفخر بك اليوم لو كان مازال حياً يا ويليام " .

أخذ النادل يتساءل عن الإنجاز الذى يجب أن يكون هذا الشاب الوسيم قد حققه لكى يحظى بشرف هذا التعليق .

لم يكن ويليام ليلحظ وجود النادل بالمرة اللهم إلا بسبب هذا السوار الفضى الذى كان يلف معصمه . كان السوار بمثابة قطعة فنية نادرة لتيفانى ؛ لم يكن تواجد مثل هذه القطعة الفنية مع شخص يشغل هذه الوظيفة أمرا مستساغا .

قالت الجدة كين : " ويليام . يكفيك كعكتان فقط ؛ هذه ليست آخر وجبة سوف تتناولها قبل ذهابك إلى هارفارد " .

نظر ويليام إلى السيدة العجوز فى عطف ونسى تماما أمر السوار الفضى .

# الفصل الثالث عشر

بقى هابيل طوال هذه الليلة مستلقيا فى فراشه داخل غرفته الصغيرة فى فندق بلازا يفكر فى ويليام الذى كان أبوه ليفخر به ، وأدرك لأول مرة فى حياته ما كان يريد أن يحققه تحديدا . كان يريد أن يراه الآخرون على أنه نظير لويليام وكل نظرائه فى هذا العالم .

كان هابيل قد مر بظروف عصيبة منذ وصوله إلى نيويورك ، فقد كان يقيم فى غرفة لم تكن تحتوى إلا على سريرين فقط وكان يجب عليه أن يتقاسمها مع جورج واثنين من أبناء عمه . وكان هذا الوضع يفرض عليه ألا ينام إلا عندما يكون أحد السريرين خاليا . وقد عجز عم جورج عن توفير فرصة عم لهابيل ، وبعد أسابيع من المساعى والمحاولات المضنية ، أنفق خلالها هابيل كل ما كان يملك من نقود لكى يبقى على قيد الحياة ويجوب الطرقات من بروكلين إلى كوينز ، عثر أخيرا على عمل كمساعد جزار . كان يحصل على راتب ، تسعة دولارات مقابل العمل لستة أيام ونصف اليوم أسبوعيا





والإقامة داخل المتجر . كان المتجر يشغل قلب مجتمع بولندى صغير يكاد يكون مستقلاً بذاته فى الجانب الجنوبى من المدينة ولكن سرعان ما ضاق هابيل ذرعا بالعزلة المفروضة على أبناء بلده حتى أن أكثرهم لم يكن يبذل أدنى جهد لتعلم اللغة الإنجليزية .

كان هابيل مازال يلتقى بجورج وصديقاته المتتاليات بانتظام فى عطلة نهاية الأسبوع . ولكنه كان يقضى معظم أوقات فراغه فى المدرسة المسائية لكى يحسن قدرته على القراءة والكتابة بالإنجليزية . لم يكن تقدمه البطيء فى التحصيل يثير خجله لأنه لم يسعفه حظ كتابة الإنجليزية بالمرة منذ الثامنة من عمره ، ولكنه على مدى عامين استطاع أن يتقن لغته الجديدة بطلاقة ويتقن لهجتها إلى حد لا يكشف إلا عن القدر القليل من تأثير لهجته الأم . شعر هابيل فى ذلك الوقت أنه على استعداد للانتقال من محل الجزارة ولكن إلى أين وكيف ؟ وفى يوم من الأيام بينما كان يعلق ساق أحد الخراف سمع أحد أكبر عملاء المتجر والذى كان يشغل منصب مدير تقديم الطعام فى فندق بلازا وهو يخبر الجزار بأنه اضطر إلى طرد نادل جديد بسبب اتهامه بالسرقة ، وأخذ يشكو قائلاً : " كيف يمكن أن أعثر على بديل بهذه السرعة ؟ " . لم يجد الجزار حلا للمدير . ولكن هابيل كان قد عثر على الحل . ارتدى بدلته الوحيدة وسار مسافة سبعة وأربعين بناء فى الجزء الأعلى من المدينة ومر عبر خمسة أحياء وحصل على الوظيفة .

ما إن استقر فى فندق بلازا ؛ سجل اسمه فى أحد برامج تعليم الإنجليزية المتقدمة فى جامعة كولومبيا . كان يعمل بجدية كل مساء ويستذكر دروسه مستعينا بالقاموس فى إحدى يديه ومدونا بقلمه باستخدام اليد الأخرى . وأثناء الصباح ، فى الفترة ما بين تقديم الإفطار والإعداد للغداء ، كان ينقل المقالات الافتتاحية من

النيويورك تايمز ويبحث فى قاموسه القديم عن أية كلمات لم يكن واثقا من معناها .

وعلى مدى الأعوام الثلاثة التالية استطاع هابيل أن يشق طريقه وسط صفوف العاملين فى فندق بلازا إلى أن وصل إلى منصب نادل فى الصالة الرئيسية ووصل راتبه إلى خمسة وعشرين دولارًا أسبوعيا بالإكراميات . لم يكن هابيل فى ظل عالمه هو ينقصه شيئا .

كان معلم هابيل منبهرا بالتقدم الحثيث الذى كان يحرزه فنصحه بتسجيل اسمه لمزيد من الدروس الإضافية والتى ستكون بمثابة خطوته الأولى نحو شهادة بكالوريوس الآداب . بدأ هابيل يقضى أوقات فراغه فى قراءة علوم الاقتصاد بدلا من اللغويات ونسخ المقالات الافتتاحية لصحيفة الوول ستريت بدلا من التايمز . كان عالمه الجديد قد امتصه تماما وباستثناء جورج كان هابيل قد فقد اتصاله كلية بكل أصدقائه البولنديين القدامى .

كان أثناء أداء وظيفته كنادل يحرص على دراسة المشاهير بمنتهى الدقة مثل عائلات بيكرز ولوبز وويتنيز ومروجنز وفيلبس وكان يحاول أن يتبين السمات التى كانت تميز الأغنياء عن غيرهم . كان يقرأ لـ " إتش إل منكن " المحرر فى جريدة مركورى وسكوت فيتزجيرالد وسنكلير لويس وثيودور ديريز شغفا منه بأن ينهل بلا انقطاع من مناهل المعرفة . كان يقرأ النيويورك تايمز فى الوقت الذى كان يلهو فيه زملاؤه فى العمل ، وكان يعكف على قراءة الوول ستريت فى الوقت الذى كانوا يغفون فيه . لم يكن واثقا فى أى اتجاه سوف تقوده كل هذه المعرفة ولكنه لم يشك يوما فى مقولة البارون التى كان يؤكد عليها دائما وهى أنه ليس هناك بديل للتعليم الجيد .



وفى أحد أيام الخميس من شهر أغسطس عام ١٩٢٦ وكان يتذكر المناسبة جيدا لأنه اليوم الذى توفى فيه رودلف فالنتينو وكانت الكثير من النساء فى شارع فيفس آفينيو يرتدين السواد حدادًا عليه ، كان هابيل يخدم كعادته فى إحدى الموائد الجانبية . كانت الموائد الجانبية تقتصر دائما على النخبة من رجال الأعمال ممن كانوا يحرصون على تناول غداء خاص فى حرية بعيدا عن الآذان المتربصة . كان يستمتع بخدمة هذه الموائد الخاصة لأنها كانت تساعده على توسيع نطاق أعماله كما أنه كثيرا ما كان ينجح فى اقتناص بعض المعلومات السرية من بين ثنايا الحوارات التى كانت تصل إلى مسامعه . وبعد انتهاء الوجبة كان هابيل يقوم بالاطلاع على أسعار الأسهم الخاصة بالمدعوين . فإن كانت لهجة الحوار الدائر متفائلة وكانت هناك أسماء متداولة لشركات صغيرة وكبيرة فقد كان يسرع باستثمار مائة دولار فى الشركات الصغيرة أملا فى توسعها أو توسيع دائرة أعمالها بمساعدة الشركة الكبيرة . أما إن أمر المضيف بتقديم السيجار فى نهاية الوجبة ، فقد كان هابيل يزيد من حجم استثماره إلى مائتى دولار . فى سبع مرات من بين عشر مرات تضاعفت قمية استثماره خلال ستة أشهر وهى الفترة التى يسمح فيها هابيل لنفسه بالإبقاء على الأسهم . وباتباع هذه الطريقة لم يخسر هابيل المال إلا ثلاث مرات فقط على مدى السنوات الأربع التى عمل فيها فى فندق بلازا .

ولكن ما جعل لقاء المائدة الجانبية غير تقليدى فى هذا اليوم تحديدا هو أن الضيوف قد تناولوا التبغ حتى قبل بدء تقديم الوجبة . ثم انضم إليهم فى وقت لاحق المزيد من المدعوين الذين طلبوا المزيد من السيجار . بحث هابيل عن اسم المضيف فى دفتر الحجز الخاص بالمطعم ؛ إنه وولورث ؛ كان هابيل قد رأى هذا

الاسم من قبل فى القوائم المالية مؤخرا ولكنه لم يستطع تذكر التفاصيل الخاصة به فى الحال . أما الضيف الآخر فقد كان تشارلز ليستر ؛ الذى كان أحد العملاء الدائمين لفندق بلازا ؛ والذى كان هابيل يعرف جيدا أنه أحد رجال المصارف المرموقين فى نيويورك . سعى هابيل لاستراق السمع للجزء الأكبر من الحديث أثناء تقديم الطعام . لم يلق أى من المدعوين أدنى قدر من الاهتمام بالنادل ممعن السمع . لم ينجح هابيل فى تبين أية تفاصيل دقيقة ذات أهمية ولكنه خلص إلى أن هناك صفقة ما قد عقدت هذا الصباح وبأنها سوف تعلن فى وقت لاحق للجمهور فى ذلك اليوم . ثم تذكر بعدها . كان قد رأى الاسم من قبل فى جريدة الوول ستريت ؛ وولورث كان اسم الرجل الذى كان والده قد بدأ أول متجر من متاجر السلع الاستهلاكية الرخيصة وها هو ابنه الآن يسعى للتوسع من خلال الحصول على المزيد من التمويل . بينما كان الضيوف يستمتعون بتناول طبق الحلوى الشهى - كان معظمهم قد اختار كعكة الجبن بالفراوله الذى رشحه لهم هابيل - انتهز هابيل الفرصة لمغادرة غرفة الطعام لبضع دقائق اتصل خلالها بمضاربه فى وول ستريت .

سأل هابيل : " ما هو مجال عمل وولورث ؟ "

صمت الطرف المقابل قليلا ثم قال : " لقد وصل سعر سهمه إلى اثنين وثمن . إنه يتحرك كثيرا فى الآونة الأخيرة ولكننى لا أعرف لذلك سببا " .

" اشتر أكبر قدر ممكن من الأسهم لحسابى لحين إصدار إعلان الشركة اليوم " .

سأله المضارب فى استغراب : " وما هو محتوى هذا التصريح ؟ "



أجاب هابيل : " لا يمكننى أن أكشف عن المزيد " .

ترك الحديث انطباعا جيدا لدى المضارب . كانت خبرة هابيل قد علمته ألا يكشف عن مصدر المعلومات الخاص به . هرع هابيل عائدا إلى الصالة فى الوقت المناسب لتقديم القهوة . أمضى العملاء بعض الوقت فى تناول القهوة ثم عاد هابيل إلى المائدة بينما كان الجمع يستعد للرحيل . شكر الرجل الذى سدد الحساب النادل على حسن خدمته واستدار بحيث يكون على مسمع من باقى المدعوين قائلا لهابيل : " هل تريد إكرامية أيها الشاب الصغير ؟ "

قال هابيل " أشكرك يا سيدى " .

" اشتر أسهم وولورث " .

ضحك الجمع . وضحك هابيل أيضا وأخذ الخمسة دولارات التى منحها إياه الضيف وشكره . ثم فاز بعدها بألفين وأربعمائة واثنى عشر دولارا إضافية فائدة من أسهم وولورث على مدى الأسابيع الستة التالية .

* * *

عندما حصل هابيل على الجنسية الأمريكية الكاملة بعد بلوغه الحادية والعشرين من عمره بقليل ؛ قرر أن المناسبة تستحق الاحتفال . فدعا جورج ومونيكا آخر صديقات جورج وكلارا صديقة جورج السابقة لمشاهدة جون بريمور فى فيلم دون جوان ثم تناول العشاء فى مطعم بيجو . كان جورج مازال يعمل فى مخبز عمه مقابل ثمانية دولارات فى الأسبوع ، وبالرغم من أن هابيل كان مازال ينظر إليه على أنه صاحبه المقرب فقد كان مدركا لاتساع الهوة التى تفصل بين جورج المفلس وبينه الذى كان فى ذلك الوقت يملك أكثر من ثمانية آلاف دولار فى البنك فضلا عن أنه كان فى عامه

الأخير فى جامعة كولومبيا يستعد لنيل شهادة البكالوريوس فى علوم الاقتصاد . كان هابيل يعرف دائما هدفه وطريقه ، أما جورج فكان قد توقف عن القول بأنه سوف يصبح يوما ما عمدة نيويورك .

قضى الأربعة أمسية لا تنسى ولعل السبب يرجع فى ذلك فى الأساس إلى أن هابيل كان يعرف تحديدا ما يمكن أن يتوقعه من أى مطعم جيد . كان الطعام وفيرا وأفرط أصدقاؤه الثلاثة فى تناوله وعندما جاءت فاتورة الحساب ؛ ذهل جورج من أن الإجمالى كان يفوق ما يكسبه فى شهر من عمله . دفع هابيل الفاتورة بدون أن يلقى عليها نظرة ثانية . إن كان لابد أن تسدد الفاتورة ؛ دع الأمر يبدو وكأن القيمة ليست ذات أهمية . فإن كانت بالفعل مرتفعة فلا تعاود الذهاب إلى نفس المطعم ثانية ولكن مهما يكن لا تعلق أو تبدى دهشتك ؛ كانت هذه هى إحدى النصائح التى تعلمها هابيل من الأغنياء .

عندما انتهى الحفل قرابة الثانية صباحا ؛ عاد جورج ومونيكا إلى الجانب الجنوبى بينما شعر هابيل أنه يرغب فى مصاحبة كلارا . انسل بها من الباب المخصص للخدم فى فندق بلازا وصعد بها فى مصعد التنظيف ومنه إلى غرفته . لم تكن بحاجة للكثير من الإغراء لكى تشاركه الفراش ، وقد عمد هابيل إلى إنهاء مهمته سريعا لأنه كان حريصا على الحصول على قسط وافر من النوم قبل بدء الإعداد للإفطار فى الصباح الباكر . وقد كان سعيدا بالفعل عندما أنجز مهمته فى الثانية والنصف ليغرق فى سبات عميق لم يصح منه إلا على جرس المنبه فى السادسة صباحا .

جلست كلارا فى سريره وأخذت تتأمله وهى قاطبة الجبين وهو يرتدى رابطة عنقه البيضاء . قبلها بشكل روتيني مودعا وقال :



" احرصى على مغادرة الفندق بنفس الطريقة التى دخلت بها وإلا فسوف تزجين بى فى مأزق . متى سأراك ثانية ؟ "

ردت كلارا : " لن ترانى " .

سأل هابيل فى دهشة " ولم لا ؟ هل فعلت شيئا ؟ "

" لا بل لم تفعل شيئا " .

سأل هابيل فى حزن : " ما الذى لم أفعله ؟ لقد كنت تريدين أن تقاسمينى الفراش ، أليس كذلك ؟ "

استدارت ووقفت قبالته : " ظننت أننى أريد ذلك إلى أن اكتشفت أن هناك شيئا مشتركا يجمع بينك وبين فالنتينو وهو أن كليكما ميت . قد تكون أروع ما شهده فندق بلازا فى عام كئيب ، ولكن فى الفراش يمكننى أن أؤكد لك أنك لا تساوى شيئا " . كانت كلارا عندها قد ارتدت كامل ملابسها ؛ توقفت ووضعت يدها على مقبض الباب وهى تتأهب للرحيل وقالت : " أخبرنى هل سبق وأقنعت فتاة بأن تفعل ذلك الشيء أكثر من مرة ؟ "

صعق هابيل وبقى محدقا فى الباب الذى صفعته كلارا وراءها وبقيت هذه الاتهامات تؤرقه لباقى يومه . لم يخطر بباله أى شخص يمكن أن يناقش معه هذه المشكلة . كان جورج سيكتفى بالسخرية منه فقط .

أما باقى طاقم الخدم فى فندق بلازا فقد كانوا جميعا يظنون أنه يعرف كل شيء . لذا فقد قرر أن هذه المشكلة ـ مثل باقى المشاكل التى صادفته فى حياته ـ هى إحدى المشكلات التى يجب أن يتخطاها عن طريق المعرفة والخبرة .

وبعد الغداء ، فى استراحة منتصف اليوم ، توجه هابيل إلى مكتبة سكريبنر فى شارع فيفث أفينيو . كانت هذه المكتبة قد حلت له كل المشاكل التى واجهها فى الماضى فى مجال الاقتصاد

واللغويات ، ولكنه مع ذلك لم يعثر على أى شيء هناك يمكن أن يساعده فى حل مشاكله العاطفية . كانت الكتب المتخصصة فى مجال فن معاملة المرأة كتبًا بائسة كما اكتشف لخيبة أمله أن كتاب " المعضلة الأخلاقية " لم يكن يحمل أى جديد .

ترك هابيل المكتبة بدون أن يشترى شيئا وقضى باقى فترة الظهيرة فى مشاهدة أحد عروض برودواى ، ولكنه لم يكن يشاهد الفيلم وإنما يفكر فيما قالته له كلارا . كان الفيلم لجريتا جاربو ولم يصل إلى حد القبلات إلا فى الجزء الأخير منه أى أنه لم يقدم له أكثر مما قدمته مكتبة سكريبنر .

عندما غادر هابيل دار العرض كان الظلام قد حل بالفعل وكانت هناك نسمة هواء باردة تسود برودواى . كان من الأمور التى مازالت تثير دهشة هابيل أن تكون هناك مدينة مزدحمة ومضاءة ليلا بقدر ما هى مزدحمة ومضيئة نهارا ، بدأ يسير نحو شارع فيفتى ناينت أملا فى استنشاق المزيد من الهواء النقى لكى ينعش تفكيره . توقف عند ركن الشارع فيفتى سكند لكى يشترى الجريدة المسائية .

جاءه صوت من أحد الأركان : " هل تبحث عن فتاة ؟ " .

تأمل هابيل صاحبة الصوت . كانت امرأة فى قرابة الخامسة والثلاثين ذات وجه ملطخ بمساحيق التجميل وفمها مصبوغ بآخر صيحة من صيحات أحمر الشفاه . كانت ترتدى قميصًا من الحرير الأبيض وتنورة سوداء طويلة وجوارب سوداء وحذاء أسود .

" فقط خمسة دولارات ، إننى أستحق كل سنت منها " قالتها وهى تكشف عن ساقها بالكامل حتى بداية الجورب .

سأل هابيل " أين ؟ "

" أملك مكانا صغيرا خاصا بى فى الجوار " .



أدارت وجهها وأشارت لهابيل إلى الجهة المقصودة واستطاع خلالها أن يرى وجهها لأول مرة بوضوح تحت ضوء مصباح الشارع . لم تكن خالية من كل الجاذبية . أومأ هابيل بالموافقة فصحبته من ذراعه وبدءا يسيران فى الطريق .

قالت : " إن أوقفتنا الشرطة أخبرهم بأنك صديق قديم وبأن اسمى جويس " .

سارا إلى أن وصلا إلى المكان المقصود ثم دخلا فى أحد الأبنية الصغيرة القذرة . وقد ارتعد هابيل عندما شاهد الغرفة القذرة التى كانت تقطنها ذات المصباح الضوئى الواحد والمقعد الواحد والحوض الواحد والفراش الذى كان يعج بالفوضى والذى بدا واضحا أنه قد استخدم أكثر من مرة فى ذلك اليوم .

سألها فى ازدراء : " هل تعيشين هنا ؟ "

" يا إلهى ، كلا ، إننى أستخدم هذا المكان فقط لمزاولة عملى " .

سألها هابيل وهو متردد بشأن استكمال ما قد جاء من أجله : " ولم تفعلين ذلك ؟ " .

" لدى طفلان يجب أن أنفق عليهما وزوجى متوفى . هل هناك سبب أفضل من ذلك ؟ والآن هل تريدنى أم لا ؟ "

قال هابيل : " نعم ولكن ليس كما تظنين " .

نظرت إليه فى ريبة : " أنت لست واحدا من هؤلاء المختلين ، لست أحد أتباع المركيز دى ساد ، أليس كذلك ؟ "

قال هابيل : " بالطبع لا " .

" كما أنك لن تحرقنى بالسيجار ؟ " .

قال هابيل فى حيرة : " كلا ليس شيئا من هذا القبيل بالمرة ، أريد فقط أن أتعلم جيدا ، أريد دروسا " .

" دروس ؟ هل تمزح ؟ أين تظن نفسك يا عزيزى ، مدرسة فنون الحب المسائية ؟ "

قال هابيل : " شيء من هذا القبيل " ثم جلس فى ركن السرير وقص عليها ما كان من كلارا فى الليلة السابقة . وأضاف : " هل تظنين أن بإمكانك المساعدة ؟ "

تفحصت فتاة الليل هابيل جيدا وهى تسائل نفسها ما إن كانت هذه هى كذبة أبريل .

قالت أخيرا : " بالطبع . ولكن هذا الأمر سوف يكلفك خمسة دولارات مقابل ثلاثين دقيقة مدة الحصة الواحدة " .

قال هابيل : " هذا أغلى من شهادة جامعة كولومبيا . وما عدد الدروس التى أحتاج إليها ؟ "

قالت : " هذا يعتمد على مدى سرعة تعلمك ، أليس كذلك ؟ "

قال هابيل وهو يخرج خمسة دولارات من جيبه الداخلى : " دعينا نبدأ من الآن " .

جلس هابيل على حافة السرير بينما بدأت هى تحادثه عن الطريقة التى يجب أن يعامل بها المرأة . وقد اندهشت بالفعل عندما أدركت أن هابيل لم يكن يريدها بالفعل ، وما ضاعف من دهشتها هو أن هابيل بقى منتظما فى ذهابه إليها يوميا على مدى أسبوعين .

فى تلك الليلة أعطته جويس كل خبرتها فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وفى نهاية هذه الليلة قالت جويس : " لقد تخرجت بامتياز ، أنت الأول على فصلك " .

احتفل هابيل بنجاحه ، بشراء تذاكر من السوق السوداء للمقاعد المجاورة للحلبة لبطولة العالم فى الوزن الثقيل فى المصارعة ودعا جورج ومونيكا وكلارا التى أبدت ترددها فى البداية . وبعد انتهاء



المباراة ، شعرت كلارا أن واجبها أن ترافق هابيل ، حيث إنه كان قد أنفق عليها الكثير من المال . وبحلول الصباح كانت كلارا تتوسل إليه ألا يتركها .

ولكن هابيل لم يدعها للخروج معه ثانية أبدا .

بعدما تخرج هابيل فى جامعة كولومبيا ، لم يعد راضيا عن حياته فى فندق بلازا ولكنه كان عاجزا عن تصور الخطوة التالية . بالرغم من أنه كان يخدم عددا من الرجال الأكثر ثراء ونجاحا فى أمريكا، فإنه لم يكن قادرا على محادثة أى منهم بشكل مباشر لأن هذا يمكن أن يكبده فقد عمله . كما أنه فى كل الأحوال لم يكن العملاء ليأخذون طموحاته على محمل الجدية . قرر هابيل أنه ينبغى أن يكون مديرا للندل .

وفى يوم من الأيام جاء السيد والسيدة إلسورث ستاتلر لتناول الغداء فى فندق بلازا فى قاعة إدوارد ، حيث كان هابيل يخدم هناك على مدى أسبوع . وقد ظن هابيل عندها أن الفرصة قد سنحت له وبذل قصارى جهده لكى يترك انطباعا جيدا لدى الرجل الفندقى الشهير ، وبالفعل سار كل شيء على خير ما يرام . وعند المغادرة شكر ستاتلر هابيل بحرارة وأعطاه عشرة دولارات وهكذا كانت نهاية اللقاء وليس أكثر . أخذ هابيل يراقبه وهو يغادر عبر أبواب فندق البلازا الدوارة وهو يسائل نفسه إن كان سينجح فى يوم من الأيام فى تحقيق ما يريد .

ربت سامى ـ كبير الندل ـ على كتفه وقال له :

" ما الذى أعطاه لك السيد ستاتلر ؟ "

قال هابيل : " لاشيء " .

سأله سامى فى نبرة عدم تصديق : " ألم يمنحك إكرامية ؟ "

قال هابيل : " أجل ، بالطبع . لقد أعطانى عشرة دولارات " . ثم أعطى المال لسامى

قال سامى : " أجل . خشيت أن تنكر . كنت سأفكر بأنك ربما سوف تراوغنى يا هابيل . عشرة دولارات ، هذا جيد حتى بالنسبة للسيد ستاتلر .لابد أنك أثرت إعجابه " .

" كلا لم أفعل " .

سأله سامى : " ما الذى تقصده ؟ "

قال هابيل وهو يسير بعيدا : " لا يهم " .

" انتظر قليلا يا هابيل ، هناك رسالة لك . لقد تركها لك الرجل الذى يجلس على المائدة سبعة عشر ، إنه يدعى السيد ليروى وهو يريد أن يحادثك شخصيا " .

" ما الخطب يا سامى ؟ "

" وكيف لى أن أعرف ؟ ربما يهيم بعينيك الزرقاوين " .

ألقى هابيل نظرة على المائدة ١٧ فقط لكى يبدو حليما ومتأنيا ، لأن المائدة رقم ١٧ سيئة الموقع وكان هناك شخصان يجلسان على المائدة ، رجل يرتدى سترة تحمل شكل مربعات لم تعجب هابيل ، وشابة صغيرة جذابة ذات شعر أشقر متموج لفتت نظر هابيل وقاده ظنه السيئ إلى أنها صديقة الرجل فى نيويورك . رسم هابيل " ابتسامة أسف " على شفتيه وهو يراهن نفسه على أن الرجل سوف يثير جلبة كبيرة بسبب تأرجح الأبواب بجواره ورغبته فى تغيير المائدة لكى يثير إعجاب السيدة الشقراء التى تجلس بصحبته . لم يكن أحد يحب أن يجلس بجوار رائحة المطبخ والجلبة التى كان يحدثها الندل بشكل مستمر عبر الباب . ولكن كان يستحيل تجنب استخدام المائدة حال ازدحام الفندق عن آخره بالمقيمين ، فضلا عن إقبال عدد كبير من سكان نيويورك على ارتياد



المطعم بشكل منتظم لتناول الطعام والذين كانوا ينظرون إلى الزوار المقيمين فى الفندق على أنهم دخلاء وليس أكثر . لِمَ كان سامى يصر دائما على أن يوكل له مشقة التعامل مع هؤلاء العملاء المتذمرين ؟ اقترب هابيل من صاحب السترة ذات المربعات بحرص .

" لقد طلبت التحدث معى يا سيدى ؟ "

قال فى لهجة أهل الجنوب : " بالطبع . اسمى ديفيس ليروى وهذه هى ابنتى ميلانى " .

أدار هابيل بصره عن السيد ليروى لبرهة ونظر فى عينى ميلانى الخضراء التى لم يكن قد شاهد عيناً كعينها الجميلة من قبل .

قال السيد ليروى فى تشدق أهل الجنوب : " لقد ظللت أراقبك يا هابيل على مدى الأيام الخمسة الماضية " .

لو ضغط عليه الرجل لكان هابيل قد أقر بأنه لم يلحظ وجود السيد ليروى حتى الخمس دقائق الماضية .

" ولقد أعجبت إعجابا شديدا بما رأيته يا هابيل لأنك تتمتع برقى ، رقى حقيقى وأنا أبحث دائما عن ذلك . لقد كان إلسورث ستاتلر أحمق بعدم الحصول عليك " .

بدأ هابيل يمعن النظر فى السيد ليروى وخده الأرجوانى وذقنه المترهل الذى أكد لهابيل أنه يفرط فى تناول المسكرات ، ثم أخذ يتأمل الأطباق الخاوية أمامه التى أكدت له أيضا أنه يفرط فى تناول الطعام . ولكن لم يكن اسم الرجل أو وجهه يعنى أى شيء بالنسبة لهابيل . فى وقت الغداء فى أى يوم من الأيام التقليدية ، كان هابيل يملك معرفة عن خلفية كل الزبائن الجالسين على سبعة وثلاثين مائدة من بين التسع وثلاثين مائدة داخل قاعة طعام إدوارد . كانت مائدة السيدة ليروى فى هذا اليوم هى واحدة من المائدتين المجهولتين بالنسبة لهابيل .

كان الرجل الجنوبى مازال يتحدث : " أنا لست واحدا من أصحاب الملايين الذين يجلسون فى موائدكم الجانبية أثناء إقامتهم فى فندق بلازا " .

أثارت كلمات الرجل إعجاب هابيل . لأنه لم يكن من المفترض أن يلحظ العميل التقليدى الأهمية النسبية لكل مائدة من الموائد داخل القاعة .

" ولكننى مع ذلك أبلى بلاء حسنا . بل إن أفضل فنادقى يمكن أن يزدهر لكى يضاهى يوما ما مثل هذا الفندق الفخم يا هابيل " .

قال هابيل فى محاولة لكسب الوقت : " أنا واثق من ذلك يا سيدى " .

ليروى . ليروى . ليروى . لم يكن الاسم يعنى أى شيء بالنسبة له .

" دعنى أوضح لك ما أريده منك يا بنى . إن الفندق رقم ١ فى سلسلة فنادقى أصبح بحاجة إلى مساعد للمدير المسئول عن المطاعم . إن كان هذا يثير اهتمامك. قابلنى فى غرفتى بعدما تنهى عملك " .

ثم مد يده لهابيل ببطاقة كبيرة .

قال هابيل وهو ينظر إلى البطاقة : " أشكرك يا سيدى . ديفيز ليروى . سلسلة فنادق ريكموند فى دالاس " . كان شعار الفندق مدونا تحت الاسم : " فى يوم من الأيام سوف يكون للفندق فرع فى كل ولاية " ومع ذلك بقى الاسم مجهولا بالنسبة لهابيل .

" فى انتظار لقائك " قال الرجل الجنوبى ذلك فى نبرة ودودة .

قال هابيل : " أشكرك يا سيدى " وابتسم لميلانى التى بدت عيناها أكثر خضرة عن ذى قبل ثم عاد إلى سامى منكس الرأس وهو يحصى الإكراميات التى جمعها .



" هل سمعت عن سلسلة فنادق ريكموند من قبل يا سامى ؟ "

قال سامى وهو ينظر إليه فى شك : " أجل بالطبع ، كان أخى يعمل نادلا هناك فى وقت ما . هناك ما يقرب من ثمانية أو تسعة فروع للفندق فى الجنوب ، يديرها رجل مجنون من تكساس ولكننى لا أذكر اسم الرجل . ولكن ما هو سبب سؤالك ؟" .

قال هابيل : " ليس هناك سبب محدد "

سأله سامى : " هناك دائما سبب يحركك يا هابيل : ما الذى كان يريده منك الرجل على المائدة رقم ١٧ ؟"

" كان يشكو من ضوضاء المطبخ . لا يمكن أن ألومه فى ذلك " .

" وما الذى يتوقع منى أن أفعله ، أن أجلسه فى الحديقة ، من يظن نفسه ، هل يظن أنه جون دى روكفيلر ؟"

ترك هابيل سامى يحصى النقود ويواصل حديثه وأخذ ينظف موائده بأسرع ما يمكن . ثم ذهب إلى غرفته لكى يجمع معلومات عن مجموعة ريكموند . أجرى عدة مكالمات هاتفية أرضت فضوله فى هذا الصدد . لقد وجد أن المجموعة هى عبارة عن شركة خاصة تملك أحد عشر فندقا فى الإجمالى ، أفخمها فندق شيكاغو ريكموند كونتيننتال الذى يضم ٣٤٢ غرفة فاخرة الإعداد . وقد فكر هابيل فى أنه لن يخسر شيئا إن سأل عن الغرفة التى كان يقيم فيها السيد ليروى وابنته ميلانى. وقد استفسر بالفعل وعرف أنهما يقيمان فى الغرفة رقم ٨٥ ، إحدى أفضل الغرف الصغيرة فى الفندق . وصل هابيل إلى هناك قبل الرابعة بقليل وشعر بخيبة أمل لعدم وجود ميلانى .

" إننى سعيد لأنك تمكنت من الحضور يا هابيل ، تفضل بالجلوس " .

كانت هذه هى المرة الأولى على مدى أكثر من أربعة أعوام يجلس فيها هابيل كضيف فى فندق بلازا .

قال السيد ليروى : " كم يبلغ أجرك هنا ؟"

أخذ السؤال هابيل على غرة .

" أتقاضى ما يقرب من خمسة وعشرين دولارا أسبوعيا بالإكراميات " .

" سوف أبدأ بخمسة وثلاثين دولارا أسبوعيا " .

قال هابيل " أى فندق تعنيه يا سيدى ؟ "

"إن كنت قد أصبت فى حكمى عليك . فإننى أفترض أنك قضيت الثلاث وثلاثين دقيقة التى أعقبت نهاية عملك فى البحث عن اسم الفندق الذى تسأل عنه ، أليس كذلك ؟"

بدأ هابيل يعجب بالرجل وقال : " هل هو فندق ريكموند كونتيننتال فى شيكاغو ؟"

ضحك ديفيز ليروى : " لقد كنت محقا ، محقا بشأنك " .

كان عقل هابيل يعمل ويدور بسرعة :" كم يبلغ عدد الأشخاص الذين يرأسون مساعد المدير ؟ "

" فقط المدير وأنا .المدير رجل بطيء ومهذب كما أنه يناهز سن التقاعد وبما أننى أملك تسعة فنادق أخرى يجب أن أعتنى بها فإننى أعتقد أننى لن أكون مصدر قلق بالنسبة لك . بالرغم من أننى يجب أن أقر أن فندق شيكاغو هو فندقى المفضل لأنه الأول فى الشمال كما أن مدرسة ميلانى هناك ، فإننى أجد أننى أقضى وقتا فى المدينة قوية الرياح أكثر مما ينبغى . إياك أن تقع فى الخطأ الذى يقع فيه كل أهل نيويورك فى الاستهانة بشيكاغو . إنهم يرون أنها لا تعدو طابع بريد على مظروف كبير اسمه نيويورك " .

ابتسم هابيل .



واصل السيد ليروى حديثه : " إن الفندق يعانى من تدنى بسيط فى نسبة الإشغال فى الوقت الراهن . وبما أن المدير السابق قد ترك العمل بدون سابق إنذار فإننى بحاجة إلى رجل كفء يمكن أن يحل محله ويتحمل كل أعباء المسئولية . والآن أنصت إلى يا هابيل ، لقد راقبتك عن كثب على مدى خمسة أيام وأعلم أنك الرجل المناسب . فهل سترحب بالذهاب إلى شيكاغو ؟ "

" أربعون دولارا بالإضافة إلى عشرة بالمائة للأرباح الإضافية وسوف أقبل العرض " .

قال ديفيز ليروى فى ذهول : " ماذا ؟ " لا أحد من المديرين الذين يعملون عندى يتقاضى نسبة من الأرباح . إنهم سيقودون ثورة ضدى إن اكتشفوا هذا الأمر" .

قال هابيل : " إننى لن أخبرهم إن لم تفعل أنت ؟ "

" أنا الآن أعرف أننى قد اخترت الرجل المناسب حتى بالرغم من أنه مقامر ومراهن محنك " . طرق الرجل جانب مقعده وقال : " أوافق على شروطك يا هابيل " .

" هل أنت بحاجة إلى معلومات موثقة عنى يا سيدى ليروى ؟ "

" معلومات موثقة ؟ لقد عرفت كل ما يخص خلفيتك وتاريخك منذ أن رحلت من أوروبا إلى أن أحصلت على الشهادة من جامعة كولومبيا . ما الذى تظن أننى كنت أفعل على مدى الأيام الخمسة الماضية ؟ إننى لا يمكن أن أجازف بوضع شخص فى مثل هذا المنصب فى فندقى المفضل بدون أن أتأكد من هويته وكفاءته . متى يمكن أن تبدأ ؟"

" بعد شهر من الآن " .

" حسنا. فى انتظار رؤيتك إذن يا هابيل " .

قام هابيل من مقعده ؛ شعر بسعادة أكبر عندما وقف . صافح السيد ديفيز ليروى ـ رجل المائدة ١٧ ـ مائدة المجهولين .

كانت مغادرة مدينة نيويورك وفندق بلازا ـ بيته الحقيقى الوحيد منذ مغادرة القصر القريب من سلونيم ـ أشد وقعا على نفس هابيل مما تصور . كان فراق جورج ومونيكا وزملائه فى جامعة كولومبيا أكثر قسوة مما توقع . وقد أقام سامى وزملاء هابيل فى الفندق حفلا خاصا لتوديعه .

قال سامى ووافقه الجميع فى ذلك : " سوف نسمع الكثير عنك فى المستقبل يا هابيل روزنوفسكى " .

كان فندق ريكموند كونتيننتال يقع فى شارع ميتشيجن آفينيو ؛ كان يشغل قلب أحد أسرع المدن إطرادا فى النمو فى أمريكا . وقد راق ذلك لهابيل ؛ الذى كان يحفظ عن ظهر قلب شعار إلسورث ستاتلر الذى يقضى بأن هناك ثلاثة أشياء هى الأكثر أهمية فى أى فندق وهى الموقع ثم الموقع ثم الموقع . وسرعان ما اكتشف هابيل أن الموقع كان هو الشىء الوحيد المميز لفندق ريكموند . كان ديفيز ليروى قد خفف من وطأة تقييم الوضع عندما ذكر أن الفندق كان يعانى فقط من تدن فى نسبة الإشغال . لم يكن ديسموند باسى ـ مدير الفندق ـ بطيئا وهادئا مثلما قال ديفيز ليروى وإنما كان كسولا كما أنه لم يقدر هابيل كما ينبغى عندما وضع مساعده الجديد فى غرفة ضيقة فى الملحق الخاص بالعاملين فى الشارع وليس داخل الفندق نفسه . وقد اكتشف هابيل من خلال إجراء مراجعة سريعة لدفاتر حسابات الفندق أن معدل الإشغال اليومى لم يتعد فى أى وقت من الأوقات أكثر من النصف ولعل من أبرز الأسباب لذلك نوعية الطعام الردىء الذى كان يقدم . كان طاقم العاملين يتحدث



ثلاث أو أربع لغات لم تبد له الإنجليزية واحدة من بينها ؛ كما أن أياً منهم لم يبد أية بادرة ترحيب بهذا الفتى الأحمق القادم إليهم من نيويورك . لم يصعب على هابيل عندها أن يدرك سبب إسراع مساعد المدير السابق بالرحيل . إن كان هذا الفرع هو المفضل لديفيز ليروى فكيف إذن حال الفنادق العشرة المتبقية ؛ حتى بالرغم من التفاؤل المفرط الذى يتحلى به الرجل الجنوبى .

كان أفضل نبأ عرفه هابيل فى أيامه الأولى فى شيكاغو هو أن ميلانى ليروى كانت الابنة الوحيدة لديفيز ليروى .

# الفصل الرابع عشر

بدأ ويليام وماثيو عامهما الأول فى هارفارد فى خريف عام ١٩٢٤ . وبالرغم من رفض جدتيه ؛ قبل ويليام منحة هاميلتون الدراسية للرياضيات وبقيمة تصل إلى ٢٩٠ دولارا ، كما اشترى لنفسه السيارة " ديزى " التى كانت آخر صيحة فى السيارات " الفورد تى " وأول حب حقيقى فى حياة ويليام ، وقد طلاها باللون الأصفر الفاقع ، مما قلل من ثمنها إلى النصف وضاعف عدد صديقاته الفتيات . وقد فاز كلفين كوليدج بأغلبية ساحقة فى الانتخابات وعاد إلى البيت الأبيض ووصل حجم التعاملات المالية فى بورصة نيويورك إلى رقم قياسى فى الأعوام الخمسة الأخيرة ، حيث بلغ عدد الأسهم المتداولة ٢,٣٣٦,١٦٠ .

كان كلا الشابين الصغيرين ( " لم يعد بالإمكان أن نلقبهما بالأطفال " على حد قول الجدة كابوت ) يتطلعان إلى الجامعة . وبعد صيف ممتع قضياه فى ممارسة التنس والجولف ؛ كان كلاهما على استعداد لبذل جهد جاد فى الدراسة . بدأ ويليام عمله منذ





اليوم الذى دخل فيه غرفتهما الجديدة فى " الجولد كوست " . كانت الغرفة أفضل وأكثر أناقة من غرفتهما فى سانت بول ؛ أما ماثيو فقد ذهب يبحث عن نادى التجديف الجامعى . وسرعان من انتخب قائدا لطاقم طلبة السنة الأولى . وكان ويليام يترك كتبه ظهيرة كل يوم أحد لكى يراقب صاحبه من فوق ضفاف نهر تشارلز . وقد كان معجباً بأداء ماثيو وإن كان يبدى عكس ذلك .

قال ويليام فى تعال : " إن الحياة ليست عبارة عن ثمانية رجال أشداء يجرون لوحاً خشبياً غير محدد المعالم فوق مياه متلاطمة الأمواج بينما يقودهم رجل أصغر حجما يصيح فى وجههم من آن إلى آخر .

قال ماثيو : " أخبر يال بذلك " .

وسرعان ما أثبت ويليام خلال هذه الأثناء لأساتذته فى مادة الرياضيات أنه لا يقل كفاءة عن ماثيو فى عالم التجديف وأنه على بعد خطوة من التفوق . وقد أصبح ويليام أيضا رئيسا لاتحاد طلاب السنة الأولى ونجح فى إشراك عمه الكبير - الرئيس لوييل - فى أول خطة تأمين خاصة بالجامعة ؛ والتى كان يحصل فيها كل خريج من جامعة هارفارد على وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ ١٠٠٠ دولار لكل منهم على أن تكون الجامعة هى المستفيد . وقد قدر ويليام تكلفة كل مشارك بأقل من دولار واحد أسبوعيا وهذا يعنى أنه إن اشترك فى المشروع ٤٠ بالمائة من الخريجين فسوف يضمن لهارفارد دخلا يصل إلى ٣ ملايين دولار سنويا من عام ١٩٥٠ فصاعدا . وقد أعجب الرئيس بالمشروع أيما إعجاب ومنحه كل الدعم . وفى العام التالى دعا ويليام للانضمام إلى لجنة التمويل التابعة لمجلس الجامعة . وقد رحب ويليام بذلك بمنتهى الفخر غير مدرك بأن هذا المنصب يعنى التزامه به مدى الحياة . وقد أخبر الرئيس لوييل

الجدة كين أنه قد حصل مجانا على أفضل عقلية مالية فى الجيل . فأجابت الجدة كين ابن عمها فى استياء قائلة : " لكل شيء هدف وسوف يلقن هذا ويليام درسا بوجوب دراسة كل التفاصيل " .

ما إن بدأ العام الدراسى الثانى، كان قد حان وقت الالتحاق بأحد المنتديات الراقية التى كانت تعج بها الساحة الاجتماعية للنخبة من جامعة هارفارد . وقد دفع ويليام إلى نادى البورسيليان ، الذى كان النادى الأقدم والأكثر ثراء ورقيا ولكن الأقل شهرة بين الأندية . فى مقر النادى فى شارع ماسشوستس والذى كان يقع فوق كافتريا هيز بيكفورد ، كان ويليام يجلس فوق المقعد الوثير ليفكر فى مشاكل العالم من حوله ويناقش انعكاسات محاكمة ليوب ليوبولد ويراقب الشارع من تحته من خلال المرآة الكبيرة الموضوعة بزاوية تعكس الرؤية بوضوح فى شيء من التكاسل والاستماع إلى المذياع الكبير الحديث .

عندما حلت عطلة العيد ، أقنع ماثيو ويليام بأن يشاركه التزلج فى فرمونت وقضاء أسبوع فى تسلق المرتفعات اقتداء بأصحابه أصحاب اللياقة المرتفعة .

"أخبرنى يا ماثيو ، ما هو الهدف من قضاء ساعة فى تسلق المرتفع ثم هبوطه ثانية بعد ثوان من تسلقه مع تكبد كل هذه المجازفة بالحياة والمفاصل ؟ " .

أجاب ماثيو فى صوت أجش : " إنها بالطبع نظرية لا تقل أهمية عن النظريات الرياضية. ويليام ، لم لا تقر بدلا من ذلك بأنك لا تجيد تسلق أو هبوط المرتفعات ؟"

كان كلاهما قد بذل فى العام الدراسى الثانى جهدا يستحق النجاح بالرغم من أن تفسير ونظرة كليهما للنجاح كانت تختلف



اختلافا بينا عن الآخر . على مدى أول شهرين من العطلة الصيفية ، عملا كمساعدين للإدارة فى بنك ليستر فى نيويورك بعدما فقد والد ماثيو الأمل منذ زمن طويل فى إبعاد ويليام . عندما حل قيظ شهر أغسطس ، كانا يقضيان جل وقتها فى التسكع فى شوارع نيو إنجلاند داخل السيارة " ديزى " والإبحار فى نهر تشارلز مع أكبر عدد ممكن من الفتيات وقبول الدعوة لحضور أى حفل من الحفلات المنزلية . وسرعان ما أصبح الاثنان من بين أبرز الشخصيات الجامعية الجديرة بالاحترام والتقدير من حيث المستوى التعليمى والاجتماعى . كان من المعروف تماما فى مجتمع بوسطن أن الفتاة التى سوف تحظى بالزواج من ويليام كين أو ماثيو ليستر لن تساورها أية مخاوف بشأن المستقبل . ولكن بنفس السرعة التى أقبلت بها الأمهات لعرض بناتهن الشابات ، بذلت الجدتان كابوت وكين جهدهما لإبعادهن عن الشابين .

فى ١٨ أبريل عام ١٩٢٧ ، احتفل ويليام بعيد ميلاده الحادى والعشرين بحضور آخر اجتماع للأوصياء على ممتلكاته . كان آلان لويد وتونى سيمونز قد أعدا كل الملفات التى كانت جاهزة لتوقيع ويليام عليها .

قالت ميلى برستون وكأنها قد تخلصت من عبء مسئولية كبيرة كانت تحملها على عاتقها : "حسنا ، عزيزى ويليام ، أنا واثقة أنك سوف تبذل كل جهدك كما فعلنا نحن " .

" أتمنى ذلك يا سيدة برستون ، ولكننى إن وجدت نفسى فى أى وقت بصدد خسارة نصف مليون دولار بين يوم وليلة فسوف أعرف تحديدا من الذى يمكن أن ألجأ إليه " .

احمر وجه ميلى برستون ولكنها تحاشت الرد عليه .

كانت التركة الآن قد وصلت إلى ما يزيد على ٣٢ مليون دولار وكان لويليام خطط محددة لزيادة ومضاعفة هذه الثروة ولكنه أيضا كان قد عاهد نفسه على اكتساب مليون دولار من كده الخالص قبل تخرجه من هارفارد . لم يكن المبلغ كبيرا مقارنة بالوصية ولكن ثروته التى اكتسبها عبر الميراث كانت تعنى القليل بالنسبة له مقارنة بحسابه الخاص فى بنك ليستر .

فى صيف ذلك العام ، بادرت الجدتان ــ خشية تفجر ثورة إرسال الفتيات ثانية ـ بإرسال ويليام وماثيو إلى جولة كبيرة فى أوروبا كانت لها نتائج باهرة بالنسبة لكليهما . نجح ماثيو ـ بعد تخطى كل الحواجز اللغوية ـ فى العثور على فتاة جميلة فى كل عاصمة من العواصم الأوروبية الكبرى . وكان يؤكد لويليام أن الحب سلعة دولية . أما ويليام فقد نجح فى فتح جسور للعلاقات مع مديرى معظم البنوك الأوروبية ، وقد أكد لماثيو أن المال هو الآخر سلعة دولية . من لندن إلى برلين إلى روما ، أخلف الشابان وراءهما صفا من القلوب الجريحة ورجال المصارف أصحاب الانطباع الجيد . عندما عاد الاثنان إلى هارفارد فى سبتمبر ، كان كلاهما مستعدا لالتهام الكتب لاجتياز العام الدراسى الأخير .

وفى شتاء عام ١٩٢٧ المرير ، توفيت الجدة كين عن عمر يناهز الخامسة والثمانين ، وقد بكاها ويليام وذرف الدموع للمرة الأولى منذ وفاة والدته .

قال ماثيو بعد مواساته لمعاناة ويليام على مدى أيام طويلة :
" اهدأ . لقد عاشت حياة حافلة طويلة إلى أن توفاها الله " .

شعر ويليام أنه قد افتقد الكلمات الحكيمة التى كانت تقولها له جدته والتى كان ينظر إليها بقليل من التقدير أثناء حياتها . وقد



حرص على إعداد جنازة مهيبة كانت لتفخر بحضورها لو كانت على قيد الحياة . بالرغم من أنها وصلت المقابر فى إحدى السيارات الباكار السوداء ( " إحدى البدع الصارخة ـ على جثتى : لن أطأها بقدمى " كما كانت تقول فى حياتها ) فإن تحفظها الوحيد على تنسيق ويليام للجنازة كان يمكن أن يتمثل فى رحيلها داخل هذه الوسيلة غير الآمنة من وسائل النقل . وقد دفعت وفاتها ويليام لبذل المزيد من الجهد فى دراسته فى العام الأخير فى هارفارد . وقد عاهد نفسه على الفوز بجائزة الجامعة الكبرى للرياضيات تخليدا لذكراها . توفيت الجدة كابوت بعد ستة شهور من وفاة الجدة كين ، ربما لأنها ـ كما قال ويليام ـ لم تجد من تحادثه بعد رحيلها .

وفى فبراير عام ١٩٢٨ ، جاء قائد فريق المناظرة لزيارة ويليام . كانت هناك مناظرة كاملة بصدد الانعقاد فى الشهر التالى عن الشيوعية والرأسمالية وتأثيرهما على مستقبل أمريكا . وقد طلب من ويليام ـ بطبيعة الحال ـ أن يمثل جانب الرأسمالية .

قال ويليام : " وماذا لو أخبرتك بأننى أريد أن أتحدث باسم الطبقة الكادحة الفقيرة ؟ " فارتسمت على الرجل علامات الدهشة ، وقد خالجه شعور بأنه ربما يكون قد افترض فيه آراء فكرية معينة باعتباره قد ورث اسما مشهورا وبنكا مرموقا .

" حسنا ، يجب أن أقول يا ويليام إننا تصورنا أن أولويتك يجب أن تكون ... " .

" هى كذلك بالفعل . وأنا أقبل دعوتك . وسوف أقوم أنا بالطبع باختيار شريكى فى الحديث " .

" بالطبع " .

"حسنا. إذاً فقد اخترت ماثيو ليستر . هل لى أن أعرف أسماء المعارضين ؟"

" لن تعرفها إلا قبل المناظرة بيوم واحد عندما تعلق الملصقات فى الفناء " .

على مدى الشهر التالى ، حول ويليام وماثيو نقدهما الصباحى للصحف اليومية عن اليمين واليسار ومناقشاتهما الليلية عن معنى الحياة إلى جلسات لرسم استراتيجية لما بدأ يطلق عليه داخل الحرم الجامعى اسم " المناظرة الكبرى " . وقد قرر ويليام أن ماثيو يجب أن يبادر بالحديث .

ومع اقتراب اليوم الموعود ، بدا من الواضح أن معظم الطلبة المعنيين بالشئون السياسية فضلا عن الأساتذة بل وبعض الشخصيات المرموقة فى بوسطن وكمبريدج سوف تأتى لحضور المناظرة . وفى الصباح الذى توجه فيه ويليام وماثيو إلى الفناء لمعرفة اسم المعارضين ، قال ماثيو :

" ليلاند كروسبى وثاديوس كوهين . هل تعرف أياً من الاسمين يا ويليام ؟ لابد أن كروسبى هو أحد أفراد عائلة كروسبى فى فيلاديلفيا . أظن ذلك " .

" بالطبع هو كذلك . إنه ذلك الشيوعى الأحمق الذى يخطب فى ميدان ريتن هاوس " ، كما وصفته ذات مرة إحدى عماته . بالفعل هو أكثر الثوريين إقناعا فى الجامعة . إنه ثرى وهو ينفق كل أمواله على حل المشاكل الشعبية الراديكالية . أستطيع أن أتنبأ من الآن بما سيقوله فى خطبته الافتتاحية " .

" وثاديوس كوهين ؟"

" لم أسمع عنه قط من قبل " .



فى مساء اليوم التالى ، رفض الاثنان الإقرار بهيبة الصعود على المسرح ، وسارا فى طريقهما عبر الثلوج والهواء البارد مرتدين معاطفهما الثقيلة التى كانت تضرب بعنف خلفهما ، ثم اجتازا الأعمدة المضيئة لمكتبه وايدنر - المسماة على اسم المتبرع الذى كان قد فقد ابنه فى غرق السفينة تيتانيك مثل أبيه - إلى أن وصلا إلى قاعة بويلستون .

ولكن بينما كانا يستديران عند أحد أركان المكتبة ، إذا بجحافل من الوجوه الغاضبة المتحفزة تهبط الدرج لكى تملأ القاعة . وفى الداخل اقتيدا إلى المقاعد الخاصة بهما فوق المنصة . بقى ويليام جالسا فى سكون ولكن عينيه كانتا تلتقطان كل الأشخاص الذين كان يعرفهم من بين الحضور : الرئيس ليويل يجلس فى تحفظ فى الصفوف الوسطى ، نيوبورى سانت جونز العجوز أستاذ علم النبات ، وهناك اثنان من رجل النخبة المثقفة فى براتل ستريت كان يعرفما من حفلات البيت الأحمر ، وعلى يمينه كانت تجلس مجموعة من الرجل والنساء من أصحاب الشكل البوهيمى ، كان بعضهم حتى لا يرتدى رابطة عنق وقد استدارت هذه الزمرة وأخذت تصفق لمتحدثيها - كروسبى وكوهين - أثناء صعودهما على خشبة المسرح .

كان كروسبى هو الأكثر إبهارا ، كان طويلا ورفيعا إلى حد الشكل الكاريكاتورى وكان يرتدى ثيابا مجردة من أى ذوق - أو ربما يكون قد بذل أقصى جهده ليبدو بهذا الشكل - كان يرتدى بدلة من الصوف الخشن ولكنه كان قد صفف شعره بمنتهى العناية كما كان هناك غليون متدل من فمه لا تربطه أية علاقة ظاهرة بجسده باستثناء شفته السفلية . أما ثاديوس كوهين فقد كان أقصر قامة وكان يرتدى نظارة غير مؤطرة وبدلة سوداء أنيقة من الصوف .

تصافح المتحدثون الأربعة بمنتهى الحرص أثناء اتخاذ الإعدادات النهائية للمناظرة .

قال منسق المناظرة : " السيد ليلاند كروسبى الصغير " .

أشعرت خطبة كروسبى ويليام بالثقة والاعتزاز بالنفس لأنه كان قد تنبأ بكل ما فيها - نبرة صوته العالية والنقاط التى كان يشدد عليها بعصبية وهيستيرية . وقد ذكر ضمن حديث القائمة السوداء التى تمثل الراديكالية فى أمريكا والتى تشمل هاى ماركت ومانى ترست وستاندرد أويل وحتى كروس أوف جولد . رأى ويليام أن كروسبى لم يقدم سوى استعراض لشخصه بالرغم من أنه اكتسب تأييداً وتصفيقاً مرتقباً من تنويهه لحق ويليام . عندما جلس كروسبى بدا من الواضح أنه لم يكتسب أى مؤيدين جدد بل وربما يمكن أن يكون قد فقد بعض المؤيدين القدامى . كانت المقارنة بويليام وماثيو - اللذين كان كلاهما ثريا وبارزا اجتماعيا ولكن رافضا أن يضحى بأمواله ويموت شهيد تحقيق العدالة الاجتماعية - يمكن أن تكون مدمرة .

تحدث ماثيو جيدا وبشكل محدد وواضح وهدأ من روع كل المستمعين ؛ كان يجسد النزعة الليبرالية . وقد ربت ويليام على يد صديقه بحرارة عندما عاد إلى مقعده وسط التصفيق الحار .

همس قائلا : " كل شيء قد انتهى إلا الصياح ؛ على ما أظن " .

ولكن ثاديوس كوهين كان بمثابة مفاجأة للجميع تقريبا . كانت له طريقه ممتعة خجلة متعاطفة . كانت مرجعيته وكل المقولات التى كان يستشهد بها منطقية وموضحة لكل ما يقول . بدون أن يوحى لجمهور المستمعين بمزايا الاشتراكية التى لا تحصى ؛ نجح فى توثيق قيمة أخلاقية جعلت كل شيء دونها يبدو فاشلا بالنسبة لأى



عاقل . وقد أقر بأخطاء وتجاوزات بعض القادة الاشتراكيين ولكنه ترك انطباعا أكيدا أنه - بالرغم من مخاطرها - فإنه ليس هناك بديلاً عن الاشتراكية للارتقاء بالجنس البشرى .

أثارت خطبة كوهين ارتباك ويليام . إن أى هجوم منطقى محبوك على أرض خصومه السياسيين سوف يكون خاسرا بعد خطبة كوهين المقنعة الرقيقة . كما أن محاولة النيل منه والتقليل من شأنه وهو متحدث يحتفى بالعمل والإيمان بالروح البشرية والإخاء سوف يكون مستحيلا . ركز ويليام فى خطبته بداية على تفنيد بعض التهم التى وجهها كروسبى للرأسمالية ثم صرح عن إيمانه بقدرة النظام الأمريكى على تحقيق أفضل النتائج من خلال المنافسة على المستوى الفكرى والاقتصادى . لقد شعر ويليام أنه اتبع استراتيجية دفاع جيدة وليس أكثر من ذلك ؛ ثم جلس وقد شعر بأنه قد منى بهزيمة لا بأس بها من كوهين .

كان كروسبى هو متحدث خصومه المفوه . وقد بدأ هجمته بلا هوادة وكأنه يريد الآن أن يهزم كوهين بقدر ما يريد أن يهزم ويليام وماثيو ويخاطب الجمهور قائلا إن كان بوسعهم أن يعثروا على " عدو للشعب " من بينهم فى هذه الليلة . أخذ يحدق فى أنحاء الغرفة لثوان بدت طويلة ساد فيها الشعور بالحرج بين الجمهور بينما أخذ أنصاره المتفانون يحدقون فى أحذيتهم . ثم مال إلى الأمام وقال فى صوت هادر " :

" إنه يقف أمامكم . لقد تحدث للتو وسط جمعكم . إن اسمه هو ويليام لويل كين " قالها وهو يشير بإحدى يديه نحو ويليام - ولكن بدون أن ينظر إليه ثم دوى صوته كالرعد : " إن بنكه يملك مناجم يموت فيها العمال من أجل مليون دولار إضافى يذهب إلى أصحاب رأس المال . إن بنكه يساند الديكتاتور الدموى الفاسد فى أمريكا

اللاتينية . إن بنكه ، يقدم رشاوى للكونجرس الأمريكى لسحق الفلاح البسيط .إن بنكه ... " .

تواصل التقريع لعدة دقائق طويلة أخرى . جلس ويليام فى صمت ذاهل ، يدون من آن إلى آخر بعض التعليقات فى صحيفته الصفراء . كان بعض أفراد من الجمهور قد بدأوا يصيحون قائلين " لا " . أما مؤيدو كروسبى فقد كانوا يصيحون مؤيدين له بإخلاص فى المؤخرة . بدأت علامات التوتر والاضطراب ترتسم على وجه المسئولين .

كان الوقت المخصص لكروسبى على وشك الانقضاء . رفع قبضه يده وقال : " أيها السادة ، أعتقد أنه على بعد ما لا يزيد عن مائتى ياردة من هذه القاعة سوف نعثر على الإجابة التى سوف تقود أمريكا إلى الازدهار . هناك تقف مكتبة وايدنر ، أكبر المكتبات الخاصة فى العالم . إليها يتوافد كل الطلبة المهاجرين والفقراء إلى جانب النخبة الأفضل تعليما فى أمريكا ـ للارتقاء بالمعرفة والرخاء فى العالم . ولكن ما هو سبب وجودها ؟ إن سبب وجودها هو أن أحد الأثرياء المدللين قاده حظه العاثر منذ ستة عشر عاما مضت أن يسافر على متن سفينة الأحلام التى كانت تدعى تيتانيك . إننى أؤمن ـ أيتها السيدات والسادة ـ أن الثروات الطائلة المكتنزة داخل هذه القارة العظيمة لن تتحرر ولن تكرس لخدمة الحرية والعدالة والتقدم إلا حينما نمنح كل فرد من أفراد الطبقة المالكة تذكرة للسفر على سفن تيتانيك أخرى " .

بينما كان ماثيو يستمع إلى خطبة كروسبى ، انتقلت مشاعره من الإحساس بالابتهاج أمام مغالطات المتحدث الجسيمة مما جعله يشعر بأن الفوز قد بات مضمونا لصالحه ، إلى الشعور بالحرج بسبب سلوك خصمه ، ثم إلى الشعور بالثورة العارمة للتنويه إلى



حادث السفينة تيتانيك المأساوى . لم تكن لديه أية فكرة عن الكيفية التى يمكن أن يرد بها ويليام على كل هذه الأمور المثيرة للاستفزاز .

عندما هدأت الأمور قليلا ، تقدم منسق المناظرة نحو المنضدة وقال : " السيد ويليام لويل كين ، يتفضل " .

سار ويليام فى تؤدة فوق المنصة ونظر إلى الجمهور . ساد السكون المكان .

" أرى أن الآراء التى عبر عنها السيد كروسبى لا تستحق الرد " .

ثم جلس . سادت فترة من الصمت الذاهل تلاها تصفيق عارم .

عاد منسق المناظرة إلى المنصة وقد بدا غير واثق مما يجب عمله . جاءه صوت من الخلف كسر حاجز التوتر : " إن سمحت لى ، سيدى الرئيس ، هل يمكن أن أستخدم الوقت المخصص للسيد ويليام كين ؟ " . كان المتحدث هو ثاديوس كوهين .

أومأ ويليام بالموافقة إلى المنسق .

سار كوهين ونظر إلى الجمهور نظرة تلطيف . ثم بدأ حديثة قائلاً : " من بين الحقائق التى عرفت منذ زمن أن أكبر حاجز يقف فى طريق نجاح الاشتراكية الديمقراطية فى الولايات المتحدة هو تطرف بعض حلفائها . ليس هناك شىء يمكن أن يبرهن على هذه الحقيقة المؤسفة بوضوح أكثر من خطاب زميلى هذا الليلة . إن النزوع إلى الإضرار بالقضية الآخذة فى التفاقم من خلال الدعوة إلى التصفية الجسدية لكل معارض قد تكون مفهومة فى معركة طاحنة بين المهاجرين أو فى صراعات خارجية أعتى وأكثر وحشية مما نواجهه نحن . أما فى أمريكا فإنه من المثير للشفقة ومن غير المقبول

أن تلجأ لمثل هذه الطرق . بالأصالة عن نفسى ، أقدم الاعتذار للسيد كين " .

فى هذه المرة كان التصفيق حادا . بل إن الجمهور بأسره نهض وافقا وواصل التصفيق بلا انقطاع .

سار ويليام وصافح ثاديوس كوهين . لم يندهش أى من الجانبين عندما فاز ويليام وماثيو بفارق أصوات وصل إلى ١٥٠ صوتا . كانت الأمسية قد انتهت وسار الجمهور خارجا فى الطرقات الساكنة المغطاة بالثلوج ، كان الجميع يسيرون وسط الشوارع والطرقات ويتحدثون بأعلى أصواتهم .

أصر ويليام على دعوة ثاديوس كوهين لتناول الشراب معه هو وماثيو . سار الثلاثة سويا عبر شارع مساشوستس وهم يرون بالكاد الطريق بسبب الثلوج المتساقطة ، ثم توقفوا جميعا عند أحد الأبواب السوداء الضخمة التى تقع مباشرة قبالة قاعة بويلستون . فتح ويليام الباب بمفتاحه ودخل ثلاثتهم البهو .

قبل أن يغلق الباب خلفهم ، تحدث ثاديوس كوهين قائلا : " أخشى أنه لن يرحب أحد بوجودى هنا " .

بدا ويليام حائرا للحظة : " لا تقل هذا ، فأنت فى صحبتى " .

نظر ماثيو إلى صديقه نظرة تحذيرية ولكنه لاحظ أن ويليام مصمم .

صعد الثلاثة الدرج إلى غرفة كبيرة ، كانت الغرفة مريحة ولكنها لم تكن فخمة الأثاث حيث كان يجلس ما يقرب من اثنى عشر شابا على المقاعد الوثيرة أو يقفون فى جماعات من شخصين أو ثلاثة أشخاص . ما إن ظهر ويليام عند الباب حتى بدأت التهانى تنهال عليه :



" أنت رائع يا ويليام . هذه هى تحديدا الطريقة التى يجب أن يعامل بها مثل هؤلاء الأشخاص " .

" هيا ادخل ظافرا يا هازم بولسكى " .

بقى ثاديوس كوهين واقفا ، لم يكن ظاهرا تماما بفعل الباب ولكن ويليام لم يكن قد نسيه .

" أيها السادة ،أود أن أقدم لك خصمى اللدود ، السيد ثاديوس كوهين " .

تقدم كوهين إلى الأمام فى تردد .

صمتت كل الأصوات . ارتسمت علامات الذهول على بعض الوجوه وهى تنظر إليه وكأنهم ينظرون إلى شجرة دردار فى الحديقة اكتست أغصانها بالثلوج المتساقطة .

وأخيرا جاء صوت طرق الباب الخشبى عندما غادر أحد الحضور المكان عبر باب آخر . ثم رحل آخر . وبدون عجلة وبدون اتفاق واضح ، غارت المجموعة كاملة المكان . كان آخر المغادرين قد نظر مليا إلى ويليام ثم استدار وغادر . نظر ماثيو إلى رفيقيه فى ارتباك . كان وجه ثاديوس كوهين قد اكتسى بحمرة الخجل وقد وقف ناكس الرأس .زم ويليام شفتيه فى غضب بارد مثل الذى انتابه عندما أشار كروسبى إلى السفينة تيتانيك .

ربت ماثيو على ذراع صديقه وقال له : "يجدر بنا أن نرحل " .

توجه الثلاثة إلى غرفة ويليام وتناولوا فى صمت بارد الشراب .

عندما استيقظ ويليام فى الصباح ، وجد مظروفا على بابه . وجد بداخله ملحوظة مختصرة من رئيس نادى البورسيليان تعلمه بأنه يأمل " ألا يتكرر حادث الليلة السابقة الذى يفضل عدم الإشارة إليه " .

بحلول وقت الغداء، كان مدير النادى قد تلقى خطاب استقالة .

بعد مرور شهور من أيام الاستذكار المضنية ، شعر ويليام وماثيو أنهما شبه مستعدين ـ لا أحد يشعر أبدا أنه على أتم استعداد ـ لاجتياز الاختبارات النهائية . على مدى ستة أيام كانوا يجيبون عن أسئلة ويملأون صفحات وصفحات من الأوراق البيضاء ثم بقوا منتظرين ولكن ليس بلا جدوى؛ فقد تخرج الاثنان كما كان متوقعا من هارفارد عام ١٩٢٨ .

بعد أسبوع من إعلان النتيجة فاز ويليام بجائزة الرئيس للرياضيات . تمنى لو أن والده كان حيا ليشهد احتفال تخرجه . أما ماثيو فقد حصل على تقدير جيد مما أشعره بالارتياح ولم يكن بمثابة تقدير مثير للدهشة بالنسبة لأى أحد . لم يكن أي منهما شغوفا باستكمال الدراسة ؛ كان كلاهما يريد أن ينخرط فى الحياة العملية بأسرع ما يمكن .

كان حساب ويليام فى بنك نيويورك قد زاد قليلا عن المليون دولار قبل تخرجه من هارفارد بسبعة أيام . عندها تحدث تفصيليا مع ماثيو بشأن خطته طويلة المدى لتولى رئاسة بنك ليستر بعد دمجه مع بنك كين وكابوت ، أبدى ماثيو حماسه للفكرة وأقر قائلا : " تكاد تكون هذه هى الطريقة الوحيدة التى سوف تمكننى من تطوير ما سوف يخلفه لى والدى بلا شك عند موته " .

فى يوم التخرج ، جاء آلان ليويد الذى كان قد بلغ عندها الستين إلى هارفارد . وبعد انتهاء حفل التخرج ، صحب ويليام ضيفه لتناول الشاى فى الميدان . نظر آلان إلى الشاب الطويل فى حب .



" وما الذى قررت أن تفعله الآن بعد أن تخرجت من هارفارد ؟ " .

" سوف أعمل فى بنك تشارلز ليستر فى نيويورك . أنا بحاجة لاكتساب بعض الخبرة قبل أن أنتقل إلى بنك كين وكابوت بعد بضع سنوات " .

" ولكنك كنت تعيش فى بنك ليستر منذ الثانية عشرة من عمرك يا ويليام . لم لا تأتى إلينا مباشرة الآن ؟ سوف نعينك مديرا على الفور " .

انتظر آلان ليويد ليحصل على رد . ولكن بدا من الواضح أنه غير متوقع .

" حسنا، يجب أن أقول يا ويليام إنه ليس من عادتك أن تبقى عاجزا عن الرد " .

" ولكننى لم أتصور أبدا أنك يمكن أن تدعونى للانضمام إلى مجلس الإدارة وأنا فى الحادية والعشرين بينما أبى ... " .

" أجل لقد حدث هذا بالفعل ؛ إن أباك لم ينتخب إلا وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ومع ذلك فإن هذا ليس سببا يحول دون انضمامك للمجلس قبل هذه السن إن وافق باقى المدراء على الفكرة وأنا واثق من موافقتهم . على أية حال، هناك أسباب شخصية تدفعنى لأن أضعك فى منصب المدير بأسرع ما يمكن . عندما أتقاعد من عملى فى البنك بعد خمس سنوات ؛ يجب أن نكون قد تأكدنا من أننا قد اخترنا الرئيس المناسب . سوف تكون فى وضع أقوى للتأثير على هذا القرار إن عملت فى بنك كين وكابوت طوال هذه السنوات الخمس بدلاً من أن تكون قد شغلت منصبا مرموقا فى بنك ليستر . حسنا يا بنى ؛ هل ستنضم إلى المجلس ؟ " .

كانت هذه هى المرة الثانية فى نفس اليوم التى تمنى فيها ويليام لو كان والده مازال حيا .

قال ويليام : " يسرنى أن أوافق يا سيدى " .

نظر آلان إلى ويليام : " هذه هى أول مرة تنادينى فيها بـ " سيدى " منذ أن لعبنا الجولف سويا . سوف أراقبك وأعتنى بك جيدا " .

ابتسم ويليام .

قال آلان ليويد : " حسنا . اتفقنا إذاً . سوف تكون مديرا مستجدا مسئولا عن الاستثمار وسوف تعمل مباشرة تحت إدارة تونى سيمونس " .

سأل ويليام : " هل يمكن أن أعين مساعدى الخاص ؟ " .

نظر إليه آلان ليويد فى تشكك : " ماثيو لستر ؛ بلا شك " .

" نعم " .

" كلا لن أسمح له أن يفعل فى بنكنا ما كنت أنت عازم على فعله فى بنكهم . كان يجدر بتوماس كوهين أن يلقنك هذا " .

لم يتفوه ويليام بكلمة واحدة ولكنه لم يستهن بأمر آلان بعد ذلك اليوم .

ضحك تشارلز ليستر عندما أعاد عليه ويليام الحديث كلمة بكلمة .

قال الرجل فى صدق : " أنا آسف لأنك لن تأتى إلينا حتى فى صورة جاسوس . ولكننى لا أشك فى أنه سوف ينتهى بك المآل هنا فى يوم من الأيام ، بشكل أو بآخر " .

# الجزء الثالث

١٩٢٨ ـ ١٩٣٢

# الفصل الخامس عشر

عندما بدأ ويليام عمله كمدير لبنك كين وكابوت فى سبتمبر عام ١٩٢٨ ؛ شعر لأول مرة فى حياته أنه يعمل عملا ذا قيمة . بدأ عمله فى مكتب صغير بالقرب من تونى سيمونس مدير الاستثمار فى البنك . ومن الأسبوع الأول الذى وصل فيه ويليام ؛ أدرك ـ حتى بالرغم من أنه لم يقل له أحد شيئا ؛ أن تونى سيمونس كان يأمل فى أن يكون خليفة لآلان ليويد فى رئاسة البنك .

كان البرنامج الاستثمارى للبنك يقع بالكامل تحت مسئولية سيمونس . وسرعان ما كشف لويليام عن بعض جوانب عمله وخاصة فى مجال الاستثمار الخاص فى الأعمال الصغيرة والعقارات وغيرها من الأنشطة التجارية الخارجية التى كان البنك يمولها . كان من بين الأعمال المكتبية التى كان يقوم بها ويليام تحرير تقرير شهرى عن الاستثمارات التى يوصى بها ليقدمه فى اجتماعات أعضاء مجلس الإدارة . حيث كان أعضاء مجلس الإدارة السبعة عشر يلتقون مرة واحدة شهريا فى غرفة كبيرة واسعة من خشب البلوط ؛

مزينة من أحد الجانبين بصورة لوالده ومن الجانب الآخر بصورة لجده . لم يكن ويليام قد التقى بجده أو عرفه ولكنه كان يدرك جيدا أنه كان بكل تأكيد رجلا فريدا لأنه تزوج من جدته كين . كانت هناك مساحة كبيرة فارغة على الجدار لتعليق صورة ويليام .

كان ويليام يتسم فى أيامه الأولى داخل البنك بالحذر وسرعان ما اكتسب حكمه على الأمور تقدير واحترام كل أعضاء مجلس الإدارة مما دفعهم إلى تنفيذ كل توصياته إلا فيما ندر . وقد تبين فيما بعد أن النصائح التى كان يرفضها أعضاء مجلس الإدارة كانت من بين أفضل ما جاء به ويليام . كانت المرة الأولى هى التى جاء فيها رجل يدعى السيد ماير طلبا لقرض استثمارى من البنك لتمويل " الصور الناطقة " وقد رفض مجلس الإدارة طلبه لأنهم حكموا على الفكرة بالفشل وبأنه ليس لها أى مستقبل مرتقب . وفى المرة الثانية ، جاء رجل يدعى السيد بالى إلى ويليام حاملا خطة طموحا لإنشاء شبكة يونيتيد الإذاعية . لم يؤيد السيد آلان ليويد الذى لم يكن يحمل أى تقدير لمثل هذه الاتصالات المشروع ، وقد أيد مجلس الإدارة وجهة نظر السيد ليويد ؛ وقد نجح السيد لويس بى ماير فيما بعد فى إنشاء شركة " إم جى إم " . بينما نجح ويليام بالى فى إنشاء شركة " سى بى إس " . كان ويليام يؤمن بحكمه على الأمور مما دفعه إلى مساندة الرجلين من ماله الخاص ولم يخبرهما أبدا ـ تماما مثلما كان يفعل والده ـ أنه هو الذى أيدهما بماله .

كان من بين المهام اليومية غير المحببة التى كان يجب أن يقوم بها ويليام تولى أمر تصفية وإشهار إفلاس بعض العملاء الذين اقترضوا مبالغ طائلة من البنك ثم وجدوا أنفسهم عاجزين عن السداد . لم يكن ويليام بطبيعته رجلا لينا ـ وهو ما تعلمه بفضل هنرى أوسبورن ـ ولكنه أصر على أن تصفية أسهم العملاء القدامى



المحترمين وبيع منازلهم كان يؤرقه أثناء نومه ليلا . وسرعان ما تعلم ويليام أن هؤلاء العملاء ينقسمون إلى فئتين محددتين : أولا الفئة التى كانت تنظر إلى الإفلاس بوصفه أحد أمور العمل اليومية التقليدية ، وفئة ثانية تصيبهم كلمة إفلاس فى حد ذاتها بالعار وربما تفرض عليهم أن يبذلوا فائق جهدهم لباقى العمر فى محاولة لتسديد كل مليم اقترضوه من البنك . وقد شعر ويليام أنه من الطبيعى أن يتشدد مع الفئة الأولى فى الوقت الذى ينبغى أن يبدى فيه قدرا من التعاطف مع الفئة الثانية وهو ما كان يجد تونى سيمونس صعوبة فى تقبله ولكنه كان يوافق على مضض .

وقد كانت إحدى هذه الحالات هى التى فرضت على ويليام أن يخترق إحدى القواعد الذهبية ويتورط شخصيا مع أحد العملاء . كان اسم العميل هو كاثرين بروكز وكان زوجها ماكس بروكز قد اقترض أكثر من مليون دولار من بنك كين وكابوت للاستثمار فى أراضى فلوريدا التى كانت قد شهدت ازدهارا عام ١٩٢٥ ؛ وهو أحد الاستثمارات التى ما كان ويليام ليؤيدها لو كان يملك وقتها سلطة اتخاذ القرار . كان بروكز مع ذلك ينظر إليه على أنه أحد أبطال ماساتشوستس باعتباره أحد رواد المناطيد والطائرات الجديدة وأحد الأصدقاء المقربين من تشالز ليندبرغ . وقد أثار حادث وفاته المأساوى ردود أفعال واسعة النطاق عندما تحطمت الطائرة الصغيرة التى كان يقودها على بعد عشرة أقدام من الأرض إثر اصطدامها بشجرة بعد مسافة مائة ياردة من الإقلاع . وقد نشر الحادث وقتها فى كل الصحف والجرائد المحلية باعتباره خسارة قومية فادحة .

قام ويليام على الفور ـ بصفته وكيلا عن البنك ـ بوضع يده على كل ممتلكات بروكز المجمدة وعرضها للبيع لصالح البنك لكى يقلل من حجم خسارته . باع كل أراضى فلوريدا باستثناء مزرعة كان يقع

فيها منزل العائلة . ولكن خسارة البنك كانت مازلت تزيد على ٣٠٠ ألف دولار . وقد انتقد بعض المديرين فى البنك قرار ويليام السريع ببيع الأراضى وهو القرار الذى لم يقره سيمونس . وقد أدرج ويليام رفض تونى سيمونس فى أحد محاضر البنك مما جعله بعد مرور شهور فى وضع يسمح له بالقول بأنه لو كان قد أبقى على الأرض لكانت خسارة البنك قد تعدت مليون دولار من قيمة الاستثمار الأصلى . وقد أثار هذا الموقف الذى برهن على نفاذ بصيرة ويليام ونظرته المستقبلية ضيق تونى سيمونس ولكنه فى نفس الوقت أشعر باقى أعضاء مجلس الإدارة بتمتع ويليام بقدرة تنبؤ وتوقع تفوق المستوى العادى.

عندما صفى ويليام كل ممتلكات البنك التى كانت تحمل اسم بروكز ؛ التفت إلى السيدة بروكز التى كانت مازلت الضامن الشخصى لديون زوجها . وبالرغم من أن ويليام كان يحاول دائما أن يؤمن مثل هذا الضمان على أية قروض يمنحها البنك ، فإن مثل هذا الالتزام لم يكن من الإجراءات التى كان ينصح بها أصدقاءه مهما بلغت ثقتهم فى المشروع لأن الفشل سوف يكبد بالقطع الضامن خسارة فادحة .

وقد كتب ويليام خطابا للسيدة بروكز يقترح عليها فيه أن تحدد موعدا لمناقشة وضعها . كان قد اطلع على ملف بروكز بمنتهى الدقة وكان قد عرف أنها مازلت فى الثانية والعشرين من عمرها وأنها كانت ابنة لأندرو هيجنسون وأحد أفراد عائلة بوسطن اللغوية العريقة وابنة أخ هنرى لى هيجنسون مؤسس سيمفونية بوسطن . كما لاحظ أيضا أنها كانت تملك أصولاً قوية . لم يكن قد استساغ فكرة مطالبتها بتقديمها للبنك ، ولكنه هو وتونى سيمونس كانا ـ للمرة



الأولى ـ على وفاق بشأن الإجراءات التى يجب اتخاذها فى هذا الشأن ، لذا استجمع عزمه تأهبا للقاء المثير للضيق .

ما لم يحسب ويليام حسابه هو كاترين بروكز نفسها . كان بوسعه دائما فى وقت لاحق فى حياته أن يتذكر أحداث اللقاء الذى جمع بينهما فى صباح ذلك اليوم بمنتهى التفصيل . كان قد دار فى هذا الصباح حديث محتدم بينه وبين تونى سيمونس حول أحد الاستثمارات الكبرى فى مجال النحاس والقصدير والذى كان ويليام يتمنى أن يوافق عليه مجلس الإدارة . كان احتياج المجال الصناعى للمعدنين فى تزايد مطرد وكان ويليام واثقا أن هذه الزيادة المطردة سوف يتبعها حتما عجز عالى فى هذين المعدنين. ولكن تونى سيمونس لم يكن يوافقه الرأى مشيرا بوجوب استثمار المزيد من المبالغ النقدية فى سوق الأسهم ، وكان هذا الأمر مازال يستحوذ على عقل ويليام ويشغل باله عندما أدخلت السكرتيرة السيدة بروكز عليه فى مكتبه . بابتسامة خجلة ؛ استطاعت أن تزيح النحاس وكل أنواع العجز فى العالم من عقله . قبل أن تجلس على مقعدها ؛ كان هو قد وصل إلى الطرف المقابل من المكتب لكى يجلسها على المقعد ، فقط لكى يؤكد لنفسه أنها ليست سرابا سوف يختفى عن ناظره إن اقترب منه . لم يقابل ويليام فى حياته أبدا امرأة فى نصف جمال وروعة كاترين بروكز . كان شعرها الأشقر المسترسل يتدلى فى خصلات منسابة ومتموجة على كتفيها ، وكانت بعض الشعيرات قد نجحت فى التفلت من قبعتها للتدلى فوق صدغيها . لم تكن فترة الحداد التى كانت تعيشها قد نالت بالقطع من جمال وجهها النحيف كما أن بناءها العظمى المثالى كان يؤكد أنها سوف تبقى محتفظة بجمالها فى أية سن . كانت تملك عينين بنيتين

شديدتى الاتساع كما أنهما كانتا تكشفان بما لا يدع مجالا للشك عن ارتعادها مما كان على وشك قوله .

بذل ويليام جهده لكى يتمالك نبرته العملية فى الحديث وخاطبها قائلا : " سيدة بروكز ؛ أود أولا أن أعرب عن بالغ أسفى لوفاة زوجك ومطالبتك بالحضور اليوم هنا إلى مكتبى " .

كذبتان فى عبارة واحدة كان يمكن أن يكون صادقاً فيهما قبل خمس دقائق . انتظر لكى يسمعها وهى تتحدث .

" أشكرك يا سيد كين " . كان صوتها رقيقا ذا نبرة هادئة دافئة . " أنا أدرك تماما التزاماتى نحو البنك وأنا أؤكد لك أننى سوف أبذل كل جهدى للوفاء بها " .

لم ينطق ويليام بكلمة ؛ على أمل أن تواصل حديثها .

ولكنها لم تفعل ؛ فأشار هو إلى حق تصرفه فى ممتلكات السيد بروكز . استمعت إليه وهى منكسة الرأس .

" والآن يا سيدة بروكز ؛ لقد كنت ضامنة لقرض زوجك وهو ما يقودنا إلى مساءلتك عن ممتلكاتك الشخصية " ثم تفحص الملف واستطرد قائلا : " أنت تملكين ثمانين ألف دولار فى الاستثمارات من مال عائلتك الخاص على ما أظن ، وسبعة عشر ألفاً واربعمائة وستة وخمسين دولارا فى حسابك الخاص " .

رفعت رأسها إليه وقالت : " إن معلوماتك عن وضعى المالى صحيحة بالفعل يا سيد كين ولكننى مع ذلك أود أن أضيف حديقة بوكهرست ومنزل فلوريدا الذى كان مكتوبا باسم ماكس وبعض المجوهرات القيمة التى أمتلكها . أعتقد أن كل هذه الأشياء مجتمعة سوف تسدد الثلاثمائة ألف دولار المتبقية ، وقد قمت بكل



الإجراءات التى سوف تضمن لك الحصول على القيمة كاملة فى أسرع وقت ممكن " .

لم يرتجف صوتها وهى تتحدث ، اللهم إلا قليلا . نظر ويليام إليها فى إعجاب .

" سيدة بروكز ؛ إن البنك ليست لديه نية تجريدك من كل ممتلكاتك . فنحن نريد بعد موافقتك أن نتولى مهمة بيع أسهمك وسنداتك . أما كل الأشياء الأخرى التى أشرت إليها بما فى ذلك مسكنك ؛ فنحن نعتقد أنه يجب أن يبقى فى حوزتك " .

ترددت قليلا ثم أجابت : " إننى أقدر لك كرمك يا سيد كين ومع ذلك فإننى أريد أن أسدد كل التزاماتى حيال البنك كما أننى أريد أن يبقى اسم زوجى نظيفا بدون شائبة " . اختلج صوتها قليلا عندها ولكنها تمالكت نفسها سريعا وقالت : " على أية حال ؛ لقد قررت أن أبيع منزل فلوريدا وأعود إلى بيت عائلتى فى أسرع وقت ممكن " .

قال ويليام وقد بدأت دقات قلبه تتسارع عند سماعه بعودتها إلى بوسطن : " فى هذه الحالة ربما يكون بوسعنا أن نصل إلى اتفاق ما بشأن إجراءات البيع " .

قالت ببساطة : " يمكننا أن نفعل ذلك الآن . لابد أنك تعرف القيمة كاملة " .

كان ويليام يخطط للقاء آخر ؛ فأجابها قائلا " يجب ألا نتسرع فى مثل هذه القرارات . أعتقد أنه من الحكمة أن أستشير زملائى فى هذا الصدد أولا ثم أعاود مناقشته معك فيما بعد " .

هزت كتفيها قليلا وقالت : " كما تحب . أنا لا أعبأ بالمال على أية حال كما أننى لا أريد أن أزج بك فى المزيد من المتاعب " .

أومأ يليام وقال : " سيدة بروكز ، اسمحى لى أن أشيد بسعة صدرك . على الأقل اسمحى لى بشرف دعوتك إلى الغداء " .

ابتسمت للمرة الأولى ، وكشفت عن غمازة واضحة فى خدها الأيمن . أخذ ويليام ينظر إليها فى إعجاب وبذل جهده طوال وقت الغداء فى ريتز لكى يراها ثانية . فى الوقت الذى عاد فيه إلى مكتبه ، كانت الساعة قد تخطت الثالثة بكثير .

قال تونى سيمونس : " لقد كان غداء طويلا يا ويليام " .

" نعم فإن مشكلة بروكز كانت أكثر حجما مما تصورت " .

قال سيمونس : " ولكنها بدت لى شديدة البساطة عندما اطلعت على الورق . إنها لم تبد تذمرها من عرضنا ، أم أنها أبدت اعتراضا ؟ أعتقد أننا كنا بالغى الكرم نظرا للظروف " .

" أجل وهى تشعر بذلك أيضا . ولكننى كان يجب أن أقنعها بأن تعدل عن فكرة التخلى عن آخر دولار تملكه " .

أخذ تونى سيمونس يحدق فيه ثم قال : " ولكن هذا ليس ويليام كين الذى نعرفه جميعا ونحبه . ومع ذلك فإن البنك لم يكن رحب الصدر بهذا الشكل من قبل " .

قطب ويليام عن وجهه . منذ يوم وصوله إلى البنك ، كان هو وسيمونس فى خلاف دائم بشأن توجهات سوق المال . لقد كان السوق يتحرك إلى أعلى بإطراد منذ وصول هربرت هوفر إلى البيت الأبيض فى نوفمبر عام ١٩٢٨ . بل إنه بعد عشرة أيام لاحقة ، كانت البورصة قد حققت رقما قياسيا وصل إلى أكثر من ٦ ملايين سهم متداول فى يوم واحد . ولكن ويليام كان واثقا من أن هذا الاتجاه التصاعدى ، الناجم عن تدفق الأموال بسبب صناعة السيارات سوف يؤدى إلى تضخم فى الأسعار يقود إلى عدم الاستقرار . أما تونى سيمونس ـ فى المقابل ـ فقد كان واثقا من أن



هذا الازدهار سوف يبقى متواصلا . لذا عندما نصح ويليام بوجوب توخى الحرص أثناء اجتماعات مجلس الإدارة لم يستجب أحد إلى طلبه . ومع ذلك فقد كان ويليام حر التصرف فى أمواله وتركته أو فى ثروته الخاصة ، لذا فقد سار خلف حدسه وبدأ يستثمر أمواله فى الأراضى والذهب والسلع وحتى فى بعض اللوحات الفنية المنتقاة تاركا ٥٠ بالمائة فقط من أصوله فى شكل أسهم .

عندما صرح بنك نيويورك الفيدرالى الاحتياطى أنه لن يخصم القروض للبنوك التى تسمح بصرف أموال للعملاء بناء على التنبؤ فقط ، شعر ويليام أنه قد أودع إحدى دعائمه فى لحد التنبؤ . وعمد على الفور إلى مراجعة برنامج الإقراض الخاص بالبنك وقدر حجم تعاملات بنك كين وكابوت فى هذه القروض بما يزيد على ٢٦ مليون دولار . وقد توسل إلى تونى سيمونس أن يستعيد هذه الأموال لأنه كان واثقا من أن هذا القرار الحكومى سوف يؤدى إلى هبوط سعر الأسهم على المدى الطويل . كان الاثنان على وشك التشابك بالأيدى أثناء اجتماع مجلس الإدارة الذى لم يحصل فيه ويليام إلا على صوتين مقابل اثنى عشر صوتا .

وفى ٢١ مارس عام ١٩٢٩ ، أعلن بنك بلير اندماجه مع بنك أمريكا ، كان هذا هو ثالث اندماج بين البنوك ، وهو الأمر الذى بدا بمثابة مؤشر إلى غد أفضل وأكثر إشراقا . وفى ٢٥ مارس ، أرسل تونى سيمونس إلى ويليام إخطارا يخبره فيه بأن سوق المال قد سجل ارتفاعا لم يسبق له مثيل وبأن البنك سوف يشترى المزيد من الأسهم . كان ويليام قد أعاد تقسيم رأس ماله ثانية وأبقى ٢٥ بالمائة من ثروته فقط فى سوق الأسهم مما ضيع عليه أرباحا تصل إلى مليونى دولار كما وجه إليه الآن ليويد توبيخا شديدا .

" أتمنى أن تكون مدركا لم تفعله يا ويليام " .

" آلان إننى أضارب فى سوق المال منذ كنت فى الرابعة عشرة من عمرى ، وأنا أعى جيدا ما أقوم به " .

ولكن مع تواصل ارتفاع سوق المال على مدى صيف ١٩٢٩ ؛ توقف ويليام عن البيع وهو يسأل نفسه ما إن كان سيمونس مصيبا بالفعل فى رأيه .

مع اقتراب تاريخ تقاعد آلان ليويد ؛ بدا عزم سيمونس على أن يخلفه كرئيس للبنك وكأنه أمر واقع . كان هذا الأمر يؤرق ويليام الذى كان يرى أن تفكير سيمونس شديد التقليدية . كان سيمونس يسير دائما متأخرا خطوة عن السوق وقد كان هذا أمراً لا بأس به فى سنوات الازدهار . ولكنه فى نفسه الوقت كان خطرا يتهدد البنك فى الأيام الأكثر صعوبة التى تحتدم فيها بشدة المنافسة . إن المستثمر الحصيف ـ من وجهة نظر ويليام ـ لا يجب أن يسير دائما وفقا لرأى الجماهير كما لا يجب أن يكون متهورا ، وإنما يجب أن يعلم مسبقا فى أى اتجاه سوف تسير الجماهير فى الخطوة التالية . كان ويليام مازال يشعر أن الاستثمار فى سوق المال يبدو غير آمن بينما كان تونى سيمونس يرى أن أمريكا تدخل عصرها الذهبى .

كانت هناك مشكلة أخرى تؤرق ويليام وهى أن تونى سيمونس كان لا يزال فى التاسعة والثلاثين من عمره ، أى أن ويليام لن يأمل بذلك أن يكون رئيسا لبنك كين وكابوت قبل ستة وعشرين عاما أخرى . وهو ما يتعارض كلية مع ما كان يطلق عليه فى هارفارد " خطتى المستقبلية " .



بقيت صورة كاثرين بروكز ملازمة لعقل ويليام . كان يراسلها بأكبر قدر مسموح به لكى يخبرها بكل ما يخص بيع الأسهم والسندات من خلال خطابات رسمية معدة على الآلة الكاتبة لا تسمح إلا بالرد عليها بخطابات رسمية كانت تكتبها بخط اليد . لابد أنها قد اعتقدت أنه أكثر الرجال المصرفيين نزاهة فى العالم . ثم حدث فى بداية الخريف أن أرسلت إليه تخبره بأنها قد عثرت على مشتر جاد لبيت فلوريدا ؛ فأرسل إليها ويليام يستأذنها فى أن تسمح له بالتفاوض بشأن شروط الصفقة نيابة عن البنك . فوافقت على طلبه .

سافر ويليام إلى فلوريدا فى وقت مبكر من شهر سبتمبر عام ١٩٢٩ . واستقبلته السيدة بروكز فى محطة القطار وقد شعر بسعادة غامرة لأنها بدت له أجمل مما كانت تتراءى له فى مخيلته . كان الهواء الرقيق قد ألصق ثوبها الأسود بها مما جسد معالمها وهى واقفة فى انتظاره فوق الرصيف مما أظهرها فى صورة كانت تدعو أى رجل وليس ويليام وحدة إلى إعادة النظر إليها ثانية . بقى ويليام مثبتا نظره عليها .

كانت مازالت ترتدى ملابس الحداد وكانت تتصرف معه بشكل متحفظ ومهذب مما أشعر ويليام فى بداية الأمر بعدم إمكانية التأثير عليها بأى شكل من الأشكال . بدأ ويليام فور وصوله التفاوض مع المزارع الذى كان يود شراء حديقة بوكهرست ، وحاول أن يطيل مدة التفاوض لأكثر وقت ممكن وأقنع كاثرين بروكز بقبول ثلث القيمة مقابل احتفاظ البنك بالثلثين . وأخيرا وبعد توقيع العديد من الأوراق القانونية ، لم يبق بوسعه أن يختلق المزيد من الأعذار تبرر عدم عودته إلى بوسطن . دعاها للعشاء فى الفندق الذى كان يقيم فيه وهو عازم على التصريح لها بمشاعره . لم تكن هذه هى المرة الأولى

التى فاجأته فيها كاثرين . فقبل أن ينوه عن الموضوع ، سألته وهى تعبث بطبقها حتى تتجنب النظر إليه إن كان بوسعه أن يبقى لبضعة أيام أخرى فى حديقة بوكهرست .

" لنقل إنها فترة إجازة لكلينا " . قالتها فى خجل بينما بقى ويليام ملتزم الصمت .

وأخيرا وجدت كاثرين فى نفسها الشجاعة لمواصلة الحديث : " أعلم أن هذا جنون ولكنك يجب أن تدرك أننى قد عانيت من الوحدة كثيرا فى الآونة الأخيرة . ولكن الشيء المذهل هو أننى قد استمتعت بتلك الأيام الأخيرة القليلة التى قضيتها معك أكثر من أى وقت مضى " . احمر وجهها خجلا ثانية : " لقد عبرت عن شعورى بشكل سيىء وسوف تظن بى الآن الظنون " .

شعر ويليام بتسارع نبضه ثم أجاب قائلا : " كات ، لقد كنت أود أن أقول مثل هذا الكلام منذ تسعة أشهر ".

" إذن سوف تبقى لبضعة أيام يا ويليام ؟ " .

" نعم يا كات سوف أبقى " .

فى تلك الليلة أعدت كات لويليام غرفة الضيوف فى بوكهرست . فى وقت لاحق فى حياته ؛ كان كثيرا ما يتذكر هذه الأيام القليلة باعتبارها فترة ذهبية فى حياته . كان يمتطى الجياد مع كات وكات تسبقه دائما . كان يسبح معها وكانت تتقدم عليه . كان يسير معها وكان يفقد همته دائما قبلها وأخيرا فى إحدى الليالى شاركها لعب البوكر وفاز بثلاثة ونصف مليون دولار فى ثلاث ساعات ونصف الساعة .

سألته فى إباء : "هل تقبل التعامل بالشيكات ؟ " .



" لقد نسيت يا سيدة بروكز أننى أعلم حقيقة وضعك المالى . ولكن لدىَّ اقتراح جيد . لم لا نواصل اللعب لحين استعاضتك لهذه الخسارة " .

قالت كات : " هذا يعنى أننا سوف نواصل اللعب على مدى سنوات " .

قال ويليام : " سوف أبقى منتظرا " .

وجد ويليام نفسه يقص على كات بعض الأحداث التى وقعت له فى الماضى والتى طالما دفنها بداخله ولم يفصح عنها حتى لماثيو نفسه ؛ احترامه لأبيه وحبه لأمه وكراهيته السوداء لهنرى أوسبورن وطموحاته لبنك كين وكابوت . وهى بدورها حكت له عن طفولتها فى بوسطن وأيام دراستها فى فيرجينيا وزواجها المبكر من ماكس بروكس " .

بعد مرور سبعة أيام عندما ذهبت لتودعه فى محطة القطار ؛ قبلها للمرة الأولى .

" كات ، سوف أقول لك شيئا فظا . أتمنى فى يوم من الأيام أن تحملى لى من المشاعر بما فوق ما تكنيه لماكس " .

قالت فى هدوء : " لقد بدأت أشعر بالفعل هكذا " .

ثبت ويليام نظره عليها : " لا تبقى خارج حياتى لتسعة أشهر أخرى " .

" لا أستطيع ... فقد بعت منزلى " .

فى طريق عودة ويليام إلى بوسطن ؛ شعر بسعادة وسكينة لم يشعر بهما منذ قبل وفاة والده ؛ أخذ ويليام يعد مسودة تقرير عن صفقة حديقة بوكهرست بينما ظلت صورة كات والأيام الخمسة

الماضية ملازمة لخياله . وقبل أن يتوقف القطار مباشرة فى المحطة الجنوبية ، كتب بضعة سطور بخط يده المنمق ولكن غير المقروء .

كات

أشعر أننى قد بدأت أفتقدك بالفعل ولم تمض سوى ساعات قليلة . أرجوك راسلنى وأعلمينى بموعد مجيئك إلى بوسطن . وفى هذه الأثناء سوف أواصل عملى فى البنك وأستطيع القول بأنه يمكننى أن أخرجك من عقلى لفترات طويلة ( يمكن أن تتراوح ما بين ٥ إلى ١٠ دقائق ) متصلة .

مع حبى

ويليام

ما إن ألقى ويليام بالمظروف داخل صندق البريد فى شارع تشارلز حتى تبخرت كل أفكاره عن كات عند سماع نداء بائع الصحف الذى أخذ يصيح قائلا :

" انهيار بورصة وول ستريت ! " .

اشترى ويليام على الفور نسخة من الصحيفة وبدأ يقرأ المقالة الرئيسية عن هذا الخطب . كان السوق قد انهار فى يوم وليلة ، كان بعض رجال المال لا يرون فى هذا الأمر أكثر من أنه مجرد تصحيح للسوق بينما كان ويليام يرى فى ذلك بداية الزلزال الذى تنبأ به منذ شهور . هرع إلى البنك وتوجه مباشرة إلى مكتب الرئيس .

قال آلان ليويد وهو يهدئ من روعه : " أعتقد أن سوق المال سوف يستقر ويستعيد قوته على المدى الطويل " .



قال ويليام : " كلا لن يحدث هذا أبدا . إن السوق مكبل بما يفوق طاقته . مكبل بصغار المستثمرين الذين اعتقدوا أنهم سوف يدخلون ليحققوا ربحا سريعا والذين سوف يفرون بأموالهم وحياتهم الآن . ألا ترى أن البالون على وشك الانفجار ؟ سوف أبيع كل شيء . مع نهاية هذا العام سوف ينهار سوق المال ، ولقد حذرتك من قبل فى فبراير يا آلان " .

" ولكننى مازلت غير متفق معك يا ويليام ومع ذلك فسوف أدعو لعقد اجتماع لمجس الإدارة غدا لكى نناقش وجهات النظر بمزيد من التفصيل " .

قال ويليام : " أشكرك " ثم عاد إلى مكتبه والتقط سماعة الهاتف الداخلى .

" آلان ، لقد نسيت أن أخبرك بأننى قد قابلت الفتاة التى سوف أتزوجها " .

سأل آلان : " وهل صارحتها بعد ؟ " .

قال ويليام : " كلا " .

قال آلان : " فهمت . هذا يعنى أن زواجك سوف يشبه عملك يا ويليام . أى أن أى شخص ذي صلة مباشرة بالأمر لن يعلم إلا بعد اتخاذك أنت للقرار " .

ضحك ويليام والتقط سماعة الهاتف الآخر . وباع معظم أسهمه فى البورصة . كان تونى سيمونس قد وصل لتوه . وقف عند الباب المفتوح وأخذ يراقب ويليام وظن أنه قد جن جنونه .

" يمكنك أن تخسر قميصك الذى ترتديه فى يوم وليلة إن بعت كل هذه الأسهم فى الظروف الراهنة " .

أجاب ويليام : " ولكننى سوف أفقد المزيد إن بقيت متمسكا بها " .

كانت الخسارة التى تكبدها ويليام على مدى الأسبوع التالى والتى زادت على مليون دولار لتهز رجلا أقل ثقة من ويليام وتثنيه عن قراره .

وفى اجتماع مجلس الإدارة فى اليوم التالى ، خسر أيضا التصويت بموجب ثمانية أصوات مقابل ستة أصوات فقط فيما يخص اقتراحه الذى يقضى بتصفية كل أسهم البنك . حيث أقنع تونى سيمونس أعضاء مجلس الإدارة بأن التخلى عن الأسهم وعدم التشبث بها لفترة أطول قليلا سوف يكون تصرفا غير مسئول . ولكن النصر الصغير الوحيد الذى حققه ويليام هو أنه قد أقنع كل المديرين بأن البنك يجب أن يمتنع عن الشراء .

ارتفع السوق قليلا فى ذلك اليوم ، مما منح ويليام فرصة لبيع المزيد من أسهمه الخاصة . ومع نهاية الأسبوع الذى واصل فيه المؤشر ارتفاعه على مدى أربعة أيام متواصلة بدأ ويليام يتساءل إن كان قد بالغ فى رد فعله ، ولكن كل خبرته السابقة وحدسه كانا يؤكدان له أنه قد اتخذ القرار الصائب . لم يتفوه آلان ليويد بكلمة ؛ فلم يكن المال الذى خسره ويليام ماله فضلا عن أنه كان يتطلع إلى تقاعد هادئ .

وفى الثانى والعشرين من أكتوبر بدأ السوق يعانى ثانية من خسائر فادحة وتوسل ويليام إلى آلان ليويد للخروج منه بينما الفرصة مازالت سانحة أمامه . وقد أصغى إليه آلان فى هذه المرة وسمح له بأن يصدر أمر بيع ببعض الأسهم الكبرى فى البنك ، وفى اليوم التالى ازدادت حالة سوق المال ترديا ولم يعد موقف البنك ذا قيمة بعد أن توقفت حركة الشراء كلية . أصبح بيع الأسهم أشبه بفرار جماعى حيث سعى كل مستثمر صغير فى أمريكا إلى بيع أسهمه من خلال العطاءات للتخلص منها . عم الذعر سوق المال حتى عجز



الشريط التلغرافى الكاتب فى البورصة عن مجاراة التعاملات المالية . لم يدرك التجار حجم الخسارة التى لحقت بهم فى اليوم السابق إلا عند استئناف المعاملات المالية فى الصباح بعد عكوف الموظفين على العمل طوال الليل .

أجرى آلان ليويد محادثة هاتفية مع بنك مورجان ووافق على انضمام كين وكابوت إلى مجموعة البنوك التى سوف تسعى للاندماج من أجل إنقاذ الانهيار القومى فى الأسهم الكبرى . لم يكن ويليام معارضا لهذه السياسة بناء على أنه إن كان هناك جهد جماعى فيجب أن يسهم بنك كين وكابوت فيه . وبالطبع إن نجح الجهد فسوف تتحسن أوضاع كل البنوك . وقد قام ريتشارد ويتنى نائب رئيس التعاملات المالية لبروصة نيويورك وممثل مجموعة مورجان بمهمة التنسيق واستثمر ٣٠ مليون دولار فى سوق المال فى أسهم الرقائق الزرقاء فى صباح اليوم التالى . بدأ السوق يتماسك . وتم تداول ١٢،٨٩٤،٦٥٠ سهم فى ذلك اليوم وبقى السوق مستقرا على مدى اليومين التاليين . كان الجميع يعلمون - بدءاً من الرئيس هوفر وحتى العاملين فى المضاربة - أن الأسوأ مازال فى انتظارهم .

كان ويليام قد باع كل أسهمه الخاصة تقريباً وكانت خسارته الشخصية تقل كثيرا نسبيا عن خسارة البنك الذى خسر أكثر من ثلاثة ملايين دولار فى أربعة أيام ، حتى تونى سيمونس كان قد عاهد نفسه عندها على الأخذ بكل مقترحات ويليام . وفى ٢٩ أكتوبر - الثلاثاء الأسود ، كما عرف فيما بعد - انهار السوق ثانية . حيث تم طرح ستة عشر مليوناً وستمائة وعشرة آلاف وثلاثين سهماً للبيع . وقد أدركت كل البنوك على مستوى البلد وقتها أن الحقيقة هى أنهم جميعا قد أفلسوا . أى أنه إن سعى أى عميل من عملائهم إلى طلب أموال نقدية أو إن سعى أى بنك فى المقابل إلى المطالبة

بسداد قروضه المستحقة فسوف ينهار النظام المصرفى بأسره فوق رؤوسهم .

بدأ اجتماع مجلس الإدارة فى التاسع من نوفمبر بدقيقة حداد على جون جى ريوردن ؛ رئيس الخزانة المالية للدولة وأحد مديرى بنك كين وكابوت والذى كان قد أطلق النار على نفسه داخل منزله . كانت هذه هى حالة الانتحار الحادية عشرة فى الدوائر المصرفية لبوسطن على مدى أسبوعين . كان الرجل الذى توفى صديقا شخصيا مقربا من آلان ليويد. وقد صرح الرئيس وقتها أن كين وكابوت كان قد خسر ما يقرب من ٤ ملايين دولار كما أن مجموعة مورجان كانت قد فشلت فى الاندماج أى أنه كان من المفترض فى ظل هذا الوضع أن يعمل كل بنك منفصلا للحفاظ على مصالحه . كانت الأزمة قد أطاحت بكل المستثمرين الصغار . أما المستثمرون من أصحاب الثقل والمكانة فقد كانوا يعانون من مشاكل عصيبة فى السيولة . كانت الجماهير الغاضبة قد أحاطت ببنوك نيويورك وكان على البنوك أن تشدد من إجراءات الأمن والحماية بإمداد طاقم الحرس القديم بالمزيد من أفراد الحراسة المدربين . قال آلان إن استمرت الحال هكذا لمدة أسبوع آخر ، فسوف نسحق جميعا ؛ وقد عرض استقالته على أعضاء مجلس الإدارة ولكنها قوبلت بالرفض لأن موقفه كرئيس للبنك لم يكن يختلف عن موقف أى رئيس بنك آخر من البنوك الأمريكية الكبرى . كما سعى تونى سيمونس هو الآخر لتقديم استقالته ولكن زملاءه المديرين رفضوها بدورهم . وقد بدا أن تونى لم يعد يتطلع لأن يحل محل الرئيس ، أما ويليام فقد التزم صمتا مطبقا .

وكحل وسط ؛ تم إرسال سيمونس إلى لندن لكى يتولى أمر الاستثمارات الخارجية . لكى يبقى بعيدا عن الضرر ؛ ووجد ويليام



نفسه مسئولا - بعد رحيل سيمونس - عن إدارة الاستثمار ومسئولا عن الاستثمار داخل البنك . وقد دعا ويليام على الفور ماثيو ليستر لكى يكون مساعدا له . وفى هذه المرة لم يبد آلان ليويد أى اعتراض .

وافق ماثيو على الالتحاق بالعمل مع ويليام فى وقت مبكر من الربيع ، كانت هذه هى أقرب فرصة يمكن أن يسمح له فيها والده بمغادرته . لم يكن بنك ليستر خاليا من المشاكل . وهكذا أدار ويليام قسم الاستثمار بنفسه لحين وصول ماثيو . كان شتاء عام ١٩٢٩ شتاء قاسيا بالنسبة لويليام حيث شهد انهيار الشركات الصغرى وكذلك الكبرى التى كانت مملوكة لكبار رجال الأعمال المرموقين الذين عرفهم طوال عمره فى بوسطن . بقى ويليام لبعض الوقت يسأل نفسه إن كان بنك كين وكابوت نفسه سوف ينجح فى الصمود فى ظل هذه الأزمة .

وفى عيد رأس السنة ؛قضى ويليام أسبوعا رائعا مع كات ، وساعدها على جمع مقتنياتها وحزمها فى صناديق تأهبا لعودتها إلى بوسطن : ( إنه البيت الذى سمح لى كين وكابوت بالاحتفاظ به ، قالتها وهى تضاحكه ) . أما الهدايا التى قدمها لها ويليام فقد ملأت صندوقا عن آخره . وقد أثار هذا الكرم المفرط حرج كات .

قالت كات مازحة " ما الذى يمكن أن تقدمه لك أرملة معدمة فى المقابل ؟ " .

فما كان من ويليام إلا أن ساعدها على الانهماك فى حزم الصندوق المتبقى ووضع لاصق يحمل عبارة "هدية ويليام " .

عاد ويليام إلى بوسطن مرتفع المعنويات ؛ آملا فى هذه المرة أن تكون الفترة التى قضاها مع كات بمثابة بداية لعام أفضل . جلس ويليام فى مكتب توفى سيمونس القديم للاطلاع على بريد الصباح ،

علما منه بأنه يجب أن يعد نفسه لاثنين أو ثلاثة من لقاءات التصفية المعتادة التى يمر بها أسبوعيا . سأل ويليام السكرتيرة عن اسم الشخص الذى سوف يلتقى به فى أول موعد .

" أخشى أنه إفلاس آخر يا سيد كين " .

قال ويليام : " أجل بالطبع مازلت أتذكر هذه الحالة " . لم يكن الاسم يعنى شيئا بالنسبة له . وواصل : " قرأت الملف ليلة أمس ، ياله من حظ عاثر ، متى يحين الموعد ؟ "

" فى العاشرة . ولكن الرجل قد وصل بالفعل وهو منتظر فى قاعة الاستقبال لمقابلتك يا سيدى " .

قال ويليام : " حسنا . أرجوك دعيه يدخل . دعينا ننهى هذا الأمر " .

فتح ويليام الملف ثانية لكى يذكر نفسه سريعا بالوقائع المهمة . كان هناك خط مسطور تحت اسم العميل الأصلى ؛ ديفيز ليروى . ولكن الاسم كان قد استبدل باسم الزائر الذى حل محله .. السيد هابيل روزنوفسكى .

لقد تذكر ويليام بمنتهى الدقة تفاصيل آخر حديث جرى بينه وبين السيد روزنوفسكى ، وكان يشعر بالفعل بالأسف من أجله .

# الفصل السادس عشر

استغرق هابيل ما يقرب من ثلاثة أشهر كاملة إلى أن تبين حجم المشاكل التى تواجه فندق ريكموند كونتيننتال والأسباب التى تقف وراء خسائره الفادحة . كانت النتيجة الوحيدة التى خلص إليها بعد اثنى عشر أسبوعا من البحث والتدقيق أشعر خلالها باقى أفراد طاقم العمل بأنه نصف نائم ؛ هى أن أرباح الفندق تتعرض للنهب . كان كل طاقم العاملين فى فندق ريكموند يتبعون نظاما محكما لسلب الأموال لم يكن هابيل قد شهد مثله من قبل . ولم يكن هذا النظام ـ مع ذلك ـ قد وضع فى حسبانه ظهور مساعد مدير جديد فرض عليه أن يسرق الخبز من الروس لكى يبقى على قيد الحياة . كانت المشكلة الأولى التى جابهته هى ألا يعلم أى شخص بما توصل إليه إلى أن تسنح له فرصة مراقبة كل قسم من أقسام الفندق مراقبة دقيقة . لم يمض وقت طويل قبل أن يكتشف أن كل قسم من أقسام الفندق كان قد وضع نظامه الخاص بالسرقة .

كان النهب يبدأ من مكتب الاستقبال حيث كان الموظفون يعمدون إلى تسجيل أسماء ثمانية عملاء فقط من بين كل عشرة عملاء والاستيلاء على الفارق . كان النظام المتبع نظاما سهلا ؛ وكان يمكن كشفه وافتضاح أمره فى غضون دقائق معدودة لو حاول أحدهم فى أى فندق آخر . كان مدير قسم الاستقبال يختار أى زوجين مسنين كانا قد حضرا من أى ولاية أخرى لليلة واحدة فقط . وكان يسعى للتأكد بشكل خفى من أن الزوجين ليست لهما علاقات عمل فى المدينة ومن ثم لا يقوم بتدوين أسمائهما فى السجلات الخاصة بالفندق . فإن قاما بسداد ثمن الإقامة نقدا فى صباح اليوم التالى لا يتم تسديده فى خزانة الفندق ، وما لم يوقع أى منهما على السجل ، فلن يكون هناك دليل على تواجدهما فى الفندق . وقد اعتقد هابيل دائما أن كل الفنادق تفرض تسجيل أسماء كل النزلاء . كان فندق بلازا يطبق ذلك بالفعل .

أما داخل قاعة تناول الطعام فقد كان نظام السلب أكثر تطورا . حيث كان يتم بالطبع الاستيلاء على الأموال النقدية التى كان يسددها الزبائن من غير المقيمين فى الفندق على الغداء أو العشاء . كان هابيل قد توقع ذلك بالفعل ولكنه استغرق وقتا أطول قليلا لكى يتحقق من ذلك من خلال فواتير حساب المطعم الخاصة بالعملاء الذين قرر القسم عدم تدوينهم فى السجلات . وفضلا عن ذلك كانت هناك قائمة خيالية غير حقيقية من أعمال الإصلاح والترميم والمعدات المفقودة والطعام المفقود والأغطية والملاءات المفقودة بل وأحيانا المراتب المفقودة . بعد تفحص كل قسم بمنتهى الدقة ، خلص هابيل إلى أن نصف فريق العمل فى فندق ريكموند متواطئ وبأنه لا يوجد قسم واحد برىء من هذه الممارسات .



عندما وصل هابيل إلى فندق ريكموند فى بداية الأمر ، كان يسأل نفسه عن سر عدم ملاحظة المدير ديسموند باسى لكل ما يجرى من حوله وتحت سمعه وبصره طوال هذه الفترة . وقد افترض خطأ أن الرجل كان بليدا ولم يكن يزعج نفسه بتتبع الشكاوى . حتى هابيل نفسه تأخر فى إدراك أن المدير الخامل كان هو العقل المدبر لكل ما يجرى داخل الفندق ، أما سبب سير النظام بكل هذا الإحكام فهو أن باسى كان يعمل فى مجموعة ريكموند على مدى أكثر من ثلاثين عاما . لم يكن هناك فندق واحد من بين فنادق المجموعة لم يشغل فيها باسى وظيفة كبرى مما جعل هابيل يخشى انهيار سلسلة الفنادق بأسرها . أما ما زاد الوضع سوءا فهو أن ديسموند باسى نفسه كان صديقا شخصيا لدفيز ليروى . كان فندق ريكموند شيكاغو يخسر أكثر من ٣٠ ألف دولار سنويا وكان هابيل يدرك تماما أنه يمكن تدارك هذا الأمر كلية بين يوم وليلة بطرد نسبة كبيرة من العاملين وعلى رأسهم ديسموند باسى . ولكن هذا كان بمثابة مشكلة لأن ديفيز ليروى على مدى ثلاثين عاما لم يلجأ إلى فصل أى موظف لديه إلا فيما ندر . لأنه كان يعمد ببساطة إلى تحمل عبء المشاكل على أمل أن تحل فى يوم من الأيام . وقد خلص هابيل من خلال هذه المعلومات إلى أن هذا يعنى أن العاملين فى فندق ريكموند سوف يواصلون نهب الفندق حتى سن التقاعد .

وقد أدرك أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن ينقذ بها ثروة الفندق هى أن يقدم كشف حساب مستفيض لديفيز ليروى . بعد أن عقد العزم على هذا القرار توجه فى بداية عام ١٩٢٨ ، على متن الجريت إكسبرس من إيلينويس الوسطى إلى سانت لويس عن طريق المحيط الهادى إلى أن وصل إلى دالاس . كان يحمل معه تقريرا مؤلفا من مائتى صفحة كان قد أعده على مدى ثلاثة أشهر كاملة

واستكمل أوراقه داخل غرفته الصغيرة فى ملحق الفندق . عندما فرغ ديفيز ليروى من قراءة أكوام الأدلة ، جلس يحدق فى هابيل فى استياء وخيبة أمل .

" كل هؤلاء الأشخاص أصدقائى " : كانت هذه هى اول كلماته وهو يغلق الملف : " بل إن بعضهم قد صحبنى لأكثر من ثلاثين عاما . كانت القلاقل تحوم دائما حول هذا العمل ولكنك الآن تخبرنى بأنهم جميعا ينهبوننى دون أن أدرى " .

قال هابيل : " بعضهم ، فى تقديرى ، على مدى ثلاثين عاما " .

قال ليروى : " ولكن بحق السماء ، ما الذى يمكن أن أفعله أمام كل هذا ؟ " .

"يمكننى أن أتصدى لهذا الفساد فقط إن أقلت ديسموند باسى وأطلقت يدى فى تسريح كل من تورط فى كل هذه الأفعال " .

" كم كنت أتمنى يا هابيل أن يكون الحل فى مثل هذه البساطة " .

قال هابيل : " إن المشكلة بالفعل بهذه البساطة وإن لم تدعنى أتعامل مع كل المتورطين فسوف أقدم لك استقالتى فى الحال . لأننى لن أعمل فى أحد أكبر الفنادق فسادا فى أمريكا " .

" ألا يمكن أن نكتفى بنقل ديسموند باسى من وظيفة مدير إلى نائب مدير ، بحيث تكون أنت المدير وتصبح المشكلة برمتها تحت سيطرتك " .

أجاب هابيل : " أبدا . مازال قد بقى لباسى عامان على التقاعد ، إنه يملك قبضة قوية على كل العاملين فى فنادق ريكموند . ومع بلوغه سن التقاعد سوف تكون أنت قد توفيت أو أفلست أو هما معا ، أعتقد أن باقى سلسلة فنادقك تعج بمثل هذا



الفساد . إن كنت تريد أن تصلح الأوضاع فى شيكاغو فيجب إما أن تتخذ قرارا الآن أو أن تتحمل بمفردك مسئولية ما يجرى . أريد ردا فوريا بالرفض أو القبول " .

" لقد اشتهرنا نحن الجنوبيين يا هابيل بأننا نحكم عقولنا دائما . حسنا ، حسنا سوف أفوض لك الأمر كاملا وأمنحك السلطة الكاملة من هذه اللحظة . تهانيا . أنت المدير الجديد لريكموند شيكاغو . تهانيا . انتظر إلى أن يعرف آل كبونى بوصولك إلى شيكاغو ، سوف يفضل وقتها أن ينضم إلى هنا فى هدوء وسكينة الجنوب الغربى العظيم . هابيل يا بنى ـ واصل ليروى حديثه وهو يقف ويربت على كتف المديرالجديد ـ لا تعتقد أننى غير ممتن لما قمت به ، فقد قمت بعمل رائع فى شيكاغو ومن الآن فصاعدا سوف أعتبرك ساعدى الأيمن . ولكى أكون صادقا معك فإننى أصارحك بأننى قد أبليت بلاء حسنا فى بورصة المال مؤخرا مما حال دون التفاتى إلى حجم الخسائر ، لذلك فإننى أحمد الله لأننى حظيت بصديق أمين . لم لا تبيت هنا الليلة لكى أدعوك لتناول العشاء " .

" يسعدنى مشاركتك العشاء يا سيد ليروى ولكننى أريد أن أقضى الليلة فى ريكموند دالاس لأسباب شخصية " .

" لن تدع لأحد فرصة بأن يفلت من قبضتك ، أليس كذلك يا هابيل ؟ " .

" إن كان هذا بوسعى " .

فى مساء هذا اليوم دعا ديفيز ليروى هابيل إلى عشاء حافل وصرح له بأنه كان يفكر فى إيكال مهمة إدارة مجموعة ريكموند إلى شخص آخر لأنه يريد أن يزيح هذا العبء عن كاهله " .

قال هابيل : " هل أنت واثق من أنك تريد الإيقاع بهؤلاء ؟ " .

" إنه أنا يا هابيل الذى وقع فى الفخ . لو لم تكشف هؤلاء اللصوص لكنت قد غرقت . ولكن بما أننى قد عرفت الحقيقة فإننا سوف نتخلص منهم جميعا سويا وسوف أمنحك الفرصة لكى تعيد مجموعة ريكموند إلى الخريطة " .

قال هابيل : " فلنتقدم إلى العمل ونوقف هؤلاء المجرمين عند حدهم " .

" اقض عليهم يا فتى " .

قضى هابيل ليلته فى فندق ريكموند دالاس تحت اسم مستعار وأصر على التأكيد لموظف الاستقبال بأنه لن يقضى سوى ليلة واحدة فقط . وفى الصباح عندما شاهد النسخة الوحيدة من إيصال النقود التى دفعها ملقاة فى سلة المهملات ، تأكد أن شكوكه كانت فى محلها . لم تكن المشكلة مقصورة على فندق شيكاغو . ولكنه قرر أنه يجب أن يصلح شيكاغو أولا ثم يلتفت بعدها لباقى فنادق المجموعة . أجرى اتصالا هاتفيا واحدا بديفيز ليروى كى يخبره بأنه قد تأكد من أن الوباء كان متفشيا فى باقى فنادق المجموعة .

عاد هابيل إلى شيكاغو . بدت أودية المسيسبى من خلال نوافذ القطار ، عابسة الوجه إثر الفيضانات التى كانت قد اجتاحتها فى العام السابق . تذكر هابيل الدمار الذى سوف يتسبب فيه فور عودته إلى ريكموند شيكاغو .

عندما وصل إلى هناك ، لم يكن هناك حارس أمن ليلى يقف عند باب الفندق وإنما فقط موظف واحد . قرر هابيل أن يدعهم جميعا يحظون بليلة نوم مريحة قبل أن يودعهم . فتح له نادل صغير الباب الأمامى للفندق بينما كان يشق طريقه نحو الملحق .

سأل الغلام : " هل كانت رحلة جيدة يا سيد روزنوفسكى ؟ " .



" نعم ، أشكرك . كيف سارت الأمور هنا ؟ " .

" لقد كانت هادئة للغاية " .

قال هابيل لنفسه : " وسوف تكون أكثر هدوءا فى نفس الوقت من الغد ، عندما لن يبقى من أفراد طاقم العمل أحد سواك أنت " .

أفرغ هابيل محتويات حقيبته وطلب وجبة خفيفة من خدمة التوصيل للغرف لم تصله إلا بعد ما يقرب من ساعة . عندما فرغ من تناول قهوته ، خلع ملابسه وأخذ حماماً بارداً وراح يراجع خطته لليوم التالى . كان قد اختار وقتا سنويا جيدا لمذبحته . كان الوقت بداية شهر فبراير وكانت نسبة الإشغال لا تزيد على ٢٥ بالمائة وكان هابيل واثقا من أنه سيستطيع أن يدير الفندق بنصف طاقمه الحالى . صعد إلى فراشه وقذف الوسائد على الأرض ونام فى سبات عميق مثل باقى أفراد الطاقم الغافلين .

كان ديسموند باسى الذى كان مشهورا فى فندق ريكموند باسم باسى الكسول فى الثالثة والستين من عمره . كان أيضا بدينا بشكل لافت كما كان بطيء الحركة فوق ساقه القصيرة .

كان ديسموند باسى قد شهد مجيء ورحيل سبعة مديرين فى ريكموند . كان بعضهم جشعا يريد أن يأخذ أكثر من "نصيبه" بينما بدا البعض الآخر عاجزا عن فهم الطريقة التى يعمل بها النظام . وكان باسى قد اعتقد أن الفتى البولندى لم يكن أكثر ذكاء من غيره . همهم باسى فى نفسه وهو يتقدم ببطء نحو مكتب هابيل للقاء العاشرة المعتاد بينهما . كانت الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة .

قال المدير وهو لا يبدو آسفا بالمرة : " آسف لتأخرى " .

لم يعلق هابيل .

" لقد انشغلت بأمر ما فى مكتب الاستقبال ، أنت تعرف الحال " .

كـان هابيـل يعـرف تحديـدا كـل مـا كـان يجـرى فـى مكتـب الاستقبال . فتح درج مكتبه ببطء ووضع أمامه أربعين فـاتورة ممزقـة من فواتير الفندق ، كان بعضها ممزق إلى أربع قطع وبعضـها الآخـر ممزق إلى خمس قطع ، كان هابيل قد جمعها مـن سـلات المهمـلات وطفايـات السـجائر وكانـت جميعهـا للعمـلاء الـذى كـانوا يسـددون حسابهم نقدا بدون أن يتم تـدوين أسمـائهم فـى سجلات الفنـدق . أخذ هابيل يراقب الرجـل البـدين وهـو يحـاول أن يتبينهـا ويقلبهـا رأسا على عقب .

لم يتمكن ديسموند باسى من تبين الأمر جيدا . لـيس لأنـه كـان يكترث بحق وإنما لم يكن هناك ما يمكن أن يقلقـه . إن كـان الفتـى البولندى الأحمق قد اكتشف الأمر فيمكنه إما أن يقبل حصـته أو أن يغادر المكان . كان باسى يسأل نفسه عن النسبة التى يمكن أن يقبل بها هابيل . ربما يمكن أن يسكت مقابل الحصول على غرفـة أنيقـة فى الفندق .

" أنت مفصول يا سيد باسى وأريدك أن تغادر المكان فى غضـون ساعة " .

لم يستوعب ديسموند باسى ما يقوله هابيل لأنه لم يصدقه .

" ما الذى قلت ؟ أظن أننى لم أسمعك جيدا " .

قال هابيل : " بل سمعتنى جيدا . أنت مفصول " .

" لا يمكنك أن تفصلنى فأنا المدير وقد عملت فى فنـدق ريكمونـد منذ أكثر من ثلاثين عاما . إن كان هناك أى فصل يجب أن يتم فأنا الذى سوف أتخذه . من تظن نفسك بحق السماء ؟ "

" أنا المدير الجديد " .

" أنت ماذا ؟ " .



كرر هابيل : " المدير الجديد . لقد عيننى السيد ليروى بـالأمس وقد طردتك يا سيد باسى " .

" لم ؟ " .

" بسبب السـرقة والنهـب المتفشـى فـى الفنـدق " . أدار هابيـل الفواتير لكى يراها الرجل جيدا . " كل نزيل مـن هـؤلاء النـزلاء قـد سدد فواتيره بدون أن يصل مليم واحـد إلى خزانـة فنـدق ريكمونـد . وكـل هـذه الفـواتير تحمـل شـيئا مشـتركا واحـدا وهـو توقيعـك الشخصى " .

" لا يمكنك أن تثبت شيئا ولو بعد مائة عام " .

قال هابيل : " أعلم . لقـد كنـت تتبـع نظامـا محكمـا . حسـنا يمكن أن تطبق نفس النظام فى مكـان آخـر لأنـه قـد اكتشـف أمـرك هنا . هناك حكمة بولندية قديمة يا سيد باسى تقول بأن المرء يبقـى حاملا للماء إلى أن ينكسر مقبض الـدلو . وقـد انكسـر مقـبض دلـوك وأنت مفصول " .

قال باسى وقد بدأ العرق يتصبب على جبينه : " أنـت لا تملـك سـلطة فصـلى مـن العمـل . إن ديفيـز لـيروى صـديقى الشخصـى المقرب ، وهو الشخص الوحيد الذى يملك حق فصلى . إنه حتى لن يصغى إليك إن تحدثت معه . يمكننى أن أطردك خارج هـذا الفنـدق بمكالمة هاتفية واحدة " .

قال هابيل : " هيا افعل " . ثم التقط سماعة الهاتف وطلب مـن عامل الهاتف أن يطلب ديفيز لـيروى فـى دالاس . جلـس الـرجلان فى الانتظار وكل منهما يحدق فـى الآخـر . كـان العـرق عنـدها قـد غطى أنف باسى . لوهلة ، تشكك هابيل فى مدى حزم رئيسه .

" صباح الخير يا سيد ليروى ؛ أنا هابيل روزنوفسكى من شيكاغو . لقد فصلت السيد ديسموند باسى لتوى وهو يريد أن يتحدث معك " .

التقط باسى سماعة الهاتف بيد مرتعشة . استمع لبضع دقائق قليلة ثم قال :

" ولكن يا ديفيز ما الذى كان يمكن أن أفعله ؟ أقسم لك أن هذا ليس صحيحا ، لابد أن هناك خطأ " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهى تغلق من الطرف المقابل .

قال هابيل : " ساعة واحدة يا سيد باسى وإلا فسوف أقدم هذه الفواتير إلى قسم شرطة شيكاغو " .

قال باسى : " والآن انتظر لحظة ولا تكون أرعن " . تغيرت لهجته وسلوكه فجأة : " يمكننا أن نطلعك على النظام بأكمله . يمكنك أن تحصل على مقابل مادى ثابت مستمر إن أدرنا هذا الفندق سويا . سوف نكسب جميعا . سوف تحصل على مقابل مادى يفوق ما تحصل عليه كمساعد مدير وكلنا نعلم أن ديفيز يمكن أن يتحمل الخسائر " .

" لم أعد مساعد المدير يا سيد باسى .أنا المدير .اخرج من هنا قبل أن ألقى بك فى الخارج " .

قال المدير السابق بعد أن أدرك أنه قد أحرق بطاقته الأخيرة وخسرها : " أنت بولندى حقير . يجدر بك أن تبقى عينيك مفتوحتين عن آخرهما لأننى سوف أقطعك إربا " .

غادر باسى المكتب . وبحلول موعد الغداء كان قد لحق به فى الشارع عدد كبير من الندل وكبير الطهاة وكبير الخدم ومدير التوظيف وكبير البوابين وسبعة عشر عضوا من أعضاء طاقم عمل ريكموند الذين كانوا قد فقدوا مصداقيتهم من وجهة نظر هابيل .



وفى ظهيرة نفس اليوم ، دعا هابيل لعقد اجتماع لباقى الموظفين وشرح لهم تفصيليا سبب ما فعله وأكد لهم أنهم بمنأى عن الخطر .

قال هابيل : " ولكننى إن وجدت دولارا واحدا ، أكرر ، دولارا واحدا ناقصا، فإن الشخص المتورط سوف يفصل من فوره فى التو واللحظة . مفهوم ؟ " .

لم ينطق أحد بكلمة .

ترك العديد من أفراد طاقم العمل فى ريكموند العمل فى الفندق على مدى الأسابيع القليلة التالية عندما أدركوا أن هابيل لا يسعى لمواصلة نفس النظام الذى كان يتبعه ديسموند لصالحه . تم استبدالهم جميعا بسرعة .

وبنهاية شهر مارس ، كان هابيل قد استقدم أربعة موظفين من فندق بلازا للعمل فى ريكموند . كان هناك ثلاثة أشياء مشتركة بينهم وهو أنهم كانوا صغار السن وكانوا طموحين وأمناء . وفى غضون ستة أشهر ، لم يتبق إلا ٣٧ موظفا من أصل ١١٠ موظفين كانوا يعملون فى الفندق . وبنهاية العام الأول ، احتفل هابيل مع السيد ديفيز ليروى بالربح الذى حققه فندق ريكموند شيكاغو . كان الفندق قد حقق ٣،٤٦٨ دولار كأرباح . كان الربح قليلا ولكنه كان الربح الأول الذى حققه الفندق فى ثلاثين عاما. كان هابيل قد حقق ربحا يفوق ٢٥ ألف دولار فى عام ١٩٢٩ .

وقد انبهر ديفيز ليروى بإنجازات هابيل وكان يزور شيكاغو مرة واحدة شهريا وبدأ يعتمد كلية على هابيل . كما أنه بدأ يقتنع بأن ما كان يجرى فى فندق ريكموند شيكاغو لابد أنه يجرى فى باقى فنادق المجموعة . ولكن هابيل كان يريد أن يطمئن أولا إلى سير العمل بانسياب ونظام ونزاهة وربحية قبل أن يتفرغ لمشاكل باقى

سلسلة الفنادق . وقد وافقه ليروى فى ذلك ثم حادثه فيما بعد فى أمر الشراكة إن نجح هابيل فى إصلاح باقى فنادق المجموعة .

بدأ الاثنان يخرجان لحضور مباريات البيسبول والسباقات أثناء فترة تواجد ديفيز فى شيكاغو . وفى إحدى المرات ، عندما خسر ديفيز ٧٠٠ دولار على مدى ستة سباقات ، أطاح بذراعيه فى الهواء بلامبالاة وقال صائحا : " ما الذى يضيرنى فى خسارة سباق الجياد يا هابيل ؟ فأنت أفضل ما راهنت عليه " .

كانت ميلانى ليروى تحرص على تناول العشاء مع والدها أثناء زياراته . كانت لطيفة وجميلة ذات وجه نحيف ورشيقة القوام . وكانت تعامل هابيل بشيء من التعالى مما ثبط من عزم الطموحات التى كان يتطلع إليها معها فضلا عن أنها لم تدعه يوما إلى استبدال لقب " الآنسة ليروى " بـ "ميلانى " إلى أن اكتشفت أن هابيل يحمل شهادة فى العلوم الاقتصادية من جامعة كولومبيا وعرفت بشأن حسابه فى البنك . أبدت ميلانى بعدها ، شيئا من التلطف مع هابيل وبدأت من حين إلى آخر تتناول معه العشاء على انفراد فى الفندق وتطلب منه المساعدة فى دراستها أثناء استعدادها لنيل شهادة الآداب من جامعة شيكاغو . بدأ هابيل بعدها يتشجع قليلا ويدعوها من وقت إلى آخر لحضور الحفلات الموسيقية والعروض المسرحية ثم بدأ يشعر بشيء من الغيرة عندما كانت تحضر لتناول العشاء فى الفندق بصحبة بعض الرجال بالرغم من أنها لم تحضر مرتين مع نفس الصحبة .

كان المطبخ قد تحسن فى الفندق على يد هابيل إلى الحد الذى دفع قاطنى شيكاغو الذين لم يلحظوا حتى وجود الفندق على مدى ثلاثين عاما ، إلى حجز موائد للعشاء مساء أيام السبت . وقد أعاد



هابيل التصميم الداخلى للفندق للمرة الأولى على مدى عشرين عاما وألبس طاقم العاملين زيا أنيقا أخضر مذهباً . حتى أن أحد نزلاء الفندق الذى كان قد دأب على الإقامة فيه لمدة أسبوع كامل من كل عام ظن أنه قد أخطأ المكان وعاد من حيث أتى فور دخوله من الباب الأمامى . عندما حجز آل كابون حفل عشاء لستة عشر شخصا فى غرفة خاصة للاحتفال بعيد ميلاده الثلاثين ، أدرك هابيل أنه قد أصاب الهدف .

* * *

نمت ثروة هابيل الشخصية على مدى هذه الفترة فى ظل انتعاش السوق . كان يملك عندما ترك البلازا منذ ثمانية عشر شهرا ٨٠٠٠ دولار بينما أصبح يملك الآن أكثر من ٣٠ ألف دولار . كان واثقا من أن السوق سوف يواصل ارتفاعه لذا كان يعيد دائما استثمار أموال الفوائد . كانت متطلباته الشخصية مازالت متواضعة للغاية . كان قد اقتنى بدلتين جديدتين وأول حذاء بنى له . وكانت إقامته وغذاؤه على حساب الفندق كما أنه لم يكن ينفق سوى القليل . كان كل شيء يتنبأ له بمستقبل مشرق . كان بنك الكونتيننتال تراست هو الذى يدير حساب فندق ريكموند منذ أكثر من ثلاثين عاما ، لذا حرص هابيل على إيداع حسابه فى نفس البنك فور وصوله إلى شيكاغو . كان فى كل يوم يذهب إلى البنك لكى يودع أموال الفندق عن اليوم السابق . وقد فوجئ فى أحد الأيام وكان صباح جمعة بأن مدير البنك قد طلب مقابلته . كان واثقا من أنه لم يفرط فى السحب من حسابه الشخصى لذا فقد افترض أنه يريد أن يلتقى به بشأن ريكموند شيكاغو . ولكن لا يمكن أن يكون البنك سوف يشكو من

حساب الفندق لأول مرة منذ ثلاثين عاما . قاد أحد صغار الموظفين هابيل عبر مجموعة من الردهات إلى أن وصل إلى أحد الأبواب الخشبية الأنيقة . طرق على الباب طرقا رقيقا ثم أدخله لمقابلة المدير .

قال الرجل الجالس خلف المكتب وهو يمد لهابيل يده لمصافحته قبل أن يدعوه للجلوس على أحد المقاعد ذات الأزرة الخضراء : " اسمى كورتيس فنتون " . كان رجلا مهندما ممتلئ القوام يرتدى نظارة طبية وقميصا ذا ياقة بيضاء محكمة ورابطة عنق سوداء متناسبة تماما مع الحلة المؤلفة من ثلاث قطع .

قال هابيل فى عصبية : " أشكرك " كانت الأحداث قد أعادت له ذكريات الأوقات التى كان يشعر فيها بالتشكك والتخوف مما سوف يحدث لاحقا .

" كنت أريد أن أدعوك لتناول الغداء يا سيد روزنوفسكى " .

هدأت دقات قلب هابيل لأنه كان يدرك جيدا أن مديرى البنوك لا يدعون أحد للغداء عندما تكون لديهم أنباء سيئة .

" ... ولكن هناك أمرا ما قد دفعنى إلى لقائك على الفور لذا أتمنى ألا يزعجك أن أطرح عليك الأمر بدون أى تأخير . سوف أكون محددا يا سيد روزنوفسكى . أحد عملائى ، سيدة كبيرة تدعى إيمى ليروى " دفع الاسم هابيل إلى أن يستقيم فى جلسته فى الحال ـ تملك خمسة وعشرين بالمائة من أسهم مجموعة ريكموند . وكانت قد عرضت على أخيها السيد ديفيز ليروى شراء حصتها عدة مرات فى الماضى ، ولكنه لم يبد أى اهتمام بالأمر . أنا أفهم بالطبع مبررات السيد ليروى ، فهو يملك بالفعل خمسة وسبعين بالمائة من الأسهم وأجرؤ على القول بأنه لا يعبأ بالخمسة وعشرين بالمائة المتبقية والتى كانت التركة التى أخلفها لهما والدهما الراحل . ومع



ذلك فإن السيدة إيمى ليروى مازالت حريصة على بيع أسهمها لأنها لم تحصل مقابلها على أية أرباح " .

لم يندهش هابيل لسماع هذا النبأ .

" كان السيد ليروى قد أخبرها بأنه لا يمانع فى أن تبيع حصتها وهى تشعر أنها فى مثل سنها هذا تفضل أن تملك أموالا نقدية لكى تنفقها الآن بدلا من أن تعيش على أمل تحقيق المجموعة للربح فى يوم من الأيام . لذلك فقد قررت يا سيد روزنوفسكى أن أطرح عليك الأمر لأنك ربما تعرف شخصا معنيا بأمور الشراء وقد تكون لديه رغبة فى شراء حصة عميلتنا " .

سأل هابيل : " وما هو المبلغ الذى تتطلع إليه السيدة ليروى مقابل حصتها ؟ " .

" أعتقد أنها سوف تسعد إن حصلت على مبلغ قليل لا يتعدى خمسة وستين ألف دولار " .

قال هابيل : " خمسة وستون ألف دولار مبلغ مرتفع مقابل فندق لم يسجل أية أرباح . كما أنه ليس من المأمول أن يحقق أرباحا على مدى عدة سنوات قادمة أيضا " .

قال كورتيس فنتون : " أجل ولكن يجب أن تضع فى الحسبان قيمة الأحد عشر فندقا الأخرى أيضا " .

" ولكن إدارة الفندق سوف تبقى فى يد السيد ليروى مما يجعل حصة السيدة ليروى الخمسة وعشرين بالمائة لا تعدو بعض قصاصات من الورق " .

" ترو قليلا يا سيد روزنوفسكى . إن خمسة وعشرين بالمائة من أحد عشر فندقا مقابل خمسة وستين ألف دولار فقط سوف يكون استثمارا رائعا " .

" ليس مع هيمنة ديفيز ليروى على الإدارة . اعرض على السيدة ليروى أربعين ألف دولار يا سيد فنتون ، وقد أكون عندها قادرا على العثور على مشتر لحصتها " .

" ألا تعتقد أن هذا الشخص يمكن أن يرفع السعر قليلا يا سيد روزنوفسكى ؟ " قالها السيد فنتون وهو يرفع حاجبه مع كلمة يرفع .

" ولا سنتاً واحدا يا سيد فنتون " .

قبض مدير البنك على أطراف أصابعه فى خفة ، تعبيرا عن رضاه لما توصل إليه مع هابيل .

" فى هذه الحالة ، لا يسعنى سوى أن أراجع السيدة إيمى فى الأمر لكى أعرف رأيها . سوف أعاود الاتصال بك ثانية بما أن أصل إلى قرار " .

بعدما غادر هابيل مكتب كورتيس فنتون ، كان قلبه يخفق بنفس السرعة التى كان يخفق بها قبل دخول مكتبه . هرع عائدا إلى الفندق لمراجعة حسابه الشخصى . كان حساب مضاربته فى سوق المال يصل إلى ٣٣,١١٢ ألف دولار ، وحسابه الشخصى يصل إلى ٣,٠٠٨ ألف دولار . حاول هابيل بعدها أن يؤدى أعماله اليومية المعتادة بشكل طبيعى ولكنه وجد صعوبة فى التركيز بينما كان يسأل نفسه عن استجابة السيدة إيمى ليروى للعرض الذى قدمه. أخذ يحلم بشأن ما يمكنه عمله إن امتلك ٢٥ بالمائة من أسهم مجموعة ريكموند .

تردد هابيل قبل إخبار ديفيز ليروى بالأمر ، خشية أن ينظر إلى طموحاته على أنها نوع من أنواع التهديد . ولكن بعد انقضاء بضعة



أيام تفكر خلالها فى الأمر جيدا ، قرر أن أفضل شيء هو أن يتصل بديفيز ويعلمه بنواياه .

" أريدك أن تعرف سبب إقدامى على ذلك يا ديفيز . فأنا أؤمن بأن مجموعة ريكموند سوف تحظى بمستقبل مشرق كما يجب أن تكون واثقا من أننى سوف أبذل جهدا أكبر بعدما أضع مالى فى الفندق . " ثم صمت واستطرد قائلا : " ولكن إن أردت أنت شراء الخمسة والعشرين بالمائة المتبقية ، فسوف أتفهم الأمر جيدا " .

ولكن لدهشته ، لم يبد ديفيز ضيقه من الأمر .

" حسنا ، يا هابيل إن كنت واثقا لهذه الدرجة فى المجموعة ، فامض قدما يا بنى واشتر حصة إيمى . إننى أفخر بأن تكون شريكى . لقد نلت هذا عن استحقاق. بالمناسبة سوف أحضر إلى شيكاغو الأسبوع القادم لحضور مباراة الريد كوبيز . أراك لاحقا " .

تهلل هابيل : " أشكرك يا ديفيز ، إنك لن تندم أبدا على هذا القرار " .

" أنا واثق من ذلك يا شريكى " .

عاد هابيل إلى البنك فى وقت لاحق من نفس الأسبوع . فى هذه المرة كان هو الذى طلب مقابلة المدير . وثانية، جلس فوق الكرسى ذى الأزرار الخضراء وانتظر أن يبدأ السيد فنتون بالكلام .

بدأ كورتيس فنتون حديثه وهو مجرد من علامات الدهشة كلية : " لقد اندهشت لموافقة السيدة ليروى على مبلغ الأربعين ألف دولار مقابل الخمسة وعشرين بالمائة من حصتها فى مجموعة ريكموند ." ثم صمت قليلا قبل أن يرفع رأسه جهة هابيل واستطرد قائلا : " بعد أن تأكدت الآن من موافقتها ، يجب أن أسألك إن كان لديك مشتر قادر على إتمام الصفقة ؟ " .

أجاب هابيل فىّ ثقة : " نعم ، سوف أكون أنا المشترى " .

أجاب المدير ثانية وهو لا يبدى أى شعور بالدهشة : " أجل يا سيد روزنوفسكى " .

" هل لى أن أعرف كيف ستسدد الأربعين ألف دولار المطلوبة ؟ " .

" سوف أصفى أسهمى وأسحب أموالى النقدية من حسابى الشخصى وبالتالى لن يبقى أمامى سوى أربعة آلاف دولار فقط . أتمنى أن تكونوا على استعداد لإقراضى هذا المبلغ بما أنكم واثقون من أن فندق ريكموند يساوى أكثر من هذه القيمة . إن الأربعة آلاف دولار المتبقية لا تمثل أكثر من عمولة البنك فى الصفقة " .

قطب كورتيس فنتون وجهه . إن الوجهاء من الرجال لا يصدرون مثل هذه الملحوظات فى مكتبه ؛ ولكن ما أدهشه أكثر من ذلك هو أن هابيل استطاع أن يحدد نسبة عمولة البنك بدقة : " هلا منحتنى بعض الوقت لكى أفكر فى عرضك هذا يا سيد روزنوفسكى وسوف أوافيك بالرد لاحقا " .

قال هابيل : " إن انتظرت وقتا طويلا ؛ فلن أكون بحاجة للقرض . إن سوق المال يتحرك جيدا فى الوقت الراهن ، أى أن استثماراتى سرعان ما سوف تحقق الأربعة آلاف دولار المتبقية " .

كان على هابيل أن ينتظر أسبوعا آخر لحين حصوله على موافقة الكونتيننتال تراست . قام إثر الموافقة فى الحال بسحب أمواله النقدية وتصفية أسهمه واقترض ما يقل قليلا عن ٤ آلاف دولار لكى يستكمل مبلغ الأربعين ألف دولار .

وفى غضون ستة أشهر ؛ كان هابيل قد سدد الأربعة آلاف دولار من خلال تحركه الحريص فى البيع والشراء فى سوق الأسهم من



مارس إلى أغسطس من عام ١٩٢٩ . كانت هذه الفترة من أفضل فترات الازدهار التى مر بها سوق المال .

وبحلول شهر سبتمبر كان ميزان حساباته قد ارتفع قليلاً إلى حد مكنه من شراء سيارة بويك جديدة فضلا عن امتلاك ٢٥ بالمائة من مجموعة فنادق ريكموند . كان هابيل سعيدا بامتلاك هذه الحصة القوية فى امبرطورية ديفيز ليروى . وقد منحه ذلك الثقة لملاحقة ابنته والـ ٧٥ بالمائة المتبقية .

فى بداية شهر أكتوبر ، دعا هابيل ميلانى لحضور حفل لموتزارت فى قاعة شيكاغو السيمفونية . بعد أن ارتدى حلته الأنيقة التى أكدت له أنه قد اكتسب قدراً من الزيادة فى الوزن وأول رابطة عنق حريرية ؛ تأكد بما أن ألقى نظرة على نفسه فى المرآة أن هذه الأمسية سوف تكون أمسية ناجحة . بعد نهاية الحفل الموسيقى ؛ تجنب هابيل الذهاب إلى فندق ريكموند بالرغم من الجودة الفائقة للطعام الذى يقدم هناك ، وصحب ميلانى إلى مطعم " لوب " لتناول العشاء هناك . وقد حرص طوال اللقاء على اقتصار الحديث على أمور السياسة والاقتصاد ؛ تلك الأمور التى كان يعرفها جيدا . وأخيرا دعا ميلانى لتناول الشراب فى محل إقامته . كانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها غرفته وقد اندهشت وبهرت بمدى أناقة الغرفة .

قدم هابيل لميلانى المشروبات التى طلبتها ووضع قطعتين من الثلج فى الكوب وشعر بالثقة أمام الابتسامة التى أهدتها له ميلانى وهو يقدم لها الكوب . لم يسعه إلا أن يحدق إليها . ثم صب لنفسه المشروب الخاص به :

" أشكر يا هابيل على هذه الأمسية الرائعة " .

جلس بجوارها وأخذ يفكر وهو يحرك الشراب داخل كأسه : " بقيت لسنوات لا أسمع الموسيقى ولكنى عندما بدأت أسمعها شعرت أن موتزارت يحرك قلبى كما لم يفعل أى موسيقى غيره " .

قالت ميلانى وهى تحرر طرف ثوبها الحريرى ، الذى كان هابيل يجلس فوقه : " كم تبدو أوروبيا فى بعض الأحيان يا هابيل . من الذى يجول بخاطره بأن مدير فندق يمكن أن يعبأ بشخص مثل موتزارت ؟ " .

قال هابيل : " أحد أسلافى ، البارون روزنوفسكى الأول . لقد قابل هذا المايسترو فى إحدى المرات وأصبح صديقا مقربا للعائلة ، لذا كنت أشعر دائما أنه جزء من حياتى " .

ابتسمت ميلانى ابتسامة مبهمة . مال هابيل جانبا وقبلها فى خدها بجوار أذنها حيث كان شعرها الأشقر مشدودا إلى الخلف . واصلت حديثها بدون أن تصدر منها أية إشارة تنم عن تبينها لما حدث .

" لقد كان عزف فريدريك ستوك للحركة الثالثة مثاليا ، ألا توافقنى الرأى ؟ " .

حاول هابيل أن يقبلها ثانية . ولكنها فى هذه المرة أدارت وجهها نحوه لكى تسمح له بأن يقبل شفتيها . ثم تراجعت إلى الوراء .

" أعتقد أننى يجب أن أعود إلى مبيت الطلبة " .

قال هابيل فى استياء : " ولكنك وصلت لتوك " .

" نعم أعرف ذلك ولكننى يجب أن أستيقظ فى وقت مبكر من الصباح . أمامى يوم شاق فى الغد " .

قبلها هابيل ثانية . فسقطت إلى الوراء فوق الأريكة وحاول هابيل أن يمسك بها . ولكنها قطعت القبلة سريعا ودفعته بعيدا .



قالت فى إصرار : " يجب أن أذهب الآن يا هابيل " .

قال هابيل : " ولكن تروى قليلا لا يجب أن تنصرفى الآن " .

وحاول ثانية أن يقبلها .

ولكنها فى هذه المرة تصدت له ودفعته بعيدا عنها بمنتهى الحزم .

" هابيل ، ما الذى تظن أنك فاعله ؟ هل لأنك قد دعوتنى إلى العشاء والذهاب إلى حفل موسيقى ، تظن أنه يحق لك أن تتطاول علىَّ ؟ " .

قال هابيل : " ولكننا ظللنا نخرج سويا على مدى شهور وكنت أظن أنك لن تمانعى " .

" لم نكن نتقابل على مدى شهور يا هابيل . وإنما كنا نتناول الطعام سويا من آن لآخر فى غرفة الطعام التى يملكها والدى ولكنك يجب ألا تنظر إلى ذلك باعتبارنا كنا نتواعد على مدى شهور " .

قال هابيل : " أنا آسف . إن آخر شيء كنت أريدك أن تفكرى فيه هو أننى أسعى للتعدى عليك . كنت فقط أريد أن ألمسك " .

قالت : " ولكننى لن أسمح لرجل بأن يلمسنى ما لم يكن يريد أن يتزوجنى " .

قال هابيل فى هدوء : " ولكننى أريد أن أتزوجك " .

انفجرت ميلانى فى الضحك .

سأل هابيل وقد احمر وجهه : " ما المضحك فى ذلك ؟ " .

" لا تكن سخيفا يا هابيل ، لا يمكن أن أتزوجك أبدا " .

سأل هابيل وهو مصدوم من نبرة الاستخفاف فى صوتها : " ولم لا ؟ " .

أجابت وهى تجلس فى استقامة وتعيد رداءها الحريرى إلى مكانه : " لا يصح أن تتزوج امرأة من الجنوب رجلاً من الجيل الأول من المهاجرين البولنديين " .

" ولكننى بارون " قالها فى شيء من الترفع .

انفجرت ميلانى فى الضحك ثانية : " أتظن أن هناك من يصدق هذا ، بالفعل يا هابيل ؟ ألا تعلم أن كل طاقم العاملين هنا يسخر منك بدون أن تدرى كلما أشرت إلى هذا اللقب ؟ " .

ذهل هابيل وشعر بغثيان ؛ كان وجهه عندها قد شحب تماما : " كلهم يسخرون منى بدون أن أدرى ؟" قالها فى لهجته الطبيعية .

أجابت : " نعم أنت بالطبع تعرف اسمك الحركى فى الفندق إنه بارون شيكاغو" .

لم ينبس هابيل ببنت شفة .

" والآن لا تكن سخيفا ولا تلق بالا لهذا الأمر ، أعتقد أنك قد أديت عملا رائعا لأبى وأعلم أنه يكن لك كل الإعجاب ولكنه لن يسمح أبدا بزواجى منك " .

بقى هابيل جالسا فى صمت : " لا يمكن أبدا أن أتزوجك " . أخذ يكررها .

" بالطبع لا . أنت تروق لأبى بالفعل ولكنه لن يوافق أبدا أن تكون زوجا لابنته " .

قال هابيل : " آسف لأننى أغضبتك " .

" إنك لم تفعل يا هابيل . بل إن عرضك يشعرنى بالفخر . الآن دعنا ننسى هذا الأمر تماما . سوف يكون لطيفا منك أن تصحبنى إلى المنزل " .



نهضت من مقعدها وسارت نحو الباب بينما بقى هابيل فى مكانه ، فى حالة ذهول . ولكنه نجح رغم ذلك فى دفع نفسه ببطء وساعد ميلانى على ارتداء معطفها . أصبح هابيل مدركا لعرجه وهو يسير فى الردهة بصحبة ميلانى . هبطا فى المصعد ثم ركب معها السيارة الأجرة وبقى كلاهما صامتا . بينما كانت السيارة فى الانتظار ، صاحبها إلى السور الأمامى لدار مبيت الطلبة . ثم قبل يدها .

قالت ميلانى : " أتمنى ألا يعنى ذلك أن نفقد صداقتنا " .

" بالطبع لا " قالها بالكاد .

" أشكرك على الحفل الموسيقى يا هابيل . أنا واثقة من أنك سوف تعثر على فتاة بولندية لطيفة يمكنك أن تتزوج بها . عمت مساء " .

قال هابيل : " إلى اللقاء " .

* * *

لم يكن هابيل يعتقد أن هناك أية مشكلة حقيقية يمكن أن تضرب سوق مال نيويورك إلى أن سأله أحد نزلاء الفندق إن كان يمكن أن يسدد فاتورة الفندق بالأسهم . لم يكن هابيل يحمل سوى قدر ضئيل من الأسهم وقتها ، بما أنه كان قد سحب كل ماله لشراء حصته فى مجموعة ريكموند ، ولكنه عمل بنصيحة مضاربه فى البورصة وباع كل ما كان يملكه فى الأسهم بالخسارة بعد أن ارتاح لوجود النصيب الأكبر من الأصول التى يملكها فى العقارات المتمثلة فى المجموعة الفندقية . لم يكن شغوفا بمراجعة حركة مؤشر داو

جونز يوما بيوم كما كان يفعل عندما كان الجزء الأكبر من رأسماله موضوعا فى الأسهم .

سار العمل على نحو جيد فى النصف الأول من العام . حتى قدر هابيل توقعاته لربحه السنوى بما يزيد على ٢٥ ألف دولار لعام ١٩٢٩ ، وقد حرص دائما على إعلام ديفيز ليروى بما يجرى من تطورات .

ولكن عندما ضرب الانهيار الاقتصادى البلاد فى شهر أكتوبر انخفضت نسبة الإشغال فى الفندق إلى النصف . وقد اتصل هابيل بديفيز ليروى هاتفيا يوم الثلاثاء الأسود . وقد جاء صوت الرجل الجنوبى محبطا ومشغول الفكر حتى أنه لم يكن قادراً على اتخاذ أى قرار بشأن تخفيض عمالة الفندق والذى كان هابيل يرى فى ذلك الوقت أنه أمر لا مفر منه .

قال الرجل : " تماسك يا هابيل سوف أحضر إليك فى الأسبوع المقبل ، سوف نفكر سويا فى حل ؛ أو سوف نسعى لذلك " .

لم يكن وقع العبارة جيدا على هابيل .

" ما هى المشكلة يا ديفيز ؟ هل هناك ما يمكن أن أسديه لك ؟ " .

" ليس فى الوقت الراهن " .

بقى هابيل متحيرا : " لم لا يمكنك أن تفوضنى فى الأمر وسوف أمنحك تقريرا وافيا عندما تحضر إلينا فى الأسبوع المقبل ؟ " .

" إن الأمر ليس بهذه البساطة يا هابيل . وأنا لا أحب أن أناقش مشاكلى عبر الهاتف ولكن البنك يثير بعض المشاكل بسبب خسارتى فى سوق المال وقد هددونى ببيع سلسلة الفنادق إن عجزت عن توفير المال اللازم لتغطية ديونى " .



سرت البرودة فى جسم هابيل .

واصل ديفيز حديثه بنبرة غير مقنعة : " ليس هناك ما يدعوك للقلق يا بنى ، سوف أوافيك بالتفاصيل فور وصولى إلى شيكاغو فى الأسبوع المقبل . أنا واثق من أننا سوف ننجح فى إصلاح الأمر عندها " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهى تغلق وشعر بأن جسده كله بدأ يتصبب عرقا . كان أول رد فعل له هو أنه أخذ يتساءل كيف يمكن أن يساعد ديفيز . اتصل بكورتيس فنتون واستطاع أن يتعرف من خلاله على اسم الرجل المصرفى المتصرف فى مجموعة ريكموند شاعرا بأن الأمور يمكن أن تكون أخف وطأة على صاحبه فقط إن نجح فى مقابلته .

اتصل هابيل بديفيز عدة مرات على مدى الأيام التالية لكى يخبره بأن الوضع يسير من سيىء إلى أسوأ وبأنه يجب أن يتخذ قرارات ، ولكن الرجل العجوز بدا مشغولا أكثر فأكثر وغير مستعد لاتخاذ أية قرارات حازمة . عندما بدأت الأمور تخرج عن نطاق السيطرة ، اتخذ هابيل قراراً وطلب من السكرتيرة أن تتصل بالرجل المتصرف فى فندق ريكموند هاتفيا .

سألت : " ما اسم الرجل الذى تريد أن تتصل به يا سيد روزنوفسكى ؟ " .

نظر هابيل إلى الاسم المدون علىقطعة من الورق أمامه وكرر الاسم فى حزم :

" سوف أصلك به " .

قال صوت آمر : " صباح الخير ، هل يمكن أن أساعدك ؟ " .

بدأ هابيل حديثه فى تردد : " أتمنى ذلك : اسمى هابيل روزنوفسكى ، أنا مدير فندق ريكموند شيكاغو وأريد أن أحدد موعداً لمقابلتك ومناقشة مستقبل مجموعة ريكموند " .

قال الرجل فى لهجة أنيقة : " ولكننى لا أملك سلطة التعامل مع أى شخص باستثناء السيد ديفيز ليروى " .

قال هابيل: " ولكننى أملك خمسة وعشرين بالمائة من مجموعة ريكموند " .

" إذن يجب أن تدرك أنك إلى أن تملك واحداً وخمسين بالمائة من المجموعة فأنت لا تملك حق التعامل مع البنك ما لم يفوضك السيد ديفيز ليروى " .

" ولكنه صديقى المقرب ــــ " .

" أنا واثق من هذا يا سيد روزنوفسكى " .

" ......... ولكننى أسعى للمساعدة " .

" هل فوضك السيد ليروى فى تمثيله ؟ " .

" كلا ، ولكن ــــ " .

" إذن أنا آسف ، فلا يسعنى أن أواصل الحديث معك بدون هذا التفويض " .

قال هابيل ثم شعر بعدها على الفور بالندم على ما تفوه به : " ألا يمكنك أن تساعدنى قليلا ؟ " .

" لابد أنك تنظر إلى الأمر بهذه الطريقة يا سيد روزنوفسكى . عمت صباحا يا سيدى ."

" لتذهب إلى الحجيم " ، قالها هابيل فى نفسه وهو يصفع سماعة الهاتف ، وقد ساده الاضطراب لأنه ربما يكون قد أضر أكثر مما أفاد . ما الذى يجب أن يفعله الآن ؟

لم ينتظر طويلا إلى أن عثر على الإجابة .



وفى مساء اليوم التالى ، شاهد هابيل ميلانى فى المطعم ، لم تكن تشع ثقة كالعادة وإنما كانت تبدو مرهقة وقلقة حتى أنه كاد يسألها عن السبب ولكنه قرر عدم مخاطبتها . غادر غرفة الطعام وتوجه إلى مكتبه حيث وجد ديفيز ليروى يقف منفردا عند البهو الأمامى. كان يرتدى نفس السترة ذات المربعات التى كان يرتديها فى أول يوم رآه فيه هابيل فى فندق بلازا .

" هل ميلانى فى غرفة الطعام ؟ ".

قال هابيل : " نعم ، هى هناك . لم أكن أعرف أنك سوف تحضر اليوم يا ديفيز . سوف أعد لك الجناح الرئاسى فى الحال " .

" فقط لليلة واحدة يا هابيل وأريد أن أقابلك على انفراد " .

" بكل تأكيد " .

لم ترق نبرة صوت ديفيز وهو يقول : " على انفراد " لهابيل ." هل شكت له ميلانى ؟ هل هذا هو سبب عدم قدرته على انتزاع قرار من ديفيز على مدى الأيام القليلة الماضية ؟ " .

سار ديفيز ليروى متخطيا هابيل نحو غرفة الطعام بينما توجه هابيل إلى مكتب الاستقبال لكى يتأكد من خلو الجناح الرئاسى فى الطابق السابع عشر . كانت نصف غرف الفندق شاغرة فى هذا الوقت ، لذا لم يكن من المدهش أن يجد الجناح الرئاسى خاليا .حجز هابيل الجناح لرئيسه ثم بقى منتظرا عند مكتب الاستقبال لأكثر من ساعة . شاهد ميلانى وهى تغادر ، بدا وجهها ملطخا وكأنها كانت تبكى . تبعها والدها من غرفة الطعام بعد مرور بضع دقائق .

" أحضر لنفسك مشروباً يا هابيل ، ثم قابلنى فى جناحى " .

التقط هابيل زجاجتين من الشراب من خزانته وذهب للقاء ليروى فى جناحه فى الطابق السابع عشر وهو مازال يتساءل ما إن كانت ميلانى قد أخبرت والدها بشيء .

قال ديفيز ليروى فى لهجة آمرة : " افتح الزجاجة وصب لنفسك كأسا كبيرا يا هابيل " .

وثانية اجتاح هابيل الخوف من المجهول . بدأت راحتا يديه تتصببان عرقاً . إنه لن يفقد عمله بالطبع بسبب رغبته فى الزواج من ابنة المدير ؟ لقد جمعت الصداقة بينه وبين ليروى لأكثر من عام الآن ، كانا مقربين . لم يكن عليه أن ينتظر طويلا إلى أن يتبين الأمر .

" انته من شرابك " .

تناول هابيل شرابه دفعة واحدة وابتلع ديفيز ليروى شرابه .

" هابيل ، لقد انتهيت " . صمت ليروى وصب كأسين آخرين .

" وكذلك نصف الأمريكيين فى واقع الأمر " .

لم ينطق هابيل ، ربما لأنه لم يجد ما يقول . جلس كل منهما يحدق فى الآخر لعدة دقائق ثم بعد تناول كأس من الشراب ، كسر هابيل حاجز الصمت وقال : " ولكنك مازلت تملك أحد عشر فندقا " .

قال ديفيز ليروى : " كنت أملكها . يجب أن تستخدم الزمن الماضى الآن يا هابيل . لم أعد أملك أياً منها فقد أصبحت ملك البنك منذ الخميس الماضى " .

قال هابيل : " ولكنك أنت المالك ، لقد ورثت عائلتك هذه الفنادق على مدى جيلين " .

كانت فى حوزتنا ولكنها لم تعد كذلك . إنها الآن فى حوزة البنك . ليس هناك ما يدعونى لإخفاء الحقيقة كاملة عنك يا



هابيل ، إن هذا الشيء نفسه يحدث لكل الأمريكيين تقريبا الآن سواء من كبار أو صغار المستثمرين . منذ ما يقرب من عشر سنوات مضت ، اقترضت مليونى دولار بضمان الفنادق ، واستثمرت المال فى الأسهم والسندات ، بشكل متحفظ ومن خلال شركات ذات ثقل اقتصادى . ونجحت فى تنمية رأس المال حتى بلغ خمسة ملايين دولار ، ولعل هذا هو أحد الأسباب التى لم تكن تجعل خسارة الفنادق تزعجنى كثيرا لأن الفائدة التى كنت أحققها فى السوق كانت تغطى دائما هذه الخسارة . ولكنى اليوم لم أستطع أن أتخلص من هذه الأسهم . يمكننا أن نستخدمها كمناديل ورقية فى الفنادق الأحد عشر . على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية كنت أسعى لبيعها بأسرع ما يمكن ولكن لم يعد هناك مشترون الآن . وقد قرر البنك أن يحبس الرهن يوم الخميس الماضى " . لم يسع هابيل عندها إلا أن يتذكر أنه قد حادث الرجل المصرفى المسئول فى نفس هذا اليوم .

" معظم المتضررين من هذا الانهيار لا يملكون سوى قطع من الورق لتسديد قروضهم ولكن فى حالتى أنا فإن البنك يملك حق التصرف فى الفنادق مقابل القرض الأصلى . لذا بمجرد أن انهار السوق وضع البنك يده على الفور على الفنادق . وقد أعلمنى هؤلاء اللاعبين بأنهم سوف يبيعون المجموعة بأسرع ما يمكن " .

"هذا جنون . إنهم لن يحصلوا على شيء الآن . أما إن ساندونا خلال هذه الفترة ، فسوف يكون بوسعنا أن نمنحهم عائدا جيدا على هذا الاستثمار " .

" أعلم أنك تستطيع أن تفعل ذلك يا هابيل ولكنهم يملكون سجلا مفصلا عن تاريخى يمكن أن يلقوه فى وجهى . وقد ذهبت إلى مكتبهم الرئيسى واقترحت ذلك وشرحت لهم أنك أصبحت موجودا الآن وبأننى سوف أبذل كل وقتى وجهدى فى المجموعة

الفندقية إن وافقوا على دعمنا ولكنهم لم يبدوا أى اهتمام . وقد صدّروا لى دمية صغيرة كانت تملك كل الإجابات المحفوظة المنمقة عن التدفقات النقدية وقاعدة رأس المال والقيود المصرفية الخاصة بالديون . أقسم أننى إن استعدت نفسى ثانية فسوف أسحق هذا الرجل شخصيا ثم أسحق بنكه . أما الآن فإن أفضل ما يمكن أن نقوم به هو أن نشرب حتى الثمالة لأننى انتهيت ، أصبحت معدما ومفلسا " . قال هابيل فى هدوء : " إذن وأنا أيضا " .

" لا ، مازال أمامك مستقبل مشرق يا بنى . إن أى شخص يشترى المجموعة لن ينجح فى السير خطوة واحدة بدون إرشاداتك " .

" لقد نسيت أننى لا أملك سوى خمسة وعشرين بالمائة من المجموعة " .

ثبت ديفيز ليروى بصره على هابيل . بدا من الواضح أنه كان قد نسى بالفعل هذا الأمر .

" يا إلهى يا هابيل ! أتمنى ألا تكون قد وضعت كل مالك فى فنادقى " . بدأت المرارة تكسو صوته .

قال هابيل : " كل ما أملك ولكننى لست نادما على ذلك يا ديفيز . من الأفضل أن أخسر مع رجل حكيم بدلا من أن أفوز مع رجل أحمق " ثم صب لنفسه كأساً أخرى من الشراب .

تجمدت الدموع فى عين ديفيز ليروى : " تعلم يا هابيل أنت أفضل صديق يمكن أن يحلم الشخص به . لقد أصلحت هذا الفندق واستثمرت فيه مالك ثم أرديك أنا مفلسا فلا تشكو بكلمة . والأدهى من ذلك أن ابنتى رفضت الزواج منك ـــــ " .

قال هابيل ، وقد زاد الشراب من نبرة الشك فى صوته : " إنك لم تغضب لأنى عرضت عليها الزواج ؟ " .



إنها فتاة صغيرة حمقاء لا تدرك قيمة الأشياء عندما تراها . تريد أن تتزوج من رجل نبيل يملك سلالة من الجياد من الجنوب وثلاثة من الجنرالات فى شجرة عائلته ، أما إن كان الرجل شماليا فيجب أن يكون جده الأكبر قد وفد إلى أمريكا على متن الماى فلاور . لو كان كل من يدعى بأن له قريبا جاء على متن هذه السفينة صادقا فى قوله لكانت السفينة قد غرقت آلاف المرات قبل أن تصل إلى أمريكا . أنا حزين لأنه ليست لدىَّ ابنة أخرى لكى تتزوجها يا هابيل . لم يخدمنى أحد بهذا الإخلاص الذى خدمتنى أنت به . أنا واثق من أننى كنت سأكون فخورا بأن تكون أحد أفراد أسرتى . كان يمكن أن نشكل سويا فريقا رائعا ولكننى أراهن أنك تستطيع أن تسحقهم جميعا بنفسك . مازلت شابا ، مازال كل شيء أمامك " .

على الرغم من أنه كان فى الثالثة والعشرين من عمره ، شعر هابيل أنه مسن .

قال هابيل : " أشكرك لهذه الثقة يا ديفيز ومن الذى لا يأبه بسوق المال على أية حال ؟ إنك أفضل صديق حظيت به " .

صب هابيل لنفسه كأسا أخرى وتجرعها . كان الرجلان قد أنهيا الزجاجتين بحلول الصباح الباكر . عندما سقط ديفيز نائما فى كرسيه ، نجح هابيل فى أن يسير متعثرا إلى أن وصل إلى الطابق الحادى عشر وخلع ملابسه وراح فى سبات عميق فى فراشه . أوقظ من نوم ثقيل بطرق عنيف على بابه . كان رأسه يدور ويلف ولكن الطرق كان متواصلا وكان يعلو شيئا فشيئا . نجح بشكل ما فى النهوض من فراشه وسار إلى أن وصل إلى باب الغرفة . كان الطارق هو خادم الفندق .

قال الفتى وهو يعدو نحو البهو : " أسرع يا سيد هابيل ، أسرع " .

أسرع هابيل بارتداء ثيابه ووضع قدميه فى خفة وسار متعثرا فى الردهة لكى يلحق بالخادم الذى كان يمسك بباب المصعد له .

أخذ الخادم يكرر العبارة : " أسرع يا سيد هابيل " .

سأل هابيل ورأسه مازال يدور بينما كان المصعد يهبط فى بطء : " ولكن ما سر كل هذه العجلة ؟ " ثم تذكر حديثه المسائى مع ديفيز . ربما جاء البنك لكى يضع يده على الفندق .

" لقد ألقى أحدهم بنفسه من النافذة " .

بدأ هابيل يفيق قليلا من دواره وينتبه : " هل هو نزيل ؟ " .

قال الخادم : " نعم أظن ذلك ولكننى لست واثقا " .

توقف المصعد فى الدور الأرضى . دفع هابيل الأسوار الحديدية وهرع فى الشارع . كانت الشرطة قد وصلت بالفعل . ما كان يمكن أن يتعرف على الجثة إلا من خلال السترة المربعة التى كان يعرفها جيدا . كان أحد رجال الشرطة يدون بعض التفاصيل . اقترب منه رجل فى زى الشرطة وسأله :

" هل أنت المدير ؟ " .

" نعم " .

" هل تعرف من يكون هذا الرجل ؟ " .

قال هابيل وهو يلقى بالكلمات : " نعم اسمه ديفيز ليروى " .

" هل تعلم من أين هو أو كيفية الاتصال بذويه ؟ " .

أشاح هابيل بوجهه عن الجسد المكسور وأجاب بشكل تلقائى :

" إنه من دالاس وله ابنة اسمها ميلانى . إنها تدرس فى جامعة شيكاغو " .

" حسنا ، سوف نرسل لها شخصا لكى يخبرها بما حدث " .

قال هابيل : " كلا ، لا تفعل . سوف أذهب وأقابلها شخصيا " .



" شكرا لك . إنه من الأفضل دائما عدم سماع هذه الأخبار من شخص غريب " .

قال هابيل وقد تحرك بصره ثانية جهة جثة صديقه : " يا له من حدث فظيع مؤسف " .

قال ضابط الشرطة فى نبرة عادية وهو يغلق مفكرته السوداء : " إنه الحادث السابع فى شيكاغو اليوم ، سوف نكون بحاجة لتفحص غرفته فى وقت لاحق لا تؤجر الغرفة إلى أن نسمح لك بذلك " .

" أمرك أيها الشرطى " .

سار رجل الشرطة باتجاه سيارة الإسعاف .

شاهد هابيل الحامل النقال وهو يحمل جثة ديفيز ليروى من جوار الحائط . شعر بالبرودة تتسرب إلى ركبتيه وشعر بغصة فى حلقه . لقد خسر ثانية صديقه المقرب . ربما إن لم يكن قد أفرط فى الشراب الليلة السابقة لكان قد فكر بشكل أفضل وأنقذ صديقه . ولكنه تمالك نفسه وعاد إلى غرفته ، وأخذ حماما باردا طويلا ونجح بشكل ما فى ارتداء ملابسه . طلب بعض القهوة السوداء ثم صعد فى شيء من التردد إلى الجناح الرئيسى وأغلق الباب بالمفتاح . باستثناء زجاجتى الشراب لم يكن هناك ما يشير إلى الحادث المأساوى الذى وقع منذ دقائق . ثم وقع نظر هابيل على الخطابات الموضوعة على المنضدة الجانبية المجاورة للسرير الذى لم يكن أحد قد نام عليه . كان الخطاب الأول موجها إلى ميلانى ، أما الثانى فقد كان موجها إلى محام فى دالاس ، والثالث إلى هابيل . فتح هابيل خطابه ونجح بالكاد فى قراءة آخر كلمات ديفيز ليروى .

عزيزى هابيل

سوف أسلك الطريق الوحيد الذى بقى أمامى بعد قرار البنك . لم يبق لى شيء أعيش من أجله لأننى قد كبرت كثيرا على البدء من جديد . أريدك أن تعرف أنك الشخص الذى يستطيع أن يصنع شيئا جيدا وسط هذه الفوضى الرهيبة .

لقد أعددت وصية جديدة تركت لك فيها الخمسة وسبعين سهما المتبقية من مجموعة ريكموند . أنا أعلم أن الأسهم قد أصبحت عديمة الجدوى ولكنها سوف تؤمن لك وضعك باعتبارك المالك القانونى للمجموعة . بما أنك قد امتلكت شجاعة الإقدام على شراء ٢٥ بالمائة من أسهم المجموعة فهذا يعنى أنك تستحق أن تعقد صفقة مع البنك . لقد تركت باقى ممتلكاتى جميعا بما فى ذلك البيت لميلانى . أرجوك كن أنت الشخص الذى سيخبرها بوفاتى . لا تدع الشرطة تخبرها . كان سيشرفنى أن تكون زوجا لابنتى .

صديقك ديفيز

قرأ هابيل الخطاب مرارا وتكرارا ثم طبقه بعناية ووضعه فى حافظته .

ثم توجه إلى مقر الجامعة فى وقت متأخر من صباح نفس اليوم وأخبر ميلانى بأكبر قدر من الترفق بما وقع لأبيها . جلس فى اضطراب على الأريكة غير مدرك لما يجب أن يقوله بخصوص نبأ الوفاة المشئوم . تقبلت ميلانى الخبر بتماسك أثار دهشته كما لو



كانت تعرف أن هذا الأمر كان سيحدث ، بالرغم من أن علامات التأثر بدت واضحة عليها . لم تذرف الدمع فى وجود هابيل ، ربما فى وقت لاحق بعد مغادرته . شعر بالأسف من أجلها لأول مرة فى حياته .

عاد هابيل إلى الفندق وقرر ألا يتناول الغداء وتناول كأسا من عصير الطماطم بدلا منه وشرع فى الاطلاع على بريده الخاص . كان هناك خطاب من كورتيس فنتون من الكونتيننتال تراست . من الواضح أن ذلك اليوم كان يوم الخطابات . كان فنتون قد تلقى إخطارا بأن بنك كين وكابوت فى بوسطن قد تولى المسئولية المالية لمجموعة ريكموند . كان العمل سيسير كالمعتاد فى الوقت الراهن إلى أن يعقد لقاء مع السيد ديفيز ليروى لمناقشة مصير الفنادق الأحد عشر فى المجموعة . جلس هابيل يتأمل الكلمات ، وبعد كوب ثان من عصير الطماطم ، كتب خطابا لرئيس بنك كين وكابوت السيد آلان ليويد . وقد تلقى ردا على الخطاب بعد مرور خمسة أيام يطلب الرئيس منه حضور لقاء فى بوسطن فى الرابع من شهر يناير لمناقشة تصفية المجموعة مع المدير المسئول عن التفليس . كانت الفترة الفاصلة بين تلقى الخطاب والموعد المرتقب سوف تمنح البنك وقتا كافيا لتبين تداعيات وفاة السيد ليروى المفاجئة والمأساوية .

قال هابيل بصوت مرتفع غاضب : " المفاجئة والمأساوية ؟ ومن الذى تسبب فى هذه الوفاة ؟ " ، وهو يتذكر كلمات ديفيز ليروى : " لقد صدروا لى دمية صغيرة ، أقسم أننى لو استعدت نفسى ثانية سوف أسحقه شخصيا وأسحق بنكه " .

قال هابيل بصوت مرتفع : " لا تقلق يا ديفيز ، سوف أفعل هذا نيابة عنك " .

أدار هابيل فنادق ريكموند كونتيننتال على مدى الأسابيع الأخيرة من العام وفق سياسة صارمة للعاملين والأسعار لكى ينجح بالكاد فى الاستمرار . لم يسعه إلا أن يفكر فى أحوال العشرة فنادق المتبقية من المجموعة ولكنه لم يكن يملك من الوقت ما يسمح له بمعرفة ما يجرى فيها كما أنها لم تكن مسئوليته على أية حال .

# الفصل السابع عشر

فى الرابع من يناير عام ١٩٣٠ ، وصل هابيل روزنوفسكى إلى بوسطن . وركب سيارة أجرة لتقله من المحطة إلى بنك كين وكابوت حيث وصل قبل الموعد المحدد بدقائق . جلس فى غرفة الاستقبال التى كانت أكبر وأكثر زينة من أي غرفة نوم فى فندق شيكاغو ريكموند . بدأ يطالع صحيفة وول ستريت . " العام ١٩٣٠ سوف يكون عاما أفضل " ؛ كانت الصحيفة تحاول أن تهدئ من روع الناس . ولكنه لم يكن واثقا من ذلك . جاءت سيدة فى بداية منتصف العمر إليه وقالت : " السيد كين سوف يقابلك الآن يا سيد روزنوفسكى " .

نهض هابيل وسار خلفها فى رواق طويل إلى أن وصل إلى غرفة صغيرة من خشب البلوط ذات مكتب كبير مغطى بالجلد كان يجلس وراءه رجل طويل وسيم . اعتقد هابيل أنه فى مثل سنه . كانت عيناه فى زرقة عين هابيل . كانت هناك صورة معلقة على الجدار خلفه لرجل عجوز كان الشاب الجالس خلف المكتب يشبهه كثيرا .

" أراهن أنه أبوه " قالها هابيل بمرارة فى نفسه . سوف ينجو من الانهيار بكل تأكيد ، إن البنوك هى الطرف الفائز الوحيد فى كل الأحوال .

قال الشاب الصغير ، وهو ينهض ويمد يده لهابيل : " اسمى ويليام كين . تفضل بالجلوس يا سيد روزنوفسكى " .

قال هابيل : " أشكرك " .

أخذ ويليام يحدق فى الشاب الصغير فى حلته التى لم تكن تناسبه تماما ولكنه لاحظ أيضا نظرة التصميم فى عينيه . واصل الرجل المصرفى ذو العيون الزرقاء : " ربما تسمح لى بأن أوافيك بآخر تطورات الموقف من وجهة نظرى " .

" بالطبع " .

بدأ ويليام حديثه وهو يكره هذه المقدمة المصطنعة : " إن وفاة السيد ليروى المفاجئة غير المتوقعة ... " .

قال هابيل لنفسه : " التى تسببتهم فيها بتشبثكم وقسوتكم " .

" يبدو أنها جعلتك تتحمل عبء إدارة مجموعة ريكموند لحين عثور البنك على مشتر للفنادق . بالرغم من أن مائة بالمائة من أسهم الفنادق أصبحت فى حوزتك الآن والمؤلفة من أحد عشر فندقا ، والتى كانت تعمل كضمان لقرض السيد ليروى الذى تبلغ قيمته مليونى دولار ، فإن هذا لا يحملك أية مسئولية على الإطلاق فى ظل الظروف الراهنة ويمكنك أن تنأى بنفسك عن هذا الأمر تماما وسوف نتفهم ذلك جيدا " .

كان ويليام يعتبره اقتراحا مهينا ولكن كان يجب أن يطرح .

قال هابيل فى سريرته : " إن التصرف الذى يمكن أن يتوقعه رجل مصرفى فى مثل هذه الظروف هو أن ينجو المرء بنفسه وينأى عن المشاكل " .



واصل ويليام كين حديثه قائلا : " إلى أن يتم سداد دين البنك الذى يصل إلى مليونى دولار ، أخشى أنه لا يسمح بتصفية أو التصرف فى ممتلكات السيد ليروى. نحن فى البنك نقدر الجهد الذى تبذله فى المجموعة لذا لم نتخذ أى إجراء بشأن البنك لحين التحدث معك شخصيا . ربما تكون على دراية بطرف يرغب فى شراء المجموعة بما أن الأبنية والأرض والعمل نفسه يعتبر من الأصول القيمة " .

قال هابيل وهو يمرر يده المنهكة فى شعره الغزير الأسود : " ولكنه ليس قيما بما يكفى لكى أحظى بمساندة البنك . كم من الوقت سوف تمنحنى لكى أعثر على مشتر ؟ " .

تردد ويليام للحظة عندما وقع نظره على السوار الفضى الذي يحيط بمعصم روزنوفسكى . لقد سبق وشاهد هذا السوار من قبل ولكنه لم يتذكر المكان الذى شاهده فيه . " سوف نمنحك ثلاثين يوما . يجب أن تدرك أن البنك يتحمل عبء الخسارة اليومية التي تتكبدها عشرة فنادق من بين أحد عشر فندقا . إن فندق ريكموند شيكاغو فقط هو الذى يحقق قدرا من الربح " .

قال هابيل : " إن منحتمونى الوقت والمساندة يا سيد كين ، يمكن أن أحيل المجموعة كاملة إلى مكسب حقيقى . أعلم أننى أملك هذه القدرة . فقط امنحنى فرصة إثبات ذلك يا سيدى " . شعر أن الكلمة الأخيرة قد تعثرت فى حلقه .

قال ويليام : " هذا هو ما أكده لنا السيد ليروى عندما جاء للقائنا فى الخريف الماضى . ولكن هذه أوقات عصيبة وليس هناك من يستطيع التنبؤ بأن الأعمال الفندقية سوف تسير على ما يرام كما أننا لسنا متخصصين فى مثل هذه الأمور ، يا سيد روزنوفسكى ، نحن رجال بنوك " .

كان هابيل قد بدأ يفقد أعصابه من هذا الشاب المرفه " هذه الدمية الصغيرة " الذى يرتدى ثيابا منمقة . لقد كان ديفيز محقا
قال هابيل : " سوف يكون هذا وقتا عصيبا بالفعل بالنسبة لطاقم العاملين فى الفندق . ما الذى سيلحق بهم إن هدمت البناء فوق رؤوسهم ؟ ما الذى تظن أنه سوف يحدث لهم ؟ " .

" أخشى أن هذه ليست مسئوليتنا يا سيد روزنوفسكى . يجب أن أتخذ القرار الذى يخدم مصلحة البنك " .

قال هابيل فى عصبية : " بل القرار الذى يخدم مصالحك أنت الشخصية يا سيد كين " .

تفجرت الدماء فى وجه ويليام : " هذه ملحوظة غير عادلة يا سيد روزنوفسكى وكنت سأستاء منها كثيرا لو لم أكن مقدرا تماما لما تمر به " .

قال هابيل : " يؤسفنى كثيرا أن تفهمك للوضع لم يكن مواتيا للسيد ديفيز ليروى ، كان يمكن أن يستفيد من هذا التفهم . لقد قتلته يا سيد كين ، تماما كما لو كنت دفعته من النافذة بنفسك ، دفعته أنت وزملاؤك المبجلون وأنتم جالسون هنا فوق المقاعد الوثيرة بينما نتصبب نحن العرق ونبذل الجهد لضمان انتزاع أكبر قدر من الربح فى أوقات الرخاء والمقايضة على البشر فى أوقات الشدة " .

بدأ ويليام عندها يفقد أعصابه هو الآخر . ولكن بخلاف هابيل روزنوفسكى فقد أخفى مشاعره : " إن هذا الحديث لن يقودنا إلى شيء يا سيد روزنوفسكى .يجب أن ألفت نظرك إلى أنك إن لم تعثر على مشتر فى غضون ثلاثين يوما ؛ فلن يبقى أمامى أى خيار سوى طرح الفنادق فى المزاد العلنى للبيع " .

قال هابيل فى سخرية : " إذن عليك أن تنصحنى بأن أقترض من بنك آخر ؟ أنت تعرف سجلى ولكنك ترفض مساندتى ؛ أنت واثق من أنك تضعنى فى مأزق ؟ " .



قال ويليام : " أنا آسف . تصرف وفق ما ترى . لقد كانت تعليمات مجلس الإدارة واضحة وهى تصفية حسابك بأسرع ما يمكن وهذا تحديدا ما أنا عازم على فعله . احرص على الاتصال بى فى موعد أقصاه الرابع من فبراير وأعلمنى إن كنت قد عثرت على أى مشتر . عمت صباحا يا سيد روزنوفسكى " .

قام ويليام من خلف مكتبه ومد يده ثانية ولكن هابيل تجاهلها فى هذه المرة وسار مباشرة نحو الباب .

" لقد كنت واثقا أننا بعد حديثنا الهاتفى يا سيد كين قد تشعر بالحرج وتمد لى يد المساعدة ولكننى كنت مخطئا ، فأنت لا تعرف الرحمة . عندما تؤوى إلى فراشك ليلا ؛ يا سيد كين ؛ تذكرنى جيدا وعندما تستيقظ فى الصباح تذكرنى ثانية لأننى لن أكف عن ملاحقتك " .

وقف ويليام مقطب الوجه أمام الباب المغلق . كان السوار الفضى يقلقه ؛ أين رآه من قبل ؟

عادت سكرتيرة ويليام وقالت : " ياله من شاب كريه " .

قال ويليام : " كلا إنه ليس كذلك إنه يعتقد أننا قتلنا شريكه فى العمل وهو يرى الآن أننا نقضى على شركته بدون أدنى تفكير فى حال موظفيه ؛ ناهيك عنه هو شخصيا ؛ فى الوقت الذى أثبت فيه بالفعل كفاءة فى العمل . لقد كان السيد روزنوفسكى على العكس مهذبا للغاية نظرا للظروف التى تحيط به ، ويجب أن أقر أننى شعرت بالأسف لأن مجلس الإدارة قرر عدم مساندته " .

رفع ويليام وجهه ونظر إلى سكرتيرته .

" اتصلى بالسيد كوهين " .

# الفصل الثامن عشر

عاد هابيل إلى شيكاغو فى صباح اليوم التالى وهو مازال مشغول الفكر وحانقا على ويليام كين . لم يلتفت إلى ما كان يصيح به بائع الجرائد بينما وقف لاستدعاء سيارة أجرة وركب فى المقعد الخلفى .

" فندق ريكموند من فضلك " .

سأله السائق وهو يسير نحو شارع ستيت : " هل أنت صحفى ؟ "

قال هابيل : " لا ، ما الذى جعلك تطرح علىَّ مثل هذا السؤال ؟ "

" لأنك طلبت الذهاب إلى فندق ريكموند . كل الصحفيين قد توافدوا إلى هناك اليوم " .

فكر هابيل : ليس هناك حدث يمكن أن يجتذب الصحفيين إلى هناك اليوم .

استطرد السائق حديثه قائلا : " إن لم تكن صحفيا فيمكننى ان أصحبك إلى فندق آخر " .





سأل هابيل وهو أكثر دهشة : " لماذا ؟ "

" حسنا ، إنك لن تحظى بنوم جيد هناك فقد احترق الفندق عن آخره اليوم " .

بينما انحدرت السيارة فى جانب الطريق ، وجد هابيل نفسه أمام ركام فندق ريكموند شيكاغو . كانت سيارات الشرطة والإطفاء وألواح الخشب والماء تغمر الشارع . خرج من السيارة وأخذ يحدق فى بقايا لافتة مجموعة ديفيز ليروى .

إن البولندى حكيم عند نزول المصائب .. هذا هو ما جال بخاطر هابيل وهو يقبض بيده ويطرق بها ساقه العرجاء بعنف . لم يشعر بألم ، لم يبق لديه ما يشعر به .

صاح بصوت مرتفع : " أيها الملاعين ! لقد كنت أقل من هذا من قبل وسوف أهزمكم جميعا . الألمان والروس والأتراك وكين اللعين . الجميع . سوف أهزم الجميع . لا أحد يستطيع أن يقهر هابيل روزنوفسكى " .

رأى مساعد المدير هابيل وهو يتوعد بجوار السيارة الأجرة فأسرع نحوه ، حيث أجبره هابيل على الاحتفاظ بهدوئه .

وسأله : " هل خرج الجميع بسلام ؟ "

" نعم ، الحمد لله ، كان الفندق خاليا تقريباً ، لذا لم يكن إخراج الجميع أمرا صعبا . هناك فقط إصابة بسيطة أو اثنتين وبعض الحروق . لقد نقلوا إلى المستشفى ولكن ليس هناك ما يدعوك للقلق " .

" جيد . لقد نجا الجميع على الأقل . الحمد لله أن الفندق مؤمن عليه بأكثر من مليون دولار على حد علمى . يمكننا على الأقل أن نحيل هذه الكارثة إلى مكسب " .

" هذا إن لم يكن ما نشر فى الجرائد الصباحية صحيحا " .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "
أجاب مساعد المدير : " أفضل أن تقرأه بنفسك أيها المدير " .
سار هابيل إلى أقرب متجر لبيع الصحف ودفع سنتين وحصل على نسخة من آخر طبعة لجريدة التريبيون شيكاغو . كان العنوان الرئيسى يقص القصة كاملة :

**احتراق فندق ريكموند .. هل حرق عمدا ؟**

هز هابيل رأسه فى ارتياب وأعاد قراءة العنوان .
تمتم قائلا : " هل يمكن أن يحدث ما هو أكثر من ذلك ؟ "
سأل بائع الصحف : " هل هناك مشكلة ؟ "
" مشكلة صغيرة " قالها هابيل ثم سار عائدا إلى مساعد المدير .
" من هو المسئول عن تحقيقات الشرطة ؟ "
قال مساعد المدير وهو يشير إلى رجل طويل مصاب بصلع مبكر : " هذا الشرطى هناك الذى يميل على سيارة الشرطة . اسمه الملازم أومالى " .
قال هابيل : " حسناً ، والآن انقل كل طاقم العمل فى الملحق وسوف أقابلهم غدا فى العاشرة صباحا . إن أراد أى منهم أن يرانى قبل هذا الموعد فسوف أكون فى فندق ستيفنز إلى أن أتدبر هذا الأمر " .
" أمرك أيها المدير " .
سار هابيل نحو الملازم أومالى وقدم نفسه إليه .
انحنى رجل الشرطة الاحتياطى الطويل قليلا لكى يصافح هابيل
" لقد عاد الرئيس السابق المفقود إلى أطلاله المحترقة " .
قال هابيل : " لا أجد هذا مثيرا للضحك أيها الضابط " .



قال الشرطى : " آسف . إنه ليس مضحكا . لقد كانت ليلة طويلة . دعنا نذهب ونحتسى الشراب " .
أمسك الشرطى مرفق هابيل وقاده عبر شارع ميتشيجين آفينيو إلى أحد المطاعم الصغيرة فى الزاوية . طلب الملازم أومالى اثنين من مخفوق اللبن .
ضحك هابيل عندما وضع المزيج الأبيض الرغوى أمامه . بما أنه لم يسبق له أن عاش طفولته من قبل فقد كان هذا هو أول مزيج لبن يشربه .
قال المحقق : " أعرف . هذا مضحك ، الكل فى هذه المدينة يخرق القوانين ويتناول البوربون والجعة ، لذا يجب أن يكون هناك شخص ملتزم بالقوانين . على أية حال إن الحظر لن يدوم إلى الأبد وعندها سوف تبدأ مشاكلى لأن المجرمين سوف يكتشفون أننى بالفعل أحب مخفوق اللبن " .
ضحك هابيل للمرة الثانية .
" والآن دعنا نناقش مشاكلك أنت يا سيد روزنوفسكى . أولا دعنى أخبرك بأننى لا أظن أنك تملك ولو أملا ضئيلا فى الحصول على قيمة التأمين على الفندق . لقد تفحص خبراء الإطفاء بقايا البناء وقاموا بتمشيطه واكتشفوا أنه كان غارقا بالكيروسين . لم تكن هناك حتى محاولة لإخفاء هذه الحقيقة . كما عثروا على آثار لطاقم العاملين فى كل أنحاء الدور تحت الأرضى . كان عود ثقاب واحد كافيا لإحراق المبنى كاملا مثل الشمعة " .
سأل هابيل : " هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يكون متورطا ؟ "
" دعنى أطرح الأسئلة . هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يحمل ضغينة ضد الفندق أو ضدك أنت شخصيا ؟ "

تنحنح هابيل : " هناك ما يقرب من خمسين شخصا أيها الملازم يتربصون بنا . لقد طردت كل هذه الزمرة الفاسدة كاملة فور وصولى إلى الفندق . يمكننى أن أعد لك قائمة بالأسماء إن كان هذا سيساعدك " .

قال الملازم : " أعتقد ذلك ولكن بالطريقة التى يدور بها الحديث فى الخارج فقد لا أكون بحاجة إليها ، إلا أنك إذا توصلت إلى أية معلومة محددة ، أعلمنى بها يا سيد روزنوفسكى . أعلمنى بها لأننى يجب أن أحذرك من أن لك أعداء يتربصون بك هنا " . ثم أشار إلى الشارع الذى كان يعج بالمارة .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "

" البعض يقولون إنك قد فقدت كل شيء أثناء الأزمة الاقتصادية وأنك بحاجة إلى أموال التأمين " .

انتفض هابيل من فوق مقعده .

" هدئ من روعك ، هدئ من روعك . أعلم أنك كنت فى بوسطن طوال اليوم ولكن الأهم من ذلك هو أننى أؤكد لك أننى سوف أعثر على الفاعل . إذن دعنا من هذا الأمر الآن " . ثم نهض من فوق مقعده : " سأسدد أنا ثمن مخفوق اللبن يا سيد روزنوفسكى . أنتظر أن تسدى لى خدمة فى وقت ما فى المستقبل " .

بينما كان الرجلان يسيران نحو الشارع ، ابتسم الشرطى لإحدى الفتيات عند سجل الحساب حيث أبدى إعجابه بكاحلها وأبدى تذمره من التنورات الطويلة الجديدة . أعطاها خمسين سنتا وقال لها : " احتفظى بالباقى يا عزيزتى " .

قالت الفتاة : " شكرا جزيلا " .

قال الملازم " لا أحد يقدرنى " .



ضحك هابيل للمرة الثالثة وهو ما ظن أنه لم يكن ممكنا منذ ساعة مضت .

استطرد الملازم حديثه وكانا قد وصلا وقتها عند الباب : " هناك شيء آخر . إن رجال التأمين يبحثون عنك . لا أستطيع تذكر اسم الرجل ولكن أعتقد أنه سوف يعثر عليك . تعامل معه جيدا . إن شعر أنك كنت متورطا ، من الذى يمكن أن يلومه ؟ ابق على اتصال بى يا سيد روزنوفسكى . سوف أحادثك ثانية " .

رأى هابيل الملازم وهو يختفى وسط زحام المشاهدين ثم سار ببطء إلى فندق ستيفنز وحجز لنفسه ليلة هناك . لم يملك موظف الاستقبال الذى كان قد سجل معظم نزلاء فندق ريكموند لديه منع نفسه من الابتسام من فكرة حجز غرفة للمدير شخصيا .

ما إن استقر هابيل داخل غرفته ، جلس وكتب خطابا رسميا للسيد ويليام كين ، أخبره فيه تفصيليا بكل المعلومات التى كان يعرفها عن الحريق وبأنه عازم على استغلال وقت فراغه غير المتوقع بالقيام بجولة فى باقى فنادق المجموعة . لم يكن هابيل يرى أي جدوى من أن يبقى ليحوم حول ركام ريكموند شيكاغو منتظراً أن يأتى أحدهم ويسدد ديونه .

بعد تناول إفطار أنيق فى فندق ستيفنز فى صباح اليوم التالى - كان هابيل يسعد دائما بالإقامة فى فنادق ذات خدمة متميزة - سار لمقابلة كورتيس فنتون فى كونتيننتال تراست لكى يعلمه بما كان من بنك كين وكابوت أو بشكل أدق لكى يخبره بما فعله ويليام كين . بالرغم من أن هابيل شعر بأن طلبه ليس منطقيا ، فقد أضاف بأنه يبحث عن مشتر لمجموعة فنادق ريكموند بمبلغ مليونى دولار .

قال فنتون وهو يبدو أكثر إيجابية مما توقع هابيل : " إن هذا الحريق لن يساعدنا بحال ، ولكننى سوف أبذل جهدى . عندما

اشتريت خمسة وعشرين بالمائة من الأسهم من السيدة ليروى ، أخبرتك وقتها بأن الفنادق بمثابة أصول قيمة وبأنك قد عقدت صفقة رابحة . وبالرغم من الانهيار الاقتصادى فإننى لا أرى أن هناك ما يدعونى لتغيير رأيى فى هذا الأمر يا سيد روزنوفسكى . لقد راقبتك وأنت تدير الفندق على مدى عامين وأنا على استعداد لمساندتك إن ترك الأمر لحكمى الشخصى ولكننى أعلم أن البنك لن يسمح بمساندة مجموعة ريكموند . لقد راقبنا الوضع المالى لمجموعة الفنادق على مدى فترة ممتدة مما جعلنا نفقد الأمل فى مستقبل المجموعة ، ومع ذلك فلدىَّ بعض الاتصالات الخارجية التى يمكن أن أجريها وأسعى لمساعدتك . أنت تملك من المعجبين فى المدينة ما يفوق ما تعرفه يا سيد روزنوفسكى " .

بعد تعليق الملازم أو مالى ، كان هابيل يشك إن كان لديه أى أصدقاء بالمرة فى شيكاغو . شكر كورتيس فنتون وعاد إلى قسم الصرف وسحب ٥٠٠٠ دولار من حساب الفندق ، وقضى باقى يومه فى ملحق ريكموند . أعطى كل فرد من أفراد طاقم العمل راتب أسبوعين وأخبرهم بأنه يمكنهم البقاء فى الملحق لشهر واحد على الأقل أو إلى أن يعثروا على وظيفة جديدة . ثم عاد هابيل بعدها إلى فندق ستيفنز وحزم ملابسه الجديدة التى اضطر لشرائها بعد الحريق وأعد نفسه لجولة يتفقد فيها باقى فنادق مجموعة ريكموند .

قاد سيارته البويك التى كان قد اشتراها بعد انهيار سوق المال مباشرة وبدأ بفندق ريكموند سانت لويز . استغرقت جولته على سلسلة الفنادق ما يقرب من أربعة أسابيع ، وبالرغم من أن كل الفنادق كانت تعانى من الخسارة بدون استثناء ، فإن أياً منها من وجهة نظر هابيل لم يكن حالة ميئوساً منها . كانت جميع الفنادق تتمتع بموقع جيد بل إن بعضها كان يحتل أفضل موقع فى



المدينة . لابد أن ليروى الأكبر كان أكثر حنكة من ابنه ، تفحص بوليصة التأمين الخاصة بكل فندق بعناية ، لم تكن هناك مشكلة فى ذلك . عندما وصل أخيرا إلى فندق دالاس ريكموند ، كان واثقا من شيء واحد فقط هو أن أى شخص سوف ينجح فى شراء المجموعة بمليونى دولار سوف يكون قد عقد صفقة جيدة . تمنى لو كان يمكن أن يحصل على فرصة لأنه كان يعرف تحديدا ما ينبغى عليه عمله لإنجاح المجموعة .

فور عودته إلى شيكاغو ، عاد هابيل ثانية إلى فندق ستيفنز ، كان هناك العديد من الرسائل فى انتظاره . كانت هناك رسالة من الملازم أومالى يرجوه فيها الاتصال به وكذلك ويليام كين وكورتيس فنتون وأخيرا رسالة من رجل يدعى هنرى أوسبورن .

بدأ هابيل بالاتصال القانونى ، أجرى اتصالا هاتفيا قصيرا مع أومالى ووافق على تحديد موعد للقائه فى نفس المكان فى شارع ميتشجن . ثم جلس على أحد المقاعد وأدار ظهره للمنضدة وأخذ يحدق إلى ركام وحطام فندق ريكموند وهو فى انتظار الملازم أومالى . وصل أومالى متأخرا بضع دقائق ولكنه لم يكبد نفسه عناء الاعتذار وجلس فى المقعد المجاور لهابيل واستدار لكى يكون فى مواجهته .

سأل هابيل : " لم نتقابل بهذه الطريقة " .

قال الملازم : " أنت مدين لى بخدمة ، ولا أحد فى شيكاغو يمكن أن يفلت من دين لبن أومالى المخفوق " .

طلب هابيل اثنين من مخفوق اللبن ؛ أحدهما بالحجم العادى والآخر بالحجم الكبير .

سأل هابيل : " ما الذى توصلت إليه ؟ "

" لقد كان خبراء الحرائق على حق - لقد كان الحريق متعمدا بالفعل . وقد قبضنا على رجل يدعى ديسموند باسى . اكتشفنا أنه

كان المدير السابق لفندق ريكموند . لقد حضرت ذلك العهد ، أليس كذلك ؟ "

" للأسف نعم " .

" ولم تقول ذلك ؟ "

لأن باسى فصل من العمل فى الفندق لأنه كان يسرق أموال الفندق . وقد هددنى بالفعل بأنه سوف ينال منى حتى إن كان هذا هو آخر ما سوف يفعله فى حياته . ولكننى لم آبه بما يقول ؛ لقد واجهت الكثير من التهديدات فى حياتى أيها الملازم مما جعلنى لا أكترث بها كثيرا خاصة عندما تصدر من شخص مثل باسى " .

" حسنا ، ولكن يجب أن أخبرك بأننا نتعامل معه بجدية وكذلك رجال التأمين ، لأننى علمت بأنهم لن يدفعوا مليما واحدا إن ثبت أى تواطؤ بينك وبين باسى فى الحريق " .

قال هابيل : " هذا كل ما أريد أن أعرفه الآن . ولكن كيف تأكدت من أن باسى هو الفاعل ؟ "

" لقد اكتشفنا أنه كان فى قسم الحوادث فى المستشفى المحلى فى نفس يوم وقوع الحريق وذلك من خلال الفحص الدورى لمعرفة أسماء الأشخاص الذين نقلوا إلى المستشفى فى ذلك اليوم من المصابين بحروق خطيرة . وقد اكتشفنا مصادفة - وهو ما يحدث كثيرا فى قسم الشرطة لأننا لسنا جميعا شيرلوك هولمز - وجوده هناك من خلال زوجة أحد رجال الشرطة التى سمعت اسمه . كانت تعمل نادلة فى فندق ريكموند وأخبرتنا بأن الرجل كان يعمل مديرا للفندق . وقد استطعت أن أربط الخيوط ببعضها . وقد وقع الرجل بسهولة ولم يبذل جهدا فى إخفاء جريمته بل إنه كان يتباهى بإطلاق اسم مذبحة سانت فالنتي على يوم الحريق . حتى بضع دقائق مضت لم أكن واثقا من دافع الانتقام ولكننى أعرف ذلك جيدا



الآن ومع ذلك فأنا لست مندهشا . هذا هو حل اللغز يا سيد روزنوفسكى " .

واصل الملازم شرب المخفوق إلى أن تأكد أن الكوب قد فرغ من آخر نقطة بداخله .

سأل هابيل : " هل تريد كأسا آخر من مخفوق اللبن ؟ "

" كلا . سوف أكتفى بهذ القدر . مازال أمامى يوم عمل شاق " .

ثم قام واقفا : " حظا سعيدا يا سيد روزنوفسكى . إن استطعت أن تقنع رجال التأمين بأنك لم تكن متواطئا مع السيد باسى ، فسوف تحصل على مالك . سوف أبذل جهدى لمساعدتك إن وصل الأمر للقضاء . احرص على الاتصال بى " .

شاهده هابيل وهو يختفى عبر الباب . أعطى النادلة دولارا ثم وقف بالخارج إلى جانب الطريق وأخذ يحدق فى الفضاء ، فى الفضاء الذى كان يقف فيه فندق ريكموند منذ أقل من شهر مضى . ثم استدار وسار عائدا على فندق ستيفنز .

كانت هناك رسالة أخرى قد تركها له هنرى أوسبورن ولكن بدون أيضا أن يشير إلى صفته . كانت هناك وسيلة واحدة فقط لاكتشاف الأمر . اتصل هابيل بأوسبورن الذى اكتشف أنه كان أحد المحققين فى شركة جريت وسترن ، إحدى شركات التأمين الكبرى ضد الحوادث والتى كانت قد أمنت على الفندق . حدد هابيل موعدا للقاء السيد أوسبورن فى الظهيرة . ثم اتصل بعدها بويليام كين فى بوسطن ومنحه تقريرا عن الفنادق بعد زيارته للمجموعة كاملة .

" أريد أن أكرر ثانية يا سيد كين ، بأننى يمكن أن أحيل خسائر الفنادق إلى مكاسب إن وافق بنكك على منحى الوقت الكافى

# الفصل الثامن عشر

عاد هابيل إلى شيكاغو فى صباح اليوم التالى وهو مازال مشغول الفكر وحانقا على ويليام كين . لم يلتفت إلى ما كان يصيح به بائع الجرائد بينما وقف لاستدعاء سيارة أجرة وركب فى المقعد الخلفى .

" فندق ريكموند من فضلك " .

سأله السائق وهو يسير نحو شارع ستيت : " هل أنت صحفى ؟ "

قال هابيل : " لا ، ما الذى جعلك تطرح علىَّ مثل هذا السؤال ؟ "

" لأنك طلبت الذهاب إلى فندق ريكموند . كل الصحفيين قد توافدوا إلى هناك اليوم " .

فكر هابيل : ليس هناك حدث يمكن أن يجتذب الصحفيين إلى هناك اليوم .

استطرد السائق حديثه قائلا : " إن لم تكن صحفيا فيمكننى ان أصحبك إلى فندق آخر " .





سأل هابيل وهو أكثر دهشة : " لماذا ؟ "

" حسنا ، إنك لن تحظى بنوم جيد هناك فقد احترق الفندق عن آخره اليوم " .

بينما انحدرت السيارة فى جانب الطريق ، وجد هابيل نفسه أمام ركام فندق ريكموند شيكاغو . كانت سيارات الشرطة والإطفاء وألواح الخشب والماء تغمر الشارع . خرج من السيارة وأخذ يحدق فى بقايا لافتة مجموعة ديفيز ليروى .

إن البولندى حكيم عند نزول المصائب .. هذا هو ما جال بخاطر هابيل وهو يقبض بيده ويطرق بها ساقه العرجاء بعنف . لم يشعر بألم ، لم يبق لديه ما يشعر به .

صاح بصوت مرتفع : " أيها الملاعين ! لقد كنت أقل من هذا من قبل وسوف أهزمكم جميعا . الألمان والروس والأتراك وكين اللعين . الجميع . سوف أهزم الجميع . لا أحد يستطيع أن يقهر هابيل روزنوفسكى " .

رأى مساعد المدير هابيل وهو يتوعد بجوار السيارة الأجرة فأسرع نحوه ، حيث أجبره هابيل على الاحتفاظ بهدوئه .

وسأله : " هل خرج الجميع بسلام ؟ "

" نعم ، الحمد لله ، كان الفندق خاليا تقريباً ، لذا لم يكن إخراج الجميع أمرا صعبا . هناك فقط إصابة بسيطة أو اثنتين وبعض الحروق . لقد نقلوا إلى المستشفى ولكن ليس هناك ما يدعوك للقلق " .

" جيد . لقد نجا الجميع على الأقل . الحمد لله أن الفندق مؤمن عليه بأكثر من مليون دولار على حد علمى . يمكننا على الأقل أن نحيل هذه الكارثة إلى مكسب " .

" هذا إن لم يكن ما نشر فى الجرائد الصباحية صحيحا " .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "

أجاب مساعد المدير : " أفضل أن تقرأه بنفسك أيها المدير " .

سار هابيل إلى أقرب متجر لبيع الصحف ودفع سنتين وحصل على نسخة من آخر طبعة لجريدة التريبيون شيكاغو . كان العنوان الرئيسى يقص القصة كاملة :

**احتراق فندق ريكموند .. هل حرق عمدا ؟**

هز هابيل رأسه فى ارتياب وأعاد قراءة العنوان .

تمتم قائلا : " هل يمكن أن يحدث ما هو أكثر من ذلك ؟ "

سأل بائع الصحف : " هل هناك مشكلة ؟ "

" مشكلة صغيرة " قالها هابيل ثم سار عائدا إلى مساعد المدير .

" من هو المسئول عن تحقيقات الشرطة ؟ "

قال مساعد المدير وهو يشير إلى رجل طويل مصاب بصلع مبكر :

" هذا الشرطى هناك الذى يميل على سيارة الشرطة . اسمه الملازم أومالى " .

قال هابيل : " حسناً ، والآن انقل كل طاقم العمل فى الملحق وسوف أقابلهم غدا فى العاشرة صباحا . إن أراد أى منهم أن يرانى قبل هذا الموعد فسوف أكون فى فندق ستيفنز إلى أن أتدبر هذا الأمر " .

" أمرك أيها المدير " .

سار هابيل نحو الملازم أومالى وقدم نفسه إليه .

انحنى رجل الشرطة الاحتياطى الطويل قليلا لكى يصافح هابيل

" لقد عاد الرئيس السابق المفقود إلى أطلاله المحترقة " .

قال هابيل : " لا أجد هذا مثيرا للضحك أيها الضابط " .



قال الشرطى : " آسف . إنه ليس مضحكا . لقد كانت ليلة طويلة . دعنا نذهب ونحتسى الشراب " .

أمسك الشرطى مرفق هابيل وقاده عبر شارع ميتشيجين آفينيو إلى أحد المطاعم الصغيرة فى الزاوية . طلب الملازم أومالى اثنين من مخفوق اللبن .

ضحك هابيل عندما وضع المزيج الأبيض الرغوى أمامه . بما أنه لم يسبق له أن عاش طفولته من قبل فقد كان هذا هو أول مزيج لبن يشربه .

قال المحقق : " أعرف . هذا مضحك ؛ الكل فى هذه المدينة يخرق القوانين ويتناول البوربون والجعة ، لذا يجب أن يكون هناك شخص ملتزم بالقوانين . على أية حال إن الحظر لن يدوم إلى الأبد وعندها سوف تبدأ مشاكلى لأن المجرمين سوف يكتشفون أننى بالفعل أحب مخفوق اللبن " .

ضحك هابيل للمرة الثانية .

" والآن دعنا نناقش مشاكلك أنت يا سيد روزنوفسكى . أولا دعنى أخبرك بأننى لا أظن أنك تملك ولو أملا ضئيلا فى الحصول على قيمة التأمين على الفندق . لقد تفحص خبراء الإطفاء بقايا البناء وقاموا بتمشيطه واكتشفوا أنه كان غارقا بالكيروسين . لم تكن هناك حتى محاولة لإخفاء هذه الحقيقة . كما عثروا على آثار لطاقم العاملين فى كل أنحاء الدور تحت الأرضى . كان عود ثقاب واحد كافيا لإحراق المبنى كاملا مثل الشمعة " .

سأل هابيل : " هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يكون متورطا ؟ "

" دعنى أطرح الأسئلة . هل لديك أية فكرة عن الشخص الذى يمكن أن يحمل ضغينة ضد الفندق أو ضدك أنت شخصيا ؟ "

تنحنح هابيل : " هناك ما يقرب من خمسين شخصا أيها الملازم يتربصون بنا . لقد طردت كل هذه الزمرة الفاسدة كاملة فور وصولى إلى الفندق . يمكننى أن أعد لك قائمة بالأسماء إن كان هذا سيساعدك " .

قال الملازم : " أعتقد ذلك ولكن بالطريقة التى يدور بها الحديث فى الخارج فقد لا أكون بحاجة إليها ، إلا أنك إذا توصلت إلى أية معلومة محددة ، أعلمنى بها يا سيد روزنوفسكى . أعلمنى بها لأننى يجب أن أحذرك من أن لك أعداء يتربصون بك هنا " . ثم أشار إلى الشارع الذى كان يعج بالمارة .

سأل هابيل : " ما الذى تقصده ؟ "

" البعض يقولون إنك قد فقدت كل شيء أثناء الأزمة الاقتصادية وأنك بحاجة إلى أموال التأمين " .

انتفض هابيل من فوق مقعده .

" هدئ من روعك ، هدئ من روعك . أعلم أنك كنت فى بوسطن طوال اليوم ولكن الأهم من ذلك هو أننى أؤكد لك أننى سوف أعثر على الفاعل . إذن دعنا من هذا الأمر الآن " . ثم نهض من فوق مقعده : " سأسدد أنا ثمن مخفوق اللبن يا سيد روزنوفسكى . أنتظر أن تسدى لى خدمة فى وقت ما فى المستقبل " .

بينما كان الرجلان يسيران نحو الشارع ، ابتسم الشرطى لإحدى الفتيات عند سجل الحساب حيث أبدى إعجابه بكاحلها وأبدى تذمره من التنورات الطويلة الجديدة . أعطاها خمسين سنتا وقال لها : " احتفظى بالباقى يا عزيزتى " .

قالت الفتاة : " شكرا جزيلا " .

قال الملازم " لا أحد يقدرنى " .



ضحك هابيل للمرة الثالثة وهو ما ظن أنه لم يكن ممكنا منذ ساعة مضت .

استطرد الملازم حديثه وكانا قد وصلا وقتها عند الباب : " هناك شيء آخر . إن رجال التأمين يبحثون عنك . لا أستطيع تذكر اسم الرجل ولكن أعتقد أنه سوف يعثر عليك . تعامل معه جيدا . إن شعر أنك كنت متورطا ؛ من الذى يمكن أن يلومه ؟ ابق على اتصال بى يا سيد روزنوفسكى . سوف أحادثك ثانية " .

رأى هابيل الملازم وهو يختفى وسط زحام المشاهدين ثم سار ببطء إلى فندق ستيفنز وحجز لنفسه ليلة هناك . لم يملك موظف الاستقبال الذى كان قد سجل معظم نزلاء فندق ريكموند لديه منع نفسه من الابتسام من فكرة حجز غرفة للمدير شخصيا .

ما إن استقر هابيل داخل غرفته ، جلس وكتب خطابا رسميا للسيد ويليام كين ، أخبره فيه تفصيليا بكل المعلومات التى كان يعرفها عن الحريق وبأنه عازم على استغلال وقت فراغه غير المتوقع بالقيام بجولة فى باقى فنادق المجموعة . لم يكن هابيل يرى أي جدوى من أن يبقى ليحوم حول ركام ريكموند شيكاغو منتظراً أن يأتى أحدهم ويسدد ديونه .

بعد تناول إفطار أنيق فى فندق ستيفنز فى صباح اليوم التالى - كان هابيل يسعد دائما بالإقامة فى فنادق ذات خدمة متميزة - سار لمقابلة كورتيس فنتون فى كونتيننتال تراست لكى يعلمه بما كان من بنك كين وكابوت أو بشكل أدق لكى يخبره بما فعله ويليام كين . بالرغم من أن هابيل شعر بأن طلبه ليس منطقيا ، فقد أضاف بأنه يبحث عن مشتر لمجموعة فنادق ريكموند بمبلغ مليونى دولار .

قال فنتون وهو يبدو أكثر إيجابية مما توقع هابيل : " إن هذا الحريق لن يساعدنا بحال ؛ ولكننى سوف أبذل جهدى . عندما

اشتريت خمسة وعشرين بالمائة من الأسهم من السيدة ليروى ، أخبرتك وقتها بأن الفنادق بمثابة أصول قيمة وبأنك قد عقدت صفقة رابحة . وبالرغم من الانهيار الاقتصادى فإننى لا أرى أن هناك ما يدعونى لتغيير رأيى فى هذا الأمر يا سيد روزنوفسكى . لقد راقبتك وأنت تدير الفندق على مدى عامين وأنا على استعداد لمساندتك إن ترك الأمر لحكمى الشخصى ولكننى أعلم أن البنك لن يسمح بمساندة مجموعة ريكموند . لقد راقبنا الوضع المالى لمجموعة الفنادق على مدى فترة ممتدة مما جعلنا نفقد الأمل فى مستقبل المجموعة ، ومع ذلك فلدىَّ بعض الاتصالات الخارجية التى يمكن أن أجريها وأسعى لمساعدتك . أنت تملك من المعجبين فى المدينة ما يفوق ما تعرفه يا سيد روزنوفسكى " .

بعد تعليق الملازم أو مالى ، كان هابيل يشك إن كان لديه أى أصدقاء بالمرة فى شيكاغو . شكر كورتيس فنتون وعاد إلى قسم الصرف وسحب ٥٠٠٠ دولار من حساب الفندق ، وقضى باقى يومه فى ملحق ريكموند . أعطى كل فرد من أفراد طاقم العمل راتب أسبوعين وأخبرهم بأنه يمكنهم البقاء فى الملحق لشهر واحد على الأقل أو إلى أن يعثروا على وظيفة جديدة . ثم عاد هابيل بعدها إلى فندق ستيفنز وحزم ملابسه الجديدة التى اضطر لشرائها بعد الحريق وأعد نفسه لجولة يتفقد فيها باقى فنادق مجموعة ريكموند .

قاد سيارته البويك التى كان قد اشتراها بعد انهيار سوق المال مباشرة وبدأ بفندق ريكموند سانت لويز . استغرقت جولته على سلسلة الفنادق ما يقرب من أربعة أسابيع ، وبالرغم من أن كل الفنادق كانت تعانى من الخسارة بدون استثناء ، فإن أياً منها من وجهة نظر هابيل لم يكن حالة ميئوساً منها . كانت جميع الفنادق تتمتع بموقع جيد بل إن بعضها كان يحتل أفضل موقع فى



المدينة . لابد أن ليروى الأكبر كان أكثر حنكة من ابنه ، تفحص بوليصة التأمين الخاصة بكل فندق بعناية ، لم تكن هناك مشكلة فى ذلك . عندما وصل أخيرا إلى فندق دالاس ريكموند ، كان واثقا من شيء واحد فقط هو أن أى شخص سوف ينجح فى شراء المجموعة بمليونى دولار سوف يكون قد عقد صفقة جيدة . تمنى لو كان يمكن أن يحصل على فرصة لأنه كان يعرف تحديدا ما ينبغى عليه عمله لإنجاح المجموعة .

فور عودته إلى شيكاغو ، عاد هابيل ثانية إلى فندق ستيفنز ، كان هناك العديد من الرسائل فى انتظاره . كانت هناك رسالة من الملازم أومالى يرجوه فيها الاتصال به وكذلك ويليام كين وكورتيس فنتون وأخيرا رسالة من رجل يدعى هنرى أوسبورن .

بدأ هابيل بالاتصال القانونى ، أجرى اتصالا هاتفيا قصيرا مع أومالى ووافق على تحديد موعد للقائه فى نفس المكان فى شارع ميتشجن . ثم جلس على أحد المقاعد وأدار ظهره للمنضدة وأخذ يحدق إلى ركام وحطام فندق ريكموند وهو فى انتظار الملازم أومالى . وصل أومالى متأخرا بضع دقائق ولكنه لم يكبد نفسه عناء الاعتذار وجلس فى المقعد المجاور لهابيل واستدار لكى يكون فى مواجهته .

سأل هابيل : " لم نتقابل بهذه الطريقة " .

قال الملازم : " أنت مدين لى بخدمة ، ولا أحد فى شيكاغو يمكن أن يفلت من دين لبن أومالى المخفوق " .

طلب هابيل اثنين من مخفوق اللبن ، أحدهما بالحجم العادى والآخر بالحجم الكبير .

سأل هابيل : " ما الذى توصلت إليه ؟ "

" لقد كان خبراء الحرائق على حق - لقد كان الحريق متعمدا بالفعل . وقد قبضنا على رجل يدعى ديسموند باسى ، اكتشفنا أنه

كان المدير السابق لفندق ريكموند . لقد حضرت ذلك العهد ، أليس كذلك ؟ "

" للأسف نعم " .

" ولم تقول ذلك ؟ "

لأن باسى فصل من العمل فى الفندق لأنه كان يسرق أموال الفندق . وقد هددنى بالفعل بأنه سوف ينال منى حتى إن كان هذا هو آخر ما سوف يفعله فى حياته . ولكننى لم آبه بما يقول ؛ لقد واجهت الكثير من التهديدات فى حياتى أيها الملازم مما جعلنى لا أكترث بها كثيرا خاصة عندما تصدر من شخص مثل باسى " .

" حسنا ، ولكن يجب أن أخبرك بأننا نتعامل معه بجدية وكذلك رجال التأمين ، لأننى علمت بأنهم لن يدفعوا مليما واحدا إن ثبت أى تواطؤ بينك وبين باسى فى الحريق " .

قال هابيل : " هذا كل ما أريد أن أعرفه الآن . ولكن كيف تأكدت من أن باسى هو الفاعل ؟ "

" لقد اكتشفنا أنه كان فى قسم الحوادث فى المستشفى المحلى فى نفس يوم وقوع الحريق وذلك من خلال الفحص الدورى لمعرفة أسماء الأشخاص الذين نقلوا إلى المستشقى فى ذلك اليوم من المصابين بحروق خطيرة . وقد اكتشفنا مصادفة - وهو ما يحدث كثيرا فى قسم الشرطة لأننا لسنا جميعا شيرلوك هولمز - وجوده هناك من خلال زوجة أحد رجال الشرطة التى سمعت اسمه . كانت تعمل نادلة فى فندق ريكموند وأخبرتنا بأن الرجل كان يعمل مديرا للفندق . وقد استطعت أن أربط الخيوط ببعضها . وقد وقع الرجل بسهولة ولم يبذل جهدا فى إخفاء جريمته بل إنه كان يتباهى باطلاق اسم مذبحة سانت فالنتي على يوم الحريق . حتى بضع دقائق مضت لم أكن واثقا من دافع الانتقام ولكننى أعرف ذلك جيدا



الآن ومع ذلك فأنا لست مندهشا . هذا هو حل اللغز يا سيد روزنوفسكى " .

واصل الملازم شرب المخفوق إلى أن تأكد أن الكوب قد فرغ من آخر نقطة بداخله .

سأل هابيل : " هل تريد كأسا آخر من مخفوق اللبن ؟ "

" كلا . سوف أكتفى بهذ القدر . مازال أمامى يوم عمل شاق " .

ثم قام واقفا : " حظا سعيدا يا سيد روزنوفسكى . إن استطعت أن تقنع رجال التأمين بأنك لم تكن متواطئا مع السيد باسى ؛ فسوف تحصل على مالك . سوف أبذل جهدى لمساعدتك إن وصل الأمر للقضاء . احرص على الاتصال بى " .

شاهده هابيل وهو يختفى عبر الباب . أعطى النادلة دولارا ثم وقف بالخارج إلى جانب الطريق وأخذ يحدق فى الفضاء ، فى الفضاء الذى كان يقف فيه فندق ريكموند منذ أقل من شهر مضى . ثم استدار وسار عائدا على فندق ستيفنز .

كانت هناك رسالة أخرى قد تركها له هنرى أوسبورن ولكن بدون أيضا أن يشير إلى صفته . كانت هناك وسيلة واحدة فقط لاكتشاف الأمر . اتصل هابيل بأوسبورن الذى اكتشف أنه كان أحد المحققين فى شركة جريت وسترن ، إحدى شركات التأمين الكبرى ضد الحوادث والتى كانت قد أمنت على الفندق . حدد هابيل موعدا للقاء السيد أوسبورن فى الظهيرة . ثم اتصل بعدها بويليام كين فى بوسطن ومنحه تقريرا عن الفنادق بعد زيارته للمجموعة كاملة .

" أريد أن أكرر ثانية يا سيد كين ، بأننى يمكن أن أحيل خسائر الفنادق إلى مكاسب إن وافق بنكك على منحى الوقت الكافى

والمساندة . أنا واثق من أن ما فعلته فى شيكاغو يمكن أن يتكرر فى باقى فنادق المجموعة " .

" سوف تكون قادرا على ذلك على الأرجح يا سيد روزنوفسكى ولكننى أخشى أنه لا يمكنك أن تحقق ذلك بأموال كين وكابوت . أود أن أذكرك بأنه لم يعد قد بقى أمامك سوى أيام قليلة للعثور على ممول . عمت صباحا يا سيدى " .

" يالك من مغرور أحمق " قالها هابيل بعد أن أغلق الطرف الآخر السماعة : " أنا لست راقيا بما يكفى للحصول على مالك ، أليس كذلك ؟ فى يوم ما أيها اللقيط ... " .

كان البند الثانى فى مفكرة هابيل هو رجل التأمين . وجد هابيل أن هنرى أوسبورن كان رجلا طويلا وسيما صاحب شعر أسود وخصلة من الشعر الرمادى . وقد وجد هابيل فى طريقته البسيطة فى التعامل قدرا من الراحة . لم يضف أوسبورن إلا القليل لرواية الملازم أومالى . لم تكن شركة التأمين تنوى سداد قرش واحد من قيمة التأمين بينما الشرطة تسعى لإدانة ديسموند باسى بالحرق العمد مع سبق الإصرار وإلى أن تثبت براءة هابيل نفسه من التواطؤ . بدا هنرى أوسبورن متفهما للغاية أبعاد المشكلة .

سأل أوسبورن : " هل تملك مجموعة ريكمون ما يكفى من المال لإعادة بناء الفندق ؟ " .

قال هابيل : " ولا سنتاً واحدا . إن باقى فنادق المجموعة مرهونة فضلا عن أن البنك يضغط عليَّ لبيعها " .

قال أوسبورن : " ولم أنت ؟ " .

شرح له هابيل كيف أنه نجح فى اقتناء أسهم المجموعة بدون أن يتملك الفنادق فعليا. بدا هنرى أوسبورن مندهشا بعض الشىء .



" ولكن البنك يمكن أن يتأكد بنفسه من مدى كفاءتك فى إدارة الفنادق . إن كل رجل أعمال فى شيكاغو يدرك تماما أنك كنت المدير الأول الذى نجح فى تحقيق أرباح لديفيز ليروى . أنا أدرك أن البنوك تمر بأوقات عصيبة ولكن مع ذلك فإنهم يجب أن يعرفوا تحديدا متى يمكنهم أن يسمحوا باستثناءات لصالحهم " .

" ليس هذا البنك " .

قال أوسبورن : " بنك كونتيننتال تراست ؟ إن كورتيس فنتون متشدد بعض الشىء ولكن مع ذلك فهو يتسم بقدر من المرونة " .

"ليس كونتيننتال . إن البنك مملوك لأحد بنوك بوسطن الذى يدعى بنك كين وكابوت " .

بهت وجه هنرى أوسبورن وغاص فى المقعد .

سأل هابيل : " هل أنت بخير ؟ " .

" نعم ،أنا على ما يرام " .

" هل تعرف هذا البنك ؟ " .

" ولكن هذا الأمر يجب أن يبقى سرا بيننا " .

" بالطبع " .

" نعم ، لقد تعاملت معهم من خلال شركتى ذات مرة من قبل " ، ثم بدا هنرى مترددا ولكنه استطرد قائلا : " وانتهى بنا المآل إلى القضاء " .

" لماذا ؟ " .

" لا يمكننى أن أفصح عن التفاصيل . لقد اضطرب العمل بيننا . لنقل إن أحد المديرين لم يكن نزيها تماما وصريحا معنا " .

سأل هابيل : " أيهم ؟ " .

" من هو الشخص الذى تعاملت أنت معه ؟ " .

" رجل يدعى ويليام كين "

بدأت علامات التردد ثانية على وجه أوسبورن ثم قال : " احذره إنه أسوأ الأشخاص خلقا فى العالم . يمكننى أن أمدك بكل الحقائق اللازمة عنه ولكن يجب أن يبقى هذا سرا بيننا " .

قال هابيل : " إننى بالطبع لا أكن له أى حب ، سوف أتصل بك يا سيد أوسبورن . لدىَّ حساب يجب أن أسويه مع السيد كين بسبب معاملته لديفيز ليروى " .

قال هنرى وهو ينهض من خلف مكتبه : " حسنا ، يمكنك أن تثق بى وبحصولك على مساعدتى بأى شكل مادام الأمر له علاقة بويليام كين . ولكن هذا يجب أن يبقى سرا بيننا . وإن أثبت القضاء بأن ديسموند باسى هو المسئول عن الحريق الذى لحق بريكموند وليس هناك شخص آخر متواطىء معه ـ فسوف تسدد الشركة قيمة التأمين فى نفس اليوم . ربما يكون بوسعنا بعدها أن نوسع دائرة أعمالنا فيما يخص باقى سلسلة الفنادق " .

قال هابيل : " ربما " .

سارع هابيل عائدا إلى فندق ستيفنز وقرر أن يتناول الغداء وأن يكتشف بنفسه مدى كفاءة إدارة قاعة الطعام الرئيسية هناك . وجد فى انتظاره هناك رسالة أخرى موجهة إليه . كان رجل يدعى السيد ديفيد مكستون يسأل إن كان يمكن أن يتناول معه الغداء فى الواحدة .

قال هابيل فى صوت مرتفع فنظرت إليه موظفة الاستقبال : " ديفيد مكستون ؟ لماذا ؟ وهل أعرف هذا الاسم ؟ "

" إنه مالك هذا الفندق يا سيد روزنوفسكى " .

" أجل : نعم ، أخبرى السيد مكستون بأنه يشرفنى تناول الغداء معه " . ثم ألقى هابيل نظرة على ساعة يده . " هلا أخبرته بأننى سوف أتأخر بضع دقائق " .



قالت الفتاة : " بكل تأكيد يا سيدى " .

أسرع هابيل إلى غرفته وارتدى قميصا أبيض هو يسأل نفسه عن سبب رغبة السيد مكستون فى مقابلته .

كانت غرفة الطعام معدة بالفعل عندما وصل هابيل . قاده كبير الندل إلى المائدة الخاصة فى أحد أركان قاعة تناول الطعام حيث كان صاحب الفندق يجلس وحيدا . قام من مقعده ليرحب بهابيل .

" هابيل روزنوفسكى يا سيدى " .

قال مكستون : " أجل ، أعرفك . أو لكى أكون دقيقا . سُمعتك سبقتك . اجلس من فضلك ودعنا نطلب الغداء " .

كان هابيل منبهرا بفندق ستيفنز . كان الطعام والخدمة فى جودة البلازا . ولكنه إن كان يريد أن يملك أفضل فندق فى شيكاغو لكان عليه أن يدرك بأنه يجب أن يكون أفضل من هذا .

ظهر رئيس الندل ثانية بقائمة الطعام . تفحص هابيل القائمة بعناية ثم طلب بأدب طبقه الأول واختار شريحة من اللحم البقرى ، كان يعلم أن هذه هى أسرع وسيلة لمعرفة ما إن كان المطعم يتعامل مع الجزارة الصحيحة . لم ينظر ديفيد مكستون إلى قائمته وإنما اختار على الفور طبق السلامون . أسرع رئيس الندل لإحضار الطلبات .

" لابد أنك تتساءل عن سر دعوتى لك على الغداء يا سيد روزنوفسكى ؟ "

قال هابيل وهو يضحك : " أعتقد أنك سوف تطلب منى أن أدير الفندق من أجلك " .

" أنت محق تماما يا سيد روزنوفسكى " .

عجز هابيل عن التفوه بكلمة . وجاء دور مكستون فى الضحك هذه المرة . حتى وصول النادل وهو يدفع بعربة الطعام التى تحمل

أفضل قطعة من اللحم البقرى لم تخرجه من صمته . بقى مقدم الطعام منتظرا . وقام مكستون بعصر الليمون على السلامون وواصل حديثه قائلا :

" إن مدير الفندق سوف يتقاعد فى غضون خمسة أشهر بعد اثنين وعشرين عاما من الإخلاص فى العمل ، كما أن مساعد المدير أيضا سوف يتقاعد بعده بقليل ، لذا فأنا أبحث عن شخص جديد لشغل الوظيفة " .

قال هابيل : " يبدو المكان منظما للغاية " .

قال مكستون : " ولكننى على استعداد دائما للتطوير يا سيد روزنوفسكى . فأنا لا أرضى أبدا عن البقاء ساكنا . لقد راقبتك عن كثب . لم يكن ريكموند يرقى حتى إلى مستوى الفنادق قبل أن تتولى أنت إدارته . لم يكن سوى فندق رخيص قبل ذلك . لو كان قد قدر لك أن تبقى فى عملك على مدى عامين أو ثلاثة أعوام أخرى لكنت قد نافست فندق ستيفنز عن جدارة لو لم يقدم هذا الأحمق على حرق المكان قبل أن تُمنح هذه الفرصة " .

" هل تريد البطاطا يا سيدى ؟ "

نظر هابيل فإذا بنادلة جذابة الوجه . ابتسمت له

قال لها : " كلا شكرا . حسنا ؛ أنا ممتن يا سيد مكستون لعرضك ورأيك فى شخصى " .

" أعتقد أنك سوف تكون سعيدا معنا يا سيد روزنوفسكى . إن فندق ستيفنز يملك إدارة قوية كما أننى على استعداد لأن أمنحك خمسين دولارا أسبوعيا واثنين بالمائة من الربح . يمكنك أن تبدأ وقتما شئت " .



قال هابيل : " أنا بحاجة لبضعة أيام لكى أفكر فى عرضك الكريم يا سيد مكستون . ولكننى أقر بتحمسى للعرض . ومع ذلك فهناك بعض المشاكل التى يجب أن أسويها فى فندق ريكموند " .

سألت نفس النادلة بنفس الابتسامة : " هل تريد بعض الفاصوليا يا سيدى ؟ "

كان هابيل واثقا من أنه قد رأى هذه الابتسامة من قبل . ربما كانت تعمل فى الريكموند فى وقت من الأوقات .

" نعم ، شكرا لك " .

راقبها هابيل وهى تسير مبتعدة . كان فيها ثمة شيء ما .

سأل مكستون : " لم لا تبقى فى الفندق كضيف لبضعة أيام لكى تراقب الكيفية التى ندير بها المكان ؛ قد يساعدك هذا على اتخاذ قرارك ؟ "

" لن يكون هذا ضروريا يا سيد مكستون . بعد يوم واحد قضيته كنزيل بالفندق أدركت مدى كفاءة الإدارة . إن مشكلتى الآن هى أننى أملك فندق الريكموند " .

ارتسمت علامات الدهشة على وجه ديفيد مكستون وقال : " لم يكن لدىَّ فكرة عن هذا الأمر . كنت أظن أن ابنة ديفيز ليروى هى المالكة الآن " .

قال هابيل : " إنها قصة طويلة " وشرح لمكستون كيف امتلك أسهم الفندق بالكامل .

" إن مشكلتى بسيطة يا سيد مكستون ؛ فإن ما أريد أن أفعله بحق هو أن أحصل على مليونى دولار وتحويل المجموعة إلى شيء ذى قيمة . إنه أمر يمكن أن يمنحك عائدا جيدا على أموالك ؟ "

قال مكستون وهو ينظر فى تساؤل إلى طبقه الفارغ : " فهمت " . جاء أحد الندل وحمل الطبق .

" هل تريد أن تحتسى بعض القهوة ؟ " سألت ذلك نفس النادلة وكانت تحمل نفس النظرة المألوفة . بدأ الأمر يشغل هابيل .

" وأنت تقول إن كورتيس فنتون من كونتيننتال تراست يبحث عن مشتر باسمك ؟ "

قال هابيل : " نعم . إنه يبحث منذ ما يقرب من شهر . بل إننى سوف أعرف عصر اليوم إن كان بالفعل قد عثر على مشتر ولكننى لست متفائلا " .

" حسنا ؛ هذا أمر مهم . لم أكن أعرف أن مجموعة ريكموند تبحث عن مشتر . أعلمنى بالتطورات على أية حال " .

قال هابيل : " بكل تأكيد "

" كم بقى لك من فترة السماح التى منحها لك البنك لحين تسديد المليونى دولار ؟ "

" فقط بضعة أيام قليلة ؛ أى أننى لن أطيل انتظارك " .

قال مكستون : " أشكرك . سعدت بمقابلتك يا سيد روزنوفسكى . وأنا واثق من أننا سوف نستمتع بالعمل سويا " . ثم صافح هابيل بحرارة .

ابتسمت النادلة لهابيل ثانية وهو يمر بجوارها فى طريقة للخروج من قاعة تناول الطعام . عندما وصل هابيل إلى كبير الندل ، توقف وسأله عن اسمها .

" آسف يا سيدى ولكنه من غير المسموح أن نفصح عن أسماء أى من العاملين للنزلاء ، هذا أمر محظور تماما فى لائحة الفندق . إن كانت لديك أى شكوى فيمكنك أن تقدمها لى يا سيدى " .

قال هابيل : " لا شكاوى ، بل على العكس لقد كان الغداء ممتازا " .



بعد أن حصل هابيل على عرض عمل أصبح أكثر ثقة عندما ذهب للقاء كورتيس فنتون . كان واثقا من أن الرجل لم يكن قد عثر على مشتر ومع ذلك فقد ذهب للقائه فى الكونتيننتال تراست فى شيء من التباطؤ . كانت فكرة إدارة أفضل فندق فى شيكاغو تروق له . ربما يمكن أن يحيله إلى أفضل فندق فى أمريكا . ما إن وصل إلى البنك ، أدخل على الفور للقاء السيد كورتيس فنتون فى مكتبه . دعا الرجل المصرفى الطويل ـ هل كان يرتدى نفس الحلة يوميا أم أنه كان يملك ثلاث حلل متماثلة ؟ ـ هابيل للجلوس وانشق وجهه الصارم عن ابتسامة عريضة .

" سيد روزنوفسكى ، كم يسعدنى لقاؤك ثانية . لو كنت قد جئت إلىَّ هذا الصباح لما وجدت عندى جديداً ولكن منذ بضع دقائق فقط تلقيت مكالمة هاتفية من أحد الأطراف المعنية " .

خفق قلب هابيل من هول المفاجأة والسعادة . بقى صامتا للحظات ثم قال : " هل لك أن تخبرنى بالعرض ؟ "

" كلا لا يمكننى ذلك . لقد كانت تعليمات هذه الجهة صارمة فى هذا الصدد ؛ يجب أن تظل مجهولة ؛ لأن الصفقة سوف تكون بمثابة استثمار خاص وقد تكون متعارضة بعض الشيء مع باقى أعمال العميل " .

تمتم هابيل : " ديفيد مكستون . ليباركه الله " .

لم يجب كورتيس فاستطرد هابيل حديثه قائلا : " كم تظن الوقت المطلوب إلى أن تتأكد من قرار هذه الجهة أو هذا الشخص بشكل أو بآخر ؟ "

" لايسعنى أن أجيبك الآن ولكننى قد أحمل لك المزيد من الأخبار بحلول يوم الاثنين القادم ؛ فإن كان بوسعك أن تمر علىَّ " .

قال هابيل : " بوسعى أن أمر للقائك ؟ هذه قضية عمرى " .

" إذاً ربما وقتها سوف يكون بوسعنا أن نحدد موعدا نهائياً الاثنين المقبل " .

همس هابيل قائلا : " إنه الحظ " وهو يعبر شارع متشجن فى طريق عودته إلى فندق ستيفنز . ركب فى المصعد إلى أن وصل إلى غرفته واتصل بويليام كين لكى يطلب مد فترة السماح إلى يوم الاثنين التالى ؛ مخبراً إياه بأنه بحلول هذا الموعد ربما يكون قد عثر على مشتر للفندق ؛ بدا كين مترددا ولكنه وافق فى نهاية الأمر .

" أيها اللقيط " كررها هابيل عدة مرات وهو يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها . " فقط امنحنى بعض الوقت يا كين وسوف تندم على قتل ديفيز ليروى " .

جلس هابيل عند طرف فراشه وهو يطرق بأصابعه على العارضة الخشبية للسرير ويسائل نفسه عن الكيفية التى سوف يقطع بها الوقت المتبقى على يوم الاثنين . أخذ يجول فى أنحاء بهو الفندق . وها هى ثانية ؛ النادلة التى قدمت له الغداء ؛ لقد كانت تعملَ الآن فى تقديم الشاى فى حديقة التروبيكال . كان فضول هابيل قد بلغ مبلغه فسار إلى أن جلس فى مقعد فى أحد الأركان البعيدة . فجاءت إليه .

قالت : " عمت مساءً يا سيدى . هل تريد أن تحتسى بعض الشاى ؟ " .

ثم ابتسمت الابتسامة المألوفة ثانية .

سأل هابيل : " نحن نعرف بعضنا البعض ؛ أليس كذلك ؟ " .

" أجل يا وودك " .

انكمش هابيل لوقع الاسم واحمر وجهه قليلا وهو يتذكر كيف تحول الشعر القصير الأشقر إلى شعر طويل والعيون الخجلة إلى عيون



جريئة . " زافيا ؛ لقد حضرنا إلى أمريكا على متن نفس السفينة البلاك أرو . بالطبع وقد ذهبت إلى شيكاغو ؛ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ "

" أنا أعمل هنا كما ترى . هل تريد أن تحتسى بعض الشاى يا سيدى ؟ " . أشعرت لهجتها البولندية هابيل بالحنين إلى وطنه

قال هابيل : " تناولى العشاء معى الليلة " .

لا أستطيع يا هابيل ؛ فنحن لا يسمح لنا بمصاحبة النزلاء .هذا يعنى أن أخسر وظيفتى على الفور " .

قال هابيل : " ولكننى لست نزيلا وإنما صديق " .

قالت زافيا : " ... أنت الذى زعم بأنه سوف يأتى لزيارتى فى شيكاغو بمجرد أن يستقر فى أمريكا . وعندما جاء بالفعل لم يسعه حتى أن يتذكر أننى أعيش هنا " .

قال هابيل ، " أعرف ؛ أعرف ؛ سامحينى . زافيا ؛ اقبلى دعوتى على العشاء الليلة . فقط هذه المرة " .

كررت : " فقط هذه المرة " .

" قابلينى فى مطعم برونداج فى السابعة مساء . هل هذا يناسبك ؟ "

تدفقت الدماء فجأة فى وجه زافيا عند سماع اسم المطعم . لقد كان على الأرجح الأغلى ثمنا فى شيكاغو وكانت ستشعر بالتوتر إن عملت فيه كنادلة ؛ ناهيك عن ذهابها كزبونة .

" لا . دعنا نذهب إلى مكان أقل تكلفة يا وودك " .

سأل هابيل : " أين ؟ "

" هل تعرف مطعم السوسيس الذى يقع فى أحد أركان شارع فورتى ثيرد ؟ "

قال هابيل : " كلا لا أعرفه ، ولكننى سوف أعثر عليه . السابعة إذن " .

" السابعة يا وودك . سوف يكون هذا رائعا . بالمناسبة هل تريد شراب بعض الشاى ؟ "

قال هابيل : " كلا لا أريد " .

ابتسمت وسارت مبتعدة . جلس يراقبها وهى تقدم الشاى لعدة دقائق . كانت أجمل كثيرا مما يتذكر. ربما ستكون مهمة قتل الوقت حتى يوم الاثنين أقل صعوبة مما كان يعتقد .

أعاد السوسيس إلى هابيل كل ذكرياته المؤلمة لأيامه الأولى الصعبة فى أمريكا . احتسى كوباً من الشراب فى انتظار وصول زافيا وأخذ يراقب باستنكار مهنى الندل وهم يلقون بأطباق الطعام على الموائد . لم يكن قادرا على التحديد أيهما كان الأسوأ هل هو الطعام أم الخدمة . كانت زافيا قد تأخرت لما يقرب من عشرين دقيقة عند ظهورها بالقرب من الباب الأمامى ، كانت تبدو أنيقة فى ثوبها الأصفر الفضفاض الذى يبدو أنها أضافت إلى طوله بضع بوصات لكى يناسب آخر خطوط الموضة ولكنه كان كافيا لكى يكشف عن روعة جسدها الذى كان قد اكتسب بعض الامتلاء . كانت عيناها الرماديتان تجوبان الموائد بحثا عن وودك وازداد احمرار خديها عندما أدركت أن عيون الكثيرين كانت تتبعها .

قالت بالبولندية عندما وقفت بجوار هابيل : " مساء الخير يا وودك " .

نهض هابيل وقدم لها المقعد الذى كان بالقرب من المدفأة المفتوحة . وقال بالإنجليزية : " أنا سعيد جدا لأنك تمكنت من الحضور " .



ارتسمت عليها علامات الارتباك للحظة ثم أجابته بالإنجليزية : " آسفة لتأخرى " .

" لا تشغلى بالك ، فأنا لم ألحظ ذلك . هل تودين تناول شراب يا زافيا ؟ "

" كلا ، شكرا " .

لم يتحدث أى منهما للحظة ثم حاول الاثنان التحدث فى صوت واحد .

قال هابيل : " لقد كنت كما أنت جميلة يا .... " .

سألت زافيا : " كيف استطعت أن ... ؟ "

ابتسمت فى خجل وشعر هابيل برغبة فى ملامستها . لقد تذكر جيدا كيف اجتاحه نفس الشعور فى أول مرة شاهدها فيها منذ أكثر من ثمانية أعوام مضت .

سألت : " كيف حال جورج ؟ "

أجاب هابيل وقد شعر فجأة بالذنب : " لم أره منذ عامين . لقد كنت أعمل فى الفندق هنا فى شيكاغو ثم ... " .

قالت زافيا : أعلم . ثم أقدم شخص ما على إحراق الفندق " .

سأل هابيل : " لِمَ لم تأتى لزيارتى مرة واحدة وتسألى عنى ؟ "

" لم أكن أعتقد أنك سوف تتذكرنى يا وودك وقد كنت محقة " .

قال هابيل : " إذن كيف تعرفت أنت علىَّ ؟ فقد زاد وزنى كثيراً " .

أجابت ببساطة : " تعرفت عليك من سوارك الفضى " .

نظر هابيل إلى معصمه وضحك : " أنا مدين لهذا السوار بالكثير . والآن يمكن أن أضيف هذا الأمر أيضا " .

تحاشت النظر إلى عينيه ، وسألته : " ماذا تفعل الآن بعد دمار الفندق الذى كنت تديره ؟ " .

قال هابيل : " أنا أبحث عن وظيفة " لكى لا يشعرها بالخجل لكونه قد عرض عليه أن يشغل منصب المدير فى الفندق الذى تعمل فيه .

" هناك وظيفة كبيرة سوف تكون شاغرة فى فندق ستيفنز . لقد أخبرنى صديقى " .

قال هابيل وهو يكرر كل كلمة من كلمات العبارة المؤلمة : " صديقك أخبرك " .

قالت : " نعم . إن الفندق سوف يبحث قريباً عن مساعد مدير . لِمَ لا تتقدم لشغل الوظيفة ؟ أنا واثقة من أنه سوف يكون أمامك فرصة جيدة للحصول عليها يا وودك . لقد كنت واثقة دائما من أنك سوف تحقق نجاحا فى أمريكا " .

قال هابيل : " يمكننى بالفعل أن أتقدم للوظيفة . كان لطفاً منك أن تفكرى فىّ . لم لا يتقدم صديقك لشغل الوظيفة ؟ " .

" لا . هو أقل بكثير من أن يؤخذ فى الاعتبار لمثل هذه الوظيفة ، إنه مجرد نادل فى قاعة الطعام معى " .

فجأة شعر هابيل أنه يريد أن يتبادل الأماكن معه .

" هل نتناول العشاء ؟ "

قالت زافيا : " أنا لم أعتد تناول الطعام فى الخارج " . ثم حدقت فى قائمة الطعام فأدرك هابيل فجأة أنها مازالت لا تعرف قراءة الإنجليزية . فتولى مهمة طلب العشاء لهما .

أقبلت زافيا على تناول الطعام بمنتهى الشهية وأخذت تشيد بكل أنواع الطعام البسيط . وجدها هابيل فى حماسها المتدفق مُلطفا بعد تكلف ميلانى المثير للضجر . حكى كل منهما للآخر عن تاريخ



حياته فى أمريكا . كانت زافيا قد بدأت بالعمل فى بعض أعمال التنظيف البسيطة ثم ارتقت إلى أن أصبحت نادلة فى فندق ستيفنز والذى تعمل فيه الآن منذ ست سنوات . تحدث هابيل عن العديد من التجارب التى مر بها إلى أن نظرت فى النهاية إلى ساعته .

قالت : " انظر إلى الوقت يا وودك . لقد تعدت الساعة الحادية عشرة وأنا يجب أن أستعد لتقديم الإفطار قبل السادسة صباحا " .

لم يكن هابيل قد شعر بمرور أربع ساعات . كان بوسعه أن يواصل حديثه فى سعادة مع زافيا طوال الليل . كان إعجابها بهابيل الذى كانت تعرب عنه طوال الوقت يشعره بالراحة .

سأل هابيل وهو يعيدها إلى فندق ستيفنز وهى متأبطة ذراعه : " هل يمكن أن أقابلك ثانية يا زافيا ؟ " .

" إن أردت يا وودك " .

توقفا عند مدخل الخدم فى مؤخرة الفندق .

قالت زافيا : " هذا هو الباب الذى يجب أن أدخل منه . إن حصلت على وظيفة مساعد المدير يا وودك فسوف يسمح لك بالدخول من الباب الأمامى للفندق " .

سألها : " هل يضايقك أن تنادينى باسم هابيل ؟ "

" هابيل ؟ " قالتها كما لو كانت تسعى لتجربة الاسم كما تجرب ارتداء قفاز جديد . " ولكن اسمك وودك ؟ "

" كان اسمى ولكنه لم يعد كذلك . إن اسمى هو هابيل روزنوفسكى " .

قالت : " هابيل اسم مضحك ولكنه يناسبك . أشكرك على العشاء يا هابيل . لقد سعدت برؤيتك ثانية . عمت مساء " .

قال بعد أن اختفت عن ناظره : " عمت مساء يا زافيا "

شاهدها وهى تختفى عبر باب الخدم ثم سار ببطء حول الفندق إلى أن وصل إلى المدخل الأمامى . وفجأة ـ ولم تكن هذه هى المرة الأولى فى حياته ـ شعر بوحدة قاسية .

قضى هابيل عطلة نهاية الأسبوع وهو يفكر فى زافيا والصور التى تتداعى فى مخيلته كلما تذكرها ـ القسم الخاص بركاب الدرجة الأخيرة وصفوف المهاجرين المضطربة فى جزيرة إليس ، وقبل كل هذا اللقاء المقتضب بينه وبين زافيا داخل قارب النجاة . كان هابيل يتناول كل الوجبات فى قاعة تناول الطعام فى الفندق لكى يكون قريبا من زافيا ولكى يتفحص صديقها عن كثب والذى ظن هابيل فى البداية أنه الشاب الصغير الذى تغطى البثور وجهه ؛ نعم إنها بثور. ولكنه اكتشف ـ للأسف ـ أنه كان أكثر الندل وسامة وأن وجهه كان صافيا تماما .

أراد هابيل أن يخرج مع زافيا فى يوم السبت ولكنها كانت تعمل طوال اليوم . ومع ذلك فقد نجح فى مرافقتها صباح الأحد واستمع إليها وهى تردد قصائد الشعر البولندية التى كان قد نسيها وقد اختلط بداخله الشعور بمرارة الغربة والحنق . كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها هابيل قصائد الشعر البولندية منذ أيام قصر بولندا . لم يكن وقتها قد شهد وعاش كل الوحشية التى جعلته بعدها ينكر وجود أى قوة طيبة . وشعر بسعادة غامرة . زافيا قد سمحت له بالإمساك بيدها وهما فى طريق العودة إلى الفندق سويا .

سألته : " هل فكرت فى وظيفة فندق ستيفنز ؟ "

" سوف أعرف غدا صباحا القرار النهائى للفندق " .

" أنا سعيدة جدا يا هابيل . أنا واثقة من أنك سوف تكون مساعد مدير ممتازاً "



قال هابيل وقد لاحظ أنهما كانا قد طرقا العديد من الموضوعات المختلفة : " أشكرك "

سألت زافيا : " هل تود أن تتناول العشاء معنا فى بيت أبناء عمومتى مساء الغد ؟ إننى أقضى مساء السبت دائما معهم " .

" نعم سوف أسعد بذلك كثيرا " .

كان أبناء عمومة زافيا يقطنون بجوار محل السوسيس فى قلب المدينة . وقد انبهر أبناء عمومتها كثيرا عندما وصلت زافيا مع صديقها البولندى فى سيارته البويك الجديدة . كانت العائلة كما كانت تطلق عليها زافيا مؤلفة من الأختين كاتيا وجانيا وزوج كاتيا ، جانيك . قدم هابيل للأختين باقة من الزهور ثم جلس وأجاب فى بولندية بليغة عن كل أسئلتهم عن توقعاته بالنسبة للمستقبل . بدت زافيا محرجة ، ولكن هابيل كان يعرف أن هذا هو ما يحدث دائما داخل كل البيوت الأمريكية ذات الأصل البولندى . انطلاقا من استشعار هابيل لعيون جانيك الحسودة التى بقيت مثبتة عليه طوال الوقت ، بذل هابيل جهدا لكى يقص عليهم الجهد الشاق الذى بذله فى بداياته فى الجزارة التى كان يعمل بها . قدمت كاتيا وجبة بولندية بسيطة مؤلفة من البيروجى والبيجو والتى كان يمكن أن يقبل عليها هابيل بنهم من خمسة عشر عاما . كان وقتها قد شعر باليأس من استمالة جانيك فركز على اجتذاب تأييد الأختين . ويبدو بالفعل أنه كان قد نجح فى إنجاز هذه المهمة . ربما يكونون قد أيدوا أيضا صديق زافيا . كلا ، لا يمكن ، إنه حتى لم يكن بولنديا ـ أو ربما كان كذلك ، فلم يكن هابيل يعرف اسمه كما لم يكن أيضا قد سمعه من قبل وهو يتحدث .

فى طريق العودة إلى فندق ستيفنز ، سألته زافيا فى شيء من الدلال الذى كان مازال يذكره عنها إن كان يُسمح له بقيادة السيارة

والإمساك بيد سيدة فى نفس الوقت . ضحك هابيل وترك يدها ووضعها على عجلة القيادة لباقى الطريق .

سأل هابيل : " هل سيكون لديك وقت لمقابلتى غدا ؟ " .

قالت : " أتمنى ذلك يا هابيل . ربما بحلول هذا الوقت تكون قد أصبحت مديرى فى العمل . حظاً سعيداً على أية حال " .

ابتسم فى نفسه وهو يشاهدها وهى تمر عبر الباب الخلفى وأخذ يسأل نفسه عن شعورها إن كانت تعرف بالفعل عواقب نتائج اليوم التالى . لم يتحرك من مكانه إلى أن اختفت تماما عبر بوابة الخدم .

" مساعد مدير بكل تأكيد " . قال هابيل ذلك وهو يضحك بصوت مرتفع وهو يصعد إلى فراشه ويسأل نفسه عن الأنباء الجديدة التى سوف يحملها له كورتيس فنتون فى الصباح محاولا إخراج زافيا من فكره وهو يلقى بالوسائد على الأرض .

استيقظ فى اليوم التالى قبل الخامسة ببضع دقائق . كانت الغرفة مازالت مظلمة عندما طلب نسخة من الطبعة الأولى لجريدة التريبيون . اطلع على الصفحة المالية ثم ارتدى ملابسه .واستعد لتناول الإفطار عندما فتح المطعم أبوابه فى السابعة . لم تكن زافيا تخدم فى قاعة الطعام الرئيسية فى ذلك الصباح وإنما كان صديقها هو الذى يخدم وهو ما اعتبره هابيل نذير شؤم . بعد تناول الإفطار ، عاد إلى غرفته ولم يكن يعرف أن زافيا قد وصلت بعد مغادرته بخمس دقائق لبدء عملها . هندم رابطة عنقه فى المرآة للمرة العشرين وثانية نظر فى ساعته . وقدر أنه لو سار ببطء شديد فسوف يصل إلى البنك وهو يفتح أبوابه . ولكنه وصل قبل أن يفتح أبوابه بخمس دقائق وسار حول المبنى وهو يحدق بلا هدف فى كل نوافذ المتاجر ، أخذ يتأمل المجوهرات الثمينة وأجهزة الراديو والحلل يدوية الصنع . ثم عاد إلى البنك ثانية فى التاسعة وأربع دقائق .



قالت له السكرتيرة : " السيد فنتون لن يستطيع مقابلتك الآن . هل يمكن أن تعود بعد نصف ساعة أم أنك تفضل أن تنتظر فى البنك ؟ "

قال هابيل ، وهو يحاول ألا يبدو شديد التوتر : " سوف أعود ثانية " .

كانت أطول ثلاثين دقيقة مرت به منذ أن وصل إلى شيكاغو . كان قد تفحص خلالها نافذة كل متجر فى شارع لاسال حتى متاجر ملابس النساء .

فى طريق عودته إلى كونتيننتال تراست ، أخبرته السكرتيرة أن السيد فنتون سوف يقابله الآن .

سار هابيل ويده تتصبب عرقا نحو مكتب المدير .

" صباح الخير يا سيد روزنوفسكى . تفضل بالجلوس " .

استخرج كورتيس فنتون ملفا من درج مكتبه . ورأى هابيل كلمة "سرى " مكتوبة على الملف .

بدأ الرجل الأكبر سنا حديثه : " والآن . أتمنى أن تحوز الأنباء التى أحملها إعجابك . إن الشخص الذى وكلنى على استعداد لشراء الفنادق بشروط مناسبة حسبما أرى " .

قال هابيل : " يا إلهى " .

تظاهر كورتيس فنتون بأنه لم يسمع ما قاله هابيل واستطرد حديثه قائلا : " بل إنها شروط مناسبة تماما . سوف يتولى هو سداد قيمة المليونى دولار المطلوبة لتسديد دين السيد ليروى وفى الوقت نفسه سوف يشكل شركة جديدة معك حيث يتم تقسيم الأرباح فيها بنسبة ستين بالمائة له وأربعين بالمائة لك أنت . وهذا يعنى أن الأربعين بالمائة الخاصة بك تقدر بثمانمائة ألف دولار سوف تكون بمثابة قرض عليك لصالح الشركة الجديدة ، قرض يجب أن يسدد

على مدى عشر سنوات بفائدة أربعة بالمائة من أرباح الشركة بنفس النسبة . أى أن الشركة إن حققت ربحا سنويا يقدر بمائة ألف دولار فإن أربعين ألف دولار من المكسب سوف يذهب لسداد دين الثمانمائة ألف دولار بالإضافة إلى الأربعة بالمائة قيمة الفائدة . وإذا نجحت فى سداد قيمة القرض فى أقل من عشر سنوات فسوف تمنح فرصة وحيدة لشراء الستين بالمائة المتبقية من الشركة مقابل ثلاثة ملايين دولار . هذا من شأنه أن يمنح موكلى عائدا من الدرجة الأولى على استثماره ويمنحك أنت فرصة لامتلاك مجموعة فنادق ريكموند .

" فضلا عن ذلك فإنك سوف تحصل على راتب سنوى قدره خمسة آلاف دولار سنويا ، كما أنك من خلال منصبك كمدير للمجموعة سوف يمنحك ذلك سيطرة كاملة على الفنادق . لن تكون مطالبا إلا بالرجوع إلىَّ فى كل ما يختص بالشئون المالية . لقد فوض إلىَّ موكلى مهمة موافاته بشكل مباشر بكل التقارير كما طلب منى أن أمثل طرفه فى مجلس إدارة مجموعة فنادق ريكموند الجديدة . وقد سعدت بقبول هذا التفويض . إن موكلى لا يريد أن يظهر فى الصورة بشكل شخصى . وكما سبق وقلت من قبل فقد يكون هناك تضارب بين مصالحه المهنية وهذه الصفقة وهو ما أنا واثق من أنك سوف تتفهمه جيدا . كما أنه يصر أيضا على ألا تسعى بأى شكل لاكتشاف هويته . سوف يمنحك أربعة عشر يوما لكى تفكر فى شروط هذا العرض غير القابل للتفاوض الذى يعتبره موكلى ـ وهو ما أوافقه فيه كلية ـ أنه أكثر من منصف " .

لم يتمكن هابيل من التفوه بكلمة .

" قل شيئا يا سيد روزنوفسكى " .



قال هابيل أخيرا : " لست بحاجة إلى أربعة عشر يوما لاتخاذ قرار . أوافق على عرض موكلك . اشكره على لسانى وأخبره بأننى أحترم رغبته فى أن يبقى مجهولا " .

قال كورتيس فنتون بعد أن سمح لنفسه بأن يبتسم ابتسامة عريضة : " هذا رائع . والآن ، دعنا نناقش بعض التفاصيل الصغيرة . سوف تحفظ كل الحسابات الخاصة بمجموعة الفنادق فى الفروع التابعة لكونتيننتال تراست . أما الحساب الأساسى فسوف يبقى هنا فى هذا المكتب تحت سيطرتى الشخصية . وسوف أحصل على ألف دولار سنويا مقابل عملى كمدير للشركة الجديدة .

قال هابيل : " أنا سعيد لأنك سوف تنال نصيبك من الصفقة " .

قال المدير : " عفوا ؟ "

" سوف يسعدنى العمل معك يا سيد فنتون " .

" لقد أودع موكلى أيضاً مائتين وخمسة آلاف دولار كوديعة فى البنك للنفقات اليومية الخاصة بالفنادق على مدى الشهور القليلة التالية . سوف يكون هذا أيضا بمثابة قرض بفائدة أربعة بالمائة . إن كنت ترى أن هذه القيمة ليست كافية لتلبية احتياجاتك ، فأنصحك بأن تدعم صورتك لدى موكلى وبأن تكتفى بهذا المبلغ " .

قال هابيل وهو يسعى لمحاكاة نبرة الرجل المصرفى فى الحديث : " سوف أضع هذا فى اعتبارى " .

فتح كورتيس فنتون أحد أدراج مكتبه وأخرج سيجارة كوبية كبيرة .

" هل تدخن ؟ "

قال هابيل الذى لم يكن قد ذاق الدخان من قبل فى حياته : " نعم " .

أخذ يسعل فى طريق عودته فى شارع لاسال إلى فندق ستيفنز . كان ديفيد مكستون يقف فى شموخ فى بهو الفندق . أطفأ هابيل السيجارة الكوبية نصف المنتهية فى شيء من الارتياح ثم سار نحو ديفيد مكستون .

" سيد روزنوفسكى ، تبدو رجلا سعيدا هذا الصباح " .

" أنا بالفعل كذلك يا سيدى وكل ما يؤسفنى هو أننى لن أستطيع أن أعمل معك كمدير لهذا الفندق " .

" وأنا أيضا آسف لذلك يا سيد روزنوفسكى ولكن هذه الأنباء ـ بكل صراحة ـ لم تفاجئنى "

قال هابيل وهو يسعى ليث كل مشاعره فى هذه العبارة المقتضبة والنظرة التى صاحبت العبارة : " أشكرك على كل شيء " .

ترك ديفيد مكستون وتوجه نحو غرفة تناول الطعام بحثا عن زافيا ولكنها كانت قد أنهت عملها . صعد هابيل فى المصعد إلى غرفته وأعاد إشعال السيجار ثانية وأخذ منها نفسا بمنتهى الحرص واتصل ببنك كين وكابوت . أوصلته السكرتيرة بالسيد ويليام كين .

" السيد كين ، لقد عثرت على مشتر لمجموعة فنادق ريكموند . سوف يتصل بك السيد كورتيس فنتون من كونتيننتال تراست لكن فى وقت لاحق اليوم لكى يوافيك بكل التفاصيل . لن تكون هناك بالتالى ضرورة لطرح الفنادق للبيع فى السوق " .

كانت هناك فترة صمت قصيرة اعتقد هابيل ـ وهو ما أثار فى نفسه الشعور بالرضا ـ أنها تنم عن هول وقع الأنباء ، على ويليام كين .

" أشكرك لإعلامى بالأمر يا سيد روزنوفسكى . هل لى أن أعرب عن مدى سعادتى لأنك عثرت على شخص يدعمك . أتمنى لك كل النجاح فى المستقبل " .



" وهو أكثر مما أتمناه أنا لك يا سيد كين " .

وضع هابيل سماعة الهاتف واستلقى على فراشه وأخذ يفكر فى المستقبل .

عاهد هابيل نفسه وهو يحدق فى السقف : " فى يوم ما سوف أشترى بنكك اللعين وأدفعك للقفز من نافذة غرفتك فى الطابق السابع عشر " . ثم التقط سماعة الهاتف واتصل بعاملة خدمة الهاتف وطلب منها أن تتصل بالسيد هنرى أوسبورن فى شركة جريت وسترن للتأمين ضد الحوادث .

# الفصل التاسع عشر

أعاد " ويليام " سماعة الهاتف إلى موضعها وقد اعتراه الشعور بالسعادة أكثر من الشعور بالضيق من رد فعل هابيل روزنوفسكى الحاد . كان يشعر بالأسف لأنه لم ينجح فى إقناع البنك بدعم هذا الشاب البولندى الذى كان " ويليام " يؤمن إيمانا راسخا بأنه قادر على إنقاذ مجموعة فنادق ريكموند . ولكنه فعل ما يمليه عليه الواجب بإعلام اللجنة المالية فى البنك بأن هابيل روزنوفسكى قد عثر على ممول وبإعداد الأوراق القانونية اللازمة لتسليم الفنادق للمشترى الجديد وأخيرا إغلاق ملف مجموعة ريكموند .

شعر ويليام بسعادة غامرة لوصول ماثيو إلى بوسطن بعد مرور بضعة أيام لكى يتولى منصبه كمدير لقسم الاستثمار فى البنك . لم يكن تشارلز ليستر يخفى على أحد بأنه ينظر إلى الخبرة المهنية المكتسبة فى أى بنك آخر بمثابة مكسب قيم لماثيو على المدى الطويل وهو فى طريقه لترأس بنك ليستر . وفجأة تراجعت الأعباء





التى كان يحملها ويليام إلى النصف ولكن وقته مع ذلك أصبح مشحونا طوال الوقت . لقد وجد نفسه مدفوعا إلى الصياح فى فزع داخل ملاعب التنس وأحواض السباحة فى كل فترة ولحظة راحة يمكن أن يقتنصها . ومع ذلك فإن اقتراح ماثيو بالذهاب إلى رحلة تزلج إلى فرمونت قوبل بالرفض الصارم من قبل ويليام ولكن هذا النشاط المفاجئ قد عمل على الأقل على تخفيف شعوره بالوحدة وشوقه إلى كات .

وقد بدا ماثيو مرتاباً فى الأمر بشكل واضح : " يجب أن أقابل المرأة التى نجحت فى أن تجعل ويليام كان يحلم أثناء اجتماع مجلس الإدارة بشأن إمكانية شراء البنك للمزيد من الذهب " .

" انتظر إلى أن تراها يا ماثيو . أعتقد أنك سوف توافقنى الرأى بأنها استثمار يفوق استثمار الذهب " .

" أصدقك . ولكننى لا أريد أن أكون الشخص الذى سوف يخبر سوزان . لأنها مازالت تعتقد بأنك أنت رجلها الوحيد فى العالم " .

ضحك ويليام ، لم يكن هذا الأمر قد طرأ بباله .

كانت كومة الخطابات الصغيرة التى ترسلها كات والتى كانت تزداد يوما بعد يوم تقبع داخل أحد الأدراج المغلقة فى مكتب يليام فى البيت الأحمر. كان ويليام يقرؤها ويعيد قراءتها مرارا وتكرارا حتى أنه سرعان ما حفظها عن ظهر قلب . وأخيرا وصله الخطاب الذى كان يتوق إليه وهو يحمل تاريخا محددا .

بوكهرست بارك

١٤ فبراير عام ١٩٣٠

عزيزى ويليام

أخـيرا ، حزمـت كـل أغراضـى وتخلصـت مـن كـل المقتنيـات إمـا بـالبيع أو بـالتخلى عنهـا وسـوف أصـل إلى بوسطن فى التاسع عشر من هذا الشهر . أكاد أكـون مرتعـدة من لقائك ثانية . ماذا لو تبـددت كـل هـذه المشـاعر الرائعـة مثل فقاعة فى برد الشـتاء علـى صفحة المـاء ؟ يـا إلهـى ، أرجو ألا يحدث ذلك . لا أعرف كيف كان يمكن أن أجتـاز شهور الوحدة العصيبة هذه بدونك .

مع حبى
كات

فى الليلة التى سبقت وصول كات ، عاهد ويليام نفسه بأنـه لـن يتعجل الأمور حتى لا يحدث ما قد يندم هو أو هى عليه فيما بعد . كان يستحيل عليه أن يقيم إلى أى مدى كانت قد تطورت مشـاعرها فى الفترة الأخيرة فى الوقت الذى كانـت فيـه فـى مرحلـة انتقاليـة عصبية إثر وفاة زوجها . هكذا صرح لماثيو .

قال ماثيو : " كف عن هذا السلوك المثير للرثـاء . أنـت تحبهـا ويمكنك أن تواجه الأمر " .

عندما وقع بصره على كات فى محطة القطار ، تخلى ويليام عن كل نواياه الحذرة ثـم انـدفع بعـد أن رأى تلك الابتسـامة الوضـاحة تضىء وجهها بين حشـود المسـافرين واحتضـنها بقـوة بـين ذراعيـه حتى أعجزها عن التقاط أنفاسها .

"مرحبا بك فى بيتك يا كات " .



كان ويليام على وشك تقبيلـها عنـدما سحبت نفسـها . انـدهش ويليام قليلا .

" ويليام ، لا أظن أنك قد قابلت والدى من قبل " .

فى هذه الليلة تناول ويليام العشاء مع عائلة كات وكـان يقابلـها فى كل يوم ينجح فيه فى الإفلات من مشـاكل البنـك ولعـب التـنس مع ماثيو حتى إن كان لساعتين فقط . بعد أن قابل ماثيو كات للمرة الأولى عرض على ويليام التخلى عن كل أنصـبته فـى الـذهب مقابـل كات واحدة .

أجاب ويليام : " أنا لا أخسر فى صفقاتى أبدا . وعلـى عكسـك يا ماثيو فأنا أبحث عن الجودة وليس الكم " .

قال ماثيو : " إذاً أنا مصر علـى أن تخبرنـى أيـن عثـرت علـى إنسانة قيمة مثل كات ؟ "

أجاب ويليام : " فى قسم التصـفيات فـى البنـك ، وهـل هنـاك مكان آخر ؟ "

" إذن أحلـها إلى أصـل شخصـى يـا ويليـام سـريعا وإلا فسـوف أقتنصها منك ، تأكد من ذلك " .

قدرت خسائر بنك كين وكابوت منذ أزمة عـام ١٩٢٩ بمـا يزيـد عن ٩ ملايين دولار وهو ما بقى فى نطاق الخسائر الطبيعية لبنك فى حجم بنك كين وكابوت . كانت هنـاك الكـثير مـن البنـوك التـى لم تكن تقل حجما كثيرا عنـه قـد انهـارت ، وقـد وجـد ويليـام نفسـه تحت ضغوط كبيرة متواصلة على مدى عام ١٩٣٠ .

عندما انتخب فرانكلين دى روزفلت رئيسا للولايات المتحدة وعد بتقديم الراحة والرفاهيـة والإصـلاح . خشـى ويليـام ألا تحمـل هـذه

الصفقة الجديدة الكثير لبنك كين وكابوت . بدأت عجلة العمل تدور ببطء شديد ووجد ويليام نفسه يخطط فى تردد للتوسع .

وفى هذه الأثناء كان تونى سيمونس الذى كان مازال يدير فرع لندن قد وسع نطاق أنشطته وحقق ربحا محترما لكين وكابوت أثناء أول عامين من عمله . كانت إنجازاته تبدو أفضل كثيرا من تلك التى حققها ويليام فى هذه الفترة التى نجح فيها بالكاد فى البقاء عند حد اللاربح واللاخسارة فى نفس الفترة .

وفى نهاية عام ١٩٣٢ ؛ استدعى آلان ليويد تونى سيمونس إلى بوسطن لكى يقدم تقريرا شاملاً لمجلس الإدارة عن أنشطة البنك فى لندن . حينما ظهر سيمونس ثانية صرح عن رغبته فى ترشيح نفسه لشغل منصب الرئاسة بعد تقاعد آلان ليويد بعد خمسة عشر شهرا . وقد أخذ ويليام على غرة لأنه كان قد اعتقد أن فرصته سيمونس قد انعدمت فى حصوله على هذا المنصب بعد اختفائه فى لندن تحت ضغط أزمة عابرة . وقد بدا ذلك غير منصف بالنسبة لويليام الذى كان يدرك أن ما حققه سيمونس من نجاح لم يكن راجعا إلى دقته وإنما فقط لأن الاقتصاد البريطانى كان أفضل حالا قليلا من الاقتصاد الأمريكى فى هذه المرحلة .

عاد سيمونس إلى لندن لتتوالى نجاحاته فى العام التالى ثم عاد ليخاطب مجلس الإدارة فى شيء من الفخر وهو يعلن بأن الأرقام النهائية للعام فى فرع لندن تشير إلى ربح يفوق المليون دولار أى أنه قد سجل رقما قياسيا . أما الربح الذى كان قد سجله ويليام لنفس العام فقد بدا متواضعا أمام هذا الرقم . كانت صدمة عودة تونى سيمونس واحتلاله هذه المكانة قد تركت لويليام عاما واحدا فقط يستطيع خلاله أن يقنع المجلس بوجوب مساندته قبل أن يتفوق عليه خصمه العنيد .



استمعت كات على مدى ساعات لمشاكل ويليام وهى تقدم له من وقت إلى آخر بعض التعليقات المتفهمة أو بعض الاستجابات المتعاطفة أو بعض التخفيف للعبء الذى كان يثقل به على نفسه . وقد أخبره ماثيو الذى كان عين ويليام وأذنه داخل البنك بأن التصويت سوف يؤول بالمناصفة بينهما لأن المجلس سوف ينقسم إلى مجموعة ترى أن ويليام مازال صغيرا للغاية لتولى مسئولية منصب كهذا ومجموعة أخرى ترى أن تونى سيمونس هو المسئول عن الخسارة التى منى بها البنك عام ١٩٢٩ . بدا أن معظم الأعضاء غير التنفيذيين فى المجلس مما لم يسبق لهم التعامل بشكل مباشر مع ويليام من قبل وكأن عامل فارق السن بين المترشحين قد سيطر عليهم أكثر من أى عامل آخر . ظل ماثيو يسمع مرارا وتكرارا عبارة " إن وقت ويليام سوف يحين " . وقد أقدم ماثيو ذات مرة على تقمص دور الشيطان وأوعز إلى ويليام قائلا : " يمكنك من خلال النسبة التى تملكها فى هذا البنك أن تعزل كل أعضاء مجلس الإدارة الحاليين وتشكل مجلساً آخر وفق اختيارك يدين لك بالوفاء وتصبح أنت رئيس البنك " .

كان ويليام يدرك جيدا هذا السبيل نحو القمة ولكنه كان قد قرر بالفعل أن يستبعد أية وسيلة تحايل لأنه كان يريد أن يصبح مديرا للبنك عن استحقاق وجدارة . لقد كانت ـ على أية حال ـ هذه هى الطريقة التى كان قد نجح بها والده فى بلوغ هذا المنصب كما أن هذا هو ما يتفق مع ما تنتظره كات منه .

وفى الثانى من شهر يناير عام ١٩٣٤ : أرسل آلان ليويد لكل عضو إخطارا بعقد اجتماع لمجلس الإدارة فى عيد ميلاده الخامس والستين بهدف اختيار الشخص الذى سوف يخلفه فى هذا المنصب . ومع اقتراب اليوم الموعود للتصويت ؛ وجد ماثيو نفسه

يدير قسم الاستثمار بيد واحدة تقريبا بينما وجدت كات نفسها مسئولة عن مهمة تغذية الاثنين وهما لا يكفان عن مراجعة المرحلة الأخيرة من حملة الانتخابات . لم يشك ماثيو من ضغط العمل الذى كان يحمله على عاتقيه منفردا بسبب قضاء ويليام الساعات فى الإعداد لحملة انقضاضه على الكرسى المرتقب لرئاسة البنك . أما ويليام الذى كان واثقا من أن ماثيو لن يجنى شيئا من وراء نجاحه ، حيث سيحل محل والده في يوم ما فى نيويورك - وهو منصب أكبر من منصب رئاسة بنك كين وكابوت كثيراً - فقد كان يتمنى أن يأتى اليوم الذى يقدم فيه خدمة إلى " ماثيو " دون مقابل .

وقد كان هذا اليوم الذى يتطلع إليه أقرب مما كان يتصور.

عندما حل يوم عيد ميلاد آلان ليويد ، كان كل أعضاء مجلس الإدارة السبعة عشر حاضرين . وقد افتتح اللقاء بكلمة من رئيس البنك الذى ألقى خطاب وداع استغرق أكثر من أربع عشرة دقيقة مرت على ويليام وكأنها دهر كامل . كان تونى سيمونس يدق بقلمه فى توتر فوق حافظة الأوراق القانونية الموضوعة أمامه بينما كان ينظر إلى ويليام من آن إلى آخر . لم يكن أى منهما يصغى إلى خطبة آلان .

وأخيرا جلس آلان وسط تصفيق حار أو ربما كان كذلك لأنه صادر عن ستة عشر مصرفيا من بوسطن . عندما خف التصفيق ، نهض آلان ليويد لآخر مرة كمدير لبنك كين وكابوت .

" والآن أيها السادة ، يجب أن ننتخب خليفة لى . هناك عضوان باهران مرشحان لخلافتى فى هذا المنصب ، الأول هو مدير فرعنا فى الخارج السيد أنتوى سيمونس والثانى هو مدير قسم الاستثمار الأمريكى السيد ويليام كين . كلاهما معروف لديكما تماما



أيها السادة . ولذا فأنا لست عازما على التحدث بإسهاب عن مزايا كلا الرجلين والمزايا التى سوف يحظى بها البنك تحت قيادة أى منهما " .

نهض ويليام فى البداية وفق الاتفاق الذى عقد بين الطرفين فى الليلة الماضية من خلال اقتراع ، وخاطب المجلس على مدى عشرين دقيقة تحدث خلالها بالتفصيل عن عزمه على سبر أغوار مجالات جديدة لم يسبق للبنك أن استثمر فيها من قبل . وقد ركز على عزمه بشكل خاص على توسيع قاعدة البنك والخروج من حالة الركود الاقتصادى في نيو إنجلاند والاقتراب من البؤرة المصرفية التى كان يؤمن أنها أصبحت الآن فى نيويورك . وقد نوه أيضا إلى إمكانية إنشاء شركة قابضة متخصصة فى المجال المصرفى التجارى ( وهنا هز أكبر عضو من أعضاء مجلس الإدارة رأسه فى حالة عدم تصديق ) . كان يريد أن يزداد البنك توسعا وأن يتحدى الجيل الجديد من أصحاب الأموال الذين يتولون قيادة أمريكا فى ذلك الوقت وأن يرى كين وكابوت يدخل النصف الثانى من القرن العشرين كإحدى القلاع المالية فى الولايات المتحدة . عندما جلس ، شعر ويليام بالرضا من همسات التأييد التى كانت تحيط به ، كان خطابه قد لاقى فى مجملة قبولا من قبل المجلس .

عندما نهض تونى سيمونس ، اتخذ اتجاه أكثر محافظة بكثير ، وتحدث عن كون البنك يجب أن يدعم وضعه على مدى السنوات القليلة التالية ، ويجب أن يتحرك بتؤدة نحو المجالات المنتقاة الأكثر أمنا ويجب أن يتمسك بالأنماط المصرفية التقليدية التى أكسبت كين وكابوت سمعته التى يتمتع بها حاليا . ذكر أنه قد استوعب جيدا درس فترة الانهيار الاقتصادى وأن هدفه الأساسى كما أضاف ضاحكا هو أن يتأكد من دخول بنك كين وكابوت النصف

الثانى من القرن العشرين فى المقام الأول . تحدث تونى بحرص وبلجهة واثقة كان ويليام يدرك أنه أصغر بكثير من القدرة على مجاراتها . عندما جلس تونى ، لم يكن ويليام قادرا على معرفة لأى جانب سوف ينحاز مجلس الإدارة بالرغم من أنه كان مازال مقتنعا بأن الأغلبية سوف تميل إلى التوسع بدلا من الالتزام بحالة السكون .

وقد أعلن آلان ليويد أنه ليست لديه أو لدى المرشحين نية للتصويت . تلقى كل عضو من الأعضاء الأربعة عشر ورقة الاقتراع . وقام كل منهم بتدوين الاسم المختار بمنتهى العناية ورد البطاقات لآلان الذى بدأ بصفته قائما على الانتخاب ، بإحصاء الأعداد ببطء . وجد ويليام نفسه عاجزا عن رفع عينيه من فوق الحافظة الورقية التى كان قد خط عليها بعض الأشكال العبثية والتى كانت تحمل أيضا آثار يديه المتصببة عرقا . عندما أنهى آلان مهمة الإحصاء ، ساد السكون كل أرجاء الغرفة .

ثم أعلن النتيجة ، ستة أصوات لصالح كين وستة أصوات لصالح سيمونس ، مع امتناع اثنين من الأعضاء عن التصويت . امتلأت الغرفة بالهمهمة والهمس بين أعضاء المجلس ، فطلب آلان منهم استعادة النظام . وقد أخذ ويليام أثناء فترة الصمت التالية نفسا مسموعا .

صمت آلان ليويد ثم قال : " أرى أن التصرف المناسب فى مثل هذه الظروف هو أن أطلب من كل عضو من أعضاء المجلس أن يدلى بصوته . إن وجد أى عضو من العضوين اللذين امتنعا عن التصويت فى نفسه قدرة على اختيار مرشح فقد يمنح هذا المرشح أغلبية فى التصويت " .



بدأت الهمهمة تدور ثانية . لم يتمكن ويليام حتى من مراقبة عملية التصويت فى المرة الثانية . بينما كان كل عضو يدون اسم مرشحه فوق بطاقة الاقتراع سمع ويليام أصوات الأقلام المعدنية وهى تكتب الأسماء فى الورق . وثانية عادت بطاقات الاقتراع إلى آلان ليويد . وثانية قام بفتحها ببطء واحدة بواحدة ولكن فى هذه المرة وهو يقرأ اسم المرشح فى كل مرة يفتح فيها بطاقة .

" ويليام كين "

" تونى سيمونس ، تونى سيمونس ، تونى سيمونس "

ثلاثة أصوات مقابل صوت واحد لسيمونس

" ويليام كين ، ويليام كين "

" تونى سيمونس "

" ويليام كين ، ويليام كين ، ويليام كين "

ستة أصوات مقابل أربعة لويليام .

" تونى سيمونس ، تونى سيمونس "

" ويليام كين "

" سبعة أصوات مقابل ستة أصوات لصالح ويليام "

بدا لويليام وكأنه قد مر دهر كامل قبل أن يفتح آلان ليويد آخر بطاقة من بطاقات التصويت .

أعلن آلان : " تونى سيمونس " . نتيجة التصويت هى سبعة أصوات لكل مرشح أيها السادة " .

كان ويليام يعرف أن آلان ليويد أصبح بذلك مجبرا على الإدلاء بصوته وبالرغم من أنه لم يفصح يوما عن العضو الذى يميل إلى توليه رئاسة البنك ، فقد كان ويليام يشعر دائما أنه إن وصل الأمر إلى نهاية محتومة فسوف يقدمه آلان على تونى سيمونس .

" بما أن التصويت وصل فى المرتين السابقتين إلى التعادل وبما أننى افترض أنه ليس هناك عضو من أعضاء المجلس يريد أن يغير رأيه ، فإننى يجب أن أدلى بصوتى للشخص الذى أشعر أنه يجب أن يخلفنى فى رئاسة بنك كين وكابوت . أعرف أننى فى وضع لا أحسد عليه ولكن ليس أمامى سوى أن أقول ما أراه صوابا وأن أساند الرجل الذى أرى أنه يجب أن يخلفنى فى رئاسة البنك . والرجل هو " تونى سيمونس "

لم يصدق ويليام أذنيه عندما سمع الاسم ، كما ارتسمت علامات الدهشة أيضا على وجه سيمونس الذى بدا فى حالة صدمة . نهض من مقعده مقابل ويليام وسط تصفيق حار وتبادل مع آلان ليويد الكرسى الذى يرأس المائدة وخاطب مجلس إدارة بنك كين وكابوت لأول مرة بصفته الرئيس الجديد . شكر أعضاء مجلس الإدارة على دعمهم له وأشاد بنزاهة ويليام الذى لم يستغل سلطته ونفوذه المادى ووضعه العائلى للتأثير على التصويت لصالحه . ثم دعا ويليام لكى يكون نائبا للرئيس واقترح أن يحل ماثيو ليستر محل آلان ليويد كمدير ، وقد لاقى كلا الاقتراحين موافقة بالإجماع من قبل المجلس .

جلس ويليام يحدق فى صورة والده وهو يدرك تماما أنه قد خذله .

# الفصل العشرون

أطفأ هابيل سيجارة الكورونا للمرة الثانية وأقسم ألا يذوق التبغ ثانية إلا عندما يسدد دين المليونى دولار التى كان يجب أن يسددها قبل أن تؤول الفنادق إلى سيطرته الكاملة . لم يكن هناك وقت للسيجار الكبير بينما كان مؤشر داو جونز قد انخفض لأقل معدلاته وكان الفقر المدقع يسود معظم المدن الأمريكية . لقد كان أولا بحاجة لأن يتخير أفضل طاقم من العاملين فى فندق ريكموند شيكاغو .

نهض من فوق سريره وارتدى سترته وسار نحو ملحق الفندق حيث كان يعيش كل من لم يعثر بعد على العمل من أفراد طاقم عمل الريكموند منذ نشوب الحريق . قام هابيل بإعادة توظيف كل من كان يثق به ومنح كل من كان على استعداد لمغادرة شيكاغو وظيفة فى أحد فروع الفندق المتبقية . وقد أوضح موقفه بمنتهى الجلاء منذ البداية وهو أنه فى ظل ظروف البطالة التى لم يكن قد سبق لها مثيل فإن الموظف سوف يبقى محتفظا بوظيفته مادام الفندق يحقق أرباحا . وقد أدرك هابيل أن باقى الفنادق كانت تعج بنفس الفساد

الذى كان يعج به فندق ريكموند شيكاغو . كان يريد أن يغير كل هذا ويريد أن يغيره بسرعة . عين هابيل مساعديه الثلاثة كمدراء لثلاثة فنادق ؛ ريكموند دالاس وريكموند سينسيناتي وريكموند سانت لويز . كما عين مساعدى مدراء جدداً فى باقى الفنادق السبعة ؛ هوستون وموبيل وتشارلستون وأتلانتا وممفيس ونيو أورليانز ولويز فيل . كانت الفنادق الأصلية لليروى تقع جميعها فى الجنوب والمنطقة الغربية الوسطى . أما فندق ريكموند شيكاغو فقد كان هو الفرع الوحيد الذى تولى ديفيز ليروى بنفسه إنشاءه . وقد استغرق هابيل ثلاثة أسابيع أخرى إلى أن استقر كل فرد من أفراد طاقم عمل ريكموند شيكاغو فى فندقه الجديد .

وقد قرر هابيل أن يكون المقر الرئيسى للفندق فى ملحق ريكموند شيكاغو وأن يفتتح مطعما صغيرا فى الدور الأرضى . كان من المنطقى أن يبقى قريبا من البنك الذى كان يموله ويسانده بدلا من أن يقيم فى أحد فنادق الجنوب . كما أن زافيا فضلا عن ذلك ، كانت تقيم فى شيكاغو وقد كان هابيل واثقا من أنها بمرور الوقت سوف تتخلى عن صديقها الوسيم وتقع فى هواه . كانت زافيا هى المرأة الوحيدة التى تشعره بالثقة من بين كل من عرفهن . عندما كان هابيل على وشك السفر إلى نيويورك لتوظيف المزيد من العاملين ، كان قد انتزع عهدا منها بأنها لن تقابل صديقها هذا ثانية .

فى الليلة التى سبقت رحيل هابيل ؛ باحت له زافيا بحبها للمرة الأولى . كانت رقيقة وضحوكة .

كانت كلمات هابيل الرقيقة ولمساته الدافئة قد فاجأت زافيا .

قالت محاولة استثارته : " كم بلغ عدد الفتيات اللاتى أحببتهن منذ مغادرة البلاك آرو ؟ " .

أجاب : " ليست هناك واحدة يعنينى أمرها " .



أضافت : " ألم تكن من بينهن من مكنتك من نسيانى ؟ "

" أنا لم أنساك أبدا " قالها كذبا ؛ وهو ينحنى لكى يقبلها ؛ إيمانا منه بأن هذه هى الطريقة الوحيدة لوضع حد لهذا الحوار .

عندما وصل هابيل إلى نيويورك ، كان أول شىء فعله هو البحث عن جورج ، الذى وجده قد ترك عمله ويعيش فوق سطح أحد بيوت شارع إيست ثيرد . كان هابيل قد نسى كيف تبدو البيوت فى مثل هذه الأحياء التى تشترك فيها عشرون أسرة فى البيت الواحد . كانت رائحة الطعام الردىء تفوح من كل الغرف ورائحة الوسخ تفوح من دورات المياه ، وكانت السرر يشغلها ثلاثة أشخاص مختلفين كل أربع وعشرين ساعة . كان الفرن قد أغلق على ما يبدو وكان عم جورج قد التحق بالعمل فى أحد المطاحن الكبرى على أطراف نيويورك . ولكن جورج لم يجد لنفسه عملا فى نفس المطحن . وكان يتوق إلى العمل مع هابيل ومجموعة ريكموند بأى ثمن .

عين هابيل ثلاثة موظفين جدداً ؛ رئيسا للفطائر الحلوة ومشرف عمل وكبير ندل قبل أن يسافر ومعه جورج ثانية إلى شيكاغو لإقامة القاعدة فى ملحق ريكموند . كانت معظم الفنادق فى الجانب الشرقى قد قللت عمالتها إلى أدنى حد ممكن مما سهل على هابيل مهمة انتقاء أناس أصحاب خبرات ؛ كان من بينهم موظف من فندق بلازا نفسه .

فى بداية شهر مارس ؛ خرج هابيل وجورج فى جولة لتفقد مجموعة الفنادق . وقد طلب هابيل من زافيا أن تصحبهما فى الرحلة حتى أنه عرض عليها فرصة العمل فى أى فندق يقع عليه اختيارها ، ولكنها لم تطق فكرة مغادرة شيكاغو ، المكان الوحيد

الذى كانت تعرفه وتألفه فى أمريكا . ولكنها كحل وسط ، ذهبت لتقيم فى غرفة هابيل فى الملحق أثناء سفره فى جولته .

أخذ جورج الذى كان قد تطبع بطباع وأخلاق الطبقة الأمريكية الوسطى وكان قد نشأ نشأة تقليدية أيضا ، يعدد مزايا الزواج لهابيل الذى كان من منطلق وحدته ومعيشته فى إحدى غرف الملحق على استعداد للإنصات لنصيحة صديقه .

لم يفاجأ هابيل عندما أدرك أن باقى مجموعة الفنادق لم تكن تدار بكفاءة فضلا عن أنها كانت مازالت تتعرض للنهب ، ولكن حالة البطالة التى كانت تعم البلاد فى ذلك الوقت قد دفعت جميع العاملين للترحيب بهابيل باعتباره منقذ المجموعة من الانهيار . لم يجد هابيل ضرورة لفصل كل طاقم العمل بنفس النطاق الذى كان قد فعله من قبل فور وصوله إلى شيكاغو ، لأن معظم من كانوا يعرفونه ويسمعون به كانوا قد غادروا بالفعل خوفا منه . ومع ذلك فقد بقيت رؤوس أخرى ينبغى أن تسقط لا محالة وكانت لأشخاص عملوا منذ فترة طويلة فى فنادق ريكموند وكانوا غير مستعدين لتغيير طرقهم الملتوية لمجرد وفاة ديفيز ليروى . فى العديد من الحالات ، وجد هابيل أن نقل بعض العاملين من فندق إلى آخر كان كفيلا بتوليد سلوك جديد . مع نهاية عامه الأول كمدير لمجموعة ريكموند ، كانت الفنادق تعمل بنصف طاقم موظفيها فى الماضى وكانت الخسارة قد تقلصت بدرجة كبيرة لتربو قليلا عن ١٠٠ ألف دولار . كان معدل تغيير العاملين التطوعى فى الفنادق بطيئاً للغاية وكانت ثقة هابيل فى مستقبل المجموعة قد بُثت بشكل وبائى فى نفوس الجميع .

وقد حدد هابيل لنفسه هدفا وهو الوصول إلى نقطة اللامكسب واللا خسارة ببلوغ عام ١٩٣٢ . كان يشعر أن الطريقة الوحيدة



لتحقيق هذه الربحية السريعة هو أن يدع كل مدير من مدراء الفنادق يتولى مسئولية فندقه مقابل منحه نسبة من الأرباح تماما بنفس الطريقة التى اتبعها معه ديفيز ليروى عند بداية تعيينه فى ريكموند شيكاغو .

كان هابيل يتنقل من فندق إلى آخر ، بدون أن يغفل عن واحد من الفروع وبدون أن يبقى لأكثر من ثلاثة أسابيع فى مكان واحد فى المرة الواحدة . لم يكن يسمح لأى شخص - باستثناء جورج المخلص ، الذى كان قد عينه وأذنه الأمينة فى شيكاغو - أن يعرف وجهته التالية وكان من آن إلى آخر يكسر هذا النظام المحكم لكى يزور زافيا أو كورتيس فنتون .

بعد تقييم كامل للوضع المالى للمجموعة ، كان على هابيل أن يتخذ بعض القرارات المزعجة . كان أكثر القرارات خطورة هو إغلاق فندقى موبيل وتشارلستون مؤقتا لأن حجم الخسارة هناك كانت فادحة وكان يمكن أن تستنزف أموال باقى فنادق المجموعة . وقد دفع إغلاق الفندقين العاملين فى باقى فنادق المجموعة إلى بذل المزيد من الجهد لتجنب هذا المصير . فى كل مرة كان هابيل يعود فيها إلى ملحق فندق شيكاغو ، كان يجد فى انتظاره قائمة من المطالب التى كانت بحاجة إلى عنايته الفورية ، مثل بعض المواسير المتفجرة فى دورات المياه وبعض الحشرات فى المطبخ وبعض الشكاوى فى قاعة تقديم الطعام فضلا عن وجود عميل متذمر يهدد برفع دعوى قضائية ضد الفندق .

اقتحم هنرى أوسبورن حياة هابيل ثانية بعرض تسوية تقدر بنحو ٧٥٠ ألف دولار من شركة تأمين جريت وسترن للتأمين ضد الحوادث والتى خلصت إلى أنه ليس هناك دليل يشير إلى تواطؤ هابيل مع ديسموند باسى فى حادث احتراق الفندق . لقد دعمت

شهادة الملازم أومالى موقف هابيل بشدة فى هذا الصدد وأدرك هابيل أن الرجل يستحق أكثر من مخفوق اللبن .

وقد سعد هابيل بحسم الأمر مع شركة التأمين وتوصله إلى ما نظر إليه باعتباره تعويضاً عادلاً . ومع ذلك فإن أوسبورن نصحه بأن يطالب برفع قيمة التأمين مقابل منحه نسبة من الفارق . وقد أشعر هذا الموقف هابيل الذى لم يكن الاختلاس من بين عيوبه بوجوب توخى الحذر من أوسبورن لأن الشخص الذى يكون على استعداد لخيانة شركته يمكن أن يتخلى عنه ببساطة إن رفعت الشركة دعوى ضده .

وفى ربيع عام ١٩٣٢ ، فوجىء هابيل بتلقى رسالة ودودة من ميلانى ليروى ، كانت الرسالة أكثر دفئا من طبيعة ميلانى الشخصية . شعر هابيل بالزهو ، بل والإثارة ، واتصل بها لكى يحدد لها موعدا على العشاء فى فندق ستيفنز ، وهو القرار الذى ندم عليه على الفور بمجرد دخوله قاعة تناول الطعام فى الفندق ، لأن زافيا كانت تقف فى القاعة فى حالة إعياء ووهن . أما ميلانى فقد كانت فى المقابل، تبدو نضرة ومشرقة فى ثوبها الأخضر الفاتح والذى كان يكشف عن جمال قوامها . كانت عيناها تبدوان ربما بسبب تأثير لون الثوب أكثر إخضرارا وجاذبية عن ذى قبل .

قالت وهى تجلس على مقعدها فى أحد أركان قاعة الطعام : " يسعدنى أن أراك فى هذه الحالة الطيبة يا هابيل ، كما أن الجميع يعرف بالطبع أنك تبلى بلاء حسنا فى عملك فى مجموعة ريكموند " .

قال هابيل : " مجموعة البارون " .

احمر وجهها قليلا : " لم أكن أعرف أنك قد غيرت الاسم " .



" نعم ، لقد غيرته فى العام الماضى ، " قالها كذبا . كان قد قرر فى تلك اللحظة ذاتها أن يطلق اسم البارون على كل فندق من فنادق المجموعة . وأخذ يسأل نفسه عن سبب عدم تفكيره فى هذا الأمر من قبل .

قالت ميلانى وهى تبتسم : " اسم مناسب " .

كان هابيل يدرك أن زافيا كانت تحدق فيهما من الجانب المقابل من الغرفة ، ولكن الوقت كان قد تأخر على أن تفعل شيئا .

سألها هابيل ، وهو يخط اسم "مجموعة البارون " خلف قائمة الطعام : " أنت لا تعملين ؟ " .

" كلا ، لا أعمل حاليا ، ولكن الأمور بدأت تتحسن قليلا . إن أى امرأة تحمل شهادة الفنون الحرة فى هذه المدينة يجب أن تبقى جالسة فى انتظار تعيين كل الرجال قبل أن تأمل فى الحصول على وظيفة " .

قال هابيل : " إن أردت أن تلتحقى بالعمل فى مجموعة البارون فى أى وقت ـ وركز على اسم الفندق ـ فما عليك إلا أن تعلمينى بذلك " .

قالت ميلانى : " كلا ، كلا أنا بخير " .

غيرت ميلانى مجال الحوار سريعا إلى الموسيقى والمسرح . كان الحوار معها بالنسبة لهابيل بمثابة تحد غير معتاد وممتع . كانت مازالت تسعى لاستفزازه فى الحديث ولكن بذكاء مما أشعره بمزيد من الثقة فى صحبتها عن أى وقت سبق فى الماضى . استمر العشاء حتى الحادية عشرة بوقت غير قليل ، وعندما كان الجميع قد غادر قاعة الطعام بما فى ذلك زافيا بعيون حمراء دامعة ، أوصل هابيل ميلانى إلى بيتها ، وفى هذه المرة دعته هى لتناول شراب . جلس عند طرف الأريكة بينما صبت له الشراب وأدارت اسطوانة .

قال هابيل : " لا يمكننى أن أبقى طويلا . أمامى يوم مشحون فى الغد " .

" هذا ما يفترض بى أن أقوله أنا يا هابيل . لا تكن على عجلة . هذه الأمسية سوف تكون ممتعة مثل الأيام الخوالى " .

جلست بجواره ، وقد أخذت تنظر إليه نظرات ذات مغزى . ليس تحديدا مثل الأيام الخوالى ، كما فكر فى نفسه . يالها من عيون مذهلة . وبدون أية بادرة مقاومة من جانبه عندما اقتربت منه . فى لحظات وجد نفسه يقبلها أو ربما هى التى كانت تقبله وبدت متجاوبة هذه المرة ، وأمضيا معاً ليلة بكاملها .

وفى الصباح ، أعدت له ميلانى الإفطار واستجابت لكل طلباته حتى اللحظة التى كان فيها على وشك المغادرة .

قالت له : " سوف أراقب مجموعة البارون بحماس جديد . لا أعتقد أن هناك من يشك فى أنها سوف تحقق نجاحاً باهراً " .

قال هابيل : " أشكرك على الإفطار والليلة التى لا تنسى " .

قالت ميلانى : " أتمنى أن نتقابل ثانية فى أقرب فرصة " .

قال هابيل : " أتمنى ذلك " .

قبلته على خده كما لو كانت زوجة تودع زوجها قبل الذهاب إلى عمله .

وقالت له فى براءة وهى تساعده على ارتداء معطفه : " أتساءل عن سعيدة الحظ التى سوف تتزوجها " .

نظر إليها وابتسم فى رقة : " عندما أتخذ هذا القرار يا ميلانى ثقى أننى سوف أعمل بنصيحتك " .

سألت ميلانى فى حياء : " ما الذى تقصده ؟ "



أجاب هابيل وهو يسير نحو الباب الأمامى : " ببساطة سوف أحتاج نصيحتك لكى أتأكد من أننى قد عثرت على الفتاة البولندية المناسبة " .

تزوج هابيل من زافيا بعد مرور شهر واحد . أقيم حفل العرس فى فندق ستيفنز واستمر الرقص طوال الليل . كان العرف يقضى بأن يدفع كل راقص مع زافيا مبلغا رمزيا فى هذه الليلة وكان جورج قد بذل قصارى جهده وهو يجوب أنحاء القاعة بلا توقف لالتقاط الصور للمدعوين فى كل الأوضاع الممكنة . بعد تناول وجبة بولندية تقليدية فى منتصف الليل ، صعد هابيل وزافيا لقضاء ليلتهما فى الجناح الخاص بالعرائس فى الفندق .

وقد فوجئ هابيل وشعر بسعادة عندما علم من كورتيس فنتون فى صباح اليوم التالى بأن تكاليف حفل العرس فى فندق ستيفنز قد سددت من قبل السيد مكستون على أنها هدية عرس . وقد استغل هابيل المال المدخر والذى كان من المفترض أن يدفعه لتسديد نفقات الحفل فى دفع مقدم بيت صغير فى شارع ريج .

كانت هذه هى المرة الأولى فى حياته التى يمتلك فيها بيتا خاصا به .

# الجزء الرابع

١٩٣٢ - ١٩٤١

# الفصل الحادى والعشرون

قرر ويليام أن يأخذ عطلة لمدة شهر فى إنجلترا قبل أن يتخذ أى قرار جاد بشأن مستقبله ، بل إنه كان يفكر فى الاستقالة من مجلس إدارة بنك كين وكابوت ، ولكن ماثيو أقنعه بأن هذا ليس تصرفا سليما وبأن أباه لم يكن ليقدم عليه لو كان قد تعرض لنفس الظروف . كان ماثيو يبدو أكثر تأثرا بهزيمة صاحبه من ويليام نفسه . فقد أتى فى الأسبوع التالى إلى البنك وآثار الإفراط فى تناول الشراب واضحة عليه كما أنه ترك بعض الأعمال المهمة بدون أن ينجزنها .

وقد قرر ويليام أن يمر هذان الحدثان بدون تعليق ودعا ماثيو لتناول العشاء معه هو وكات ولكن ماثيو رفض دعوته وادعى أن لديه كومة من الأعمال التى يجب أن ينجزها . لم يكن ويليام ليفكر فى أمر ماثيو ثانية لو لم يكتشف أنه كان يتناول العشاء فى نفس الليلة مع سيدة جذابة كاد ويليام يجزم أنها زوجة لأحد مديرى الإدارات

فى كين وكابوت . لم تعلق كات سوى بأن ماثيو لا يبدو على ما يرام .

لم يلتفت ويليام إلى سلوك صديقه الغريب بسبب انشغاله برحلته المفاجئة إلى أوروبا . وفى اللحظة الأخيرة شعر ويليام أنه لن يستطيع أن يقضى شهرا كاملا وحيدا فى إنجلترا فطلب من كات أن تصاحبه . وقد وافقت مرحبة .

أبحر ويليام وكات إلى إنجلترا على متن الموريتانيا ، كل فى كبينة منفصلة . بمجرد أن استقر الاثنان فى فندق ريتز فى غرف مستقلة بل وفى أدوار مستقلة ، اتصل ويليام بفرع كين وكابوت فى شارع لومبارد لكى يحقق الهدف الظاهرى لرحلته إلى إنجلترا بمراجعة أنشطة البنك هناك والاطلاع عليها . كانت الروح المعنوية مرتفعة وكان تونى سيمونس على ما يبدو مديرا محبوبا ، لم يكن يسع ويليام إلا أن يذعن بتأييده .

قضى ويليام وكات شهرا رائعا سويا فى لندن ثم همسفير ولنكولن شاير ، تفقد ويليام الأرض التى كان قد اشتراها هناك منذ بضعة أشهر ، كانت مساحة الأرض تزيد قليلا عن اثنى عشر أكرا فى الإجمالى . قال ويليام لكات : " إن العائد المادى للأراضى الزراعية ليس كبيرا ولكنه استثمار مضمون إن ساءت الأمور ثانية فى أمريكا " .

قبل العودة إلى الولايات المتحدة ببضعة أيام ، قررت كات زيارة أوكسفورد ووافق ويليام وقادها بالسيارة فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى . استأجر سيارة موريس جديدة ، لم يكن قد قادها من قبل . فى الحرم الجامعى قضى الاثنان يومهما فى التجول بين الكليات الرائعة ، كانت المناظر الطبيعية خلابة عظيمة . أما فى ميرتون فقد جلسا على العشب وأخذا يحلمان .



جاءهما صوت أحد حراس الكلية : " لا يمكنكما الجلوس على العشب يا سيدى " . ضحك الاثنان وسارا يده فى يدها وكأنهما مازالا طالبين فى الجامعة وأخذا يراقبان ثمانية صيادين وهم يبذلون جهدهم لدفع قاربهم بأقصى سرعة ممكنة . لم يكن ويليام يتصور أنه يمكن ان يعيش بعيدا عن كات .

بدأ رحلة العودة إلى لندن فى منتصف الظهيرة ، وعندما وصلا إلى هنلى على نهر التايمز ، توقفا لتناول قدح من الشاى فى مطعم فندق " بيل " الذى يطل على النهر . بعد تناول الكعك والشاى الإنجليزى ( كانت كات جريئة وتناولت الشاى باللبن فقط . أما ويليام فقط خففه بإضافة الماء الساخن ) ، رأت كات ضرورة الإسراع فى العودة قبل أن يحل الظلام فى الطريق ، ولكن ويليام عجز عن إدارة المحرك بالرغم من الجهد الذى بذله لتشغيل السيارة . وأخيرا ، استسلم الاثنان بما أن الوقت أيضا كان قد تأخر ، وقررا قضاء الليلة فى هنلى . عاد ويليام إلى مكتب الاستقبال فى فندق بيل وطلب حجز غرفتين .

قال موظف الاستقبال : " آسف يا سيدى ولكن ليس هناك سوى غرفة واحدة مزدوجة " .

تردد ويليام للحظة ثم قال : " حسنا ، احجزها لى " .

ارتسمت علامات الدهشة قليلا على وجه كات ولكنها لم تنطق بكلمة ، نظر إليها موظف الاستقبال فى ارتياب .

" السيد والسيدة ... ؟ "

قال ويليام فى حزم : " السيد والسيدة وليام كين . سوف نعود فى وقت لاحق " .

سأل الموظف : " هل هناك أية حقائب ؟ "

أجاب ويليام وهو يبتسم : " لم نحمل معنا أية حقائب " .

" أمرك يا سيدى " .

سارت كات وقد تملكتها الدهشة خلف ويليام فى شارع هنلى إلى أن توقفا أمام إحدى دور العبادة .

قالت كات : " هل لى أن أسأل ما الذى نحن بصدد عمله يا ويليام ؟ "

" سوف نفعل شيئا كان لابد أن نفعله منذ وقت طويل يا عزيزتى " .

لم تطرح كات المزيد من الأسئلة . عندما دخلا تلك الدار ، وجد ويليام الحارس جالساً على مقربة منهما فسأله ويليام :

" أين يمكن أن أجد المسئول عن مراسم الزواج ؟ " .

وقف حارس الدار فى استقامة وأخذ ينظر إلى ويليام فى أسف :

" فى مقره يا سيدى ، يمكننى أن أقول ذلك " .

سأل ويليام فى محاولة ثانية : " وأين مقره ؟ "

" أنت مواطن أمريكى ، أليس كذلك يا سيدى ؟ "

قال ويليام وقد بدأ ينفد صبره : " نعم "

قال الحارس : " مقره عند الباب الأول من الدار ، أليس كذلك ؟ "

قال ويليام : " أعتقد ذلك . هل يمكنك أن تبقى هنا لعشر دقائق ؟ "

" ولم ذلك يا سيدى ؟ "

أخرج ويليام ورقة بخمسة جنيهات استرلينى من جيبه وفردها وقال مخاطبا الرجل : " لتكن خمس عشرة دقيقة حتى ننهى ما جئنا لأجله ، أرجوك " .

تفحص حارس الدار الورقة النقدية بمنتهى الدقة وقال :



" أمريكيون ... أمرك سيدى " .

ترك ويليام الرجل مع عملته الورقية وأسرع هو وكات بالدخول . بينما كانا يمران بجوار لائحة الإخطارات الرئيسية فى الدار ، إذا بالكلمات التالية مدونة عليها : " المسئول عن هذه الدار سيمون توكسبورى " وبجوار هذه العبارة كان هناك إعلان مثبت بمسمار واحد فقط يناشد الجميع التبرع لبناء سقف جديد للدار . كل مليم لتجميع مبلغ الـ ٥٠٠ جنيه استرلينى المطلوبة سوف يفيد ، هكذا كان يقول الإعلان . أسرع ويليام وكات نحو مقر المسئول على بعد بضع ياردات وطرق الباب وإذا بسيدة ممتلئة مبتسمة تجيب الطرق .

سأل ويليام : " هل أنت السيدة توكسبورى ؟ "

أجابت مبتسمة : " نعم "

" هل يمكن أن أتحدث مع زوجك ؟ "

" ولكنه يتناول الشاى الآن . ألا يمكنكما العودة فى وقت لاحق ؟ "

أصر ويليام : " أخشى أن الأمر بالغ الأهمية " .

كانت كات تريد أن تتحدث معه ولكنها آثرت الصمت .

"حسنا فى هذه الحالة ، يجدر بكما الدخول " .

كان المقر يعود إلى بدايات القرن السادس عشر وكانت الغرفة الأمامية الصغيرة المبنية بالحجارة مزودة بمدفأة خشبية . قام المسئول ـ الذى كان يتناول شطائر الخيار ـ ليحييهما .

" عمت مساء يا سيد ... ؟ "

" كين يا سيدى ، ويليام كين " .

" ما الذى يمكن أن أسديه لك يا سيد كين ؟ "

قال ويليام : " كات وأنا نريد أن نتزوج " .

قالت السيدة توكسبورى : " يا للروعة " .

قال المسئول : " أجل بالطبع . هل أنت من سكان هذه المنطقة ؟ أنا لا أذكرك إطلاقاً " .

" كلا يا سيدى أنا أمريكى . وأقطن مدينة بوسطن " .

قال المسئول : " ماستشوستس على ما أظن وليس لنكولنشاير " .

قال ويليام : " نعم " وقد نسى للحظة أن هناك بوسطن أيضا فى إنجلترا .

قال المسئول : " رائع . وما هو الموعد الذى حددته لزواجكما ؟ "

" الآن يا سيدى " .

قال المسئول فى دهشة : " الآن يا سيدى ؟ أنا لا أعرف التقاليد التى تحيط بالرباط المقدس العظيم لمؤسسة الزوجية فى الولايات المتحدة يا سيد كين ؛ بالرغم من أننا نقرأ أحيانا عن بضع الحوادث الغريبة لبعض قاطنى كاليفورنيا . ولكننى أعتبر أنه من واجبى أن أعلمك أن مثل هذه التصرفات والعادات ليست مقبولة فى هنلى المطلة على التايمز . فى إنجلترا يا سيدى يجب أن تحدد تاريخ زواجك قبل الموعد بشهر كامل كما يجب أن يعلن عن الزواج فى ثلاثة أماكن مختلفة ما لم تكن هناك أية ظروف خاصة تفرض التصرف بشكل مختلف . وحتى فى وجود هذه الظروف الخاصة ؛ فأنا يجب أن أحصل على موافقة رؤسائى ولا يمكن أن أحقق ذلك فى أقل من ثلاثة أيام " .

تحدثت كات للمرة الأولى : " كم بقى من المال اللازم لبناء السقف الجديد ؟ "



" أجل ، السقف ، إنها قصة مؤسفة ؛ ولكننى لن أخوض فى تفاصيلها الآن . إن هذه الدار قد بنيت فى بداية القرن الحادى عشر ، هل تعرفين ذلك ؟ و ... " .

سأل ويليام وهو يضغط على يد كات : " ما هو المبلغ المطلوب ؟ "

" نأمل فى جمع خمسمائة جنيه استرلينى . لقد أبلينا بلاء لا بأس به إلى الآن ونجحنا فى الحصول على سبعة وعشرين جنيها وأربعة شلنات وأربعة بنسات فى سبعة أسابيع فقط " .

قالت السيدة توكسبورى : " كلا كلا يا عزيزى " أنت لم تحص الجنيه والأحد عشر شلنا والبنسين التى اكتسبتها من البيع والشراء الأسبوع الماضى " .

" معك حق يا عزيزتى . كم كان من غير اللائق أن أنسى إسهامك . هذا يعنى أن الحصيلة تصل إلى ... " بدأ الرجل يحاول أن يحصى الأرقام فى رأسه وهو يرفع عينيه نحو السماء بحثا عن الإلهام .

أخرج ويليام حافظته من جيبه وحرر شيكا بمبلغ ٥٠٠ جنيه استرلينى وقدمه فى صمت إلى توكسبورى .

قال المسئول فى انبهار ، وقد تغيرت نبرة صوته : " أرى أن هناك ظروفاً خاصة يا سيد كين . هل سبق لأحدكما الزواج من قبل ؟ "

قالت كات : " نعم ، لقد لقى زوجى مصرعه فى حادث طائرة منذ أربع سنوات " .

قالت السيدة توكسبورى : " يا للفظاعة . أنا آسفة لذلك ؛ أنا لم ... " .

قال المسئول ، وقد فاق اهتمامه بسطح الدار اهتمامه بمشاعر زوجته : " اصمتى يا عزيزتى . وأنت يا سيدى ؟ "

قال ويليام : " لم يسبق لى الزواج أبدا من قبل " .

" سوف أتصل برؤسائى . " قالها وهو يقبض بإحكام على شيك ويليام ثم اختفى فى الغرفة المجاورة .

دعت السيدة توكسبورى كات وويليام للجلوس وقدمت لهما شطائر الخيار . أخذت تثرثر ولكن ويليام وكات لم يسمعا كلمة واحدة من حديثها حيث جلس كل منهما يحدق فى الآخر .

عاد المسئول وهو يحمل ثلاث شطائر فى وقت لاحق .

" إنه أمر محظور ، ولكن المسئولين وافقوا بشرط أن توثق كل شىء فى السفارة الأمريكية غدا ثم فى بوسطن ، ماساتشوستس ، فور عودتك إلى وطنك " .

كان المسئول مازال يقبض على الشيك .

وواصل حديثه قائلاً : " كل ما نحتاجه الآن هو شاهدان " .

" يمكن أن تكون زوجتى شاهدة على العقد ولكن آمل أن أعثر على حارس الدار حتى يكون شاهدا ثانيا " .

قال ويليام : " إنه مازال موجودا ، أؤكد لك " .

" كيف يمكن أنه تكون واثقا إلى هذا الحد يا سيد كين " .

" لأنه كلفنى واحداً بالمائة " .

" واحد بالمائة ؟ " قال السيد توكسبورى ذلك فى حيرة .

قال ويليام : " واحد بالمائة من سقف داركم " .

أدخل الرجل ويليام وكات وزوجته فى الممر الصغير المؤدى إلى الدار وغمز إلى حارس الدار الذى كان قد بقى منتظرا .



" بالفعل لقد بقى السيد سبروجيت فى العمل ، إنه لم يفعل هذا أبدا من أجلى ولكن يبدو أنك تملك طريقة مجدية معه يا سيد كان " .

ارتدى سيمون توكسبورى حلته بينما أخذ حارس الدار يحدق فى ذهول فى المشهد أمامه .

استدار ويليام نحو كات وقبلها برفق : " أعرف أنه سؤال أحمق فى ظل هذه الظروف ، ولكن هل تتزوجيننى ؟ "

قال مسئول الدار الذى لم يصادف زواجاً مثل هذا طوال سنى عمله : " يا إلهى العظيم ، تعنى أنك لم تكن حتى قد سألتها ؟ "

بعد خمس عشرة دقيقة ، غادر السيد والسيدة ويليام كين الدار الواقعة فى هنلى على نهر التايمز ، فى أوكسفورد شاير . وقد وصلت السيدة توكسبورى بالخاتم فى آخر لحظة والذى كان عبارة عن حلقة من حلقات الستارة . كان مقاسه مناسبا تماما . أصبح توكسبورى يملك الآن سطحا جديدا بينما يملك السيد سبروجيت مالاً لكى يحيك ملابس لنفسه فى متجر الجرين مان حيث أنفق الجانب الأكبر من الجنيهات الخمسة .

خارج دار العبادة قدم السيد توكسبورى لويليام قطعة ورق وقال : " أعطنى شلنين وستة بنسات ، من فضلك " .

سأل ويليام : " لم ؟ "

" شهادة زواجك يا سيد كين " .

قال ويليام وهو يسلم الرجل نفقات الزواج : " كان يجب أن تدرس الحساب يا سيدى " . سار ويليام مع زوجته فى صمت فى شارع هاى ستريت إلى أن وصلا إلى فندق بيل . تناولا عشاء هادئا فى قاعة الطعام ذات الخشب البلوطى التى ترجع إلى القرن الخامس عشر ثم ذهبا إلى الفراش بعد التاسعة ببضع دقائق . بينما اختفى الاثنان

على السلم الخشبى المؤدى إلى غرفتهما ، استدار موظف الاستقبال نحو البواب وغمز قائلا : " إن كانا متزوجين فأنا ملك إنجلترا " .

بدأ ويليام يتمتم " ليحفظ الله الملك " .

فى صباح اليوم التالى تناول السيد والسيدة كين إفطارا مطولا إلى أن تم إصلاح السيارة . صب لهما النادل قدحين من القهوة .

سألها ويليام فى براءة : " هل تريدينها سادة أم مزودة ببعض اللبن ؟ "

ابتسم لهما زوجان عجوزان فى المائدة المجاورة فى حنان .

قالت كات وهى تمد يدها لتلمس يد ويليام فى رقة : " مع اللبن من فضلك " .

ابتسم لها وفجأة أدركا أن كل العيون فى القاعة كانت تحدق فيهما .

عاد ويليام وكات إلى لندن فى هواء الربيع المنعش ، وسافرا عبر هنلى فوق نهر التايمز ثم عبرا بيكشاير وميدلسكس إلى لندن .

سأل ويليام : " هل لاحظت كيف نظر إليك موظف الاستقبال فى الفندق هذا الصباح يا عزيزتى ؟ "

" نعم ، أعتقد أنه كان يجدر بنا أن نريه وثيقة زواجنا " .

" كلا ، كلا ، كان هذا سيفسد صورته عن المرأة الأمريكية اللعوب . إن آخر شيء يريد أن يقوله لزوجته الليلة عندما يعود من العمل هو أننا متزوجان " .

عندما عادا ثانية إلى فندق ريتز على موعد الغداء ، فوجئ المدير بأن ويليام قد ألغى الغرفة التى كانت تقيم فيها كات . وقد سمع الرجل فى وقت لاحق وهو يعلق على ذلك قائلا : " كنت أظن أن السيد كين الصغير رجل مهذب . لم يكن والده الراحل ليقدم أبدا على مثل هذا التصرف " .



عاد ويليام وكات على متن الأكيتانيا إلى نيويورك ، واتصلا على الفور بالسفارة الأمريكية فى جروسفينور جردنز لإبلاغ القنصل بزواجهما . أعطاهما القنصل وثيقة رسمية مطولة لملئها وطلب منهما تسديد جنيه واحد وأبقاهما منتظرين لما يزيد على ساعة كاملة . لم تكن السفارة الأمريكية - على ما يبدو - بحاجة لمزيد من الأدلة . كان ويليام يريد أن يتوجه على أحد محلات كارتيرز فى شارع بوند لشراء خاتم زواج ولكن كات لم توافق على ذلك ، يستحيل أن تتخلى عن خاتمها النحاسى الذى كان إحدى حلقات الستارة .

وجد ويليام صعوبة فى الاستقرار فى بوسطن تحت قيادة رئيس البنك الجديد . كانت نتائج الصفقة الجديدة قد اكتسبت صبغة قانونية بسرعة غير مسبوقة ورأى ويليام وتونى أنه يستحيل التنبؤ بما يمكن أن يحمله ذلك بالنسبة للاستثمار ، أى إن كان الإقدام عليه أمرا جيدا أم سيئا . كان التوسع - فى جبهة واحدة على الأقل - أمرا حتميا وخاصة عندما أعلنت كات بعد عودتها من الرحلة بقليل أنها حامل . وهى الأنباء التى غمرت والديها وزوجها بالسعادة . حاول ويليام أن ينسق ساعات عمله بما يسمح له بأداء دوره الجديد كأب ولكنه بداية وجد نفسه بشكل متزايد حبيس عمله فى أيام الصيف الحارة . بينما كانت كات ، تقضى وقتها سعيدة وهادئة فى جنة الأمومة المزدهرة وهى تشرف على تجديد حجرة الطفل فى البيت الأحمر . وجد ويليام نفسه للمرة الأولى يتطلع لمغادرة مكتبه والعودة إلى منزله . وإذا كان قد بقى أمامه المزيد من العمل ، كان يحمل الأوراق إلى البيت الأحمر ، وهو ما التزم به طوال حياته الزوجية .

بينما كانت كات وطفله الذى كان على وشك الوصول بحلول عيد رأس السنة مصدر سعادة غامرة له فى البيت ، كان ماثيو يثير إزعاجه وضيقه فى العمل . كان ماثيو قد اعتاد الإفراط فى تناول الخمور والحضور إلى المكتب متأخرا بدون تبرير . وبمرور الأشهر ، شعر ويليام أنه لم يعد باستطاعته أن يعتمد على ماثيو . فى البداية ، آثر ويليام الصمت على أمل أن يتغير الحال وألا تكون سوى نزوة عابرة . ولكنه وجد أن المشكلة تزداد تفاقما وتسير من سيىء إلى أسوأ . كانت القشة التى قصمت ظهر البعير فى أحد أيام شهر نوفمبر صباحا عندما وصل ماثيو متأخرا ساعتين عن موعد العمل ، وكان يعانى بوضوح من آثار الخمر ثم أقدم على خطأ بسيط كان يمكن تفاديه وذلك ببيع استثمار مهم نجمت عنه خسارة صغيرة لأحد العملاء الذى كان يمكن أن يحقق ربحا جيدا . أدرك ويليام عندها أن الوقت قد حان لإجراء مواجهة صعبة ولكن ضرورية مع ماثيو . اعترف ماثيو بخطئه واعتذر فى ندم . شعر ويليام بارتياح لتخطى الأزمة بهذا الشكل المرضى وكان على وشك دعوة ماثيو لتناول الغذاء معه عندما هرعت السكرتيرة بدون استئذان إلى داخل مكتب ويليام :

" زوجتك يا سيدى ، نقلت إلى المستشفى " .

سأل ويليام فى دهشة : " لماذا ؟ "

قالت السكرتيرة : " الطفل " .

قال ويليام فى ارتياب : " ولكن موعد الولادة قد بقى عليه ستة أسابيع أخرى " .

" أعلم يا سيدى ولكن الدكتور مكنزى بدا قلقا وهو يريدك أن تذهب إلى المستشفى بأسرع ما يمكن " .



هب ماثيو ـ الذى كان منذ لحظة واحدة أشبه بالورقة الذابلة ـ واقفاً وقاد ويليام إلى المستشفى . أخذت الذكريات تتداعى فى مخيلة ويليام وهو يتذكر وفاة أمه وابنتها التى ولدت ميتة .

قال ماثيو وهو يهرع بالسيارة داخل موقف سيارات المستشفى : " يا إلهى ، احفظ كات " .

لم يكن ويليام بحاجة لمن يقوده إلى جناح أطفال ريتشارد كين ، الذى كانت كات قد افتتحته رسميا منذ ستة أشهر فقط . وجد ويليام ممرضة واقفة خارج غرفة الولادة ، وأخبرته بأن الدكتور مكنزى كان مع زوجته وأن كات كانت قد نزفت الكثير من الدماء . أخذ ويليام يجوب الرواق ذهابا وإيابا فى يأس ، وترقب واضح ؛ تماما مثلما فعل منذ سنوات مضت . بدا له المشهد كله مألوفا . كم تبدو رئاسة البنك أمراً تافهاً مقارنة بفقد كات . متى كانت المرة الأخيرة التى أخبرها فيها بأنه يحبها ، كان ماثيو يجلس مع ويليام ويقوم معه ويجاريه ولكنه لم يتفوه بكلمة . لم يكن هناك شىء يمكن قوله . أخذ ويليام ينظر إلى ساعته فى كل مرة كانت الممرضة تدخل وتخرج فيها من غرفة الولادة . وتحولت الثوانى إلى دقائق والدقائق إلى ساعات . وأخيرا ، ظهر الدكتور مكنزى ، وقطرات العرق تتلألأ على جبهة رأسه والكمامة الجراحية تغطى أنفه وفمه . لم يستطع ويليام أن يتبين أى تعبير على وجه الطبيب إلى أن خلع الكمامة البيضاء ، ليكشف عن ابتسامة كبيرة .

" تهانيا يا ويليام ، لقد رزقت بولد ، وكات على ما يرام " .

قال ويليام وهو يتنفس الصعداء ، ويحتضن ماثيو : " الحمد لله " .

قال الدكتور مكنزى : " بعد شكرى لله تعالى أرى أننى قد بذلت جهدا لا بأس به فى غرفة الولادة " .

ضحك ويليام : " هل يمكن أن أرى كات ؟ "

" كلا ، ليس من فورك . لقد أعطيتها مسكنا وقد استسلمت للنوم . لقد نزفت الكثير من الدم ولكنها سوف تكون على ما يرام غدا فى الصباح . سوف تكون ضعيفة بعض الشىء ولكنها سوف تكون جاهزة لاستقبالك . ليس هناك ما يمنعك من رؤية ابنك . ولكن لا تندهش من حجمه فقد ولد قبل موعده " .

قاد الطبيب ويليام وماثيو فى الرواق المؤدى إلى غرفة الطفل ، وقفا يتأملان من خلال النافذة الزجاجية ستة رؤوس حمراء لأطفال فى مهادهم .

قال الدكتور مكنزى ، وهو يشير إلى طفل فى نهاية الغرفة : " إنه هذا الطفل " .

أخذ ويليام يتأمل فى ريبة وجه الطفل القبيح وقد تبددت سريعا صورة الابن الرائع الذى كان يتصوره .

قال الدكتور مكنزى فى ابتهاج : " حسنا ، سوف أقول شيئا واحدا لهذا الشيطان الصغير . إنه أفضل شكلا من والده عندما كان فى مثل سنه والذى أرى أنه قد أصبح لا بأس به الآن " .

ضحك ويليام فى ارتياح .

" هل اخترت له اسما ؟ "

" ريتشارد هيجنسون كين " .

ربت الطبيب على كتف الأب فى حنو : " أتمنى أن يطول بى العمر لكى أشرف بنفسى على ولادة أول أبناء ريتشارد " .

اتصل ويليام من فوره بناظر مدرسة سانت بول الذى حجز لابنه مكانا فى عام ١٩٤٣ . تناول ويليام وماثيو القليل من الشراب ووصلا متأخرين إلى المستشفى فى صباح اليوم التالى لرؤية كات . أخذ ويليام ماثيو لكى يلقى نظرة ثانية على ريتشارد الصغير .



قال ماثيو : " يا له من وغد قبيح . إنه لا يشبه والدته الجميلة بالمرة " .

قال ويليام : " هذا هو رأيي أنا الآخر " .

" إنه صورة قبيحة من أبيه مع ذلك " .

عاد ويليام إلى غرفة كات الزاخرة بالزهور .

سألت كات زوجها : " هل يعجبك ابنك ؟ إنه يشبهك كثيرا " .

قال ويليام : " سوف أدق عنق الشخص التالى الذى سوف يقول ذلك . إنه أقبح شيء رأيته فى حياتى " .

قالت كات فى اعتراض ضاحك : " كلا . إنه جميل " .

قال ويليام : " من وجهة نظرك كأم فقط " واحتضن زوجته التى تشبثت به وهى سعيدة بسعادته .

قال ويليام مازحاً : " ما الذى كان يمكن أن تقوله جدتى بشأن وليد جاء إلى العالم بعد أقل من ثمانية أشهر على الزواج ؟ لا أحب أن أبدو قاسيا ولكن أى شخص يولد قبل خمسة عشر شهرا يجب أن يكون لأهل مشكوك بهما ، أما ولادته بعد أقل من تسعة أشهر ، فهذا أمر مرفوض تماما . كات لقد نسيت أن أقول لك شيئا قبل أن يسرعوا بك إلى المستشفى " .

" وما ذلك ؟ "

" أحبك " .

بقيت كات وريتشارد الصغير فى المستشفى لما يقرب من ثلاثة أسابيع . لم تكن كات قد تعافت تماما واستعادت حيويتها إلا بعد عيد رأس السنة . أما ريتشارد - فى المقابل - فقد نما مثل نبتة ربانية ، لم يكن أحد قد أخبره من قبل أنه ينتمى إلى عائلة كين ، وأنه لم يكن يفترض به أن يتصرف بشكل تلقائى . كان ويليام أول

ذكر فى عائلة كين يغير الحفاضات ويدفع عربة الوليد بنفسه . كانت كات فخورة به للغاية ، بل إنها كانت مندهشة بعض الشيء . وقد أخبر ويليام ماثيو أنه قد حان وقت الاستقرار والبحث عن زوجة .

ضحك ماثيو مدافعا : " لقد أصبحت بالفعل فى منتصف العمر ، سوف أترقب بعد ذلك ظهور الشعر الأبيض فى رأسك " .

كانت هناك شعرة أو شعرتان قد ظهرتا بالفعل أثناء معركة الرئاسة . ولكن ماثيو لم يكن قد لاحظها .

لم يكن ويليام قادراً على تحديد اللحظة الذى سوف تتفجر فيها العلاقة بينه وبين تونى سيمونس . كان تونى يعترض بشكل دائم على اقتراحات ويليام الواحد تلو الآخر مما دفع ويليام إلى التفكير جدية فى تقديم استقالته . كما أن ماثيو كان يزيد الأمور سوءا بإصراره على التشبث بالإفراط فى الشراب . لم تكن فترة الإصلاح قد دامت لأكثر من بضعة أشهر حتى أنه أصبح يفرط أكثر من أى وقت مضى فى تناول الخمور والوصول إلى البنك متأخرا صباح كل يوم . لم يكن ويليام يدرى تحديدا كيف يتعامل مع الوضع الجديد ووجد نفسه يعمل بشكل دائم على تغطية عمل ماثيو ومتابعته . وفى نهاية كل يوم كان ويليام يراجع بريد ماثيو ويرد على بعض المكالمات الهاتفية التى لم يكن ماثيو قد رد عليها .

وبحلول ربيع عام ١٩٣٦ ، كان المستثمرون قد اكتسبوا المزيد من الثقة وأعادوا ودائعهم فى البنك ورأى ويليام أن الوقت قد حان لاقتحام سوق الأسهم ولكن تونى رفض الاقتراح من خلال مذكرة داخلية أرسلها إلى اللجنة المالية . دخل ويليام ثائرا بمكتب تونى ليسأله ما إن كان قد حان وقت تقديم استقالته .



" كلا بالطبع يا ويليام . ولكننى فقط أريدك أن تعرف أننى أسعى دائما لإدارة البنك من خلال طريقة محافظة وأنا لست على استعداد لتكبد أية خسائر بدفع أموال المستثمرين فى سوق المال الآن " .

" ولكننا بذلك نخسر الريادة لصالح البنوكاً الأخرى بينما نجلس على جانبى الطريق لنشاهدهم وهم يستفيدون من الوضع الحالى . هناك بنوك لم نكن حتى ننظر إليها باعتبارها بنوكاً منافسة منذ عشر سنوات سوف تتفوق علينا قريبا " .

" تتفوق علينا فى ماذا يا ويليام ؟ ليس فى السمعة . فى الأرباح السريعة ربما ولكن ليس فى السمعة " .

قال ويليام : " ولكن الربح أمر يعنينى . إننى أعتبر أنه من واجب البنك أن يحقق عوائد جيدة لمستثمريه لا أن يبقوا منتظرين لما سوف تؤول إليه الأمور فى صمت نبيل " .

" أفضل أن أبقى ثابتا فى مكانى على أن أخسر سمعة هذا البنك التى بناها جدك وأبوك على مدار نصف القرن " .

" أجل ولكن كليهما كان يبحث دائما عن فرص جديدة لتوسيع نشاطات البنك " .

قال تونى : " فى الأوقات الجيدة " .

قال ويليام : " وفى الأوقات السيئة " .

" ما هو سر كل هذا الغضب يا ويليام ؟ مازلت تملك مطلق الحرية فى إدارة القسم الخاص بك " .

" أحاول بأقصى جهدى ولكنك تقف دائما حجر عثرة فى كل ما أسعى للقيام به " .

" دعنا نصارح بعضنا البعض يا ويليام . من بين الأسباب التى جعلتنى أتوخى الحذر فى الفترة الأخيرة هو أن حكم ماثيو لم يعد سديدا " .

" دع ماثيو وشأنه . أنت تعرقل عملى أنا . أنا رئيس القسم " .

" لا يمكننى أن أدع ماثيو لحاله . ليتنى أستطيع . فأنا الذى أتحمل المسئولية النهائية لكل ما يجرى أمام مجلس الإدارة ، وماثيو هو ثانى رجل فى أكثر الأقسام أهمية فى البنك " .

" نعم وبالتالى فهو تحت مسئوليتى أنا لأننى الرجل رقم واحد فى هذا القسم " .

" كلا يا ويليام ، لا يمكن أن تبقى المسئولية هى مسئوليتك أنت وحدك عندما يأتى ماثيو إلى المكتب وهو ثمل فى الحادية عشرة صباحا مهما بلغ قدم الصداقة التى تجمع بينكما ومدى قوتها " .

" لا تبالغ " .

" أنا لا أبالغ يا ويليام . لأكثر من عام تحمل البنك ماثيو ليستر والشىء الوحيد الذى منعنى من التنويه إلى هذا الأمر من قبل هو علاقتك الشخصية الوثيقة به وبعائلته . إننى لن أكون آسفا إن جاءنى وهو يحمل استقالته . إن أى رجل غيرى كان سيفعل ذلك وكان أصدقاؤه سينصحونه بذلك " .

قال ويليام : " هذا لن يحدث أبدا . إن رحل هو فسوف أرحل أنا " .

قال تونى : " وهو كذلك يا ويليام . إن مسئوليتى الأولى هى مسئوليتى تجاه المستثمرين وليس تجاه أصدقائك القدامى " .

قال ويليام " سوف تندم على ما قلته فى يوما ما يا تونى " .

خرج ويليام ثائرا من مكتب الرئيس وعاد إلى مكتبه وهو فى حالة هياج .



سأل ويليام وهو يمر بجانب السكرتيرة : " أين السيد ليستر ؟ "

" لم يحضر بعد يا سيدى " .

نظر ويليام إلى ساعته فى حنق وقال : " أخبريه بأننى أريد أن أراه فى اللحظة التى يصل فيها " .

" أمرك يا سيدى " .

أخذ ويليام يجوب أنحاء مكتبه ذهابا وإيابا وهو يسب ويلعن . كل ما قاله تونى سيمونس عن ماثيو ليستر كان صحيحا ؛ وهو ما يزيد الأمور سوءا . بدأ ويليام يسترجع ثانية كيف بدأ الأمر برمته ؛ ويحاول العثور على تفسير أو مبرر . وإذا بالسكرتيرة تقطع عليه حبل تفكيره قائلة :

" لقد وصل السيد ليستر لتوه يا سيدى " .

دخل ماثيو الغرفة وهو فى حالة ارتباك وعلامات الثمالة تبدو واضحة عليه . كان ماثيو قد كبر فى السن كثيرا على مدى العام الماضى وكان جلده قد فقد حيويته وتألقه حتى شعر ويليام وكأنه شخص آخر يختلف عن صديقه المقرب الذى عرفه منذ عشرين عاما .

" ماثيو ، أين كنت بالله عليك ؟ " .

قال ماثيو ، وهو يحك وجهه بشكل عشوائى : " لقد أفرطت فى النوم ، أخشى أننى قد تأخرت فى النوم بالأمس " .

" تعنى أنك قد أفرطت فى الشراب " .

" كلا لم أفرط فى الشراب كما تظن . وإنما كانت صديقة جديدة أبقتنى ساهرا طوال الليل " .

" متى ستكف عن ذلك يا ماثيو ؟ لقد صادقت كل نساء بوسطن " .

" لا تبالغ يا ويليام . لابد أن هناك امرأة أو اثنتين لم أصادقهن - على الأقل أتمنى ذلك . ولا تنس أيضا آلاف النساء المتزوجات " .

" نحن لا نمزح يا ماثيو " .

" اهدأ يا ويليام ؛ ترفق بى " .

" أترفقك بك ؟ إن تونى سيمونس يلاحقنى بسببك ولكن الأسوأ من ذلك هو أننى أعلم أنه محق . أنت تلاحق كل النساء والأسوأ هو أنك تفرط فى الشراب وتقود نفسك إلى الهاوية . لم تعد قادرا على الحكم على الأمور بشكل صائب . لماذا يا ماثيو ؟ لماذا ؟ أخبرنى عن السبب . لابد أن هناك مبرراً لذلك . منذ عام واحد مضى كنت من بين أكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتى التزاما . ما الخطب يا ماثيو ؟ كيف أرد على ما يقوله تونى سيمونس ؟ " .

" قل لتونى أن يذهب إلى الجحيم وأن يعتنى بأموره الخاصة " .

قال ويليام بعد أن عجز عن إخفاء نبرة الغضب فى صوته : " ماثيو ، كن منصفا ، هذا عمله . نحن ندير بنكا وليس ملهى ، ولقد جئت إلى هنا بصفتك مديرا بتوصية منى أنا شخصيا " .

" أما الآن فأنا لم أعد كفئا من وجهة نظرك ؛ أهذا ما تعنيه ؟ " .

" كلا لم أقل هذا " .

" إذن ما الذى تقصده بحق السماء ؟ " .

" ترو يا ماثيو وأنجز بعض العمل على مدى بضعة أسابيع وسرعان ما سوف ينسى الجميع كل ما بدر منك " .

" هل هذا كل ما تريده يا ويليام ؟ " .

" نعم " .



قال ماثيو وقد ضرب بنعله الأرض : " سوف أنفذ ما تريد يا سيدى " ومضى خارجا من الباب .

قال ويليام : " اللعنة " .

فى عصر نفس اليوم أراد ويليام أن يراجع ملف أحد العملاء مع ماثيو ولكن لم يكن لماثيو أثر فى البنك ولم يستطع أحد أن يعثر عليه . لم يكن قد عاد إلى مكتبه بعد الغداء ولم يكن أحد قد رآه منذ ذلك الحين .

حتى متعة وضع ريتشارد الصغير فى فراشه فى مساء هذا اليوم لم تُسر عن ويليام وتخفف عنه وطأة قلقه على ماثيو . كان ريتشارد يستطيع أن يقول رقم " اثنين " وكان ويليام يحاول أن يجعله يقول " ثلاثة " ولكنه أصر على عدم نطقها بطريقة صحيحة .

كان ويليام يسأل ابنه : " إن لم تكن قادرا على قول رقم ثلاثة يا ريتشارد فكيف تأمل أن تكون مصرفيا " .

وعندها دخلت كات وقالت معلقة : " ربما سوف ينتهى به المآل إلى فعل شيء ذى قيمة " .

سأل ويليام : " وهل هناك ما هو أكثر قيمة من العمل المصرفى ؟ " .

" حسنا ؛ قد يكون موسيقيا أو لاعب كرة أو حتى رئيساً للولايات المتحدة " .

قال ويليام وهو يغطى ريتشارد فى فراشه ويقبله : " من بين الثلاثة أفضل أن يكون لاعب كرة ؛ لأنه العمل الوحيد الذى يمكن أن يوفر له عائداً جيداً " . كانت آخر كلمة لريتشارد قبل أن ينام هى " كلاكة يا أبى " فاستسلم ويليام ، يبدو أن ذلك اليوم لم يكن يومه .

◆

" تبدو منهكا يا عزيزى . أتمنى ألا تكون قد نسيت أننا مدعوون لدى أندرو مكنزى " .

" يا إلهى ، حفل أندرو ، لقد نسيت هذا الحفل تماما . متى يجب أن نكون هناك ؟ " .

" بعدما يقرب من ساعة " .

" حسنا ، يجب أولا أن آخذ حماماً ساخناً طويلاً " .

قالت كات : " كنت أظن أن هذا امتياز للمرأة " .

" ولكننى الليلة بحاجة لبعض التدليك . لقد أنهكت أعصابى اليوم بشدة " .

" هل ضايقك تونى ثانية ؟ " .

" نعم ولكننى أخشى أنه مصيب هذه المرة . إنه يشكو من ماثيو وإفراطه فى تناول الشراب . أحمد الله أنه لم ينوه أيضا إلى علاقاته النسائية . لقد أصبح من المستحيل اليوم دعوة ماثيو إلى أى حفل إلا بعد حبس الابنة الكبرى - بل وربما الزوجة أيضا - هلا جهزت لى الحمام يا عزيزتى ؟ " .

جلس ويليام فى حوض الاستحمام لأكثر من نصف ساعة حتى أن كات سحبته من الحوض قبل أن ينام بداخله . بالرغم من إسراعهما ، فقد وصلا متأخرين خمساً وعشرين دقيقة عن الحفل ليجدا أن ماثيو قد حضر بالفعل وفى طريقه للثمالة بل ويسعى للإيقاع بزوجة أحد أعضاء الكونجرس . أراد ويليام أن يتدخل ولكن كات منعته من الإقدام على ذلك .

قالت : " لا تقل شيئا " .

قال ويليام : " لا أستطيع أن أقف هنا وأكتفى بمشاهدته وهو يقطع إربا أمام عينى . إنه صديقى المقرب . يجب أن أفعل شيئا " .



ولكنه فى النهاية أذعن لرأى كات وقضى أمسية المؤرقة وهو يراقب ماثيو وهو يزداد ثمالة بمرور الوقت . كان تونى سيمونس - فى الجانب المقابل من الغرفة - ينظر بحدة إلى ويليام الذى شعر بالارتياح عندما غادر ماثيو الحفل مبكرا حتى بالرغم من أنه كان قد غادر بصحبة السيدة الوحيدة التى لم تكن مرتبطة فى الحفل . ما إن غادر ماثيو ، حتى بدأ ويليام يسترخى لأول مرة فى يومه .

قال أندرو مكنزى : " كيف حال ريتشارد الصغير ؟ " .

قال ويليام : " إنه لا يستطيع أن يقول ثلاثة " .

قال الدكتور مكنزى : " هذا نبأ سار . قد يشب ليعمل عملا قيما على أية حال " .

قالت كات : " هذا ما قلته بالضبط . يالها من فكرة جيدة يا ويليام ، يمكنه أن يكون طبيبا " .

قال أندرو : " هذا أمر مضمون فأنا لا أعرف الكثير من الأطباء ممن يملكون القدرة على العد لأكثر من اثنين " .

قال ويليام : " إلا عندما يرسلون فواتير حسابهم " .

ضحك أندرو : " أتودين تناول شراب آخر يا كات ؟ " .

" كلا ، أشكرك يا أندرو . حان وقت العودة إلى المنزل . إن بقينا لأكثر من ذلك فلن يبقى سوى تونى سيمونس وويليام ، وكلاهما يجيد العد بعد اثنين وسوف نقضى باقى ليلتنا فى التحدث عن الأمور المصرفية " .

قال ويليام : " موافق . أشكرك على هذا الحفل الرائع يا أندرو وأود أن أعتذر على سلوك ماثيو " .

قل الدكتور مكنزى : " لماذا ؟ " .

" لا تهون من أفعاله يا أندرو ، إنه لم يكن ثملا فحسب وإنما لم تكن هناك سيدة فى الحفل تشعر أنها فى مأمن بسبب وجوده " .

قال أندرو مكنزى : " كنت سأفعل نفس الشىء لو كنت فى مكانه " .

قال ويليام : " ما الذى يجعلك تقول هذا ؟ لا يمكن أن تؤيد تصرفاته لمجرد أنه أعزب " .

" كلا بالطبع ولكنى أتفهم الوضع وأدرك أننى قد أشعر بقليل من الاستهتار إن كنت أواجه نفس المشكلة " .

سألت كات : " ما الذى تقصد ؟ " .

قال الدكتور مكنزى : " يا إلهى ! إنه صديقكما المقرب ولم يخبركما بشىء " .

قالا فى صوت واحد : " أخبرنا بماذا ؟ " .

أخذ الدكتور مكنزى يحدق إليهما وقد ارتسمت علامات عدم التصديق على وجهه .

" تعاليا إلى مكتبى " .

سار ويليام وكات خلف الطبيب إلى غرفة صغيرة زاخرة بالكتب التى كانت تغطى الجدران ، تطل من بينها أحيانا بعض الصور - والتى كان بعضها غير مؤطر - من أيام الدراسة فى كورنيل .

قال الطبيب : " تفضلا بالجلوس ويليام ، إننى لن أعتذر عما أنا بصدد قوله لأننى أفترض أنك تعرف أن ماثيو يعانى من مرض عضال ، إنه يعانى فى واقع الأمر من داء هودجكين . إنه يعلم بحالته هذه منذ أكثر من عام " .

سقط ويليام فوق مقعده للحظة وهو عاجز عن التحدث : " داء هودجكين ؟ " .



قال الطبيب بشكل رسمى : " إنه مرض يسبب ورماً قاتلاً فى الغدد الليمفاوية " .

هز ويليام رأسه فى عدم تصديق : " لِمَ لم يخبرنى ؟ " .

" أنتما تعرفان بعضكما البعض منذ أيام المدرسة . أعتقد أن كبرياءه قد منعه من أن يحمل أى شخص آخر عبء مشاكله . إنه يفضل أن يموت وهو ماض فى طريقه بدلا من أن يعلم أى شخص بما يعانى منه . لقد كنت أتوسل إليه على مدى الستة أشهر الماضية أن يخبر والده كما أننى بكل تأكيد انتهكت عهدى المهنى بالإفصاح لكما عن هذا الأمر ، ولكننى لا أستطيع أن أدعكما تلقيان اللوم عليه فى شىء خارج تماما عن سيطرته " .

قال ويليام : " أشكرك يا أندرو . كيف كنتُ بهذا الحمق والعمى ؟ " .

قال الدكتور مكنزى : " لا توبخ نفسك . كيف كان لك أن تعرف أمراً كهذا ؟ " .

سأل ويليام : " هل هناك أى أمل ؟ أليست هناك مستشفيات أو متخصصون ؟ ليست هناك أية مشكلة فى النفقات " .

" إن المال لا يمكن أن يشترى كل شىء يا ويليام ، ولقد استشرت أفضل ثلاثة أطباء فى أمريكا وطبيباً آخر فى سويسرا . ولكن المؤسف هو أنهم جميعا قد اتفقوا على صحة تشخيصى للمرض . إن العلوم الطبية لم تتوصل بعد إلى علاج لداء هودجكين " .

سألت كات وهى تهمس : " كم بقى له من العمر ؟ " .

" ستة أشهر ، ربما ثلاثة فقط " .

قال ويليام : " وكنت أظن أننى أعانى من مشاكل ". ثم أحكم قبضته على يد كات كما لو كان يحكم قبضته على خط الحياة . وأضاف : " يجب أن ننصرف الآن يا أندرو . شكرا لإخبارنا " .

قال الطبيب : " افعل كل ما يمكنك عمله من أجله ولكن بحق السماء ، كن متفهما . دعه يفعل ما يحلو له . إنها شهوره الأخيرة وليست شهورك أنت . ولا تخبره أبدا بأننى قد أعلمتك بالأمر " .

ركب ويليام وكات السيارة وظلا صامتين طوال الطريق . ما إن وصلا إلى البيت الأحمر ، اتصل ويليام بالفتاة التى غادر ماثيو الحفل بصحبتها .

" هل يمكن أن أتحدث مع السيد ماثيو ليستر ؟ " .

قالت فى نبرة حانقة بعض الشىء : " إنه ليس هنا . لقد ذهبت معه إلى نادى ريفيو ولكنه كان قد ثمل بالفعل عندما وصلنا إلى هناك وقد رفضت أن أدخل بصحبته إلى ذلك المكان " .

ثم أغلقت السماعة .

نادى ريفيو . لقد تذكر ويليام بالكاد أنه قد شاهد اللافتة التى تحمل اسم هذا النادى من وراء سور حديدى ولكنه لا يذكر تحديدا أين كان يقع هذا المكان . بحث عن رقم هاتف النادى فى دليل الهاتف ، ثم قاد سيارته نحو الجانب الشمالى من المدينة وبعد الاستفسار عن مكان النادى من خلال بعض المارة ، عثر عليه فى النهاية . طرق ويليام الباب . أطل الحارس عبر فتحة صغيرة فى الباب .

" هل أنت عضو فى النادى ؟ " .

قال ويليام : " كلا " وأعطى الرجل ورقة بعشرة دولارات عبر السور .



أغلقت الفتحة الصغيرة وفتح الباب وسار ويليام عبر ساحة الرقص وقد بدا غير منسجم مع المكان بعض الشىء فى حلته البنكية المؤلفة من ثلاث قطع . كان الراقصون يدورون مثانى فى الساحة . أخذت عينا ويليام تجوب القاعة المعبأة بالدخان بحثا عن ماثيو ولكنه لم يكن هناك . وأخيرا وقع بصره على فتاة من بين صديقات ماثيو العابرات فى الفترة الأخيرة . كان واثقا من أنه قد شاهد هذه الفتاة وهى تخرج فى وقت مبكر صباح أحد الأيام من بيت صديقه . كانت تجلس فى أحد الأركان مع بحار . توجه ويليام إليها .

قال ويليام : "من فضلك يا آنسة " .

رفعت رأسها جهة الصوت ولكن بدا من الواضح أنها لم تتعرف على ويليام .

قال البحار : " السيدة تجلس معى ، لا تسع للاقتراب منها " .

" هل رأيت ماثيو ليستر ؟ " .

قالت الفتاة : "ماثيو ؟ ماثيو من ؟ " .

قال البحار وهو ينهض على قدميه : " قلت لك انصرف من هنا " .

قال ويليام : " كلمة واحدة أخرى وسوف أدق عنقك " .

كان البحار قد شاهد مثل هذا الغضب فى عين رجل من قبل فى حياته وكاد يفقد عينه إثر هذا الغضب . فتراجع إلى الوراء .

" أين ماثيو ؟ " .

" أنا لا أعرف أحدا يدعى ماثيو يا عزيزى " وقد انتابها الخوف هى الأخرى من ويليام .

" طوله ستة أقدام وشعره أشقر ويرتدى ثيابا مثلى وهو على الأرجح مخمور " .

" آه ، تعنى مارتن . إنه يطلق على نفسه اسم مارتن هنا يا عزيزى وليس ماثيو " وبدأت تسترخى . " والآن دعنى أتذكر من هى الفتاة التى خرج معها الليلة " وأدارت رأسها نحو البار ثم صاحت تنادى النادل : " تيرى ، مع من رحل مارتن الليلة ؟ " .

أزال النادل عقب سيجارة مطفأة من ركن فمه وقال : " جينى " ثم أعاد السيجارة المطفأة مكانها ثانية .

قالت الفتاة : " جينى ، هذا صحيح . إنها لا تقضى وقتا كثيرا مع الزبائن . لا تدع أى رجل يمكث معها لأكثر من نصف ساعة أى أنهما سوف يعودان سريعا " .

قال ويليام : " أشكرك " .

بقى ويليام منتظرا لما يقرب من ساعة عند البار ، بينما شعوره بأنه يجلس فى المكان غير المناسب يزداد بمرور الدقائق الواحدة تلو الأخرى . وأخيرا مال عليه النادل الذى مازال يضع السيجارة المطفأة فى فمه وأشار إلى فتاة تدخل عبر الباب وقال :

" هذه هى جينى " ولكن ماثيو لم يكن معها .

لوح النادل إلى الفتاة لكى تنضم إليهما . كانت فتاة نحيفة ، قصيرة ، سمراء ، تتمتع بقدر من الجاذبية ، غمزت إلى ويليام وسارت نحوه وهى تتمايل .

" هل تبحث عنى يا عزيزى ؟ حسنا ، أنا متاحة الآن ولكن أجرى عشرة دولارات فى الساعة " .

قال ويليام : " كلا ، لا أريدك " .

قالت جينى : " يالك من فاتن " .

" أنا أبحث عن رجل كان بصحبتك يدعى ماثيو ، أعنى مارتن " .



" مارتن ، لقد كان ثملا إلى حد عدم قدرته على الحراك ، ولكنه دفع العشرة دولارات ، كما يفعل دائما . إنه رجل نبيل بحق " .

سأل ويليام فى نفاد صبر : " أين هو الآن ؟ " .

" لا أعرف . لقد استسلم وسار عائدا إلى منزله " .

سار ويليام مبتعدا عن النادى ، متبعا طريق عودة ماثيو إلى بيته وهو يتفقد بمنتهى العناية كل المارة . كان البعض يسرع عند مشاهدة عينه المتفحصة والبعض الآخر كان يسعى لإجراء حوار معه . عندما توقف عند إشارة ضوئية بجوار أحد المطاعم التى تبقى مفتوحة طوال الليل ، وقع بصره على ماثيو عبر إحدى النوافذ وهو يسير وسط الموائد حاملا قدحا فى يده . أوقف ويليام السيارة ، ودخل المطعم وجلس بجواره . تعثر ماثيو وسقط على إحدى الموائد المجاورة ماسكا بقدح القهوة الذى كان يحمله في يده . كان ثملا إلى حد لم يجعله يتعرف على ويليام .

قال ويليام وهو ينظر إلى الرجل المتغضن وقد بدأت الدموع تنهمر على وجهه : "ماثيو ، إنه أنا " .

رفع ماثيو رأسه إلى أعلى وأسقط المزيد من قدح القهوة .

" أنت تبكى يا رجل . هل فقدت فتاتك ، هل فقدتها ؟ " .

قال ويليام : " كلا ، لقد فقدت أعز أصدقائى " .

" إنه أمر بالغ الصعوبة " .

قال ويليام : " أعلم " .

قال ماثيو وهو يبحث عن الكلمات : " لدىَّ صديق عزيز طالما وقف بجانبى وساندنى فى حياتى إلى أن تشاجرنا للمرة الأولى اليوم ، ولكنى أنا المخطئ . لقد خذلته بشدة " .

قال ويليام : " كلا ، لم تفعل " .

قال ماثيو فى غضب : " وكيف عرفت ؟ أنت حتى لست كفئا لمعرفته " .

" دعنا نرجع إلى البيت يا ماثيو " .

قال ماثيو : " اسمى هو مارتن " .

" آسف يا مارتن ، دعنا نذهب إلى البيت " .

" كلا أريد أن أبقى هنا . هناك فتاة قد تأتى للقائى فى وقت لاحق . أعتقد أننى أصبحت مستعدا لها الآن " .

قال ويليام : " ولكننى أحتفظ بشراب فاخر فى بيتى . لِمَ لا تأتى معى ؟ " .

" هل لديك نساء فى البيت ؟ " .

" أجل ، الكثير من النساء " .

" إذن أوافق . هيا بنا " .

ساعد ويليام ماثيو على النهوض ووضع ذراعه تحت كتفه وهو يقوده ببطء عبر المطعم نحو الباب . كانت هذه هى المرة الأولى التى أدرك فيها ويليام كم كان ماثيو ثقيلا . بينما مر ويليام وماثيو بشرطيين جالسين عند أحد أركان البار ، سمع أحدهما يقول : " اللعنة " .

ساعد ويليام ماثيو على الركوب فى السيارة وقاده إلى بيكون هيل . كانت كات مازالت مستيقظة فى انتظاره .

" كان يجب أن تأوى إلى فراشك يا عزيزتى " .

" ولكننى لم أستطع أن أستسلم للنوم " .

" أخشى أنه ثمل للغاية " .

قال ماثيو : " هل هذه هى الفتاة التى وعدتنى إياها ؟ " .



قال ويليام : " نعم ، سوف تعتنى بك " وقام هو وكات بمساعدته إلى أن وصل إلى غرفة الضيوف ووضعاه فى السرير . بدأت كات تخلع عنه ملابسه " .

قال ماثيو : " يجب أن تخلعى ملابسك أنت أيضا يا عزيزتى . لقد دفعت بالفعل العشرة دولارات .

قالت كات فى رقة : " عندما تنام فى فراشك " .

قال ماثيو : " لم تبدين حزينة هكذا أيتها السيدة الجميلة ؟ " .

قالت كات : " لأننى أحبك " ، وقد بدأت الدموع تتساقط من عينيها " .

قال ماثيو : " لا تبكى " ، وغطاه ويليام بالملاءة والغطاء . ثم أطفأت كات النور .

قال ماثيو فى تعثر : " ولكنك وعدتنى بأنك سوف تشاركيننى الفراش " .

أغلقت الباب فى هدوء .

نام ويليام على كرسى خارج غرفة ماثيو خشية أن يستيقظ فى المساء ويقدم على مغادرة المنزل . أيقظته كات فى الصباح قبل أن تحمل الإفطار إلى ماثيو .

كانت كلمات ماثيو الأولى : " ما الذى أفعله هنا يا كات ؟ " .

أجابت كات فى تردد : " لقد عدت معنا بعد حفل أندرو مكنزى ليلة أمس " .

" كلا لم أفعل . لقد ذهبت إلى نادى الريفيو مع تلك الفتاة البشعة والتى رفضت أن تذهب معى . يا إلهى . أشعر أننى فى حالة يرثى لها . هل لى ببعض عصير الطماطم ؟ لا أود أن أبدو متغطرسا ولكن آخر شيء أريده الآن هو تناول الإفطار " .

" كما تحب يا ماثيو " .

دخل ويليام الغرفة . نظر ماثيو إليه . وأخذ كل منهما يحدق إلى الآخر فى صمت .

قال ماثيو أخيرا : " أنت تعرف ، أليس كذلك ؟ " .

قال ويليام : " نعم وقد كنت أحمق ، أرجوك سامحنى " .

" لا تبك يا ويليام . لم أرك من قبل تفعل ذلك منذ أن كنت فى الثانية عشرة وكان كوفينجتون يضربك واضطررت أن أسحبه من فوقك . هل تذكر ؟ لا أدرى كيف انتهى المآل بكوفينجتون الآن ، إنه على الأرجح يدير بيت دعارة فى تيجوانا ، هذا هو العمل الوحيد الذى يناسبه . إن كان كوفينجتون يدير مكان كهذا ، فلابد أنه فى منتهى الكفاءة ، خذنى إلى هناك . لا تبك يا ويليام . إن الرجال لا يبكون . ليس هناك شىء يمكن فعله. لقد عرضت نفسى على كل الاخصائيين من نيويورك إلى لوس أنجلوس إلى زيورخ وليس هناك شىء يمكن فعله . هل تمانع لو استأذنت اليوم فى عدم الذهاب إلى العمل ؟ فأنا أشعر أننى فى حالة سيئة للغاية . أيقظنى إن بقيت نائما لفترة طويلة أو إن تسببت لكم فى أي قلق وسوف أعود إلى بيتى " .

قال ويليام : " هذا هو بيتك " .

تغير وجه ماثيو : " هل يمكنك أن تتولى مهمة إخبار أبى ؟ فأنا غير قادر على مواجهته . أنت أيضا ابن وحيد وتتفهم المشكلة " .

قال ويليام : " نعم سوف أفعل سوف أسافر إلى نيويورك غدا وسوف أخبره ولكن إن وعدتنى بأنك سوف تبقى مع كات ومعى . لن أمنعك من الشراب ويمكنك أن تحضر كل النساء اللاتى تريدهن إلى هنا ولكن يجب أن تبقى هنا " .

" إنه أفضل عرض تلقيته منذ أسابيع يا ويليام . والآن أعتقد أننى سوف أخلد لمزيد من النوم . إننى أشعر بمزيد من الإنهاك هذه الأيام " .



أخذ ويليام يتأمل ماثيو وهو يسقط فى نوم عميق وأزال الكوب نصف المتلئ من يده . سقطت بعض قطرات الطماطم على الملاءات وأخلفت بقعة .

قال فى هدوء : " لا تمت أرجوك . لا تمت يا ماثيو . هل نسيت أننا سوف ندير سويا أكبر بنك فى أمريكا ؟ " .

* * *

ذهب ويليام إلى نيويورك صباح اليوم التالى لمقابلة تشارلز ليستر . بدا الرجل الشامخ وكأنه قد هرم فجأة أمام عينى ويليام وهو يتلقى النبأ وبدا وكأنه قد تقلص داخل مقعده .

" أشكرك على مجيئك يا ويليام وإخبارى شخصيا بالأمر . كنت أعلم أنه لابد أن يكون هناك أمر ما قد ألم بماثيو وجعله يحجم عن زياراته الشهرية لرؤيتى . سوف أزوره فى عطلة نهاية كل أسبوع . إنه يريد أن يبقى معك أنت وكات وأنا سوف أحاول أن أخفى ألمى قدر الإمكان . لا أعلم ما الذى فعله ماثيو لكى يستحق هذا المصير " .

" تعال إلى بوسطن وقتما شئت يا سيدى ، سوف تكون دائما على الرحب والسعة " .

" أشكرك يا ويليام على كل ما صنعته من أجل ابنى " . ثم نظر الرجل العجوز إليه : " كنت أتمنى أن يكون والدك حيا لكى يشهد بنفسه كم يستحق ابنه لقب كين عن جدارة . كم أتمنى لو كان فقط بوسعى أن أتبادل الأدوار مع ماثيو وأدعه يعيش ... " .

" يجب أن أعود إليه سريعا " .

" أجل ، بالطبع ، أخبره أننى أحبه وأننى قد تقبلت الأمر بتعقل ورزانة . لا تخبره بأى شيء غير ذلك " .

" أمرك يا سيدى " .

سافر ويليام عائدا إلى بوسطن فى مساء ذلك اليوم فوجد أن ماثيو قد بقى مع كات وبدأ يقرأ الرواية الأكثر مبيعا فى أمريكا فى ذلك الوقت " ذهب مع الريح " بينما كان جالسا فى الشرفة الواسعة . نظر إلى ويليام وهو يمر عبر الأبواب الفرنسية .

" كيف كان وقع النبأ على الرجل الكبير ؟ " .

قال ويليام : " لقد بكى " .

قال ماثيو : " رئيس بنك ليستر بكى ؟ إياك أن تعلم أصحاب الأسهم بهذا الأمر " .

توقف ماثيو عن الشرب وأخذ يكد فى عمله حتى الأيام القليلة الأخيرة من عمره . كان ويليام مبهورا بتصميمه وكان ينصحه دائما بأن يهون على نفسه بعض الشىء . كان ينجز عمله دائما بشكل مثالى وكان يغيظ ويليام فى نهاية كل يوم بتفقد بريده . وفى المساء ، قبل الذهاب إلى المسرح أو تناول العشاء فى الخارج ، كان ماثيو يلعب التنس مع ويليام أو يسابقه فى التجديف فى بحيرة تشارلز . كان ماثيو يقول ساخرا : "سوف أدرك أننى قد مت عندما أعجز عن إلحاق الهزيمة بك " .

لم يدخل ماثيو المستشفى أبدا ، وفضل البقاء فى البيت الأحمر . أما ويليام فقد شعر أن الأسابيع تمر ببطء وفى نفس الوقت بمنتهى السرعة ، كان يستيقظ كل صباح وهو يتمنى أن يكون ماثيو قد بقى على قيد الحياة.

توفى ماثيو فى يوم خميس ، وقد بقى له أربعون صفحة ليكملها فى رواية " ذهب مع الريح " .

شيعت الجنازة فى نيويورك وأقام ويليام وكات فى بيت تشارلز ليستر . فى غضون ستة أشهر فقط ، كان الرجل قد تحول إلى رجل



هرم ، بينما كان يقف بجوار قبر زوجته وابنه الوحيد ، قال لويليام إنه لم يبق له الآن أى هدف فى الحياة . لم يتفوه ويليام بكلمة ، لم تكن هناك كلمات يمكن أن تواسى الأب المكلوم . عاد ويليام وكات إلى بوسطن في اليوم التالى . بدا البيت الأحمر مهجورا بشكل مستغرب بعد رحيل ماثيو . تحولت الأشهر القليلة الأخيرة إلى الفترة الأكثر سعادة وأكثر تعاسة فى آن واحد فى حياة ويليام . فلقد قربه الموت كثيرا من كل من كات وماثيو على نحو لم تكن الحياة العادية تسمح به .

عندما عاد ويليام إلى البنك بعد وفاة ماثيو ، وجد صعوبة فى مواصلة أى عمل عادى . كان ينهض ويشرع فى التوجه نحو مكتب ماثيو طلبا للنصحية أو دعابة أو فقط لكى يتأكد من وجوده ، ولكنه لم يعد موجودا هناك . مرت أسابيع قبل أن يوطن ويليام نفسه على تجنب فعل ذلك .

كان تونى سيمونس متفهما إلى أقصى حد ، ولكن هذا لم يجد . كان ويليام قد فقد كل حماسه للشئون المصرفية حتى بنك كين وكابوت نفسه لم يعد ذا أهمية بالنسبة له ، وهو يعيش شهور حزنه على وفاة ماثيو . لقد كان واثقا دائما من أنهما سوف يكبران سويا وسوف يجمعهما مصير واحد . لم يعلق أحد على أن عمل ويليام لم يكن فى نفس المستوى الممتاز المعهود . حتى كات بدأت تقلق من طول الساعات التى كان يقضيها ويليام وحيدا .

ثم ، فى صباح أحد الأيام ، استيقظت كات لتجد ويليام جالسا على حافة الفراش . أمسكت بيده وقالت : " ما الخطب يا عزيزى ؟ " .

" كلا أنا فقط أنظر إلى أعظم ثروة أملكها وأذكر نفسى بأنها ليست من المسلمات " .

# الفصل الثانى والعشرون

مع اقتراب نهاية عام ١٩٣٢ ؛ بينما كانت أمريكا مازالت تئن من وطأة الركود ؛ كان هابيل قد بدأ يشعر بقلق متزايد على مستقبل مجموعة البارون . كان هناك ألفا بنك قد أغلقت أبوابها على مدى العامين الأخيرين وكان هناك المزيد من البنوك التى كانت تغلق أبوابها كل أسبوع . كان هناك تسعة ملايين شخص يعانون من البطالة وكانت النعمة الوحيدة وسط هذا الوضع المتردى هى أنه كان بوسع هابيل دائما أن يتخير أفضل الكفاءات للعمل فى مجموعته . بالرغم من هذا ؛ كانت مجموعة البارون قد خسرت ٧٢ ألف دولار عام ١٩٣٢ فى العام الذى توقع فيه هابيل أن يصل إلى نقطة اللامكسب واللاخسارة . وأخذ يسأل نفسه إن كان الشخص الذى يموله سوف يتسع صدره لتحمل هذه الخسارة وإلى أى مدى سوف يسمح له بمواصلة عمله فى ظل هذا الوضع .





كان هابيل ؛ فى وقت سابق ؛ قد بدأ يبدى اهتمامه بالحياة السياسية فى أمريكا أثناء حملة أنتون سيمارك الناجحة لكى يصبح عمدة لشيكاغو . كان سيمارك قد أوحى لهابيل بفكرة الانضمام إلى الحزب الديمقراطى . ولأن سيمارك نفسه هو أحد المهاجرين من تشيكوسلوفاكيا فإن ذلك قد وثق أواصر الصلة والصداقة بين الرجلين . وقد شعر هابيل بسعادة غامرة عندما اختير نائباً فى مؤتمر الحزب الديمقراطى الذى عقد فى شيكاغو عام ١٩٣٢ عندما اجتذب سيمارك تأييد الجماهير بشكل لم يسبق لم مثيل بعبارته : " بالرغم من أننى لم أحضر إلى أمريكا على متن " الماى فلاور " إلا أننى حضرت بأسرع ما يمكن " .

وأثناء انعقاد المؤتمر ؛ قدم سيمارك هابيل إلى فرانكلين دى روزفلت ؛ الذى ترك لديه انطباعاً جيداً . وقد اكتسح الحزب الديمقراطى الانتخابات الرئاسية بسهولة وأحكم المرشحون الديمقراطيون قبضتهم على السلطة فى كل أنحاء البلاد . كان هنرى أوسبورن من بين أعضاء المجلس التشريعى الجدد فى مجلس البلدية فى شيكاغو . عندما اغتيل أنتون سيمارك فى بداية عام ١٩٣٣ فى ميامى برصاصة أحد القتلة الذى كان يتربص بالحزب الديمقراطى ؛ قرر هابيل أن يبذل الكثير من الوقت والمال لمساندة الديمقراطيين البولنديين فى شيكاغو .

فى عام ١٩٣٣ ؛ بلغت خسارة المجموعة ٢٣ ألف دولار فقط بينما حقق فرع سانت لويس بارون بعض الربح . وعندما ألقى الرئيس روزفلت خطبته النارية فى الثانى عشر من مارس لحث المواطنين على النهضة بقوله : " يجب أن نستعيد إيماننا وثقتنا

ثانية فى أمريكا " ارتفعت روح هابيل المعنوية وقرر أن يعيد فتح الفرعين اللذين كان سبق وأغلقهما من قبل .

بدأت زافيا تشعر بالقلق من رحلاته الطويلة إلى تشارلز وموبيل بالرغم من أنه كان ينظر إليهما باعتبارهما بلا طائل . لم تكن زافيا تريد لهابيل أبدا أن يكون أكثر من نائب مدير فى فندق ستيفنز ؛ لأنه المستوى الذى تستطيع هى أن تتماشى معه . ولكن سرعة هابيل فى الانطلاق كانت تزداد يوما بعد يوم بمرور الأشهر إلى أن أدركت زافيا أنها لن تكون يوما أهلا لطموحاته وبدأت تخشى أن يفقد اهتمامه بها .

كما بدأت زافيا تشعر بالقلق أيضا من أمر عدم الإنجاب وبدأت تزور الأطباء الذين أكدوا لها جميعا أنه ليس هناك ثمة ما يمنعها من الإنجاب . عرض عليها أحد الأطباء أن تطلب من زوجها أن يجرى كشفا ولكنها رفضت الفكرة من الأساس لأنها اعتبرت أن مجرد التنويه عنه سوف يكون بمثابة انتقاص من رجولة زوجها . وأخيرا وبعد أن أصبح الأمر ملحا ، بات من الصعب تجنب مناقشة الأمر ولكنها فى نفس الوقت كانت قد افتقدت حيضة .

ظلت منتظرة لشهر آخر قبل أن تفصح لهابيل بالأمر أو حتى زيارة الطبيب الذى أكد فى النهاية أنها بالفعل حامل . وقد شعر هابيل بسعادة بالغة عندما أنجبت زافيا فتاة فى أول يوم من عام ١٩٣٤ . وقد أطلقا على الفتاة اسم فلورنتينا تيمنا باسم أخت هابيل . وقد شعر هابيل أنه قد فقد عقله من فرط السعادة أول ما وقعت عيناه على وجه ابنته ، وأدركت زافيا عندها أنها لم تعد الحب الأول فى حياة زوجها . وقد أقام هابيل عشاء بولنديا تقليديا مؤلفا من عشرة أطباق احتفالا بمولد ابنته . قدمت الكثير من الهدايا للمولودة بما فى ذلك خاتم أثرى جميل من قبل ممول هابيل



المجهول . وقد رد الهدية على نحو أنيق عندما حققت مجموعة البارون أول مكسب لها والذى قدر بنحو ٦٣ ألف دولار مع نهاية نفس العام . كان فندق موبيل فقط هو الذى مازال يحقق خسائر .

بعد مولد فلورنتينا بعدة أشهر ، أدرك هابيل الذى كان يقضى جل وقته فى شيكاغو أنه قد حان وقت إعادة بناء فندق جديد هناك . كانت الأعمال الفندقية تزدهر فى ظل ازدهار السوق العالمى . وقد قرر هابيل أن يكون فندقه الجديد هو فخر فنادق المجموعة وتخليدا لذكرى ديفيز ليروى . كانت الشركة مازالت تملك موقع الفندق القديم فى شارع ميتشجن . وبالرغم من أن هابيل كان قد تلقى عروضا كثيرة لبيع الأرض إلا أنه أصر على الإبقاء عليها على أمل إعادة بناء الفندق من جديد فى يوم من الأيام بعد أن يقوى وضعه المالى . وقد كان المشروع بحاجة إلى رأسمال وقد قرر هابيل أن يستخدم الـ ٧٥٠ ألف دولار قيمة التأمين فى إعادة البناء . بمجرد أن استقر على خطته ، أخبر هابيل كورتيس فنتون بما هو عازم عليه ، وكان تحفظه الوحيد ألا يسمح ديفيد مكستون بذلك خشية أن يظهر منافس لفندق ستيفنز . كان هابيل يشعر أن الرجل يستحق منه هذه التضحية . وبعد أيام قليلة ، نصح كورتيس فنتون هابيل بالبدء فى المشروع وأخبره بأن الممول قد رحب كثيرا بالفكرة .

استغرق هابيل اثنى عشر شهرا كاملا لبناء الفندق الجديد بعد أن حصل على مساعدة كبيرة من قبل هنرى أوسبورن الذى كان عضوا فى مجلس البلدية فى استخراج كل التصاريح اللازمة للبناء فى أقل وقت ممكن . تم افتتاح الفندق عام ١٩٣٦ على يد عمدة المدينة السيد إدوراد جى كيللى ، الذى تولى رئاسة الحزب الديمقراطى بعد مقتل أنتون سيمارك . وتخليدا لذكرى ديفيز

ليروى ؛ حرص هابيل على إلغاء الطابق السابع عشر ؛ كان هذا تقليدا متبعا فى كل فروع فنادق البارون الجديدة .

كان عضوا مجلس الشيوخ عن ولاية " إيلينوى " من بين الحضور لإلقاء كلمة على الحشد الذى وصل عدده إلى ألفى مدعو . كان فندق البارون شيكاغو روعة فى التصميم والبناء . فقد أنفق هابيل ما يزيد على مليون دولار كاملة لبناء الفندق وكان من الواضح أنه قد أودع كل سنت فى محله الصحيح . كانت الغرف واسعة وفاخرة ذات أسقف مرتفعة مزخرفة وطلاء من درجات الألوان الزاهية الخضراء ؛ كانت غرفاً مبهجة ومريحة وكانت السجاجيد أنيقة ؛ كان اللون الأخضر القاتم يزين كل شيء فى الفندق بدءا من العلم الذى كان يرفرف فوق سطح الفندق المؤلف من اثنين وأربعين طابقا وحتى سترة أصغر عامل فى الفندق .

قال جى هملتون لويس ؛ كبير نواب مجلس الشيوخ عن ولاية " إيلينوى " : " هذا الفندق يحمل بالفعل كل دعائم النجاح لأن الرجل يا أعزائى وليس المبنى هو الذى سيعرف دائما باسم بارون شيكاغو " .

انحنى هابيل محييا الحشد بدون أن يخفى علامات السعادة أمام الألفى مدعو الذين أبدوا تأييدهم لما يقوله الرجل .

وقد رد بمنتهى الامتنان والثقة على الخطبة مما دفع الحشد إلى النهوض تصفيقا له . كان قد بدأ يشعر بالألفة فى وسط كبار رجال الأعمال والسياسيين من مجلس الشيوخ . كانت زافيا تحوم بتردد فى الخلفية أثناء هذا الحفل الباهر ؛ كانت المناسبة أعلى من قدرتها على مجاراتها . لم تكن تفهم أو تكترث بنجاح هابيل على هذا النطاق الواسع ؛ وحتى بالرغم من أنها كانت تستطيع فى ذلك الوقت أن تقتنى أفضل الثياب وأكثرها غلوا فقد كانت مازالت تبدو



غير مسايرة لخطوط الموضة وغير مسايرة للمكان وكانت تدرك جيدا إلى أى حد كان هذا يثير ضيق هابيل . وقفت بجوار هابيل وهو يحادث هنرى أوسبورن .

قالها هنرى وهو يربت على ظهر هابيل : " لابد أن هذه هى ذروة حياتك " .

قال هابيل : " ذروة حياتى . لقد بلغت الثلاثين لتوى " . التقطت له صورة وهو يلف ذراعه حول كتف هنرى . ابتسم هابيل وشعر للمرة الأولى بمتعة المعاملة على أنه شخصية عامة " سوف أنشر فروع فنادق مجموعة البارون فى كل أنحاء الكون ، " قالها هابيل بصوت يكفى لإسماع كل الصحفيين المتواجدين . " أريد أن أصنع فى أمريكا ما صنعه القيصر رتيز فى أوروبا . ابق معى يا أوسبورن وسوف تستمتع بالرحلة " .

# الفصل الثالث والعشرون

وفى صباح اليوم التالى ، أشارت كات إلى مقالة صغيرة فى صفحة ١٧ فى جريد الجلوب ، عن افتتاح فندق شيكاغو البارون .

ابتسم ويليام عند قراءة المقال . لقد كان بنك كين وكابوت أحمق عندما رفض الأخذ بنصيحته ومساندة مجموعة ريكموند . لقد شعر بسعادة لأن الأيام أثبتت أن حكمه على روزنوفسكى كان صحيحا حتى بالرغم من أن البنك كان قد فوت على نفسه هذه الفرصة . وقد ازدادت ابتسامته اتساعا عندما قرأ اللقب الذى أطلق على هابيل "بارون شيكاغو " . ولكنه فجاة شعر بالغثيان ، عندما دقق فى الصورة بمزيد من التفحص ؛ ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ ، وقد تأكد من صدق ما رآه من السطور المرفقة بالصورة " هابيل روزنوفسكى مدير مجموعة البارون يحادث ميكزى سلو زميزاك أحد أعضاء مجلس إدارة الصندوق المالى الفيدرالى وعضو مجلس البلدية هنرى أوسبورن " .





ألقى ويليام الصحيفة على مائدة الإفطار وأخذ يفكر للحظة . ما إن وصل مكتبه ، اتصل بتوماس كوهين مدير مكتب " كوهين ويابلونس " .

كانت كلمات توماس كوهين الأولى : " لم تحادثنى منذ فترة طويلة يا سيد كين . لقد شعرت بأسف بالغ لوفاة صديقك المقرب ماثيو ليستر . كيف حال زوجتك وابنك ، اسمه ريتشارد على ما أظن ؟ "

كانت قدرة توماس كوهين الفورية على تذكر الأسماء والعلاقات تثير دائما إعجاب ويليام .

" نعم اسمه بالفعل كذلك ، كلاهما على ما يرام ، أشكرك يا سيد كوهين " .

" ما الذى يمكن أن أسديه من أجلك هذه المرة يا سيد كين ؟" كان توماس كوهين يذكر أيضا أن ويليام كان مقتضبا فى حديثه ولا يحب الثرثرة .

" أريد أن أعين من خلالك محققا كفئا . لا أريد أن يكون اسمى معلنا ولكننى أريد تقريرا مفصلاً عن هنرى أوسبورن ؛ كل ما فعله منذ أن غادر بوسطن وخاصة إن كانت هناك أية صلة تربطه بهابيل روزنوفسكى صاحب مجموعة البارون " .

سادت فترة صمت قبل أن يجيبه المحامى قائلا : " أمرك " .

" هل يمكنك أن توافينى بالمعلومات بعد أسبوع ؟"

قال السيد كوهين : " أسبوعان من فضلك يا سيد كين ، أسبوعان " .

" إذن أريد تقريرا شاملا على مكتبى فى البنك فى غضون أسبوعين يا سيد كوهين " .

" أسبوعان يا سيد كين " .

وقد التزم توماس كوهين كدأبه دائما بالموعد المحدد وكان التقرير المفصل موضوعا على مكتب ويليام فى اليوم الخامس عشر . قرأ ويليام الملف بعناية . وقد بدا له أنه ليست هناك علاقات عمل رسمية تربط بين هابيل روزنوفسكى وهنرى أوسبورن . يبدو أن هابيل وجد أن أوسبورن مفيد باعتباره صاحب نفوذ سياسى ؛ ليس أكثر . كان أوسبورن نفسه قد تنقل من عمل إلى آخر منذ مغادرة بوسطن إلى أن انتهى به المآل فى وظيفة فى شركة تأمين جريت وسترن . كان الاحتمال الأكبر هو أن أوسبورن كان قد تعرف على هابيل أثناء عمله فى هذه الشركة لأنها الشركة التى كان يتعامل معها الفندق . عندما احترق الفندق ، رفضت شركة التأمين فى البداية تسديد التأمين . ولكن بعد أن حكم على ديسموند باسى - المدير السابق للفندق - بالسجن لمدة عشر سنوات ؛ بعدما أدين بتهمة الحرق العمد ، وكانت هناك بعض الشبهات التى تحوم حول إمكانية تورط هابيل فى الأمر . لم يثبت على هابيل أي شيء وقامت شركة التأمين بتسديد ثلاثة أرباع مليون دولار كتعويض . أصبح أوسبورن الآن - كما يشير التقرير - عضواً فى مجلس البلدية وسياسياً متفرغاً كما أنه من المعروف أنه يتطلع إلى أن يكون عضواً فى الكونجرس عن شيكاغو . كان قد تزوج منذ فترة ليست بعيدة من الآنسة مارى أكستون، ابنة تاجر أدوية ثرى ، ولم ينجب منها إلى الآن .

أعاد ويليام قراءة التقرير ثانية لكى يتأكد من أنه لم تفوته أية معلومة خاصة بالعلاقة التى تربط بين الرجلين مهما كانت ثانوية . ومع ذلك فإنه لم يمنع نفسه من الشعور بأن اجتماع رجلين مثل هنرى أوسبورن وهابيل روزنوفسكى يكنان له البغض برغم اختلاف دافع كل منهما ، كان يشكل خطرا محتملا عليه . أرسل الشيك



بريديا إلى توماس كوهين وطلب منه تحديث المعلومات الواردة فى التقرير كل ثلاثة أشهر . ولكن بمرور الأشهر ؛ لم تكشف التقارير عن أى جديد ، فبدأ ويليام يتخلى عن قلقه وشعر أنه ربما بالغ فى رد فعله عندما شاهد الصورة فى جريدة الجلوب .

أنجبت كات لزوجها ابنة فى ربيع عام ١٩٣٧ ، وسمتها فيرجينيا . بدأ ويليام يغير الحفاضات ثانية ، كان مأخوذا ومغرما بحب ابنته " السيدة الصغيرة " إلى الحد الذى كان يدفع كات إلى إنقاذها مساء كل ليلة من بين يدى أبيها خشية ألا تحظى بفترة نوم كافية . لم يكترث ريتشارد - الذى كان قد بلغ من العمر عامين ونصف العام فى ذلك الوقت - بمجيء الطفلة الجديدة ولكن الوقت ومجموعة من لعبة العسكر الخشبية ساعدت على تخفيف حدة غيرته .

ومع نهاية العام ؛ كان قسم ويليام فى كين وكابوت قد حقق ربحا ممتازا للبنك . كان ويليام قد أفاق من حالة الخمول التى كانت قد أصابته إثر وفاة ماثيو وبدأ سريعا يستعيد سمعته وهو يقتحم بثقله سوق الأسهم ؛ وقد أشاد به سليم شورت سميث - وهى شهادة قيمة - عندما ذكر أن هناك تقنية مثالية طورت علي يد ويليام كين من بوسطن . حتى إدارة تونى سيمونس بدت أقل تشددا . ومع ذلك فقد كان ويليام يشعر بقلق خفى من المستقبل لأنه لن يتمكن من أن يصبح رئيسا لكين وكابوت إلى أن يتقاعد سيمونس بعد سبعة عشر عاما ؛ ولذلك فقد بدأ يبحث عن وظيفة فى بنك آخر .

كان ويليام وكات قد دأبا على زيارة تشارلز ليستر مرة شهرياً فى عطلة نهاية الأسبوع فى نيويورك . كان الرجل العظيم قد هرم بشدة على مدى السنوات الثلاث التى تلت وفاة ماثيو ، وكانت

الشائعات فى الأوساط المالية تؤكد أنه فقد كل اهتمامه بالعمل وأنه نادرا ما كان يذهب إلى البنك . بدأ ويليام يتساءل كم سيطول بالرجل العمر . وقد توفى بالفعل بعد أسابيع قليلة . سافر آل كين لحضور الجنازة فى نيويورك . كان الجميع حاضرا الجنازة ـ على ما يبدو ـ بما فى ذلك نائب رئيس الولايات المتحدة ، جون نانس جرنر . بعد الجنازة ، ركب ويليام وكات القطار العائد إلى بوسطن وقد سرى داخل كل منهما الشعور الخافت بأنهما قد فقدا آخر رابطة حقيقية تربطهما بأسرة ليستر .

كانت قد مضت ستة أشهر على الوفاة عندما تلقى ويليام إخطارا من سوليفان وجروموبل ـ أحد مكاتب المحاماة البارزة فى نيويورك ـ بوجوب الحضور عند قراءة وصية الراحل تشارلز ليستر فى مكتبهما فى وول ستريت . وقد ذهب ويليام لحضور القراءة بدافع الإخلاص لعائلة ليستر أكثر من دافع الفضول لمعرفة محتوى الوصية وما أخلفه له تشارلز ليستر . كان يأمل فى الحصول على أى تذكار لماثيو يمكن أن يضيفه إلى " مجداف هارفرد " الذى كان مازال يعلقه على جدار غرفة الضيوف فى البيت الأحمر . كان يبحث أيضا عن فرصة لتجديد وإنعاش علاقته بالعديد من أفراد عائلة ليستر الذين عرفهم أثناء فترة الدراسة فى عطلات المدرسة والجامعة التى كان يقضيها مع ماثيو .

قاد ويليام سيارته الجديدة الديملر إلى نيويورك فى الليلة السابقة على قراءة الوصية وأقام فى نادى هارفرد . كانت الوصية سوف تقرأ فى العاشرة من صباح اليوم التالى ، وقد اندهش ويليام عندما اكتشف عند وصوله إلى مكتب سوليفان وجروموبل احتشاد ما يزيد على خمسين شخصا من أفراد العائلة لسماع الوصية . نظر الكثير منهم إلى ويليام وهو يدخل الغرفة وقام هو بتحية العديد من أبناء عمومة



ماثيو والذين بدوا أكبر سنا مما كان يتوقع . كان كل ما خلص إليه هو أنهم بكل تأكيد يفكرون بنفس الطريقة التى يفكر هو بها . أخذت عيناه تدوران بحثا عن سوزان ، شقيقة ماثيو ، ولكنه لم يعثر عليها . وفى العاشرة تماما، دخل السيد آرثر جروموبل الغرفة مصحوبا بمساعده وهو يحمل ملفاً جلدياً بنى اللون . بقى الجميع صامتين فى ترقب يحدوه الأمل . بدا المحامى يشرح للحشد الذى سوف ينال كل منهم نصيبه من الوصية أن محتوى الوصية لم يكن يسمح أن يصرح به إلا بعد مرور ستة أشهر على وفاة تشارلز ليستر وهو ما نص عليه السيد ليستر من خلال قوله التالى : " بما أنه ليس لى ابن سوف أترك له هذه الثروة فإننى أفضل أن تمر على وفاتى فترة كافية قبل أن يتم الإفصاح عما عزمت عليه " .

كان ويليام يدير بصره بين الوجوه المجتمعة فى الغرفة بعد كل كلمة يتفوه بها المحامى فى محاولة لتبين نوايا كل منهم . استغرق آرثر جروموبل ما يقرب من ساعة تقريبا فى قراءة الوصية . وبعد ذكر كل الإكراميات المعتادة والتبرعات لجامعة هارفرد ، واصل كروموبل حديثه بأن تشارلز ليستر قسم ثروته الشخصية بين كل أقاربه بناء على درجة القرابة والنسب . حصلت ابنته سوزان على الجانب الأكبر من الثروة بينما حصل أبناء إخوته الخمسة وبنات إخوته الثلاث على أنصبة متساوية من الثروة المتبقية . كان إرثهم يجب أن يبقى تحت وصاية البنك إلى أن يبلغوا الثلاثين من العمر . أما باقى أبناء العمومة والعمات وأصحاب القرابات البعيدة فقد حصلوا على مبالغ نقدية .

اندهش ويليام عندما أعلن السيد كروموبل قائلا :

" وهكذا نصل إلى التقسيم النهائى للأصول المعروفة للراحل تشارلز ليستر " .

ساد المكان حالة من الاضطراب وهمهمة من الحوارات الساخنة .

قال المحامى رابط الجأش : " ومع ذلك فإن هذه هى ليست نهاية وصية ورغبة السيد تشارلز ليستر " فاستعاد الكل سكينتهم وصمتهم من جديد تحسبا لإعلان نبأ مزعج صاعق .

واصل السيد جروموبل حديث قائلا : " سوف أواصل الآن الوصية بكلمات السيد تشارلز ليستر : طالما اعتبرت أن سمعة البنك مرهونة بسمعة الأشخاص الذين يعملون به . كان من المعروف بين الجميع أننى تمنيت دائما أن يخلفنى ابنى ماثيو فى رئاسة البنك ، ولكن وفاته المفاجئة المأساوية داهمتنا . وأنا إلى الآن لم أكن قد أفصحت عن رغبتى فى تعيين شخص معين لكى يخلفنى لرئاسة بنك ليستر . لذا أود أن يعرف الجميع أننى أحب أن يخلفنى ويليام لويل كين - ابن أعز أصدقائى الراحل ريتشارد لويل كين - فى رئاسة بنك ليستر والذى يتولى الآن منصب نائب رئيس بنك كين وكابوت ، وذلك فى أعقاب الاجتماع التالى لمجلس الإدارة " .

اجتاحت حالة هياج مفاجئ أرجاء المكان . أخذ الجميع يستديرون فى أنحاء الغرفة بحثا عن ويليام لويل كين الغامض هذا . لم يكن أحد يعرفه باستثناء الأقارب المقربين من عائلة ليستر .

قال آرثر جروموبل فى هدوء : " أنا لم أنته من حديثى بعد " .

ساد الصمت ثانية أرجاء الغرفة توقعا للقنبلة الثانية ، وأخذ الجميع ينظرون فى خوف وتوجس .

واصل المحامى حديثه : " كل المنح وتقسيم الأسهم فى ليستر وشركاه مرهونة بتصويت المنتفعين لصالح السيد كين فى الاجتماع السنوى العام المقبل ومواصلة التصويت لصالحه لما لا يقل عن خمس



سنوات تالية ما لم يمتنع السيد كين نفسه عن قبول رئاسة البنك " .

تفجر الهياج ثانية . تمنى ويليام لو كان بعيدا عن هذا المكان بملايين الأميال . لم يكن واثقا ما إن كان يجب أن يشعر بالسعادة أم أن يستسلم لكونه الشخص الأكثر كرها داخل هذه الغرفة .

قال السيد جروموبل : " كان هذا هو آخر ما جاء فى وصية الراحل تشارلز ليستر " ، وهى العبارة التى لم يسمعها إلا الصف الأول من الحضور . رفع ويليام رأسه . كان الرجل البدين الممتلئ قد رحل بينما بقى الرجل الوسيم . كانت سوزان ليستر تسير باتجاهه . ابتسم لها ولكنها تجاهلته ومضت فى طريقها بدون حتى أن تلتفت إلى وجوده . قطب ويليام وجهه .

" أنت ويليام كين ، أليس كذلك يا سيدى ؟ " .

" نعم أنا هو " قالها ويليام فى توتر .

قال الرجل الغريب : " اسمى بيتر بارفيت " .

قال ويليام : " أنت أحد نواب رئيس مجلس إدارة البنك " .

قال الرجل : " هذا صحيح يا سيدى . أنا لا أعرفك ولكننى سمعت عنك وأعتبر نفسى محظوظا لأننى قد سبق لى مقابلة والدك المبجل الراحل . إن كان تشارلز ليستر يرى أنك الرجل المناسب لرئاسة البنك ، فهذا يكفينى " .

لم يشعر ويليام بكل هذا القدر من الراحة الذى شعر به عند سماع هذه الكلمات .

واصل بيتر بارفيت حديثه قبل أن يتمكن ويليام من الرد عليه .

" أين تقيم فى نيويورك ؟ " .

" فى نادى هارفرد " .

" رائع . هل لى أن أدعوك على العشاء الليلة ؟ "

قال ويليام : " كنت عازماً على العودة إلى بوسطن هذا المساء . ولكننى أعتقد أننى يجب أن أبقى الآن فى نيويورك لبضعة أيام " .

" حسنا . لِمَ لا تحضر إلى منزلى الليلة على العشاء ؛ لنقل فى الثامنة مساء ؟ "

قدم الرجل المصرفى إلى ويليام بطاقته التى تحمل عنوانه بحروف نحاسية : " سوف يسعدنى التحدث معك فى مناخ أكثر مرحا " .

قال ويليام وهو يضع البطاقة فى جيبه بينما كان الجميع يحتشدون من حوله : " أشكرك يا سيدى " . كان بعضهم ينظر إليه فى عدوانية والبعض الآخر فى انتظار تقديم التهنئة له .

عندما نجح ويليام أخيرا فى الإفلات والعودة إلى نادى هارفرد ؛ كان أول شيء فعله هو الاتصال بكات لكى يخبرها بالأنباء .

أجابته على الفور قائلة : " كم سيسعد ماثيو من أجلك يا عزيزى " .

قال ويليام : " أعلم " .

" متى ستعود ؟ "

" الله وحده هو الذى يعلم . سوف أتناول العشاء الليلة مع السيد بيتر بارفيت ؛ نائب رئيس بنك ليستر . لقد كان متفهما وودودا معى ؛ مما يمكن أن يسهل الأمر قليلا . سوف أقضى الليلة هنا فى النادى وسوف أتصل بك فى وقت لاحق غدا لكى أعلمك بمجريات الأمور " .

" حسنا يا عزيزى " .

" هل كل شيء على ما يرام فى الجانب الشرقى من البحر ؟ "



" حسنا ؛ فيرجينيا أخرجت سنة وهى ترى أنها لذلك تستحق عناية خاصة ، أما ريتشارد فقد أرسل إلى فراشه فى وقت مبكر لأنه أساء معاملة مربيته ؛ وكلنا نفتقدك " .

ضحك ويليام : " سوف أتصل بك غدا " .

" نعم ؛ أرجوك افعل . تهانيا القلبية يا ويليام . إننى أؤيد اختيار تشارلز ليستر حتى مع أننى سوف أكره العيش فى نيويورك " .

كانت هذه هى المرة الأولى التى فكر فيها ويليام بأنه سوف يعيش فى نيويورك .

وصل ويليام إلى منزل بيتر بارفيت فى شارع إيست سيكستى فور فى الثامنة مساء وفوجئ عندما وجد مضيفه يرتدى ثياب السهرة . شعر ويليام بقليل من الحرج وبعض الضيق فى حلته البنكية السوداء . ثم بادر بتفسير الأمر إلى مضيفته السيدة ديانا بارفيت بقوله إنه كان عازماً على العودة إلى بوسطن فى نفس اليوم لذا لم يكن مستعدا لمثل هذه المناسبة . كانت ديانا بارفيت هى الزوجة الثانية لبيتر وكانت امرأة مضيافة وبدت سعيدة بأن ويليام سوف يكون الرئيس التالى لبنك ليستر . وأثناء عشاء ممتاز ؛ لم يقو ويليام على منع نفسه من الاستفسار من بيتر بارفيت عن ردود أفعال باقى أعضاء مجلس الإدارة بشأن اختيار تشارلز ليستر له كرئيس للبنك .

قال بارفيت : " كلهم موافقون . لقد تحدثت مع معظمهم بالفعل فى الأمر . هناك اجتماع شامل لكل أعضاء المجلس فى صباح الاثنين لتأكيد تعيينك وليس هناك إلا سحابة سوداء صغيرة تعكر الجو " .

سأل ويليام وهو يحاول أن يخفى توتره : " وما هى ؟ "

" أريد أن أسر إليك بأمر ما وهو أن النائب الآخر لرئيس مجلس الإدارة ، تيد ليتش ، كان يتوقع أن يعين رئيسا للبنك . بل إنني - في واقع الأمر - أجرؤ على القول بأنه كان شبه واثق من ذلك . لقد أعلمنا جميعا بأنه لا يمكن ترشيح أى شخص لتولى منصب الرئاسة قبل قراءة الوصية ، ولكن يجب أن أقول إن رغبة تشارلز ليستر كان لها وقع الصدمة على تيد ".

قال ويليام : " هل سيفتعل مشاكل ؟ "

" أخشى أنه يمكن أن يفعل ذلك ولكن ليس هناك ما يثير القلق ".

قالت ديانا بارفيت وهى تتأمل الطبق الموضوع أمامها : " لا أجد غضاضة فى أن أقر بأنه لم يكن يوما رجلى المفضل ".

قال بارفيت ردا عليها : " الآن يا عزيزتى ، يجب ألا نغتاب الرجل قبل أن نمنح السيد كين فرصة للحكم عليه بنفسه . أنا لا أشك شخصيا فى أن المجلس سوف يؤكد تعيين السيد كين فى الاجتماع المقبل يوم الاثنين كما أن هناك احتمالاً أيضا لأن يقدم تيد ليتش استقالته .

قال ويليام : " لا أحب أن أشعر أننى سوف أجبر شخصا ما على تقديم استقالته ".

قال بارفيت : " هذا شعور عظيم ولكن لا تزعج نفسك بهذا الأمر . أنا واثق أن الأمر برمته تحت السيطرة . بادر بالعودة غدا إلى بوسطن وسوف أوافيك بتطور الموقف ".

" قد يكون من الحكمة أن أجرى زيارة خاطفة للبنك غدا صباحا . ألن يجد أى من موظفيك غضاضة فى عدم سعيى للتعرف عليهم ومقابلة أى منهم ؟ "



" كلا ، لا أنصح بذلك فى ظل هذه الظروف . بل إننى أرى أنه من الحكمة أن تبقى بعيدا عن الساحة لحين انتهاء اجتماع مجلس الإدارة يوم الاثنين . إنهم لا يريدون أن يشعروا بأنهم قد فقدوا استقلاليتهم أكثر من اللازم وبأنهم لا يتمتعون بسلطة حقيقية . خذ بنصيحتى يا ويليام وعد إلى بوسطن . سوف أوافيك بالأنباء الجيدة يوم الاثنين قبل الظهيرة ".

وافق ويليام فى تردد على اقتراح بيتر بارفيت وواصل حديثه المتع المريح مع السيد والسيدة بارفيت عن المكان الذى يمكن أن يقيم فيه مع كات فى نيويورك لحين الحصول على مقر إقامة دائم . وقد شعر ويليام بشىء من الدهشة أمام إحجام بيتر بارفيت عن طرح وجهة نظره فى الأمور المصرفية ولكنه أرجع هذا ربما لوجود زوجته . لم يعد ويليام إلى نادى هارفرد إلا بعد الواحدة صباحا .

ما إن عاد ويليام إلى بوسطن ، أعد تقريرا فوريا لتونى سيمونس عما حدث فى نيويورك ، لم يكن يريد أن يسمع تونى بالموعد من شخص آخر . وقد اندهش ويليام من أسف تونى الحقيقى الصادق لهذه الأنباء .

" إننى أشعر بأسف حقيقى لتركك إيانا يا ويليام . قد يكون حجم بنك ليستر أكبر من حجم بنك كين وكابوت بمرتين أو ثلاث مرات ولكننا سوف نعجز عن العثور على بديل لك وأتمنى أن تفكر فى الأمر جيدا قبل أن تقبل التعيين ".

فوجئ ويليام برد فعل تونى ولم يسعه إلا أن يفصح عن هذه الدهشة : " فى الحقيقة يا تونى ، كنت أظن أنك سوف تكون أسعد الناس برحيلى من هنا ".

" ويليام ، متى ستصدق أن هدفى الأول كان وسيظل دائما هو مصلحة البنك ولم يخالجنى يوما ما شك فى أنك واحد من أفضل

الاستشاريين الاستثماريين فى أمريكا اليوم ؟ وإنك إن تركت كين وكابوت الآن ، فإن العديد من عملاء البنك الأكثر أهمية سوف يرغبون - بالطبع - فى الرحيل معك " .

قال ويليام : " إننى لن أقدم يوما على تحويل أموالى الخاصة إلى ليستر كما أننى لا أتوقع أن يقدم أحد من العملاء على سحب أمواله " .

" أنت لن تقدم بالطبع على تشجيعهم للحاق بك يا ويليام ولكن بعضهم سوف يرغب فى أن تواصل بنفسك إدارة شئونهم المالية . إنهم مثل أبيك وتشارز ليستر ؛ يؤمنون بأن العمل المصرفى مرهون بالأشخاص وسمعتهم وليس البنك نفسه " .

قضى ويليام وكات أسبوعا متوترا فى انتظار يوم الاثنين ونتيجة الاجتماع المزمع عقده فى نيويورك . جلس ويليام فى توتر فى مكتبه طيلة صباح الاثنين وهو يرد على المكالمات الهاتفية شخصيا ولكنه لم يسمع أية أنباء من الصباح وحتى اقتراب انتهاء الظهيرة . لم يكن حتى قد غادر مكتبه لتناول الغداء . وأخيرا اتصل به بيتر بارفيت بعد الخامسة بقليل .

كانت كلمات الرجل الأولى : " أخشى أنه قد وقعت بعض الأمور غير المتوقعة يا بيتر "

شعر ويليام بغصة فى حلقه .

" ليس هناك ما يثير قلقك لأننى مازلت واثقا أن الموقف تحت السيطرة تماما ولكن المجلس قد طالب بحقه فى التصويت وترشيح شخص آخر أمامك . بل إن البعض قد وصل إلى أن وصية ليستر تفتقر إلى الشرعية من الناحية القانونية . وقد وكل إلى المجلس مهمة ثقيلة وهى إخبارك إن كنت على استعداد لخوض انتخابات ضد مرشح المجلس " .



سأل ويليام : " ومن هو مرشح المجلس ؟ "

" لم تذكر أية أسماء بعد ولكن أعتقد أن اختيارهم سوف يقع على تيد ليتش . فلم يبد أى شخص آخر اهتماما بترشيح نفسه ضدك " .

قال ويليام : " أريد بعض الوقت للتفكير فى هذا الأمر . متى سيحين الاجتماع التالى للمجلس ؟ "

قال بارفيت : " أسبوع من اليوم ولكن لا تشغل بالك كثيرا بتيد ليتش ، مازلت واثقا أنك سوف تكسبه بسهولة . سوف أوافيك بكل تطورات الموقف " .

" هل تريدنى أن أحضر إلى نيويورك يا بيتر ؟ "

" كلا ، ليس الآن . لا أظن أن هذا سوف يجدى " .

شكر ويليام الرجل وأعاد السماعة إلى مكانها . حزم مقتنياته فى حقيبته الجلدية وغادر المكتب وهو يشعر بقدر كبير من الإحباط . قابله تونى سيمونس فى موقف السيارات الخاص .

" لم أكن أعلم أنك سوف تغادر المدينة يا تونى " .

" إنه العشاء البنكى الشهرى المعتاد فى نيويورك . سوف أعود غدا فى الظهيرة . أعتقد أنه يمكننى أن أترك كين وكابوت بلا خوف لمدة أربع وعشرين ساعة فى يد رئيس بنك ليستر الجديد "

ضحك ويليام : " ربما أكون قد أصبحت بالفعل الرئيس السابق " . ثم شرح له آخر تطورات الموقف . وثانية اندهش ويليام من رد فعل تونى سيمونس الذى قال :

" صحيح أن تيد ليتش كان ينتظر دائما أن يكون رئيسا لليستر . هذا أمر مسلم به فى كل الدوائر المالية . ولكنه خادم مخلص للبنك ولا أتصور أن يعارض رغبة تشارلز ليستر " .

قال ويليام : " لم أكن أعرف أنك حتى تعرفه " .

قال تونى : " أنا لا أعرفه جيدا . لقد كان يسبقنى بعام فى جامعة يال وأنا الآن أراه من وقت إلى آخر فى تلك العشاءات البنكية اللعينة ، التى سوف تحضرها يوما كرئيس للبنك . سوف يكون حاضرا الليلة . يمكننى أن أحادثه فى الأمر إن رغبت فى ذلك " .

قال ويليام : " نعم ، حادثه ولكن توخ الحذر جيدا ، أليس كذلك ؟ "

" عزيزى ويليام لقد دأبت على مدى عشر سنوات من عمرك على إخبارى بأننى بالغ الحرص والحذر " .

" آسف يا تونى . كم يكون المرء مشوش الفكر عندما يكون منشغلا بمشاكله الشخصية بينما يكون سديد الرأى فيما يخص مشاكل الآخرين . سوف أضع مستقبلى بين يديك وأتبع نصائحك بحذافيرها " .

" حسنا ، إذن دع الأمر لى . سوف أستمع لما سوف يقوله ليتش وسوف أتصل بك غدا فى الصباح الباكر " .

اتصل تونى من نيويورك بعد دقائق من منتصف الليل وأيقظ ويليام من نوم عميق .

" هل أيقظتك يا ويليام ؟ "

" نعم ، من أنت ؟ "

" تونى سيمونس " .

أضاء ويليام النور بجوار سريره ونظر فى ساعة المنبه : " لقد قلت لى إنك سوف تتصل بى مع أول ساعات النهار " .

ضحك تونى : " أخشى أن ما أقوله لك لن يكون طريفا . إن الرجل الذى سوف ينازعك على تولى منصب رئيس البنك هو بيتر بارفيت " .



قال ويليام وقد استيقظ فجأة : " ماذا ؟ "

" لقد كان يسعى لحث المجلس على مساندته ضدك من وراء ظهرك . أما تيد ليتش فهو فى المقابل يؤيد تعيينك رئيسا ولكن المجلس الآن منقسم إلى شطرين " .

" اللعنة . أولا ، شكرا لك . وثانيا ما الذى يمكن أن أفعله الآن ؟ "

" إن كنت تريد أن تصبح الرئيس المقبل للبتسر فيجب أن تحضر هنا من فورك قبل أن يتساءل أعضاء المجلس عن سبب اختفائك بعيدا فى بوسطن " .

" اختفائى بعيدا ؟ "

" هذا ما كان يقوله بارفيت للمديرين فى الأيام القليلة الماضية " .

" ياله من وغد لقيط ! " .

قال تونى : " الآن بعد أن ذكرت هذا الأمر . فإننى سوف أتشكك فى نسبه " .

ضحك ويليام .

" تعال وابق فى نادى يال . بحيث يتسنى لنا مناقشة الأمر فى الصباح " .

قال ويليام : " سوف أكون هناك بأسرع ما يمكن " .

" قد أكون نائما لدى وصولك . سوف يكون دورك فى إيقاظى " .

أغلق ويليام الهاتف وألقى نظرة على كات التى كانت ـ لحظها السعيد ـ غافلة عن مشاكله الجديدة . كانت قد ظلت نائمة طوال الحوار . لكم تمنى أن يستسلم للنوم والغفلة مثلها . إنها سوف تنام على الأرجح لباقى الليل . خط لها بعض السطور يشرح لها ما قد تم

وترك الورقة فوق المنضدة الجانبية المجاورة لها ثم ارتدى ثيابه ومضى فى طريقه إلى نيويورك .كانت الطرق خالية وكانت قيادة الديملر أسرع مما اعتاد عليه . كان يشق طريقه إلى نيويورك مع عمال النظافة ورجال البريد والجرائد وشمس الصباح ، ووصل إلى نادى يال عندما دقت ساعة القاعة مرة واحدة . كانت الساعة السادسة والربع . استخرج محتويات حقيبة سفره وقرر أن يستريح ساعة قبل أن يوقظ تونى . كان أول شىء سمعه بعد ذلك هو طرقاً متواصلاً على باب غرفته . نهض وهو مازال نائما ليفتح الباب وإذا بتونى يقف أمامه .

قال تونى وهو يضحك : " لباس نوم أنيق يا ويليام " . كان يرتدى كامل ثيابه .

قال ويليام : " لابد أننى قد رحت فى نوم عميق . إن انتظرت لحظة فسوف أوافيك على الفور " .

" كلا ، كلا ، يجب أن ألحق بالقطار المتجه إلى بوسطن . خذ حماما وارتد ملابسك ونحن نتحدث " .

ذهب ويليام إلى الحمام وترك الباب مفتوحا .

قال تونى : " الآن مشكلتك الأساسية ... " .

وجه ويليام رأسه صوب باب الحمام : " لا أستطيع أن أسمعك بسبب صوت الماء " .

توقف تونى إلى أن توقف صوت الماء ثم قال : " بيتر بارفيت هو مشكلتك الأساسية . لقد كان يخطط لأن يكون الرئيس المقبل للبنك وبأنه سوف يكون الاسم الذى سوف يرشحه تشارلز ليستر . لقد كان يؤلب المديرين ضدك ويبحث فى سياسات مجلس الإدارة منذ ذلك الحين . تيد ليتش يمكن أن يمدك بأدق التفاصيل وهو يريد أن تقابله على الغداء اليوم فى نادى ميتروبوليتان . قد يُحضر معه اثنين





أو ثلاثة من أعضاء مجلس الإدارة يمكنك الاعتماد عليهم والوثوق بهم . إن المجلس على أية حال يبدو منقسما إلى نصفين " .

" يقع الميتروبوليتان فى فيفث آفينيو فى شارع إيست سيكستينث " .

" لِمَ لا نتقابل فى أى مكان فى وول ستريت ؟ "

" ويليام ... عندما تتعامل مع أمثال بيتر بارفيت يجب ألا تفصح عن نواياك . احتفظ بها لنفسك وأدر اللعبة بفطنة وهدوء . لقد استخلصت من حديث ليتش أنه مازال بوسعك أن تفوز " .

عاد ويليام إلى الغرفة وقد لف منشفة حول خصره وقال : " سوف أحاول أن أبقى هادئا " .

ابتسم تونى : " والآن يجب أن أعود إلى بوسطن . سوف يغادر قطارى من الجراند سنترال فى غضون عشر دقائق " ثم نظر فى ساعته وقال : " اللعنة ، ست دقائق فقط "

توقف تونى عند باب غرفة النوم : " هل تعرف يا ويليام أن والدك لم يكن يثق أبدا فى بيتر بارفيت . كان ينعته بأنه ماكر ؟ اعتاد دائما أن يقول ذلك . لم يصفه يوما بأكثر من ذلك ، ماكر " .

ثم رفع حقيبة يده واستطرد قائلاً : " حظا سعيدا يا ويليام " .

" كيف يمكن أن أشكرك بما يكفى يا تونى ؟ "

" لا يمكنك . فقط اعتبر الأمر محاولة منى للتكفير عن الطريقة السيئة التى عاملت بها ماثيو " .

شاهد ويليام الباب وهو يغلق وهو يضبط ياقة قميصه . بينما كان يهندم رابطة عنقه تذكر كم هو مثير أن يقضى طول هذه السنوات فى العمل مع تونى سيمونس بدون أن يعرف حقيقة الرجل ، التى لم يكشف عنها إلا فى غضون أيام قليلة تعرض فيها لأزمة شخصية ، ووجد نفسه فى الحال يحب الرجل ويثق به ، ذلك الرجل الذى لم

يعرفه على حقيقته أبدا من قبل . توجه ويليام إلى قاعة الطعام وطلب إفطارا تقليديا . تناول بيضة مسلوقة وقطعة من الخبز الجاف والزبد والمربى الإنجليزية التى كان قد اقترضها من المائدة المجاورة له . قدم له البواب نسخة من صحيفة الوول ستريت حيث وجد مكتوبا فى إحدى الصفحات الداخلية ، أن كل شيء كان يسير على ما يرام فى بنك ليستر وأن ويليام كين سوف يكون الرئيس المقبل للبنك . على الأقل لم تكن الجريدة على علم بما يجرى فى الداخل .

عاد ويليام إلى غرفته وطلب من عامل الهاتف أن يتصل برقم ما فى بوسطن . بقى منتظرا لبضع دقائق قبل أن يرد الطرف المقابل .

" أعتذر يا سيد كين . لم تكن لدىّ فكرة عن أنك أنت المتصل . هل لى أن أهنئك على تعيينك رئيسا لليستر . أتمنى أن يعنى ذلك أننا سوف نراك كثيرا فى مكتبنا فى نيويورك فى المستقبل " .

" هذا يعتمد بدرجة كبيرة عليك يا سيد كوهين " .

أجاب المحامى : " لا يمكن أن أتظاهر بأننى قد فهمت ما تعنيه " .

شرح ويليام ما حدث على مدى الأيام القليلة السابقة للرجل وقرأ عليه الجزء الخاص به فى وصية ليستر .

أخذ توماس كوهين يدون بعناية كل كلمة وأخذ يقرأها بتمعن .

سأل ويليام : " هل تعتقد أن رغبته سوف يعتد بها فى القضاء ؟ "

" من يدرى ؟ لا أذكر أية سابقة فى هذا الصدد . فى القرن التاسع عشر تقدم أحد أعضاء البرلمان مرة باعتراضه على أحد شروط الوصية . وقد أصبح رئيسا للوزراء. ولكن هذا كان منذ أكثر من مائة عام ، وفى إنجلترا . والآن فى هذه الحالة إن قرر المجلس أن يطعن



فى صحة وصية السيد ليستر ، ورفعت أنت الأمر إلى القضاء فأنا لا أستطيع أن أتنبأ بما سوف يحكم به . لم يكن اللورد ميلبورن بحاجة لمجابهة نواب مدينة نيويورك . ومع ذلك فهذا لغز قانونى دقيق يا سيد كين " .

قال ويليام : " وما الذى تنصحنى به ؟ "

" لقد وفدت إلى هذه البلاد على متن سفينة قادمة من ألمانيا مع مطلع القرن وكان علىّ دائماً أن أناضل وأبذل جهدى لكى أحصل على ما أريد . هل تريد أن تصبح رئيسا لبنك ليستر بحق ؟ "

" نعم يا سيد كوهين ، أرغب بشدة فى ذلك " .

" إذاً ، يجب أن تصغى إلى ما سوف ينصحك به رجل عجوز أصبح على مدار السنوات يكن لك الكثير من الاحترام بل وأقول أيضا بعض الحب . سوف أخبرك تحديدا بما كنت سأقوم أنا به إن واجهتنى نفس المعضلة " .

استمرت المحادثة على مدى ساعة كاملة وبقى أمام ويليام بعض الوقت لكى يقتله فأخذ يتجول فى شارع بارك آفينيو . وبينما هو سائر وقع نظره على لافتة فوق مبنى ضخم تحت البناء . كانت هناك لافتة كبيرة أنيقة تحمل الإعلان التالى " فرع سلسلة فنادق البارون فى نيويورك . عندما يستضيفك فندق البارون فلن ترغب بعدها فى النزول فى أى فندق آخر . " ابتسم ويليام وسار بخطوات أكثر خفة نحو نادى ميتروبوليتان .

كان تيد ليتش وهو رجل قصير نشيط ذو شعر أسود قصير وشارب أفتح لونا يقف فى مدخل النادى فى انتظار ويليام . دعا ويليام إلى الدخول . أعجب ويليام بطراز عصر النهضة الذى كان يميز النادى والذى كان قد شيده أوتو كون وستانفورد وايت عام

١٨٩١ . كان جى بى مورجان قد شيد النادى عندما صوت أعضاء نادى " يونيون ليج " ضد أقرب أصدقائه .

قال تيد ليتش وهو يحاول أن يجرى حوارا مع ويليام : " لقد كان تصرفا فيه الكثير من الغلو حتى إن كان لصديق مقرب . ما الذى تريد أن تشربه يا سيد كين ؟ "

قال ويليام : " شراب توت من فضلك " .

جاء فتى فى زى أزرق أنيق ثم عاد بعد لحظات قليلة وهو يحمل شراب التوت والماء ، لم يكن بحاجة لأن يسأل السيد ليتش عن طلبه .

بعد بضع دقائق ، حضر رجلان وتوجها نحوهما . كانا طويلين وواثقين من نفسيهما ويرتديان الزى المصرفى الرمادى المؤلف من ثلاث قطع ، كانت ياقة القميص شديدة الاستقامة غامقة اللون وكانت أربطة العنق أحادية اللون ، لو كانا يجوبان شوارع وول ستريت ، لما ألقى عليهما وليام نظرة ثانية . ولكنه تفحصهما جيدا فى نادى المتروبوليتان .

قال تيد ليتش وهو يقدمهما لويليام : " السيد ألفرد رودجرز والسيد وينثروب ديفيز " .

ابتسم ويليام ابتسامة مقتضبة غير واثق من ولاء كل شخص وإلى أى الطرفين ينتمى . تفحص الرجلان ويليام بمنتهى الدقة . لم ينطق أحد بكلمة للحظات .

قال الرجل الذى يدعى رودجرز ، وقد سقطت النظارة الأحادية من عينه وهو يتحدث : " من أين نبدأ ؟ "

قال تيد ليتش : " سوف نبدأ بالغداء "

استدار الرجال الثلاثة ، كان من الواضح أن كلاً منهم يعرف جيدا وجهته . وتبعهم ويليام . كانت قاعة الطعام فى الطابق الثانى



وكانت هناك غرفة واسعة ، ذات سقف رائع . دعاهم كبير الندل للجلوس عند المائدة المجاورة للنافذة ، والتى تطل على منتزه سنترال بارك بحيث لا يستطيع أحد أن يستمع لحديثهم .

قال تيد ليتش : " دعنا نطلب الطعام أولا ثم نواصل الحديث " .

استطاع ويليام أن يرى فندق البلازا عبر النافذة . بدأت ذكريات احتفاله مع جدتيه وماثيو تتوالى عليه ، وكان هناك شىء آخر يحاول أن يتذكره عن هذا اليوم الذى أقيم فيه حفل الشاى فى البلازا " .

قال تيد ليتش : " دعنا يا سيد كين نكشف عن أوراقنا " .

" لقد كان قرار تشارلز ليستر بتعيينك مديرا للبنك قرارا مفاجئا لنا جميعا ، ولكن دعنا من هذا الأمر . ولكن إن تجاهل المجلس وصية السيد تشارلز فسوف يعج البنك بالفوضى ولن يكون هذا فى مصلحة أى منا . لقد كان السيد تشارلز رجلا محنكا وكان لديه بكل تأكيد ما يبرر اختياره لك كرئيس للبنك ، وهذا يكفينى " .

كان ويليام قد سمع هذه الكلمات من قبل ، من بيتر بارفيت .

استطرد وينثروب ديفيز قائلاً " إن ثلاثتنا مدين بكل شىء إلى تشارلز ليستر وسوف ننفذ رغبته حتى إن كان هذا هو آخر ما سوف نفعله فى مجلس الإدارة " .

قال تيد ليتش : " وقد يصل الأمر إلى هذا الحد بالفعل إن نجح بيتر بارفيت فى أن يصبح رئيسا للبنك " .

قال ويليام : " آسف أيها السادة لأننى تسببت فى كل هذا الشقاق . إن كان تعيينى كرئيس للبنك جاء كمفاجأة بالنسبة لكم ، فإننى أؤكد لكم أنه كان أكثر من ذلك بالنسبة لى شخصيا . لقد

تصورت أننى سوف أحصل على بعض التذكارات الخاصة بماثيو والتى تركها لى والده ولكن ليس مسئولية إدارة البنك " .

قال تيد ليتش : " نحن نتفهم وضعك جيدا يا سيد كين . ويجب أن تثق بنا عندما نقول لك بأننا سوف نساعدك . نحن نعلم أنك قد تجد صعوبة فى تصديق هذا الأمر بعد الموقف الذى تعرضت له مع بيتر بارفيت والحيل التى كان يناورك بها " .

" يجب أن أصدقك يا سيد ليتش لأنه ليس أمامى خيار آخر إلا أن أضع نفسى بين يديك. كيف تقرأ الوضع الحالى ؟ "

قال ليتش : " الوضع واضح بالنسبة لى . إن حملة بيتر بارفيت منظمة وهو يشعر أنه يتصرف الآن من وضع قوة . لذلك يا سيد كين يجب أن نتعامل مع بعضنا البعض بمنتهى الصراحة والصدق إن كنا نريد أن نلحق به الهزيمة . أعتقد ـ بالطبع ـ أنك تملك الشجاعة اللازمة لخوض المعركة " .

" لم أكن لأحضر إلى هنا لو لم أكن أملكها يا سيد ليتش . والآن بعد أن أجملت الوضع بشكل محكم ؛ ربما تأذن لى بأن أقترح الطريقة التى سوف تمكننا من إلحاق الهزيمة بالسيد بارفيت " .

قال تيد ليتش : " بالطبع " .

أخذ الرجال الثلاثة ينصتون إليه بإمعان .

" أنتم محقون فى قولكم إن بارفيت يشعر الآن أنه فى وضع قوة لأنه ظل إلى الآن الطرف الوحيد الظاهر فى ميدان المعركة ، هو الوحيد الذى يدرك ما سوف يحدث . ولكن دعنى أقول بأننا يجب أن نقلب الوضع وأن نبادر بالهجوم بدلا منه ومن أكثر المواقع البعيدة عن توقعه ؛ من داخل مجلس إدارته " .

سأله ويثروب ديفيز ؛ وقد ارتسمت عليه بعض علامات الدهشة : " وكيف ترى إمكانية تحقيق ذلك يا سيد كين ؟ "



سوف أخبركم إذا سمحتم لى بطرح سؤالين عليكم . كم عدد أعضاء المدراء التنفيذيين الذين يملكون حق التصويت فى المجلس ؟ "

رد تيد ليتش فى الحال : " ستة عشر " .

سأل ويليام : " ولمن ولاؤهم الآن ؟ "

قال وينثروب ديفيز : " سؤال تصعب الإجابة عليه يا سيد كين " . ثم استخرج مظروفا كان قد وضعه فى جيبه وتفحص جيدا ظهر المظروف قبل أن يواصل حديثه : " أعتقد أننا يمكن أن نعتمد بمنتهى الارتياح على ستة أصوات ، مقابل خمسة أصوات لبارفيت . لقد أصبت بصدمة حقيقية صباح اليوم عندما علمت بأن روبرت كورك سميث ـ وكان صديق تشارلز ليستر المقرب ـ ليس على استعداد لمساندتك يا سيد كين . لقد كان أمرا غريبا بحق ، لأننى أعلم يقينا أنه لا يكترث ببارفيت . أعتقد أن هذا سوف يرفع الأصوات إلى ستة لكل منكما .

أضاف تيد : " إذن يجب أن ننتظر حتى يوم الخميس لمعرفة موقف الأعضاء الأربعة المتبقين من المجلس " .

سأل ويليام : " ولماذا الخميس ؟ "

" يوم اجتماع مجلس الإدارة " . أجاب ليتش بذلك وهو يمسح على شاربه وهو ما لاحظ ويليام أنه كان يفعله فى كل مرة يتحدث فيها : " ولكن الأهم من ذلك هو أن انتخاب الرئيس الجديد هو موضوع الاجتماع " .

قال ويليام فى استغراب : " ولكننى كنت قد أخبرت بأن الاجتماع المقبل لن يعقد قبل الاثنين المقبل " .

سأل ديفيز : " من الذى أخبرك ؟ "

رد ويليام : " بيتر بارفيت " .

علق تيد ليتش قائلا : " إنها إحدى حيله إنه ليس رجلا مستقيما على أية حال " .

قال ويليام فى نبرة ساخرة : " لقد سمعت ما يكفى عن هذا الأمر أيها السادة مما جعلنى أدرك أننى يجب أن أخوض معركة ضد هذا الرجل " .

قال وينثروب ديفيز : " القول أسهل من العمل يا سيد كين . إنه يجلس فوق مقعد القيادة الآن . ولست واثقا من التصرف الذى يجب أن نقدم عليه لكى نزيحه من فوق مقعده " .

أجاب ويليام : " نغير أضواء إشارة المرور إلى اللون الأحمر . من الذى يملك حق الدعوة لانعقاد مجلس الإدارة ؟ "

قال تيد ليتش : " عندما يكون المجلس بلا رئيس ، يحق لنواب الرئيس ذلك ، أى بيتر بارفيت أو أنا " .

" ما عدد الأعضاء الذى يشكل النصاب القانونى ؟ "

قال ديفيز : " تسعة " .

" وإن كنت أنت أحد نائبى الرئيس يا سيد ليتش فمن يكون السكرتير ؟ "

قال ألفريد رودجرز : " أنا " ، ولم يكن قد فتح فمه للحديث تقريباً منذ أن بدأت الجلسة ، كان يحمل المواصفات التى يتطلع إليها ويليام تحديدا فى سكرتير البنك .

" كم يبلغ عدد الإخطارات التى يجب أن يتم إرسالها للدعوة لعقد اجتماع طارئ يا سيد رودجرز ؟ "

" يجب أن يتم إخطار كل مدير قبل انعقاد المجلس بأربعة وعشرين ساعة وهو ما لم يحدث أبدا فى الواقع إلا مرة واحدة . فقد كان تشارلز ليستر يحرص دائما على أن يخطر الأعضاء قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام على الأقل " .



سأل ويليام : " ولكن لائحة البنك تسمح بعقد اجتماع طارئ بعد أربع وعشرين ساعة من الإخطار بذلك ؟ "

أكد ألفريد رودجرز بعد أن ثبت نظارته الأحادية فى موضعها وركز بصره على ويليام ، قائلاً : " نعم يا سيد كين " .

" ممتاز ، إذا دعنا نطلب عقد اجتماع للمجلس ؟ "

حدق الرجال الثلاثة إلى ويليام كما لو كانوا لم يسمعوا ما قاله بوضوح .

واصل ويليام حديثه : " فكروا فى الأمر أيها السادة . السيد ليتش ـ بصفته نائباً للرئيس ـ سوف يدعو لعقد اجتماع مجلس الإدارة ، والسيد رودجرز بصفته السكرتير سوف يخبر كل المديرين " .

سأل تيد ليتش : " متى تريد عقد هذا الاحتماع ؟ "

" غدا ، عصرا " ثم نظر ويليام فى ساعته واستطرد : " فى الثالثة " .

قال ألفريد رودجرز : " يا إلهى ، هذه مباغتة " .

قال ويليام : " مباغتة لبيتر بارفيت ، أليس كذلك ؟ "

قال تيد ليتش : " هذا حقيقى إن كنت تعرف تحديدا ما تريده من وراء هذا الاجتماع " .

" اترك شأن الاجتماع لى أنا . ولكن احرص على عقده بالشكل الصحيح وأن يتلقى كل مدير الإخطار " .

قال تيد ليتش : " أتساءل كيف سيكون وقع ذلك على بيتر بارفيت " .

قال ويليام : " لا تشغل بالك ببارفيت . هذا هو الخطأ الذى وقعنا فيه إلى الآن . يجب أن ندعه هو يقلق منا ولو على سبيل التغيير . فمادام تلقى الإخطار الذى يسبق الاجتماع بأربع وعشرين

ساعة ومادام كان آخر من يعلم من المديرين فليس هناك ما يدعو للقلق . فنحن لا نريد أن نمنحه وقتا أكثر من اللازم لكى يعد عدته . أيها السادة لا تندهشوا من أى شىء سوف أقوله أو أفعله غدا . ثقوا فى حكمى على الأمور وقفوا بجوارى " .

" ألا تشعر أنه يستحسن أن تعلمنا بما أنت عازم عليه ؟ "

" كلا يا سيد ليتش . يجب أن تبدو فى الاجتماع شأنك شأن الجميع وكأنك تؤدى واجبك المفروض " .

بدأ تيد ليتش وزميلاه يتبينان سبب اختيار تشارلز ليستر لويليام كين كرئيس للبنك . تركوا نادى الميتروبوليتان وهم يشعرون بثقة تفوق ما جاءوا بها بالرغم من جهلهم التام لما سوف يحدث فى اجتماع مجلس الإدارة الذى كانوا على وشك الدعوة لانعقاده . أما ويليام ـ فى المقابل ـ بعد أن نفذ الجزء الأول من نصيحة توماس كوهين ، فقد كان يتطلع إلى الجزء الثانى الأكثر صعوبة .

قضى معظم وقت الظهيرة والمساء فى غرفته فى نادى يال ، وهو يفكر بإمعان فى كل الحيل التى سوف يراوغ بها فى اجتماع اليوم التالى ولم يقطع فترة التفكير الطويلة إلا بمكالمة هاتفية مقتضبة مع كات .

قالت كات : " أين أنت يا عزيزى ؟ إلى أين ستهيم فى منتصف الليل ؟ "

قال ويليام : " إلى عشيقتى الجديدة فى نيويورك " .

قالت كات : " يالها من مسكينة . إنها على الأرجح لا تعرف الحقيقة . ما الذى نصحتك بأن تفعله مع السيد بارفيت الشرير ؟ "

" لم يكن لدىَّ وقت للتحدث معها فى هذا الموضوع ، لقد كنا منهمكين فى عمل أشياء أخرى . بما أنك معى على الهاتف ، ما الذى تنصحيننى به ؟ "



قالت كات وقد اكتسبت نبرة جدية مفاجئة : " لا تدخر جهدا كان سيبذله تشارلز ليستر أو والدك إن كانا فى مثل ظروفك " .

" إنهما على الأرجح يراقباننا طوال الوقت " .

" مهما فعلت يا ويليام ، فإنك لن تخطئ أبدا إن وضعت فى اعتبارك أنهما يراقبانك " .

عندما بزغت أول خيوط الفجر ، كان ويليام قد استيقظ بالفعل ، لم يكن قد حصل على قسط وافر من النوم . نهض بعد السادسة بقليل وأخذ حماما باردا ثم سار فى منتزه سنترال بارك لفترة طويلة لكى يشحذ فكره ثم عاد لتناول إفطار خفيف فى نادى يال . كانت هناك رسالة فى انتظاره فى البهو الأمامى للنادى . كانت من زوجته . عندما قرأها ثانية ، ضحك ويليام من الكلمات التالية : " إن لم تكن منهمكا فى العمل هل يمكنك تذكر شراء قفاز بيسبول لريتشارد " . التقط ويليام جريدة الوول ستريت ، التى كانت مازالت تتناول تفاصيل تعقد الأمور فى مجلس إدارة ليستر حول اختيار الرئيس الجديد . كانت الصحافة قد وصلها فى هذا الوقت الجانب الآخر الخاص ببيتر بارفيت من القصة ، فى تنويه إلى أن تعيينه سوف يكون مؤكدا على الأرجح فى اجتماع يوم الخميس . أخذ ويليام يتساءل ، ترى صورة من منا سوف تنشر غدا فى الصحافة . دعنا نرى الآن ما سوف تقوله الصحافة غدا . قضى ويليام صباح يومه فى مراجعة كل القوانين واللوائح البنكية الخاصة ببنك ليستر وتفحصها جيدا . لم يتناول أى غداء ولكنه وجد وقتا لزيارة متجر " إف إيه أو شواردز " وشراء قفاز بيسبول لابنه .

فى الثانية والنصف استقل سيارة أجرة إلى البنك فى وول ستريت وووصل قبل الثالثة ببضع دقائق . سأله البواب إن كان لديه موعد للقاء أحد " . ◆

" أنا ويليام كين " .

" نعم يا سيدى ، تفضل إلى قاعة الاجتماعات " .

قال ويليام لنفسه : " يا إلهى ، أنا لا أتذكر تحديدا أين موقع قاعة الاجتماعات " .

شعر البواب بحرجه : " سر فى الرواق ثم إلى اليسار يا سيدى ، الباب الثانى إلى اليمين " .

قال ويليام : " أشكرك " ثم سار بأكبر قدر ممكن من الثقة فى الرواق . حتى هذه اللحظة كان ويليام ينظر دائما إلى تعبير " فراشات تتحرك فى معدتى " على أنه تعبير أحمق . شعر وقتها أن دقات قلبه أعلى من دقات الساعة المعلقة فوق الجدار فى القاعة ، حتى أنه لم يكن ليندهش إن دق قلبه معلنا الثالثة ظهرا .

كان تيد ليتش يقف منفردا عند مدخل قاعة الاجتماعات . كانت كلماته الأولى : " سوف تحدث مشاكل " .

قال ويليام : " جيد . هذه هى الطريقة التى كان تشارلز ليستر سوف يحب أن تكون الأمور عليها ، كان سيواجه المشاكل وجها لوجه " .

دخل ويليام القاعة ولم يكن بحاجة لعد الرؤوس لكى يتأكد من حضور كل المديرين . لن يكون هذا أحد الاجتماعات التى يمكن أن يجرؤ أحد المديرين على تفويتها . توقف الحديث عندما دخل ويليام القاعة وساد صمت مترقب عندما توقف الجميع وأخذوا يحدقون إليه . أسرع ويليام بالوقوف عند مقدمة المائدة الطويلة قبل أن يلتفت بيتر بارفيت إلى ما يجرى .

قال ويليام آملا أن يكون صوته قد اتسم بالحزم : أيها السادة ، تفضلوا بالجلوس رجاء " .



جلس تيد ليتش وبعض المديرين الآخرين فى مقاعدهم فى الحال بينما تردد البعض الآخر وبدأت الهمهمة من جديد .

لاحظ ويليام أن اثنين من المديرين لم يكن يعرفهما كانا على وشك النهوض ومقاطعته .

" قبل أن يقول أى شخص شيئا ، اسمحوا لى ، أن ألقى بيانا افتتاحيا ، وبعدها يمكنكم اتخاذ القرار اللائق . أرى أن هذا هو أقل ما يجب فعله لتلبية رغبات الراحل تشارلز ليستر " .

جلس الرجلان .

" أشكركم أيها السادة . بداية أود أن أوضح للجميع أنه ليست لدىَّ أية رغبة فى أن أصبح رئيسا لهذا البنك " ، ثم صمت ويليام لكى يدع العبارة تترك تأثيرا ثم أكمل : " ما لم تكن هذه هى رغبة أغلبية المديرين " .

ثبتت كل العيون عندها على ويليام . " أنا ، أيها السادة ، أشغل حاليا وظيفة نائب بنك كين وكابوت وأملك واحداً وخمسين بالمائة من أسهمه . لقد أسس بنك كين وكابوت على يد جدى وأعتقد أنه لا يقل سمعة عن بنك ليستر وإن كان يقل عن حجمه . إن طلب منى أن أغادر بوسطن وأنتقل إلى نيويورك - نزولا على رغبة تشارلز ليستر - فلا أستطيع أن أتظاهر بأن هذه النقلة سوف تكون سهلة بالنسبة لى أو لعائلتى . ومع ذلك ، فإن كانت هذه هى رغبة تشارلز ليستر - وهو رجل لا يمكن أن يستهين بمثل هذه الأمور - فإننى ، أيها السادة ، يجب أنظر بكل اعتبار وجدية إلى رغباته . أريد أيضا أن أضيف أن ماثيو ليستر كان أعز أصدقائى لأكثر من خمسة عشر عاما وأعتبر أن مخاطبتى لمجلسكم اليوم باعتبارى الرئيس المرشح ليسأمراً مأساوياً " .

أومأ بعض المديرين بالموافقة على ما يقوله .

" أيها السادة ، إن شرفت اليوم بالحصول على تأييدكم لى ، فسوف أحشد كل ما أملكه فى بوسطن لخدمة هذا البنك . أعتقد أننى لست بحاجة لأن أقدم لكم تقريرا مفصلا عن خبرتى المصرفية . لأننى أفترض أن كل مدير هنا يدرك تماما أن اختيار تشارلز ليستر لى لتولى رئاسة البنك من بعده قد أزال عن عاتقه عبء التفكير فى هذا الأمر . لقد طلب منى رئيس البنك الذى أعمل به - السيد تونى سيمونس - والذى أفترض أن الكثيرين منكم يعرفونه - أن أبقى فى بنك كين وكابوت " .

" لقد كنت عازماً على إخبار السيد بارفيت بالأمس بقرارى النهائى لو كان قد اتصل وطلب منى ردا . لقد سعدت بتناول العشاء مع السيد والسيدة بارفيت الأسبوع الماضى فى منزلهما ، وبهذه المناسبة أخبرنى السيد بارفيت أنه لا يسعى بأى شكل لأن يكون الرئيس المقبل للبنك . وأن منافسى الوحيد - من وجهة نظره - هو السيد تيد ليتش النائب الآخر . مما دفعنى إلى التحدث مع السيد ليتش شخصيا فى هذا الصدد وأخبرنى بأننى سوف أحظى بتأييده لى كرئيس للبنك . وبناء على ذلك ، فإننى أفترض أيها السادة بأننى قد حصلت على مساندة كلا الرجلين . ولكننى بعد قراءة جريدة الوول ستريت اليوم ؛ ليس باعتبار أننى أثق فى رؤيتهم وتوقعاتهم وهو ما تخليت عنه منذ كنت فى الثامنة " ـ ثم ضحك ضحكة مقتضبة ـ " شعرت أننى يجب أن أحضر اجتماع اليوم بنفسى لكى أتأكد من أننى مازلت محتفظا بمساندة نائبى مجلس الإدارة ، وأن رواية الجريدة غير صحيحة . لقد طالب السيد ليتش بعقد هذا الاجتماع وأود أن أسأله بهذه المناسبة إن كنت مازلت أحتفظ بتأييده لى فى تولى منصب الرئاسة بعد تشارلز لستر " .



نظر ويليام إلى تيد ليتش ، الذى كان قد أحنى رأسه . كان الوقت المستغرق فى انتظار حكمه غير محتمل . كان أى خذلان من جانبه يعنى أن أنصار بارفيت سوف ينقضون عليه .

رفع تيد ليتش رأسه ببطء وقال : " أنا أؤيد السيد كين تأييدا مطلقا " .

نظر ويليام مباشرة إلى بيتر بارفيت للمرة الأولى فى ذلك اليوم . كان يتصبب عرقا بشكل واضح وعندما تحدث لم يرفع عينيه عن الحافظة الورقية الصفراء الموضوعة أمامه .

بدأ الرجل حديثه : " حسنا ، هناك بعض الأعضاء فى المجلس شعروا بأننى يجب أن أتصدى لهذا الأمر " .

قاطعه بنبرة دهشة بسيطة : " هذا يعنى أنك قد غيرت رأيك بشأن مساندتى وتلبية رغبة السيد تشارلز ليستر ؟ " .

رفع بيتر بارفيت رأسه قليلا : " المشكلة ليست بهذه البساطة يا سيد كين " .

" هل تؤيدنى أم لا يا سيد بارفيت ؟ "

قال بيتر بارفيت فجأة بقوة : " سوف أقف ضدك " .

" بالرغم من أنك قد أخبرتنى فى الأسبوع الماضى أنك لا تتطلع مطلقا إلى رئاسة البنك ؟ "

قال بارفيت : " أود أن أوضح موقفى قبل أن تفترض الكثير . هذا ليس مجلسك بعد يا سيد كين " .

" بالطبع يا سيد بارفيت " .

حتى هذا الحد كان اللقاء قد سار تحديدا وفق تقدير ويليام وتخطيطه . كانت خطبته معدة بمنتهى العناية كما أنه قد ألقاها بحكنة وكان بيتر بارفيت يئن تحت وطأة فقده لعنصر المبادرة ، كما

كان عليه أن يحسب خطواته جديا كى لا يتهم علنا بأنه شخص كاذب .

بدأ حديثه وكأنه يبحث عن الكلمات : " أيها السادة ، حسنا " .

تحولت العيون من ويليام وتشبثت ببارفيت مما منح ويليام الفرصة لكى يسترخى قليلا ويدرس وجوه باقى المديرين .

" لقد اتصل بى العديد من أعضاء مجلس الإدارة بشكل شخصى بعد أن تناولت العشاء مع السيد كين وشعرت أنه من واجبى أن أنظر بعين الاعتبار إلى رغباتهم وأرشح نفسى للانتخاب . لم أرغب فى أى وقت من الأوقات أن أعترض على رغبة السيد تشارلز ليستر - الذى كنت أكن له دائما كل الإعجاب والاحترام . بالطبع ، كنت سأخبر السيد كين بما كنت قد عزمت عليه قبل اجتماع مجلس الإدارة غدا ولكن يجب أن أعترف أن أحداث اليوم كانت مفاجئة لى " .

التقط نفسا عميقا واستطرد حديثه ثانية : " لقد خدمت بنك ليستر على مدى اثنين وعشرين عاما ، قضيت ستة منها كنائب للرئيس . ولذلك فإننى أشعر أنه يحق لى أن أرشح نفسى للرئاسة . كم كان سيسعدنى أن يوافق السيد كين على الانضمام إلى مجلس الإدارة ولكننى عاجز الآن عن تأييد ترشيحه كرئيس للمجلس . أتمنى أن يفكر زملائى بالمجلس فى إمكانية تأييد شخص خدم هذا البنك لأكثر من عشرين عاما بدلا من انتخاب شخص مجهول من الخارج ، اختير من قبل أب مكلوم على وفاة ابنه . أشكركم أيها السادة " .

ثم جلس .



نظرا للظروف ، اعتبر ويليام أن خطبة بارفيت كانت جيدة ، ولكنه لم يستفد من نصيحة السيد كوهين التى تؤكد على أهمية وقع الكلمات الأخيرة فى المناظرة . نهض ويليام ثانية .

" أيها السادة ، لقد أشار السيد بارفيت بأننى شخص مجهول بالنسبة لكم . ولذلك فإننى لا أريد أن يشك أى منكم فى شخصى . أنا كما سبق وذكرت حفيد وسليل عائلة بنكية . لقد عملت فى الشئون المصرفية طوال حياتى وسوف يكون من غير الإنصاف أن أتظاهر بأنه لن يسعدنى أن أتولى منصب رئاسة بنك ليستر . ولكنكم فى المقابل إن قررتم تأييد السيد بارفيت كرئيس للبنك ، فليكن . وسوف أصرح علانية بأنه ليست لى رغبة فى أن أكون الرئيس المقبل لليستر ، وسوف يحميكم هذا من أى مزاعم أو ادعاءات بأنكم قد تنكرتم لوصية تشارلز ليستر " .

" ومع ذلك فإنه ليست لدىَّ أية نية على الإطلاق لخدمة هذا البنك تحت رئاسة بيتر بارفيت . أود أن أكون صريحا للغاية فى هذا الصدد . إننى أمثل أمامكم أيها السادة بنقطة قصور خطيرة عبر عنها السيد بارفيت بقوله أننى شخص خارجى مجهول . ولكننى مع ذلك أملك ميزة حصولى على مساندة رجل ليس حاضرا اليوم . رجل تكنون له جميعا كل الاحترام والإعجاب ، رجل اشتهر بحكمته وترفعه عن اتخاذ أى قرار متسرع أهوج . لذا فإننى أقترح ألا يهدر المجلس المزيد من وقته الثمين فى التفكير فى الشخص الذى يستحق أن يكون الرئيس المقبل لبنك ليستر . إن كانت هناك شكوك تدور فى عقل أى منكم بشأن قدرتى على إدارة هذا البنك ، فليصوت لصالح السيد بارفيت . إننى لن أصوت فى هذا الانتخاب ، أيها السادة ، وأفترض أن السيد بارفيت سوف يمتنع عن التصويت هو الآخر " .

قال بيتر بارفيت فى غضب : " أنت لا تملك حق التصويت . أنت لست عضوا فى المجلس بعد . أما أنا فأنا عضو وسوف أصوت " .

" ليكن ما تريد يا سيد بارفيت . حتى لا يزعم أى شخص بأنك قد فوت على نفسك أية فرصة لكسب أكبر عدد من الأصوات " .

انتظر ويليام إلى أن تترك الكلمة وقعها ويستوعبها الجميع ، وفى الوقت الذى سعى فيه أحد المديرين المجهول تماما بالنسبة لويليام إلى مقاطعته ، واصل وليام حديثه قائلا : " سوف أطلب من السيد رودجرز بصفته سكرتيرا للبنك أن يشرع فى إجراء الاقتراع وعند استكمال التصويت أيها السادة ، يمكنكم إعادة البطاقات إليه " .

كانت نظارة ألفريد رودجرز الأحادية قد بدت بارزة نحو الخارج أثناء فترة الاجتماع . قام رودرجرز - فى شيء من التوتر - بتمرير أوراق الاقتراع لكل مدير . عندما دون كل شخص اسم مرشحه ، أعيدت البطاقات إلى رودجرز .

" أعتقد أنه من الأحوط ، نظرا لهذه الظروف يا سيد رودجرز أن تحصى الأصوات علنا ، لتلاشى الوقوع فى أى خطأ يفرض علينا إعادة الاقتراع ثانية " .

" بالطبع يا سيد كين " .

" هل هذا يناسبك يا سيد بارفيت ؟ " .

أومأ السيد بارفيت بالموافقة بدون أن يرفع رأسه .

" أشكرك ، تفضل بقراءة الأصوات بصوت مرتفع يا سيد رودجرز " .

فتح سكرتير البنك البطاقة الأولى : " بارفيت " .

ثم فتح الثانية :



" بارفيت " .

أصبحت اللعبة الآن خارج نطاق سيطرة ويليام . كل السنوات التى قضاها فى انتظار الجائزة التى أخبر تشارلز ليستر منذ زمن طويل بأنه سوف يحصل عليها يمكن أن تتلاشى من بين يديه على مدى الثوانى القليلة التالية .

" كين . بارفيت . كين " .

ثلاثة أصوات لبارفيت مقابل اثنين لكين ؛ هل سيلاقى نفس المصير الذى لاقاه مع تونى سيمونس ؟

" كين . كين . بارفيت " .

أربعة أصوات لكل منهما . كان ويليام مازال يلاحظ بارفيت وهو يتصبب عرقا بغزارة ولم يكن هو يشعر بالاسترخاء .

" بارفيت " .

لم يرتسم أى انطباع على وجه ويليام . أما بارفيت فقد سمح لنفسه بابتسامة .

خمسة أصوات مقابل أربعة

" كين . كين . كين " .

اختفت الابتسامة

فقط اثنان ، فقط اثنان آخران ، أخذ ويليام يدعو الله ، ويكاد يرفع صوته بالدعاء .

" بارفيت ، بارفيت " .

استغرق السكرتير على ما يبدو وقتا طويلا فى فتح بطاقة الاقتراع التى كانت قد طويت وأعيد طيها عدة مرات :

" كين " . ثمانية أصوات مقابل سبعة لصالح ويليام .

—

ثم حان دور آخر بطاقة اقتراع كان السكرتير بصدد فتحها . أخذ ويليام يراقب شفاه ألفريد رودجرز . رفع سكرتير البنك رأسه ، كان فى هذه اللحظة أهم شخص داخل الغرفة :

" كين " . سقط رأس بارفيت بين يديه .

" أيها السادة ، نتيجة الاقتراع هى تسعة أصوات لصالح السيد ويليام كين وسبعة لصالح السيد بارفيت . ولذلك فأنا أعلن السيد ويليام كين رئيسا لبنك ليستر " .

ساد صمت رهيب داخل الغرفة واستدارت كل الرؤوس باستثناء رأس بيتر بارفيت نحو ويليام فى انتظار ما سوف يفعله الرئيس الجديد .

سحب ويليام نفسا عميقا ووقف ثانية أمام المجلس ولكن فى هذه المرة وقف قبالته :

" أشكركم أيها السادة على هذه الثقة التى أوليتمونى إياها . لقد كانت رغبة السيد تشارلز ليستر أن أكون الرئيس التالى لهذا البنك وأنا سعيد لأنكم أكدتم على اختيارى من خلال التصويت . إننى لن أدخر جهدا فى خدمة هذا البنك ، وهو ما لن أستطيع تحقيقه بدون مساندة أعضاء المجلس المخلصين . ولكن أود أن أطلب من السيد بارفيت أن ... " .

هنا رفع بيتر بارفيت رأسه فى تفاؤل .

" ... أن يحضر إلى مكتب الرئيس فى غضون بضع دقائق . وسوف أرغب بعد مقابلة السيد بارفيت فى مقابلة السيد ليتش . أتمنى أيها السادة فى صباح الغد أن تتاح لى فرصة مقابلة كل منكم على انفراد . اجتماع مجلس الإدارة التالى سوف يعقد فى موعده الشهرى المعتاد . أما الآن فقد انتهى اجتماع اليوم " .



بدأ المديرون ينهضون من مقاعدهم ويتحدثون فيما بينهم . سار ويليام مسرعا فى الرواق متحاشيا النظرة الثاقبة التى كان يرميه بها بيتر بارفيت . لحق به تيد ليتش وأرشده إلى مكتب الرئيس .

قال تيد ليتش : " لقد أقدمت على مجازفة بالغة اليوم ، وقد نجوت بأعجوبة . ما الذى كنت ستفعله إن كنت قد خسرت فى التصويت ؟ "

قال ويليام فى صوت لا يشوبه أى توتر : " كنت سأعود إلى بوسطن " .

فتح تيد ليتش باب مكتب الرئيس لويليام . كانت الغرفة تماما مثلما تذكرها ، ربما بدت له أكبر حجما قليلا عندما قال لتشارلز ليستر وهو مازال طالبا فى المدرسة الإعدادية إنه سوف يدير هذا البنك يوما ما . أخذ يتأمل صورة الرجل العظيم المعلقة خلف المكتب ثم ألقى تحية على صورة الرئيس الراحل . ثم جلس فوق الكرسى الجلدى الأحمر الكبير ووضع مرفقيه فوق المكتب المصنوع من خشب الماهوجنى . بينما كان يستخرج كتابه المغلف بالجلد من جيب سترته ويضعه فوق مكتبه سمع طرقا على الباب . دخل رجل مسن الغرفة وهو يتكئ بكل ثقله على عصاه ذات المقبض الفضى . تركهما تيد ليتش مع بعضهما على انفراد .

قال الرجل بلكنة إنجليزية بعض الشيء : " اسمى روبرت كورك سميث " .

نهض ويليام من فوق مقعده وحياه . كان أكبر عضو فى مجلس الإدارة . كان شعره الرمادى وساعته الذهبية كبيرة الحجم تجعله يبدو وكأنه من عصر آخر ولكن شهرته بالنزاهة والاستقامة كانت لا تبارى فى الدوائر المصرفية . لم يكن هناك رجل بحاجة لأن يوقع

عقدا مع روبرت كورك سميث ؛ كانت كلماته هى دائما عقده وسنده . نظر إلى ويليام نظرة ثاقبة فى عينيه .

" لقد صوت ضدك يا سيدى وبالطبع يمكنك أن تنتظر استقالتى فوق مكتبك فى الحال " .

قال ويليام برفق : " تفضل بالجلوس يا سيدى ؟ "

أجاب الرجل : " شكرا يا سيدى " .

" لقد شرفت بذلك . كنت مع جدك فى هارفارد ومازلت أذكر بمنتهى الأسف وفاة والدك المأساوية " .

قال ويليام : " وتشارلز ليستر ؟ "

" لقد كان صديقى المقرب . ولكن ما أوصى به لم يكن موافقا لما يمليه علىَّ ضميرى . إننى لا أذيع سرا عندما أقول إننى لم أكن لأختار بيتر بارفيت إن ترك الأمر لى ، كنت أفضل تيد ليتش كرئيس للبنك ؛ ولكن بما أننى لم أتقاعس أبدا عن الإدلاء بصوتى فى أى شيء على مدى حياتى ، فقد شعرت أننى يجب أن أساند المرشح الذى وقف ضدك ، لأننى وجدت نفسى عاجزا عن مساندة رجل لم أقابله فى حياتى قط " .

" أنا معجب بصدقك يا سيد كورك سيمث ، ولكن أصبح بين يدى الآن بنك يجب أن أديره . إننى أحتاجك فى هذه اللحظة أكثر من حاجتك أنت إلىَّ ، لذا فإننى بصفتى شاباً أصغر سنا أرجوك ألا تقدم استقالتك " .

رفع الرجل العجوز رأسه وأخذ يحدق فى عينى ويليام وقال وهو يضع كلتا يديه فوق مقبض عصاه : " أنا لست واثقا إن كان هذا سيجدى أيها الشاب . لا يسعنى أن أغير موقفى ما بين يوم وليلة " .



" امنحنى ستة أشهر يا سيدى وإن بقيت بعدها متمسكاً برأيك ، فلن أطالبك بالبقاء ثانية وسوف أرضخ لرغبتك " .

جلس الرجلان فى صمت قبل أن يتحدث كورك سميث ثانية : " لقد كان تشارلز ليستر محقا ، أنت ابن ريتشارد كين " .

" سوف تواصل عملك فى البنك يا سيدى ؟ "

" سوف أفعل أيها الشاب الصغير ، ليس هناك شخص أكثر حماقة من العجوز الأحمق ، ألا تعرف ذلك ؟ "

نهض روبرت كورك سميث ببطء بمساعدة عصاه . تحرك ويليام لكى يساعده ولكنه كان قد مضى فى طريقه خارجا .

" حظا سعيدا يا بنى . يمكنك أن تعتمد على مساندتى التامة " . قال ويليام : " أشكرك يا سيدى " .

عندما فتح الرجل الباب ، رأى ويليام بيتر بارفيت منتظرا فى الرواق . بينما كان روبرت سميث يغادر ، لم يتفوه الرجلان بكلمة .

كان بيتر بارفيت هو الذى بادر بالتحدث قائلاً : " حسنا . لقد حاولت وخسرت . لا يسع المرء أكثر من لك . " ثم ضحك وأضاف : " ليست هناك أية ضغائن بيننا يا ويليام ؟ " ثم مد يده لويليام .

" ليست هناك ضغائن يا سيد بارفيت . كما قلت تماما ؛ لقد حاولت وخسرت وأنت الآن سوف تقدم استقالتك من منصبك فى هذا البنك " .

قال بارفيت : " سوف أفعل ماذا ؟ "

قال ويليام : " سوف تستقيل " .

" ولكن هذا أمر قاس أليس كذلك ؟ إن تصرفى لم يكن موجها لشخصك بالمرة . لقد كنت ببساطة أشعر بـ ... " .

" لا أريدك فى بنكى يا سيد بارفيت . سوف تغادر الليلة ولن تعود أبدا " .

" فإن قلت لك بأننى لن أرحل ؟ أنا أحمل عدداً لا بأس به من الأسهم فى البنك ومازلت أحظى بمساندة كبيرة من المجلس . ولكن الأهم من ذلك هو أننى يمكن أن أقاضيك " .

" فى هذه الحالة سوف أنصحك بمراجعة قوانين البنك الثانوية جيدا يا سيد بارفيت ، والتى قضيت وقتا غير قليل فى مراجعتها وتدارسها هذا الصباح " .

استخرج ويليام الكتاب ذا الغلاف الجلدى الذى كان مازال فوق مكتبه أمامه وقلب بضع صفحات . ما إن عثر على الفقرة التى كان قد وضع عليها علامة فى صباح ذلك اليوم قرأ بصوت مرتفع : " يحق لرئيس البنك أن يقيل أى موظف فقد ثقته فيه . " ثم رفع رأسه وقال : " وقد فقدت ثقتى فيك يا سيد بارفيت ولذلك فسوف تقدم استقالتك وسوف تحصل على راتبك لمدة عامين . أما إن دفعتنى فى المقابل إلى إقالتك ، فسوف تغادر هذا البنك وأنت لا تملك سوى أسهمك " .

" ألا تمنحنى فرصة ؟ "

" لقد منحتك فرصة الأسبوع الماضى على العشاء وقد كذبت علىّ وخدعتنى . هذه ليست الصفات التى أبحث عنها فى نائب الرئيس . هل تفضل الاستقالة أم الطرد يا سيد بارفيت ؟ "

" اللعنة عليك يا كين ، سوف أستقيل " .

" حسنا . اجلس واكتب خطاب الاستقالة الآن " .

" كلا سوف يصلك الخطاب فى الصباح فى الوقت الذى سوف أختاره أنا " وبدأ يسير نحو الباب .

قال ويليام : " الآن وإلا أقلتك بنفسى " .



تردد بيتر بارفيت ثم رجع ثانية وسقط فوق كرسيه بجوار مكتب ويليام . مد له ويليام يده بورقة من الأوراق البنكية المكتبية وقلما . استخرج بارفيت قلمه الخاص وبدأ يكتب . عندما فرغ من الكتابة ، أخذ ويليام الخطاب وقرأه بعناية .

" طاب يومك يا سيد بارفيت " .

غادر بيتر بارفيت الغرفة بدون أن ينطق بكلمة . ثم وصل تيد ليتش بعد أن غادر بلحظات .

" كنت تريد رؤيتى يا سيدى الرئيس ؟ " .

قال ويليام : " نعم . أريد أن أعينك نائبا عاما للبنك يا سيد ليتش ، فقد قدم السيد بارفيت استقالته " .

" يدهشنى سماع ذلك ، كنت أظن أن ... " .

مد له ويليام يده بالخطاب . قرأ تيد ليتش الخطاب ثم نظر إلى ويليام .

" سوف يسعدنى أن أكون النائب العام للبنك . أشكرك على هذه الثقة التى أوليتنى إياها " .

" حسنا . سوف يسعدنى أن تعد لى جدولا للقاء كل المديرين على مدى اليومين التاليين . سوف أبدأ العمل غدا فى الثامنة صباحا " .

" أمرك يا سيد كين " .

"ربما يمكنك أن تتفضل أيضا بتقديم خطاب استقالة السيد بارفيت إلى سكرتارية البنك " .

" كما تحب يا سيدى الرئيس " .

" اسمى ويليام ، هذا خطأ آخر اقترفه السيد بارفيت " .

ابتسم تيد ليتش فى تردد ـ " أراك غدا صباحا يا " ـ ثم تردد ثانية ـ "ويليام" . ◆

عندما غادر المكتب ، جلس ويليام على كرسى تشارلز ليستر وأخذ يدور حول نفسه فى نشوة غامرة إلى أن شعر بالدوار . ثم نظر عبر النافذة إلى شوارع وول ستريت، وهو يشعر بنشوة لمشاهدة النشاط الصاخب للناس بالخارج ومشهد البنوك الكبيرة الأخرى ودور المضاربة الأمريكية . لقد أصبح يشكل جزءا من كل هذا الآن .

جاءه صوت نسائى من خلفه : " ومن أنت بحق السماء ؟ " .

استدار ويليام فإذا به يجد أمامه سيدة فى منتصف العمر ترتدى ثيابا أنيقة وترتسم عليها علامات الغضب .

قال ويليام : " ربما يمكننى أن أطرح عليك نفس السؤال " .

قالت السيدة فى حدة : " أنا سكرتيرة رئيس مجلس الإدارة " .

قال ويليام : " وأنا رئيس مجلس الإدارة " .

* * *

على مدى الأيام القليلة التالية نقل ويليام أسرته إلى نيويورك حيث عثر على منزل مؤلف من أربعة طوابق فى شارع إيست سيكستينث . كان البيت يضم كل ما تحتاج إليه كات ، حتى الحديقة الصغيرة الخلفية كانت موجودة . كانت الفترة المستغرقة لحين تجهيز مكان الإقامة قد طالت عما هو متوقع بالنسبة لهم . على مدى الشهور الثلاثة الأولى كان ويليام يتمنى لو أن اليوم ثمانية وأربعين ساعة ، وفى تلك الأثناء وجد صعوبة فى قطع الحبل الصرى الذى كان يوثق صلته ببوسطن بشكل جذرى . كان تونى سيمونس بمثابة عامل مساعد قوى وبدأ ويليام يدرك سر اختيار آلان ليويد له كرئيس لكين وكابوت . للمرة الأولى كان ويليام على استعداد لأن يقر بأن آلان كان محقا فى رأيه .



سرعان ما عجت حياة كين فى نيويورك بالمشاغل . كانت فيرجينيا قد بدأت بالفعل تحبو وتخرج من الغرف وتصل إلى مكتب ويليام قبل أن تتمكن كات من إرجاعها مرة أخرى ، وكان ريتشارد يريد أن يقتنى سترة قصيرة مثل باقى الأولاد فى نيويورك . وبصفتها زوجة لرئيس بنك فى نيويورك كان على كات أن تتولى مهمة إعداد حفلات عشاء بشكل منتظم ؛ مما يسمح بشكل غير ملحوظ لكل مدير وعميل من عملاء البنك الأكثر أهمية أن يوصل كل ما يريد قوله إلى ويليام بشكل شخصى سواء بحثا عن النصيحة أو مجرد التعبير عن آرائهم . وقد سيطرت كات على الوضع الجديد وأدارته بمنتهى الذكاء والخفة . وكان ويليام يشعر بكل الامتنان والشكر لقسم التصفيات فى كين وكابوت لأنه منحه أعظم هبة فى حياته . عندما أخبرت كات ويليام أنها سوف تضع طفلا ثالثا ، كان كل ما طرأ على باله عندها أن يجيبها قائلا : " وأين عثرت على هذا الوقت ؟ " . سعدت فيرجينيا سعادة غامرة بالنبأ وهى لا تفهم تحديدا ما سبب انتفاخ بطن كات إلى هذا الحد ، أما ريتشارد فقد رفض مناقشة الأمر .

فى غضون ستة أشهر ، كان النزاع مع بيتر بارفيت قد أصبح من أمور الماضى المنسية ، وأصبح ويليام عن جدارة رئيس ليستر وأحد الشخصيات التى يشهد لها بالكفاءة فى الأوساط المالية فى نيويورك . لم تمض بضعة أشهر أخرى حتى بدأ ويليام يتساءل عن الوجهة التى يجب أن يبدأ من عندها لكى يحدد لنفسه هدفا جديداً . كان ويليام قد حقق طموح حياته وأصبح رئيسا للبنك ولكنه بخلاف ألكسندر ، كان يشعر أن هناك المزيد من العوالم التى مازال يريد اقتحامها ولم يكن لديه لا الوقت ولا الرغبة فى أن يجلس فى مكانه وينتحب .

أنجبت كات طفلها الثالث فى نهاية أول عام لرئاسة ويليام لبنك ليستر ، كانت فتاة ثانية ، أطلقوا عليها اسم لوسى . وقد علم ويليام فيرجينيا التى كانت قد تعلمت السير عندها كيف تهدهد لوسى بينما كان ريتشارد وقتها قد بلغ السادسة من عمره وكان بصدد دخول الص ف الأول من مدرسة بوكلى ، وقد انتهز ريتشارد هذه الفرصة لكى يفاتح أباه بشأن اقتناء مضرب بيسبول جديد . وقد أصبحت لوسى التى كانت لا تعرف كيف تصيغ مطالبها فى شكل كلمات ، المرأة الثالثة التى تستطيع أن تجعل ويليام يلبى كل طلباتها .

فى العام الأول من رئاسة ويليام لبنك ليستر حقق البنك أرباحا مرتفعة قليلا عن العام السابق وكان يتوقع تحقيق تحسن ملحوظ فى العام التالى .

وفى الأول من بتمبر عام ١٩٣٩ ، غزا هتلر بولندا . كان أول رد فعل لويليام هو التفكير فى هابيل روزنوفسكى وفندق البارون الجديد الذى أنشأه فى بارك أفينيو والذى كان قد أصبح بالفعل الفندق المفضل لدى سكان نيويورك . كانت تقارير كوهين تشير إلى أن روزنوفسكى كان ينتقل من نجاح إلى نجاح وكان يزداد قوة بمرور الأيام بالرغم من أن أفكاره الجديدة بشأن التوسع فى أوروبا كانت يجب أن ترجأ قليلا فى ظل الوضع الراهن. لم يكن كوهين بمرور الوقت أيضا قد كشف عن أية علاقة مباشرة بين هنرى أوسبورن وهابيل روزنوفسكى ولكنه أقر أنه أصبح من الصعب الإجابة عن كل التساؤلات التى كان يطرحها ويليام فى هذا الصدد .

لم يدر بخلد ويليام يوما أن أمريكا يمكن أن تورط نفسها فى حرب أوروبية أخرى ، ولكنه أبقى فرع بنك ليستر فى لندن مفتوحا



لكى يؤكد من خلاله بوضوح إلى أى جانب ينتمى ، ولم يفكر للحظة فى بيع الاثنى عشر أكرا التى كان يملكها فى همسفير ولينكولن شاير . أما تونى سيمونس فى بوسطن فقد أخبر ويليام فى المقابل أنه عازم على إغلاق فرع كين وكابوت فى لندن . كان ويليام يستغل مشاكل فرع لندن كمبرر لزيارة مدينته المحبوبة بوسطن ولقاء تونى .

أصبح الرئيسان يلتقيان الآن فى جو تسوده الراحة والصداقة بما أنه لم يعد ينظر أى منهما إلى الآخر باعتباره منافساً له . بل إن كلا منهما على العكس كان ينظر إلى صاحبة كمصدر للإلهام والأفكار الجديدة . وكما تنبأ تونى فإن كين وكابوت خسر بعض عملائه الأكثر أهمية برحيل ويليام إلى ليستر ، ولكن ويليام كان يحرص دائماً على إخبار تونى بكل التفاصيل عندما يصارحه أي عميل برغبته فى نقل حسابه ولم يشجع أياً منهم على ذلك . عندما جلس ويليام وتونى على إحدى الموائد الجانبية فى لوك أوبر لتناول الغداء ، ذكر تونى سيمونس لويليام أنه عازم على إغلاق فرع كين وكابوت فى لندن .

قال تونى : " إن السبب الأول الذى دفعنى إلى هذا التفكير بسيط . أعتقد أن البنك سوف يخسر المزيد من المال إن لم نقلل حجم الخسائر ونغادر إنجلترا " .

قال ويليام : " بالطبع سوف نفقد بعض المال ولكننا يجب أن نساند الإنجليز " .

سأل تونى : " لماذا ؟ نحن بنك ولسنا نادى تشجيع " .

" إن بريطانيا ليست فريق بيسبول يا تونى ، إنها أمة تضم شعبا ندين له بكل ميراثنا " .

قال تونى : " دعك من السياسة . لقد بدأت أشعر أنك قد فقدت كل مواهبك فى الشئون المصرفية ومع ذلك فإننى أرى أن

هناك سببا أهم كثيرا يدفعنا إلى إغلاق فرع لندن . إن دخل هتلر بريطانيا بنفس الطريقة التى دخل بها فرنسا وبولندا وأنا واثق من أنه عازم على ذلك ، فإنه سيستولى على البنك وأنا لست على استعداد لخسارة كل مليم نملكه فى لندن " .

قال ويليام : " لن يحدث . إن وضع هتلر قدمه فوق الأراضى البريطانية فإن أمريكا سوف تدخل الحرب فى نفس اليوم " .

قال تونى : " لن يحدث أبدا . لقد نفى الحزب الديمقراطى ذلك كما أن الشعب الأمريكى سوف يعلن رفضه التام " .

قال ويليام : " إياك أن تصدق رجل سياسة وخاصة روزفلت . عندما يقول إن أمراً لن يحدث أبدا ، فقد يعنى بذلك اليوم فقط أو على الأقل ليس هذا الصباح . عليك فقط أن تتذكر ما قاله لنا ويلسون عام ١٩١٦ " .

ضحك تونى : " متى سترشح نفسك لمجلس الشيوخ يا ويليام ؟ " .

" حسنا ، هذا سؤال يمكننى أن أجيبك عنه بمنتهى الثقة الآن وهو أننى لن أرشح نفسى أبدا " .

" إننى أحترم مشاعرك يا ويليام ولكننى أريد أن أنأى بالبنك عن كل هذا " .

قال ويليام : " أنت الرئيس . إن حصلت على مساندة المجلس فى هذا القرار ، يمكنك أن تغلق فرع البنك غدا ولن أستغل موقفى لكى أعارض قرار الأغلبية " .

" إلى أن تدمج البنكين ويكون القرار قرارك " .

" لقد أخبرتك مرة يا تونى أننى لن أقدم على ذلك إلى أن تنهى فترة خدمتك فى البنك " .

" ولكننى أعتقد أننا ينبغى أن نندمج " .



قال ويليام وقد سكب الشراب على فراش المائدة غير مصدق لما سمعه : " ماذا ؟ يا إلهى ، سوف أقول لك شيئا واحداً فقط وهو أنك شخص لا يمكن توقع ما سوف يفعله " .

" إننى أضع مصلحة البنك دائما فى الأولوية الأولى ، لقد كنت هكذا دائما يا ويليام .فكر فى الوضع الحالى للحظة . إن نيويورك الآن وأكثر من أى وقت مضى هى قلب أمريكا المالى وعندما يقتحم هتلر إنجلترا سوف تتحول إلى القلب المالى للعالم بأسره ، إن دمجنا البنكين سوف نشكل مؤسسة أكثر تكاملا وشمولية لأن تخصصات كل بنك تعتبر مكملة للبنك الآخر . فلقد حرص بنك كين وكابوت دائما على تقديم تمويل قوى لمجال صناعة السفن والصناعات الثقيلة وهو ما لم يفعله بنك ليستر إلا فى نطاق محدود. وفى المقابل ، أنتم تعملون على نطاق واسع فى المضاربة فى البورصة وهو ما لا نقربه إلا نادرا . ناهيك عن أننا نملك فى العديد من المدن مكاتب مزدوجة يمكن الاستغناء عنها " .

" تونى ، أوافقك الرأى فى كل شيء قلته ولكننى مع ذلك أفضل البقاء فى بريطانيا " .

" وهو ما يساند تماما ما أرمى إليه يا ويليام .يمكننا عندها إغلاق فرع كين وكابوت فى لندن ، ويمكنك فى نفس الوقت أن تحتفظ بفرع ليستر هناك . وهذا يعنى أنه إن تعرضت لندن لأزق ، فلن يضيرنا هذا كثيرا لأننا سوف نكون قد اندمجنا وبالتالى سوف نكون أقوى " .

" ولكن كيف سيكون شعورك إن قلت لك إن القيود التى فرضها روزفلت على البنوك التجارية لن تسمح لنا بالعمل إلا من خلال ولاية واحدة ، وهذا الدمج لن ينجح إلا إن أدرنا العملية برمتها من نيويورك ، أى أن بوسطن لن تكون أكثر من مكتب قابض " .

قال تونى : " سوف أساندك . يمكنك أيضا أن تكتفى بالتمويل التجارى وتسقط الأعمال الاستثمارية " .

" كلا يا تونى ، إن الحزب الديمقراطى جعل من المستحيل على رجل نزيه أن يقدم على الاثنين ، وعلى أية حال فإن أبى كان يرى دائما أنك إما أن تقدم على خدمة مجموعة صغيرة من الأغنياء أو مجموعة كبيرة من الفقراء ، أى أن ليستر سوف يظل دائما يعمل فى مجال التمويل التجارى طالما بقيت أنا رئيسا للبنك ، ولكننا إن قررنا أن ندمج البنكين ، ألا ترى أن هناك مشاكل كبرى يمكن أن تحيق بنا ؟ " .

" القليل جدا من المشاكل والتى يمكن أن نتخطاها بالنوايا الطيبة والعمل الجاد من كلا الجانبين . ومع ذلك ، يجب أن تفكر فى كل العواقب يا ويليام ، لأنك سوف تفقد بلا شك سيطرتك الشاملة على البنك الجديد لأنك سوف تفقد الأغلبية التى كنت تملكها للأسهم مما سوف يضعف من موقفك " .

" سوف أجازف بهذا مقابل أن أكون رئيسا لأكبر مؤسسة مالية فى أمريكا " .

عاد ويليام إلى نيويورك فى هذا المساء ، وهو مسرور من الحوار الذى دار بينه وبين تونى وقرر عقد اجتماع لمجلس الإدارة لكى يطرح عليه عرض تونى سيمونس . عندما وجد أن المجلس قد وافق على دمج البنكين مبدئيا ، أخبر كل مدير من مديرى البنك أن يضع خطة شاملة تضم كل التفاصيل .

استغرق إعداد الخطة ثلاثة أشهر ، تقدم بعدها كل قسم بخطته إلى مجلس الإدارة وقد توصل الجميع إلى نتيجة واحدة وهى أن



الدمج كان أمراً منطقيا تماما لأن كل بنك يكمل البنك الآخر فى العديد من المجالات . باختلاف الفروع فى كل أنحاء أمريكا وفروع كل بنك فى أوروبا سوف تتسع دائرة نطاق عمل البنك ونشاطه بدرجة كبيرة . فضلا عن أن رئيس بنك ليستر كان يملك واحداً وخمسين بالمائة من بنك كين وكابوت مما يجعل دمج البنكين عبارة عن زواج سوف يخدم صالح البنكين . بل إن هناك بعض المديرين فى بنك ليستر الذين تساءلوا عن سبب تأخر ويليام فى الإقدام على ذلك من قبل . وقد رأى تيد ليتش أن تشارلز ليستر لابد أنه كان يفكر فى هذا الأمر عندما اختار ويليام لرئاسة البنك .

استغرقت تفاصيل الدمج ما يقرب من عام كامل لتدارس كل التفاصيل وكان المحامون يعملون خلال هذه الفترة لإعداد كل الأوراق القانونية اللازمة . بعد تبادل الأسهم أصبح ويليام حاملا لأكبر عدد من الأسهم وصل إلى ثمانية بالمائة من الشركة الجديدة وبذلك عين رئيسا ومديرا للبنك الجديد . بقى تونى سيمونس فى بوسطن بصفته نائبا لرئيس مجلس الإدارة فى بوسطن بينما بقى تيد ليتش كنائب للبنك فى نيويورك . وقد أطلق على البنك التجارى الجديد اسم ليستر وكين وشركاه ، ولكن بقى معروفا باسم بنك ليستر .

قرر ويليام أن يعقد مؤتمرا صحفيا فى نيويورك للإعلان عن نجاح الدمج بين البنكين واختار يوم الاثنين الثامن من ديسمبر عام ١٩٤١ لكى يحمل هذا النبأ للدوائر المالية . ولكن المؤتمر الصحفى ألغى لأنه فى صباح اليوم السابق كان اليابانيون قد هاجموا ميناء بيرل هاربور .

كان التقرير الصحفى قد أرسل عبر البريد إلى الصحف قبل أيام ولكن الصحف المالية صباح الثلاثاء لم تخصص ـ وهو ما كان منطقيا فى ظل هذه الظروف ـ سوى مساحة محدودة لإعلان الدمج . ولكن هذا القصور فى التغطية الصحفية كان آخر ما شغل عقل ويليام وقتها .

لم يكن ويليام يعرف كيف ومتى سوف يخبر زوجته بأنه عازم على التطوع فى الجيش . عندما سمعت كات بالنبأ أصابها الذعر لكل ما يمكن أن يعنيه هذا القرار وحاولت فى الحال أن تثنى ويليام عن قراره

سألته كات : " ما الذى تظن أنك يمكن أن تفعله أكثر مما عجز الملايين عن فعله ؟ "

قال ويليام : " لست واثقا . ولكن كل ما أنا واثق منه هو أننى يجب أن أفعل ما كان سيفعله أبى وجدى لو كانا فى نفس مكانى " .

" كانا سيفعلان بلا شك ما يخدم مصلحة البنك " .

قال ويليام فى حزم : " كلا . كانا سيفعلان ما يخدم مصلحة بلادنا " .

# الجزء الخامس

١٩٤١ ـ ١٩٥٢

# الفصل الرابع والعشرون

قرأ هابيل الموضوع الذى نشر حول دمج ليستر وكين وشركاه فى القسم المالى من جريدة شيكاغو تريبيون . بالرغم من أن معظم المساحة أفردت لتناول العواقب المحتملة لهجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور ؛ كان يمكن أن يفوته هذا المقال المقتضب عن الدمج ما لم يكن مصحوبا بصورة قديمة لويليام كين ؛ كانت الصورة قديمة إلى الحد الذى كان فيها ويليام يبدو بنفس الشكل الذى رآه به هابيل عندما قابله فى بوسطن منذ أكثر من عشر سنوات . لقد بدا كين فى الصورة بالطبع أصغر كثيرا من الوصف الذى أطلق عليه بأنه الرئيس اللامع لبنك ليستر وكين وشركاه الذى تشكل لتوه . ومن بين ما جاء فى المقال " إن البنك الجديد الذى جمع بين ليستر وشركاه فى نيويورك وكين وكابوت فى بوسطن اللذين يعتبران من أعرق المؤسسات البنكية يمكن أن يصبح واحدا من أهم المؤسسات المالية فى أمريكا . وكما أكدت جريدة التريبيون فإن الأسهم سوف

تكون محصورة فى يد ما يقرب من عشرين شخصا من أصحاب الصلة أو الذين تربطهم علاقة وثيقة بالعائلتين " .

سعد هابيل سعادة غامرة بهذه المعلومة التى أدرك من خلالها أن كين قد تخلى عن السيطرة التامة . أخذ يقرأ المقال ثانية . حتى بالرغم من أن ويليام قد علا نجمه فى العالم منذ أن أشهر كل منهما سيفه فى وجه الآخر ، إلا أن هذا هو ما حدث لهابيل أيضا ، ولكن بقى لديه حساب قديم يجب أن يسويه مع الرئيس الجديد لبنك ليستر وكين .

كانت مجموعة البارون قد حققت أرباحا طائلة على مدى العقد الماضى مما مكن هابيل من تسديد ديونه للشخص الذى قدم له الدعم وفى نفس الوقت وفى بكل شروط الاتفاق الأساسى بينهما . ومن ثم كان قد حصل على الملكية الكاملة للشركة خلال فترة العشر سنوات المنصوص عليها .

بالرغم من أن هابيل كان قد أصبح زوجا أكثر انشغالا عن زوجته أثناء هذه الفترة ، مما يرجع بدرجة كبيرة لعدم استعداد زافيا لمجاراة طموح زوجها ، فقد كان أبا رائعا . وبينما كانت زافيا تتطلع لإنجاب طفل آخر يشغل وقت فراغها ، حثت هابيل على زيارة الطبيب . عندما أدرك هابيل ـ بعد أن عرف أنه مصاب بنقص فى عدد الحيوانات المنوية نتيجة لسوء التغذية والمرض الذى تعرض له وهو صغير فى سجون الألمان والروس ـ أن فلورنتينا سوف تظل ابنته الوحيدة ؛ تخلى عن أمله فى إنجاب ولد وبدأ يغدق عليها كل شىء .

كانت شهرة هابيل فى ذلك الوقت قد ذاعت فى كل أنحاء أمريكا ، وكانت الصحافه تطلق عليه اسم " بارون شيكاغو " . لم



يعد هابيل يكترث بالسخرية التى تثار من وراء ظهره . كان وودك كوسكيفيتش قد وصل ولكن الأهم من ذلك هو أنه كان قد وصل ليبقى . كانت أرباح مجموعة الفنادق الثلاثة عشر فى العام المالى الأخير قد بلغت ما يقل قليلا عن مليون دولار ، ومع توافر فائض فى رأس المال قرر هابيل أن الوقت قد حان لمزيد من التوسع .

ثم جاء هجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور .

منذ ذلك اليوم الأسود الذى انقض فيه اليابانيون على الميناء فى الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان النازيون قد اقتحموا بولندا واشتبكوا مع الروس فى بريست ليتوفسك فى وقت لاحق وقسموا ثانية وطنه فيما بينهم ؛ ومن وقتها كان هابيل يرسل بأموال طائلة إلى المنظمات الخيرية فى بريطانيا للإنفاق على أعمال الإنقاذ والإغاثة فى بلده الأم . كان هابيل قد خاض معركة شرسة داخل الحزب الديمقراطى وعلى مستوى الصحف أيضا لدفع أمريكا المحجمة على اقتحام الحرب حتى إن كان سيملى ذلك عليها فى الوقت الراهن أن تساند الروس . ولكن جهوده بقيت بلا جدوى . إلا أن جاء يوم الأحد من شهر ديسمبر وأذاعت كل محطات الإذاعة تفاصيل الهجوم الشرس على أمة مسالمة وأدرك هابيل أن أمريكا لم يعد لها خيار آخر إلا دخول الحرب . وفى الحادى عشر من ديسمبر استمع هابيل إلى الرئيس روزفلت وهو يعلن للأمة أن ألمانيا وإيطاليا أعلنتا الحرب على أمريكا . وبالرغم من أن هابيل كان قد عقد عزمه على الانضمام إلى الجيش ، فكان عليه أولا أن يدلى بتصريح شخصى خاص بحربه هو ولتحقيق هذه الغاية اتصل بكورتيس فنتون فى بنك كونتيننتال تراست . على مر السنوات كانت ثقة هابيل فى قدرة فنتون على الحكم السديد تزداد وتتوثق يوما بعد يوم ؛ حتى أنه أبقاه فى مجلس إدارة مجموعة البارون

تكون محصورة فى يد ما يقرب من عشرين شخصا من أصحاب الصلة أو الذين تربطهم علاقة وثيقة بالعائلتين " .

سعد هابيل سعادة غامرة بهذه المعلومة التى أدرك من خلالها أن كين قد تخلى عن السيطرة التامة . أخذ يقرأ المقال ثانية . حتى بالرغم من أن ويليام قد علا نجمه فى العالم منذ أن أشهر كل منهما سيفه فى وجه الآخر ، إلا أن هذا هو ما حدث لهابيل أيضا ، ولكن بقى لديه حساب قديم يجب أن يسويه مع الرئيس الجديد لبنك ليستر وكين .

كانت مجموعة البارون قد حققت أرباحا طائلة على مدى العقد الماضى مما مكن هابيل من تسديد ديونه للشخص الذى قدم له الدعم وفى نفس الوقت وفى بكل شروط الاتفاق الأساسى بينهما . ومن ثم كان قد حصل على الملكية الكاملة للشركة خلال فترة العشر سنوات المنصوص عليها .

بالرغم من أن هابيل كان قد أصبح زوجا أكثر انشغالا عن زوجته أثناء هذه الفترة ، مما يرجع بدرجة كبيرة لعدم استعداد زافيا لمجاراة طموح زوجها ، فقد كان أبا رائعا . وبينما كانت زافيا تتطلع لإنجاب طفل آخر يشغل وقت فراغها ، حثت هابيل على زيارة الطبيب . عندما أدرك هابيل ـ بعد أن عرف أنه مصاب بنقص فى عدد الحيوانات المنوية نتيجة لسوء التغذية والمرض الذى تعرض له وهو صغير فى سجون الألمان والروس ـ أن فلورنتينا سوف تظل ابنته الوحيدة ؛ تخلى عن أمله فى إنجاب ولد وبدأ يغدق عليها كل شىء .

كانت شهرة هابيل فى ذلك الوقت قد ذاعت فى كل أنحاء أمريكا ، وكانت الصحافه تطلق عليه اسم " بارون شيكاغو " . لم



يعد هابيل يكترث بالسخرية التى تثار من وراء ظهره . كان وودك كوسكيفيتش قد وصل ولكن الأهم من ذلك هو أنه كان قد وصل ليبقى . كانت أرباح مجموعة الفنادق الثلاثة عشر فى العام المالى الأخير قد بلغت ما يقل قليلا عن مليون دولار ، ومع توافر فائض فى رأس المال قرر هابيل أن الوقت قد حان لمزيد من التوسع .

ثم جاء هجوم اليابانيين على ميناء بيرل هاربور .

منذ ذلك اليوم الأسود الذى انقض فيه اليابانيون على الميناء فى الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان النازيون قد اقتحموا بولندا واشتبكوا مع الروس فى بريست ليتوفسك فى وقت لاحق وقسموا ثانية وطنه فيما بينهم ؛ ومن وقتها كان هابيل يرسل بأموال طائلة إلى المنظمات الخيرية فى بريطانيا للإنفاق على أعمال الإنقاذ والإغاثة فى بلده الأم . كان هابيل قد خاض معركة شرسة داخل الحزب الديمقراطى وعلى مستوى الصحف أيضا لدفع أمريكا المحجمة على اقتحام الحرب حتى إن كان سيملى ذلك عليها فى الوقت الراهن أن تساند الروس . ولكن جهوده بقيت بلا جدوى . إلا أن جاء يوم الأحد من شهر ديسمبر وأذاعت كل محطات الإذاعة تفاصيل الهجوم الشرس على أمة مسالمة وأدرك هابيل أن أمريكا لم يعد لها خيار آخر إلا دخول الحرب . وفى الحادى عشر من ديسمبر استمع هابيل إلى الرئيس روزفلت وهو يعلن للأمة أن ألمانيا وإيطاليا أعلنتا الحرب على أمريكا . وبالرغم من أن هابيل كان قد عقد عزمه على الانضمام إلى الجيش ، فكان عليه أولا أن يدلى بتصريح شخصى خاص بحربه هو ولتحقيق هذه الغاية اتصل بكورتيس فنتون فى بنك كونتيننتال تراست . على مر السنوات كانت ثقة هابيل فى قدرة فنتون على الحكم السديد تزداد وتتوثق يوما بعد يوم ؛ حتى أنه أبقاه فى مجلس إدارة مجموعة البارون

بالرغم من استحواذه على السيطرة الكاملة للمجموعة وذلك ليحافظ على العلاقة الوثيقة التى تربط بين مجموعة البارون وكونتيننتال تراست .

رد كورتيس فنتون على هابيل فى الطرف المقابل للهاتف ، كان كما هو حاله دائما مهذبا ورسميا .

سأله هابيل : " كم يبلغ الاحتياطى النقدى الذى تملكه المجموعة فى حسابها ؟ " .

استخرج كورتيس فنتون الملف الذى يحمل اسم " الحساب رقم ٦ " وهو يتذكر الأيام التى كان السيد روزنوفسكى لا يملك فيها إلا ملفا واحدا . ألقى نظرة على بعض الأرقام ثم قال :

" أقل قليلا من مليونى دولار " .

قال هابيل : " حسنا . أريدك أن تبحث فى أمر بنك قد تشكل حديثا تحت اسم ليستر وكين وشركاه . أريدك أن تعرف أسماء كل أصحاب الأسهم فى البنك ، ونسبة الأسهم التى يملكونها وإن كان لدى أى منهم تحت أى ظرف رغبة فى بيع أسهمه . كل هذا يجب أن يتم دون علم رئيس البنك السيد ويليام كين ، وبدون أى ذكر لاسمى " .

كتم كورتيس فنتون أنفاسه ولم ينطق بكلمة . كان سعيدا بأن هابيل روزنوفسكى لن يتمكن من رؤية الدهشة على وجهه فى ذلك الوقت . لِمَ كان هابيل روزنوفسكى يريد أن يضع ماله فى أى شىء ذى علاقة بويليام كين ؟ كان فنتون قد قرأ هو الآخر فى جريدة الوول ستريت بشأن دمج بنكى العائلتين الشهيرتين . وكان على وشك أن يفوته المقال هو الآخر بسبب أحداث الاعتداء على ميناء بيرل هاربور والصداع الذى سببته له زوجته . ولكن طلب روزنوفسكى كان قد أنعش ذاكرته بوجوب إرسال برقية تهنئة إلى



ويليام كين . دون ملحوظة فى ملف مجموعة البارون وهو يستمع إلى تعليمات هابيل .

" عندما تحصل على التقرير كاملا أريدك أن تجمل لى ما توصلت إليه بشكل شخصى ، لا تدون شيئا كتابيا " .

" أمرك يا سيد روزنوفسكى " .

قال كورتيس لنفسه : " أعتقد أن هناك شخصا ما يعرف ما يجرى بين الرجلين ، ولكن ـ تبا ـ أنا لا أعرف شيئاً " .

واصل هابيل حديثه : " أريدك أيضا أن تبعث لى تقريرا ربع سنوى عن كل التصريحات الرسمية الخاصة ببنك ليستر والشركات التى يتعامل معها " .

" بالطبع يا سيد روزنوفسكى " .

" أشكرك يا سيد فنتون . لقد نصحنى قسم التسويق بافتتاح فرع جديد لفندق البارون فى مونتريال " .

" ألا تقلقك الحرب يا سيد روزنوفسكى ؟" .

" يا إلهى . كلا . إن وصل الألمان إلى مونتريال فسوف نغلق جميعا بما فى ذلك الكونتيننتال تراست . على أية حال ، لقد هزمنا هؤلاء الملاعين فى المرة السابقة وسوف نلحق بهم الهزيمة ثانية . إن الفرق الوحيد بين هذه المرة والمرة السابقة هى أننى سوف أشارك فى الحدث . طاب يومك يا سيد فنتون " .

كان كورتيس فنتون يتساءل وهو يضع سماعة الهاتف : " هل سيسعفنى يوما أن أدرك ما يجرى فى عقل هابيل روزنوفسكى ؟ " ثم تحولت أفكاره إلى الطلب الآخر لهابيل ؛ الخاص بتفاصيل أسهم ليستر . كان هذا الأمر يثير قلقه بدرجة أكبر . بالرغم من أنه لم تعد هناك أية صلة تربط بين ويليام كين وروزنوفسكى ؛ أخذ فنتون يتساءل عما يمكن أن تؤول إليه الأمور إن حصل هابيل على عدد

يعتد به من الأسهم فى ليستر . قرر فنتون أن يمتنع عن الإفصاح عن مخاوفه لروزنوفسكى فى الوقت الراهن فى انتظار اليوم الذى سوف يكشف فيه أى منهما عما كان يتطلع إليه .

كان هابيل أيضا يتساءل إن كان يجب أن يخبر كورتيس فنتون عن سبب رغبته فى شراء أسهم فى بنك ليستر ولكنه خلص إلى أنه كلما قل عدد الأشخاص الذين يعرفون ما هو عازم عليه كان ذلك أفضل .

تناسى هابيل ويليام كين مؤقتا وطلب من السكرتيرة أن تبحث عن جورج الذى كان قد عين مؤخرا نائبا لرئيس مجموعة البارون . كان جورج قد كبر مع هابيل وكان قد أصبح صديقه الصدوق . أخذ هابيل وهو جالس فى مكتبه فى الطابق الثانى والأربعين من الفندق ، يتأمل بحيرة متشجن التى كانت تعرف باسم الساحل الذهبى ثم عاد بفكره إلى بولندا . أخذ يسائل نفسه إن كان يمكن أن يطول به العمر إلى أن يرى قصره ثانية ، والذى أصبح الآن داخل حدود الروس ورئيسهم ستالين . كان هابيل يدرك تماما أنه لن يعود يوما للاستقرار والعيش فى بولندا ومع ذلك بقيت تراوده الرغبة فى إصلاح قصره . كانت فكرة أن الألمان أو الروس قد وضعوا أيديهم ثانية على قصره الرائع تدفعه إلى ... ولكن قطع مجىء جورج حبل أفكاره .

" كنت تريد أن ترانى يا هابيل ؟ "

كان جورج هو الرجل الوحيد فى فندق البارون الذى كان ينادى هابيل باسمه الأول .

" نعم يا جورج ، هل تظن أنه بوسعك أن تدير مجموعة الفنادق بمفردك على مدى شهور قليلة قد أتغيب خلالها ؟ "



قال جورج : " بالطبع أستطيع . ولكن لماذا ، هل قررت أخيرا أن تأخذ عطلة ؟ "

أجاب هابيل : " كلا . سوف ألتحق بالحرب " .

قال جورج : " ماذا ؟ ماذا ؟ " .

"سوف أذهب إلى نيويورك غدا صباحا لكى أتطوع فى الجيش " .

" أنت مجنون ، سوف تقتل نفسك " .

أجاب هابيل : " لست عازماً على ذلك . أنا عازم على قتل عدد من الألمان ، لقد أفلت منى هؤلاء اللقطاء فى المرة الأولى وليست لدى أية نية لكى أدعهم يفلتون فى هذه المرة " .

واصل جورج اعتراضه مبررا إياه بأن أمريكا سوف تكسب الحرب بدون جهود هابيل . أبدت زافيا هى الأخرى اعتراضها ، كانت تكره فكرة الحرب نفسها . أما فلورنتينا التى كانت تقترب وقتها من عامها الثامن فلم تكن تدرك تحديدا معنى كلمة حرب ، ولكنها كان تفهم أن والدها سوف يتغيب لفترة طويلة جدا من الوقت فأجهشت بالبكاء .

بالرغم من جبهة الاعتراض سافر هابيل على متن أول طائرة متجهة إلى نيويورك فى اليوم التالى . بدت أمريكا وكأن الجميع بداخلها يتحركون فى أماكن مختلفة وشتى ، وجد هابيل المدينة زاخرة بالشباب الصغار الذين يرتدون الزى الكاكى والأزرق ، وجدهم جميعا يودعون آباءهم وزوجاتهم ومحبوباتهم والكل يؤكد وهو غير مصدق بأن الحرب سوف تنتهى فى غضون أسابيع قليلة .

وصل هابيل إلى فندق البارون فى نيويورك فى وقت العشاء . كانت قاعة الطعام زاخرة بالشباب والفتيات المتشبثات بالجنود

والبحارة ورجال الطيران بينما كان فرانك سيناترا يغنى على أنغام الفرقة الموسيقة الشهيرة بقيادة تومى دورسى . بينما كان هابيل يتأمل هؤلاء الشباب الصغار وهم يتراقصون ، أخذ يتساءل كم منهم سوف تتاح له فرصة إحياء ليلة كهذه ثانية . لم يسعه فى هذا الوقت إلا أن يتذكر حديث سامى الذى شرح له فيه كيف أصبح كبير ندل فى فندق بلازا . كان زملاؤه الثلاثة الأقدم منه فى العمل قد عادوا من الجبهة الغربية بساق واحدة فقط . لا أحد من الذين يرقصون الآن فوق الحلبة يملك أية فكرة أو تصور لحقيقة الحرب . لم يستطع أن يشارك فى الاحتفال إن جاز أن نسميه احتفالاً . وبدلاً من ذلك صعد إلى غرفته .

وفى الصباح ، ارتدى هابيل حلة سوداء وتوجه إلى مكتب التطوع فى ميدان تايمز . كان قد قرر أن يتطوع فى نيويورك حتى لا يتعرف أحد على هويته فى شيكاغو مما قد يجعلهم يقدمون على إبعاد عن جبهة الحرب ووضعه فى موقع مريح . كان مكتب التطوع أكثر ازدحاما من حلبة الرقص فى الليلة السابقة ولكن لم يكن هناك أى شخص متعلق بشخص آخر . لم يستطع هابيل أن يتجاهل أن الشباب الحاضر كان أكثر لياقة منه . كان الصباح كله قد مر قبل أن يمنح هابيل وثيقة لكى يملأها ، وهى المهمة التى كان لا يمكن أن تستغرق أكثر من عشر دقائق فى مكتبه . ثم وقف بعدها فى صف لمدة أكثر من ساعتين فى انتظار إجراء مقابلة مع الضابط المسئول عن المتطوعين والذى سأله عن عمله .

قال هابيل : " إدارة الفنادق " ، ثم واصل حديثه بإخبار الضابط بكل التجارب التى اكتسبها أثناء الحرب الأولى . أخذ الضابط يتأمل فى ريبة الشخص الماثل أمامه الذى يبلغ طوله خمس أقدام ووزنه ١٩٠ رطلا . لو كان هابيل قد أخبره أنه بارون



شيكاغو ، لما كان الضابط قد تشكك فى قصة السجن والهرب التى رواها له ، ولكن هابيل قرر أن يكتم هذه المعلومة حتى لا يحظى بأية معاملة خاصة .

كان كل ما قاله ضابط مكتب التطوع فى نهاية الحديث المنفرد الذى قام به هابيل : " يجب أن تجرى فحصاً بدنيا شاملا غدا صباحا " . ثم أضاف تعليقا شعر أنه أقل واجب يجب أن يقوم به : " شكرا على تطوعك " .

وفى اليوم التالى انتظر هابيل لعدة ساعات أخرى للفحص البدنى . وقد قدم الطبيب الذى فحص هابيل تقريرا صريحا عن حالته العامة . كان هابيل قد تجنب مثل هذه التعليقات على مدى عدة سنوات بفضل وضعه ونجاحه . كان تصنيفه فى الدرجة الرابعة من درجات اللياقة بمثابة صدمة بالنسبة له .

" أنت مصاب بزيادة فى الوزن ؛ كما أن بصرك ضعيف . ومصاب بالعرج . بصراحة يا روزنوفسكى ، أنت غير لائق بالمرة . لا يمكن أن نسوق إلى أرض المعركة رجالا يمكن أن يصابوا بنوبة قلبية حتى قبل لقاء العدو . ولكن هذا لا يعنى أنك لا يمكن أن تستغل مواهبك ، يمكنك أن تؤدى الكثير من الأعمال الكتابية فى الحرب إن كنت مهتما " .

شعر هابيل أنه يريد أن يضربه ، ولكنه كان يعلم أن هذا لن يجدى ولن يحقق له ما يريد .

قال هابيل : " كلا . أشكرك يا سيدى . أريد أن أحارب الألمان لا أن أرسل لهم خطابات " .

عاد هابيل إلى فندقه ليلتها حزينا محبطا إلى أن قرر أنه مازال أمامه أمل بعد . وفى اليوم التالى ، حاول ثانية وذهب إلى مكتب

تطوع آخر ولكنه عاد يجر أذيال الخيبة ثانية . كان الطبيب الثانى ربما أكثر أدبا من الطبيب الأول ولكنه كان واضحا تماما بشأن حالته . ومرة أخرى حصل هابيل على استبعاد من الدرجة الرابعة . بدا من الواضح لهابيل أنه لن يسمح له بمقاتلة أحد وهو فى حالته الصحية الراهنة .

وفى صباح اليوم التالى ، بحث هابيل عن مدرب لياقة إلى أن عثر عليه فى شارع وست فيفتى سفنث فى إحدى صالات الألعاب الرياضية وبدأ يتلقى دروسا خاصة للياقة البدنية . على مدى ثلاثة أشهر ، ظل يعمل ويبذل جهده يوميا لكى يقلل وزنه ويزيد لياقته الشخصية . كان يمارس رياضة الملاكمة والمصارعة والعدو والقفز ويحمل الأوزان ويجوع نفسه إلى أن انخفض وزنه إلى ١٥٥ رطلا وحتى أكد له مدربه أنه لا يمكن أن ينقص وزنه أكثر من ذلك أو يحقق مستوى لياقة أعلى من ذلك . عاد هابيل إلى مكتب التطوع الأول وملأ نفس الوثيقة ثانية ولكنه كان أكثر تفاؤلا هذه المرة . وأخيرا قرر الطبيب الذى أجرى له الفحص أنه يمكن قبوله ضمن ضباط الاحتياط .

قال هابيل : " ولكننى أريد أن أذهب إلى الحرب الآن . أريد أن أحارب هؤلاء الأوغاد " .

قال الضابط : " سوف نتصل بك يا سيد كوسكيفيتش . من فضلك حافظ على لياقتك . ربما نحتاج إليك فى أى وقت " .

شعر هابيل بالحنق عندما أخذ يشاهد الشباب الأمريكى الأصغر سنا والأكثر لياقة وهم يقبلون بسهولة فى مكتب التطوع للمشاركة فى الحروب الحية . وبينما كان يشق طريقه عبر الباب ، غير واثق من خطته التالية ، سار مباشرة نحو رجل نحيف ومفرط الطول يرتدى زيا مزينا بالنجوم على الكتف .



" آسف يا سيدى " قالها هابيل ثم رفع نظره وسار فى طريقه .

قال الجنرال : " أيها الشاب الصغير ... " .

واصل هابيل سيره ولم يدر بخلده أنه يمكن أن يكون هو الشخص المقصود بهذا النداء ، لم يكن أحد قد ناداه من قبل بهذ الاسم ، منذ وقت بعيد لا يستطيع تذكره ، بالرغم من أنه كان مازال فى الخامسة والثلاثين .

حاول الجنرال ثانية بصوت أعلى : " أيها الشاب الصغير " .

فى هذه المرة استدار هابيل وقال : " أنا يا سيدى ؟ "

" نعم أنت يا سيدى " .

سار هابيل نحو الجنرال .

" هلا حضرت إلى مكتبى من فضلك يا سيد روزنوفسكى ؟ " .

قال هابيل لنفسه : " اللعنة . إن الرجل يعرف حقيقة أمرى ولن يسمح لى أحد الآن أن أشارك فى الحرب " . كان مكتب الضابط المؤقت يقع فى الجزء الخلفى من المبنى ، كان عبارة عن غرفة صغيرة مزودة بمكتب وكرسيين من الخشب وطلاء أخضر وباب مفتوح . لم يكن هابيل ليسمح حتى لأقل موظف عنده فى فندق البارون أن يعمل فى ظل ظروف كهذه .

بدأ الجنرال حديثه وهو يموج بالحيوية : " سيد روزنوفسكى ، اسمى مارك كلارك وأنا أقود الجيش الخامس للولايات المتحدة . ولقد جئت من جزر جفرنرز اليوم فى جولة تفتيش ولقائى بك اليوم مصادفة كان من دواعى سرورى . لقد كنت معجبا بك منذ فترة طويلة . إن قصتك قصة تسعد قلب أى أمريكى. والآن ، أخبرنى بما تفعله فى مكتب التطوع " .

قال هابيل بدون تفكير : " ما الذى تظن أنى أفعله ؟ أنا آسف يا سيدى لم أقصد أن أكون فظا وإنما كنت أريد فقط أن تسمح لى بأن أشارك فى هذه الحرب اللعينة " .

سأله الجنرال : " ما الذى تريد أن تفعله فى هذه الحرب اللعينة ؟ ".

" أريد أن أحارب الألمان " .

سأله الجنرال فى ارتياب : " كضابط مشاة ؟ "

قال هابيل : " نعم . ألا تريد أن تحصل على أكبر عدد من الرجال ؟ "

قال الجنرال : " بالطبع ولكننى يمكن أن أوظف مواهبك الخاصة فى استخدام يفوق كثيرا ضابط المشاة " .

قال هابيل : " سوف أفعل أى شيء " .

قال الجنرال : " هل ستقبل بأن تفعل أى بشيء حقاً ؟ ، أى شيء ؟ فإن طلبت منك أن تضع فندق بارون نيويورك تحت تصرف قيادة الجيش هنا ؛ فكيف سيكون رد فعلك ؟ لأنه بصراحة يا سيد روزنوفسكى ؛ سوف يكون هذا أكثر جدوى بالنسبة لنا من أن تنجح فى قتل عشرة جنود ألمان ؟ "

قال هابيل : " هو لك . والآن هل ستسمح لى بالانضمام إلى الحرب ؟ "

قال الجنرال كلارك : " تعلم أنك مجنون ؟ أليس كذلك ؟ "

قال هابيل وضحك الرجلان : " أنا بولندى " وواصل هابيل حديثه بعد أن اكتسب حديثه ثانية نبرة جادة : " لقد ولدت بجوار سلونيم فى بولندا . رأيت بيتى والألمان يسطون عليه وأختى وهى تغتصب على يد الروس . ثم هربت بعدها من معسكرات التعذيب



فى روسيا إلى أن أسعفنى الحظ ووصلت إلى أمريكا . أنا لست مجنونا . هذا هو البلد الوحيد فى العالم الذى يمكن أن تصل إليه وأنت معدم ثم تصبح مليونيرا ببذل الجهد والعمل الجاد بغض النظر عن الثقافة التى تنتمى إليها . والآن هؤلاء الأوغاد يريدون حربا ثانية . أنا لست مجنونا أيها الجنرال وإنما أنا بشر " .

" حسنا ، إن كنت متحمسا إلى هذا الحد للانضمام إلى الجيش يا سيد روزنوفسكى ؛ فيمكننى أن أساعدك للانضمام إلينا للاستفادة منك ولكن ليس بالطريقة التى تتصورها .الجنرال ديميرز بحاجة إلى شخص يوليه مسئولية إمداد وتموين الجيش الخامس وهو يحارب فى الجبهة الأمامية . إن كنت تعتقد أن نابليون كان محقا عندما قال إن الجيش يزحف على معدته ؛ فيمكنك أن تلعب دورا حيوياً . سوف تحصل على رتبة رائد إن توليت هذا العمل . هذه هى إحدى الطرق التى يمكنك بها بلا شك أن تساعد أمريكا على كسب الحرب . ما رأيك ؟ " .

" أقبل يا سيدى الجنرال " .

" أشكرك يا سيد روزنوفسكى " .

ضغط الجنرال على زر الجرس الكهربائى فوق مكتبه ؛ فجاء ملازم شاب صغير السن وحياه بمنتهى الجدية .

" أيها ملازم ؛ اصحب الرائد روزنوفسكى إلى شئون العاملين ثم أعده إلىّ " .

" أمرك يا سيدى " ثم استدار الملازم جهة هابيل وقال : " هلا ... تفضل من هنا أيها الرائد ؟ "

سار هابيل خلف الملازم واستدار عندما وصل إلى الباب وقال : " أشكرك يا جنرال " . ـ

قضى هابيل عطلة نهاية الأسبوع فى شيكاغو مع زافيا وفلورنتينا . ثم سألت زافيا عما يحب أن تفعله فى حلله الخمس عشرة .

أجاب هابيل متسائلاً عن معنى سؤالها : " احتفظى بهم . إننى لن أموت فى الحرب " .

قالت : " أنا واثقة من ذلك يا هابيل ، ليس هذا ما يقلقنى ، ولكن مقاسها أصبح كبيرا جدا بالنسبة لك الآن " .

ضحك هابيل وأخذ الحلل وتبرع بها لمركز إغاثة اللاجئين البولنديين . ثم عاد إلى نيويورك وتوجه إلى فندق البارون وألغى قائمة الحجوزات المسبقة ، وبعد اثنى عشر يوما سلم المبنى إلى الجيش الأمريكى الخامس . أخذت الصحافة تشيد بقرار هابيل باعتباره " إيثارا وتضحية " من رجل كان لاجئا فى الحرب العالمية الأولى .

مضت ثلاثة أشهر أخرى حتى طُلب هابيل لتولى مهام عمله الجديد فى الجيش ، قضاها هابيل فى تنظيم الإدارة بشكل انسيابى داخل فندق بارون نيويورك تحت قيادة الجنرال كلارك ثم التحق بعدها بقلعة فورت بيننيج لاستكمال برنامج تدريب الضباط .عندما تلقى أخيرا الأوامر بالانضمام إلى الجنرال ديميرز فى الجيش الخامس ، وجد أنه سوف يتوجه إلى مكان ما فى شمال إفريقيا . بدأ هابيل يتساءل إن كان سيذهب يوما ما إلى ألمانيا .

فى اليوم الذى سبق رحيل هابيل ، كتب وصية طلب فيها من منفذى الوصية أن يسلموا مجموعة البارون إلى ديفيز مكستون بشروط مناسبة إذا ما قتل فى الحرب . وقسم باقى ممتلكاته بين زافيا وفلورنتينا . كانت هذه هى المرة الأولى التى يفكر فيها فى الموت منذ



عشرين عاما ، ليس لأنه كان يعرف كيف يمكن أن يتعرض للموت وهو مشرف على المقصف الخاص بالجيش .

وأثناء إبحار السفينة من ميناء نيويورك ، حدق هابيل فى تمثال الحرية . وتذكر حينها كيف انتابه نفس الشعور عند رؤية التمثال للمرة الأولى فى حياته منذ ما يقرب من عشرين عاما . ما إن تخطت السفينة التمثال ؛ لم ينظر هابيل إليه ثانية وإنما قال : " فى المرة التالية التى سوف أراك فيها سوف تكون أمريكا قد انتصرت فى الحرب " .

عبر هابيل المحيط الأطلنطى ، وقد صحب معه اثنين من كبار الطهاة وخمسة أفراد آخرين من العاملين فى المطبخ والذين كانوا قد تطوعوا فى الحرب . رست السفينة فى الجزائر فى الأول من فبراير عام ١٩٤٣ . قضى هابيل ما يقرب من عام كامل فى هذا الجو الساخن والتراب ورمال الصحراء حرص خلالها على إطعام كل فرد من أفراد الفرقة العسكرية بأفضل ما يمكن .

كان تعليق الجنرال كلارك : " نحن لا نتناول طعاما جيدا ولكننا نتناول طعاما أفضل قليلا من أى شخص آخر " .

تولى هابيل إدارة الفندق الجيد الوحيد فى الجزائر وأحال المبنى إلى مركز قيادة للجنرال كلارك . بالرغم من أن هابيل كان يدرك أنه يلعب دورا قيما فى الحرب ، فقد كان يتوق إلى المشاركة فى حرب حقيقية ، ولكن الرائد المسئول عن الإمداد والتموين كان نادرا ما يزج به فى الخط الأمامى للجبهة إلا لإطعام الجنود .

كتب خطابا إلى زافيا وجورج وأخذ يتابع ابنته فلورنتينا وهى تكبر عن طريق الصور الفوتوغرافية . وتلقى ذات مرة خطابا من كورتيس فنتون أخبره فيه بأن مجموعة البارون قد حققت ربحا أكبر ، كانت كل الفنادق فى الولايات المتحدة ممتلئة عن آخرها

بسبب الحركة الدائمة للفرق العسكرية والمدنيين . وقد حزن هابيل لأنه لم يحضر احتفال افتتاح فرع الفندق فى مونتريال حيث مثله جورج . كانت هذه هى المرة الأولى التى غاب فيها عن افتتاح أحد فروع الفندق ولكن جورج راسله مؤكدا على مدى ما أحرزه الفرع الجديد من نجاح . بدأ هابيل يدرك إلى أى مدى شارك فى إعمار أمريكا وإلى أى مدى يود العودة إلى الأرض التى يعتبرها الآن وطنه .

وسرعان ما بدأ هابيل يسأم أفريقيا والفوضى التى كانت تعج فيها والحبوب المطهية والملاءات والحشرات . كانت هناك بعض المشاحنات الدائرة فى الصحراء الغربية أو هكذا أكد له بعض الجنود العائدون من الجبهة ولكنه لم يشهد أى قتال حقيقى بالرغم من أنه عندما يحمل الطعام إلى الجبهة كان كثيرا ما يسمع إطلاق النيران مما كان يزيد من حنقه . وفى أحد الأيام ولسعادته ، تقرر إرسال الجيش الخامس تحت قيادة الجنرال كلارك إلى جنوبى أوروبا ، أخذ هابيل يتطلع إلى رؤية بولندا ثانية .

استقر الجيش الخامس الأمريكى على الساحل الإيطالى بواسطة المركبات البرمائية . وقام الطيران بتوفير غطاء جوى . واجهتهم مقاومة شرسة ، أولا فى أنزيو ثم فى مونت كزينو ولكن هابيل لم يقترب من المعارك حتى بدأ يخشى أن تنتهى الحرب بدون أن يشهد معركة واحدة . ولكنه لم يكن يفوت طائرة يمكن أن تقله إلى مكان القتال . لم تتحسن فرصة هابيل فى المشاركة فى المعركة عندما رقى إلى رتبة مقدم وأرسل إلى لندن فى انتظار الأوامر التالية .

بدأ الهجوم العظيم يجتاح أوروبا . سار الحلفاء إلى فرنسا وحرروا باريس فى الخامس والعشرين من أغسطس عام ١٩٤٤ . بينما كان هابيل يسير مع الأمريكيين والجنود الفرنسيين المحررين



فى حدائق الشانزليزيه خلف الجنرال دي جول مرحبين بالبطل ، درس هابيل جيدا المدينة التى كانت مازالت رائعة ، وحدد المكان الذى سوف يبنى فيه أول فندق من فنادق البارون فى فرنسا .

سار الحلفاء عبر الجزء الشمالى من فرنسا وعبر الحدود الألمانية فى رحلتهم الأخيرة نحو برلين . وقد عين هابيل فى الجيش الأول تحت قيادة الجنرال أومار برادلى . كان الطعام يصلهم فى الأساس من إنجلترا حيث كانت الإمدادات المحلية شبه معدومة ، لأن كل المدن والبلدان التى كان يصل إليها الحلفاء كانت قد تعرضت بالفعل للدمار على يد الألمان أثناء انسحابهم . عندما كان هابيل يصل إلى أية مدينة جديدة ، كان يستغرق فقط بضع ساعات قليلة ينجح خلالها فى استكمال كل ما بقى من مستلزمات الطعام قبل أن تنجح أى قيادة أمريكية أخرى فى العثور على مصدر لجلب الطعام . كان الضباط الأمريكيون والإنجليز يجدون دائما سعادة بالغة فى تناول العشاء مع فريق المدرعات التاسع متسائلين عن سر قدرة هذا الفريق على العثور على مثل هذه المؤن الغذائية الممتازة . وفى إحدى المرات عندما دعى الجنرال جورج إس باتون لتناول العشاء مع الجنرال برادلى ، تعرف هابيل على باتون الشهير الذى كان يقود فرقه دائما فى المعارك شاهرا مسدسه ذى الزناد العاجى اللامع .

قال باتون : " إنها أفضل وجبة تناولتها طوال هذه الحرب اللعينة " .

وبحلول فبراير عام ١٩٤٥ ، كان هابيل قد اقترب من ثلاث سنوات قضاها فى خدمة الجيش وكان يعلم وقتها أن الحرب سوف تنتهى فى غضون أشهر . كان الجنرال برادلى يحرص دائما على إرسال بطاقات تهنئة له وبعض النياشين ليزين بها زيه العسكرى ،

ولكن كل هذا لم يجد مع هابيل . أخذ هابيل يتوسل إلى الجنرال أن يسمح له بالمشاركة ولو فى معركة واحدة ولكن برادلى لم يكن يوافق على طلبه .

بالرغم من أن مهمة نقل شاحنات الطعام إلى الخطوط الأمامية وتنظيف مخلفاته كانت مهمة الضباط الأصغر سنا ، فقد حرص هابيل على تحمل هذه المسئولية بنفسه . وكما كان دأبه فى إدارة فنادقه ، كان هابيل يحرص دائما على إخفاء تحركاته عن كل العاملين معه ؛ كانوا يجهلون دائما متى وأين سوف يحل فى المرة التالية .

كانت النقالات المغطاة بالملاءات قد تدفقت متوالية بلا انقطاع فى المعسكر فى ذلك اليوم من أيام شهر مارس ، مما دفع هابيل إلى إلقاء نظرة بنفسه على ما كان يجرى فى الجبهة . عندما وصل الأمر إلى حد عدم قدرته على تحمل ما يجرى ، حشد هابيل رجاله وأعد بنفسه الشاحنات الأربع عشرة المخصصة للطعام . ثم صحب معه ملازماً ورقيباً وعريفين وثمانية وعشرين عسكريا .

كان التحرك بالشاحنات والتقدم بها إلى الأمام بالرغم من أن الجبهة كانت على بعد عشرين ميلا فقط ، تحركا شاقا وبطيئا . فى صباح ذلك اليوم تولى هابيل قيادة الشاحنة الأولى ؛ مما أشعره قليلا أنه مثل الجنرال باتون ، وقاد الشاحنات عبر الأمطار الكثيفة والطين اللزج السميك وكان عليه أن ينحى نفسه إلى جانب الطريق بشكل متكرر لكى يسمح بمرور سيارات الإسعاف وهى عائدة من أرض الجبهة . كانت الإصابات تحتل الأولوية عن المعدات . تمنى هابيل أن تكون معظمها إصابات ولكن لم تكن الحال كذلك وإنما



كان قلما يعثر على أية إيماءة أو إشارة من جانب المصاب تدل على استمرار بقائه على قيد الحياة . بدا من الواضح لهابيل مع تقدمه إلى الأمام أن هناك حدثاً جللاً يدور فى أرض المعركة بالقرب من ريماجين حتى أنه بدأ يسمع دقات قلبه وهى تتسارع . لقد شعر على نحو ما أنه سوف يشارك هذه المرة فى المعركة .

عندما وصل أخيرا إلى موقع القيادة سمع نيران العدو على بعد مسافة قريبة وبدأ يدق ساقه فى غضب وهو يشاهد النقالات وهى تعود محملة بالجثث والمصابين من مكان مجهول لم يكن يعلمه . كان هابيل قد سئم جهله بما يجرى على أرض المعركة الحقيقية . إنه كان يشعر أن أى قارئ لجريدة نيويورك تايمز يعرف عن الحرب أكثر مما يعرف هو .

أوقف هابيل شاحنته بجانب المطبخ الميدانى وقفز من داخلها وهو يحمى نفسه من الأمطار الثقيلة شاعرا بالخجل لكون غيره على بعد بضعة أميال يحمون أنفسهم من وابل الرصاص . بدأ يشرف على إنزال ١٠٠ جالون من الحساء وطن من اللحم البقرى و٢٠٠ دجاجة ونصف طن من الزبد وثلاثة أطنان من البطاطس و١٠٠ طن من الحبوب المعلبة وعدد من جرايات الطوارئ لكل ذاهب أو عائد من الجبهة . عندما وصل هابيل إلى الخيمة التى كانت تعج بالفوضى ، وجدها زاخرة بالموائد الطويلة والمقاعد الفارغة . ترك كبيرى الطهاة يعدان الطعام وطلب من العمال الشروع فى تقشير البطاطس التى بلغ عددها ألف ثمرة بينما سار هو بحثا عن القائد المسئول .

سار هابيل مباشرة نحو خيمة قائد اللواء الجنرال جون ليونارد لكى يعرف منه ما يجرى بينما يتواصل مرور النقالات بجواره حاملة

الجنود الذين كانوا على وشك لفظ أنفاسهم الأخيرة . كانت الإصابات الخطيرة والأجساد الممزقة يمكن أن تثير غثيان أى س فى الظروف العادية ، ولكنها بدت عادية طبيعية فى جين . بينما كان هابيل على وشك دخول الخمية ، كان رال ليونارد مصحوبا بمساعده يهرعان خارجين منها . أخذ ث مع هابيل أثناء مواصلة السير .

ما الذى يمكن أن أسديه من أجلك أيها المقدم ؟ "

لقد بدأت أعد الطعام للمحاربين حسب الأوامر يا سيدى . ؟ "

لا تشغل بالك بالطعام الآن أيها المقدم . مع بزوغ فجر اليوم ف الملازم بوروز من الجيش التاسع جسرا يحمل طريق سكة دية يصلح للاستخدام فى شمال ريماجين ؛ إنه جسر لودندورف صدرت أوامرى بوجوب عبور الجسر فى الحال وبذل كل جهد نحتل الجزء الشرقى من النهر . كان الألمان قد نجحوا إلى الآن فجير كل جسر على نهر الراين قبل أن نصل إليه ، لا يمكن قى هنا فى انتظار الطعام إلى أن ينجح الألمان فى هدم هذا ر أيضا ؟ "

سأله هابيل : " هل نجح الجيش التاسع فى عبور الجسر ؟ "

جاب الجنرال : " بالطبع نجح ، ولكنه لاقى مقاومة شرسة ا وصل إلى الغابة فى الجانب البعيد . لقد سقطت الكتيبة الأولى ثمين ويعلم الله وحده كم جندياً خسرنا هناك. يجدر بك الآن المقدم أن تحزم هذا الطعام لأن هدفى الوحيد الآن هو أن أنقذ عدد ممكن من رجالى " .

نال هابيل : " هل هناك شىء يمكن أن أقوم به للمساعدة ؟ " .



توقف القائد عن السير للحظة وتأمل المقدم السمين : " كم معك من الرجال تحت قيادتك المباشرة ؟ " .

" معى ملازم ورقيب وعريفان وثمانية وعشرون جنديا أى ثلاثة وثلاثون بمن فيهم أنا يا سيدى " .

" حسنا . اتصل بالمستشفى الميدانى بالتنسيق مع رجالك وانقل أكبر عدد من الجثث والمصابين يمكنك أن تصل إليهم " .

قال هابيل : " أمرك يا سيدى " وبدأ يركض عائدا إلى المطبخ الميدانى حيث وجد رجاله يجلسون فى أحد الأركان يدخنون . لم يلحظ أي منهم دخول هابيل إلى الخيمة :

" انهضوا أيها الكسالى ، أمامنا عمل جاد يجب أن ننجزه ؛ على سبيل التغيير " .

نظر إليه الرجال الاثنان وثلاثون فى انتباه تام .

صاح هابيل : " اتبعونى سريعا " .

ثم استدار وبدأ يعدو ثانية ، ولكن فى هذه المرة فى اتجاه المستشفى الميدانى . بينما كان الطبيب الشاب يصدر بعض الإرشادات إلى المجندين المتطوعين للإسعافات الأولية ، وصل هابيل ورجاله وقد انقطعت أنفاسهم عند مدخل الخيمة .

قال الطبيب : " هل يمكننى مساعدتك يا سيدى ؟ " .

قال هابيل : " كلا بل أتمنى أن أخدمك أنا . معى اثنان وثلاثون رجلا هنا وقد أمرنا الجنرال ليونارد بأن ننضم إلى مجموعتكم " . كانت هذه هى المرة الأولى التى يسمع فيها رجال هابيل بهذا الأمر .

نظر الطبيب : فى إعجاب إلى المقدم : " تمام يا سيدى " .

قال هابيل : " لا تنادنى بسيدى . نحن هنا لكى نمد لكم يد المساعدة " .

قال الطبيب ثانية : " تمام يا سيدى " .

ثم أعطى هابيل بعض شارات الطب الحربى فبدأ الطهاة وعاملو المطبخ ومقشرو البطاطس يضعونها وهم يستمعون إلى إرشادات الطبيب . ذكر لهم الطبيب بعض التفاصيل الخاصة بالتحرك داخل الغابة عبر جسر لودندورف .

واصل الطبيب حديثه : " لقد منى الجيش التاسع بإصابات بالغة . سوف يبقى الجنود من أصحاب الخبرة الطبية فى أرض المعركة بينما سوف ينقل الباقون إلى هنا أكبر عدد ممكن من المصابين " .

شعر هابيل بسعادة غامرة لأنه سوف يلعب دورا إيجابيا أخيرا فى المعركة . ثم أعطى الطبيب الذى أصبح وقتها مسئولا عن فريق مؤلف من تسعة وأربعين رجلا ثمانى عشرة نقالة إلى فريق العمل ومنح كلاً منهم حقيبة طبية كاملة . كان هابيل يسير على بعد ياردة واحدة خلفه . بدأوا يغنون وهم يتقدمون عبر الطين والأمطار ثم توقفوا عن الغناء عندما وصلوا إلى الجسر وأخذت النقالات تتوالى الواحدة تلو الأخرى على مرأى منهم والتى كانت تحمل بما لا يدع مجالا للشك أجسادا توقفت فيها الحياة . سار الجميع فى صمت عبر الجسر فى صف واحد بجوار شريط القطار ، حيث شهدوا آثار التفجير الألمانى الذى عجز عن تدمير الجسر . وفى تحركهم صوب الغابة بدأت أصوات النيران تقترب منهم ، وشعر هابيل بإثارة بالغة وهو يقترب من العدو وخاف مما يمكن أن يلحق برجاله على يد العدو . كانت صرخات الألم تتوالى من قبل الجنود الذين كانوا



يظنون حتى هذا اليوم أن الحرب كانت قد أوشكت على الانتهاء ...

أخذ هابيل يراقب الطبيب الشاب وهو يتوقف مرارا وتكرارا ؛ ليبذل أقصى ما فى وسعه لإنقاذ كل شخص . وأحيانا كان عندما يشعر أنه ليس هناك بصيص من الأمل فى إسعاف رجل مصاب ؛ يبادر بقتله سريعا رحمة به . كان هابيل يجرى من جندى إلى آخر ، ويحمل فوق النقالة كل جندى عاجز عن مساعدة نفسه ويشرف على نقل المصابين إلى جسر لودندورف . ومع حلول الوقت الذى وصلت فيه المجموعة إلى حافة الغابة كان الطبيب وأحد مقشرى البطاطس وهابيل فقط هم الذين بقوا خارج اللعبة ، أما الآخرون فكانوا يحملون جثثاً لموتى أو مصابين لكى يعودوا بهم إلى المستشفى .

عندما اقتحم ثلاثتهم الغابة ، سمعوا أصوات الطلقات النارية وقد ازدادت اقترابا منهم . واستطاع هابيل أن يرى مدفعاً بين العشب وهو مازال مصوبا نحو الجسر ولكنه قد دمر إلى حد يفوق الإصلاح . ثم سمع عدداً من الطلقات النارية المتوالية والتى كانت عالية الصوت إلى الحد الذى جعل هابيل يدرك للمرة الأولى أن العدو على بعد بضعة مئات من الياردات فقط منه . ثم انحنى هابيل على ركبة واحدة فى حالة ترقب وقد أنصت بكل حواسه إلى أصوات الصياح من حوله . ثم فجأة تفجرت مجموعة أخرى من الطلقات النارية أمامه . قفز هابيل وأخذ يعدو إلى الأمام وقد سار الطبيب ومقشر البطاطس وراءه فى تردد . أخذوا يركضون على مدى مائة ياردة أخرى ، إلى أن وصلوا إلى ثغرات من العشب الأخضر المغطاة بالزعفران وأجساد الجنود الأمريكيين . أخذ هابيل والطبيب يعدوان من جسد إلى آخر . " لابد أنها كانت مذبحة " صاح هابيل بذلك

فى غضب وهو يسمع النيران وهى تنسحب . لم يعلق الطبيب بكلمة ، فقد كان يصيح على مدى ثلاثة أعوام .

كان كل ما قاله : " لا تشغل بالك بالموتى . فقط ابحث عن أى شخص مازال على قيد الحياة " .

صاح هابيل وهو يجثو على ركبتيه بجوار رقيب ممدد وسط الوحل : " هنا " . كان قد فقد عينيه . وضع هابيل قطعتين من الشاش داخل الفجوتين وانتظر فى نفاد صبر .

قال الطبيب بدون أن يلقى نظرة ثانية على الرجل : " إنه ميت أيها المقدم " . جرى هابيل نحو الجسد التالى ثم الثالث ولكنه كان يصل دائما إلى نفس النتيجة ، كان مشهد رأس مصاب بإصابات بالغة هو المشهد الوحيد الذى استوقف هابيل وسط كل هذه الجلبة . أخذ ينظر إلى هذا الرأس بنظرة حزينة بائسة . أخذ يكرر مثل طفل صغير بعض الكلمات التى كان قد حفظها عن البارون : " سوف تعم الدماء والدمار والويلات وسوف تسود إلى الحد الذى سيدفع الأمهات إلى التبسم وهن يحملن أجساد أبنائهن الممزقة من وطأة الحروب " ، ثم صاح وهو فى حالة هياج : " ألا تتغير الأمور أبدا ؟ " .

قال الطبيب : " إنها أرض المعركة " .

عندما تفقد هابيل الثلاثين ـ أم أنهم كانوا أربعين ـ رجلا ، استدار ثانية نحو الطبيب الذى كان يحاول أن ينقذ حياة قائد كان رأسه باستثناء عينيه المغمضة وفمه مغطى بالضمادات الغارقة فى الدماء . وقف هابيل بجوار الطبيب يشاهده فى يأس وهو يقرأ ما كان مدونا على كتفه ـ الفرقة التاسعة مدرعات ـ وتذكر كلمات الجنرال ليونارد : " يعلم الله وحده كم فقدنا من الرجال " .

قال هابيل : " هؤلاء الألمان الأوغاد " .



قال الطبيب : " نعم يا سيدى " .

سأل هابيل : " هل لقى حتفه ؟ "

أجاب الطبيب بشكل تلقائى : " ربما ، ولكنه فقد الكثير من الدماء وقد تكون وفاته مسألة وقت " . ثم رفع رأسه وقال : " لم يعد هناك شىء يمكنك أن تقوم به هنا أيها المقدم . لم لا تحمل هذا الرجل إلى المستشفى الميدانى .قد تكون لديه فرصة للنجاة . وأعلم قائد القاعدة بأننى عازم على المواصلة ودعه يرسل لى كل رجل يمكنه أن يستغنى عنه " .

قال هابيل : " أمرك يا سيدى " وساعد الطبيب فى رفع القائد بعناية فوق النقالة . سار هابيل ومقشر البطاطس ببطء عائدين إلى المعسكر ، كان الطبيب قد حذره من أن أى حركة مفاجئة للنقالة يمكن أن تجعل الرجل يفقد المزيد من الدماء . لم يسمح هابيل لمقشر البطاطس أن يستريح ولو لدقيقة واحدة على مدى الطريق الذى كان طوله يبلغ ميلين كاملين إلى أن وصلا إلى المستشفى . كان يريد أن يمنح القائد كل فرصة بقيت أمامه لكى ينجو بحياته . ثم كان عليهما بعد ذلك أن يعودا إلى الطبيب فى الغابة .

على مدى أكثر من ساعة ، ظلا يتعثران فى الوحل والمطر وشعر هابيل أنه واثق من أن القائد قد توفى . ولكنهم عندما وصلوا فى النهاية إلى المستشفى الميدانى ، كان الإنهاك قد بلغ مبلغه منهما وهما يضعان النقالة بين يدى الفريق الطبى المعالج .

عندما نقل الطبيب ببطء الجسد المصاب ، فتح عينيه غير المغطاة وركز بصره على هابيل . حاول أن يرفع ذراعه . سلم عليه هابيل وكان سيقفز فرحا عندما رآه يفتح عينه ويحرك يده . لكم دعا الله أن يبقيه على قيد الحياة . ـ

خرج هابيل راكضا من المستشفى وقد اعتراه حماس للعودة إلى الغابة مع زمرة الرجال ، عندما أوقفه ضابط الخدمة قائلا :

" أيها المقدم ، لقد كنت أبحث عنك فى كل مكان . هناك أكثر من ثلاثمائة رجل بحاجة إلى طعام . يا إلهى أين كنت يا رجل ؟ "

" كنت أفعل شيئا قيما على سبيل التغيير " .

أخذ هابيل يفكر فى النقيب الصغير وهو يعود ثانية إلى المطبخ الميدانى .

بالنسبة للرجلين كانت الحرب قد انتهت .

# الفصل الخامس والعشرون

سارت النقالة بالنقيب إلى أن وصلت إلى خيمة حيث نقل برفق إلى مائدة الجراحة . استطاع النقيب ويليام كين من الفرقة التاسعة مدرعات أن يرى الممرضة وهى تنظر إليه فى حزن ولكنه كان عاجزا عن سماع ما كانت تقوله . لم يكن واثقا إن كان هذا راجعا إلى الضمادات التى تحيط برأسه أم لأنه قد أصبح أصم . أخذ يراقب شفتيها وهى تتحرك ولكنه لم يفهم شيئا . أغمض عينيه وأخذ يفكر . فكر طويلا فى الماضى وقليلا فى المستقبل وفكر سريعا فيما سوف يحدث إن مات . كان يعلم أنه إن قدر له أن يعيش فسوف يكون أمامه وقت طويل للتفكير . عاد عقله إلى كات فى نيويورك . رأت الممرضة دمعة فى عينيه .

كانت كات قد اعترضت على إصراره على الالتحاق بالجيش . كان يعلم أنه يستحيل عليها أن تستوعب شيئا كهذا وأنه لن يستطيع أبدا أن يبرر لها الأسباب التى تدفعه إلى الإقدام على ذلك مما جعله يكف عن المحاولة . كانت ذكرى وجهها اليائس الآن

تطارده . لم يكن ويليام قد فكر بجدية فى الموت ، فلا أحد يفكر فى الموت ، وكان كل ما يريده فى ذلك الوقت هو أن يعيش ويعود إلى أسرته .

كان ويليام قد ترك ليستر تحت الإدارة المشتركة ليتد ليتش وتونى سيمونس ولم يكن قد أصدر أية تعليمات واجبة الاتباع فى حالة وفاته . كان الرجلان قد توسلا إليه لئلا يذهب . كانا بالنسبة له رجلين آخرين لا يفهمان . عندما التحق بالجيش أخيرا ؛ لم يقو على مواجهة أبنائه . كان ريتشارد وقتها فى السابعة من عمره وكان يحبس دموعه إلى أن قال له والده إنه لا يمكن أن يسافر معه لمحاربة الألمان .

أرسل ويليام بداية إلى مدرسة للضباط فى فيرمونت . كانت آخر مرة زار فيها فرمونت مع ماثيو حيث كانا يمارسان التزلج أعلى المرتفعات ثم سريعا إلى أسفل . استمر البرنامج التدريبى على مدى ثلاثة أشهر استعاد خلالها لياقته للمرة الأولى منذ تخرجه فى هارفارد .

كان عام تعيينه الأول فى لندن مليئة بالجذب والشد ؛ كان يعمل ضابط ربط بين الأمريكيين والبريطانيين . كان مقره هو دورشيستر التى استولى عليها المكتب الحربى الإنجليزى وسلمها للجيش الأمريكى لاستخدامها . كان ويليام قد قرأ فى مكان ما أن هابيل روزنوفسكى قد فعل نفس الشىء فى فندق البارون فرع نيويورك وكان هو قد أقر ما فعله وأيده . كان التعتيم وصفافير الإنذار الهوائية قد جعلته يصدق بالفعل أنه مشترك فى حرب لكنه شعر أنه منفصل بشكل غريب عما يجرى على بعد مئات من الأميال القليلة جنوب هايد بارك . كان ويليام قد اعتاد طوال حياته أن يمسك بزمام المبادرة ؛ لم يكن يوما ما مشاهدا خارجيا . لم يكن



تحركه ما بين محل قيادة أيزنهاور فى سانت جيمس وغرفة عمليات تشرشل فى ستورى جيت تمثل بالنسبة لويليام معنى المبادرة بأية صورة . بات من الواضح بالنسبة له أنه لن يلتقى بألمانيا وجهاً لوجه أثناء فترة الحرب ما لم يغز هتلر ميدان ترافلجر .

عندما تم إرسال جزء من الجيش الأول إلى اسكتلندا للتدريب مع البلاك واتش ؛ أرسل ويليام معهم كمراقب وطلب منه أن يوافى القيادة بتقرير لكل ما يجرى هناك . أثناء رحلته الطويلة البطيئة إلى اسكتلندا بالقطار ؛ بدأ يشعر أنه سرعان ما تحول إلى ساعى بريد مبجل ؛ وأخذ يتساءل عن سبب تطوعه بالجيش فى المقام الأول . هناك ؛ كان الهواء على الأقل مفعماً برائحة إثارة الاستعداداً للحرب ؛ وعندما عاد ويليام إلى لندن ؛ تقدم بالتماس للالتحاق بالجيش . وقد وافق قائده على الفور لأنه كان يؤمن أنه لا مجال لحبس شخص يسعى للالتحاق بالحرب فى العمل المكتبى .

عاد ويليام بعد انقضاء ثلاثة أيام إلى اسكتلندا لكى يتبع نظاماً تدريبيا جديدا وبدا تدريبه مع الفرق العسكرية الأمريكية استعداداً للغزو الذى كان جميعهم يعرفون أنه قد بات وشيكا . كان التدريب شاقا ومكثفا . كانت الليالى التى قضاها فى معارك مصطنعة مع البلاك واتش تختلف اختلافا بينا عن الليالى التى قضاها فى دورشيستر لإعداد التقارير .

بعد ثلاثة أشهر أخرى ؛ تم إنزالهم بالمظلات لكى ينضموا إلى قوات أومار برادلى ؛ التى كانت تتحرك عبر أوروبا . كانت رائحة النصر تعبئ المكان وكان ويليام يريد أن يكون أول جندى تطأ قدمه أرض برلين .

بدأ الجيش الأول يتقدم صوب الراين وهو مصمم على عبور أى جسر يمكن العثور عليه . كان النقيب كين قد تلقى فى هذا الصباح

أمرا بأن فرقته يجب أن تتقدم فوق جسر لدندورف وتسير إلى الأمام وتلتقى بالعدو بعد مسافة ميل فى الشمال الشرقى من ريماجين فى إحدى الغابات فى الجانب البعيد من النهر . وقف ويليام أعلى المرتفع وأخذ يراقب الفرقة التاسعة مدرعات وهى تعبر الجسر وهو يتوقع أن يتم تفجير الجسر بأقصى قوة فى أية لحظة .

كان قائده يقود فرقته خلفه . تبعه ويليام ومعه ١٢٠ رجلا تحت قيادته ، كان معظمهم سيواجه ـ شأنهم شأن ويليام ـ العدو لأول مرة . لم يكن هذا تدريبا آخر مثل التدريبات التى كانوا يقومون بها مع الاسكتلنديين ، حيث كانوا يتظاهرون بقتل بعضهم البعض بأسلحة غير محشوة بالذخيرة ثم يتناولون الغداء سويا . كانوا بصدد مواجهة الألمان برصاصهم الحي ، ربما كان هذا آخر غداء لهم .

عندما وصل ويليام إلى حافة الغابة ، لم يواجه هو أو رجاله أية مقاومة لذا قرروا أن يواصلو السير فى الغابة . كان التقدم بطيئا ولكن بدون أحداث حتى تصور ويليام أن الفرقة التاسعة لابد أنها أقدمت على عمل محكم بالغ الدقة مما سمح لفرقته بأن تمر خلفهم بسلام عندما فوجئ من حيث لا يدرى بأنهم قد سقطوا فى كمين ، وإذا بوابل من الرصاص ينهال عليهم . بدا له كل شيء وكأنما انقض عليهم بلا هوادة وفى آن واحد . انبطح رجال ويليام على الأرض وكل منهم يحاول أن يحمى نفسه ويلوذ بالأشجار ، ولكنه كان قد فقد أكثر من نصف فرقته فى غضون ثوان معدودة . كانت المعركة إن صح أن يطلق هذا عليها قد استمرت لأقل من دقيقة ولم يكن قد رأى ألمانياً واحدا . انحنى ويليام تحت الغطاء النباتى لبضع ثوان أخرى إلى أن رأى لحسرته الفوج الثانى من الفرقة التاسعة وهى تتقدم عبر الغابة . جرى من مأواه خلف إحدى الأشجار لكى يحذرهم من الفخ . فأصابته الرصاصة الأولى فى رأسه فسقط على ركبتيه فى



الوحل ثم واصل صياحه وتلويحه بشكل جنونى لكى يحذر زملاءه المتقدمين فأصابته الطلقة الثانية فى عنقه والثالثة فى صدره . بقى ممددا فى الوحل بانتظار الموت بدون أن يقدر له أن يرى وجه العدو ، كانت ميتة جبانة .

كان الشيء التالى الذى أدركه ويليام هو أنه قد حمل على نقالة ولكن لم يكن بوسعه أن يسمع أو يرى أى شيء وكان يتساءل إن كان الوقت ليلاً أم أنه قد أصيب بالعمى .

بدت له الرحلة طويلة ثم فتح عينيه ، وركز على المقدم الذى كان يعرج خارج الخيمة . كان هناك شيء مألوف فى هذا الرجل ولكنه لم يتبينه . حملته النقالة إلى خيمة العمليات ووضعته فوق المائدة . حاول أن يقاوم النوم خشية أن يكون الموت .

استيقظ ويليام . كان مدركا أن هناك شخصين يحاولان تحريكه . كانا يحركانه ويديرانه بمنتهى الرفق ثم حقناه بإبرة . رأى ويليام فى منامه كات وأمه ورأى ماثيو وهو يلعب مع ابنه ريتشارد ثم نام .

ثم استيقظ وقد شعر أنه نقل إلى سرير آخر ، بدأ بصيص من الأمل يحل محل الموت المحتوم . بقى ممددا بلا حراك مركزاً عينيه على السقف القماشى للخيمة وهو عاجز عن تحريك رأسه . جاءت إليه إحدى الممرضات لكى تفحص تقريرة الطبى ثم تفحصه هو . ثم نام .

ثم استيقظ . كم مضى من الوقت ؟ جاءت ممرضة أخرى . فى هذه المرة كان بوسعه أن يرى بشكل أفضل قليلا ـ يا للسعادة ، يا للسعادة ـ لقد استطاع أن يحرك رأسه ، ولكن بألم شديد . بقى يقظا لأطول فترة ممكنة ؟ كان يريد أن يعيش . ثم نام .

* * *

استيقظ . فوجد أربعة أطباء يفحصونه ؛ ثم قرروا ؛ ماذا ؟ عجز عن سماع ما يقولون وبالتالى لم يدرك شيئا. حركوه ثانية ؛ رآهم وهم يضعونه داخل عربة إسعاف . أغلقوا الباب وراءه ؛ ثم دار المحرك وبدأت السيارة تتنقل فوق أرض صلبة بينما كانت هناك ممرضة جالسة بجواره تحمله فى وضع مستقيم . شعر أن الرحلة دامت على مدى ساعة كاملة ولكنه لم يكن واثقا من الزمن . وصلت سيارة الإسعاف إلى أرض أكثر انسيابية ثم توقفت . ثم نقلوه ثانية . ولكنهم كانوا فى هذه المرة يسيرون فوق أرض مسطحة ثم صعدوا بضع درجات وأدخلوه فى غرفة مظلمة . انتظروا ثانية ثم بدأت الغرفة تتحرك ؛ ربما كانت سيارة أخرى . أقلعت الغرفة . حقنته المرضة بإبرة أخرى لم يتذكر بعدها شيئا إلى أن شعر بالطائرة وهى تهبط وتتوقف . نقلوه ثانية . سيارة إسعاف أخرى ؛ ممرضة أخرى ؛ رائحة أخرى ؛ مدينة أخرى . وقال ويليام لنفسه : إنها نيويورك أو على الأقل أمريكا ؛ ليست هناك رائحة كهذه فى كل العالم . سارت به سيارة الإسعاف الجديدة فوق أرض ناعمة ؛ وكانت تتوقف ثم ما تلبث أن تتحرك بشكل دائم إلى أن وصلت إلى المكان المطلوب فى آخر المطاف . حملوه ثانية ثم صعدوا به إلى أعلى داخل غرفة ذات جدران بيضاء . ثم وضعوه فى فراش وثير . شعر برأسه وهو يلمس الوسادة ؛ وعندما استيقظ ثانية ؛ شعر أنه وحيد تماما . ولكنه ركز بعدها بصره وخُيل له أنه قد رأى كات تقف أمامه . حاول أن يرفع رأسه ويلمسها ؛ يحادثها ؛ ولكنه لم يجد الكلمات . ابتسمت ؛ ولكنه كان يعلم أنها لم تستطع أن تتبين ابتسامته ؛ وعندما استيقظ ثانية ؛ وجد كات مازالت موجودة ولكنها كانت ترتدى ثوبا مختلفا . أم أنها جاءت وذهبت عدة



مرات ؟ حاول أن يحرك رأسه قليلا فرأى ابنه ريتشارد؛ لقد كان طويلا للغاية ؛ وسيما للغاية . كان يريد أن يرى ابنتيه ولكنه عجز عن تحريك رأسه أكثر من ذلك . تحرك الجميع على مرمى بصره ؛ فيرجينيا ؛ لا يمكن أن تكون قد كبرت إلى هذا الحد ؛ ولوسى ؛ لا غير ممكن . أين ولت كل هذه السنوات ؟ ثم نام .

ثم استقيظ . لم يكن أحد موجودا ولكنه كان قادرا على تحريك رأسه ؛ وكانت بعض الضمادات قد أزيلت وكان بوسعه أن يرى بشكل أكثر وضوحا . حاول أن يقول شيئا ولكنه لم يعثر على الكلمات . كانت كات تكتفى بالمراقبة ؛ كان شعرها الأشقر قد أصبح أكثر طولا فى ذلك الوقت وكان منسدلا على كتفيها . كانت عيناها البنيتان الرقيقتان وابتسامتها التى لا تنسى تبدو جميلة ؛ جميلة للغاية . نطق باسمها .فابتسمت. ثم نام .

ثم استيقظ . كانت الضمادات قد قلت عن ذى قبل . فى هذه المرة تحدث ابنه .

قال ريتشارد : " مرحبا يا أبى " .

سمعه وأجابه : " مرحبا يا ريتشارد " ولكنه لم يسمع صوته . ساعدته المرضة على الجلوس لكى يحيى باقى أفراد أسرته . فشكرها . لمس الطبيب كتفه .

" لقد انتهى الجانب الأسوأ يا سيد كين . وسرعان ما سوف تتعافى وتعود إلى بيتك " .

ابتسم عندما دخلت كات الغرفة ؛ وقد تبعتها فيرجينيا ولوسى . كانت هناك الكثير من الأسئلة التى يريد أن يطرحها

عليهم . من أين يجب أن يبدأ ؟ كانت هناك فجوات فى ذاكرته بحاجة لأن تملأ . أخبرته كات أنه كان على وشك الموت . كان ويليام يعرف ذلك ولكنه لم يكن قد أدرك أن عاماً كاملاً قد مضى منذ أن سقطت فرقته فى الفخ الذى نصبه لهم الألمان فى غابة ريماجين .

أينْ ولت شهور الغياب عن الوعى ، هل ذهبت ، أليست الحياة المفقودة أشبه بالموت ؟ كان ريتشارد قد ناهز الثانية عشرة ؛ كان يعد نفسه بالفعل للالتحاق بمدرسة سانت بول . كانت فيرجينيا فى التاسعة ولوسى قد ناهزت السابعة . كانت ثيابهم تبدو قصيرة . كان عليه أن يبدأ التعارف عليهم جميعا من جديد .

كانت كات أكثر جمالا مما كان يذكر ويليام . أخبرت ويليام كيف أنها لم تتقبل يوما احتمال موته ، وقصت له كيف أن ريتشارد كان يبلى بلاء حسنا فى دراسته فى بوكلى وكيف أن فيرجينيا ولوسى كانتا بحاجة إلى أب . ثم تمالكت نفسها وأخبرت ويليام بالجروح والإصابات التى كانت فى وجهه وصدره.وأنها سوف تستغرق وقتا إلى أن تتعافى . حمدت الله على أن الأطباء قد أكدوا له بأن عقله لم يصب بأى ضرر وبأنه سوف يستعيد بصره كاملا . كانت كل ما تريده كات فى ذلك الوقت هى أن تساعد زوجها على التعافى . كانت كات تريد أن يتم ذلك تدريجياً وطبيعياً ، أما ويليام فقد كان يريده أن يحدث بسرعة .

كان كل فرد من أفراد العائلة يلعب دورا فى علاج ويليام . كان ريتشارد يساعد والده على السير إلى أن نجح ويليام فى السير بمفرده بدون استعانة بعكاز . كانت لوسى تساعده على تناول غدائه إلى أن نجح ثانية فى تناوله بنفسه . أما فيرجينيا فقد كانت تقرأ له كتاب مارك توان ؛ لم يكن ويليام واثقا إن كانت القراءة تفيدها هى أم



تفيده هو ؛ ولكنهما كانا يستمتعان كثيرا . كانت كات تجلس بجواره ليلا عندما كان يعجز عن الاستسلام للنوم . ثم أخيرا وبعد انقضاء أعياد رأس السنة سمح لويليام بالعودة إلى بيته .

ما إن عاد ويليام إلى شارع إيست سيكستى إيت ، حتى بدأ يتعافى سريعاً ، حتى توقع له الأطباء أن يكون قادرا على العودة إلى عمله فى البنك فى غضون ستة أشهر . كان مازال مصابا ببعض الجروح ولكنه كان على ما يرام . سمح له بمقابلة الزوار .

كان أول من جاء لزيارته تيد ليتش ، والذى اندهش قليلا من الصورة التى بدا عليها ويليام ، كان هذا شيئاً يجب أن يعتاد عليه تيد لبعض الوقت . وقد علم ويليام من تيد أن ليستر قد تطور فى العام الماضى وأن زملاءه فى البنك يتطلعون لرؤيته والترحيب به ثانية كرئيس للبنك . ثم زاره بعد ذلك تونى سيمونس وهو الذى حمل له أنباء حزينة وهى وفاة آلان ليويد وروبرت كورك سميث . سوف يفتقد ويليام حكمتهما وحنكتهما . ثم اتصل به توماس كوهين لكى يعرب له عن مدى سعادته بشفائه ولكى يقول له كما لو كان ذلك مازال ضروريا بأنه قد كبر فى السن وبأنه قد أصبح شبه متقاعد عن العمل وبأنه قد أوكل كل أعماله إلى ابنه ثاديوس الذى كان قد افتتح مكتبا فى نيويورك . وأعرب له توماس كوهين عن أمله فى أن يواصل السيد كين تعامله مع شركته . فأكد له ويليام ذلك .

" هناك بالمناسبة يا سيد كين معلومة ينبغى أن أخبرك بها " .

استمع ويليام إلى المحامى القديم فى صمت وانتابه الغضب ؛ الغضب الجامح .

—

# الفصل السادس والعشرون

وقع الجنرال ألفريد جوديل على الانسحاب غير المشروط من الرايمز فى السابع من مايو عام ١٩٤٥ ؛ عندما وصل هابيل إلى نيويورك لكى يستعد لاحتفالات النصر ونهاية الحرب .ومرة أخرى ، وجد الشوارع زاخرة بالشباب فى الزى العسكرى ، ولكن الوجوه فى هذه المرة كانت فى حالة نشوة حقيقية وليست سعادة مترقبة . حزن هابيل لرؤية الكثير من الرجال يسيرون على ساق واحدة أو يملكون ذراعا واحداً أو أصيبوا بالعمى أو بجروح عميقة . لم تكن الحرب بالنسبة لهؤلاء قد انتهت ، كانت ستظل باقية بغض النظر عن تلك الورقة التى وقعت على بعد آلاف الأميال .

عندما دخل هابيل فندق البارون فى زيه العسكرى ، لم يعرفه أحد . كانت آخر مرة رأوه فيها منذ سنوات عديدة فى زيه المدنى ولم تكن التجاعيد قد شقت بعد وجهه الشاب . كان الوجه الذى بدا لهم الآن أكبر سنا من التسعة وثلاثين عاما عمر هابيل الحقيقى كما أن الخطوط العميقة المنهكة فى جبهة رأسه قد أكدت أن





الحرب قد تركت أثرها عليه . ركب هابيل المصعد إلى الطابق الثانى والأربعين حيث يقع مكتبه ، فأخبره حارس الأمن فى حزم بأنه قد ضغط على زر الطابق الخاطئ .

سأل هابيل : " أين جورج نوفاك ؟ "

أجاب الحارس : " فى شيكاغو أيها المقدم " .

قال هابيل : " حسنا ، اتصل به هناك " .

" وما هو الاسم الذى سوف أخبره به ؟ "

" هابيل روزنوفسكى " .

تحرك الحارس سريعا .

جاءه صوت جورج المألوف وقد أفاض فى الاحتفاء والترحيب به وبعودته ثانية . أدرك هابيل وقتها كم كان سعيدا بعودته وكيف أنه كان يرغب فى العودة إلى بيته . قرر ألا يبقى فى نيويورك فى هذه الليلة وأن يقطع ثمانمائة ميل إضافية إلى شيكاغو . حمل معه التقارير المحدثة التى قد أعدها جورج لكى يراجعها فى الطائرة . قرأ هابيل كل التفاصيل الخاصة بما أحرزه الفندق من تقدم على مدى الفترة الأخيرة من الحرب وبدا من الواضح أن جورج قد أحسن صنعا بأن حافظ على استقرار الفندق أثناء فترة غيابه . كانت قيادته الحذرة قد جنبته الشكاوى كما أنها فى نفس الوقت حققت ارتفاعا فى الأرباح نظرا لاستدعاء الكثير من الموظفين للخدمة العسكرية أثناء الحرب وامتلاء الفنادق عن آخرها بسبب التحرك المستمر للأفراد فى كل أنحاء البلاد . قرر هابيل أن يشرع فى تعيين طاقم عمل جديد فى الحال قبل أن تسطو الفنادق الأخرى على أفضل العناصر فور عودتها من الحرب .

عندما وصل هابيل إلى مطار ميدواى ، الصالة رقم ١١ ، وجد جورج واقفا عند السور فى انتظاره للترحيب به . لم يكن جورج قد تغير كثيرا - ربما زاد وزنه بعض الشىء وفقد بعض الشعر فحسب - وفى غضون ساعة تبادلا خلالها القصص وسعى كل منهما إلى إخبار الآخر بكل ما جرى على مدى السنوات الثلاث الماضية شعر هابيل أنه لم يرحل بعيدا . كان هابيل يشعر بالامتنان للبلاك آرو التى التقى على متنها بنائبه فى العمل .

ولكن جورج لم يترفق بعرج هابيل والذى بات أكثر وضوحا عن ذى قبل .

قال جورج مازحا : " لم تعد الآن تملك ساقا لكى تقف عليها " .

أجاب هابيل : " لم أعد أملك سوى بولنديا أحمق لكى أعتمد عليه " .

ابتسم جورج لهابيل الذى بدا أشبه بدمية يدللها صاحبها .

" أحمد الله على أن لدىّ بولنديا أحمق تولى رعاية كل شىء أثناء فترة غيابى بحثا عن الألمان " .

لم يقو هابيل على منع نفسه من تفقد أحوال فندق البارون فى شيكاغو قبل أن يعود إلى بيته . كانت الأبهة التى كانت تحيط بالفندق وتزينه قد خبت فى وقت الحرب . لاحظ هابيل أن هناك العديد من الأشياء التى كانت بحاجة إلى تجديد ، ولكن كل هذا كان يمكن أن يرجأ ، كان كل ما يريده الآن هو أن يرى زوجته وابنته . كان هذا هو أول ما صدم هابيل . لم يكن جورج قد تغير كثيرا على مدى ثلاثة أعوام ولكن فلورنتينا كانت قد بلغت الحادية عشرة وكانت قد أصبحت صبية جميلة مشرقة الوجه بينما تحولت



زافيا بالرغم من أنها كانت مازالت فى الثامنة والثلاثين من عمرها إلى امرأة ممتلئة زرية الملابس ؛ كانت تبدو امرأة متقدمة فى السن .

بداية ، لم يكن هابيل وزافيا يعرفان كيف يعامل كل منهما الآخر ، وبعد مرور بضعة أسابيع فقط بدأ هابيل يدرك أن علاقته لن تعود ثانية إلى سابق عهدها مع زافيا . كانت زافيا لا تبذل إلا القليل من الجهد لكى تثير اهتمام هابيل كما أنها لم تكن تفخر بما حققه من إنجازات . وقد شعر هابيل بالحزن لعدم اهتمامها وحاول أن يثير حماسها لكى تشاركه حياته وعمله ولكنها لم تتجاوب معه . لم تكن زافيا تشعر بالرضا والسعادة إلا داخل بيتها مع ابنتها مع ابتعادها وتلافيها قدر الإمكان لكل ما يحدث فى مجموعة البارون . استسلم هابيل لما آلت إليه زافيا وبدأ يسأل نفسه إلى أى حد يمكنه أن يبقى مخلصا لها . فى الوقت الذى كان يشعر فيه بالفخر والسعادة بفلورنتينا . كان مظهر وروح زافيا يشيع فيه الإحساس بالبرود . مما دفعه إلى البحث عن حب جديد . وسرعان ما بدأ يختلق أعذاراً لمغادرة شيكاغو ويبتعد عن وجه زافيا الفاتر الذى كان يدينه فى صمت .

بدأ يسافر فى رحلات طويلة إلى الفنادق الأخرى ، ويصحب معه فلورنتينا أثناء العطلات المدرسية . قضى الأشهر الستة الأولى بعد عودته إلى أمريكا فى زيارة كل فرع من فروع مجموعة البارون مثلما سبق له أن فعل بعد وفاة ديفيز ليروى . وفى غضون عام ؛ كانت كل الفنادق قد استعادت رونقها المعهود ؛ ولكن هابيل كان يبحث عن المزيد من الازدهار والتقدم . فأخبر كورتيس فنتون فى الاجتماع الربع سنوى التالى للمجموعة بأن فريق التسويق فى المجموعة قد نصحه بالإقدام على بناء فندقين فى المكسيك

والبرازيل ؛ حيث إنهم كانوا يبحثون عن أماكن جديدة لتوسيع مجموعة البارون .

قال هابيل : " بارون مدينة مكسيكو وبارون ريو دى جينيرو " . كان وقع الأسماء قد أثار إعجابه .

قال كورتيس فنتون : " حسنا ؛ أنت تملك تمويلاً جيداً لتغطية تكاليف البناء . لقد تراكمت الأرباح فى غيابك . يمكنك أن تبنى فرعا جديدا فى أى مكان يقع اختيارك عليه . يعلم الله وحده متى سوف تتوقف يا سيد روزنوفسكى " .

قال هابيل : " يوما ما يا سيد فنتون ، سوف أبنى فرعا فى مدينة وارسو وعندها سوف أفكر فى التوقف . ربما أكون قد سددت جزءاً من حسابى مع الألمان ولكن هناك حسابا آخر يجب أن أسويه مع الروس " .

ضحك كورتيس فنتون . (لم يدرك إلا فى وقت متأخر من مساء ذلك اليوم عندما روى الحديث لزوجته ، أن هابيل روزنوفسكى كان يقصد كل ما قاله ، سوف يبنى فرعا للبارون فى وارسو ) .

" والآن ما هو موقفى من بنك كين ؟ " .

أثار التغير المفاجئ فى نبرة هابيل انزعاج كورتيس فنتون . لقد انزعج عندما أدرك أن هابيل روزنوفسكى كان مازال يحمل ويليام كين مسئولية وفاة ديفيز ليروى . فتح ملفه الخاص وبدأ يقرأ .

" أسهم ليستر وكين وشركاه مقسمة بين أربعة عشر عضوا من أفراد عائلة ليستر وستة من الموظفين السابقين والحاليين ؛ بينما يملك السيد كين نفسه أكبر عدد من الأسهم والذى يصل إلى ثمانية بالمائة من أسهم البنك " .



سأل هابيل : " هل يرغب أى شخص من عائلة ليستر فى بيع أسهمه ؟ " .

" ربما إن عرضنا السعر المناسب . الآنسة سوزان ليستر ابنة الراحل تشارلز ليستر ؛ أبدت على نحو ما رغبتها فى بيع نصيبها من الأسهم والسيد بيتر بارفيت النائب السابق لبنك ليستر عرض هو الآخر رغبته " .

" ما هى النسبة المئوية التى يملكها كل منهما ؟ " .

" تملك سوزان ليستر ستة بالمائة وبيتر بارفيت اثنين بالمائة فقط " .

" وما هو المبلغ المطلوب ؟ " .

نظر كورتيس فنتون إلى ملفه ثانية بينما ألقى هابيل نظره على آخر تقرير سنوى لليستر ثم تعلقت عيناه بالبند السابع .

" الآنسة سوزان تريد مليونى دولار مقابل الستة بالمائة والسيد بارفيت يريد مليون دولار مقابل الاثنين بالمائة " .

قال هابيل : " السيد بارفيت رجل طماع سوف ننتظر إلى أن يشفى من طمعه . اشتر أسهم الآنسة سوزان ليستر فى الحال بدون أن تكشف عن اسم المشترى وأعلمنى بأى تغيير من جانب السيد بارفيت " .

تنحنح كورتيس فنتون :

سأل هابيل : " هل هناك ما يثير ضيقك يا سيد فنتون ؟ " .

تردد كورتيس فنتون : " كلا ، لاشىء " .

" جيد ؛ لأننى سوف أوكل الأمر كله إلى شخص سوف تعرفه ؛ بل إنك تعرفه بالفعل ـــــ ، إنه هنرى أوسبورن " .

سأل كورتيس فنتون : " رجل الكونجرس " .

" أجل ؛ هل تعرفه ؟ " .

قال فنتون وقد كشف عن نبرة عدم تأييد فى صوته ونكس رأسه : " فقط أسمع عنه " .

تجاهل هابيل هذا النقد الصامت . كان يعلم جيدا سمعة أوسبورن ولكنه كان يملك القدرة على تخطى كل الإجراءات البيروقراطية المعقدة والبت فى القرارات السياسية السريعة مما دفع هابيل إلى الاعتقاد بأنه يستحق المجازفة . كما كان هناك أمر آخر وهو الكره المشترك الذى كان يجمعهما للسيد كين .

" سوف أطلب من السيد أوسبورن أيضا أن يكون مديرا لمجموعة الفنادق وأن يتولى مسئولية تعاملنا مع كين . هذه المعلومة أيضا يجب أن تبقى فى منتهى السرية " .

قال فى ضيق : " كما تحب " وهو يسأل نفسه عما إن كان يجدر به أن يبوح لهابيل روزنوفسكى بتخوفه من أوسبورن .

" أعلمنى فى أسرع وقت ممكن بعقد الصفقة مع سوزان ليستر " .

قال كورتيس فنتون بدون أن يرفع رأسه : " سوف أفعل يا سيد روزنوفسكى " .

عاد هابيل إلى فندق البارون لتناول الغداء ، حيث وجد هنرى أوسبورن فى انتظاره .

قال هابيل عندما التقى به فى بهو الفندق : " رجل الكونجرس " .

قال هنرى : " البارون " وضحك الاثنان وهما يسيران متأبطين ذراعى بعضهما البعض نحو قاعة الطعام حيث جلسا فى أحد الأركان . وبخ هابيل أحد الندل لأنه كان قد فقد زرارا من أزرة سترته .

" كيف حال زوجتك يا هابيل ؟ "



" فى أحسن حال . وزوجتك أنت يا هنرى ؟ "

" إنها رائعة " . كان كلاهما يكذب .

" هل هناك جديد ؟ "

قال هنرى فى صوت لا يخلو من نبرة تآمر : " نعم هذا التنازل الذى كنت تريده فى أتلانتا قد تم إنجازه . سوف ننهى المستندات والأوارق اللازمة فى غضون الأيام القليلة المقبلة وسوف يكون بوسعك أن تشرع فى بناء فندق بارون أتلانتا الجديد مع بداية الشهر " .

" نحن لم نقدم على مجازفة قانونية كبيرة ، أليس كذلك ؟ "

أجاب هنرى أوسبورن ضاحكا : " لا شىء يمكن أن يصل إليه منافسوك ، هذا ما يمكننى أن أؤكده لك يا هابيل " .

"يسعدنى سماع هذا يا هنرى ، لا أريد أن أقع فى أية مشاكل قانونية " .

قال هنرى : " كلا ، كلا . فقط أنت وأنا يعرفان الحقيقة " .

قال هابيل : " جيد . لقد أبليت بلاء حسنا معى على مدى سنوات يا هنرى وعلىَّ أن أكافئك على هذا . ما رأيك فى أن تصبح مديرا لمجموعة البارون " .

" سوف يكون هذا من دواعى فخرى يا هابيل " .

" لا تبالغ يا هنرى. أنت تعلم أنك قد أنجزت إنجازا رائعا فى تخليص تصاريح البناء فى الولاية والمدينة . فأنا لم أملك يوما وقتا للتعامل مع رجال السياسة والبيروقراطيين . كما أنهم على أية حال يفضلون التعامل مع رجل من خريجى جامعة هارفارد حتى إن كان يتربص بهم " .

" ولكنك كنت كريما جدا فى المقابل يا هابيل " .

" هذا ليس أكثر مما تستحقه . والآن يجب أن ننجز عملا أكثر أهمية سوف يسعدنا نحن الاثنين أن نقوم به . وهو عمل يتطلب سرية تامة ولكنه سوف يستنفد الكثير من وقتك غير أنه سوف يمنحنا فرصة للانتقام من عدونا المشترك الوافد من بوسطن ، السيد ويليام كين " .

عندها وصل كبير الندل حاملا قطعتين من اللحم البقرى . أصغى هنرى لهابيل وهو يفصح له عن خططه للنيل من ويليام كين .

بعد مرور بضعة أيام أخرى وفى الثامن من مايو عام ١٩٤٦ ، سافر هابيل إلى نيويورك للاحتفال بأول عيد للنصر . كان قد أقام مأدبة عشاء دعا إليها أكثر من ألف من المحاربين البولنديين كما دعا الجنرال كزيميرس سونسكوفيسكى القائد الأعلى للقوات البولندية فى فرنسا بعد عام ١٩٤٣ كضيف شرف للحفل. ظل هابيل ينتظر هذه المناسبة بفارغ الصبر على مدى أسابيع وصحب فلورنتينا معه إلى نيويورك بينما بقيت زافيا فى شيكاغو .

وفى الليلة السابقة على الاحتفال ، بدت قاعة الاحتفالات فى فندق البارون نيويورك فى أبهى صورها ، كانت كل مائدة من الموائد الـ١٢٠ مزينة بنجوم وخطوط العلم الأمريكى واللونين الأبيض والأحمر للعلم البولندى الوطنى . كانت هناك صور ضخمة لأيزنهاور وباتون وبرادلى وكلارك وبادرفيسكى وسيكورسكى تزين الجدران . جلس هابيل فى قلب المائدة المركزية والجنرال عن يمينه وفلورنتينا عن يساره .

عندها نهض الجنرال سوسنكوفسكى لكى يخاطب الجمع . أعلن أن المقدم روزنوفسكى قد أصبح رئيسا مدى الحياة للمحاربين البولنديين وذلك تقديرا للتضحيات التى قدمها للقضية الأمريكية البولندية وخاصة مقابل هديته الثمينة التى قدمها عندما سمح بوضع



فندق البارون تحت تصرف الجيش الأمريكى طوال فترة الحرب . صاح أحد الحضور من مؤخرة القاعة قائلا :

" إن كل من نجا من الألمان يجب أن ينجو أيضا من الطعام الذى سوف يقدمه هابيل " .

ضحك آلاف المحاربين وأخذوا يهللون ويتناولون الطعام ثم ساد الصمت أثناء خطبة الجنرال التى تناولت أوضاع ما بعد الحرب فى بولندا ، والتى كانت قد وقعت فى قبضة ستالين روسيا ، وأخذ يحث المواطنين على العمل والكد بلا كلل لتحرير أرضهم الأم من قبضة الاستعمار . أراد هابيل أن يصدق أنه فى يوم ما سوف ينجح البولنديون فى تحرير أراضيهم وسوف ينجح هو فى استعادة قصره وترميمه ولكنه كان يشك فى ذلك كثيرا بعد أن أحكم ستالين قبضته عليها بعد انتصاره فى يالتا .

واصل الجنرال خطبته مذكرا ضيوفه بأن المحاربين البولنديين قد قدموا تضحيات بشرية ومادية تفوق كل ما قدمته المجموعات العرقية الأخرى فى الولايات المتحدة : " كم أمريكى يمكن أن يصدق أن بولندا قد فقدت ستة ملايين من مواطنيها بينما فقدت تشيكوسلوفاكيا مائة ألف رجل ؟ يرى بعض المراقبين أننا كنا حمقى بعدم الإقدام على الاستسلام عندما أدركنا أننا قد هزمنا . ولكن أنى لأمة أبدت بطولة نادرة أمام آلة الحرب الألمانية المدمرة أن تصدق بأنها قد منيت بهزيمة ؟ ولكننى أعلن لكم أيها الأصدقاء بأننا لم نهزم الآن " .

شعر هابيل بالحزن لأن معظم الأمريكيين كانوا لا يزالون ينظرون بعين السخرية لتضحيات البولنديين فى الحرب أو ما يسمى بالبطولة البولندية . ثم حكى الجنرال للحضور قصة هابيل وكيف أنه أسهم هو ومجموعة من الرجال فى إنقاذ الجنود الذين قتلوا

وأصيبوا فى معركة ريماجين . عندما أنهى الجنرال خطبته وجلس ، قام المحاربون وأخذوا يهللون ويصفقون للرجلين . كانت فلورنتينا تشعر بفخر كبير بأبيها .

اندهش هابيل عندما تناولت الصحافة هذا الحدث فى صباح اليوم التالى لأن الإنجازات البولندية كانت نادرا ما تحظى بأى تقدير إعلامى أمريكى . كان شبه واثق من أن الصحافة لم تكن لتكبد نفسها عناء الاهتمام بالحدث ما لم يكن الأمر ذا علاقة ببارون شيكاغو . أخذ هابيل يرفل فى فخر الشعور بالبطولة وقضى باقى يومه أمام عدسات المصورين والإدلاء بأحاديث صحفية .

ومع حلول المساء ، اعترى هابيل شعور بالإحباط . كان الجنرال قد سافر إلى لوس أنجلوس وفلورنتينا قد عادت إلى مدرستها فى ليك فورست وكان جورج قد مضى إلى شيكاغو وهنرى أوسبورن إلى واشنطن . بدا فندق البارون فى نيويورك فجأة خاويا وكبيرا على هابيل ولكنه لم يشعر بأية رغبة فى العودة إلى زافيا فى شيكاغو .

قرر هابيل أن يتناول العشاء مبكرا فى المطعم ، ثم يراجع بعدها التقاريرالأسبوعية التى وصلته عن باقى مجموعة الفنادق قبل أن ينزوى فى الغرفة الملحقة بمكتبه . كان نادرا ما يتناول الطعام وحده فى جناحه الخاص لأنه كان يحب دائما بدلا من ذلك أن يتناوله فى قاعة الطعام لكى ينتهز فرصة مراقبة كل من يعمل فى الخدمة داخل القاعة . كان هابيل كلما اقتنى وبنى فنادق زاد بداخله الخوف من أن يفقد تواصله مع طاقم العاملين لديه .

ركب هابيل المصعد وهبط به إلى الطابق السفلى وتوقف عند مكتب الاستقبال لكى يسأل عن عدد النزلاء المقيمين فى الفندق فى هذه الليلة ولكنه وجد نفسه مأخوذا بسيدة كانت توقع على ورقة التسجيل . كاد هابيل يقسم أنه يعرفها ولكن صعب عليه أن يتبينها



من على بعد . كانت فى منتصف الثلاثينات على الأرجح . عندما انتهت من تدوين البيانات الخاصة بها ، استدارت ونظرت إليه .

قالت : " هابيل . كم هو رائع أن أراك " .

" يا إلهى ، ميلانى ، لقد تعرفت عليك بالكاد " .

" ولكنك لا تخفى على أحد يا هابيل " .

" لم أكن أعرف أنك فى نيويورك " .

" سوف أبيت الليلة فقط ، أنا هنا فى مهمة عمل لصالح المجلة " .

سأل هابيل فى نبرة عدم تصديق خفيفة : " أنت صحفية ؟ "

" كلا ، أنا المستشار الاقتصادى لمجموعة من المجلات مقرها فى دالاس . وأنا هنا لإجراء بحث تسويقى " .

" إنه عمل رائع " .

قالت ميلانى : " أؤكد لك أنه ليس عملا رائعا . ولكنه على الأقل يشغلنى " .

" هل يمكنك تناول العشاء معى الليلة ؟ "

" يالها من فكرة رائعة يا هابيل ولكننى بحاجة إلى أخذ حمام وتغيير ملابسى إن كان بوسعك انتظارى ؟ "

" بالطبع ، يمكننى الانتظار . سوف ألقاك فى قاعة الطعام عندما تكونين مستعدة . تعالى إلى مائدتى ، لنقل بعد ساعة " .

ابتسمت موافقة ثم سارت نحو المصعد . شم هابيل رائحة عطرها وهى تسير فى طريقها .

تفحص قاعة تناول الطعام لكى يتأكد من وجود زهور جديدة فوقها ثم توجه إلى المطبخ لكى ينتقى الأطباق التى سوف يقدمها لميلانى . وأخيرا ، لما لم يجد شيئا يفعله جلس فى انتظارها . وجد نفسه يسترق النظر إلى ساعته وينظر إلى باب قاعة الطعام كل بضع

دقائق فى انتظار وصولها . استغرقت أكثر من ساعة قليلا ولكنه اكتشف أنها كانت تستحق عناء الانتظار . عندما ظهرت أخيرا عند مدخل القاعة فى فستان طويل يتلألأ تحت أضواء قاعة الطعام مما يوحى بلا شك بغلو ثمنه ، بدت رائعة الجمال . أوصلها كبير الندل إلى مائدة هابيل . نهض هابيل محييا إياها .

قال هابيل : " مرحبا يا ميلانى . يسعدنى أن أراك فى فندق البارون " .

قالت ميلانى : " يسعدنى أن أرى البارون وخاصة فى يوم احتفاله " .

سأل هابيل : " ما الذى تعنيه ؟ "

" لقد قرأت كل ما نشر عن العشاء الكبير فى نيويورك بوست وكيف أنك قد جازفت بحياتك لإنقاذ المصابين فى ريماجين . إنها قصة رائعة . لقد بدوت لى وكأنك الجندى المجهول والبطل المغوار " .

" هذه مبالغة " .

" أنت دائم التواضع يا هابيل ؛ لذا لا يسعنى إلا أن أصدق كل كلمة قيلت عنك " .

" الحقيقة يا ميلانى هى أننى كنت أخشاك دائما " .

" البارون يخشى أحدا ؛ لا أصدق هذا " .

" أنا لست رجلا شريفا من رجال الجنوب كما سبق ونوهت بشكل واضح من قبل يا عزيزتى " .

أجابت مبتسمة وهى تسعى لمداعبته : " وأنت لن تكف عن تذكيرى بهذا الأمر . هل تزوجت من فتاتك البولندية اللطيفة ؟ "

" أجل فعلت " .

" وكيف سارت الأمور ؟ "



" لم تسر على ما يرام ؛ لقد أصبحت الآن بدينة وفى الأربعين من عمرها ولم تعد تثير فىَّ أى شىء " .

قالت ميلانى ونبرة صوتها تكشف عن السعادة التى كانت تحاول إخفاءها : " سوف تضيف أيضا أنها لم تعد تفهمك " .

سأل هابيل : " وهل وجدت لنفسك زوجا ؟ "

" أجل . لقد تزوجت من رجل جنوبى بمعنى الكلمة يتمتع بكل المزايا التى كنت أبحث عنها " .

قال هابيل : " تهانينا القلبية " .

" ولكننى طلقت منه العام الماضى بعد أن حصلت على تسوية كبيرة " .

قال هابيل فى نبرة سعادة : " آسف لذلك . المزيد من الشراب ؟ "

" هل تحاول أن توقعنى فى غرامك يا هابيل ؟ "

" ليس قبل أن تنهى حساءك أولا يا ميلانى . حتى جيل المهاجرين الأول من البولنديين يملك قيما . بالرغم من أننى أشعر أنه قد حان دورى لأوقعك فى غرامى " .

" إذاً يجب أن أحذرك يا هابيل أننى لم أقع فى غرام رجل منذ طلاقى من زوجى . ليس بسبب نقص العروض ولكن لأننى لم أعثر على الشخص المناسب . هناك الكثير من الأيادى الطامعة ولكن القليل جدا من الحب الحقيقى " .

بعد تناول السلامون المدخن واللحم البقرى وحلوى الكريم كان كل منهما قد حكى للآخر ـ فى هذه الأثناء ـ كل ما يخص حياته منذ آخر مرة التقيا فيها .

" هل نتناول القهوة فى الغرفة الملحقة بمكتبى يا ميلانى ؟ "

" وهل لدىَّ أى اختيار آخر بعد هذا العشاء الرائع ؟ "

ضغط هابيل على الزر رقم ٤٢ ؛ نظرت ميلانى إلى الأرقام المدونة . سألته فى براءة : " ما سبب غياب الطابق السابع عشر ؟ " لم يعثر هابيل على الكلمات لكى يرد عليها .

قالت ميلانى محاولة مواصلة الحديث : " فى المرة الأخيرة التى تناولت فيها القهوة فى غرفتك —— " .

قال هابيل : " لا تذكرينى " وهو يتذكر ضعفه. خرجا من المصعد فى الطابق الثانى والأربعين بينما كان الخادم يفتح لهما باب الجناح .

قالت ميلانى وهى تدير عينيها فى حجرة الإقامة للمرة الأولى : " يا إلهى ! يجب أن أقول يا هابيل إنك قد اكتسبت نمط أصحاب الملايين ؛ إننى لم أر شيئاً بمثل هذا الترف كله فى حياتى " .

جاءت طرقة على الباب أوقفت هابيل عن الاقتراب من ميلانى . ثم ظهر نادل صغير يحمل إناء من القهوة .

قال هابيل : " أشكرك يا مايك يكفى هذا الليلة " .

قالت ميلانى مبتسمة : " هل سيكفى بالفعل ؟ "

كاد وجه النادل أن يكسى بحمرة الخجل لو لم يكن أسود. أسرع بمغادرة الغرفة .

صب هابيل القهوة . أخذت تحتسى الشراب ببطء وهى تجلس ساقاً فوق الأخرى على الأرض . كان هابيل يريد أن يجلس عاقصا ساقيه مثلها ولكنه لم يكن لينجح فى الثبات على هذا الوضع لذا فضل بدلا من ذلك أن يستلقى بجوارها . أخذت تربت على شعره وبدأ هو فى شىء من التردد يمسك يدها . لكم يتذكر هذه الأيدى . ثم تبادلا عبارات الحب للمرة الأولى ؛ قذفت ميلانى فردة حذاء فأطاحت بالقهوة فوق السجادة الفارسية .

فقالت : " يا إلهى ! سجادتك الجميلة " .



قال هابيل : " انسى الأمر " . لم تبدى عليها أى امتعاض كما حدث مرة من قبل وهى تنظر إليه . ثم استسلمت له فى النهاية ، ولكن سرعان ما شعر بالفتور فأخذ يضحك .

سألت ميلانى : " ما الذى يثير ضحكك ؟ "

قال هابيل : " لاشىء " وهو يتذكر حديث الدكتور جونسون عن فقدان الرجل لاهتمامه بالمرأة إذا استسلمت له .

ثم اقترب هابيل من ميلانى فوضعت رأسها على كتفه . اندهش هابيل فى أنه سرعان ما فقد رغبته فيها وأخذ يتساءل عن إمكانية صرفها فى رقة بدون أن يبدو فظا ؛ فإذا بها تقول : " أخشى أننى لن أستطيع أن أبقى هنا طوال الليل يا هابيل . لدىَّ موعد فى الصباح الباكر غدا ويجب أن أنام قليلا . لا أود أن أبدو وقد قضيت الليلة فوق سجادتك الفارسية " .

قال هابيل وهو يكشف عن نبرة ضيق ولكن ليس ضيقاً شديداً : " هل يجب أن ترحلى ؟ "

" آسفة يا عزيزى ؛ نعم " ثم وقفت وسارت نحو الباب . قبلها بأناقة فوق يدها وهى تغادر الغرفة .

قال هابيل ؛ كاذبا : " أتمنى أن نتقابل فى وقت قريب " .

أجابت وهى تعلم أنه لم يكن يقصد ما قاله : " أتمنى ذلك أنا أيضا " .

أغلق الباب خلفها وسار نحو الهاتف المجاور لفراشه .

سأل هابيل : " فى أى غرفة تقيم الآنسة ميلانى ليروى ؟ "

سادت لحظة صمت سمع هابيل خلالها صوت تقليب دفاتر التسجيل .

طرق هابيل المنضدة بنفاد صبر .

جاءت الإجابة أخيرا : " ليس هناك أحد مسجل بهذا الاسم يا سيدى . لدينا بطاقة باسم السيدة ميلانى سيتون من دالاس ، تكساس ، والتى وصلت مساء هذا اليوم يا سيدى وسوف تغادر غدا صباحا " .

قال هابيل : " أجل هذه هى السيدة المقصودة . سوف أسدد أنا حسابها " .

" أمرك يا سيدى " .

أعاد هابيل سماعة الهاتف إلى مكانها ثم أخذ حماما طويلا باردا تأهبا للنوم . شعر بالاسترخاء وهو يسير بجوار المدفأة ثم أوى إلى الفراش ولاحظ بقع القهوة التى كانت قد جفت وقتها فوق السجادة

" يا لها من حمقاء " قالها بصوت عال وهو يطفىء النور .

بعد هذه الليلة ، اكتشف هابيل أن هناك العديد من بقع القهوة التى ظهرت على سجادته الفارسية على مدى الشهور العديدة التالية ، بعضها بسبب النادلات اللاتى كن يستجبن لرغبته والبعض الآخر لنزيلات لم يسددن فواتير إقامتهن فى الفندق.بعدما اتسعت الهوة التى تفصل بينه وبين زافيا . ولكن ما لم يكن يتوقعه أن تقدم زافيا على استئجار محقق سرى لكى يراقبه ثم ترفع عليه دعوى تطليق . كان الطلاق شيئا غير مألوف فى الدوائر البولندية المحيطة بهابيل . حاول أن يثنى زافيا عن رغبتها وهو يدرك تماما أن هذا لن يدعم بحال موقفه فى المجتمع البولندى الأمريكى ولكن الأسوأ هو أنه قد يعوق أى طموح اجتماعى أو سياسى يتطلع إليه . ولكن زافيا كانت مصرة على الطلاق والمضى قدما فى إجراءاته ، وقد اندهش هابيل الذى وجد أن المرأة التى كانت قنوعة أثناء فترات انتصاره حسب تعبير جورج كانت قاسية فى انتقامها .



عندما استشار هابيل محاميه الخاص ، اكتشف للمرة الثانية كم بلغ عدد النادلات والنزيلات اللاتى لم يسددن تكاليف إقامتهن على مدى العام الأخير ، فاستسلم . وكان الشىء الوحيد الذى ناضل هابيل من أجله هو الحصول على حضانة ابنته فلورنتينا والتى كانت قد بلغت وقتها الثالثة عشرة من عمرها والحب الحقيقى الوحيد فى حياته . أذعنت زافيا لرغبته بعد صراع طويل ووافقت على تسوية مالية بلغت ٥٠٠ ألف دولار وحقها فى بيت شيكاغو وحقها فى رؤية فلورنتينا فى عطلة نهاية الأسبوع الأخير من كل شهر .

نقل هابيل مقر عمله وبيته الدائم إلى نيويورك فداعبه جورج قائلا : " بارون شيكاغو فى المنفى " بينما كان هابيل يجوب أمريكا شمالاو جنوبا لبناء فروع جديدة للفندق ولا يعود إلى شيكاغو إلا لكى يقابل كورتيس فنتون فقط .

# الفصل السابع والعشرون

بقى الخطاب مفتوحا فوق المائدة بجوار كرسى ويليام فى غرفة المعيشة . جلس فى لباس النوم يقرأ الخطاب للمرة الثالثة وهو يحاول أن يتصور السبب الذي يدفع هابيل روزنوفسكى إلى الرغبة فى اقتناء كل هذه الأسهم فى بنك ليستر وسبب تعيينه لهنرى أوسبورن مديرا لمجموعة البارون . شعر ويليام أنه لم يعد بوسعه أن يطيق كل هذه المجازفة فى التخمين ، فالتقط سماعة الهاتف .

اكتشف ويليام أن ابن السيد كوهين نسخة مصغرة من أبيه . عندما وصل إلى شارع إيست سيكستى إيت ، لم يكن بحاجة إلى تقديم نفسه ، فقد كان شعره قد بدأ يكتسى باللون الرمادى وفى نفس الأماكن التى كانت تكسو شعر أبيه كما أنه كان يرتدى حلة شبيهة بتلك التى كان يرتديها والده ، بل ربما كانت بالفعل نفس الحلة . أخذ ويليام يحدق إليه ولكن ليس فقط لأنه كان يشبه أباه إلى حد كبير .





قال المحامى : " ألا تذكرنى يا سيد كين ؟ " .

قال ويليام : " يا إلهى ! أنت المناظر العظيم الذى وقف أمامى فى هارفارد عام ألف وتسعمائة و ... وكم وعشرين ؟ " .

" ثمانية وعشرين . لقد ربحت المناظرة وتنازلت عن عضويتك فى البورسيليان " .

انفجر ويليام فى الضحك : " ربما ستبلى بلاء أفضل فى نفس الفريق إن كان اتجاهك فى الاشتراكية يسمح لك بأن تمثل رأسماليا بارزاً " .

نهض لكى يصافح ثاديوس كوهين . للحظة كان كلاهما قد عاد ثانية إلى المرحلة الجامعية .

ابتسم ويليام : " أنت لم تتناول هذا الشراب الذى قدمته لك فى البورسيليان ، ما الذى تحب أن تشربه ؟ " .

اعتذر ثاديوس وأجاب قائلا : " أنا لا أشرب " قالها بنفس النبرة اللطيفة التى كان ويليام ما زال يذكرها عنه جيدا وأضاف : " وأخشى أيضا أننى أصبحت رأسماليا أنا الآخر " .

كان ثاديوس يحمل نفس رأس والده فوق كتفيه ، نفس العقلية . بدا من الواضح أنه كان يملك خلفية جيدة عن ملف روزنوفسكى وأوسبورن ومستعدا لطرح الأمر مع ويليام . شرح له ويليام ما يريده تحديدا فى الوقت الراهن .

" تقريرا فوريا وتقريرا محدثا كل ثلاثة أشهر كما كنا نفعل فى الماضى . مازالت السرية هى العامل الأكثر أهمية فى المقام الأول " .

قال ويليام : " ولكننى أريد أن أعرف كل معلومة يمكن أن تصل إليها. لِمَ يسع هابيل روزنوفسكى لشراء أسهم ليستر ؟ هل مازال يشعر أننى المسئول عن انتحارديفيز ليروى ؟ أمازال يريدها حربا مع كين وكابوت حتى بعد أن أصبح الآن جزءاً من بنك ليستر ؟ ما

هو الدور الذى يلعبه هنرى أوسبورن فى كل هذا ؟ هل سيساعد أى لقاء بينى وبين هابيل روزنوفسكى على تخفيف وطأة الموقف وخاصة إن أخبرته بأن البنك وليس أنا ، هو الذى رفض تمويل مجموعة ريكموند ؟ "

كان القلم يجرى بين يدى كوهين مدونا كل هذه التساؤلات كما كان يفعل والده من قبل .

" كل هذه الأسئلة بحاجة إلى إجابات سريعة لكى أقرر ما إن كانت هناك ضرورة لإخطار المجلس بما يجرى ؟ "

ابتسم ثاديوس كوهين ابتسامة والده الخجولة وهو يغلق حقيبته : " آسف لكونك مضطراً لخوض كل هذه المعاناة أثناء فترة تعافيك . سوف أوافيك بكل الإجابات عندما أتحقق منها " . توقف عند الباب : " لقد أعجبت كثيرا بما فعلته فى ريماجين " .

استعاد ويليام صحته وعافيته سريعا على مدى الشهور التالية واختفت كل الجروح التى كانت تغطى وجهه وصدره حتى كادت آثارها تتلاشى تماما . وفى المساء ، كانت كات تجلس بجواره إلى أن يستسلم للنوم وتهمس قائلة : " حمدا لله على سلامتك " . اختفت نوبات الصداع المؤلم والأرق واستعاد ويليام قوة ذراعه الأيمن . لم تسمح له كات بالعودة إلى عمله إلا بعد أن قضيا عطلة بحرية طويلة منعشة فى الساحل الغربى . خلال العطلة البحرية ، استرخى كين مع كات أكثر من أى وقت مضى منذ الشهر الذى قضياه سويا فى لندن . صرحت له كات بأنه ليس هناك شواطىء لكى ترسو عليها السفينة ويمارس فيها ويليام عمله ، بالرغم من أنها خافت من أنه لو بقى على متن السفينة لأسبوع آخر فسوف يطالب بالسفينة باعتبارها أحد أصول ليستر وسوف يسعى لإعادة تنظيم طاقم العمل والمسارات البحرية والتوقيتات وحتى طريقة إبحار



السفينة نفسها والتى كان ويليام يطلق عليها اسم الباخرة العظيمة . وقد اكتست بشرة ويليام بالسمرة أثناء الرحلة وعاد وافر النشاط بعد أن رست السفينة فى ميناء نيويورك ، ولم تعد كات قادرة على ثنيه عن العودة إلى عمله فى البنك فى أقرب فرصة .

سرعان ما انخرط ويليام فى العمل فى بنك ليستر ومشاكله ثانية . كان هناك جيل جديد من الرجال قد اقتحم مجال الأعمال بعد أن أصقل بخبرة الحرب ؛ كانت حركة السوق سريعة وبدا هذا الجيل وكأنه يدير البنوك الأمريكية الحديثة . فاز الرئيس ترومان بنصر غير متوقع بفترة رئاسة ثانية فى البيت الأبيض بعد أن أعلنت جريدة الشيكاغو تريبيون أن الرئيس تومات إي دوي قد فاز بالفعل . لم يكن ويليام يعرف إلا القدر الضئيل عن السيناتور السابق من ميسورى وذلك من خلال ما قرأه عنه فى الصحف . باعتباره جمهوريا متحمسا ؛ تمنى لو عثر حزبه على الرجل الصحيح لتولى قيادتهم فى حملة عام ١٩٥٢ .

عندما وصل التقرير الأول من ثاديوس كوهين إلى ويليام ، أصبح من الواضح بما لا يدع مجالا للشك أن هابيل روزنوفسكى كان مازال يرغب فى شراء أسهم فى بنك ليستر ؛ فقد سعى للاتصال بكل ورثة تشارلز ليستر ، ولكنه لم ينجح إلا فى عقد صفقة واحدة فقط . رفضت سوزان ليستر أن تقابل محامى ويليام عندما حاول الاتصال بها لذا لم يتبين سبب بيعها للستة بالمائة التى كانت تملكها . كان كل ما يستطيع أن يؤكده هو أنه لم تكن هناك أسباب مادية تدفعها إلى ذلك .

كان الملف الذى أعده كوهين شاملا متكاملا بدرجة تثير الإعجاب .

عين هنرى أوسبورن على ما يبدو مديرا لمجموعة البارون عام ١٩٤٦ ؛ مع توليه مسئولية حساب ليستر . ولكن الأهم من ذلك هو أن هابيل روزنوفسكى كان قد حصل على أسهم سوزان ليستر على نحو يستحيل معه الكشف عن صاحب الأسهم الحقيقى وما إن كان هابيل أم أوسبورن. كان روزنوفسكى يملك الآن ستة بالمائة من أسهم ليستر وكان واضحا أنه كان على استعداد لدفع ٧٥٠ ألف دولار أخرى على الأقل لاقتناء الاثنين بالمائة الخاصة ببيتر بارفيت . كان ويليام واثقا تماما مما يمكن أن يقدم عليه هابيل روزنوفسكى فى حال امتلاكه لثمانية بالمائة من الأسهم . ولكن كان ما يثير قلق ويليام بدرجة أكبر هو معدل نمو ليستر مقارنة بمعدل نمو مجموعة البارون ؛ حيث كان يبدو متراجعا عنه بدرجة كبيرة ؛ فقد كان معدل نمو البارون يقترب كثيرا من منافسيه هيلتون وشيراتون . بدأ ويليام يسأل نفسه ثانية ما إن كان قد أصبح من الحكمة أن يخطر مجلس المديرين بما يجرى وما إذا كان ينبغى عليه أن يتصل بهابيل روزنوفسكى بشكل مباشر . بعد بعض الليالى المؤرقة ؛ صرح ويليام لكات بمخاوفه .

أجابت كات : " لا تفعل شيئا إلى أن تتأكد تماما من نواياه وإن كانت بالفعل ترقى إلى مستوى مخاوفك . قد لا يكون الأمر برمته أكثر من زوبعة فى فنجان " .

" بوجود هنرى أوسبورن فى الصورة ، أؤكد لك أن الأمر سوف يعدو أكثر من زوبعة فى فنجان . لا يجب أن أبقى ساكنا فى انتظار ما يخططانه لى " .

" ربما يكون قد تغير يا ويليام . لقد مضى أكثر من عشرين عاما منذ آخر تعامل شخصى لك معه " .



لم تزد كات على ذلك ، ولكن ويليام رضخ لقولها وأقنع نفسه به ولم يفعل شيئاً باستثناء مراقبة كل ما يجرى عن كثب من خلال التقارير ربع السنوية التى كان كوهين يوافيه بها ، آملاً أن يكون حدس كات فى محله .

—

# الفصل الثامن والعشرون

جنت مجموعة فنادق البارون أرباحا طائلة من ازدهار الاقتصاد الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب . لم يكن جنى أرباح كهذه أمرا سهلا منذ العشرينات من القرن - ومع مطلع الخمسينات بدأ يسود شعور عام بأن حالة الازدهار هذه سوف تدوم . ولكن النجاح المادى وحده لم يكن هو الشغل الشاغل الوحيد لهابيل مع تقدمه فى العمر ؛ حيث بدأ يقلق بشأن القضية البولندية ووضع بولندا بعد الحرب بين دول العالم وشعر أن نجاحه لم يكن يساعده على مساندة بلاده التى تقع على بعد أربعة آلاف ميل منه . ما الذى قاله باول زالسكى ؛ قنصل بولندا فى تركيا ؟ " ربما سوف تشهد فى حياتك بعثاً جديداً لبولندا " .

كان هابيل يبذل أقصى ما فى وسعه لكى يؤثر ويقنع رجال الكونجرس فى الولايات المتحدة باتخاذ موقف أكثر حسما بشأن السيطرة الروسية على أوروبا الشرقية . بدا





لهابيل ؛ وهو يشهد تتالى الحكومات الشيوعية العميلة الواحدة تلو الأخرى ، أنه قد جازف بحياته مقابل لا شىء . بدأ يختلط برجال السياسة فى واشنطن ويلتقى برجال الصحافة ويقيم مآدب عشاء للمجتمع البولندى الأمريكى إلى أن اقترن اسم القضية البولندية باسم "بارون شيكاغو " .

وقد كتب الدكتور ثيودور زيمانفيسكى ؛ الأستاذ السابق لمادة التاريخ فى جامعة كراكاوفح مقالا افتتاحيا رائعا عن هابيل و " نضاله من أجل الاعتراف ببلاده " فى جريدة فريدوم ؛ مما شجع هابيل على الاتصال به . كان الأستاذ رجلا مسنا ؛ وعندما دخل هابيل مكتبه اندهش من وهن جسده لأنه لم يكن قد عرف عنه سوى حماسه وتأجج الفكرى . رحب الرجل بهابيل ترحيبا حارا وقدم له بعض الشراب . قال الرجل : " بارون روزنوفسكى . لطالما عجبت بك وبنضالك المتواصل من أجل قضيتنا . بالرغم من أننا لم نقطع شوطا كبيرا إلا أنك على ما يبدو مازلت متشبثا بالأمل " .

" ولم أفقد الأمل ؟ فلطالما آمنت بأن كل شىء ممكن الحدوث فى أمريكا " .

" ولكننى أخشى يا بارون أن الرجال الذين تسعى الآن للتأثير عليهم هم نفس الرجال الذين سمحوا بحدوث الأشياء فى المقام الأول . إنهم لن يقدموا على فعل شىء إيجابى لتحرير شعبنا " .

سأل هابيل : " لا أدرى ما الذى تقصده يا أستاذ ؛ لماذا لن يساعدونا ؟ "

مال الأستاذ إلى الوراء فوق كرسيه : " أنت تعرف بالطبع أيها البارون أن الجيوش الأمريكية قد صدرت لها أوامر واضحة بأن تتباطأ فى تقدمها نحو الشرق لكى تسمح للروس بالسيطرة على أوروبا الوسطى لكى تحكم قبضتها عليها . كان باتون يمكن أن يصل

إلى برلين قبل وصل الروس بزمان ولكن أيزنهاور طلب منه أن يتباطأ . إن زعماءنا فى واشنطن الذين تحاول أن تقنعهم بأن يتقدموا بعتادهم وجيوشهم إلى أوروبا ثانية ، هم نفس الرجال الذين نصحوا أيزنهاور بهذه الأمور " .

" ولكنهم لم يكونوا يدركون فى حينها ما سوف يؤول إليه الاتحاد السوفيتى . كما أن الروس كانوا حلفاءنا . أوافقك الرأى فى أننا تساهلنا معهم كثيراً عام ١٩٤٥ ولكن ليس الأمريكيون أنفسهم هم الذين خانوا الشعب البولندى " .

قبل أن يتحدث زيمانوفيسكى ، مال ثانية إلى الوراء فوق كرسيه وأغمض عينيه فى إعياء :

" لكم تمنيت أن تتعرف على أخى يا بارون روزنوفسكى . لقد علمت فقط فى الأسبوع الماضى أنه قد توفى منذ ستة أشهر فى أحد المعسكرات الروسية التى لا تختلف كثيرا عن المعسكر الذى كنت فيه " .

تقدم هابيل إلى الأمام لكى يبدى بعض التعاطف مع الرجل ولكن زيمانوفيسكى رفع يده وقال : " كلا ، لا تقل شيئا. لقد عرفت هذه المعسكرات بنفسك . لذا يجب أن تدرك أن التعاطف لم يعد يجدى . يجب أن نغير العالم فى الوقت الذى يغط فيه الآخرون فى سبات عميق " . ثم توقف لبرهة وأضاف : " لقد أرسل الأمريكيون أخى إلى الروس " .

نظر إليه هابيل فى ذهول :

" الأمريكيون ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ إذا كان أخوك قد قبض عليه فى بولندا على يد القوات الروسية ـــــ ؟ "



" إن أخى لم يقبض عليه أبدا فى بولندا . وإنما حرر من معسكر الحرب الألمانى بالقرب من فرانكفورت . وبقى فى معسكرات الأمريكيين لمدة شهر كامل ثم سلمته القوات الأمريكية إلى الروس " .

" لا يمكن أن يكون هذا صحيحا . ولمَ يفعلون ذلك ؟ "

كان الروس يريدون إعادة توطين كل السلافيين . إعادة توطينهم بحيث يحكمون عليهم إما بالإعدام أو العبودية . ما لم يفعله هتلر فعله عليهم ستالين . وأنا أستطيع أن أثبت أن أخى كان فى الجانب الأمريكى لأكثر من شهر " .

استأنف هابيل حدثية : " ولكن هل كان هو استثناء أم كان هناك الكثيرون غيره ؟ "

قال زيمانوفيسكى بدون أن يبدى أى انفعال : " كلا . كان هناك الكثيرون ، مئات الآلاف ، وربما يصل عددهم إلى مليون . لا أعتقد أننا سوف نتوصل يوما إلى عددهم الحقيقى . يبدو من الواضح أن القوات الأمريكية تحرص على إبقاء هذا الرقم فى طى الكتمان تحت اسم عملية " كى كانل " .

" عملية كى كانل ؟ ولكن لم يتحدث الناس فى هذا الشأن ؟ إن أدرك الآخرون أننا نحن ـ الأمريكيين ـ نرسل السجناء المحررين ثانية ليموتوا لدى الروس ، فسوف يصابون بالذعر " .

" ليس هناك دليل ، ليس هناك وثائق مكتوبة عن عملية كى كانل . مارك كلارك ـ ذلك الرجل النبيل ـ عصى الأوامر وحذر بعض السجناء مسبقا وسمح لهم بالفرار من معسكرات الأمريكيين قبل تسليمهم للروس . ولكن عدد الفارين مازال قليلا ولن يسمح بفرار أعداد كبيرة منهم . كان أخى أحد التعساء الذين لم يستطيعوا الفرار " . صمت الأستاذ لبرهة ثم استأنف : " على أية حال ، لقد تأخر الوقت كثيرا الآن " .

" ولكن الشعب الأمريكي يجب أن يعلم بذلك ، سوف أشكل لجنة وأطبع منشورات وألقى خطبا . سوف يصغى إلينا رجال الكونجرس بكل تأكيد إن أخبرناهم بالحقيقة " .

" بارون روزنوفسكى ، أعتقد أن هذا الأمر يفوق قدراتك كثيرا " . نهض هابيل من مقعده .

قال الأستاذ : " كلا ، كلا ، لا أقصد بهذا أن أقلل من شأنك . ولكنك لم تفهم بعد عقلية زعماء العالم . لقد وافقت أمريكا على تسليم هؤلاء المساكين لأن ستالين طلب منها ذلك . أنا واثق من أنهم لم يفكروا يوما بأنه يمكن أن تعقد محاكمات ومعسكرات أشغال شاقة وإعدام . ولكننا الآن ونحن نقترب من الخمسينات فلن يقر أحد بأنه قد تورط بشكل مباشر أو غير مباشر . كلا ، إنهم لن يفعلوا ذلك أبدا ، إلا بعد مائة عامة قادمة وعندها سيكون الجميع باستثناء مؤرخين قلائل قد نسوا أن بولندا فقدت ضحايا فى الحرب أكثر من أى أمة على وجه الأرض بما فى ذلك ألمانيا . إن ما كنت آمل فيه بحق هو أن تلعب دورا أكثر وضوحا وقوة فى الحياة السياسية " .

" لقد فكرت بالفعل فى هذا الأمر ولكننى لم أعثر على طريقة . بأى شكل تقصد ؟ "

" لى آراء خاصة فى هذا الصدد أيها البارون لذا يجب أن تحرص على الاتصال بى " . وقف الرجل العجوز على قدميه واحتضن هابيل . ثم أضاف : " وفى هذه الأثناء ، افعل كل ما يمكنك فعله من أجل خدمة قضيتنا ولكن لا تندهش عندما توصد الأبواب فى وجهك " .

فى اللحظة التى وصل فيها هابيل إلى فندق البارون ، التقط سماعة الهاتف وطلب من عامل الهاتف أن يطلب له مكتب



السيناتور دوجلاس . كأن بول دوجلاس سيناتور إيلينوى المنتمى إلى الحزب الديمقراطى الليبرالى ، والذى كان قد انتخب بواسطة جهود الآلة الانتخابية فى شيكاغو ، يحرص دائما على مساعدة هابيل وتلبية كل مطالبه نظرا لأن دائرته الانتخابية تضم أكبر مجتمع بولندى فى البلاد . كان مساعده البولندى آدم توماسيفيتش يتولى مهمة التعامل مع كل ما يخص البولنديين .

" مرحبا يا آدم ، أنا هابيل روزنوفسكى ، أود أن أحادث السيناتور . هل يمكنك أن تحدد لى موعدا للقائه ؟ "

" أخشى أنه ليس موجودا اليوم يا سيد روزنوفسكى . أعرف أنه سوف يسعده أن يتحدث معك فور عودته إلى الولاية يوم الخميس القادم . سوف أخبره بأن يتصل بك مباشرة . هل تحب أن تترك له رسالة ؟ "

" نعم أنت كبولندى سوف يعنيك ما سوف أقول . جاءتنى تقارير من مصادر موثوقة بأن السلطات الأمريكية فى ألمانيا تساعد فى عودة المواطنين البولنديين إلى الأراضى التى احتلها الاتحاد السوفيتى وأن العديد من هؤلاء البولنديين قد تم إرسالهم ثانية إلى معسكرات الأشغال الشاقة فى روسيا ولم يسمع عنهم من وقتها ثانية " .

سادت فترة صمت من الطرف المقابل .

" سوف أعلم السيناتور فور عودته يا سيد روزنوفسكى . شكرا لاتصالك " .

ولكن السيناتور لم يتصل بهابيل يوم الخميس أو الجمعة أو فى عطلة نهاية الأسبوع . وفى صباح الاثنين ، اتصل هابيل بمكتبه وثانية رد عليه آدم توماسيفيتش .

كاد هابيل يرى وجهه المكسو بحمرة الخجل : " نعم يا سيد روزنوفسكى . لقد ترك لك السيناتور رسالة ، فقد كان مشغولا للغاية كما تعرف ، هناك الكثير من الأمور التى يجب أن يسويها قبل عطلة الكونجرس . لقد طلب منى أن أعلمك بأنه سوف يتصل بك فى الحال عندما يجد وقتاً ".

" هل أبلغته برسالتى ؟ "

" أجل ، بالطبع . وقد طلب منى أن أؤكد لك أنه واثق من أن الشائعة التى سمعتها ليست سوى دعاية مناهضة لتشويه سمعة الولايات المتحدة . وقد أضاف أن أحد القواد المشتركين أخبره أن القوات الأمريكية قد صدرت لها أوامر بعدم تسليم أى شخص تحت إشرافهم ".

بدا توماسيفيتش وكأنه يقرأ خطبة أعدت جيداً وشعر هابيل أن أول باب قد أوصد فى وجهه . فلم يكن السيناتور دوجلاس قد أقدم من قبل أبدا على تجنب محادثته .

وضع هابيل سماعة الهاتف وطلب من سكرتيره أن يتصل بسيناتور آخر كان قد اشتهر بجرأته فى الإفصاح عن رأيه فى أى شخص وإخضاعه للمساءلة .

جاء مكتب سيناتور جوزيف مكارثى على الخط وسأل عن اسم المتحدث فقالت له السيدة التى ردت على الهاتف بعدما سمعت اسم المتحدث وسبب الاتصال : " سوف أحاول العثور على السيناتور ".

كان مكارثى يقترب من قمة مجده وكان هابيل يدرك أنه سوف يكون محظوظا إن حظى بالحديث معه لبضع دقائق على الهاتف .

كانت كلمات مكارثى الأولى : " السيد روزينيفسكى ".



لم يكن هابيل واثقا ما إن كان الرجل قد تعمد الخطأ فى نطق اسمه أم أنه كان هناك عبى فى الخط . " ما هو الأمر بالغ الخطورة الذى كنت تريد أن تناقشه معى ؟ " . تردد هابيل ، شعر بتوتر عندما أدرك أنه بالفعل يخاطب السيد مكارثى بشكل مباشر .

جاءه صوت السيناتور ليخفف من وطأة شعوره بالتوتر : " سرك فى مأمن معى ".

قال هابيل : " بالطبع " ثم صمت ثانية لكى يستجمع أفكاره . " لقد كنت أيها السيناتور خطيبا مفوها تنادى بتحرير أوروبا الشرقية من قبضة الشيوعية ".

" بالطبع أنا كذلك . وأنا سعيد لأنك تقدر ذلك يا سيد روزينيفسكى ".

فى هذه المرة كان هابيل واثقا من أن الرجل قد أخطا نطق اسمه عن عمد ولكنه قرر ألا يعلق على الأمر .

واصل السيناتور حديثه : " بالنسبة لأوروبا الشرقية أنت تعلم أنه لا يمكن الإقدام على تحرير بلادكم إلا بعد إقصاء هؤلاء الخونة عن حكومتنا ".

" هذا هو تحديدا ما أود أن أحادثك فيه أيها السيناتور . لقد حققت نجاحاً باهراً فى تطهير حكومتنا من الخيانة ، ولكن إلى الآن بقيت أحد أكبر الجرائم الشيوعية خافية عن الرأى العام ".

" ما هى هذه الجريمة البشعة التى تتحدث عنها يا سيد روزينيفسكى ؟ فقد عثرت على أشياء كثيرة منذ وصولى إلى واشنطن ".

" إننى أتحدث عن " - ثم سحب هابيل نفسه إلى أعلى قليلا فى وضع أكثر استقامة فوق مقعده - " عن إعادة التوطين الإجبارى لآلاف من المواطنين البولنديين من قبل السلطات الأمريكية بعد

انتهاء الحرب . لقد تم إرسال الأبرياء المناهضين للشيوعية إلى بولندا ومنها إلى الاتحاد السوفيتى لكى يواجهوا مصيراً من اثنين إما الاستعباد أو القتل " . بقى هابيل فى انتظار تلقى الرد ولكنه شعر أنه لن يحصل عليه . ثم سمع قرقعة وأخذ يتساءل إن كان هناك شخص آخر ينصت إلى الحوار .

قال السيناتور ، بعد أن تغيرت نبرته تماما : " كيف يمكن أن تكون بهذا الغباء يا روزينيفسكى ؟ أنت تجرؤ على الاتصال بى لكى تخبرنى بأن الجنود الأمريكيين الأوفياء أرسلوا آلاف البولنديين ثانية إلى الروس وأنه لم يسمع أحد بهذا الأمر ؟ هل تطلب منى أن أصدق ذلك ؟ حتى البولندى لا يمكن أن يصدق مثل هذا الهراء . أتساءل كيف يمكن أن تصدق كذبة كهذه بدون دليل ؟ هل تريدنى أيضا أن أصدق أن الجنود الأمريكيين خونة ؟ هل هذا ما تريد ؟ أخبرنى يا روزينيفسكى ، ما الذى دهاكم جميعاً أيها الناس ؟ هل أنتم من الغباء بحيث تصدقون هذا التشنيع الشيوعى حتى إن كان بمثابة لطمة على وجوهكم ؟ هل أنتم على استعداد لإهدار وقت سيناتور مكبل بالعمل بسبب إشاعة روج لها المعسكر الأحمر لكى يثير القلاقل فى أوساط المهاجرين داخل أمريكا ؟ "

بقى هابيل بلا حراك ، ذاهلاً أمام هذه الثورة العارمة . قبل أن تنتهى نصف خطبة التقريع ، أدرك هابيل أن أى اعتراض سوف يكون بلا جدوى . بينما بقى منتظرا لانتهاء الخطبة المحمومة ، شعر بالسعادة لأن السيناتور لم ير وجهه الذاهل .

قال هابيل فى هدوء : " سيناتور ، أنا واثق أنك محق وإنى جد آسف لأننى أهدرت وقتك . إننى لم أفكر فى الأمر على هذا النحو من قبل " .



قال مكارثى بنبرة أكثر تلطفا : " حسنا ، هذا يثبت لك مدى مكر ومراوغة هؤلاء الأوغاد الشيوعيين . يجب أن تُبقى عينيك مفتوحتين عليهم طوال الوقت . على أية حال ، أتمنى أن تكون أكثر إدراكا الآن لهذا الخطر المحدق الذى يحيق بكل أمريكى " .

" بالطبع أيها السيناتور ، أشكرك ثانية على تكبد عناء محادثتى شخصيا . إلى اللقاء " .

" إلى اللقاء يا روزينيفسكى " .

سمع هابيل سماعة الهاتف وهى تعاد إلى مكانها وأدرك أن وقعها كان مماثلا تماما لوقع الباب الذى أغلق بشدة .

# الفصل التاسع والعشرون

بدأ ويليام يشعر أنه قد تقدم فى السن عندما كانت كات تمازحه بشأن الشعيرات الرمادية التى بدأت تظهر فى رأسه والتى كان قد اعتاد إحصاءها من قبل ولكنه لم يعد قادرا على عدها بعد أن ازداد عددها ، وعندما بدأ ريتشارد يحضر صديقاته إلى البيت . كان ويليام يؤيد دائما ذوقه فى انتقاء السيدات الصغيرات ، كما كان ويليام يطلق عليهن ، ربما لأنهن جميعا كن يشبهن كات التى كان ويليام يعتبرها قد ازدادت جمالا فى منتصف العمر أكثر من أى وقت مضى . أما ابنتاه فيرجينيا ولوسى ـ اللتان كانتا قد أصبحتا آنستين صغيرتين فقد كانتا تشعان فى نفسه سعادة غامرة لأنهما كانتا تشبهان والدتهما . كانت فيرجينيا قد أصبحت فنانة حقيقية وكانت جدران غرفتها والمطبخ مغطاة بآخر أعمالها العبقرية ـ كما كان يصفها ريتشارد ساخرا . وقد بدأ انتقام فيرجينيا من أخيها عندما بدأ دروس الشيلو والتى كان حتى الخدم يعلقون أحيانا بعض





التعليقات الساخرة عليها عندما يحدث ريتشارد أى نشاز . أما لوسى فقد كانت تعشق أختها وأخاها وكانت تنظر إلى فيرجينيا بعين الإجلال باعتبارها بيكاسو العصر الجديد وإلى ريتشارد باعتباره أفضل عازف للشيلو . بدأ ويليام يتساءل عما سوف يحمله المستقبل لأبنائه الثلاثة عندما يغيب هو عنهم .

كانت كات ترى أن أبناءها الثلاثة يبلون بلاء حسنا . كان ريتشارد الآن قد أصبح فى مدرسة سانت بول ، وقد أحرز تقدما كافيا فى الشيلو مكنه من الالتحاق بالفرقة الموسيقية فى المدرسة . بينما نجحت فيرجينيا فى رسم لوحة جميلة إلى حد سمح لها بتعليقها فى الغرفة الأمامية . وقد أصبح من الواضح لكل أفراد الأسرة أن لوسى سوف تكون فائقة الجمال حيث إنها كانت تتلقى رسائل غرامية وهى لا تزال فى الحادية عشرة من عمرها من أولاد لم يكن لهم هم حتى هذه السن إلا بالبيسبول .

وفى عام ١٩٥١ ، قبل ريتشارد فى هارفارد وبالرغم من أنه لم ينجح فى الفوز بالمنحة الدراسية لمادة الرياضيات إلا أن كات أكدت لويليام أنه يلعب البيسبول ويعزف على الشيلو فى سانت بول ، وهما إنجازان لم يكن ويليام قد جرؤ على الاقتراب منهما . كان ويليام يفخر فى قرارة نفسه بإنجازات ريتشارد ولكنه كان مع ذلك يهمس لكات بأنه لم يعرف الكثير من المصرفيين الذين يمارسون البيسبول ويعزفون على الشيلو .

كان العمل المصرفى يسير فى طريق الازدهار والتوسع فى وقت هيمن فيه الشعور بالسلام الدائم . وسرعان ما وجد ويليام نفسه غارقا فى العمل ولفترة قصيرة واقعا تحت وطأة تهديد هابيل روزنوفسكى ومشاكله النابعة من الماضى .

كانت التقارير ربع السنوية المتوالية من ثاديوس كوهين تشير إلى أن نشاط روزنوفسكى قد بدأ يسير فى منحنى لم يكن بالإمكان تجاهله ، فقد كان يحاول من خلال طرف ثالث إعلام كل حامل أسهم باستثناء ويليام برغبته فى شراء أسهم ليستر . أخذ ويليام يتساءل إن كان هذه التوجه سوف يدفعه نحو مواجهة صريحة مع هذا البولندى . بدأ يشعر أن وقت إخطار مجلس إدارة بنك ليستر بتصرفات روزنوفسكى أصبح وشيكا ، وربما يقدم استقالته إذا أصبح البنك واقعاً تحت الحصار ، وهو التصرف الذى سوف يشيع داخل هابيل روزنوفسكى الشعور بزهو الانتصار وهو السبب الوحيد الذى دفع ويليام إلى عدم الإقدام على هذا التصرف . وقد قرر أنه إن كتب عليه أن يناضل من أجل حياته فسوف يفعل ويخوض الصراع ، وإن كان هناك شخص يجب أن يسقط ويهزم فسوف يبذل أقصى جهده لكى لا يكون هذا الشخص هو ويليام كين .

كانت مشكلة ما يجب فعله بشأن البرنامج الاستثمارى لهابيل روزنوفسكى قد أصبحت أخيرا خارج نطاق سيطرة ويليام .

فى بدايات عام ١٩٥١ ، عرض على البنك مشروع تمويل شركة طيران أمريكية جديدة تسمى شركة طيران إنتر ستيت بعد أن حصلت على تصريح من إدارة الطيران الفيدرالى يسمح لها بتنظيم رحلات جوية بين الساحلين الشرقى والغربى . عرضت الشركة على بنك ليستر فكرة تمويل المشروع الذى كان سيتكلف ٣٠ مليون دولار وهو المبلغ الى فرضته اللائحة الحكومية لدعم المشروع .

لاقى المشروع بعد الدراسة ترحيبا من قبل ويليام ووجده مشروعا يستحق المساندة وكان يقضى كل وقته فى طرح عروض عامة للحصول على التمويل اللازم الذى تقدر قيمته بثلاثين مليون دولار . أما البنك باعتباره المشرف على المشروع فقد سخر كل موارده المالية



لمساندة المشروع الجديد . أصبح المشروع شغل ويليام الشاغل منذ عودته إلى ليستر ، وقد أدرك ويليام أن سمعته الشخصية أصبحت على المحك بعد أن اقتحم السوق بثلاثين مليون دولار . وفى يوليو ، عندما تم إعلان تفاصيل العرض ، تكالب الناس على شراء الأسهم التى نفدت فى غضون أيام . تلقى ويليام ثناء من كل الفروع على الطريقة التى تعامل بها مع المشروع مما حقق له هذا النجاح منقطع النظير . كان ويليام هو الآخر يشعر بسعادة غامرة إلى أن قرأ فى تقرير ثاديوس كوهين التالى أن هابيل روزنوفسكى قد اقتنى من خلال إحدى شركاته الوهمية عشرة بالمائة من أسهم شركة الطيران .

أدرك ويليام أن الوقت قد حان للإفصاح عن مخاوفه لكل من تيد ليتش وتونى سيمونس . طلب من تونى أن يأتى إلى نيويورك حيث قص على نائبى البنك ملحمة هابيل روزنوفكسى وهنرى أوسبورن .

كان رد فعل تونى سيمونس الأول : " لِمَ لم تخبرنا بالأمر من قبل ؟ " .

" كنت أتعامل مع مئات الشركات فى حجم مجموعة ريكموند عندما كنت أعمل فى كين وكابوت يا تونى ولم يكن بوسعى وقتها أن أقرر إن كان جادا بشأن الانتقام . إننى لم أكتشف إلا مؤخرا فقط أن روزنوفسكى كان مصرا على النيل منى عندما أقدم على شراء عشرة بالمائة من أسهم شركة طيران إنتر ستيت " .

قال تيد ليتش : " أعتقد أنها قد تكون مبالغة من جانبك لأن هناك شيئا واحدا فقط أنا واثق منه وهو أنه لن يكون من الحكمة إخطار باقى أفراد مجلس الإدارة بهذه المعلومات . إن آخر شىء

نريده بعد أيام قليلة من إعلان شركة جديدة هو إثارة موجة من الذعر يمكن أن تدفع المستثمرين إلى التخلص من الأسهم ".

قال تونى سيمونس : " بالطبع . لِمَ لا تقابل هذا المدعو روزنوفسكى وتتحدث معه ؟ "

أجاب ويليام : " أعتقد أن هذا هو ما يسعى وراءه تحديدا . سوف يشعره هذا بلا شك بأن البنك يشعر أنه قد وقع تحت الحصار ".

" ألا ترى أن هذا السلوك يمكن أن يتغير إن أخبرته بأنك قد بذلت قصارى جهدك لكى يدعم البنك مجموعة ريكموند ولكنهم لم يؤيدوا وجهة نظرك و ـــــ ؟ "

" أنا واثق أن هذا لن يحدث فارقا " .

سأل تيد ليتش : " حسنا ، ما الذى تظن أن البنك يجب أن يفعله ؟ نحن بالطبع لا نملك أن نمنعه من شراء أسهم ليستر إن وجد من يريد البيع . أما إن أقدمنا نحن على شراء أسهمنا فسوف نضع أنفسنا بين قبضه يديه لأننا سوف ندفع بذلك السعر إلى أعلى ونرفع قيمة ما يملكه بالفعل مما سوف يعرض وضعنا المالى للخطر . أنا واثق من أن هذا هو أقصى ما يصبو إليه . نحن نمثل تحديدا الحجم الذى يتطلع هارى ترومان إلى الإيقاع به وليس هناك ما يتطلع إليه الحزب الديمقراطى أفضل من فضيحة وكارثة بنكية مع اقتراب الانتخابات " .

قال ويليام : " أرى أننى لا أملك أن أفعل الكثير حيال الأمر ، ولكننى كان يجب أن أخبركم بنية روزنوفسكى لأنه قد يفاجئنا بأمر ما " .



قال تونى سيمونس : " أعتقد أنه مازال أمامنا فرص أخرى وهى أن يكون الأمر كله لا يعدو كونه استثماراً بريئاً وأنه فقط يحترم موهبتك كمستثمر " .

" كيف يمكن أن تقول ذلك يا تونى وأنت تعلم أن زوج أمى السابق متورط فى الأمر ؟ هل تظن أن روزنوفسكى قد استخدم هنرى أوسبورن لكى يدعم نجاحى ؟ هذا يعنى بوضوح أنك لا تفهم روزنوفسكى . لقد راقبته عن كثب على مدى عشرين عاما . إنه لا يقبل الهزيمة ؛ إنه يواصل رمى النرد إلى أن يحقق المكسب ؛ إننى أعرفه جيدا كما لو كان فردا من أفراد أسرتى . إنه سوف ... " .

" الآن ، لا تفرط فى المبالغة يا ويليام ؛ أنا أتوقع ـــــ " .

" لا أفرط فى المبالغ يا تونى ؟ تذكر قوة المواد الخاصة بالتأسيس التى تمنح لأى شخص يحصل على ثمانية بالمائة من أسهم البنك وهى المادة التى أدرجتها بنفسى لكى أحمى نفسى من الإقالة . إن الرجل قد حصل بالفعل عى ستة بالمائة من الأسهم وإن لم يكن هذا سيئا بدرجة كافية بالنسبة للمستقبل فلا تنس أن روزنوفسكى يمكن أن يسحق شركة طيران إنتر ستيت فى الحال إن طرح كل أسهمه فى السوق دفعة واحدة " .

قال تيد ليتش : " ولكنه لن يجنى شيئا من وراء هذا التصرف ، على العكس ، سوف يفقد الكثير من المال " .

قال ويليام : " صدقنى ، أنت لا تفهم الطريقة التى يفكر بها هابيل روزنوفسكى . إنه يملك شجاعة الأسد وهذه الخسارة لا تعنى شيئا بالنسبة له . لقد بدأت أدرك سريعا أن كل ما يصبو إليه هو أن يصبح مساويا لى . أجل بالطبع قد يخسر مالا إن أغرق أسهم إنتر ستيت ولكن مع ذلك سوف تبقى له سلسلة فنادقه لكى يعتمد

عليها . إنه يملك واحداً وعشرين فندقا الآن كما تعرف وهو يدرك تماما أنه إن انهارات إنتر ستيت بين يوم وليلة فسوف نتلقى بدورنا لطمة قاسية . نحن كمصرفيين نكتسب مصداقيتنا من ثقة الجمهور فيما نقدم عليه ، وهى الثقة التى يمكن أن ينال منها هابيل روزنوفسكى الآن أو فى الوقت الذى يناسبه " .

قال تونى سيمونس : " اهدأ يا ويليام . إن الأمر لم يصل بعد إلى هذا الحد ، الآن بعد أن عرفنا ما يرمى إليه روزنوفسكى ، يمكننا أن نبقيه تحت المراقبة الدقيقة . يمكننا أن نتصدى لتحركاته كلما احتجنا إلى ذلك . إن أول شىء يجب أن نتأكد منه هو ألا يقدم أحد على بيع أسهمه فى البنك قبل أن يعرض هذا عليك أولا . إن البنك سوف يساند أى قرار أو تصرف سوف تتخذه . ولكنى مازلت أرى أن تتحدث مع روزنوفسكى بشكل شخصي وتصارحه بالأمر . على الأقل سوف يسمح لك هذا بالكشف عن حقيقة نواياه وما يجب أن نعد أنفسنا لمواجهته " .

" هل هذا هو رأيك أنت الآخر يا تيد ؟ " .

" نعم ، أوافق تونى الرأى ، أعتقد أنك يجب أن تتصل به مباشرة . إن الكشف عن حقيقة نواياه سوف يحقق صالح البنك " .

جلس ويليام صامتا لبضع لحظات ثم نطق أخيراً : " إن كنتما تتفقان فى الرأى فيجدر بى أن أسعى للمحاولة ، ولكننى يجب أن أقر أن حكمى قد يكون خاطئا نظرا لكونى طرفا شخصيا فى الأمر . فقط دعونى أفكر فى الأمر لأيام قليلة أوافيكما بعدها بما توصلت إليه " .

بعدما غادر النائبان مكتبه ، جلس ويليام وحيدا يفكر فى التصرف الذى وافق على الإقدام عليه ، بالطبع لن يكون هناك أمل



كبير فى النجاح مع هابيل روزنوفسكى مادام هنرى أوسبورن متورطا فى الأمر .

بعد أربعة أيام أخرى ، جلس ويليام فى مكتبه وطلب عدم مقاطعته تحت أى ظرف . كان يعرف أن هابيل روزنوفسكى يجلس هو الآخر فى مكتبه فى فندق بارون نيويورك . كان ويليام قد أرسل رجلا لكى يبقى مرابطا داخل الفندق طوال النهار ويعلمه فور وصول السيد روزنوفسكى . اتصل الرجل وأخبر ويليام أن هابيل وصل فى الثامنة وسبع وعشرين دقيقة صباحا وتوجه إلى مكتبه مباشرة فى الطابق الثانى والأربعين ولم يبرحه منذ ذلك الحين . التقط ويليام سماعة الهاتف وطلب من العامل أن يطلب له فندق البارون .

" فندق البارون نيويورك " .

قال ويليام فى توتر : " هل يمكن أن أحادث السيد روزنوفسكى ؟ " .

كرر ويليام ولكن بصوت أكثر ثباتا فى هذه المرة : " هل يمكن أن أحادث السيد روزنوفسكى من فضلك ؟ " .

قالت السكرتيرة : " هل لى أن أعرف من المتحدث ؟ " .

" اسمى ويليام كين " .

سادت فترة صمت طويلة أو ربما يكون ببساطة قد هيئ لويليام هكذا .

" أنا لست واثقة إن كان موجودا يا سيد كين ولكننى سوف أرى ذلك " .

ثم سادت فترة صمت طويلة

" السيد كين ؟ " .

" السيد روزنوفسكى ؟ " .

سأل هابيل فى صوت بالغ الهدوء مشوبا ببعض الكبرياء :

" ما الذى يمكن أن أسديه لك يا سيد كين ؟ "

بالرغم من أن ويليام كان قد أعد مقدمة حديثه بمنتهى العناية ، فقد كان واثقا من أن صوته خرج مضطربا .

قال ويليام : " أنا قلق بعض الشىء بشأن أسهمك فى بنك ليستر يا سيد روزنوفسكى . وكذلك من وضعك القوى فى إحدى الشركات التى نمثلها . وقد فكرت ربما أن الوقت قد حان لكى نلتقى ونفصح عن نوايانا . كما أن هناك أيضا أمرا شخصيا أود أن أخبرك به " .

سادت فترة صمت طويلة . هل أغلق الهاتف ؟

" ليس هناك ما يمكن أن يدفعنى لمقابلتك يا كين . يكفينى ما أعرفه عن ماضيك ، لذلك فأنا لست بحاجة لسماع الأعذار . أبق عينيك مفتوحتين طوال الوقت وسوف تكشف بوضوح عن نواياى التى تختلف كثيرا عن تلك الدوافع والنوايا التى قرأت عنها فى المراجع والكتب يا سيد كين . فى يوم من الأيام سوف أدفعك إلى الرغبة فى إلقاء نفسك من الطابق السابع عشر ، من إحدى نوافذ فنادقى لأنك سوف تعانى من مشاكل خطيرة مع بنك ليستر بسبب أسهمى . أنا فقط بحاجة إلى اثنين بالمائة من الأسهم لكى أنفذ المادة رقم سبعة وكلانا يعرف ما يعنيه ذلك ، أليس كذلك ؟ ربما سوف تقدر بعدها للمرة الأولى ما شعر به ديفيز ليروى وهو يتساءل على مدى أشهر عن القرار الذى اتخذه البنك بشأن حياته . الآن يمكنك أن تجلس وتتساءل على مدى سنوات عما أنا عازم على فعله بعد أن أمتلك ثمانية بالمائة من أسهم البنك " .

أثارت كلمات هابيل ذعر ويليام ولكنه نجح بشكل ما فى التحامل على نفسه واستعادة هدوئه وهو يدق فى نفس الوقت بيده



فى غضب فوق مكتبه : " يمكننى أن أتفهم شعورك يا سيد روزنوفسكى ولكننى مازلت أعتقد أنه من الحكمة أن نلتقى لتباحث الأمر . هناك أمر أو أمران أود أن أخبرك بهما " .

"مثل الطريقة التى تحايلت بها على هنرى أوسبورن لكى تسلبه الخمسمائة ألف دولار يا سيد كين ؟ "

بقى ويليام صامتا وأراد أن ينفجر ولكنه ثانية ضغط على أعصابه ونجح فى استعادة هدوئه .

" كلا يا سيد روزنوفسكى ، إن ما أود أن أحادثك فيه ليس له أية صلة بالسيد أوسبورن . إنه أمر شخصى خاص بك أنت وحدك . ومع ذلك ، فأستطيع أن أؤكد لك بأننى لم أسلب يوما من السيد أوسبورن سنتاً واحدا " .

" ولكن هذا ليس رأى هنرى . إنه يقول إنك المسئول عن وفاة والدتك لأنك لم ترد أن تفى بالدين . وبعد ما فعلته مع ديفيز ليروى فأنا لا أجد صعوبة فى تصديق ما يقول " .

لم يكن ويليام قد بذل من قبل جهدا مضنيا كهذا لكى يسيطر على مشاعره . من يظن نفسه هذا الرجل ؟ وقد استغرق بضع ثوان لكى ينجح فى الرد : " أقترح أن ننسى سوء الفهم هذا من خلال لقاء فى مكان محايد من اختيارك بحيث لا يتعرف فيه أحد علينا " .

" هناك مكان واحد فقط لا يمكن أن يتعرف فيه أحد عليك يا سيد كين " .

سأل ويليام : " أين ؟ "

قال هابيل : " فى السماء " ثم أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها .

—

# الفصل الثلاثون

قال هابيل للسكرتيرة : " اتصلى بهنرى أوسبورن على الفور " .

أخذ يطرق بأصابعه على المكتب إلى أن استغرقت السكرتيرة خمس عشرة دقيقة فى العثور على رجل الكونجرس السيد أوسبورن الذى كان يجرى جولة مع أبناء دائرته حول مبنى الكابيتول .

" هابيل ، هل أنت المتحدث ؟ " .

" نعم يا هنرى ، كنت أعتقد أنك أول شخص يجب أن يعرف أن كين يعرف كل شىء وهذا يعنى أن المعركة قد أصبحت الآن مكشوفة " .

سأل هنرى فى قلق : " ما الذى تقصده بأنه يعرف كل شىء ؟ هل تظن أنه يعرف أننى مشترك معك فى الأمر ؟ " .

" بالطبع يعلم ، كما يبدو أنه يعرف كل شىء عن حساباتى الخاصة فى بنك ليستر وشركة طيران إنتر ستيت " .

" ولكن كيف عرف بكل هذه الأشياء ؟ فلا أحد يعرف سواى أنا وأنت هذه الحسابات الخاصة " .





أجابه هابيل مقاطعا : " وكورتيس فنتون " .

" أجل ولكنه لا يمكن أن يكون قد أخبر كين " .

" لابد أنه فعل . ليس هناك شخص آخر . لا تنس أن كين كان يتعامل معه مباشرة عندما اشتريت مجموعة ريكموند من البنك . أعتقد أنه ظل بينهما تواصل منذ ذلك الوقت " .

" يا إلهى " .

" تبدو قلقا يا هنرى " .

" إن كان ويليام كين يعرف كل شىء ، فهذا يعنى أن قوانين اللعبة قد اختلفت . أنا أحذرك يا هابيل ، إن هذا الرجل لا يحب الخسارة " .

قال هابيل : " ولا أنا ، كما أن ويليام كين لا يخيفنى وأنا أحمل كل هذه البطاقات الرابحة بين يدى . ما هى آخر مقتنياتنا فى أسهم كين ؟ " .

" على ما أذكر أنت تملك ستة بالمائة من أسهم بنك ليستر وعشرة بالمائة من شركة إنتر ستيت الجوية ، بالإضافة إلى الأسهم التى تملكها هنا وهناك من الشركات التى تتعامل مع بنك ليستر . أنت فقط بحاجة إلى اثنين بالمائة من ليستر لكى تُفعل المادة رقم ٧ ومازال بيتر بارفيت يراوغ من أجل البيع " .

قال هابيل : " ممتاز . أنا الآن أرى كيف يمكن أن نحسن الوضع . واصل تفاوضك مع بارفيت وضع فى اعتبارك أننى لست متعجلا لأنى أدرك تماما أن كين لا يستطيع الاقتراب منه . بالنسبة للوقت الحاضر ، لندع كين يتساءل عما نحن عازمون عليه . واحرص على ألا تفعل شيئا قبل أن أعود من أوروبا . بعد حديثى الهاتفى مع كين هذا الصباح ، يمكننى أن أؤكد لك ولكى لا أكون فظا أنه قد بدا يتصبب عرقا من هول الموقف . ولكن أصارحك القول

يا هنرى فأنا لا أتصبب عرقا . يمكنه أن يبقى على هذه الحال لأنه ليست لدىّ أية نية للإقدام على أى تحرك قبل أن أكون على أهبة الاستعداد " .

قال هنرى : " حسنا سوف أوافيك بأى تطور مقلق " .

" يجب أن تضع فى اعتبارك يا هنرى أنه ليس هنا ما يقلقنا . لقد أحكمنا قبضتنا على السيد كين وسوف نضغط عليه شيئا فشيئا " .

قال هنرى وقد بدت نبرة صوته أكثر سعادة : " سوف يسعدنى رؤية ذلك " .

" أحيانا أشعر أنك تكره كين أكثر مما أكرهه أنا " .

ضحك هنرى فى توتر : " استمتع بوقتك فى أوروبا " .

وضع هابيل سماعة الهاتف وأخذ يحدق إلى الفضاء وهو يفكر فى خطوته التالية ، وأصابعه مازالت تطرق بصوت مسموع مكتبه . دخلت سكرتيرته المكتب .

" اتصلى بالسيد كورتيس فنتون فى بنك كونتيننتال تراست " قالها بدون أن ينظر إليها . واصل الطرق على المكتب بأصابعه وواصل التحديق بعينيه . بعد مرور لحظات قليلة دق جرس الهاتف .

" فنتون ؟ " .

" صباح الخير يا سيد روزنوفسكى ، كيف حالك ؟ " .

" أريدك أن تغلق كل حساباتى فى بنكك " .

لم يسمع هابيل ردا من الطرف المقابل .

" هل سمعتنى يا فنتون ؟ " .

قال الرجل المصرفى فى ذهول : " نعم ولكن هل لى أن أسألك عن السبب يا سيد روزنوفسكى ؟ " .



" لأنى لا أحب الخونة يا فنتون ، هذا هو السبب . كما أنك منذ هذه اللحظة لا تنتمى إلى مجلس إدارة مجموعة البارون . سوف تصلك كل هذه التعليمات مكتوبة وتطالبك بتحويل كل حسابات شركتنا لدى البنك " .

" ولكننى لا أفهم السبب يا سيد روزنوفسكى ، ما الذى فعلته ... ؟ " .

وضع هابيل السماعة بينما كانت ابنته تدخل المكتب .

" لم يكن هذا جيدا يا أبى " .

قال هابيل ، بعد أن تغيرت نبرة صوته فى الحال : " لم أكن أقصد أن يكون جيدا ولكن لا تشغلى بالك بهذا يا عزيزتى . هل عثرت على كل الملابس التى كنت تبحثين عنها ؟ " .

" نعم ، شكرا يا أبى ولكننى لست واثقة كيف يرتدون ثيابهم فى لندن وباريس ، أتمنى فقط أن أكون قد انتقيت الملابس المناسبة حتى لا أبدو غير مسايرة للموضة هناك " .

" سوف تبدين فى غاية الأناقة يا عزيزتى ، أى شخص يتمتع بذوقك يجب ألا يخشى ذلك . سوف تكونين أجمل فتاة فى أوروبا . سوف يلحظون مدى رقى ذوق ملابسك . وسوف يتساقط الشباب الأوروبى فوق بعضهم البعض أمام جمالك ولكننى سوف أكون موجودا لإنقاذ الموقف . والآن دعينا نذهب ونتناول الغداء سويا ونناقش ما سوف يحدث أثناء تواجدك فى لندن " .

بعد عشرة أيام ، وبعد أن قضت فلورنتينا عطلة نهاية أسبوع طويلة مع والدتها ـ التى لم يكن هابيل يتفقد أخبارها أبداً ـ طار الوالد بصحبة ابنته من مطارهيد لدويلد فى نيويورك إلى مطار هيثرو فى لندن . استغرقت الرحلة داخل الطائرة البوينج ٣٧٧ ما يقرب

من أربع عشرة ساعة وبالرغم من أنه كان لكل منهما مضجع خاص ، فإن أول شيء كانا يتطلعان إليه فور وصولهما إلى كلاريدج فى شارع بروك هو أخذ قسط وافر آخر من النوم .

كان هابيل قد قام بهذه الرحلة لثلاثة أسباب ، الأول هو أن يؤكد على عقود بناء فنادق البارون الجديدة فى لندن وباريس وربما فى روما ، والثانى أن يمنح فلورنتينا جولة أولى فى أوروبا قبل أن تبدأ دراستها فى رادكيلف لدراسة اللغات الحديثة ، والثالث وهو الأكثر أهمية أن يزور قصره فى بولندا ويرى إن كانت هناك فرصة لإثبات ملكيته له .

حققت رحلة لندن مكسبا قيما لكليهما . كان مستشارو هابيل قد عثروا على موقع فى أحد أركان هايد بارك وكان قد أصدر تعليماته لمحاميه ببدء التفاوض الفورى لشراء الأرض واستخراج تصاريح البناء اللازمة لبناء فرع البارون فى العاصمة الإنجليزية . وقد شعرت فلورنتينا أن التقشف الذى كانت تعانى منه لندن إثر الحرب كان كبيرا مقارنة بالرفاهية التى كانت تعيشها فى بلدها ومع ذلك فقد بدا سكان لندن وكأنهم مازالوا يؤمنون بأنهم أصحاب أكبر سلطة وقوة فى العالم . دعيت فلورنتينا للكثير من مآدب الغداء والعشاء والحفلات الراقصة وقد كان أبوها محقا عندما أكد لها أن ذوقها فى الملابس كان رائعا كما كان محقا بشأن تأثيره على الشباب الأوروبى . كانت فلورنتينا تعود كل ليلة بعينين متوهجتين لتقص على والدها حكايات عن معجبيها الجدد والتى كانت تنسى معظمها مع حلول صباح اليوم التالى ولكنها لم تكن تنساها كلها لأنها لم تكن واثقة ما إن كانت تريد أن تتزوج أحد رجال الحرس الذين كانوا يحبون إلقاء التحية عليها أو عضو مجلس اللوردات الذى كان فى



انتظار الملك . لم تكن فلورنتينا تدرك تماما ماذا يقصد بكلمة " فى انتظار الملك " ولكنه بالتأكيد كان يعرف تماما كيف يعامل امرأة .

فى باريس ظل الحال على ما هو عليه ، ونظرا لأن كليهما كان يجيد اللغة الفرنسية فقد نجحا فى التواصل جيدا مع سكان باريس تماما مثلما كان الحال فى انجلترا . كان من الطبيعى أن يشعر هابيل بالملل فى نهاية الأسبوع الثانى من العطلة ويبدأ عد الأيام الباقية على عودته إلى بلده لكى يستأنف عمله ، ولكن لم يراوده هذا الشعور وفلورنتينا فى صحبته . لقد أصبحت فلورنتينا ـ بعد انفصال أبيها عن أمها ـ محور حياته والوريث الوحيد لكل ثروته .

عندما حان وقت مغادرة باريس ، لم يكن أى منهما يريد أن يرحل ، فبقى لبضعة أيام أخرى ادعى خلالها هابيل أنه مازال يفاوض من أجل شراء فندق شهير ولكنه متهالك فى بولفارد راسبيل . لم يخبر مالك الفندق السيد نوفيه ، الذى كان يبدو أكثر تهالكا من الفندق نفسه ، أنه قد عزم على هدم البناء والبدء من الصفر . عندما وقع السيد نوفيه العقود بعد أيام قليلة ، أمر هابيل بهدم الفندق بينما غادر هو وفلورنتينا بعدما نفدت كل حججهم للبقاء فى باريس إلى روما ولكن فى شيء من التردد .

بعد الود الإنجليزى وبهجة العاصمة الفرنسية ، جاء تجهم ودمار المدينة الأبدية ليثبط روحهما المعنوية ، بعد أن شعر سكان روما أنه لم يعد قد بقى لهم ما يحتفون به . بدت متعة لندن وباريس وكأنها تبعد بعدا شاسعا عنها . فى لندن كانا قد قضيا أوقاتهما فى التجول فى متنزهات رويال باركز الرائعة وتأمل البنايات التاريخية الفخمة وظلت فلورنتينا ترقص حتى وقت مبكر من الصباح . فى باريس ، ذهبا إلى الأوبرا وتناولا الغداء على ضفة

السان وركبا السفينة فى النهر وشاهدا العروض المسرحية وذهبا لتناول العشاء فى الحى اللاتينى . فى روما ، شعر هابيل بحالة عدم استقرار مالى مخيفة وقرر أن يرجئ مشروعاته لبناء فندق فى العاصمة الإيطالية فى الوقت الراهن . شعرت فلورنتينا بتوق أبيها لرؤية قصره فى بولندا ثانية ، لذا اقترحت عليه مغادرة روما قبل الموعد المحدد ببضعة أيام .

اصطدم هابيل بالبيروقراطية التى ترددت كثيرا فى منح تصريح له ولابنته لدخول أحد بلاد الستار الحديدى ، وكان منح هذا التصريح أصعب من منح تصريح لبناء يحتوى على ٥٠٠ غرفة فى لندن . ما لم يبق محتفظا بمثابرته لكان قد استسلم ولكنه بعد أن نجح فى النهاية فى ختم جواز سفره هو وفلورنتينا ، استقل هو وابنته سيارة مستأجرة للتوجه إلى سلونيم . بقيا منتظرين لساعات عند الحدود البولندية ولم يسعفه إلا إجادته الفائقة للغة البولندية . إن كان حرس الحدود قد أدركوا سبب إجادته للغة على هذا النحو لما سمحوا له بالدخول . استبدل هابيل ٥٠٠ دولار بعملة البلد مما عمل على الأقل على اكتساب رضا البولنديين ثم واصل رحلته فى السيارة . كانا كلما اقتربا من سلونيم ، ازداد شعور فلورنتينا بمدى أهمية الرحلة بالنسبة لأبيها .

" لم أرك من قبل يا أبى متحمسا بهذا الشكل لأى شىء " .

شرح لها هابيل : " هذا هو المكان الذى ولدت فيه . بعد كل هذا الوقت الذى قضيته فى أمريكا حيث تتغير الأشياء كل يوم ، تبدو لى العودة هنا أشبه بالحلم ، كل الأشياء بقيت كما كانت عليه منذ أن رحلت " .

بينما كان يقود السيارة إلى سلونيم ، اجتاح هابيل شعور بالترقب السعيد وهو بصدد رؤية المكان الذى ولد فيه ثانية . رجع



إلى الوراء لفترة زمنية تقترب من أربعين عاما سمع صوته وهو طفل يسأل البارون إن كان وقت الاجتياح الأوروبى قد حان لكى يلعب دوره فى الصراع . ترقرقت الدموع فى عينيه وهو يتذكر كم كانت هذه الساعة قصيرة وكم كان الدور الذى لعبه فى الصراع ضئيلا .

وأخيرا انعطفا فى آخر منحنى قبل الاقتراب من أراضى البارون ورأوا الأبواب الحديدية الكبيرة المؤدية إلى القصر . ضحك هابيل بصوت مرتفع فى حماس وهو يوقف السيارة .

" كل شىء بقى كما أذكره تماما . لم يتغير شىء . تعالى ، هيا سوف نذهب إلى الكوخ الذى قضيت فيه أول خمس سنوات من عمرى ، لا أظن أن أى شىء يعيش هناك الآن . وبعدها سوف نذهب لمعاينة قصرى " .

تبعت فلورنتينا والدها وهو يسير فى ثقة فى أحد الطرق الصغيرة المؤدية إلى غابة من أشجار البتولا والبلوط المغطى بالطحالب والتى لم ولن تتغير ولو بعد مائة عام . بعد أن سارا على مدى ما يقرب من عشرين دقيقة ، وصلا إلى بقعة خالية من الطحالب حيث وجدا أمامهما كوخ الصياد . وقف هابيل وأخذ يتأمله . كان قد نسى كم كان بيته الأول ضئيلا ، هل يمكن أن يعيش تسعة أشخاص فى هذا المكان ؟ كان سطح الكوخ فى حالة يرثى لها وكان الحجر متآكلا والنوافذ مكسورة . اختفت حديقة الخضراوات المنسقة التى كانت موجودة هنا يوما ما تحت زحف النباتات البرية .

هل هجر الكوخ ؟ تأبطت فلورنتينا ذراع والدها وسارت به نحو الباب الأمامى . وقف هابيل هناك بلا حراك فطرقت فلورنتينا الباب . بقيا منتظرين فى صمت . طرقت فلورنتينا الباب ثانية ولكن بصوت أعلى هذه المرة وأخيرا سمعا شخصا يتحرك بالداخل .

جاءهما صوت متذمر بالبولندية : " حسنا ، حسنا " وبعد لحظات فتح الباب قدر بوصة واحدة . وقفت سيدة مسنة منحنية الظهر هزيلة البدن تتأملهما ، كانت ترتدى ثيابا سوداء . كانت خصلات الشعر الأبيض الفضى تتناثر حول منديل يغطى رأسها وعيناها الرماديتان تحدقان فى خواء إلى زائريها .

قال هابيل برقة بالإنجليزية : " لا يمكن " .

سألت السيدة المسنة فى تشكك : " ما الذى تريد ؟ " .

لم يكن لديها أسنان وكان خط أنفها وفمها وذقنها يشكلان قوسا مقعرا .

أجاب هابيل بالبولندية : " هل يمكن أن ندخل ونتحدث ؟ " .

أدارت عينيها فى خوف بينهما وقالت فى تأوه : " هيلينا العجوز لم تقترف خطأ " .

قال هابيل برفق : " أعلم . إننى أحمل لك أنباء جيدة " .

بقليل من التردد سمحت لهم السيدة بدخول الغرفة الباردة التى لا تحتوى إلا على أقل القليل من الأثاث ، ولكنها لم تعرض عليهما الجلوس . إن الغرفة لم تتغير ـ كرسيان ومائدة وذكرى أنه حتى وقت مغادرته للكوخ لم يكن يعرف معنى كلمة سجادة . ارتعدت فلورنتينا

" لا يمكننى إشعال النار " قالت السيدة المسنة ذلك وهى تحرك حامل الوقود بعصاها . غير أن اللوح الخشبى الذى كان مشتعلا قليلا أبى أن يشتعل ثانية فأخذت تعبث بلا جدوى فى جيبها : " أنا بحاجة إلى ورقة " . نظرت إلى هابيل وقد لمعت فى عينها نظرة اهتمام للمرة الأولى وقالت : " هل تحمل أى ورق ؟ " .

نظر هابيل إليها فى ثبات وقال : " ألا تذكريننى ؟ " .

" كلا ، أنا لا أعرفك " .



" بلى تعرفيننى يا هيلينا ، أنا وودك " .

" أنت تعرف ابنى وودك ؟ " .

" أنا وودك " .

قالت بصوت حزين مرير : " كلا كلا . لقد كان هبة عظيمة ، لقد كان يحمل علامة إلهية فى جسده . وقد أخذه البارون بعيدا . نعم لقد أخذ ابنى الأصغر ـــــ " .

خفت صوتها العجوز ثم خبا تماما . جلست ولكن يديها العجوز الجعدة بقيت تعبث فى حجرها .

قال هابيل ، فى صوت أكثر إصرارا : " لقد عدت " ، ولكن المرأة العجوز لم تعره أى اهتمام وخبا صوتها العجوز كأنها تجلس وحيدة فى كوخها

" لقد قتلوا زوجى ، جازيو ، وكل أبنائى الأعزاء اقتيدوا إلى المعسكرات باستثناء صوفيا . لقد خبأتها فرحلوا بدونها " .

سأل هابيل : " وما الذى حدث لصوفيا الصغيرة ؟ " .

قالت فى لامبالاة : " أخذها الروس فى الحرب الثانية " .

انتفض هابيل .

ثم أيقظت المرأة نفسها من ذكرياتها وسألت : " ما الذى تريد ؟ لم تطرح علىّ هذه الأسئلة ؟ " .

" أريد أن أقدم لك ابنتى فلورنتينا " .

" كان لى ابنة تدعى فلورنتينا ذات مرة ولكن الآن لم يبق إلا أنا " .

بدأ هابيل يفك أزرار سترته : " ولكن أنا ـــــ " .

فمنعته فلورنتينا وهى تبتسم إلى السيدة العجوز .

" كيف يمكن أن تكون قد عرفت ؟ لقد حدث كل هذا منذ زمن طويل قبل أن تولدى ؟ " .

قالت فلورنتينا : " لقد أخبرونا فى القرية " .

سألت السيدة العجوز : " هل تحمل أى أوراق معك ؟ أحتاج للورق لإشعال النار " .

نظر هابيل إلى فلورنتينا فى يأس : " كلا . أنا آسف . لم نحمل أية أوراق معنا " .

كررت السيدة العجوز فى سأم فى نبرة عدوانية ثانية : " إذن ماذا تريد ؟ " .

قال هابيل بعد أن استسلم لاستحالة تذكرها له : " لاشىء . لقد جئنا فقط لكى نلقى التحية عليك " .

أخرج هابيل محفظته وأخذ منها كل العملات الورقية البولندية الجديدة التى كان قد استبدلها عند الحدود وأعطاها للسيدة .

قالت السيدة وهى تتسلم كل ورقة وقد دمعت عيناها لفرط السعادة : " أشكرك ، أشكرك " .

انحنى هابيل ليقبل أمه بالكفالة ولكنها تراجعت إلى الخلف .

تأبطت فلورنتينا ذراع أبيها وسارت به خارج الكوخ فى طريق الغابة فى اتجاه السيارة .

أخذت المرأة العجوز تراقبهما عبر النافذة إلا أن اختفيا عن نظرها . ثم أخذت الأوراق النقدية الجديدة وعقصتها فى شكل كرات صغيرة ووضعتها جميعا بعناية فى المدفأة . اشتعلت العملات الورقية فى الحال . فوضعت الألواح الخشبية الصغيرة والأغصان فوق العملات النقدية المشتعلة وجلست ببطء بجوار نيران المدفأة ، كانت النيران هى الأفضل منذ أسابيع ، وأخذت تفرك يديها لتستدفئ .



لم يتحدث هابيل فى طريق العودة إلى السيارة إلى أن ظهرت البوابات الحديدية ثانية . ثم أخذ يؤكد ويقسم لفلورنتينا وهو يبذل جهده لكى ينسى الكوخ الصغير قائلا : " أنت على وشك رؤية أجمل قصر فى العالم " .

" يجب أن تكف عن المبالغة يا أبى " .

كرر هابيل فى هدوء : " فى العالم " .

ضحكت فلورنتينا . "سوف ترين بنفسك كيف أنه فى مستوى قصور فرساى " .

ركبا السيارة ثانية وقاد هابيل السيارة عبر البوابات متذكرا الحافلة التى نقلته آخر مرة عبر هذه البوابات وعلى مدى ميلين من القيادة نحو القصر . أخذت الذكريات تتوالى عليه . أيامه السعيدة وهو صغير مع البارون وليون وأيامه التعيسة فى القبو تحت حصار الألمان وأيامه الأسوأ عندما اقتيد بعيدا عن قصره على يد الروس عندما سيطر عليه الشعور بأنه لن يرى القصر ثانية . ولكنه الآن قد عاد ، عاد منتصرا لكى يطالب بحقه .

شقت السيارة الطريق وبقيا الاثنان فى ترقب صامت فى انتظار اجتياز آخر منعطف لتأمل المشهد الأول من بيت البارون روزنوفسكى . أوقف هابيل السيارة وأخذ يتأمل قصره . لم ينطق أى منهما بكلمة . هل بقى كلام يمكن قوله ؟ أخذا يتأملان فى عدم تصديق كل الدمار وأطلال حلمه الذى أطاحت به القذائف .

خرج هابيل وفلورنتينا ببطء من السيارة . بدون أن ينطق أى منهما بكلمة . أمسكت فلورنتينا بيد أبيها وقبضت عليها بقوة بينما كانت الدموع تسيل على خديه . لم يبق من القصر إلا جدار ، يقف فى صمود وكأنه مازال يحتفظ بمجده القديم . أما باقى القصر فلم

يكن سوى كومة من الحجارة الحمراء والحطام . لم يطق أن يخبرها بالقاعات الفخمة والأجنحة والمطابخ وغرف النوم . سار هابيل فوق التلال الثلاثة المرتفعة والتى كانت قد سويت واكتست بالعشب الأخضر ، هنا قبر البارون وابنه ليون وفلورنتينا الحبيبة . توقف عند كل قبر ولم يسعه إلا أن يفكر فى أن ليون وفلورنتينا كان يجب أن يظلا على قيد الحياة حتى هذا اليوم . جثا عند رأسيهما وتذكر المشهد الرهيب الأخير لحياة كل منهما بمنتهى الوضوح . وقفت ابنته بجواره ، وقد وضعت يدها فوق كتفه بدون ان تنطق بكلمة واحدة . مضى وقت طويل قبل أن ينهض هابيل ببطء ثم سار فوق الحطام ثانية وأطلال الحجارة المكسورة التى كانت تشكل يوما غرفاً رائعة مفعمة بالضحك والسعادة . بقى هابيل صامتا بدون أن ينطق بكلمة ، وصلا إلى القبو . وهما يمسكان بيد بعضهما البعض . هناك ، جلس هابيل على أرضية الغرفة الصغيرة الرطبة بجوار السور أو نصف السور المتبقى . أدار السوار الفضى حول معصمه .

" هنا قضى والدك أربع سنوات من عمره " .

قالت فلورنتينا التى لم تجلس : " لا يمكن أن يكون هذا قد حدث " .

قال هابيل : " إنه أفضل الآن مما كان عليه من قبل . على الأقل ، هناك هواء نقى الآن وعصافير وشمس وشعور بالحرية . أما وقتها فلم يكن هناك شىء سوى الظلام والموت ورائحة الموت النتنة والأسوأ من ذلك تمنى الموت " .

" هيا يا أبى ، دعنا نخرج من هنا . إن البقاء هنا لن يزيد الأمور إلا سوءا " .



قادت فلورنتينا والدها ، الذى كان يسير فى تردد نحو السيارة وقادتها ببطء فى الطريق الطويل . لم يلتفت هابيل إلى الوراء نحو حطام القصر وهما يمران للمرة الأخيرة عبر البوابات الحديدية .

فى طريق العودة إلى وارسو ، قلما فتح هابيل فمه لينطق بكلمة بينما استسلمت فلورنتينا وكفت عن محاولاتها للتخفيف عن أبيها . عندما قال أبوها : " لم يبق الآن سوى شىء واحد يجب أن أحققه فى حياتى "، أخذت فلورنتينا تسأل نفسها عن معنى ما يقول . ولكنها لم تلح عليه لمعرفة ما يقصده . بيد أنها نجحت فى إقناعه بأن يقضى عطلة نهاية أسبوع أخرى فى لندن أثناء رحلة العودة التى أقنعت نفسها بأنها يمكن أن تعمل على تخفيف حزن أبيها قليلا وربما تساعده على نسيان ما حل بوالدته العجوز وأطلال قصره فى بولندا .

* * *

طار هابيل وفلورنتينا إلى لندن فى اليوم التالى . وقد شعر هابيل بالسعادة لعودته إلى البلد الذي يستطيع من خلاله أن يتواصل سريعا مع أمريكا . ما إن حجزا فى فندق كلاريدج ، حتى خرجت فلورنتينا لرؤية أصدقائها القدامى والتعرف على أصحاب جدد . قضى هابيل وقته فى قراءة أعداد الصحف السابقة المتراكمة فى الفندق . لم يكن يحب أن يعرف أن هناك أحداثًا قد وقعت أثناء غيابه ، كان هذا يذكره بمنتهى الوضوح بأن العالم سوف يبقى دائرا بدونه . كان هناك مقال فى أحد الصفحات الداخلية لصحيفة التايمز قد لفت نظره . لقد حدث شيء ما أثناء غيابه . كانت إحدى الطائرات التابعة لشركة انتر ستيت قد سقطت فور إقلاعها

من مطار مدينة مكسيكو سيتى فى صباح اليوم السابق . لقى كل الركاب السبعة عشر وطاقم الطائرة حتفهم فى الحادث . وقد حملت السلطات المكسيكية الشركة مسئولية الحادث . التقط هابيل سماعة الهاتف وطلب إجراء مكالمة خارجية .

سوف يعود يوم السبت على الأرجح إلى أمريكا . أخذ يبحث فى دليله الصغير عن رقم الهاتف المنزلى .

جاءه صوت إنجليزى ينم عن الدقة : "سوف تتأخر المكالمة ما يقرب من ثلاثين دقيقة " .

قال هابيل : " شكرا لك " ثم استلقى فوق فراشه وهو يفكر وقد وضع الهاتف بجواره . دق الجرس بعد عشرين دقيقة .

جاءه نفس الصوت المحدد الدقيق : "مكالمتك الخارجية يا سيدى على الخط " .

" هابيل ، هل هذا أنت ؟ أين أنت ؟ " .

" نعم أنا هو بالطبع يا هنرى ، أنا فى لندن " .

جاء صوت الفتاة التى عادت إلى الخط : " هل انتهيت من المكالمة ؟ " .

قال هابيل : " لم أبدأها بعد " .

" آسفة يا سيدى ، أعنى أنك تجرى مكالمة فى أمريكا " .

" أجل بالطبع ، أشكرك . يا إلهى . هنرى . إنهم يتحدثون لغة مختلفة هنا " .

ضحك هنرى أوسبورن .

" الآن أنصت إلىّ . هل سمعت شيئا عن طائرة فيركز فيزكاوت التابعة لشركة إنتر ستيت التى تحطمت فى مدينة ميكسيكو سيتى ؟ " .



أجاب هنرى : " نعم سمعت بالأمر ولكن ليس هناك ما يقلق فى هذا . لقد كانت الطائرة مؤمنًا عليها كما أن الشركة فى وضع مادى سليم تماماً ، لذا فليس هناك خسارة وقد بقيت الأسهم مستقرة " .

قال هابيل : " هذا التأمين هو آخر ما يعنينى " .

" قد تكون هذه هى أفضل فرصة لنا لكى نجرى محاولة صغيرة لاكتشاف مدى قوة وضع السيد كين " .

" لا أظن أننى أفهم ما تعنيه يا هابيل . ما الذى تقصده ؟ " .

" اسمعنى جيدا وسوف أشرح لك تحديدا ما قد عقدت العزم على أن تفعله يوم افتتاح المعاملات المالية فى سوق المال صباح الاثنين . سوف أعود إلى نيويورك يوم الثلاثاء لكى أشرف على تنسيق الأمر بنفسى " .

استمع هنرى أوسبورن بإمعان إلى تعليمات هابيل روزنوفسكى . وبعد عشرين دقيقة ، أعاد هابيل سماعة الهاتف إلى مكانها . كان قد انتهى .

# الفصل الحادى والثلاثون

أدرك ويليام أنه سوف يلاقى مشاكل أكثر مما توقعه من هابيل روزنوفسكى عندما اتصل به كورتيس فنتون فى صباح اليوم وأخبره بأن بارون شيكاغو قرر أن يغلق كل حسابات مجموعة البارون فى كونتيننتال تراست ، وبأنه اتهم كورتيس فنتون بالخيانة والسلوك غير الأخلاقى .

قال الرجل المصرفى فى صوت ينم عن الضيق : " كنت أظن أننى قمت بالصواب عندما كتبت إليك بشأن ممتلكات السيد روزنوفسكى فى بنك ليستر . وقد قادنى هذا إلى فقد أهم عميل من عملاء البنك . أتساءل كيف سيكون رد فعل مجلس الإدارة " .

أخذ ويليام يهدئ من روع فنتون قليلا ويعده بأنه سوف يحادث رؤساءه . ولكنه مع ذلك كان أكثر انشغالا وتفكيرا فى خطوة هابيل التالية .

بعد ما يقرب من شهر كامل ؛ عرف ويليام خطوة هابيل





التالية . كان ويليام يراجع بريده فى البنك صباح الاثنين عندما اتصل به مضاربه فى البورصة وأخبره بأن هناك شخصاً ما قد عرض أسهمًا تقدر بمليون دولار من أسهم انتر ستيت للبيع فى السوق . فاتخذ ويليام قرارا فوريا بشراء الأسهم من ثروته الخاصة وأصدر أمرا بالشراء فى الحال . وفى الثانية ظهرا من نفس اليوم ؛ طُرحت أسهم أخرى لنفس الشركة تقدر بمليون دولار . قبل أن تتاح لويليام فرصة شراء هذه الأسهم ؛ بدأ السعر يتهاوى . ومع حلول موعد إغلاق تعاملات بورصة نيويورك فى الثالثة ؛ كان سعر أسهم انتر ستيت قد تراجع إلى ثلث قيمته .

وفى العاشرة وعشر دقائق من صباح اليوم التالى ، تلقى ويليام مكالمة هاتفية من مضاربه فى البورصة والذى كان صوته محموما . لقد طرحت أسهم تقدر بمليون دولار من أسهم انتر ستيت فى السوق مع بداية المعاملات . وقد أخبره المضارب بأن الإغراق الأخير قد أحدث أثرا مدويا ؛ كانت عروض البيع لأسهم انتر ستيت قد توالت وانهالت من كل مكان ؛ وكان السعر قد وصل إلى أدنى مستوياته حتى وصل سعر السهم الواحد إلى بضعة سنتات قليلة. قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة فقط كان سعر السهم يقدر بأربعة دولارات ونصف الدولار .

أصدر ويليام تعليماته إلى ألفريد روجرز سكرتير البنك بالدعوة لعقد اجتماع لمجلس الإدارة فى الاثنين التالى . كان ويليام بحاجة إلى وقت لكى يبحث عن الشخص الذى يقف وراء هذا الإغراق فى السوق مع أنه كان شبه متأكد منه . بحلول يوم الأربعاء كان عليه أن يتخلى عن كل محاولة لإنقاذ انتر ستيت وشراء كل الحصص التى تطرح فى السوق . بعد إغلاق المعاملات المالية فى ذلك اليوم ؛ قررت لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة بأنها سوف

تجرى تحقيقا بشأن المعاملات التجارية الخاصة بانتر ستيت . وقد أدرك ويليام أن مجلس إدارة ليستر كان يجب عليه أن يقرر الآن ما إن كان سيواصل دعمه لشركة الطيران على مدى الأشهر القليلة التى ستجرى فيها اللجنة تحقيقها أم أنها سوف تتخلى عن الشركة. كانت البدائل تبدو مدمرة ؛ لكل من ثروة ويليام الخاصة وكذلك سمعة البنك .

لم يفاجأ ويليام عندما اكتشف من خلال ثاديوس كوهين فى اليوم التالى أن الشركة التى أغرقت أسهم شركة انتر ستيت والمقدرة بثلاثة ملايين دولار هى الشركة التابعة لهابيل روزنوفسكى والتى تدعى شركة جارنتى للاستثمار . وقد أصدر مسئول الشركة بيانا صحفيا مقتضبا شرح فيه أسباب البيع وبأن مستقبل شركة الطيران لم يعد يهم الشركة بعد أن أكد "مسئول رسمى " تابع للحكومة المكسيكية بأن هناك قصورا فى الخدمة واجراءات الصيانة الخاصة بشركة الطيران .

قال ويليام فى ثورة : " تصريح مسئول رسمى ؟ إن الحكومة المكسيكية لم تصدر بيانا مسئولا واحدا يعتد به منذ أن صرحت بأن سبيدى كونزيلا سوف يفوز بسباق المائة متر فى أولمبياد هيلنسكى " .

ثارت ضجة إعلامية واسعة النطاق حول تصريح شركة جارنتى للاستثمار وفى يوم الجمعة قررت إدارة الطيران الفيدرالية إيقاف شركة الطيران من العمل إلى أن تجرى الوكالة تحقيقا موسعا فى مستوى الخدمة وإجراءات الصيانة التى توفرها الشركة .

كان ويليام واثقا من أن شركة انتر ستيت لم يكن لديها ما تخفيه عن التحقيق ، لكن إيقاف شركة الطيران أحدث تأثيرا مدمرا على الحجوزات قصيرة المدى . ليس هناك شركة طيران واحدة



يمكن أن تحقق أرباحا وهى موقوفة عن الطيران ، وإنما يجب أن تحلق طائراتها فى الهواء لكى تحقق الأرباح .

ومما زاد مشاكل ويليام تفاقما ، بدأت شركات كبرى أخرى تفكر فى إيقاف تعاملاتها مع بنك ليستر . لقد بادرت الصحافة بالتصريح بأن بنك ليستر كان هو البنك الذى يدعم شركة طيران انتر ستيت . ولكن الشىء المثير للدهشة هو أن أسهم انتر ستيت بدأت ترتفع ثانية فى وقت متأخر من يوم الجمعة ، ولم يستغرق ويليام وقتا طويلاً لتخمين السبب ، وقد تأكد من صحة تخمينه بالفعل لاحقا من ثاديوس كوهين الذى أكد له أن المشترى كان هابيل روزنوفسكى . كان قد باع أسهمه بسعر مرتفع وهى مازالت فى القمة وهو الآن يستعيدها بسعر زهيد بكميات صغيرة متتالية . أومأ ويليام برأسه فى إعجاب . كان هابيل يجنى ثروة صغيرة لنفسه بينما يفلس ويليام على مستوى المال والسمعة .

وقد خلص ويليام إلى أنه بالرغم من أن مجموعة البارون قد جازفت بثلاثة ملايين دولار إلا انها نجحت فى تحقيق ثروة طائلة فضلا عن أن تلك الخسارة المؤقتة لم تثر ضيق روزنوفسكى والتى يمكن أن تساعده على أية حال فى خفض نسبة الضرائب المستحقة عليه . كان همه الوحيد هو أن يدمر سمعة ليستر تدميرا كاملا .

عندما عقد اجتماع مجلس إدارة بنك ليستر يوم الاثنين . شرح ويليام القصة برمتها لمجلس الإدارة وتفاصيل علاقته بروزنوفسكى ثم عرض تقديم استقالته . ولكنها لم تقبل ، كما أنه لم يتم التصويت عليها ، ولكن كانت هناك همهمة دائرة ، إن زملاءه قد لا يتخذون نفس الموقف المتسامح منه فى المرة التالية .

واصل المجلس انعقاده لبحث ما إن كان يجب عليه أن يواصل مساندة شركة الطيران أم لا . وقد أقنعهم تونى سيمونس أن

التحقيقات الفيدرالية سوف تخرج لصالح شركان الطيران وأن البنك وكذلك ويليام سوف يستردون أموالهم مع الوقت . كان على تونى أن يقر لويليام بعد الاجتماع أن قرارهم هذا سوف يكون لصالح روزنوفسكى على المدى الطويل ولكن البنك لم يكن أمامه خيار آخر إن كان يريد أن يحمى سمعته .

و قد ثبتت صحة رأى تونى فى كلا الأمرين . عندما نشرت لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة تقريرها أخيرا ؛ أعلنت براءة بنك ليستر من التلاعب فى أسهم شركة الطيران ووجهت بعض التوبيخ القاسى لشركة جارنتى للاستثمار . وعندما بدأ السوق معاملاته ثانية على أسهم إنتر ستيت صباح ذلك اليوم ؛ فوجئ ويليام بارتفاع سعر الأسهم باطراد . حيث استعاد سريعا قيمته الأصلية التى تصل إلى أربعة ونصف دولار .

وقد أخبره ثاديوس كوهين ثانية بأن المشترى الأساسى هو هابيل روزنوفسكى .

قال ويليام : " هذا هو كل ما يحتاجه فى الوقت الراهن ليس فقط لكى يجنى ثروة طائلة من وراء الصفقة ولكن أيضا لكى يعيد الكرة وقتما شاء " .

قال ثاديوس كوهين : " فى الواقع هذا هو تحديدا ما تريده أنت " .

سأله ويليام : " ما الذى تقصده يا ثاديوس ؟ إنك لم تتحدث بمثل هذا الغموض من قبل " .

" لقد وقع السيد روزنوفسكى فى أول خطأ فى الحكم له لأنه خرق القانون ، وقد حان الآن دورك أنت لكى تلاحقه . إنه لا يدرك على الأرجح أن ما تورط فيه لم يكن قانونيا ، لأنه يسعى من وراء اللعبة إلى تحقيق مكاسب بسبل غير أخلاقية " .



سأله ويليام : " ما الذى تتحدث عنه ؟ " .

قال ثاديوس كوهين : " الأمر بسيط . بسبب انغماسك فى التركيز على روزنوفسكى ـ والعكس أيضا ـ يبدو أن كليكما قد نسى الحقيقة الظاهرة ، والتى تنص على أنه إذا باع المرء أسهماً بنية إغراق السوق ثم إعادة شراء نفس الأسهم ثانية عندما يتدنى سعرها إلى الحضيض لكى يحقق ربحاً سريعاً ، فإنه بهذا قد اخترق قواعد وقوانين لجنة التحقق من السلامة التعاملات التجارية فى البورصة وارتكب جريمة الاحتيال . أنا واثق من أن السيد روزنوفسكى لم يكن يبحث عن الربح بل إننا نعرف فى واقع الأمر أنه يريد أن يحرجك أنت شخصيا . ولكن من الذى يمكن أن يصدقه إن زعم بأنه أغرق الأسهم عندما شعر أن الشركة ليست مستقرة ، وذلك لأنه أعاد شراء أسهمها ثانية عندما وصلت إلى الحضيض ، والإجابة هى " لا أحد " . وبالطبع ليس لجنة التحقق من سلامة المعاملات التجارية فى البورصة . سوف أعد تقريراً كتابياً وافياً بشأن الأمر وأرسله لك فى الغد يا ويليام وأوضح لك بالتفصيل كل المسائل القانونية " .

قال ويليام بعد أن شعر بسعادة غامرة عند سماع هذه الأنباء : " شكرا لك " .

وصل تقرير ثاديوس كوهين على مكتب ويليام فى التاسعة من صباح اليوم التالى وبعد أن قرأ ويليام محتوى التقرير بمنتهى العناية ، طلب عقد اجتماع آخر . وافق المديرون على الخطة التى وضعها ويليام . ثم طلب بعدها من ثاديوس كوهين أن يعد مسودة كتابية دقيقة لنشرها من خلال الصحف مساء نفس اليوم . وقد نشر التقرير فى الصفحة الأولى من جريدة الوول ستريت صباح اليوم التالى وكان نصه :

ويليام كين رئيس مجلس إدارة بنك ليستر لديه مبررات تدفعه إلى الاعتقاد بأن كل أوامر البيع التى نفذتها جارنتى تراست فى نوفمبر عام ١٩٥٢ والخاصة بأسهم شركة إنتر ستيت وهى الشركة الذى يدعمها بنك ليستر ، كانت تستهدف فقط تحقيق ربح غير قانونى .

لقد ثبت أن شركة جارنتى للاستثمار هى التى طرحت أسهمًا تقدر بمليون دولار لشركة انتر ستيت فى السوق عند فتح المعاملات المالية يوم الاثنين ، ١٢ مايو عام ١٩٥٢ . ثم طرحت أسهمًا تقدر بمليون دولار أخرى للبيع بعد خمس ساعات أخرى . ثم تم طرح أسهم تقدر بمليون دولار أخرى من قبل شركة جارنتى للاستثمار عند إعادة فتح المعاملات المالية فى يوم الثلاثاء ، ١٢ مايو عام ١٩٥٢ . وقد تسبب هذا فى سقوط سعر السهم إلى حد متدن . وبعد التحقيق الذى أجرته لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة والذى أثبت أنه ليس هناك أية تعاملات غير قانونية على مستوى بنك ليستر وشركة طيران انتر ستيت ، بدأ تداول الأسهم ثانية فى السوق وكانت الأسهم مطروحة بسعر متدن . فبادرت شركة جارنتى للاستثمار بشراء الحصص بالسعر المتدنى . ثم واصلت شراء الأسهم إلى أن بلغت قيمة الأسهم التى اشترتها هذه الشركة ثلاثة ملايين دولار وهى القيمة التى حصلتها من بيع نفس الأسهم من قبل .



أرسل رئيس ومديرو بنك ليستر نسخة من كل الأوراق الموثقة إلى قسم الاحتيال فى لجنة التحقق من سلامة المعاملات فى البورصة وطالبوا اللجنة بإجراء تحقيق فى هذا الشأن .

ثم تم عرض نص قانون المعاملات المالية فى البورصة والذى يتحدث عن هذه القضية فى الفقرة التالية مصحوبا بتعليق بأن هذه هى تحديدا نوعيات القضايا التى كان يبحث عنها الرئيس ترومان . ثم ظهر رسم كرتونى أسفل المقال للرئيس هارى إس ترومان وهو يحبس أحد رجال الأعمال بيده داخل أحد علب الحلوى .

ابتسم ويليام وهو يقرأ المقال ، واثقا من أن هذا هو آخر ما سوف يسمعه عن هابيل روزنوفسكى .

تجهم هابيل روزنوفسكى ولم ينطق بكلمة عندما أعاد هنرى أوسبورن عليه ثانية قراءة المقال . رفع هابيل رأسه وهو يدق أصابعه بعصبية فوق مكتبه .

قال أوسبورن : " هؤلاء الفتيان فى واشنطن مصممون على استغلال هذه القضية أسوأ استغلال " .

قال هابيل : " ولكنك تعرف يا هنرى جيداً أننى لم أبع أسهم إنتر ستيت لكى أغرق السوق . إن الربح الذى حققته لم يعن شيئا بالنسبة لى " .

قال هنرى : " أعلم هذا ولكن ليس هناك سبيل لإقناع اللجنة المالية الخاصة بمجلس الشيوخ بأن بارون شيكاغو لم يكن يسعى وراء الربح المالى ، وأن كل ما كان يرمى إليه هو أن ينال من المدعو

ويليام كين . لن يصدقك أحد بل إنهم سوف يطردونك خارج قاعة المحكمة ، بل خارج مجلس الشيوخ لكى أكون أكثر تحديدا " .

قال هابيل : " اللعنة . والآن ماذا أفعل بحق السماء ؟ " .

" حسنا ، أولا يجب أن تنكس رأسك إلى أقصى حد إلى أن تمر العاصفة . تضرع إلى الله أن تقع كارثة أكبر حجما لترومان لكى ينشغل بها أو أن ينهمك الساسة فى الانتخابات المقبلة وينسوا التحقيق فى خضم الأحداث . أما إن أسعفنا الحظ فقد تعمل الإدارة الجديدة على إسقاط الأمر برمته . مهما يكن ما أنت عازم عليه يا هابيل ، لا تشتر المزيد من الأسهم فى أى شركة لها علاقة ببنك ليستر لكى تبقى فى مأمن . دعنى أبذل جهدى وأرى ما يمكننى عمله مع الديمقراطيين فى واشنطن " .

" ذكر مكتب هارى ترومان أننى قد تبرعت بخمسين ألف دولار لحملته الانتخابية أثناء الانتخابات الأخيرة وبأننى عازم على فعل نفس الشىء مع أدلاى " .

قال هنرى : " لقد قمت بهذا بالفعل ، بل إننى أنصحك بأن تتبرع بخمسين ألف دولار للجمهوريين أيضا " .

قال هابيل : " إنهم يفرطون فى المبالغة والتهويل " .

" إنه التهويل الذى سوف يستغله كين إن منحناه هذه الفرصة ". ثم واصل النقر بأصابعه فوق المكتب .

# الفصل الثانى والثلاثون

كشفت التقارير ربع السنوية لثاديوس كوهين أن هابيل روزنوفسكى قد توقف عن شراء أو بيع الأسهم التابعة لأى شركة لها علاقة ببنك ليستر . بدا هابيل وكأنه قد أصبح يركز كل جهوده وطاقته فى بناء المزيد من الفنادق فى أوروبا . كان كوهين يرى أن روزنوفسكى قرر أن يوقف نشاطه إلى أن تبت لجنة التحقيق من سلامة المعاملات المالية فى البورصة فى قضية انتر ستيت .

كان ممثلو لجنة التحقق من سلامة المعاملات المالية قد زاروا ويليام عدة مرات فى البنك . وقد تحدث معهم بمنتهى الصراحة ولكنهم لم يكشفوا من جانبهم أبدا فى المقابل عن تطور اجراءات التحقيق الخاص بالشخص المتورط فى انهيار الأسهم .

وأخيرا أنهت اللجنة تحقيقها وشكرت لويليام حسن تعاونه . ثم لم يُسمع عن اللجنة شىء بعد ذلك .

ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية وتركيز ترومان لجهوده على حل اتحاد " دو بون " الصناعى ، بدأ ويليام يشعر بالخوف من أن يفلت هابيل روزنوفسكى من الفخ الذى أوقع نفسه فيه . لم يسعه إلا أن يفكر فى أن هنرى أوسبورن قد لجأ لبعض التحايل للتأثير على بعض رجال الكونجرس فى هذا الصدد .

وقد تذكر أن كوهين كان قد أشار فى أحد تقاريره السابقة أن هابيل قد تبرع بنحو ٥٠ ألف دولار لحملة ترومان الانتخابية . وقد اندهش عندما قرأ فى التقرير الأخير أنه تبرع بنفس المبلغ لأدلاى ستيفنسون ، مرشح الحزب الديمقراطى و٥٠ ألفا أخرى لحملة آيزنهاور .

كان ويليام ـ الذى لم يكن قد جال بخاطره يوماً أن يساند أى مرشح غير جمهورى ـ يريد من آيزنهاور ـ المرشح المفاجأة الذى فاز فى أول اقتراع فى مؤتمر شيكاغو ـ أن يهزم أدلاى سيتفنسون بالرغم من أنه كان واثقا من أن الإدارة الجمهورية سوف تكون أقل حرصاً من الإدارة الديمقراطية فى تقصى التحقيق الخاص بالأسهم .

عندما فاز الجنرال ديويت دى آيزنهاور ( يبدو أن الأمة كنت مولعة به بالفعل ) بانتخابات الرئاسة الرابعة والثلاثين للولايات المتحدة فى الرابع من نوفمبر عام ١٩٥٢ ، شعر ويليام أن هابيل روزنوفسكى قد أفلت من كل التهم الموجهة إليه وكان أمله الوحيد هو أن تكون التجربة قد أقنعته بألا يقترب من كل ما يخص شئون ليستر فى المستقبل . كانت المكافأة الوحيدة التى حصل عليها ويليام من وراء الانتخابات هى فقد هنرى أوسبورن لمقعده فى الكونجرس لصالح مرشح جمهورى آخر . يبدو أن منافس أوسبورن قد نجح فى تملق حزب آيزنهاور واقتناص المقعد . وقد دفع ذلك ثاديوس كوهين إلى الاعتقاد بأن هنرى أوسبورن سوف يفقد تأثيره المعهود على



هابيل روزنوفسكى . كانت الشائعات تؤكد أن أوسبورن ـ منذ أن طلق زوجته الثرية كان مديناً بمبالغ مالية طائلة لروزنوفسكى وكان قد عاد إلى المقامرة ثانية بقوة .

كان ويليام أكثر سعادة وهدوءاً كما لم يكن منذ فترة طويلة وكان يتطلع إلى عهد أكثر ازدهارا وأمنا فى ظل آيزنهاور الذى وعد الشعب بالرخاء فى خطبته الرئاسية الافتتاحية .

وبعد مرور العام الأول من الانتخابات الرئاسية ، بدأ ويليام يلقى تهديدات روزنوفسكى وراء ظهره وينظر إليها باعتبارها ضرباً من الماضى . وقد ذكر لثاديوس كوهين أن هذا هو آخر عهدهم بهابيل روزنوفسكى . لم يعلق كوهين على ذلك بكلمة ؛ لأنه لم يطلب منه ذلك .

ركز ويليام كل جهده فى بناء ليستر ، على مستوى الحجم والسمعة ، وقد بدأ يتولد لديه شعور متزايد بأنه يفعل ذلك من أجل ابنه وليس من أجل نفسه . كان بعض العاملين فى البنك قد بدأوا يطلقون عليه بالفعل اسم " الرجل الكبير " .

قالت كات : " يجب أن يحدث ذلك " .

سألها ويليام فى حنان : " إذا لم يحدث ذلك لك ؟ " .

نظرت كات إلى ويليام وابتسمت : " الآن أعرف كيف نجحت فى عقد الكثير من الصفقات مع رجال عديمى الجدوى " .

ضحك ويليام ، وأضاف قائلاً : " وامرأة جميلة " .

بينما كان عيد ميلاد ريتشارد الواحد والعشرون قد بقى عليه عام واحد ، راجع ويليام شروط وصيته . خصص ٥ ملايين دولار لكات ومليونى دولار لكل ابنة من بناته وترك باقى ثروة العائلة كلها لريتشارد ، منوها بحزن إلى الجزء الكبير الذى سوف تقتطعه الضرائب من الثروة. كما ترك مبلغ مليون دولار لهارفارد .

كان ريتشارد قد استغل السنوات الأربع التى قضاها فى هارفار استغلالا جيدا ومع بداية العام الأخير ؛ لم يكن مهيأ فقط لاجتياز العام بتفوق باهر وإنما كان أيضا يعزف على الشيلو فى أوركسترا الجامعة وكان يلعب كرام للكرة فى فريق البيسبول مما كان يثير إعجاب الجميع حتى ويليام نفسه . أما كات فقد كانت تحب أن تعرب عن مشاعرها بشكل بلاغى من خلال طرح السؤال التالى : كم طالب يقضى عصر السبت فى ممارسة البيسبول لصالح هارفارد ضد يال ومساء الأحد فى عزف الشيلو فى قاعة لويل الموسيقية لفريق الوتريات التابع للجامعة ؟

مضت السنة الأخيرة سريعا وعندما تخرج ريتشارد من هارفارد بعد أن حصل على شهادة التفوق فى الرياضيات والشيلو والبيسبول ؛ كان كل ما يحتاجه قبل أن يلتحق بمدرسة الأعمال على الجانب الآخر من نهر تشارلز هو أن يقضى عطلة جيدة . طار إلى باربادوس مع فتاة تدعى ميرى بيجيلو التى لم يكن والدا ريتشارد يعلمان بوجودها . كانت الآنسة بيجيلو قد درست الموسيقى وغيرها من المواد فى فاسار وعندما عادا من رحلتهما بعد شهرين ؛ بعد أن اصطبغا بنفس لون السكان الأصليين للبلد الذى سافرا إليه ؛ صحبها ريتشارد للقاء أهله . وقد وافق ويليام على الآنسة بيجيلو ؛ فقد كانت فوق كل شىء ابنة الأخ لآلان ليويد .

التحق ريتشارد بمدرسة الأعمال فى الأول من أكتوبر عام ١٩٥٥ لكى يبدأ مشروع التخرج وأقام فى البيت الأحمر . تخلص من كل أثاث عائلة كين وورق الحائط الذى كان ماثيو قد علق عليه يوما قائلا بأنه شديد الحداثة ، وعلق سجادة كبيرة غطت جدار غرفة المعيشة ووضع مائدة من خشب البلوط فى غرفة المائدة وغسالة أطباق فى المطبخ .

# الجزء السادس

١٩٥٢ - ١٩٦٣

# الفصل الثالث والثلاثون

عاد هابيل من رحلة فى اسطنبول فى أكتوبر عام ١٩٥٢ ؛ فور سماعه بأنباء وفاة ديفيد مكستون المأساوية إثر أزمة قلبية مفاجئة . حضر الجنازة فى شيكاغو مع جورج وفلورنتينا وبعدها قدم أحر تعازيه للسيدة مكستون وأخبرها بأنها سوف تحل ضيفة على أي فرع من فروع فندق البارون فى أى بقعة من العالم وقتما يحلو لها . لم تدرك السيدة لِمَ قدم لها هابيل هذا العرض السخى .

عندما عاد هابيل إلى نيويورك فى اليوم التالى ؛ شعر بسعادة غامرة عندما وجد فوق مكتبه فى الطابق الثانى والأربعين تقريرا من هنرى أوسبورن يشير فيه إلى أن كل القلاقل التى كان قد تورط فيها قد انتهت . كان هنرى يرى من وجهة نظره أن إدارة آيزنهاور لن تجرى على الأرجح تحقيقا فى الأزمة التى لحقت بشركة إنتر ستيت وخاصة بعد أن استقر سعر الأسهم لما يقرب من عام . لذا لم يكن هناك داع لإثارة الأزمة من جديد . بدا نائب الرئيس

آيزنهاور ؛ ريتشارد إم . نيكسون أكثر إصراراً على ملاحقة الشيوعيين الذين لم يتمكن جو مكارثى من النيل منهم .

قضى هابيل أول عامين مركزا على بناء فنادق فى أوروبا . افتتحت فلورنتينا فندق بارون باريس عام ١٩٥٣ وفندق بارون لندن فى نهاية عام ١٩٥٤ . كما كانت أعمال البناء أيضا جارية بدرجات مختلفة فى كل من بروكسل وروما وأمستردام وجينيف وايدنبرج وكان واستوكهولم ضمن برنامج توسعى لعشرة أعوام .

أصبح هابيل منهمكا فى عمله إلى حد أنه لم يكن لديه سوى قدر ضئيل من الوقت للتفكير والالتفات إلى مدى ما أحرزه ويليام كين من نجاح وازدهار . لم يكن قد أقدم على شراء أى سهم خاص ببنك ليستر أو أى شركة من الشركات التابعة له ، بالرغم من أنه كان قد احتفظ بالأسهم التى كان قد اقتناها أملا فى العثور على فرصة يوما ما للانقضاض على ويليام كين وتلقينه درسا لا يفيق منه بسهولة . فى المرة التالية عاهد هابيل نفسه : سوف أحرص على عدم اختراق القانون .

أثناء فترة غياب هابيل المتزايدة فى الخارج ، كان جورج يدير مجموعة البارون . كان هابيل يأمل ان تنضم إليهم فلورنتينا فى مجلس الإدارة فور إتمام تعليمها فى رادكليف فى يونيو من عام ١٩٥٥ . كان قد اتخذ قرارا بالفعل بأنها يجب أن تتحمل مسئولية إدارة كل المحلات التابعة للفندق ودعم القوة الشرائية بداخلها حيث إن هذه المحلات كانت تشكل فى حد ذاتها امبراطورية منفصلة .

شعرت فلورنتينا بحماس بالغ حيال العرض ولكنها كانت مصرة على اكتساب بعض الخبرة الخارجية قبل أن تنضم إلى مجموعة أبيها . لم تكن تعتقد بأن موهبتها الطبيعية فى التصميم وتنسيق



الألوان والتنظيم يمكن أن تكون بديلا عن الخبرة . اقترح عليها هابيل أن تتدرب فى سويسرا تحت إدارة إم موريس فى إحدى المدارس الفندقية الشهيرة فى لوزان . ولكن فلورنتينا اعترضت على الفكرة وقالت لأبيها إنها تريد أن تعمل على مدى عامين فى أحد متاجر نيويورك قبل أن تقرر ما إن كانت سوف تقبل أو ترفض عرض أبيها . كانت مصممة على اكتساب العمل عن جدارة " وليس فقط لأنى ابنة أبى " على حد قولها لوالدها . فأيدها هابيل .

قال هابيل : " أحد متاجر نيويورك ، هذا أمر سهل ، سوف أتصل بوالتر هوفيج فى تيفانى وأطلب منه أن تبدئى من القمة " .

قالت فلورنتينا ، فى إصرار يكشف عن صفة العند التى ورثتها عن أبيها : " كلا . ما هو العمل الذى يوازى نادلاً فى فندق بلازا ؟ " .

قال هابيل وهو يضحك : " فتاة مبيعات فى أحد المتاجر العادية " .

قالت : " إذاً ، هذا هو تحديدا ما سوف أفعله " .

توقف هابيل عن الضحك : "هل أنت جادة ؟ ، بعد الشهادة التى حصلت عليها من رادكليف وكل الرحلات التى قمت بها ، تريدين أن تكونى فتاة مبيعات مجهولة فى أحد المتاجر ؟ " .

أجابت فلورنتينا : " كونك كنت نادلا مجهولا فى البلازا لم يضرك فى شىء عندما قمت ببناء أكبر سلسلة فنادق فى العالم " .

كان هابيل يدرك تماما متى يذعن للهزيمة . كان عليه فقط أن ينظر فى عينى ابنته ذات الإرادة الصلبة لكى يدرك أنها كانت قد عقدت العزم وأنه لن يثنيها أو يقنعها أحد بتغيير رأيها سواء بطريقة ودية أو غير ذلك .

بعدما تخرجت فلورنتينا من رادكليف ، قضت شهرا فى أوروبا مع أبيها لتتفقد مدى ما أحرزته فنادق البارون من تقدم هناك . افتتحت رسميا بارون بروكسل واجتذبت إعجاب مدير الإدارة الوسيم الناطق بالفرنسية والذي اتهمه هابيل بأن رائحته تشبه رائحة الثوم . ولكنها قررت أن تتخلى عن الرجل بعد ثلاثة أيام عندما وصلت العلاقة إلى مرحلة القبلات ، غير أنها لم توافق أباها الرأى أبدا فى أن الثوم كان هو السبب .

عندما عادت فلورنتينا إلى نيويورك مع أبيها ، قدمت على الفور طلبا لشغل إحدى الوظائف الخالية ( كانت هذه هى الكلمات المستخدمة فى الإعلان ) الخاصة "بمساعدات بيع تحت التدريب" فى محلات بلومينجديل . عندما حررت استمارة طلب الالتحاق بالعمل لم تذكر اسمها الأصلى وإنما أطلقت على نفسها اسما مستعارا " جيسى كوفاتز " ، بعد أن أدركت تمام الإدراك أنه لن يدعها أحد لحالها إن عرف أنها ابنة بارون شيكاغو .

وبالرغم من اعتراض أبيها ، تركت أيضا جناحها فى بارون نيويورك وبدأ تبحث عن مكان آخر لتعيش فيه . وثانية استسلم هابيل لرغبتها وقدم لها شقة أنيقة فى الطابق السابع والخمسين فى أحد الشوارع القريبة من النهر الغربى ، كهدية فى عيد ميلادها الثانى والعشرين .

كانت فلورنتينا تحظى بحياة زاخرة فى نيويورك ، كانت تستمتع بحياة اجتماعية حافلة ولكنها كانت قد قررت منذ فترة أن تخفى أمر عملها فى محلات بلومينجديل عن أصدقائها . كانت تخشى أن يبدى كل منهم رغبته فى زيارتها فى مقر عملها مما كان يمكن أن يكشف عن حقيقة أمرها ويجعلها تحظى بمعاملة خاصة .



عندما سألها أصدقاؤها بالفعل عن عملها ؛ اكتفت بإخبارهم بأنها تساعد فى إدارة بعض المتاجر فى فنادق أبيها . لم تثر إجابتها ريبة أى سائل .

استغرقت جيسى كوفاتز بعض الوقت إلى أن اعتادت على الاسم وبدأت عملها فى قسم أدوات التجميل . بعد ستة أشهر ؛ كانت على استعداد لأن تدير متجرها الخاص بأدوات التجميل . كانت الفتيات فى محلات بلومينجديل يعملن فى ثنائيات ، وهو ما استغلته فلورنتينا على الفور لصالحها فاختارت أكثر الفتيات كسلا فى القسم . كان هذا الاختيار قد ناسب كلا الفتاتين ؛ حيث وقع اختيار فلورنتينا على فتاة جميلة شقراء جاهلة تدعى ميسى لم يكن لها هم فى الحياة سوى الساعة عندما تشير إلى السادسة ، والرجال .

سرعان ما توثقت العلاقة بين الفتاتين كزميلات وليس كصديقات . تعلمت فلورنتينا الكثير من زميلاتها فى العمل بشأن كيفية عدم أداء العمل والإفلات فى نفس الوقت من عين المدير المسئول عن الطابق وأيضا عن كيفية اقتناص الرجال .

حقق قسم أدوات التجميل أرباحا مرتفعة بعد الستة أشهر الأولى التى عملت فيها الفتاتان فى القسم حتى بالرغم من أن ميسى كانت تقضى جل وقتها فى تجربة المساحيق بدلا من بيعها . كانت تستغرق ساعتين لإعادة طلاء أظافرها . أما فلورنتينا فى المقابل فقد اكتشفت أنها لا تتمتع بموهبة فطرية فى البيع وأنها كانت تجد متعة فى ذلك . كان هذا الثنائى يناسبها تماما وبعد انقضاء الأسابيع القليلة الأولى ، كان المدير ينظر إليها بوصفها تتمتع بكفاءة لا يتمتع بها كثير من الموظفين الذين عملوا عنده على مدى سنوات .

كانت شراكتها مع ميسى تناسبها تماما ؛ وعندما تم نقلها إلى قسم الملابس ؛ واصلت ميسى توافقهما المتبادل وكانت تقضى جل وقتها فى ارتداء الملابس بينما كانت فلورنتينا تقضى وقتها فى بيعها . كانت ميسى تتمتع أيضا بقدرتها على اجتذاب الرجال - حتى إن كانوا بصحبة زوجاتهم - بغض النظر عن طبيعة السلعة وذلك بنظراتها فقط . وما إن يسقط الرجال فى شباكها ؛ فإن فلورنتينا تتقدم منهم وتنجح فى بيع أى شيء لهم . كان يبدو من الصعب أن يحقق هذا الثنائى نجاحا فى قسم الملابس ، ولكن فلورنتينا كانت مع ذلك تنجح فى أغلب الوقت فى إسقاط ضحايا ميسى . القليل فقط هو الذى كان ينجح فى الإفلات والنجاة بنقوده .

حققت الأرباح فى الأشهر الستة الأولى ارتفاعا وصل إلى ٣٠ بالمائة وقرر مشرف الطابق أن الفتاتين يجيدان على الأرجح العمل مع بعضهما البعض . لم تسع فلورنتينا إلى التفوه بكلمة لكى تعترض على هذا الانطباع . فى الوقت الذى كانت تشكو فيها معظم المساعدات فى المحل من قلة العمل الذى تقوم به زميلاتهن ؛ كانت فلورنتينا تشيد بميسى باعتبارها الشريكة المثالية للعمل وكانت تقول إنها قد أكسبتها الكثير من الخبرة بشأن الطريقة التى يعمل بها متجر كبير كهذا . ولكنها لم تشر إلى النصيحة التى ذكرتها لها ميسى أيضا بشأن كيفية التعامل مع الرجال مفرطى العواطف والمشاعر .

كان أفضل تقدير يمكن أن تحصل عليه عاملة فى بلومينجديل هو أن تعين فى أحد الأقسام الأمامية عند المدخل المطل على شارع ليكسينجتون آفينيو بحيث تكون أول من يراها أى عميل فور دخوله من الباب . كان الحصول على قسم كهذا يعد بمثابة ترقية بسيطة



نادرا ما تحصل عليها فتاة قبل أن تقضى خمس سنوات من العمل على الأقل فى المتجر . كانت ميسى تعمل فى بلومينجديل منذ أن كانت فى السابعة عشرة من عمرها ؛ أى خمس سنوات كاملة ، أما فلورنتينا فكانت قد أتمت بالكاد عامها الأول فى المتجر . ولكن نظرا لأن سجل مبيعاتهما كان قد حقق رقما مميزا ؛ فقد قرر المدير أن يمنحهما فرصة للعمل فى الطابق الأرضى فى قسم الأدوات المكتبية . عجزت ميسى عن اكتساب أية ميزة شخصية لنفسها من قسم الأدوات المكتبية لأنها لم تكن تكترث بالقراءة فضلا عن عدم اهتمامها بالمرة بالكتابة . لم تكن فلورنتينا واثقة بعد أن عملت معها على مدار عام كامل إن كانت تجيد القراءة والكتابة . ومع ذلك فإن العمل فى القسم الجديد قد ناسب ميسى تماما لأنها كانت تعشق جذب الانتباه . لذا واصلت الفتاتان نجاحهما .

وقد اعترف هابيل ذات مرة لجورج بأنه قد زار بلومينجديل وراقب فلورنتينا سرا وعليه أن يقر بأنها بارعة فى عملها . وقد أكد لنائبه فى العمل بأنه يتطلع لأن تنهى العامين فترة التدريب لكى يتمكن هو من تعيينها فى فنادقه . كان الاثنان قد اتفقا على تعيين فلورنتينا نائبا للمجموعة بعد أن تترك عملها فى بلومينجديل ؛ مع تحملها مسئولية خاصة عن المتاجر الخاصة بالفندق . كانت فلورنتينا فتاة نادرة المواهب والإمكانات لذا كان هابيل واثقا من أنها لن تجد أي صعوبة تذكر فى تحمل المسئولية التى كانت فى انتظارها .

* * *

قضت فلورنتينا الأشهر الستة الأخيرة فى بلومينجنديل فى الطابق الأرضى ؛ كمسئولة عن ست موائد عرض بعد أن حملت لقب

مشرف ثان . كانت مسئوليتها تتضمن الإشراف على المخازن ومكاتب التحصيل النقدى والإشراف العام على ثمانية عشر موظفا. كانت إدارة بلومينجديل قد قررت بالفعل بأن جيسى كوفاتز كانت مرشحا أمثل لأن تكون مشتريا .

لم تكن فلورنتينا قد أخبرت بعد مرءوسيها فى العمل بأنها سوف تترك العمل بعد فترة قصيرة لكى تلتحق بالعمل كنائب مدير فى مجموعة والدها . بينما كانت الأشهر الستة تقترب من نهايتها ، بدأت تسأل نفسها عما سوف يلحق بميسى المسكينة بعدما تترك العمل . كانت ميسى تفترض أن جيسى سوف تبقى فى بلومينجديل إلى الأبد - ألم يكن هذا هو حال الجميع ؟ - ولم تثر الأمر مع نفسها ثانية . فكرت فلورنتينا أنها ربما يمكن أن تمنحها وظيفة فى أحد المتاجر التابعة لفندق البارون نيويورك . طالما بقيت فى أحد الأقسام التى تجتذب الرجال ، فهى بارعة فى هذا الشأن .

وفى عصر أحد الأيام ، كانت ميسى تبيع لأحد الزبائن ، تجولت معه بين القفازات ثم الكوفيات ثم القبعات ، ثم جذبت فلورنتينا جانبا واشارت إلى شاب صغير كان يتباطأ عند قفازات اليد .

سألت ميسى وهى غارقة فى الضحك : " ما رأيك فيه ؟ " .

ألقت فلورنتينا نظرة على الرجل بعدما ألحت عليها ميسى ولكنها فى هذه المرة كان عليها أن تقر بأن الرجل كان جذابا بالفعل . لمرة واحدة شعرت فلورنتينا أنها تحسد ميسى .

قال فلورنتينا : " ولكنهم لا يريدون دائما سوى شيء واحد يا ميسى " .

قالت ميسى : " أعلم ويمكنه أن يحصل عليه " .



قالت فلورنتينا وهى تضحك مستديرة نحو إحدى الزبائن التى بدأت تفقد صبرها إزاء تجاهل ميسى لوجودها : " أنا واثقة من أنه سوف يسعد بسماع ذلك " . استغلت ميسى حركة فلورنتينا وهرعت لخدمة الرجل الذى كان يبحث عن القفازات . أخذت فلورنتينا تراقبهما بطرف عينها . كانت سعيدة لأنه كان يسترق النظر إليها من آن إلى آخر وقد سيطر عليه الاضطراب لكى يتأكد من أن ميسى لم تكن تتعرض للمراقبة من قبل مشرفتها . ابتسمت ميسى للرجل بعد أن ترك المحل مغادرا بعد شراء زوج من القفازات الجلدية الزرقاء .

سألت فلورنتينا وهى مدركة أنها تشعر ببعض الغيرة من غنيمة ميسى الجديدة : " حسنا ، كيف حال العميل ؟ " .

أجابت ميسى : " إنه لم يبد أية رغبة . ولكننى واثقة من أنه سوف يعود " .

وقد صدقت ميسى فى توقعها فقد عاد الشاب فى اليوم التالى ، وأخذ يعبث فى القفازات ، وقد ارتسمت عليه علامات الاضطراب أكثر من ذى قبل .

قالت فلورنتينا : " أعتقد أنه يجدر بك أن تذهبى لمساعدته " .

أسرعت ميسى مذعنة لطلبها . كادت فلورنتينا تضحك بصوت مرتفع عندما عادت بعد بضع دقائق ، وغادر الزبون حاملا زوجا آخر من القفازات زرقاء اللون .

قالت فلورنتينا فى سخرية غير مصدقة : " زوجان ! .. لابد أنه يعانى من عقدة القفازات " .

قالت ميسى : " إنه أمر محبط للغاية لأننى أعتقد أنه شاب مهذب " .

قالت فلورنتينا : " أجل إنه ليس سيئا " .

وفى اليوم التالى ، وصل الشاب ، فهرعت ميسى نحوه تاركة سيدة عجوز فى منتصف حديثها معها . اسرعت فلورنتينا وحلت محل ميسى وأخذت ثانية تراقب ميسى بطرف عينها . فى هذه المرة بدا العميل والبائعة وقد انخرطا فى حديث مستفيض مع بعضهما البعض وأخيرا غادر الرجل الشاب حاملا زوجا آخر من القفازات الجلدية الزرقاء .

قالت فلورنتينا : " لابد أنه يعانى بالفعل من عقدة القفازات " .

أجابت ميسى : " أجل أظن ذلك ولكنه لم يطلب منى لقاءه إلى الآن " .

ذهلت فلورنتينا .

قالت ميسى : " اسمعى . إن جاء غدا ، هل يمكنك أن تتولى أنت مهمة خدمته ؟ أعتقد أنه يخشى أن يطلب لقائى بشكل مباشر . قد يجد الأمر أكثر سهولة من خلالك أنت " .

ضحكت فلورنتينا : " تحت أمرك يا سيدتى " .

قالت ميسى : " ماذا ؟ " .

" لا يهم . أشك فى أننى سوف أنجح فى بيع زوج من القفازات له " .

عندما وصل الشاب إلى المتجر فى اليوم التالى فى نفس الموعد الذى كان قد وصل فيه فى اليوم السابق ، وتوجه مباشرة نحو قسم القفازات ، شعرت فلورنتينا أن هذا الشاب كان يتمتع بدرجة عالية من المثابرة .



لكزت ميسى فلورنتينا التى قررت أن الوقت قد حان لكى تستمتع بوقتها قليلا .

" مساء الخير يا سيدى " .

قال الشاب وهو ينظر إليها فى دهشة ، أو ربما خيبة أمل : " مساء الخير " .

قالت فلورنتينا : " هل يمكننى مساعدتك ؟ " .

قال الشاب بنبرة غير مقنعة : " كلا ، أقصد ، نعم . أريد شراء زوج من القفازات " .

" أمرك يا سيدى . هل فكرت فى اللون الأزرق الغامق ؟ القفازات الجلدية ؟ أنا واثقة أن لدينا المقاس الذى يناسبك ما لم يكن قد نفد " .

نظر إليها فى ريبة وهى تمد يدها بالقفازات . جرب المقاس ولكنه كان كبيرا بعض الشىء . عرضت عليه فلورنتينا زوجا آخر ولكنه كان ضيقا قليلا . نظر نحو ميسى . كانت شبه محاطة ببحر من الرجال ، ولكنها لم تكن غارقة فى البحر لأنها كانت تسترق النظر إليه وتبتسم . ابتسم إليها فى توتر . مدت فلورنتينا يدها له بزوج قفازات آخر .كان هذا هو المقاس المناسب .

قالت فلورنتينا : " أعتقد أن هذا ما كنت تبحث عنه " .

أجاب الزبون وقد ظهرت عليه بوضوح علامات الحرج : " كلا ، ليس هذا تحديدا " .

قررت فلورنتينا أن الوقت قد حان لمساعدة الرجل المسكين على اجتياز هذه المحنة . أخفضت صوتها وقالت : " سوف أذهب لإنقاذ ميسى ، لِمَ لا تقابلها خارج المتجر ؟ أنا واثقة أنها سوف توافق " .

قال الشاب الصغير : " كلا أنت لا تفهمين . إننى لا أريد أن أقابلها هى وإنما أريد أن أقابلك أنت " .

لم تنطق فلورنتينا بكلمة واحدة . ولكن الرجل بدا وكأنه قد تمالك رباطة جأشه وواصل قائلا :

" هل تقبلين دعوتى على العشاء الليلة ؟ " .

سمعت نفسها وهى ترد بالإيجاب .

" هل أمر لأصحبك من بيتك ؟ " .

قالت فلورنتينا ، ربما بنبرة قوية بعض الشىء : " كلا " ، ولكن آخر شيء كانت تريده هو أن يقابلها فى شقتها حيث سيتبين له ولأى شخص بأنها أكثر من مجرد فتاة مبيعات أو بائعة فى متجر . وأضاف بسرعة : " لنتقابل فى المطعم " .

" أين تودين أن نذهب ؟ " .

حاولت فلورنتينا ثانية أن تفكر فى مكان لا يبدو متكلفا .

بادر بالقول : " آلان فى الشارع ثلاثة وسبعين ؟ " .

قالت فلورنتينا ، وهى تفكر فى مدى تفوق ميسى عليها فى ظل هذه المواقف : " حسنا ، هذا مناسب " .

" قرابة الثامنة مساء ، هل هذا يناسبك ؟ " .

أجابت فلورنتينا : " قرابة الثامنة " .

غادر الشاب المتجر مبتسما . بينما وقفت فلورنتينا تراقبه وهو يرحل ويختفى عن نظرها فى الشارع ، أدركت فجأة أنه قد غادر بدون أن يشترى زوج القفازات.

قضت فلورنتينا وقتا طويلا فى انتقاء الثوب المناسب الذى يمكن ان ترتديه فى هذه الليلة . كانت تريد أن تكون واثقة من أن الثوب لن يصبح قائلا بأنه يحمل علامة بيرج دورف جودمان . كانت قد



اقتنت بعض الملابس التى تناسب عملها فى بلومينجديل ، ولكن الملابس كانت مقتصرة على الاستخدام الخاص بالعمل وكانت لا ترتدى أيا من هذه الملابس أثناء خروجها ليلا . إن كان الرجل الذى سوف تقابله - يا إلهى إنها حتى لا تعرف اسمه - يظن أنها بائعة فيجب ألا تخذله . لم يسعها إلا أن تقر بأنها بالفعل كانت تتوق للخروج معه أكثر مما ينبغى .

غادرت شقتها فى شارع إيست فيفتى سيفنث قبل الثامنة بقليل وكان عليها أن تنتظر لدقائق عديدة قبل أن تنجح فى العثور على سيارة أجرة .

قالت لقائد السيارة : " آلان من فضلك " .

" الواقع فى الشارع رقم ثلاثة وسبعين ؟ " .

" نعم " .

" تفضلى يا سيدتى " .

عندما وصلت فلورنتينا إلى المطعم ، كانت قد تأخرت لبضع دقائق . بدأت عيناها تدوران بحثا عن الشاب . كان يقف فى المدخل يلوح إليها . كان قد بدل ملابسه وارتدى بنطالا رماديا فضفاضا وسترة زرقاء . فكرت فلورنتينا : يا لها من ملابس أنيقة ، وكم هو وسيم .

بدأت فلورنتينا حديثها : " آسفة على التأخر " .

" لا يهم ، المهم أنك قد حضرت " .

قالت فلورنتينا : " وهل ظننت أننى لن أحضر ؟ " .

ابتسم : " لم أكن واثقا . آسف ، لا أعرف اسمك " .

قالت فلورنتينا وهى مصرة على الاحتفاظ باسمها المستعار : " جيسى كوفاتز . وما اسمك أنت ؟ " .

قال الشاب وهو يمد لها يده لكى يصافحها : "ريتشارد كين " .

مدت يدها هى الأخرى فأمسك بها لفترة أطول قليلا مما توقعته .

بدأت حديثها : " وما الذى تفعله فى الأوقات التى لا تشترى فيها قفازات من بلومينجديل ؟ " .

" أنا فى كلية الأعمال فى هارفارد " .

" أنا مندهشة من أنهم لم يلقنوك فى الكلية بأن كل شخص لا يملك إلا زوجاً واحداً من الأيدى " .

ضحك وابتسم على نحو هادئ وودود جعلها تتمنى لو كان بوسعها أن تبدأ الحديث ثانية وتخبره بأنهما ربما كانا قد التقيا فى كمبريدج أثناء دراستها فى رادكليف .

قال ريتشارد وهو يمسك بذراعها ويقودها إلى المائدة : " هلا نجلس ؟ " .

نظرت فلورنتينا إلى قائمة الطعام المعروضة .

قالت : " شريحة السليسبورى " .

قال ريتشارد : " هل هذا اسم من أسماء الهامبرجر ؟ " .

ضحك الاثنان بالطريقة التى يضحك بها اثنان لا يعرفان بعضهما البعض ويسعيان للتعارف . أدركت أنه اندهش لكونها قد أدركت ما يرمى إليه .

لم يكن قد سبق لفلورنتينا أن استمتعت بصحبة شخص آخر هكذا اللهم إلا نادرا . حكى لها ريتشارد عن نيويورك والمسرح والموسيقى ـ التى كانت تمثل له حبه الأول ـ بنبرة مريحة وسلسة



أشعرتها فى وقت قصير بالراحة والانسجام . ربما كان يعلم أنها بائعة فى محل ولكنه كان يعاملها وكأنها فتاة من عائلة عريقة . تمنى لو لم يكن قد بدا عليه الاندهاش الشديد عندما اكتشف أنها تشاركه معظم اهتماماته . عندما طلب منها أن تتحدث عن نفسها قليلا لم تخبره بشىء أكثر من أنها فتاة بولندية تعيش فى نيويورك مع والديها . وقد شعرت فلورنتينا مع امتداد ساعات اللقاء بينهما أن الخداع أصبح غير محتمل . ولكن ، قد لا يتقابلان مرة أخرى بعد الليلة لذا بدا لها أن كل ما تقوله غير ذى أهمية .

عندما انتهى اللقاء وعجز كل منهما عن تناول المزيد من القهوة، قاما وغادر المطعم ووقف ريتشارد يبحث عن سيارة أجرة ولكنها كانت جميعا قد أنهت عملها لذلك اليوم .

سأل ريتشارد : " أين تعيشين ؟ " .

" شارع فيفتى سيفنث " .

قال وهو يمسك بيد فلورنتينا : " إذن فلنتمش حتى هناك " .

ابتسمت موافقة . أخذا يسيران ويتوقفان ويتفقدان معروضات المتاجر عبر نوافذ العرض ويضحكان ويتحدثان. لم يلحظ أى منهما أن السيارات الأجرة كان تمر بجوارهما فى هذه الأثناء . وقد استغرق كل هذا ما يقرب من ساعة إلى أن قطعا مسافة الستة عشر مبنى وأوشكت فلورنتينا أن تبوح له بالحقيقة . عندما وصلا إلى شارع فيفتى سيفنث ، توقفت عند بناء قديم على بعد بضعة مئات من الأمتار من منزلها الحقيقى .

قالت : "هنا يعيش أهلى " .

بدا مترددا ثم أطلق يدها .

قال ريتشارد : " أتمنى أن نتقابل ثانية " .

أجابت فلورنتينا بنبرة مهذبة مودعة : " يسعدنى هذا " .

سألها ريتشارد فى خجل : " غدا ؟ " .
سألت فلورنتينا : " غدا ؟ "
" نعم ، لم لا نذهب إلى البلو إنجيل ونشاهد بوبى شورت - ثم أمسك يدها ثانية - إنه أكثر رومانسية قليلا من آلان " .
شعرت فلورنتينا لدقائق أنها قد أخذت على غرة . لم تكن قد خططت شيئا مسبقا للغد .
أضاف ريتشارد قبل أن تفيق من دهشتها : " إلا إذا لم تكن لديك رغبة " .
قالت فى هدوء : " سوف يسعدنى ذلك " .
" سوف أتناول العشاء مع أبى ثم أمر لكى أصحبك فى العاشرة " .
قالت فلورنتينا : " كلا ، كلا سوف أقابلك هناك ، إنه لا يبعد سوى مسافة بسيطة من منزلى " .
" فى العاشرة مساء إذن " ثم انحنى وقبلها برفق على خدها وقال : " تصبحين على خير يا جيسى " ثم اختفى فى الظلام .
سارت فلونتينا ببطء نحو شقتها ، متمنية لو لم تكن قد أخبرته بكل هذه الأكاذيب عن نفسها . ولكن مازال الأمر برمته يمكن أن ينتهى فى غضون أيام . لم يسعها إلا أن تتمنى ألا يحدث ذلك .

* * *

ميسى التى لم تكن بعد قد سامحت فلورنتينا أخذت تلح طويلا على فلورنتينا طوال اليوم التالى لكى تقص عليها كل ما يخص ريتشارد . وأخذت فلورنتينا تسعى بدورها لتغيير الحديث ولكن بلا جدوى .



غادرت فلورنتينا بلومينجديل فى اللحظة التى أغلق فيها المحل أبوابه ، كانت هذه هى المرة الأولى التى تغادر فيها قبل ميسى على مدى عامين . أخذت حماما طويلا ، وارتدت أجمل ثوب فى حدود ما لا يلفت النظر وسارت نحو البلو إنجيل . عندما وصلت كان ريتشارد واقفا فى انتظارها خارج حجرة حجز التذاكر . أمسك يدها وسارا نحو قاعة الانتظار حيث كان يصلهما صوت بوبى شورت منسابا عبر الهواء : "هل تخبرنى بالحقيقة أم أنها كذبة أخرى ؟ " .
عندما دخلت فلورنتينا القاعة ، رفع شورت يده مرحبا بها . تظاهرت فلورنتينا بأنها لم تلحظه . كان السيد شورت قد حل نجما مستضافا فى فندق البارون فى مناسبتين أو ثلاث مناسبات ولم يخطر ببال فلورنتينا أنه يمكن أن يتذكرها . لاحظ ريتشارد ما بدر من شورت وارتسمت عليه علامات الدهشة . ثم افترض أنه ربما كان يحيي شخصا آخر . عندما جلسا على إحدى الموائد فى الغرفة خافتة الإضاءة ،حرصت فلورنتينا على أن تجلس موجهة ظهرها إلى البيانو حتى لا يتكرر الموقف ثانية .
طلب ريتشارد شراباً بدون أن يترك يدها وسألها عن يومها . لم تكن تريد أن تخبره بما حدث فى يومها ، كانت تريد أن تقول له الحقيقة : "ريتشارد هناك شىء يجب أن ــــ " .
قال رجل وسيم وقف بجوار ريتشارد : " مرحبا يا ريتشارد" .
"مرحبا يا ستيف . هلا عرفتك بجيسى كوفاتز ــ ستيف ميليون ، لقد كنا ندرس فى هارفارد سويا " .
أنصتت فلورنتينا إلى حديثهما عن فريق يانكيز فى نيويورك والإعاقة التى أصابت آيزنهاور بسبب الجولف والحالة المتردية التى وصل إليها فريق يانكيز وكيف أنه يسير من سيىء إلى أسوأ . ثم

أخيرا انصرف ستيف بعد أن قال لها فى لهجة أنيقة : " سعدت بلقائك يا جيسى " .

كان قد فوت بذلك الفرصة على فلورنتينا .

بدأ ريتشارد يخبرها بالخطط التى عزم على تنفيذها بعد التخرج من كلية الأعمال . كان يأمل أن يعود إلى نيويورك ويلتحق بالعمل فى بنك أبيه ؛ بنك ليستر . كانت فلورنتينا قد سمعت بهذا الاسم من قبل ولكنها لم تتذكر الملابسات . ولكنها لسبب ما ، لم تشعر بالارتياح .

قضى الاثنان ليلة طويلة سويا ، يتضاحكان ويأكلان ويتحدثان ، ويمسكان بيد بعضهما البعض وهما يستمعان إلى بوبى شورت . عندما سارا عائدين ، توقف ريتشارد عند أحد أركان شارع فيفتى سيفنث وقبل فلورنتينا للمرة الأولى . لم تكن فلورنتينا قد شعرت من قبل بما يطلق عليه القبلة الأولى . عندما تركها فى ظلام الشارع ، أدركت أنه فى هذه المرة لم يذكر الغد . وشعرت بشىء من الكآبة من جراء ذلك .

وقد استعادت شعورها بالسعادة مرة أخرى عندما اتصل بها ريتشارد هاتفيا فى بلومينجديل يوم الاثنين طالبا منها أن تقابله يوم الجمعة .

قضت فلورنتينا مع ريتشارد معظم عطلة نهاية الأسبوع ، ذهبا لحضور حفل موسيقى ثم لمشاهدة أحد الأفلام ، حتى عرض فريق يا نكيز فى نيويورك لم يفتهما . عندما انتهت عطلة نهاية الأسبوع ، أدركت فلورنتينا أنها قد حكت لريتشارد الكثير من الأكاذيب البيضاء بشأن أصلها وماضيها وبأن حديثها وتضاربه قد أصبح يثير ريبة وحيرة ريتشارد فى أكثر من مناسبة . مما جعل من



المستحيل عليها أن تخبره بالقصة الحقيقية المختلفة تماما عما روته له . عندما عاد ريتشارد إلى هارفارد مساء الأحد ، أقنعت نفسها أن هذا الخداع لن يكون ذا قيمة بعد أن تنتهى علاقتهما . ولكن ريتشارد أخذ يتصل بها هاتفيا كل يوم على مدى أسبوع كامل وقضى عطلتى نهاية الأسبوعين التاليين معها ، عندها أدركت فلورنتينا أن الأمر لن يكون بهذه البساطة وأنها قد بدأت تتعلق بريتشارد وتحبه . ما إن أقرت بذلك لنفسها ، أدركت أنها يجب أن تخبره بالحقيقة فى عطلة نهاية الأسبوع التالية .

# الفصل الرابع والثلاثون

كان ريتشارد غارقاً فى أحلام يقظته على مدى المحاضرات الصباحية . كان مغرما بهذه الفتاة مما حال دون تركيزه فى "انهيار البورصة عام تسعة وعشرين " . كيف يمكن أن يخبر والده بأنه يريد أن يتزوج من فتاة بولندية تعمل فى بيع القفازات والقبعات والكوفيات فى أحد أقسام بلومينجديل ؟ عجز ريتشارد عن تبين سبب تواضع طموحها بما لا يتناسب مع مستوى ذكائها وقدراتها . كان واثقا من أنه لو أتيحت لها نفس الفرص التى أتيحت له لما كان قد انتهى بها المآل فى بلومينجديل . قرر ريتشارد أن أبويه يجب أن يتقبلا اختياره لأنه كان قد عقد العزم على طلبها للزواج فى عطلة نهاية الأسبوع .

كان ريتشارد كلما عاد إلى منزل أبويه فى عطلة نهاية الأسبوع ، يبادر بمغادرة المنزل فى شارع إيست سيكستى إيتث ويتوجه إلى محل بلومينجديل لشراء أى شىء ، أى سلعة بسيطة فقط لكى يعلم





جيسى بأنه قد عاد إلى المدينة ( على مدى الأسابيع العشرة الماضية كان قد أهدى زوجا من القفازات لكل أقاربه ) ، لذا أخبر والدته فى يوم الجمعة هذا بأنه سوف يذهب لشراء شفرة حلاقة .

قالت والدته : " لا تشغل نفسك يا عزيزى ، يمكنك أن تستخدم شفرة والدك " .

قال ريتشارد : " كلا . كلا ، لا تشغلى بالك . سوف أذهب وأشترى بعض الشفرات . فنحن لا نستخدم نفس النوع على أية حال . لن أستغرق سوى بضع دقائق " .

كاد ريتشارد يركض قاطعا الطريق إلى بلومينجديل ونجح فى الوثوب داخل المحل قبل أن يغلق أبوابه . كان يعلم أنه سوف يقابل جيسى فى السابعة والنصف ولكنه لم يكن يمكن أن يفوت على نفسه فرصة مجرد رؤيتها . كان ستيف ميليون قد أخبره ذات مرة أن الحب للأطفال فقط ، فكتب ريتشارد على مرآة الحلاقة التى كانت قد كسيت بالبخار فى صباح ذلك اليوم : " أنا طفل " .

غير أن ريتشارد عندما وصل إلى بلومينجديل فى يوم الجمعة هذا ، لم يجد جيسى موجودة هناك . كانت ميسى تقف فى أحد أركان المحل تقلم أظافرها ، فاقترب منها وسألها عن جيسى وإن كانت مازالت موجودة . نظرت إليه ميسى وكأنه قد قطع عليها عملا مهمًا كانت تقوم به " كلا ، لقد غادرت إلى بيتها يا ريتشارد ، لقد غادرت بضع ثوان مبكرا. لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيرا . كنت أظن أنك سوف تقابلها فى وقت لاحق " .

جرى ريتشارد فى شارع ليكسنجتون . أخذ يبحث عن جيسى بين الوجوه وهو يسير فى طريق منزلها ، ثم لمحها فى الجانب المقابل من الشارع ، وهى تسير نحو شارع فيفث . بدا من الواضح أنها لم تكن تسير عائدة إلى منزلها وقد قرر ريتشارد عندها مع

القليل من الشعور بالذنب بأنه سوف يتبعها . عندما وصلت إلى سكريبنر فى شارع فورتى إيت ، توقف وأخذ يراقبها وهى تدخل المكتب . إن كانت تريد أن تحصل على شىء لقراءته كان يمكنها بالطبع أن تحصل عليه من بلومينجديل . تعجب ريتشارد . أخذ ينظر من خلال النافذة بينما كانت تتحدث مع أحد موظفى المبيعات ، الذى تركها لبضع دقائق ثم عاد حاملا كتابين . استطاع ريتشارد أن يتبين اسم الكتابين : " مجتمع الرخاء " لـ جون كينثى جلبريت و" روسيا من الداخل " لـ جون جونثير . وقعت جيسى على استلام الكتابين - مما أدهش ريتشارد - ثم غادرت المحل بينما وقف هو مختبئا فى أحد الأركان .

قال ريتشارد بصوت مرتفع وهو يراقبها وهى تدخل محل بيندل : " من تكون ؟ " . حياها الحارس بمنتهى الاحترام راسما انطباعًا ينم عن التبجيل على وجهه . وثانية أخذ ريتشارد يتساءل متلصصا عبر النافذة وشاهد البائعات وهن يحمن حول فلورنتينا ويبدين أكثر من الاحترام المعهود . ظهرت سيدة أكبر سنًا وهى تحمل لفافة ، بدا من الواضح أن جيسى كانت فى انتظارها . فتحت اللفافة ، وإذا بثوب سهرة بسيط ولكن فى غاية الأناقة . ابتسمت فلورنتينا وأومأت للبائعة التى وضعت بدورها الثوب فى صندق بنى فى أبيض . حركت فلورنتينا شفتيها قائلة "أشكرك " ثم توجهت نحو الباب بدون حتى أن توقع على الشراء . ذهل ريتشارد من المشهد الذى رآه ونجح بالكاد فى عدم الاصطدام بها أثناء خروجها من المحل ووثوبها داخل إحدى السيارات الأجرة .

تمالك ريتشارد نفسه وطلب من السائق أن يتبع السيارة . عندما تخطت السيارة المنزل الصغير الذى كان من المفترض أنه بيت أهلها ، بدأ الشعور بالريبة يتملك ريتشارد . لا عجب أنها لم



تدعنى يوما إلى الدخول . واصلت السيارة التى كانت تقلها السير إلى بضع مئات أخرى من الياردات ثم توقفت أمام منزل جديد رائع يقف أمامه بواب بالزى الكامل ، فتح لها الباب . فى ذهول وتوجس كامل ، قفز ريتشار من السيارة وبدأ يتقدم نحو الباب الذى دخلت منه واختفت عبره .

جاءه الصوت من خلفه : " خمسة وتسعون سنتنا يا عزيزى "

قال ريتشارد ورمى له بخمسة دولارات ونسى أن يتسلم الباقى : " آه ، آسف " .

قال السائق : " شكرا لك . لقد أسعدت اليوم شخصا بكل تأكيد " .

أسرع ريتشارد عبر باب ونجح فى الإمساك بفلورنتينا عند المصعد . أخذت فلورنتينا تحدق فيه بدون أن تنطق بكلمة .

سألها ريتشارد بينما كان باب المصعد يغلق : " من أنت ؟ " .

همست : " ريتشارد لقد كنت على وشك مصارحتك بكل شىء هذا المساء . لم تتح لى يوما فرصة مناسبة لإخبارك " .

قال ريتشارد وهو يتبع فلورنتينا نحو شقتها : " بكل تأكيد كنت ستخبريننى . لقد كنت تقصين علىّ مجموعة من الأكاذيب التى لا تنتهى على مدى ثلاثة أشهر . حسنا لقد حان وقت الإفصاح عن الحقيقة " .

لم تكن فلورنتينا قد رأت ريتشارد فى مثل هذا الغضب من قبل ، وشكت فى أن هذا يمكن أن يكون نادر الحدوث . شق طريقه فجأة وسار أمامها بينما تقدمت هى لتفتح الباب . نظر إلى الشقة ، عند نهاية المدخل كانت هناك غرفة معيشة كبيرة ذات سجادة شرقية أنيقة . وساعة حائط قديمة رائعة على الجدار معلقة فى

مقابل مائدة جانبية تحمل إناء من الزهور اليانعة . كانت الغرفة جميلة حتى بالنسبة لمستوى بيت ريتشارد الذى قال :

" منزل رائع بالنسبة لبائعة . أتساءل أى من محبيك يسدد لك ثمن هذا " .

صفعته فلورنتينا بشدة على وجهه .

وقالت : " كيف تجرؤ ؟ اخرج من بيتى " .

بعد أن سمعت الكلمات التى تفوهت بها ، انخرطت فى البكاء . لم تكن تريده أن يرحل أبدا . أخذها ريتشارد بين ذراعيه وقال :

" يا إلهى ، آسف ، كان هذا خطأ فظيعا. أرجوك سامحينى ، إننى أحبك كثيرا وكنت أظن أننى أعرفك جيدا ولكننى اكتشفت الآن أننى لا أعرف شيئا " .

"ريتشارد ، أنا أحبك أيضا وأنا آسفه لأننى صفعتك . لم أكن أريد أن أخدعك ولكن ليس هناك شخص آخر ، أقسم لك " .

ثم تهدج صوتها .

قال ريتشارد وهو يقبلها : " وأنا أستحق هذا " .

سقطا فوق الأريكة وهما متشبثان ببعضهما البعض وبقيا بلا حراك لبضع لحظات . أخذ يجفف دموعها .

قال ريتشارد : " أحبك . لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التى وقع فيها عليك بصرى . هل تقبلين بالزواج منى ؟ لأننى لا أعبأ بحقيقة أمرك أو من تكونين يا جيسى أو ماذا تفعلين ، ولكننى أعلم أننى يجب أن أقضى باقى عمرى معك " .

" أريد أن أتزوجك أيضا يا ريتشارد ولكن عليك أن تعرف قبل كل شىء الحقيقة " .



وأخبرته فلورنتينا بأصلها وشرحت له فى النهاية ما دفعها للعمل فى بلومينجديل . عندما أتمت حكايتها ، لم ينطق ريتشارد بكلمة .

سألت : " هل كففت عن حبى بالفعل ؟ بعد أن عرفت حقيقتى " .

قال ريتشارد فى هدوء تام : " يا عزيزتى إن أبى يكره والدك " .

" ما الذى تقصد ؟ " .

" ما أقصده هو أنه فى كل مرة يذكر فيها اسم والدك أمامه ، يجبن جنونه ، ويقول بأن هدف والدك الوحيد فى الحياة هو أن يدمر عائلة كين " .

قالت فلورنتينا فى صدمة : " ماذا ؟ لماذا ؟ إننى لم أسمع اسم أبيك قط ، كيف يعرفان بعضهما البعض ؟ " .

كان قد حان دور ريتشارد لكى يبوح لفلورنتينا بكل شىء كانت والدته قد حكته له بشأن النزاع بين والده ووالدها .

قالت : "يا إلهى ، لابد أن هذا هو الخائن الذى كان أبى يتحدث عنه عندما نقل حسابه من البنك بعد خمسة وعشرين عاما من التعامل معه ما الذى سنفعله ؟ " .

قال ريتشارد : " سوف نخبرهم بالحقيقة ، سوف نخبرهم بأننا قد تقابلنا ببراءة وأحببنا بعضنا البعض وبأننا سوف نتزوج وبأن أى شىء يقومون به لن يحول دون ذلك " .

قالت فلورنتينا : " دعنا ننتظر لبضعة أسابيع قليلة " .

قال ريتشارد : " لماذا ؟ هل تظنين أن والدك يمكن أن يثنيك عن الزواج منى ؟ " .

قالت ، وهى تلمسه برقة : " كلا يا ريتشارد لن يحدث هذا أبدا يا عزيزى ولكن دعنا ننظر إن كان بوسعنا فعل أى شيء للترفق بهما قبل أن نواجههما بالأمر الواقع . على أية حال يمكن أن يكون الوضع أخف وطأة مما تتصور . فقد ذكرت أن القضية الخاصة بشركة الطيران قد انتهت منذ خمس سنوات " .

" ولكن شعورهما مازال متأججا ، أنا واثق من ذلك . إن أبى يمكن أن يفقد صوابه إن شاهدنا سويا ، ناهيك عما سوف يفعله إن عرف بأمر زواجنا " .

" هذا أدعى لأن نتريث قليلا قبل أن نخطرهما بالحقيقة . سوف يمنحنا هذا وقتا لكى نعثر على أفضل طريقة للمضى قدما فى هذا الأمر " .

قبلها ثانية : " أحبك يا جيسى " .

" فلورنتينا " .

قال : " وهذا شيء آخر يجب أن أتعود عليه ، أحبك يا فلورنتينا " .

* * *

على مدى الأسابيع الأربعة التالية ، عمد ريتشارد وفلورنتينا إلى الكشف عن أكبر قدر من الحقيقة بشأن الصراع بين أبويهما . سافرت فلورنتينا إلى شيكاغو للقاء أمها والتى اندهشت لكم المعلومات التى كانت تعرفها عن الأمر وكذلك لجأت إلى استجواب جورج نوفاك من خلال أسئلة محكمة غير مباشرة والتى كشفت لها عن يأس جورج الشخصى لأى محاولة لثنى والدها عما أطلق عليه " هوسه بهذه القضية " . أما ريتشارد من جانبه فقد تأكد من خلال مراجعة ملفات أبيه وحديثه مع أمه أن الكراهية بين الرجلين كانت



متبادلة . وقد اتضح لهما مع كل اكتشاف بأنه ليست هناك طريقة رقيقة لإعلان نبأ ارتباطهما .

كان ريتشارد منتبها ورقيقا وكان يتقبل كل الأمور بصدر رحب . كان يفعل كل ما فى وسعه لكى يصرف انتباه فلورنتينا عن المشكلة التى تواجههما . كانا يذهبان إلى المسرح ويقضيان فترات الظهيرة فى التزلج وفى أيام الآحاد يتنزهان سيرا على الأقدام لمسافات طويلة فى سنترال بارك . كانت فلورنتينا تصحب أيضا ريتشارد لحضور مباريات فريق يانكيز نيويورك والتى لم تكن تفهمها . كما أنهما حضرا حفلا موسيقيا عشقته فلورنتينا التى أبت أن تصدق أن ريتشارد كان يجيد العزف على الشيلو حتى قدم لها عزفا خاصا فى شقتها . أخذت تصفق له فى حماس عندما أنهى عزف سوناتا برامز المفضل لديه بدون أن يلحظ أنه كان يفكر فيها أثناء فترة العزف .

قال ريتشارد وهو يمسكها بين ذراعيه : " يجب أن نخبرهما سريعا " .

" أعلم أننا يجب أن نخبرهما ولكننى فقط لا أريد أن أجرح مشاعر أبى " .

كان هذا هو دوره لكى يجيبها قائلا : " أعرف " .

تجنبت فلورنتينا النظر إلى عينيه : " الجمعة القادمة سوف يعود من واشنطن " .

قال ريتشارد وهو يمسك بها : " إذن هو يوم الجمعة القادم " .

عاد ريتشارد إلى هارفارد صباح الاثنين ، وكانا يتحدثان فى الهاتف مساء كل ليلة ، بدون أن يتراجع أى منهما قيد أنملة وقد عزما كل العزم على المضى قدما فى الخطة .

فى يوم الجمعة ، وصل ريتشارد إلى نيويورك فى قت مبكر عن المعتاد وقضى ساعة منفردا مع فلورنتينا التى كانت قد استأذنت من

عملها لنصف يوم . بينما كانا يتوجهان إلى أحد أركان شارع فيفتى سيفنث توقفا عند الإشارة الحمراء استدار ريتشارد نحو فلورنتينا وطلب منها ثانية أن تتزوجه . ثم أخرج علبة جلدية حمراء صغيرة من جيبه وفتحها ووضع خاتما فى الإصبع الثالث من يدها اليسرى ، كان خاتما من الياقوت المرصع بالماس ، كان الخاتم جميلا إلى الحد الذى جعل الدموع تسيل من عينيها . لقد كان مقاسه مناسبا تماما . كان المارة ينظرون إليهما فى تعجب بينما كانا يقفان عند أحد الأركان متشبثين ببعضهما البعض متجاهلين إشارة السير الخضراء . عندما لاحظا الإشارة فى النهاية ، قبل كلاهما الآخر قبل أن يمضى كل منهما فى الطريق المقابل لمواجهة أبويهما . كانا قد اتفقا على اللقاء ثانية فى شقة فلورنتينا بعد انقضاء هذا الكابوس . حاولت أن تبتسم وسط دموعها .

سارت فلورنتينا نحو فندق البارون ، وهى تنظر من وقت لآخر إلى خاتمها . بدا لها الخاتم جديدا وغريبا على إصبعها وهيىء إليها أن كل المارة كانوا يتأملون جمال الياقوت ، أما بالنسبة لها فقد بدا الخاتم رائع الجمال بجوار الخاتم القديم المفضل لديها . كانت فلورنتينا قد ذهلت عندما وضع ريتشارد الخاتم فى إصبعها . لسته وشعرت أنه يمنحها الشجاعة بالرغم من أنها كانت قد لاحظت أن خطواتها كانت تتباطأ كلما اقتربت من الفندق .

عندما وصلت إلى مكتب الاستقبال ، أخبرها الموظف بأن والدها كان مع جورج نوفاك فى الاستراحة الملحقة بمكتبة واتصل وأخبره بأن فلورنتينا فى طريقها إليه . وصل المصعد إلى الطابق الثانى والأربعين بسرعة فائقة ، وترددت فلورنتينا قبل أن تخرج منه . خطت خارجة فوق السجادة الخضراء وسمعت صوت باب المصعد



وهو يغلق وراءها . وقفت وحيدة فى الرواق للحظة قبل أن تطرق باب أبيها فى هدوء . فتح هابيل الباب فى الحال .

" فلورنتينا ، يالها من مفاجأة سارة . تعالى ، يا عزيزتى . لم أكن أتوقع رؤيتك اليوم " .

كان جورج نوفاك يقف بجوار نافذة غرفة المعيشة ناظرا إلى بارك آفينيو . استدار لكى يحيى ابنة صديقه . كانت عين فلورنتينا ترجوه أن يرحل . إن بقى ، كانت فلورنتينا تدرك تماما أنها سوف تفقد أعصابها . اذهب ، اذهب ، اذهب ، ظلت الكلمة تتردد فى عقلها . شعر جورج بقلقها فى الحال .

" يجب أن أعود إلى العمل يا هابيل . هناك مهراجا كبير سوف يصل إلى الفندق الليلة "

قال هابيل ضاحكاً : " اطلب منه أن يترك فيله عند فندق بلازا " ، ثم أضاف : " الآن بعد أن وصلت فلورنتينا، اجلس معنا واحتس شرابا آخر " .

نظر جورج إلى فلورنتينا وقال : " لا يا هابيل ، يجب أن أرحل . إن الرجل قد حجز الطابق الثالث والثلاثين كله . إن أقل ما يتوقعه هو أن يستقبله نائب الرئيس بنفسه . طاب مساؤك يا فلورنتينا "، تركهما بمفردهما، فداهم فلورنتينا فجأة الشعور بأنها تمنت لو لم يكن قد رحل .

قال هابيل وهو يربت على شعر ابنته فى حنو : " كيف حال بلومينجديل ؟ هل أخبرتهم بأنك كنت أفضل مشرف مبتدئ عرفوه منذ سنوات ؟ سوف يفاجأون عندما يعرفون أن الوظيفة التالية لجيسى نوفاتز هى افتتاح فرع بارون إيدنبرج " . ضحك بصوت مرتفع .

—

قالت فلورنتينا وهى تمد يدها اليسرى فى حياء : " سوف أتزوج يا أبى " . لم يخطر ببالها أية كلمة أخرى يمكن أن تضيفها إلى ما قالته ، فبقيت فى انتظار رد فعله

قال هابيل، وقد شعر بما يفوق الصدمة قليلا : " هذه مفاجأة ، أليس كذلك ؟ " .

" ليس تحديا يا أبى ، لقد تعرفت به منذ فترة " .

" هل أعرفه ؟ هل قابلته من قبل ؟ "

" كلا يا أبى ، لم يحدث " .

" أين يعيش ؟ ما هو أصله ؟ هل هو بولندى ؟ لم آثرت السرية فى هذا الشأن يا فلورنتينا ؟ " .

" إنه ليس بولنديا يا أبى ، إنه ابن رجل مصرفى ؟ " .

بهت هابيل ، أدركت فلورنتينا فى الحال ما يدور فى رأس أبيها الذى وقف مشدوهاً بينما تكشفت له الحقيقة سريعا .

" اسمه ريتشارد كين يا أبى " .

استدار هابيل لكى يقف قبالتها وسألها : " هل هو ابن ويليام كين ؟ " .

قالت فلورنتينا : " نعم ، هو كذلك " .

" هل يمكنك أن تفكرى فى الزواج من ابن ويليام كين ؟ هل تعرفين ما فعله هذا الرجل بى ؟ " .

قالت فلورتينا : " أعتقد ذلك " .

صاح هابيل الذى أطلق ثورة عارمة بدت وكأنها سوف تدوم إلى الأبد : " لا يمكنك حتى أن تفكرى فى الأمر " مما أثبت لفلورنتينا أن الرجلين كانا قد فقدا صوابهما . وفى النهاية ، قاطعت فلورنتينا والدها لكى تخبره أنها كانت تعرف كل الحقائق .



" هل تعرفينها بالفعل يا سيدتى الصغيرة ، وهل كنت تعرفين أن ويليام كين كان المسئول عن وفاة صديقى المقرب ؟ نعم هو الرجل الذى دفع ديفيز ليروى إلى الإقدام على الانتحار وهو الذى حاول أن يفلسنى . لو لم ينقذنى ديفيد مكستون آنذاك ، لكان كين قد استولى على فنادقى وباعها بدون أى تردد . وأين كان يمكن أن أكون الآن لو كان ويليام كين قد أقدم على هذا بالفعل ؟ لكان قد أسعدك الحظ بالفعل وانتهى بك المآل بائعة فى بلومينجديل . هل فكرت فى هذا يا فلورنتينا ؟"

" نعم يا أبى ، لم أفكر إلا فى هذا على مدى الأسابيع الماضية . ريتشارد وأنا نشعر بالفزع حيال الكراهية التى توجد بينك وبين أبيه . إنه يبلغه الآن " .

قال هابيل : " حسنا ، يمكننى أن أخبرك تحديدا كيف سيكون رد فعله ، سوف يفقد صوابه. إن هذا الرجل لن يسمح لابنه الغالى أن يتزوج منك ، أى أنه يمكنك أن تنسى الأمر كله برمته يا سيدتى الصغيرة " .

ارتفع صوته ثانية وكأنه صياح .

قالت فى صوت مرتفع : " لا يمكن أن أنسى الأمر يا أبى ، نحن نحب بعضنا البعض ، ونحن بحاجة إلى مباركتك لهذا الزواج وليس غضبك " .

قال هابيل ، بعد أن احمر وجهه : " الآن أصغى إلىَّ يا فلورنتينا ، أنا أمنعك من رؤية هذا الفتى ثانية . هل تسمعيننى ؟ " .

" نعم أسمعك . ولكننى سوف أقابله . لن أتخلى عن ريتشارد بسبب كراهيتك لأبيه " .

وجدت نفسها تقبض بشدة على الخاتم الذى يحيط بإصبعها وترتجف قليلا .

قال هابيل وقد بدأ وجهه يزداد إحمراراً : " لن يحدث هذا . لن أسمح بهذا الزواج أبدا ؛ ابنتى الوحيدة تهجرنى من أجل ابن هذا الوغد . أنا أقول لك إنك لن تتزوجيه " .

" أنا لن أهجرك يا أبى . كان يمكن أن أهرب معه لو كان هذا ما أريده ولكننى لا يمكن أن أتزوج دون علمك " . كانت تشعر أن هناك رعشة فى صوتها . " ولكننى تعديت الواحد وعشرين عاما الآن وسوف أتزوج ريتشارد . سوف أقضى باقى عمرى معه . أرجوك ساعدنى يا أبى ؛ يمكن أن تلتقى به ؛ عندها سوف تستوعب ما أشعر به حياله " .

" لن أسمح له أبدا أن يدخل بيتى . لا أريد أن أقابل أى ابن من أبناء ويليام كين . لن أسمح له أبدا ؛ هل تسمعيننى ؟ " .

" إذن يجب أن أتركك " .

" فلورنتينا . إن تركتنى لتتزوجى من ابن كين ؛ فسوف أحرمك من ثروتى . لن تنالى سنتاً واحدا ؛ هل تسمعيننى ؟ " .

ثم رق صوت هابيل : " والآن اعقلى الأمر يا ابنتى ؛ سوف تنسينه ؛ مازلت شابة وهناك الكثير من الرجال المناسبين الذين يمكنك التزوج بهم " .

قالت فلورنتينا : " لا أريد أياً من هؤلاء الرجال . لقد قابلت الرجل الذى سوف أتزوجه وليس خطأه أنه ابن أبيه . لم يختر أى منا والده " .

قال هابيل ثائرا : " إن لم تكن عائلتنا جيدة بما يكفى بالنسبة لك ؛ يمكنك أن ترحلى وأقسم أننى لن أسمح بذكر اسمك فى



وجودى ثانية ، لآخر مرة أحذرك يا فلورنتينا ؛ لا تتزوجى من هذا الفتى " .

" أبى ؛ سوف نتزوج ؛ بالرغم من أن كلينا قد تعدى سن وجوب الحصول على موافقتك ؛ فأنا أتمنى أن تمنحنى هذه الموافقة " .

نظر هابيل بعيدا عبر النافذة وسار نحوها : " هل أنت حامل ؟ هل هذا هو السبب ؟ هل يجب أن تتزوجيه ؟ " .

" كلا يا أبى " .

سألها هابيل : " هل دخل شقتك ؟ " .

صدم السؤال فلورنتينا ؛ ولكنها لم تتردد .

ثم أجابت : " أجل عدة مرات " .

رفع هابيل ذراعه وصفعها على وجهها . سال الدم على ذقنها وكادت تسقط . استدارت وركضت خارج الغرفة وهى تبكى ثم ضغطت على زر المصعد وهى تضع إحدى يديها فوق شفتها النازفة .

فتح الباب فوجدت جورج فى انتظار المصعد . لمحت تعبير الصدمة الذى ارتسم على وجهه وهى تقفز داخل إحدى السيارات ؛ بينما وقف جورج يتأملها وهى تبكى .

ما إن خرجت فلورنتينا إلى الشارع حتى استقلت سيارة أجرة إلى بيتها مباشرة . وفى طريقها ؛ وضعت قطعة منديل ورقى فوق جرحها . كان ريتشارد قد سبقها فى الوصول وكان يقف تحت المظلة حانيا رأسه وقد ارتسمت تعبيرات البؤس على وجهه .

قفزت من السيارة وجرت نحوه . حينما صعدا فتحت الباب وأغلقته سريعا وراءها وهى تشعر بالأمان .

" أحبك يا ريتشارد " .

قال ريتشارد وهو يحيطها بكلتا يديه : " أحبك أيضا " .

قالت فلورنتينا فى يأس : " لا يجب أن أسألك كيف كان رد فعل أبيك " .

قال ريتشارد : " لم أره غاضباً مثل اليوم . وقد نعت والدك بأنه بولندى وصولى . وسألنى عن سبب عدم زواجى من فتاة من نفس بيئتى الاجتماعية والثقافية " .

" وكيف أجبته ؟ " .

" قلت له إن إنسانة رائعة مثلك لا يمكن أن تستبدل بإحدى فتيات العائلات العريقة التى تتناسب معنا ، ففقد صوابه تماما " .

واصل حديثه : " ثم هددنى بأنه سوف يحرمنى من كل سنت من أمواله إن تزوجتك . متى سوف يدركون أننا لا نكترث البتة بهذا المال اللعين "

" حاولت أن أستعين بأمى ؛ ولكن حتى هى عجزت عن احتواء ثورته . وأصر على أن تغادر الغرفة . لم أره من قبل فى حياتى يعامل أمى بهذه الطريقة . كانت تنتحب مما زاد من تصميمى على قرارى . لقد تركته فى منتصف حديثه وأدعو الله ألا يفرغ غضبه على فيرجينيا أو لوسى . ما الذى حدث عندما أخبرت والدك ؟"

قالت فلورنتينا فى هدوء تام : " صفعنى لأول مرة فى حياتى . أعتقد أنه يمكن أن يقتلك إن عثر عليك معى . ريتشارد يا عزيزى ، يجب أن نرحل من هنا قبل أن يعثر علينا ، سوف تكون هذه الشقة بالطبع هى أول ما سوف يتوجه إليه . أشعر بالرعب " .

" ليس هناك مدعاة لهذا الرعب يا فلورنتينا . سوف نغادر الليلة ونبتعد عن هذه المدينة قدر الإمكان . اللعنة ، فليدعونا لشأننا " .

" كم يلزمك من الوقت لكى تحزم حقائبك ؟ " .



قال ريتشارد : " لا يلزمنى شىء فأنا لا أستطيع أن أعود إلى المنزل الآن . احزمى أنت حقائبك ثم سوف نرحل . معى ما يقرب من مائتى دولار . ما رأيك بالزواج من رجل لا يملك سوى مائتى دولار ؟"

" هذا أقصى ما تحلم به بائعة فى متجر فى ظنى ، ولكننى كنت أحلم دائما أن أكون سيدة منزل ولكنك سوف تطلب منى فى هذه الحالة مهرا " ثم أضافت وهى تعبث فى حقيبتها : " حسنا ، معى أنا أيضا مائتان واثنا عشر دولارا وبطاقة ائتمان . أنت مدين لى بستة وخمسين دولارا يا ريتشارد كين . يمكنك أن تسدد الدين مقابل فائدة دولار واحد سنويا " .

فى ثلاثين دقيقة كانت فلورنتينا قد حزمت حقائبها . ثم جلست على مكتبها وكتبت خطابا سريعا وتركته فوق المنضدة المجاورة لفراشها .

استدعى ريتشارد سيارة أجرة . وقد شعرت فلورنتينا بسعادة غامرة عندما لاحظت تماسك ريتشارد وقدرته على حسن التصرف فى أوقات الأزمة مما أشعرها بمزيد من الاسترخاء . قال ريتشارد بعد أن وضع حقائب فلورنتينا الثلاثة فى حقيبة السيارة : " إلى إيدل وايلد " .

وفى المطار حجز تذكرتين إلى سان فرانسيسكو ؛ لقد اختارا المدينة ذات الباب الذهبى فقط لأنها بدت الأبعد فوق خريطة الولايات المتحدة .

وفى السابعة والنصف أقلعت الطائرة الأمريكة سوبر كونستليشين ١٠٤٩ من أرض المطار لتقطع رحلة استمرت سبع ساعات . ساعد ريتشارد فلورنتينا فى ربط حزامها . فابتسمت له :

" هل تعلم كم أحبك يا سيد كين ؟ " .

" نعم ؛ أظن ذلك يا سيدة كين " .

# الفصل الخامس والثلاثون

وصل هابيل وجورج إلى شقة فلورنتينا بعد دقائق من مغادرة ريتشارد وفلورنتينا إلى المطار . كان هابيل قد شعر بالفعل بالندم على الصفعة التى وجهها لابنته . لم يكن حتى يتصور حياته بدون ابنته الوحيدة . كان كل ما يهمه فقط هو أن يصل إليها قبل أن يفوت الأوان ؛ ربما يكون قد بقى أن يثنيها عن الزواج من فتى كين بالإقناع الهادئ . كان على استعداد لأن يقدم لها أى شىء مقابل التنازل عن هذه الزيجة .

دق جورج جرس الباب ووقف هو وهابيل خارج الباب . لم يُجب أحد . ضغط جورج الجرس ثانية وانتظرا لبعض الوقت . ثم أخرج هابيل المفتاح الاحتياطى الذى كان يحمله لشقة ابنته لكى يستخدمه فى حالة الطوارئ . بحثا فى كل الغرف دون أن يتوقع أى منهما العثور عليها .

قال جورج وهو ينضم إلى هابيل فى غرفة النوم : " لابد أنها قد رحلت بالفعل " .

قال هابيل : " نعم ولكن إلى أين ؟ " ثم وقع نظره على الخطاب الموجه إليه فوق المنضدة . تذكر آخر مرة رأى فيها خطابا موجها إليه بجوار الفراش الذى لم ينم عليه أحد . فتحه على الفور .

أبى العزيز

سامحنى لأننى هربت ولكننى أحب ريتشارد ولن أتخلى عنه بسبب كراهيتك لوالده . سوف نتزوج على الفور ولن يحول أى شىء سوف تفعله دون ذلك . إن حاولت يوما النيل منه بأية صورة فهذا يعنى أنك تنال منى أنا أيضاً .

ليس لدى أى منا نية العودة إلى نيويورك ثانية إلى أن تسوى الصراع بيننا وبين عائلة كين .

أحبك أكثر مما تتصور وسوف أبقى دائما ممتنة لكل شىء فعلته من أجلى . أدعو الله ألا تكون هذه هى نهاية علاقتنا ولكن إلى أن تغير رأيك " لا تطارد السراب ؛ لأنك لن تجده أبدا "

ابنتك المحبة

فلورنتينا

أعطى هابيل الخطاب لجورج ثم سقط فوق السرير . قرأ جورج الخطاب وسأله فى يأس : " هل هناك أى شىء يمكن أن أقوم به ؟ " .

" نعم يا جورج . أريد أن أعيد ابنتى حتى إن كان هذا يعنى أن أتعامل مباشرة مع كين . هناك شىء واحد فقط أنا واثق منه وهو أنه



يريد أن يتصدى هو الآخر لهذا الزواج بأى ثمن . اتصل به فى الحال " .

استغرق جورج بعض الوقت إلى أن عثر على رقم ويليام كين الذى لم يكن مسجلا فى الدليل . وافق حارس أمن البنك أخيرا على إعطاء الرقم لجورج عندما أصر الأخير على أن هناك ثمة مسألة عائلية عاجلة . جلس هابيل على السرير فى صمت حاملا خطاب فلورنتينا بين يديه ؛ وتذكر عندما كانت صغيرة وأخذ يعلمها هذه الحكمة البولندية القديمة التى كتبتها له فى الخطاب . عندما نجح جورج فى الاتصال بمنزل كين ؛ جاءه صوت رجل على الهاتف .

سأل جورج : "هل يمكن أن أتحدث مع السيد ويليام كين ؟ " .

سأله صوت رابط الجأش : " من المتحدث ؟ " .

قال جورج : " السيد هابيل روزنوفسكى " .

" سوف أرى إن كان موجودا " .

قال جورج وهو يمرر سماعة الهاف إلى هابيل : " أعتقد أنه أحد الخدم . لقد ذهب ليبحث عنه " . بقى هابيل منتظرا وهو ينقر بأصابعه فوق المنضدة المجاورة للسرير .

" ويليام كين يتحدث " .

" أنا هابيل روزنوفسكى " .

" هل هذ صحيح ؟" كان صوت ويليام باردا . " ومتى تحديدا فكرت فى أن تلاحق ابنتك ابنى ؟ لابد أنه فى الوقت الذى فشلت فيه فشلا ذريعا فى التسبب فى انهيار بنكى ؟"

" لا تكن فظا هكذا " ثم ضغط هابيل على أعصابه وقال : " إن حرصى على منع هذا الزواج بأى ثمن لا يقل عن حرصك . إننى لم

أحاول قط أن أسلبك ابنك بل إننى لم أعلم بوجوده إلا اليوم . إننى أحب ابنتى حتى أكثر من كراهيتى لك وأنا لا أريد أن أفقدها . ألا يمكن أن نتقابل لكى نتدارس الأمر سويا ؟ " .

قال ويليام : " كلا ، لقد طلبت منك نفس هذا الطلب ذات مرة فى الماضى يا سيد روزنوفسكى وقد أوضحت لى تماما متى وأين سوف تقابلنى . يمكننى أن أنتظر حتى هذا الوقت ، لأننى واثق من أنك سوف تجد نفسك هناك وليس أنا " .

" ما جدوى إثارة الماضى الآن يا كين ؟ إن كنت تعرف مكانهما ، ربما يكون قد بقى بوسعنا أن نمنعهما . هذا هو ما تريده أنت أيضا . أم أنك سوف تكون فخورا عندما تقف مكتوف اليدين وتشاهد ابنك وهو يتزوج ابنتى بدلا من أن تساعدنى ... " .

سمع سماعة الهاتف وهى تغلق وهو يتفوه بكلمة تساعدنى .

دفن هابيل رأسه بيديه وأخذ يبكى . فصحبه جورج وعاد به إلى فندق البارون .

على مدى هذه الليلة واليوم التالى ، حاول هابيل بشتى السبل التى تراءت له أن يعثر على فلورنتينا . حتى أنه اتصل بوالدتها التى اعترفت له بأن ابنتها قد حكت لها كل شىء بخصوص ريتشارد .

قالت فى نبرة شماته : " لقد بدا لى شابا لطيفا " .

سألها هابيل بعد أن نفد صبره : "هل تعرفين أين هما الآن ؟ " .

" نعم " .

" أين ؟ " .

" اعرف بنفسك " ثم وضعت سماعة الهاتف هى الأخرى .



نشر هابيل الإعلانات فى كل الصحف وحتى بعض الإعلانات فى المذياع وحاول أن يجعل الشرطة تتدخل ولكنها اكتفت بإعلان نداء عام لأن ابنته كانت قد تخطت الواحد وعشرين عاما . لم يصله أى خبر عن ابنته . وأخيرا كان عليه أن يقر ويعترف لنفسه بأنها بلا شك سوف تكون قد تزوجت بالفعل من ابن كين بحلول وقت عثوره عليها .

أخذ يعيد قراءة خطابها مرارا وتكرار وقرر ألا يسعى أبدا لإلحاق الأذى به بأى شكل من الأشكال . أما والده فهذا شأن آخر . لقد جثا هابيل روزنوفسكى على ركبتيه راجياً هذا اللعين أن ينصت إليه ، مما جعله يقسم أنه عندما تحين الفرصة ، سوف يقضى على ويليام كين للأبد . بدأ جورج يشعر بالخوف من حدة المشاعر والضغائن التى كان يحملها صديقه القديم لكين .

سأل : " هل ألغى رحلة فلورنتينا ؟ " .

كان هابيل قد نسى تماما أنه كان قد عزم على اصطحاب فلورنتينا فى رحلة إلى أوروبا بعد أن تستكمل فترة تدريبها التى امتدت لعامين فى محلات بلومينجديل فى نهاية الشهر . كانت ستفتتح فرع بارون إيدنبرج وبارون كان .

قال هابيل ، بالرغم من أنه كان قد أصبح لا يعبأ من فتح ماذا أو إن كانت الفنادق مفتوحة أساسا أم لا : " لا يمكن أن ألغى الرحلة . يجب أن أسافر وأفتتح الفنادق بنفسى . ولكن أثناء فترة غيابى يا جورج ، واصل محاولاتك فى الكشف عن مكان فلورنتينا ولا تدعها تعرف . يجب ألا تشعر أننى أحاول أن أتجسس عليها ، إنها لن تسامحنى على هذا أبدا إن اكتشفت الأمر وعليك بمراقبة زافيا فربما تكون ورقتك الرابحة معها ، ولكن احرص لأننى واثق

من أنها ستحاول استغلال ما حدث . من الواضح أنها قد أخبرت فلورنتينا وقصت عليها كل ما كانت تعرفه عن أمر كين .

" هل تريد أن يتدخل أوسبورن فى هذه المسألة ؟ " .

" كلا ، ليس الآن ، لم يحن بعد الوقت المناسب للتخلص من كين . عندما أنقض عليه يجب أن أكون واثقا أننى سوف أقضى عليه للأبد . دع كين لحاله فى الوقت الحالى ، يمكننى أن أعود لكى أنال منه فى وقت لاحق . أما الآن فأنا أريد أن أركز على فلورنتينا " .

وعد جورج هابيل بأنه سوف يكون قد عثر عليها مع حلول موعد عودته من رحلته .

* * *

افتتح هابيل بارون إيدنبرج بعد ثلاثة أسابيع . بدا الفندق غاية فى الروعة وهو يقف فوق المرتفع المطل على أثينا من جهة الشمال . كانت هناك بعض الأشياء الصغيرة التى تثير ضيق هابيل دائما عند افتتاح أى فرع جديد من فروع الفندق والتى كان يسعى لتفقدها ومراجعتها فور وصوله . مثل حدوث صدمة كهربية بسيطة بسبب السجاجيد المصنوعة من النايلون فور الضغط على زر الإضاءة أو تأخر خدمة الغرف على مدى أربعين دقيقة لتلبية الطلبات أو فراش يكون صغير الحجم بالنسبة لأى شخص بدين أو طويل القامة .

وقد بادرت الصحافة بالتنويه بأن فلورنتينا روزنوفسكى ـ ابنة بارون شيكاغو ـ هى التى كان من المفترض أن تفتتح الفروع الجديدة . وأشار أحد أعمدة النميمة فى الصنداى إكسبريس إلى أنه يبدو أن هناك خلافًا عائليًا وذكرت أن هابيل لم يكن متحمسا



كعادته وكان محنيا بعض الشىء . استنكر هابيل ما جاء فى المقال وأشار إلى أنه قد تخطى الخمسين فقط من عمره أى أنه ليس السن الذى يمكن أن يشرع فيه فى الانحناء ، كان موظف العلاقات العامة لديه قد أخبره بأن يقول ذلك . ولكن هذا الرد لم يقنع الصحافة وفى اليوم التالى نشرت الديلى ميلى صورة للوحة كان قد تم التخلص منها فى إحدى سلات المهملات ، محفور عليها :

بارون إيدنبرج

افتتحته

فلورنتينا روزنوفسكى

١٧ أكتوبر ، عام ١٩٥٨

طار هابيل إلى كان . حيث كان يقف هناك أحد الفروع الأخرى الرائعة للفندق ولكنه كان فى هذه المرة يطل على البحر المتوسط ولكن هذا لم يصرفه عن التفكير فى ابنته . كان قد تم التخلص من لوحة افتتاح أخرى مكتوبة بالفرنسية فى هذه المرة . كان الافتتاح فى غياب فلورنتينا قد فقد كل رونقه .

بدأ هابيل يشعر بالخوف من أنه قد يقضى باقى عمره بدون أن يرى ابنته ثانية . لكى يقتل وحدته ، عمد إلى التجول فى أنحاء البلاد ، ولكن كل هذا لم يساعد فى إخراجه من الشعور بالوحدة . إن ابن ويليام كين الآن يملك الشخص الوحيد الذى كان هابيل يحبه بحق

لم تعد فرنسا تثير فى نفسه الشعور بالإثارة والتشويق . وما إن أنهى عمله هناك ، طار إلى بون لكى يستكمل مفاوضاته حول الموقع الذى سوف يشتريه لبناء أول فرع للفندق هناك فى ألمانيا . بقى على

اتصال دائم مع جورج هاتفيا الذى لم ينجح فى العثور على فلورنتينا فضلا عن وجود بعض المعلومات المزعجة للغاية التى وردت إليه بشأن هنرى أوسبورن .

قال جورج : " لقد أوقع نفسه فى ديون ثقيلة ثانية " .

قال هابيل : " لقد حذرته فى المرة السابقة بأننى سوف أتخلص منه . لقد أصبح بدون جدوى بالنسبة لأى شخص منذ أن فقد مقعده فى الكونجرس . أعتقد أننى يجب أن أتعامل مع المشكلة شخصيا فور عودتى " .

قال جورج : " لقد بدأ يهدد " .

قال هابيل : " ليس هناك جديد فى كل هذا . إننى لم أدع هذه التهديدات تنال منى فى الماضى . أخبره بأنه أياً كانت مطالبه فيجب أن ينتظر إلى أن أعود " .

قال جورج : " وما هو الموعد المتوقع لعودتك ؟ " .

" ثلاثة أسابيع ، أربعة على الأكثر . أريد أن أبحث عن بعض المواقع فى تركيا ومصر . لقد بدأ هيلتون بالفعل ينشىء فروعا له فى هذه المناطق وسوف أتبين السبب . وهو ما يذكرنى يا جورج بالخبراء الذين أكدوا لى أنك سوف تعجز تماما عن العثور علىَّ بما أن تطأ قدمى الشرق الأوسط . إن العرب لم يعرفوا بعد كيف يعثرون على بعضهم البعض ناهيك عن الزوار من الدول الغربية ، لذا سوف أدعك تدير كل شىء كالمعتاد إلى أن أتصل أنا بك " .

قضى هابيل أكثر من ثلاثة أسابيع بحثا عن مواقع لبناء فنادق جديدة فى الدول العربية . كان مستشاروه من الوجهاء وكان كل منهم يدعى بأن له صلة وثيقة بالوزير المسئول وبأن هناك قرابة بعيدة تربطه به . ولكنه مع ذلك كان يتبين دائما أن الوزير المذكور لم يكن هو الوزير المناسب أو أن رابطة القرابة كانت بعيدة جداً .



كان القرار الأكيد الوحيد الذى توصل إليه هابيل بعد ثلاثة وعشرين يوما قضاها فى الصحراء والرمال والحر أنه إذا كان توقع المستشارين فى محله وبأن هذه الأراضى سوف تتفجر بالبترول فسوف تكون منطقة الخليج بحاجة للكثير من الفنادق على المدى البعيد وهذا يعنى أن البارون يجب أن يشرع فى التخطيط بعناية لهذا الأمر .

نجح هابيل فى العثور على عدة مواقع لبناء فنادق من خلال معارفه من الوجهاء ولكنه عجز عن تبين أيهم يملك بالفعل سلطة حقيقية لإقناع المسئولين . على الأقل فى أمريكا كان هنرى أوسبورن يعرف دائما المسئول الصحيح الذى يجب أن يمنح الرشوة .أنشأ هابيل مكتبا صغيرا فى البحرين وترك لدى الممثلين المحليين انطباعا راسخا بأن مجموعة البارون بصدد البحث الفعلى عن مواقع لبناء فنادق فى كل أنحاء العالم العربى .

طار هابيل إلى إسطنبول حيث عثر بسرعة على الموقع المثالى لبناء الفندق المطل على البوسفور . على بعد مئات الياردات فقط من السفارة الإنجليزية القديمة . وقد استغرق فى تأملاته طويلا وهو يقف فوق الأرض العارية التى امتلكها هناك متذكرا المرة الأخيرة التى كان فيها هنا فى نفس المكان . أحكم قبضة يده وأمسك معصم يده اليمنى . سمع ثانية صياح الغوغاء ، مازال هذا يثير شعوره بالفزع والغثيان بالرغم من مرور ثلاثين عاما على الحدث .

بعد أن تملك هابيل الشعور بالإنهاك من رحلاته الطويلة طار إلى بيته فى نيويورك . لم يكن قد شغل باله وفكره طوال رحلته الطويلة سوى ابنته فلورنتينا . وكعادته دائما ، كان جورج واقفا فى انتظار وصول هابيل خارج سور الجمرك لاستقباله . لم يكن التعبير على وجهه يحمل أى جديد .

سأل هابيل وهو يجلس فى المقعد الخلفى للسيارة الكاديلاك بينما كان السائق يضع حقائبه فى حقيبة السيارة : " هل هناك أية أنباء ؟ " .

قال جورج وهو يضغط زر النافذة الجانبية : " هناك بعض الأخبار السيئة وبعض الأخبار السارة " . فارتفعت نافذة زجاجية تفصل بين الجزء المخصص للسائق والجزء المخصص للركاب فى الخلف داخل السيارة . وأضاف : " لقد اتصلت فلورنتينا بوالدتها . إنها تعيش فى شقة صغيرة فى سان فرانسيسكو " .

سأل هابيل : " هل تزوجت ؟ " .

قال جورج : " نعم " .

لم ينطق أى منهما بكلمة واحدة للحظات .

سأل هابيل : " وابن كين ؟ " .

" لقد عثر على عمل فى أحد البنوك . يبدو أن الكثير من الأبواب قد أغلقت فى وجهه لأنه لم يكمل دراسته فى كلية الأعمال فى هارفارد فضلا عن أن والده لم يتدخل فى الأمر . ليس هناك الكثير من الأشخاص الذين على استعداد لتعيينه إن كان هذا الأمر يمكن أن يثير ضيق أبيه . وأخيراً عثر على وظيفة أمين صندوق فى بنك أمريكا . إنها وظيفة تقل كثيرا عن الوظيفة التى تتناسب مع مؤهلاته " .

" وفلورنتينا ؟ " .

" إنها تعمل مساعدة مدير فى محل للأزياء يدعى "واى أوت كولومبوس " بالقرب من منتزه جولدن جيت . لقد سعت هى الأخرى للحصول على قرض من عدة بنوك " .

سأل هابيل فى قلق : " لماذا ؟ هل تواجه أية صعوبات ؟ " .

" كلا ولكنها تبحث عن رأسمال لكى تفتح محلها الخاص " .



" وما هو المبلغ الذى تريده ؟ " .

" هى بحاجة إلى أربعة وثلاثين ألف دولار لكى تستئجر مبنى صغير فى توب هيل " .

جلس هابيل يفكر فيما قاله جورج ، وهو يدق بأصابعه الصغيرة على نافذة السيارة . " دعها تحصل على المال يا جورج . دع الأمر يبدو وكأنه دين حقيقى من أحد البنوك واحرص على ألا تكتشف تورطى فى الأمر " .

ثم واصل نقره بأصابعه : " يجب أن يبقى هذا الأمر فى طى الكتمان يا جورج " .

" أمرك يا هابيل "

" واخطرنى بكل مجريات الأمور وكل التفاصيل مهما كانت ثانوية " .

" وماذا عن ريتشارد ؟ " .

قال هابيل : " لا يعنينى أمره . والآن ما هى الأنباء السيئة ؟" .

" إنها مشاكل هنرى أوسبورن ثانية . يبدو أنه مكبل بالديون لكل الناس . أنا واثق الآن من أن كل مصدره للمال أصبح يقتصر عليك أنت وحدك . إنه مازال يلوح بالتهديد بشأن كشف أمر الرشاوى التى قدمتها من قبل أثناء عملك . إنه يقول إنه قد احتفظ بكل الأوراق التى تؤكد ما يقوله وهو يدعى أنك قد حصلت على مبلغ إضافى عن طريق الرشوة عند اندلاع حريق فندق ريكموند القديم فى شيكاغو . هو يقول بأنه يملك ملفا يصل سمكه إلى ثلاث بوصات " .

قال هابيل : " سوف أسوى أمر أوسبورن هذا الصباح " .

قضى جورج باقى الطريق إلى منهاتن وهو يقص على هابيل كل الأخبار الخاصة بالعمل فى الفندق . كان كل شىء مرضيا باستثناء أنه قد تم الاستيلاء على فندق البارون فى لاجوس بعد وقوع انقلاب هناك . ولكن هذا لم يقلق هابيل أبدا .

* * *

و فى صباح اليوم التالى قابل هابيل هنرى أوسبورن . بدا أوسبورن مسنا ومنهكا وبدا وجهه . الذى كان يوما ما وسيما ، مليئاً بالتجاعيد ، لم يشر هنرى إلى الملف السميك .

قال هنرى : " أنا بحاجة لبعض المال لكى أتدبر بعض الأمور ، لم يحالفنى الحظ فى الآونة الأخيرة " .

" ثانية يا هنرى ؟ فى سنك هذه كان يجب أن تكون قد تعلمت من دروس الماضى . أنت لا تعرف إلا الهزيمة مع سباقات الخيول والنساء ، تريد هذه المرة ؟ "

قال هنرى : " ماذا عشرة آلاف دولار تكفينى " .

قال هابيل وهو يعيد الكلمات على مسامعه : " عشرة آلاف ؟ من تظننى ، منجم ذهب ؟ لقد كان المبلغ المطلوب خمسة آلاف فقط فى المرة السابقة " .

قال هنرى محاولا أن يبدو مازحا : " إنه التضخم " .

قال هابيل وهو يخرج دفتر شيكاته : " هذه هى آخر مرة ، هل تفهمنى ؟ إن طلبت أية نقود بعد اليوم سوف أطردك من مجلس الإدارة وأسلبك كل ما تملك " .

" أنت صديق حقيقى يا هابيل . أقسم لك أننى لن أعود لطلب المال ثانية . أقسم لك على ذلك . لن أعود أبدا " ثم استل سيجاراً



من فوق مكتب هابيل وأشعله : " شكرا لك يا هابيل ، لن تندم على ذلك أبدا " .

غادر أوسبورن وهو ينفث دخان السيجار فى الوقت الذى دخل فيه جورج المكتب . بقى جورج منتظرا إلى أن أغلق الباب .

" ما الذى فعلته مع هنرى ؟ " .

قال هابيل : " لقد استسلمت له ولكن للمرة الأخيرة ، ولكن لا أعرف لماذا ، لقد كلفنى عشرة آلاف ــــــ " .

قال جورج : " أعتقد أنك قد أخطأت ، لأنه سوف يعتقد أن تهديداته قد أخافتك وسوف يعود لطلب المال كلما احتاج إليه " .

قال هابيل : " يجدر به ألا يفعل لأننى لم أعد أطيق صبرا عليه ، مهما يكن ما فعله لى فى الماضى لقد انتهى الأمر الآن . هل هناك جديد بشأن ابنتى ؟ " .

" فلورنتينا على ما يرام ، ولكن يبدو أنك كنت محقا بشأن زافيا ، .إنها تزورها بانتظام لكى تطمئن عليها " .

قال هابيل : " تلك المرأة اللعينة " .

أضاف جورج : " السيدة كين أيضا ذهبت إليهما مرتين " .

" وماذا عن كين ؟ " .

" ليست هناك أية إشارة على أنه استسلم للأمر " .

قال هابيل : " على الأقل هناك شىء مشترك بيننا " .

" لقد اتخذت كل الإجراءات الخاصة بقرض فلورنتينا من بنك كروكر ناشيونال فى سان فرانسيسكو . لقد تقدمت بطلب إلى قسم القروض هناك منذ أقل من أسبوع . سوف يبدو الاتفاق لها على أنه أحد القروض العادية التى يمنحها البنك بدون أية تسهيلات خاصة . بل إن البنك سوف يضيف عليها نصفا بالمائة إضافية حتى

لا يثير شكوكها . ولكن ما لا تعرفه هو أن الدين مغطى بضمانك أنت " .

قال هابيل : " شكرا لك يا جورج ، هذا رائع . أراهنك مقابل عشرة دولارات أنها سوف تسد الدين فى غضون عامين ولن تكون بحاجة لقرض آخر " .

" لن أجازف على رهان كهذا ، لم لا تراهن هنرى ، لأنه خاسر " .

ضحك هابيل : " أعلمنى بكل مجريات الأمور تفصيلا . كل مجريات الأمور " .

# الفصل السادس والثلاثون

شعر ويليام أنه قد حصل على تقرير واف بكل شىء عندما راجع التقرير ربع السنوى لثاديوس كوهين . ولكن كان هناك شىء واحد فقط يشغل باله . لِمَ لم يتخذ هابيل روزنوفسكى أى إجراء بخصوص الأسهم التى اقتناها فى بنك ليستر ؟ لم يسع ويليام إلا أن يتذكر أن روزنوفسكى مازال يملك ستة بالمائة من البنك وبأنه بامتلاك اثنين بالمائة إضافية يمكن أن يُفعل المادة رقم سبعة من قوانين ليستر . كان يصعب عليه أن يصدق أن هابيل مازال يخشى لجنة التحقق من سلامة المعاملات بالبورصة ، وخاصة أن إدارة آيزنهاور كانت قد استقرت فى فترتها الثانية ولم تبد أى اهتمام بالتحقيق الذى تم فى هذا الصدد .

وقد شعر ويليام بسعادة غامرة عندما قرأ فى الصحف أن هنرى أوسبورن قد وقع ثانية فى مشاكل مالية وأن روزنوفسكى مازال محتفظا به . أخذ ويليام يسأل نفسه إلى متى سوف يدوم الوضع

على هذا الحال وما الذى يحمله هنرى أوسبورن ضد روزنوفسكى . هل يمكن أن يكون هابيل روزنوفسكى يعانى بما يكفى من مشاكله الخاصة بحيث لم يعد يجد الوقت الكافى أو لم يعد يشغل باله بالقضاء على ويليام كين ؟ أشارت تقارير كوهين إلى ازدهار الفروع الثمانية الجديدة التى بناها روزنوفسكى فى مناطق مختلفة من العالم . بالرغم من أن بارون لندن كان قد حقق خسائر وبارون لاجوس كان قد أصبح خارج حيازة هابيل إلا أن الفنادق واصلت ازدهارها واكتسابها لمزيد من القوة . أعاد ويليام قراءة جريدة صنداى اكسبريس والتى تشير إلى أن فلورنتينا روزنوفسكى لم تفتتح بارون إيدنبرج وأخذ يفكر فى ابنه . ثم أغلق التقرير واحتفظ بالملف فى خزانته بعد أن اقتنع بأنه لا يحمل ما يمكن أن يثير قلقه .

ندم ويليام على الطريقة التى تعامل بها مع ريتشارد والثورة التى فاجأه بها . بالرغم من أنه لم يكن يريد ابنة روزنوفسكى فى حياته فقد تمنى لو لم يكن قد أدار ظهره كلية على هذا النحو لابنه الوحيد . كانت كات قد دافعت عن ريتشارد دفاعا مستميتا وكان لها حديث طويل مرير مع ويليام فى هذا الصدد ـ وهو ما لم يحدث إلا نادرا فى حياتهما الزوجية ـ ولكنهما نجحا فى النهاية فى حسم الخلاف . كانت كات تسعى بشتى الطرق والحيل من محاولات الإقناع الهادئة وحتى ذرف الدموع ولكن يبدو أن أياً من هذه الوسائل لن ينجح فى إقناع ويليام . كانت فيرجينيا ولوسى أيضا قد افتقدتا أخاهما . قالت فيرجينيا : " لن ينتقد أحد رسوماتى بعد اليوم " ، قالت كات : " أليس تعليقاً قاسياً ؟ " .

حاولت فيرجينيا أن تبتسم .

بدأت لوسى تحبس نفسها فى الحمام وتدير الماء وتكتب رسائل سرية إلى ريتشارد الذى لم يتبين يوما سبب ارتفاع نسبة الرطوبة فى



رسائلها . لم يجرؤ أحد على ذكر اسم ريتشارد فى البيت أمام ويليام مما أشاع روح الحزن بين أفراد الأسرة .

حاول ويليام أن يقضى المزيد من الوقت فى البنك حتى أنه كان يعمل لساعات متأخرة من الليل على أمل أن يساعده هذا على تخطى الأزمة . ولكن جهوده لم تفلح . كان البنك يفرض عليه ثانية أن يبذل كامل طاقته فى الوقت الذى شعر فيه أنه فى أمس الحاجة إلى الراحة . كان ويليام قد عين ستة نواب للرئاسة على مدى العامين السابقين لعلهم يحملون عن عاتقه بعض الجهد الذى كان يبذله . ولكن العكس هو الذى حدث . لقد خلقوا المزيد من العمل والجهد والمزيد من القرارات التى كان يجب عليه أن يبت فيها وكان أكثرهم ذكاء هو جيك توماس والذى بدا الأقرب لأن يحل محل ويليام كرئيس للبنك ما لم يكن ريتشارد قد استسلم لفتاة روزنوفسكى . بالرغم من أن أرباح البنك واصلت ارتفاعها عاما بعد عام ، وجد ويليام أنه لم يعد مهتما بكسب المال . ربما أصبح يواجه الآن المشكلة التى واجهها تشارلز ليستر ذات يوم ، لم يعد لديه ولد لكى يخلف له كل هذه الثروة ورئاسة البنك . كان ويليام قد استأصل ريتشارد من حياته وأعاد كتابة وصيته وتقسيم الثروة التى كان يجب أن تؤول إلى ريتشارد .

فى العام الذى احتفل فيه ويليام بعيد زواجه الفضى ، قرر أن يصحب كات والبنات فى عطلة طويلة فى أوروبا على أمل أن تساعدهم فى تناسى ريتشارد . سافر الجميع إلى لندن للمرة الأولى داخل طائرة نفاثة من طراز بوينج ٧٠٧ وأقاموا فى فندق ريتز . أعاد الفندق إلى ويليام الكثير من الذكريات السعيدة عن رحلته الأولى مع كات إلى أوروبا . قاما برحلة شاعرية إلى أوكسفورد وصحبا فيرجينيا

ولوسى إلى يونيفرستى سيتى ثم سافروا إلى ستراتفورد أون إيفون لمشاهدة إحدى مسرحيات شكسبير وكانت مسرحية ريتشارد الثالث لأوليفيه . تمنى الجميع لو كان الملك يحمل اسما مختلفا .

فى رحلة العودة من ستراتفورد ، توقف الجميع عند دار عبادة فى هنلى مطلة على التايمز وهى دار العبادة التى كان قد تزوج فيها ويليام وكات . كانوا يريدون أن يقيموا فى فندق بيل ولكن لم تكن هناك سوى غرفة واحدة شاغرة . ثم نشب جدل داخل السيارة فى طريق العودة بين كات وويليام عما إن كان اسم الرجل الذى عقد قرانهم ، توكسبورى أم دوكسبورى . لم يتوصلا إلى نتيجة حاسمة قبل بلوغ فندق ريتز . ولكنهما اتفقا على شىء واحد فقط وهو أن السطح الجديد للدار كان يستحق الثمن الذى دفع فيه .

قال ويليام : " أفضل خمسمائة دولار استثمرتها فى حياتى " .

طار الجميع إلى إيطاليا بعد أسبوع ، بعد أن شاهدوا كل المزارات التى يجب أن يزورها كل أمريكى مخلص وغيرها من العديد من المزارات الأخرى فى إنجلترا . فى روما ، أسرفت الفتاتان فى تناول الشراب الإيطالى الردىء مما أصابهما بالمرض فى ليلة عيد ميلاد فيرجينيا . بينما أسرف ويليام فى تناول المعجنات الشهية وأضاف إلى وزنه سبعة أرطال . كان الجميع يمكن أن يكون أكثر سعادة إن كان قد تخلص من التفكير فى ريتشارد . بكت فيرجينيا فى تلك الليلة وحاولت كات أن تهدئ من روعها . ظلت فيرجينيا تقول : " لم لا يخبر أحد أبى بأن هناك أشياء أهم من الكبرياء ؟ " . لم تجد كات إجابة لسؤال ابنتها .

عندما عادوا إلى نيويورك ، شعر ويليام بأنه قد جدد نشاطه وأصبح ثانية متحمسا للعودة إلى عمله فى البنك . وفقد الأرطال السبعة فى سبعة أيام .



وبمرور الشهور ، شعر أن الأشياء بدأت تعود إلى الروتين المضجر ثانية . ولكن هذا الروتين قد خُرق عندما أعلنت فيرجينيا من سويت براير أنها سوف تتزوج طالبا من كلية القانون من جامعة فيرجينيا . نزل النبأ على ويليايم نزول الصاعقة ، حيث قال :

" ولكنها مازالت صغيرة " .

قالت كات : " إنها فى الثانية والعشرين . إنها لم تعد طفلة يا ويليام . ما رأيك فى أن تصبح جدا ؟ "

قال ويليام فى ذعر : " ما الذى تقصدين ؟ إن فيرجينيا ليست حاملا ، أليس كذلك ؟ " .

قالت كات : " يا إلهى ، كلا " ثم بدأت تتحدث بصوت أكثر نعومة ورقة كما لو كان قد كشف أمرها " . لقد رزق ريتشارد وفلورنتينا بوليد " .

" وكيف عرفت ؟ " .

أجابت كات : " لقد بعث ريتشارد خطابا لكى يخبرنى بالنبأ السار . ألم يحن الوقت لكى تسامحه يا ويليام ؟ " .

قال ويليام وهو يسير خارج الغرفة فى غضب : " أبدًا " .

تنهدت كات فى إعياء . إنه حتى لم يسأل إن كان حفيده كين ذكرا أم أنثى .

أقيم حفل زفاف فيرجينيا فى بوسطن عصر يوم جميل من أواخر أيام شهر مارس فى العام التالى . كان ويليام قد أيد بعد تفكير طويل زواج ابنته من ديفيد تيلفورد هذا المحامى الشاب، الذى اختارته فيرجينيا لكى تقضى معه باقى حياتها .

كانت فيرجينا تريد أن يكون أخوها ريتشارد موجوداً فى حفل الزفاف وتوسلت كات إلى ويليام لكى يوافق على دعوته لحضور الزفاف ولكنه رفض رفضا قاطعا . بالرغم من أن هذا اليوم كان يجب أن يكون أجمل وأسعد يوم فى حياة فيرجينيا ، فقد كانت على استعداد لأن تبذل كل الهدايا التى قدمت لها لكى ترى أباها وريتشارد يقفان بجانب بعضهما البعض فى الصور التى التقطت فى الحفل . كان ويليام يريد أن يوافق على طلبها ولكنه كان يعرف تماما أن ريتشارد كان سيرفض الحضور بدون ابنة روزنوفسكى . ومع ذلك فقد شعر ويليام بالفخر عندما علم ان ريتشارد قد رقى لوظيفة نائب مدير فى البنك الذى كان يعمل فيه . وفى يوم الزفاف أرسل ريتشارد هدية وبرقية إلى أخته . وضع ويليام الهدية فى حقيبة سيارة فيرجينيا ولم يسمح بقراءة البرقية .

# الفصل السابع والثلاثون

كان هابيل يجلس وحيدا فى مكتبه فى فندق بارون نيويورك ؛ فى انتظار مقابلة ممول الحملة الانتخابية لكيندى . كان الرجل قد تأخر عشرين دقيقة بالفعل . كان هابيل يطرق مكتبه بأصابعه فى عصبية عندما دخلت عليه سكرتيرته .

" السيد فينسنت هوجين يريد أن يقابلك يا سيدى " .

نهض هابيل من فوق مقعده وقال وهو يربت على ظهر الشاب الوسيم : " تفضل يا سيد هوجين " .

" كيف حالك ؟ " .

قال الرجل فى لكنة أهالى بوسطن التى لا تخطئها الأذن : " على ما يرام يا سيد روزنوفسكى . آسف على تأخرى بعض الشىء " .

قال هابيل : " لم ألحظ هذا التأخر ، هل تريد تناول شراب يا سيد هوجين " .

" كلا ، شكرا لك يا سيد روزنوفسكى فأنا أحاول ألا أشرب عندما يكون لدىَّ عدة لقاءات فى يوم واحد " .

قال هابيل : " أنت محق تماما . أرجو ألا تمانع أن أتناول أنا شرابا . ليست لدىَّ خطط لمقابلة الكثير من الأشخاص اليوم " .

ضحك هوجين ضحكة رجل مؤهب لسماع العديد من مثل هذه النكات على مدى يومه .

" الآن ما الذى يمكن أن أقدمه لك يا سيد هوجين ؟ " .

" حسنا يا سيد روزنوفسكى ؛ كنا نأمل أن تتحمل ثانية تكلفة الحفل المزمع إقامته " .

" لقد كنت دائما ديمقراطى التوجه كما تعرف يا سيد هوجين . لقد ساندت حملة فرانكلين دى روزفلت وهارى ترومان وأدلاى ستيفنسون ؛ بالرغم من أننى لم أكن أفهم نصف الكلام الذى كان يقوله أدلاى " .

ضحك الرجلان ضحكا مصطنعا .

" كما أننى ساعدت أيضا صديقى القديم ديك ديلى فى شيكاغو وساندت إيد موسكى الصغير - ابن المهاجر البولندى كما تعرف - فى حملته لكى يكون حاكما لولاية ماين عام أربعة وخمسين " .

قال هوجين بنبرة تنم عن أن وقت سرد الأحداث قد انتهى : " لقد كنت مساندا مخلصا للحزب فى الماضى ، لا أحد يمكن أن ينكر ذلك يا سيد روزنوفسكى . كما أننا نعرف أن الديمقراطيين - ليس أقلهم عضو الكونجرس السابق هنرى أوسبورن - قد أسدوا لك صنيعا فى المقابل . أعتقد أنه من غير الضرورى أن أشير إلى تفاصيل تلك الحادثة المؤسفة لشركة إنتر ستيت " .

قال هابيل : " كان هذا منذ زمن طويل . إنه أمر ولى " .



قال السيد هوجين : " أوافقك . وبالرغم من أن معظم أصحاب الملايين العصاميين لا يحبون تدقيق النظر فى شئونهم ؛ فإنك أول من سوف يقدر أننا يجب أن نتوخى الحذر جيدا . إن المرشح - كما سوف تدرك - لا يمكن أن يقبل أى مجازفة شخصية مع اقتراب الانتخابات . ونيكسون يحب أن تقع كارثة فى مثل هذا الوقت من الصراع " .

" نحن نفهم بعضنا البعض بوضوح يا سيد هوجين . دعنا من هذا الآن ؛ كم تتوقع أن أدفع لمساندة حملتك الانتخابية ؟"

" أنا بحاجة إلى كل سنت يمكن أن أحصل عليه . إن نيكسون يحصل على الكثير من الدعم المادى فى كل أنحاء البلاد وهو منافس شرس لرجلنا على البيت الأبيض " .

قال هابيل : " حسنا سوف أساند كيندى إن ساندنى . الأمر فى مثل هذه البساطة " .

"سوف تسعده مساندتك يا سيد روزنوفسكى.نحن جميعا نعلم أنك إحدى دعائم المجتمع البولندى كما أن السيناتور كيندى يعلم جيدا الموقف الشجاع الذى اتخذته نيابة عن أبناء بلدك الذين لا يزالون فى معسكرات الأسر خلف الستار الحديدى ؛ ناهيك عن الخدمات التى قدمتها أثناء الحرب . لقد سمح لى بأن أخطرك بأن مرشحى قد وافق على أن يفتتح فندق البارون الجديد فى لوس أنجلوس أثناء رحلته الانتخابية " .

قال هابيل : " هذا نبأ سار " .

" كما أن المرشح يعرف تماما أنك تريد أن تمنح بولندا أفضل امتيازات فيما يخص التجارة الخارجية مع الولايات المتحدة " .

" هذا أقل ما نستحقه بعد الخدمات التى قدمناها فى الحرب " . ثم صمت للحظة وسأل : " ماذا عن الشأن القديم ؟ "

" إن السيناتور كيندى يطرح رأى المجتمع الأمريكى البولندى حاليا ولم نقابل بأى اعتراض فى هذا الصدد . بالطبع إنه لن ينجح فى التوصل إلى قرار نهائى قبل أن ينتخب " .

سأل هابيل : " بالطبع . هل تكفى مائتان وخمسون ألف دولار لكى تساعده على اتخاذ هذا القرار ؟ "

لم ينطق هوجين بكلمة .

قال هابيل : " سوف يصل المال إلى مقر حملتكم الانتخابية بنهاية هذا الأسبوع يا سيد هوجين ، أعدك بهذا " .

كانت الصفقة قد عقدت . نهض هابيل : " أرجوك احمل تحياتى إلى السيناتور كيندى مع فائق تمنياتى له بأن يصبح الرئيس المقبل للولايات المتحدة . لقد عزفت عن ريتشارد نيكسون بعد معاملته الفظة لهيلين جاهان دوجلاس ، وعلى أية حال هناك أسباب شخصية تجعلنى لا أريد لهنرى كابوت أن يصبح نائبا للرئيس " .

قال السيد هوجين : " سوف يسعدنى أن أبلغه رسالتك . شكرا لساندتك المستمرة للحزب الديمقراطى وخاصة مرشحنا " . مد رجل بوسطن يده مصافحا . فالتقطها هابيل .

" ابق على اتصال يا سيد هوجين . أنا لا أضحى بمثل هذا المبلغ من المال بدون أن أنتظر مقابلاً لاستثمارى " .

قال هوجين : " أتفهم ذلك تماما " .

سار هابيل مع ضيفه حتى المصعد وعاد إلى مكتبه مبتسما . وبدأ يطرق بأصابعه المكتب ثانية . ظهرت سكرتيرته من جديد .

قال هابيل " اطلبى من السيد نوفاك أن يحضر إلىَّ " .

جاء جورج من مكتبه بعد بضع دقائق .

" أعتقد أننى عقدت صفقة جيدة يا جورج " .



" تهانينا يا هابيل . أنا سعيد . إن أصبح كيندى الرئيس المقبل فسوف يتحقق أحد أكبر أحلامك . كم ستفخر بك فلورنتينا " .

ابتسم هابيل عندما سمع اسمها وقال ضاحكا : " هل تعلم ما هى بصدده تلك الفتاة العنيدة الصلبة ؟ هل رأيت صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأسبوع الماضى يا جورج ؟"

هز جورج رأسه فأعطاه هابيل نسخة من الصحيفة . كانت هناك صورة مؤطرة بدائرة من الحبر الأحمر . قرأ جورج العنوان بصوت مرتفع : " فلورنتينا كين تفتح ثالث محلاتها ، فى لوس أنجلوس هذه المرة . إنها تملك بالفعل محلين فى سان فرانسيسكو وهى تتمنى أن تفتتح محلا آخر فى سان دييجو قبل نهاية العام . محلات فلورنتينا ـ كما كان يطلق عليها ـ سرعان ما سوف تمثل لكاليفورنيا ما تمثله بالنسياجا لباريس " .

ضحك جورج وهو يضع الصحيفة .

قال هابيل : " لابد أنها هى التى كتبت هذه الكلمات بنفسها . لكم أتوق إلى افتتاح فرعها فى نيويورك . أراهن على أنها سوف تحقق ذلك فى غضون خمسة أعوام ؛ عشرة على الأكثر . هل تريد أن تقدم على رهان آخر يا جورج ؟ "

" أنا لم أقبل الرهان الأول كما تذكر يا هابيل . وإلا لكنت قد خسرت عشرة دولارات " .

رفع هابيل رأسه وقال بصوت أكثر هدوءا : " هل تظن أنها سوف تأتى وتشهد افتتاح السيناتور كيندى لفندق البارون الجديد فى لوس أنجلوس يا جورج ؟ هل تظن أنها يمكن أن تفعل ذلك ؟ "

" هذا يتوقف على دعوتك لابن كين " .

قال هابيل : " هذا لن يحدث أبدا . إن فتى كين هذا لا يساوى شيئا . لقد قرأت كل ما يخصه فى تقريرك الأخير . لقد ترك بنك أمريكا لكى يعمل مع فلورنتينا ، إنه حتى لم يفلح فى الاحتفاظ بعمل جيد ، لقد تعلق بنجاحها "

" لقد أصبحت تنتقى قراءاتك يا هابيل . أنت تعلم جيدا أن الحقيقة غير ذلك . لقد أوضحت لك الأمور جيدا : إن كين أصبح مسئولا عن الأمور المالية بينما تولت فلورنيتنا مهمة إدارة المحلات . يبدو أنها شراكة مثالية . لا تنس أن هناك بنكا أوروبيا كان قد عرض على كين فرصة أن يدير القسم الأوروبى فى أمريكا ولكن فلورنتينا أخذت تلح عليه للانضمام إليها لأنها لم تعد قادرة على تدبر الأمور المالية وحدها . هابيل ، يجب أن تتقبل حقيقة أن زواجهما أثبت نجاحه . أعلم أنه أمر يصعب عليك استساغته ولكن لم لا تنزل من فوق جوادك العالى وتلتقى به ؟ "

" أنت أعز أصدقائى يا جورج . لا أحد فى العالم يجرؤ على أن يحادثنى فى هذا الشأن . لذا يمكننى أن أقول لك لم لا أستطيع النزول من فوق جوادى العالى ؛ ليس قبل أن يظهر لى كين أنه على استعداد لأن يقابلنى فى منتصف الطريق . حتى ذلك الوقت ، لن استجديه ثانية وهو مازال حيا يراقبنى " .

" ماذا لو مت أنت أولا يا هابيل ؟ فأنت فى مثل عمره تماما " .

" إذن سوف أكون خاسرا وسوف ترث فلورنتينا كل شىء " .

" لقد أخبرتنى من قبل أنها لن تحصل على شىء . وأنك سوف تغير وصيتك لصالح حفيدك " .



" لم أستطع أن أفعل هذا يا جورج . عندما حان وقت تغيير المستندات لم أقو على تنفيذ ما قلته . ما الذى سوف ينتهى به المآل بهذا الحفيد اللعين ، سوف يرث ثروة كل منا " .

أخرج هابيل محفظة من جيبه ، وأخذ يقلب بعض الصور القديمة لفلورنتينا ثم استخرج صورة جديدة لحفيده وأراها لجورج .

قال جورج : " فتى صغير وسيم " .

قال هابيل : " بالطبع . إنه نسخة من أمه " .

ضحك جورج : " أنت لا تستسلم أبدا يا هابيل ؟"

" ما هو الاسم الذى تظن أنهم أطلقوه عليه ؟"

قال جورج : " ما الذى تعنيه ؟ أنت تعرف جيدا اسمه " .

" أعنى ما هو الاسم الذى ينادونه به بالفعل ؟ "

قال جورج : " وكيف لى أن أعرف ؟"

قال هابيل : " حاول أن تعرف ، فهذا أمر يعنينى " .

قال جورج : " وكيف لى أن أعرف ذلك ؟ هل كنت تريدنى أن أطلب من أحدهم مراقبته وهم يدفعون بعربته فى منتزه جولدن جيت بارك ؟ لقد كانت تعليماتك واضحة وهى ألا أدع فلورنتينا تكتشف يوما أنك مازلت مهتما بأمرها أو بأمر ابن كين " .

قال هابيل : " هذا يذكرنى أنه مازالت هناك بعض الأمور التى يجب أن أسويها مع أبيه " .

سأل جورج : " ما الذى سوف تفعله بأسهمك فى ليستر ؟ بيتر بارفيت بدأ يعيد طرح الاثنين بالمائة التى يملكها وأنا لا أثق فى هنرى لإجراء التفاوض معه . مع طرح هذه النسبة للبيع ، سوف يشترك الجميع فى الصفقة باستثنائك أنت " .

" لن أفعل شيئا . بقدر ما أكره كين فأنا لا أريد أن أوقع نفسى فى مأزق إلى أن أتأكد من فوز كيندى بالانتخابات . سوف أبقى

الوضع كما هو عليه حتى هذا الوقت . إن فشل كينيدى ، سوف اشترى الاثنين بالمائة الخاصة ببارفيت وأنفذ الخطة التى سبق وناقشناها من قبل . ولا تشغل بالك بهنرى ، لقد انتزعت منه بالفعل الملف الخاص بكين . من الآن فصاعدا سوف أتعامل مع هذا الملف بنفسى " .

" ولكنى أشعر بالقلق بالفعل يا هابيل . أعلم أنه قد أغرق نفسه فى الديون ثانية مع نصف وكلاء المراهنات فى شيكاغو ، ولن أندهش إن وجدته عائدا إلى نيويورك فى أى لحظة الآن لكى يستنجد بك " .

" إن هنرى لن يأتى هنا . لقد أوضحت له الأمر تماما فى المرة السابقة وقلت له إننى إن رأيته ثانية فلن أعطيه سنتاً واحدا . فإن جاءنى يستجدى النقود ، فسوف يفقد مقعده فى مجلس الإدارة ومصدر رزقه الوحيد " .

قال جورج : " هذا ما يثير إزعاجى بدرجة أكبر . دعنا نفرض أنه قد تحامل على نفسه وتوجه إلى كين مباشرة لكى يقترض المال " .

" لا يمكن يا جورج . إن هنرى هو الرجل الوحيد الذى يكره كين حتى أكثر مما أكرهه أنا ، ولديه أسبابه " .

" كيف يمكن أن تكون واثقا من ذلك إلى هذا الحد ؟ "

قال هابيل : " لقد كانت والدة ويليام كين زوجة هنرى الثانية وقد طرده ويليام وهو مازال فى السادسة عشرة من عمره من منزله " .

" يا إلهى وكيف عرفت ذلك ؟ "

قال هابيل : " ليس هناك شىء لا أعرفه عن ويليام كين أو هنرى فى هذا الصدد. ليس هناك ما يخفى علىَّ بدءا بعلمى بأننى



أنا وكين قد ولدنا فى يوم واحد وأنا واثق وأراهن على أنه هو الآخر يعرف عنى بقدر ما أعرف أنا عنه . لذا يجب أن نتوخى الحذر جيدا فى الوقت الراهن . ولكن لا تشغل بالك بأن هنرى يمكن أن يقدم على هذا ؛ سوف يستسلم لكى لا أفصح عن أن اسمه الحقيقى وهو " فيتروى توجنا " فضلا عن أنه قد قضى ذات مرة عقوبة فى السجن " .

" يا إلهى ، وهل يعرف هنرى أنك تعرف كل هذا عنه ؟"

" كلا لا يعرف . لقد احتفظت بكل هذه المعلومات لنفسى على مدى سنوات . لأننى طالما آمنت يا جورج أنه إذا كان هناك رجل يشكل تهديدا لك فيجب أن تعد له العدة وتحتفظ بسلاحك المضاد . وأنا لم أثق بهنرى يوما منذ اللحظة التى اقترح علىَّ فيها أن أطالب بمزيد من التعويض من شركة التأمين التى كان مازال يعمل بها مقابل حصوله على نسبة من الزيادة ، بالرغم من أننى لا أنكر أنه كان ذا نفع بالغ لى فى الماضى . كما أننى واثق من أنه لن يسبب لى أية مشاكل فى المستقبل لأنه بدون راتبه الذى يحصل عليه سوف يكون مفلسا . انس أمر هنرى يا جورج ودعنا نتسم بالمزيد من الإيجابية . ما هو آخر موعد لاستكمال فندق بارون لوس أنجلوس؟ " .

قال جورج : " منتصف سبتمبر " .

" رائع . أى ستة أسابيع قبل موعد الانتخابات . عندما يفتتح كينيدى هذا الفندق ، سوف تنشر الأنباء على كل الصفحات الافتتاحية من الجرائد والصحف الأمريكية " .

—

# الفصل الثامن والثلاثون

عندما عاد ويليام إلى نيويورك بعد أحد المؤتمرات المصرفية فى واشنطن ؛ وجد رسالة فى انتظاره تطلب منه الاتصال بثاديوس كوهين فى الحال . لم يكن ويليام قد تحدث مع كوهين منذ فترة طويلة لأن هابيل روزنوفسكى لم يكن يسعى لإثارة المشاكل معه منذ آخر اتصال هاتفى غير مكتمل بينهما ؛ عشية زواج ريتشارد وفلورنتينا منذ ما يقرب من ثلاث سنوات . فضلا عن أن التقارير ربع السنوية التى كان يتلقاها كانت تؤكد أن هابيل لم يكن يسعى لبيع أو شراء أية أسهم فى البنك . ومع ذلك فقد اتصل ويليام بثاديوس كوهين فى الحال وقد اعتراه إلى حد ما الشعور بالخوف . وقد أخبر المحامى ويليام أنه قد وقع على بعض المعلومات التى لم يكن يريد أن يصرح بها عبر الهاتف . فطلب منه ويليام أن يحضر إلى البنك فى أقرب فرصة .





وصل ثاديوس كوهين إلى البنك بعد أربعين دقيقة . أنصت ويليام إليه بإمعان .

عندما أفرغ كوهين ما فى جعبته . قال ويليام : " لم يكن والدك ليقر مثل هذه الأساليب الملتوية " .

قال ثاديوس كوهين : " وكذلك والدك أنت ، ولكنهما لم يواجها أمثال هابيل روزنوفسكى " .

" ما الذى يجعلك تعتقد أن خطتك سوف تنجح ؟"

" انظر إلى قضية برنارد جولدفاين وشيرمان آدمز . فقط ألف وستمائة واثنان وأربعون دولارا مدرجة فى فواتير فندق بالإضافة إلى معطف من الفراء ، ولا تنس أن الرئيس قد أحرج عندما اتهم آدمز بأنه يستغل مكانته السياسية كمساعد للرئيس . نحن نعرف أن السيد روزنوفسكى يسعى لأكثر من ذلك بكثير ، أى أنه سوف يكون من الأسهل أن ننال منه " .

"و كم سيكلفنى هذا ؟ "

"خمسة وعشرين ألفا مبدئيا ولكن قد يكون بوسعى أن أعقد الصفقة بمبلغ أقل من ذلك " .

" وكيف تتأكد من أن روزنوفسكى لن يكشف تورطى فى الأمر ؟ " .

"سوف أستخدم شخصا ثالثا لا يعرف حتى اسمك كوسيط فى العملية " .

" وإن نجحنا فى عقد الصفقة ما الذى تعتقد أننا يجب أن نفعله بعد ذلك ؟"

" يجب أن ترسل كل التفاصيل إلى مكتب السيناتور جون كيندى وأنا أضمن لك أنه سوف يضع حدا لطموحات هابيل روزنوفسكى إلى الأبد . فى الوقت الذى ستهتز فيه مصداقيته سوف

يستحيل عليه أن يفعل المادة السابعة من قوانين البنك حتى إن نجح فى امتلاكها " .

قال ويليام : " ربما ؛ إن أصبح كيندى رئيسا " .

ولكن ما الذى سيحدث إن فاز نيكسون بالانتخابات ؟ إنه متقدم بالفعل فى صناديق الاقتراع كما أننى بالقطع أرى أن فرصته فى النجاح تفوق فرصة كيندى . هل تظن أن أمريكا يمكن أن تدفع بالفعل برجل من أصل رومانى إلى البيت الأبيض ؟ لا أتصور ذلك ، ولكننى أقر أن استثمار خمسة وعشرين ألف دولار مبلغ تافه إن كانت هناك فرصة حقيقية فى القضاء على هابيل روزنوفسكى إلى الأبد لكى أبقى أنا فى مأمن داخل بنكى " .

" إن أصبح كيندى رئيسا ... " .

قال ثاديوس كوهين : " أنا واثق من ذلك " .

فتح ويليام درج مكتبه وأخرج دفتر حسابات كبيرًا يحمل عنوان " حساب خاص " وكتب بالحروف : اثنان ، خمسة ، صفر ، صفر ، صفر .

# الفصل التاسع والثلاثون

لم يحقق افتتاح كيندى لفندق البارون الدوى الصحفى القوى الذى توقعه له هابيل . بالرغم من أن المرشح افتتح بالفعل الفندق إلا أنه ظهر فى عشرات من المناسبات الأخرى فى لوس أنجلوس فى نفس اليوم فضلا عن أنه التقى بنيكسون فى إحدى المناظرات التليفزيونية مساء اليوم التالى . ومع ذلك فقد حظى افتتاح الفندق الجديد بتغطية لا بأس بها فى الصحافة الوطنية وقد أكد فينسنت هوجين لهابيل على انفراد أن كيندى لم ينس وعده بشأن الأمر القديم . كان محل فلورنتينا على بعد بضع مئات من الياردات القليلة فقط من البارون الجديد ولكن الأب لم يلتق بابنته أبدا .

وبعد حصول جون كيندى على أصوات المجمع الانتخابى فى ولاية إيلينوى أصبح فى حكم الأكيد أنه سوف يصبح الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة ، شارك هابيل فى احتفالات الحزب الديمقراطى بالفوز فى مقر الحزب فى ميدان تايمز ولم يعد

إلى بيته قبل الخامسة من صباح اليوم التالى .

قال لجورج : " أمامى الكثير لكى أحتفل بـه . سـوف أكـون الـ ..." ثم سقط نائما قبل أن يكمل عبارته . ابتسم جـورج وأودعـه فى فراشه .

* * *

أخذ ويليام يراقب تطور الانتخابات من مكتبه الهادئ فى شارع إيسـت سيكسـتى إيتـث . بعـد عـودة رجـل إيلينـوى إلى البيـت الأبيض ، وهو الأمر الذى لم يتأكد حتـى العاشـرة مـن صـباح اليـوم التـالى ( لم يكـن ويليـام يثـق مطلقـا بالعمـدة دالى ) . أعلـن ولاتـر كرونكيت أن كل شئ قد انتهى باستثناء الصياح ، فـالتقط ويليـام سماعة الهاتف واتصل برقم منزل ثاديوس كوهين .

كان كل ما قاله هو : " لقد كانت الخمسة والعشرون ألف دولار استثمارا حكيما يا ثاديوس . والآن يجب ألا نمنح هابيل فترة راحـة ولكن لا تجهز عليه قبل أن يقوم برحلته إلى تركيا " .

أعاد ويليام سماعة الهاتف إلى مكانها وذهـب إلى فراشـه . كـان محبطا بسبب سقوط ريتشارد نيكسون فى الانتخابـات أمـام كينـدى وبسبب عدم حصول ابن عمه البعيد هنرى كابوت على منصب نائب الرئيس ولكنه الحظ الذى لم يحالفهما ...

عندما تلقى هابيل دعوة لكى يحل ضـيفا فـى إحـدى الحفـلات الافتتاحية الراقصة للرئيس كيندى فى واشنطن ، كان هناك شـخص واحد فقط هو الذى كان يريد هابيـل أن يتقاسـم فرحتـه معـه . وقـد أفصح لجورج بما كان يجـول فـى نفسـه ولكـن جـورج أكـد لـه أن فلورنتينا لن تلبى دعوته أبدا ما لم يقنعها بأن الصراع الدائر مع والد



ريتشارد يمكن أن يوضع له حد . لذا أدرك أنه يجب أن يـذهب إلى هناك وحيدا .

كان هابيل قد اقتنى حلـة داكنـة الزرقـة أعـدت خصيصـا لهـذه المناسبة وحجز لنفسه الجناح الرئاسى فـى بـارون واشـنطن فـى يـوم الافتتاح . وقد استمتع بمراقبـة الـرئيس الشـاب وهـو يلقـى خطبتـه الافتتاحية وهو مفعم بالأمل والتطلع إلى المستقبل .

" جيل جديد من الأمريكيين ، ولدوا فى هذا القرن " ، لقد كان هابيل يحمل هذه الصفة "جيل صقلته الحروب " كان هابيل بالطبع يحمل هذه الصفة أيضا ، " جيل تعلم الانضباط فى ظل السـلام المر العصيب " ، وكانت هذه الصفة أيضًا تنطبق على هابيل . " لا تسل عما يمكن أن يقدمه لك الوطن وإنما سل نفسك عما يمكنك أن تفعلـه للوطن " .

نـهـض الحشـد تصـفيقًا للرجـل ، وقـد تجاهـل الجميـع الثلـوج المتساقطة التى عجزت عن تبديد وقع كلمات جون إف . كينـدى ، هذا الخطيب المفوه .

عاد هابيل إلى بارون واشنطن وهو فى حالة نشوة . استحم قبل أن يغير ملابسه لتناول العشاء وارتدى رابطة عنق بيضاء ورداء بـذيل طويل أعد خصيصاً أيضا لهذه المناسبة . عندما تفحص هيئته الفخمة فى المرآة ، كان عليه أن يعترف لنفسه بأنه لا يمثل آخر صيحة فى عالم الأناقة . كان الخياط قد بذل أقصى جهده (كان عليه أن يحيك لهابيل ثلاث حلل مسائية جديدة وأكبر حجمـا علـى مـدى الأعـوام الثلاثة الماضية ) . كانت فلورنتينا سوف توبخه على تلك البوصـات الزائدة ـ كما اعتادت أن تطلق عليها ـ والتى كانـت تـرى أنـه كـان يمكـن أن يفعـل شـيئا حيالهـا . لِمَ كـان فكـره يقـوده دائمـا إلى فلورنتينا ؟ تفحص نياشينه التى كان يرتديها جيدا ، النيشان الأول

كان نيشان المحارب البولندى ثم نيشان الخدمة فى أوروبا والصحراء ثم نيشان السكاكين ، كما كان يطلق عليه ، نظير خدماته المتميزة فى قطاع المؤن والإمداد .

وصل إجمالى الحفلات الراقصة الافتتاحية فى واشنطن إلى سبع حفلات فى مساء ذلك اليوم ووصلت هابيل دعوة لحضور الحفل المقام فى نادى الجيش بالعاصمة . جلس فى أحد الأركان المخصصة للديمقراطيين البولنديين من نيويورك وشيكاغو . كان لديهم الكثير لكى يحتفلوا به . كان إيدموند موسكى فى مجلس الشيوخ كما كان عشرة بولنديين آخرين قد انتخبوا فى الكونجرس . لم يرد ذكر المرشحين الجمهوريين البولنديين الذين تم انتخابهم مؤخرا . قضى هابيل أمسية جميلة مع اثنين من أصدقائه القدامى الذين كانوا يشكلون معه أعضاء المجلس الأمريكى البولندى . وقد سأله الاثنان عن أخبار فلورنتينا .

قاطع دخول جون إف كيندى وزوجته الجميلة جاكلين الحفل . مكثا ما يقرب من خمس عشرة دقيقة وتحدثا مع نخبة مختارة ثم غادرا الحفل . بالرغم من أن هابيل لم يتحدث مع الرئيس بشكل شخصى حتى بالرغم من أنه كان قد غادر مائدته ووضع نفسه فى مكان استراتيجى فى طريق سير كيندى ؛ فقد نجح فى التحدث مع فينسنت هوجين بينما كان يستعد للرحيل مع زمرة كيندى .

" سيد روزنوفسكى ، يا لها من مصادفة رائعة " .

كان هابيل يود أن يشرح للرجل أنه لا شيء فى حياته يحدث مصادفة ولكن لم يكن الوقت أو المكان يسمح بذلك . أمسك هوجين ذراع هابيل وقاده سريعا وراء أحد أعمدة القاعة المصنوعة من الرخام .



" لا يمكننى أن أتحدث معك كثيرا الآن يا سيد روزنوفسكى ؛ لأننى يجب أن أبقى ملازما للرئيس ولكننى أتوقع أن تصلك مكالمة منا فى المستقبل القريب . إن الرئيس أمامه بالطبع الكثير من المواعيد والارتباطات حاليا " .

قال هابيل : " بالطبع " .

واصل فنسنت هوجين حديثه : " ولكننى آمل أن يصادق على كل ما يخصك فى أواخر شهر مارس أو بداية شهر إبريل. هل لى أن أكون أول من يقدم تهانيه إليك يا سيد روزنوفسكى ؟ أنا واثق من أنك سوف تبلى بلاء حسنا فى خدمة الرئيس " .

وقف هابيل يراقب فينسنت هوجين وهو يركض بالفعل لكى يلحق بموكب كيندى ، والذى كان يصعد بالفعل على متن سيارة ليموزين مفتوحة .

قال أحد أصدقاء هابيل من البولنديين : " تبدو فخورا بنفسك " فى الوقت الذى عاد فيه هابيل إلى المائدة لكى يلتهم إحدى قطع اللحم البقرى القاسى والتى لم يكن هابيل يسمح بدخول أى منها فندق البارون . وأضاف : " هل دعاك كيندى لكى تكون وزير خارجيته الجديد ؟ " .

ضحك الجميع .

قال هابيل : " ليس بعد ، ولكنه أخبرنى بأن الإقامة فى البيت الأبيض لم تكن بنفس مستوى جودة فندق البارون " .

طار هابيل إلى نيويورك فى صباح اليوم التالى بعد أن زار الحى البولندى . وقد أثارت فيه الزيارة ذكرى فلورنتينا . كان مطار واشنطن القومى يعج بالفوضى حتى أن هابيل كان قد وصل إلى بارون نيويورك متأخرا ثلاث ساعات عما كان قد خطط له . تناول

معه جورج العشاء والذى أدرك أن كل شيء سار على ما يرام عندما طلب هابيل تناول اللحم البقرى الذى يحبه .

قال هابيل : سوف نحتفل الليلة . لقد قابلت هوجين فى الحفل وسوف يتم التصديق على تعيينى فى المنصب الجديد خلال الأسابيع القليلة التالية . إن الإعلان الرسمى سوف يصدر على الرجح فور عودتى من الشرق الأوسط " .

" تهانيا يا هابيل . أنت الأكثر استحقاقا لهذا الشرف " .

" شكرا لك يا جورج . وأنا أؤكد لك أن مكافأتك عندما يتم تعيينى رسميا أننى سوف أعينك أنت رئيسا لمجموعة البارون أثناء غيابى " .

شرب جورج كأسا آخر . كانا قد اقتربا عندها من نصف الزجاجة .

" كم سيطول غيابك هذه المرة يا هابيل ؟"

" ثلاثة أسابيع فقط . أريد أن أتأكد من حسن سير مشاريعى فى الدول العربية ثم سوف أتوجه بعدها إلى تركيا لكى أفتتح فرع اسطنبول هناك . أعتقد أننى سوف أمر أيضا على لندن وباريس فى الطريق " .

قضى هابيل ثلاثة أيام أخرى فى إنجلترا زيادة عن الفترة التى كان قد خطط لها محاولا الكشف عن أسباب المشاكل مع المدير الذى بدا يلقى كل اللوم على الاتحادات البريطانية . كان فرع البارون فى لندن من بين زلات هابيل القليلة ، بالرغم من أنه عجز عن التوصل إلى سبب هذه الخسارة المستمرة فى الفندق . كان يمكن أن يفكر فى إغلاق الفرع ولكن البارون يجب أن يكون له تواجد فى عاصمة إنجلترا ، لذا لجأ ثانية إلى إقالة المدير وتعيين مدير جديد .



أما فرع البارون فى باريس فقد كان النموذج المناقض تماما ؛ كان الفندق من بين أكثر الفروع نجاحا فى أوروبا ، وقد اعترف هابيل ذات مرة لفلورنتينا - فى شيء من التردد مثل التردد الذى يشوب حديث الأب عندما يقر بفضل أحد أبنائه - أن بارون باريس هو الأقرب إلى قلبه . كان هابيل يجد كل شيء فى بولفارد راسبيل منظما أحسن تنظيم ومنمقا . قضى هابيل يومين فقط فى باريس قبل أن يطير إلى الشرق الأوسط .

أصبح هابيل يملك فى هذا الوقت خمسة مواقع فى دول الخليج ولكن فرع بارون الرياض وحده هو الذى كان بالفعل تحت الإنشاء . لو كان هابيل أصغر سنا لكان قد بقى فى الشرق الأوسط لعامين بنفسه لكى يشرف بنفسه على سير الأمور . ولكنه لم يتحمل التراب والسخونة وعدم توافر الخمور . كما أنه لم يستطع البعد عن صناع القرار فى واشنطن . ترك الأمور لأحد مساعديه الشباب من نواب الرئيس ؛ الذى وعده هابيل بأنه سوف يسمح له بالعودة إلى أمريكا فقط إن أثبت نجاحا فى التعامل مع العرب فى الشرق الأوسط .

ترك مساعد نائب الرئيس المسكين فى أغنى بقعة على سطح الأرض وطار إلى تركيا .

كان هابيل قد زار تركيا عدة مرات على مدى السنوات القليلة الماضية لكى يراقب تطور فندق بارون اسطنبول . كانت القسطنطينية تمثل دائما بالنسبة لهابيل شيئا خاصا لأنه كان يحمل ذكرى خاصة لها . كان يتطلع إلى افتتاح بارون جديد فى البلد الذى كان آخر محطة له قبل أن يبدأ حياته الجديدة فى أمريكا .

بينما كان يفض حقائبه فى أحد الأجنحة الرئاسية الأخرى ؛ وجد هابيل خمس عشرة دعوة فى انتظار رده . كان قد اعتاد أن

يجد عدة دعوات فى انتظاره فى أوقات افتتاح الفنادق . كان هناك حشد من محبى الحفلات يظهر دائما بشكل سحرى مبديا رغبته فى حضور الحفلات الافتتاحية . ولكن فى هذه المرة تحديدا ، وصلت هابيل دعوتا عشاء كانتا بمثابة مفاجأة سارة بالنسبة له ؛ كانت الدعوتان مرسلتين من رجلين لا يمكن أن يصنفا على أنهما من محبى الحفلات وهما سفيرا أمريكا وبريطانيا . كانت الدعوة إلى السفارة الإنجليزية لا تقاوم حيث إنه لم يذهب إلى هناك منذ ما يقرب من أربعين عاما .

تناول هابيل العشاء فى هذه الليلة كضيف لسير برنارد بوروو ، السفير الإنجليزى فى تركيا . ولدهشته وجد نفسه جالسا بجوار السفير وزوجته وهو شرف لم يحظ به هابيل من قبل فى أية سفارة فى الماضى . عندما انتهى العشاء ، غادرت النساء القاعة - وفق التقليد الإنجليزى الأصيل - بينما بقى الرجال لتدخين السجائر وتناول المشروبات . دعى هابيل للانضمام إلى السفير الأمريكى ، فليتشر وارين فى مكتب السير برنارد . كان السير برنارد قد لام السفير الأمريكى على دعوة البارون على العشاء قبله .

قال السفير الأمريكى وهو يشعل سيجارة كوبية كبيرة : " إن العجرفة هى إحدى الصفات الأصيلة فى الجنس الإنجليزى " .

قال السير برنارد : " سوف أقول شيئا واحدا فقط للأمريكيين : إنهم لا يدركون أبدا متى يصابون بالهزيمة " .

أخذ هابيل ينصت إلى الحوار الدبلوماسى المحنك الدائر ويسأل نفسه عن سبب تواجده فى هذه الجلسة الخاصة .

قال السير برنارد : " ألا يجدر بنا تهنئة السيد هابيل بـ ... ؟ " .



احمر وجه هابيل وحول نظره سريعا نحو السفير الأمريكى أملا فى أن يساعده فى الخروج من هذا المأزق .

قال سير برنارد وهو ينظر إلى السفير الأمريكى : " آه ، هل أطلقت الهرة من أسرها يا فليتشر ؟ لقد أخبرتنى أن التعيين أصبح معلنا يا عزيزى " .

قال فليتشر وارين : " يكاد يكون كذلك ولكن الإنجليز لا يكتمون سرا لفترة طويلة " .

قال السير برنارد : " ألهذا استغرقتم وقتا طويلا قبل أن تعرفوا أننا فى حالة حرب مع الألمان ؟"

" ثم تحركنا لنحرز النصر ، أليس كذلك ؟"

قال السير برنارد : " والمجد " .

ضحك السفير الأمريكى : " لقد أخبرت بأن الإعلان الرسمى سوف يتم التصريح به بعد أيام قليلة " .

نظر الرجلان إلى هابيل الذى بقى صامتا .

قال السير برنارد : " حسنا ، إن اسمح لى أن أكون أول من يهنئك يا صاحب السعادة أتمنى لك كل السعادة فى منصبك الجديد " .

تورد وجه هابيل فور سماع اللقب الذى ظل يهمس به أمام مرآة حلاقته على مدى الشهور القليلة الماضية . واصل السفير الإنجليزى حديثه : " يجب أن تعتاد على لقب صاحب السعادة كما تعرف والكثير من الأشياء الأخرى الأسوأ من ذلك . وخاصة كل المهام اللعينة التى سوف يفرض عليك حضورها ، الواحدة تلو الأخرى . إذا كنت تعانى من زيادة فى الوزن الآن فإنها لا تقارن بالزيادة التى سوف تصاب بها عند نهاية فترة خدمتك . قد يمتد بك العمر لكى

تمتن للحرب الباردة . إنها الشيء الوحيد الذى يمكن أن يبقى حياتك الاجتماعية متواصلة " .

ابتسم السفير الأمريكى : " أحسنت صنعا يا هابيل وهل لى أن أبعث لك بأفضل أمنياتى مقابل نجاحك المتواصل . متى كانت المرة الأخيرة التى زرت فيها بولندا ؟ "

قال هابيل : " لم أزرها إلا مرة واحدة ، كانت رحلة قصيرة منذ سنوات قليلة ولكننى طالما أردت العودة إلى هناك منذ ذلك الوقت " .

قال فليتشر وارين : " حسنا ، سوف تعود منتصرا . هل تعلم أين تقع سفارتك فى وارسو ؟ "

قال هابيل : " كلا ، لا أعرف " .

قال السير برنارد : " ليس بناء سيئا . تذكر أن المستعمرين لم يطأوا أوروبا بأقدامهم إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولكن الطعام مرعب . أنا واثق من أنك سوف تتدبر هذا الأمر جيدا يا سيد روزنوفسكى . أخشى أن الشيء الوحيد الذى يمكن أن تفعله لعلاج ذلك هو أن تبنى فرعا للبارون فى وارسو . سوف يكون هذا أقل ما يتوقع منك كسفير وبولندى حكيم " .

جلس هابيل فى حالة انتشاء ، يضحك ويستمتع بالمزح البالية للسير برنارد . وجد نفسه يشعر بارتياح مع نفسه والعالم . كان يتوق إلى العودة إلى أمريكا لإخبار فلورنتينا بالأنباء السارة ، بعد أن بدا التعيين رسميا . سوف تفخر به . قرر وقتها أنه فور عودته إلى نيويورك سوف يحجز مقعدا لسان فرانسيسكو لكى يصلح كل شيء مع ابنته . لقد كان هذا هو ما يريده طوال الوقت ولكنه أصبح الآن يملك مبررا لذلك . سوف يجبر نفسه بشكل أو آخر على الإعجاب بفتى كين . يجب أن يكف عن الإشارة إليه باسم فتى كين . ما هو



اسمه ، ريتشارد ؟ . انتاب هابيل فجأة الشعور بالارتياح فور اتخاذه هذا القرار .

بعد أن عاد الرجال الثلاثة إلى حيث تجلس السيدات فى القاعة الرئيسية ، تقدم هابيل لامسا كتف السفير الإنجليزى : " يجب أن أنصرف الآن يا صاحب السعادة " .

قال السير برنارد : " سوف تعود إلى البارون . اسمح لى أن أصحبك إلى سيارتك يا صديقى العزيز " .

ودعت زوجة السفير هابيل وتمنت له ليلة سعيدة عند الباب .

" عمت مساء يا سيدة بوروو ، شكرا على هذه الأمسية الرائعة " .

ابتسمت : " أعلم أنه من المفترض ألا أعلم شيئا يا سيد روزنوفسكى ولكن تهانيا الحارة على تعيينك . لابد أنك تشعر بالسعادة لأنك سوف تعود إلى بلدك الأم كممثل أعلى لبلادك " .

أجاب هابيل ببساطة : " بالفعل " .

صاحب السير برنارد هابيل هابطا الدرج الرخامى للسفارة إلى السيارة المنتظرة . فتح السائق باب السيارة .

قال السير برنارد : " تصبح على خير يا روزنوفسكى وحظا سعيدا فى وارسو . أتمنى أن تكون قد استمتعت بوجبتك الأولى فى السفارة الإنجليزية " .

" إنها الثانية فى الواقع يا سير برنارد " .

" لقد جئت إلى هنا من قبل أيها الفتى العجوز ؟ ولكننا عندما راجعنا قائمة أسماء الضيوف فى كتاب الضيوف لم نجد اسمك مدونا " .

—

قال هابيل : " كلا . فى المرة الأخيرة التى تناولت فيها العشاء فى السفارة الإنجليزية ، تناولت الطعام فى المطبخ . لا أعتقد أنهم يحتفظون بسجل أسماء للأشخاص الذين تناولوا الطعام فى المطبخ ؛ كان الطعام فى ذلك الوقت هو أفضل ما تناولت منذ سنوات " .

ابتسم هابيل وهو يركب فى المقعد الخلفى من السيارة . بدا من الواضح له أن السير برنارد لم يكن واثقا ما إن كان يجب أن يصدق أو لا يصدق رواية هابيل .

بينما قادت السيارة هابيل عائدة إلى البارون ، أخذ هابيل يطرق بأصابعه زجاج النافذة الجانبية وهو يهمس لنفسه : كم كان يحب أن يعود إلى أمريكا صباح اليوم التالى ولكن لم يكن بوسعه أن يلغى دعوة العشاء مع فليتشر وارين فى السفارة الأمريكية مساء اليوم التالى . هذا ليس تصرفا يليق بسفير مقبل ، أيها الفتى العجوز ، جاءه وقع كلمات السير برنارد وهو ينطق بها .

كان تناول العشاء مع السفير الأمريكى أمرا ممتعا. وجد هابيل يشرح للسادة الضيوف كيف آل به الحال إلى تناول الطعام فى مطبخ السفارة الإنجليزية من قبل . عندما أخبرهم بالحقيقة ، أخذوا يتأملونه فى إعجاب يفيض دهشة . لم يكن واثقا إن كان الكثيرون من بينهم قد صدقوا روايته وكيف أنه كاد يفقد يده ولكنهم جميعا أبدوا إعجابهم بالسوار الفضى وفى هذه الليلة أطلق عليه الجميع اسم "صاحب السعادة " .

وفى اليوم التالى ، استيقظ هابيل من نومه مبكرا تأهبا لرحلة العودة إلى أمريكا . طارت الطائرة إلى بلجراد حيث بقى هناك على مدى ست عشرة ساعة فى انتظار الطائرة التالية . كان هناك عيب فى معدات الهبوط ، هكذا أخبروه . جلس فى المطار وأخذ يحتسى القهوة اليوغوسلافية غير المستساغة . لم يكن التناقض بين السفارة



الإنجليزية والطعام المقدم فى الدول الشيوعية أمرا خافيا تماما على هابيل . وأخيرا أقلعت الطائرة لكى تتعرض لتاخير آخر فى مطار أمستردام . ولكن فى هذه المرة طلب من الركاب تغيير الطائرة .

عندما وصل هابيل أخيرا إلى مطار ايدل وايلد ، كان قد قطع ما يقرب من ستة وثلاثين ساعة . كان منهكا إلى حد عدم قدرته على السير . ما إن غادر المنطقة الخاصة بالجمارك ، حتى وجد نفسه محاطا بالصحفيين والكاميرات التى ظلت تلتقط صورا له . ابتسم فى الحال . قال لنفسه : " لابد أنه قد تم إعلان النبأ ، لقد أصبح التعيين الآن رسميا " . وقف بأكبر قدر ممكن من الاستقامة ، وسار ببطء وهيبة محاولا إخفاء عرجه . لم يجد أى إشارة تنم عن وجود جورج حيث كانت الكاميرات تتسابق حرصا من المصورين على التقاط صور .

ثم وقع نظره على جورج واقفا عند نهاية الحشد ، وقد بدا وكأنه ميت . خفق قلب هابيل وهو يعبر الحاجز ، وإذا بصحفى يلقى عليه سؤالا أبعد ما يكون عن السؤال الذى كان يتوقعه " هل لديك أية إجابة على التهم الموجهة إليك ؟"

واصلت الكاميرات التقاطها للصور وتواصلت معها الأسئلة التى لا تنتهى .

" هل الاتهامات صحيحة يا سيد روزنوفسكى ؟"

" كم دفعت تحديدا لرجل الكونجرس السيد أوسبورن ؟"

هل تنكر التهم ؟"

" هل عدت إلى أمريكا لكى تواجه المحاكمة ؟"

ثم كتبوا إجابات هابيل بالرغم من أنه لم ينطق بكلمة واحدة .

ثم صاح هابيل وسط الحشد قائلا : " أخرجونى من هنا ! " .

◆

ندم جورج ليشق طريقه العثر وسط الحشد ونجح فى الوصول إلى
ى ثم شق طريقه ثانية بصعوبة وسط الجموع المحتشدة إلى أن
به إلى السيارة الكاديلاك التى كانت تقف فى انتظاره .

حنى هابيل ودفن وجهه بين يديه أمام الكاميرات التى كانت
ل تلتقط له صورا . ثم صاح جورج فى السائق طالبا منه أن
ك .

سأل السائق : " إلى البارون يا سيدى ؟ "

كلا ؛ إلى شقة الآنسة روزنوفسكى فى الشارع إيست فيفتى
ث " .

ال هابيل : " لماذا ؟ "

لأن فندق البارون يعج بالصحفيين فى انتظارك " .

ال هابيل : " أنا لا أفهم . فى اسطنبول عاملونى على أنى
ر المرتقب وعندما أعود إلى وطنى أجد نفسى أعامل على أنى
م . ما الذى يجرى بحق السماء يا جورج ؟"

ال جورج : " هل تريد أن أقص عليك الأمر كله أم تريد أن
ر إلى أن تقابل محاميك ؟"

ال هابيل : " محامى ؟ هل استدعيت محاميا لكى يمثلنى ؟"

" اتش ترافورد جيلكز ؛ إنه الأفضل " .

" والأعلى ثمنا "

" لا أعتقد أنك يمكن أن تعبأ بالمال فى ظرف كهذا
بيل " .

" لقد تركته فى دار القضاء ولكنه قال لى إنه سوف يحضر إلى
ة بما أن ينهى الاجراءات هناك " .

" لا يمكن أن أنتظر كل هذا الوقت يا جورج . أستحلفك بالله ما
لب . أخبرنى حالاً " .



التقط جورج نفسا عميقا وقال : " لقد صدر إذن من النيابة بالقبض عليك " .

" وما هى التهمة الموجهة إلىَّ بحق السماء ؟"

" رشوة مسئولين حكوميين " .

قال هابيل معترضا : " ولكننى لم أتورط يوما بشكل مباشر فى التعامل مع مسئولين حكوميين " .

" أعلم ولكن هنرى أوسبورن تورط وما فعله يبدو أنه فعله باسمك ونيابة عنك " .

قال هابيل : " يا إلهى ! لم يكن ينبغى أبدا أن أستخدم هذا الرجل . أعتقد أن كراهيتنا المشتركة لكين قد أعمت بصرى . ولكننى مازلت أجد صعوبة فى أن يكون هنرى قد حكى كل شيء ؛ لأن هذا سوف يدينه هو الآخر تماما " .

قال جورج : " ولكن هنرى اختفى . والمفاجأة الكبرى هى أنه فجأة وبشكل غامض سدد كل ديونه " .

قال هابيل وهو يكاد يبصق بالكلمات : " إنه ويليام كين " .

قال جورج : " ليس هناك دليل على تورطه فى الأمر ، ولكننا لم نعثر على أى دليل فى هذا الاتجاه " .

" وهل نحن بحاجة إلى دليل ؟ أخبرنى أنت كيف توصلت السلطات إلى التفاصيل الخاصة بهذا الشأن ؟"

قال جورج : " لا نعرف كل هذه الأمور . يبدو أن هناك طردا مجهولا قد بعث مباشرة إلى القضاء فى واشنطن " .

قال هابيل : " يحمل طابع نيويورك بالطبع " .

" كلا ؛ شيكاغو " .

صمت هابيل للحظات وقال أخيرا : " لا يمكن أن يكون هنرى هو الذى أرسل الطرد إليهم . هذا أبعد ما يكون عن المنطق " .

قال جورج : " كيف يمكن أن تكون واثقا إلى هذا الحد ؟ "

" لأنك قلت إن كل ديونه قد سددت ودار القضاء لا يمكن أن يوافق على دفع كل هذا المبلغ من المال ما لم يكن يسعى للقبض على آل كابون . لابد أن هنرى قد باع الملف إلى شخص ما . ولكن من هو هذا الشخص ؟ الشىء الوحيد الذى يمكن أن أؤكد عليه أنه لا يمكن أن يكون هنرى قد صرح بالمعلومات إلى ويليام مباشرة " .

قال جورج : " مباشرة " .

قال هابيل : " مباشرة . ربما لم يكن قد باع المعلومات بشكل مباشر . ربما يكون كين قد استخدم وسيطا لعقد الصفقة إذا كان لديه علم مسبق بأن هنرى مثقل بالديون وبأن وكلاء المراهنات يطاردونه فى كل مكان " .

" قد يكون هذا صحيحا يا هابيل . لأن الأمر بكل تأكيد لم يكن يتطلب محققا خاصا محنكا لكى يتوصل إلى حقيقة المشاكل المادية التى يعانى منها أوسبورن . لقد كان الأمر معروفا فى أوساط المراهنات فى شيكاغو ، ولكن لا تقفز إلى النتائج بعد . دع المحامى يفرغ أولا ما فى جعبته " .

توقفت السيارة الكاديلاك خارج منزل فلورنتينا السابق ، الذى احتفظ به هابيل ودأب على صيانته على أمل أن تعود ابنته إليه يوما ما . وجد جورج إتش جيلكز فى انتظارهما فى مدخل العمارة فصحبهم جميعا وفتح باب الشقة ودعاهم للدخول .

" أخبرنى بالأسوأ يا سيد جيلكز . دعنا ننهى الأمر " .

بدأ حديثه : " آسف يا سيد روزنوفسكى ، السيد نوفاك أخبرنى بشأن وارسو " .

" لقد انتهى كل هذا الآن ، لذا دعنا ننسى أيضا لقب "يا صاحب السعادة " فأنا واثق أن فنسنت هوجين إن سئل فلن يتذكر



حتى اسمى . أخبرنى يا سيد جيلكز الآن ما هى التهمة الموجهة لى ؟ "

" أنت تواجه سبع عشرة تهمة فساد ورشوة لموظفيين حكوميين فى ولايات مختلفة . لقد عقدت اتفاقا مبدئيا مع وزارة العدل أن تقوم بالقبض عليك من منزلك هذا غدا صباحا وأن يطلقوا سراحك فى اليوم نفسه مقابل دفع كفالة " .

قال هابيل : " أمر مريح للغاية ولكن ماذا لو ثبتت علىّ التهم ؟ "

قال اتش ترافورد جيلكز وكأنه أمر واقع : " يجب أن يكونوا قادرين على إثبات بعض التهم ولكن طالما بقى هنرى أوسبورن مختفيا فسوف يكون من الصعب إثبات تورطك فى معظم التهم . ولكنك يجب أن توطن نفسك يا سيد روزنوفسكى على حقيقة أن الجزء الأكبر من الضرر قد وقع بالفعل سواء ثبتت إدانتك أم لم تثبت " .

قال هابيل وهو ينظر إلى صورته فى الصفحة الأمامية من الديلى نيوز والتى أحضرها معه اتش ترافورد جيلكز على ما يبدو : " أرى ذلك بمنتهى الوضوح . يجب أن تعرف يا سيد جيلكز من الذى اشترى هذا الملف من هنرى أوسبورن استخدم أكبر عدد من الأشخاص تحتاج إليه . أنا لا أعبأ بالتكاليف . ولكن يجب أن تكشف عن اسم الشخص وتكشف عنه سريعا ؛ لأننى إن اكتشفت أن ويليام كين هو الذى يقف وراء هذه القضية فسوف أقضى عليه نهائيا " .

قال السيد اتش ترافورد جيلكز : " لا تورط نفسك فى المزيد من المشاكل ، يكفيك ما أنت فيه الآن أنت غارق فى هذه القضية حتى أذنيك " .

قال هابيل : " لا تقلق . عندما أقضى على كين ، سوف أستخدم طريقة قانونية لا تضعنى تحت طائلة العقاب " .

" والآن أنصت إلىّ بإمعان يا سيد روزنوفسكى . انس ويليام كين فى الوقت الراهن واشغل نفسك بالمحاكمة التى سوف تواجهها . سوف تكون هذه المحاكمة هى أهم حدث سوف تواجهه فى حياتك ما لم تكن تكترث بقضاء الأعوام العشرة التالية من حياتك داخل السجن . والآن لم يعد هناك ما يمكن أن تفعله الليلة فى هذا الشأن . سوف أبعث رجالى للبحث عن هنرى أوسبورن وسوف أصدر تصريحا صحفيا أنكر فيه كل التهم المنسوبة إليك وأؤكد أننى أملك تفسيرا كاملا سوف يبرئ ساحتك كلية " .

سأل جورج متفائلا : " وهل تملك تفسيرا بالفعل ؟"

قال جيلكز : " كلا ولكن هذا سوف يمنحنى بعض الوقت الذى أحتاج إليه للتفكير . وسوف أقول إنه عندما تتاح للسيد روزنوفسكى فرصة لمراجعة قائمة الأسماء فإننى لن أندهش إذا اكتشف أنه لم يسبق له مطلقا أن اتصل مباشرة بأى من أصحاب هذه الأسماء . يمكن أن يكون هنرى أوسبورن قد عمل دائما بصفته وسيطاً بدون أن يظهر السيد روزنوفسكى فى الصورة .سوف تكون مهمتى التالية إذن هى إثبات أن هنرى قد تعدى السلطة المخولة إليه كمدير للمجموعة . ولكنى أحذرك يا سيد روزنوفسكى إن كنت قد قابلت أى اسم من أسماء الأشخاص المذكورين فى الملف يجب أن تبلغنى بالله عليك ، لأنك يجب أن تعرف مسبقا أن القضاء سوف يجعلهم جميعا يقفون على منصة الشهادة ضدك . سوف أترك لك نسخة من القائمة ولن نشغل بالنا بها إلا ابتداء من الغد . اذهب الآن إلى فراشك وخذ قسطا من النوم . لابد أنك منهك من رحلتك . سوف أراك فى الصباح " .



تم اعتقال هابيل فى هدوء فى شقة ابنته فى الثامنة والنصف صباحا واقتيد بواسطة سيارة عسكرية إلى دار القضاء الفيدرالى فى الحى الجنوبى من نيويورك . كانت الألوان الصاخبة لعيد الحب فى نوافذ عرض المحلات والمتاجر قد ضاعفت بداخله الشعور بالوحدة . كان جيلكز يأمل أن يكون قد أنجز كل الترتيبات بأقصى قدر من السرية يحول دون تجمهر الصحافة . ولكنه ما إن وصل إلى دار القضاء حتى وجد هابيل نفسه ثانية محاطا بالمصورين والصحفيين . جرى نحو دار القضاء وجورج أمامه وجيلكز من خلفه . جلسوا فى صمت فى غرفة الانتظار فى انتظار دور القضية .

عندما طلب منهم الدخول ، لم تدم جلسة توجيه التهم أكثر من بضع دقائق وكانت بمثابة هبوط مفاجئ غريب . قرأ الكاتب التهم وكان اتش ترافورد جيلكز يجيب عن كل تهمة قائلا : " ليس مذنبا " نيابة عن موكله ثم طالب بعدها بالإفراج عنه بكفالة . لم تبد الحكومة ـ كما تم الاتفاق عليه مسبقا ـ أى اعتراض على الطلب . طلب جليكز من القاضى برسكوت ثلاثة شهور على الأقل لكى يعد الدفاع اللازم . حدد القاضى موعدا لنظر القضية فى السابع عشر من شهر مايو .

أصبح هابيل حرا ثانية ، حرا لمواجهة الصحافة والمزيد من عدسات المصورين . كان السائق يجلس وراء عجلة القيادة فى انتظار خروج هابيل عند نهاية الدرج مباشرة وقد ترك الباب الخلفى مفتوحا . كان المحرك دائرا بالفعل وكان على السائق أن يؤدى بعض مهارات القيادة المحترفة لكى يراوغ ويتفادى الصحفيين الذين كانوا مازالوا يطاردون هابيل . عندما توقفت السيارة فى شارع

إيست فيفتى سيفنت ، استدار هابيل نحو جورج ووضع ذراعه فوق كتفه .

قال هابيل وهو يحاول أن يضحك : " والآن أنصت إلى يا جورج ، يجب أن تدير المجموعة بمفردك لما لا يقل عن ثلاثة أشهر بينما سوف أعكف أنا على إعداد الدفاع مع السيد جيلكز . دعنا نأمل أنك لن تتولى مهمة الإدارة بمفردك إلى الأبد بعد ذلك " .

"بالطبع لن يحدث هذا يا هابيل ، سوف يخرجك السيد جيلكز من هذا المأزق . وسوف ترى " . التقط جورج حقيبته وربت على ذراع هابيل وقال : " ابتسم يا هابيل " ثم ترك الرجلين يدخلان العمارة التى توجد فيها الشقة .

قال هابيل للمحامى وهما يجلسان فى غرفة المعيشة : " لا أدرى كيف كان يمكن أن يكون حالى بدون جورج ، لقد جئنا إلى أمريكا على متن نفس السفينة منذ ما يقرب من أربعين سنة مضت وكابدنا الكثير منذ ذلك الوقت . والآن يبدو أنه مازال أمامنا الكثير لكى نكابده ، لذا دعنا نبدأ يا سيد جيلكز . هل هناك جديد عن هنرى أوسبورن ؟ "

" كلا ولكن هناك ستة من رجالى يسعون للعثور عليه ، وأنا واثق من أن القضاء قد عين من جانبة ستة رجال آخرين للبحث عنه ، لذا يجب أن تكون واثقا من أننا سوف نضع أيدينا عليه ، ولكن هذا لا يعنى أننا نريدهم أن يصلوا إليه أولا " .

سأل هابيل : " ماذا عن الرجل الذى باع أوسبورن له الملف ؟"

" لدى بعض الرجال الثقات فى شيكاغو سوف يتولون مهمة الكشف عن هذا الأمر أيضا " .

قال هابيل : " جيد والآن حان وقت مراجعة الملف الذى يحتوى على الأسماء والذى تركت لى نسخة منه مساء الأمس " .



بدأ إتش جيلكز بقراءة التهم المنسوبة ومراجعة كل منها بالتفصيل مع هابيل .

بعد ما يقرب من ثلاثة أسابيع من اللقاءات المستمرة ، وبعد أن تأكد جيلكز تماما أن هابيل لم يعد لديه المزيد من المعلومات لكى يدلى له بها ، ترك موكله لكى يرتاح . لم يتم خلال الأسابيع الثلاثة التوصل إلى هنرى أوسبورن سواء من قبل رجال جيلكز أو رجال القضاء . كما لم ينجح رجال جيلكز فى التوصل إلى الشخص الذى باع له أوسبورن الملف حتى بدأ المحامى يتساءل إن كان تخمين هابيل فى محله .

مع اقتراب موعد المحاكمة ، بدأ هابيل يواجه احتمال الذهاب إلى السجن بالفعل . كان وقتها فى الخامسة والخمسين من عمره وكان يخشى أن يقضى السنوات القليلة المتبقية من عمره بنفس الطريقة التى بدأ بها حياته وهو صغير . وكما ذكر له اتش ترافورد جيلكز فإن الحكومة إن نجحت فى إثبات التهم المذكورة فى ملف أوسبورن فإن فيها ما يكفى لإيداع هابيل فى السجن لوقت طويل للغاية . كان ظلم - كما بدا الأمر لهابيل - التهم المنسوبة إليه يثير غضبه . كانت التجاوزات التى اقترفها أوسبورن باسم هابيل تجاوزات حقيقية ولكنها لم تكن استثنائية حتى أن هابيل كان يشك فى إمكانية قيام أى عمل جديد واستمراره بدون اللجوء لمثل هذا النوع من التجاوزات والرشاوى لمثل هؤلاء الأشخاص المثبتين بالخط العريض فى ملف ترافورد جيلكز . أخذ يتذكر بمرارة هذا الوجه الناعم غير العابئ لويليام كين الشاب وهو يجلس فى أمان فى مكتبه فى بوسطن على مدى كل السنوات الماضية فوق كومة من المال الموروث دفنت أصوله غير الشريفة على الأرجح فى أمان تحت أجيال رفلت فى الاحترام . ثم بعثت فلورنتينا بخطاب مؤثر لأبيها ،

وضعت معه بعض الصور لابنها وأخبرت أباها فى الخطاب أنها مازالت تحبه وتحترمه وأنها تؤمن ببراءته .

قبل ثلاثة أيام من بدء المحاكمة ، نجح قسم العدل فى العثور على هنرى أوسبورن فى نيو أورليانز . كان يمكن ألا يصلوا إليه بالمرة ما لم يكن قد وصل إلى أحد المستشفيات المحلية بساقين مكسورتين . وقد توصل أحد رجال الشرطة إلى أن هنرى قد أصيب بهذه الكسور إثر سعيه للتهرب من بعض ديون المقامرة . إنهم لا يحبون ذلك فى نيو أورليانز . وبعدما وضعت الضمادات اللازمة على ساقى هنرى أوسبورن ، تم نقله على متن إحدى الطائرات إلى نيويورك من قبل وزارة العدل .

علق المحامى فى جفاء : " ما من شك أن السيد أوسبورن سوف يجد التهم المنسوبة إليه متواضعة بشكل لافت " .

قال هابيل : " إذن هذه هى لعبته . سوف أتلقى أنا اللطمة بينما يفر هو . الآن لن نتوصل أبدا إلى الشخص اللعين الذى باع له أوسبورن الملف " .

قال جيلكز : " كلا ، فى هذا أنت مخطئ يا سيد روزنوفسكى . لقد كان هذا هو الشيء الوحيد الذى كان أوسبورن على استعداد لأن يفصح عنه . لقد أكد لى أن الشخص لم يكن ويليام كين وأنه لا يمكن أن يبيع الملف لكين تحت أى ظرف من الظروف . لقد دفع رجل من شيكاغو يدعى هارى سميث للسيد أوسبورن ثمن الملف نقدا ولكن الأمر المثير هو أن الاسم نفسه كان اسما مستعارا لأن هناك عشرات من الرجال فى شيكاغو الذين يحملون اسم هارى سميث بينما لا تنطبق أوصاف أى منهم على الرجل الذى اشترى الملف " .



قال هابيل : " اعثر على الرجل . واعثر عليه قبل بدء المحاكمة " .

قال جيلكز : " نحن نتحرك بالفعل فى هذا الاتجاه . إن كان الرجل مازال موجودا فى شيكاغو فسوف نعثر عليه فى غضون أسبوع . وقد أضاف أوسبورن أن هذا الرجل المدعو سميث أكد له أنه يريد الملف لأسباب شخصية فقط أى أنه لم تكن لديه أية نية للكشف عن محتواه للسلطات " .

سأل هابيل : " إذن لِمَ كان سميث يريد الملف فى المقام الأول ؟ "

" كان الهدف هو الابتزاز . ولهذا حرص هنرى أوسبورن على الاختفاء لكى يتحاشى مواجهتك . إن فكرت فى هذا مليا يا سيد روزنوفسكى فسوف يتبين لك أن أوسبورن رغم كل شيء يقول الحقيقة ، لأن التهم التى يحتوى عليها الملف تدينه إلى أقصى حد . أى أنه لابد أن يكون قد انزعج بقدر انزعاجك عندما سمع أن الملف وصل إلى أيدى وزارة العدل . لهذا قرر أن يختبئ ووافق أن يعقد صفقة مع الولاية عندما تم القبض عليه " .

قال هابيل : " هل تعرف أن السبب الوحيد الذى جعلنى أستخدم الرجل هو أنه كان يكره ويليام كين بقدر ما كنت أكرهه والآن نال منا ويليام نحن الاثنين ؟ "

قال جيلكز : " ليس هناك دليل على تورط السيد كين " .

" لست بحاجة إلى دليل " .

تأخرت المحاكمة بناء على رغبة الحكومة التى زعمت أنها بحاجة لمزيد من الوقت لاستجواب هنرى أوسبورن قبل طرح القضية . كان أوسبورن هو الشاهد الأساسى فى الادعاء . اعترض جيلكز بشدة على المحكمة دافعا بأن صحة موكله الذى لم يعد شابا

صغيرا أصبحت تتداعى تحت وطأة الادعاءات الكاذبة التى كان يواجهها . ولكن طلب جيلكز قوبل بالرفض من قبل القاضى برسكوت ، الذى وافق على طلب الحكومة وأرجأ المحاكمة لأربعة أسابيع أخرى .

مر الشهر بطيئا على هابيل ، وقبل يومين من بدء المحاكمة ؛ بدأ هابيل يوطن نفسه على احتمال ثبوت التهمة عليه ومواجهة حكم بالسجن لفترة طويلة . ثم عثر محقق جيلكز فى شيكاغو على الرجل الذى يدعى هارى سميث والذى وجد أنه محقق محلى خاص استخدم اسما مستعارا تحت تعليمات صارمة من قبل الجهة التى استخدمته وكانت إحدى الشركات القانونية فى نيويورك . وقد تكبد جيلكز ألف دولار وأربعاً وعشرين ساعة إضافية قبل أن يكشف له هارى سميث عن اسم المكتب المتورط فى الأمر وهو مكتب كوهين ، كوهين ويابلون .

قال هابيل فى الحال فور إخباره : " إنه محامى كين "

سأله جيلكز : " هل أنت واثق من ذلك ؟ لقد شعرت من خلال كل المعلومات التى أخبرتنى بها عن السيد كين أنه آخر شخص يمكن أن يلجأ للتعامل مع شركة يهودية " .

"منذ زمن طويل؛ عندما اشتريت الفنادق من بنك كين ، كانت هناك بعض الأوراق التى تم تخليصها من قبل رجل يدعى توماس كوهين . لسبب ما ، استخدم البنك اثنين من المحامين لعقد الصفقة " .

سأل جورج هابيل : " ما الذى تريدنى أن أفعله فى ذلك ؟"

قال ترافورد جيلكز : " لاشىء ، يجب ألا نثير المزيد من المشاكل قبل المحاكمة . هل تفهمنى جيدا يا سيد روزنوفسكى ؟"



قال هابيل : " نعم سوف أتعامل مع كين فور انتهاء المحاكمة . والآن يا سيد جيلكز ، أنصت إلى جيدا . يجب أن ترجع ثانية إلى أوسبورن فى الحال وتخبره بأن الملف قد بيع بواسطة هارى سميث إلى ويليام كين وأن كين استخدم الملف لكى ينتقم منا ويقضى علينا نحن الاثنين . وأنا أقسم لك أن أوسبورن عندما يسمع بهذا لن يفتح فمه فوق كرسى الشهادة بغض النظر عن كل ما تعهد به واتفق عليه مع وزارة العدل . هنرى أوسبورن هو الشخص الوحيد على ظهر الأرض الذى يكره ويليام كين أكثر مما أكرهه أنا " .

قال جيلكز الذى بدت عليه علامات عدم الاقتناع الكامل بما يقوله هابيل: " أمرك ، ولكننى يجب أن أحذرك يا سيد روزنوفسكى أنه مازال يلقى اللوم عليك كلية وأنه إلى الآن لم يكن سوى عقبة فى طريق إثبات براءتك " .

" يمكننى أن أضمن ذلك يا سيد جيلكز . سوف تتغير طريقة تصرفه فور سماعه اسم كين " .

حصل السيد جيلكز على تصريح لزيارة أوسبورن على مدى عشر دقائق مساء نفس اليوم فى زنزانته . استمع إليه أوسبورن دون أن ينطق بكلمة . كان جيلكز واثقا من أن الأنباء الجديدة لم تترك أى انطباع لدى الشاهد الأساسى للحكومة لذا قرر أن ينتظر حتى صباح اليوم التالى قبل أن يخبر السيد روزنوفسكى بما حدث . لقد فضل أن يحصل موكله على قسط وافر من الراحة قبل أن يواجه المحاكمة فى صباح اليوم التالى .

قبل أربع ساعات من بدء المحاكمة ، وجد الحارس الذى كان يحمل لأوسبورن الإفطار ، الرجل مشنوقا داخل زنزانته .

كان قد استخدم رابطة عنق هارفارد .

بدأت المحاكمة بعد أن فقدت الحكومة شاهدها الأساسى ، لذا طالبت الحكومة بتأجيل المحاكمة ثانية . وبعد سماع دفاع مستميت من قبل اتش ترافورد جيلكز لمراعاة الحالة الصحية لموكله ، رفض القاضى برسكوت الطلب ثانية . كان الجمهور يتابع كل تفاصيل محاكمة بارون شيكاغو على شاشات التلفاز ومن خلال الصحف . ولكن ما أثار دهشة هابيل هو تواجد زافيا ضمن جمهور الحاضرين فى المحاكمة وقد بدت عليها علامات الاستمتاع بكل لحظة ضيق يمر بها . بعد تسعة أيام من المحاكمة ، أدرك الادعاء أن قضيته لم تكن محكمة وعرض عقد صفقة مع اتش ترافورد جيلكز . أثناء رفع الجلسة ، عرض جيلكز على هابيل الصفقة المقترحة .

" سوف يسقطون عنك كل التهم الأساسية الخاصة بالرشوة إن اعترفت بتورطك فى بعض القضايا الفرعية الخاصة بسعيك للتأثير بشكل غير لائق على بعض المسئولين الحكوميين " .

" وكيف تقيم فرص نجاحى إن رفضت الصفقة ؟ "

قال جيلكز : " خمسون بالمائة " .

" وإن لم أفلت ؟ "

" القاضى برسكوت رجل صعب المراس . وقد يتراوح حكمه ما بين يوم وست سنوات " .

" وإن وافقت على عقد الصفقة واعترفت ببعض التهم الصغيرة فما الذى سيحدث ؟ "

قال جيلكز : " سوف تخرج بأقل الخسائر . سوف أندهش إن وصل الأمر لأكثر من ذلك " .



جلس هابيل وأخذ يفكر فى البدائل المطروحة للحظات .

"سوف أقبل الصفقة ، دعنا ننهى هذا الأمر " .

أخبر محامو الحكومة القاضى بأنهم سوف يسقطون خمس عشرة تهمة من التهم المنسوبة إلى هابيل روزنوفسكى . نهض اتش ترافورد جيلكز من مقعده وأخبر المحكمة أن موكله يريد أن يغير الدعوة القضائية إلى "مذنب " فى تهمتين من التهم البسيطة . تم صرف المحلفين وأغلظ القاضى برسكوت القول لهابيل وشن عليه هجوما عنيفا مذكرا إياه بأن حقه فى إنجاز أعماله لا يشمل حقه فى رشوة وإفساد الموظفين الحكوميين . إن الرشوة جريمة وهى جريمة أكثر سوءا عندما تصدر من شخص ذكى وكفء ليس بحاجة أن يتدنى لمثل هذا المستوى من التعامل . وأضاف : " فى الدول الأخرى قد تبدو الرشوة مقبولة وإحدى الوسائل العادية المستخدمة فى الحياة اليومية ولكن الأمر ليس كذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية " فى إشارة منه لكى يشعر هابيل بأنه مهاجر لا يعتد به . أصدر القاضى برسكوت حكمه بحبس هابيل ستة أشهر مع وقف التنفيذ ودفع ٢٥ ألف دولار أتعابًا للقضية .

صحب جورج هابيل إلى فندق البارون وجلسا فى الاستراحة يتناولان الطعام لأكثر من ساعة قبل أن يتحدث هابيل .

"جورج أريدك أن تتصل ببيتر بارفيت وأن تدفع له مليون دولار التى طلبها من قبل مقابل شراء حصته فى بنك ليستر لأننى بمجرد أن أضع يدى على الثمانية بالمائة سوف أفعل المادة السابعة وأقضى على ويليام كين داخل مجلس إدارته " .

أومأ جورج بالموافقة فى حزن بعد أن أدرك أن المعركة لم تنته بعد .

بعد مرور بضعة أيام قليلة أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن بولندا قد حصلت على أفضل عقود التجارة الخارجية مع الولايات المتحدة الأمريكية وأن سفير الولايات المتحدة القادم فى وارسو هو جون مورز كابوت .

# الفصل الأربعون

فى إحدى ليالى شهر فبراير الجميلة ؛ جلس ويليام كين وأخذ يعيد قراءة تقارير ثاديوس كوهين . كان هنرى أوسبورن قد قدم كل المعلومات التى كان يحتاج إليها للإجهاز على هابيل روزنوفسكى وقبض ٢٥ ألف دولار فى المقابل ثم اختفى . هذه هى بعينها الطريقة التى يتصرف بها الرجل ؛ هكذا فكر ويليام وهو يعيد النسخة المصورة فى الملف داخل خزانته . كانت النسخة الأصلية قد أرسلت إلى وزارة العدل فى واشنطن ؛ قبل بضعة أيام من قبل ثاديوس كوهين .

عندما عاد هابيل روزنوفسكى من تركيا وتم اعتقاله ؛ بقى ويليام فى انتظار انتقامه وفكر أنه سوف يسعى لإغراق أسهم إنتر ستيت فى سوق المال فى الحال . ولكن ويليام كان مستعدا ومتأهبا فى هذه المرة . كان قد حذر مضاربة بالفعل من أن إنتر ستيت قد تطرح فى سوق المال بكميّات كبيرة . وكانت تعليماته واضحة فى هذا

الصدد ، كان قد أمره بشرائها فى الحال بحيث لا يهبط السعر . وكان على استعداد ثانية لأن يستخدم ماله الخاص كإجراء وقائى قصير المدى لكى يتجنب أية مضايقات من قبل البنك . كما عمد ويليام أيضا إلى تمرير مذكرة إلى كل حاملى أسهم ليستر مطالبا إياهم بعدم بيع أية أسهم خاصة بإنتر ستيت بدون الرجوع إليه أولا .

وبمرور الأسابيع ، لم تصدر أية إشارة تحرك من قبل هابيل روزنوفسكى حتى بدأ ويليام يظن أن ثاديوس كوهين كان محقا فى افتراضه بأن هابيل لم ينجح فى التوصل لتورط ويليام فى القضيه التى أطاحت به وبأنه بكل تأكيد يلقى كل اللوم على هنرى أوسبورن .

لقد كان ثاديوس كوهين واثقا من أن شهادة أوسبورن يمكن أن تضع هابيل روزنوفسكى خلف القضبان لفترة طويلة جدا مما يحول دون إمكانية من جانبة لاستخدام المادة السابعة من قانون البنك أو تمثيل أى تهديد للبنك أو ويليام كين . كان ويليام يأمل أيضا أن يعيد الحكم ريتشارد إلى صوابه ويجعله يعود إلى البيت . إن تكشفت له مثل هذه الأمور الخاصة بالعائلة فسوف يلفظ فتاة روزنوفسكى عندما يعلم أن والدها لم يكن رجلا نزيها .

كان ويليام سيرحب بعودة ريتشارد . لقد أصبحت هناك فجوة فى مجلس إدارة بنك ليستر بعد تقاعد تونى سيمونس والموت المفاجئ لتيد ليتش ، كان ريتشارد يجب أن يعود إلى نيويورك قبل عيد ميلاد ويليام الخامس والستين والذى كان سيحل بعد عشر سنوات وإلا فقد تكون هذه هى المرة الأولى على مدى أكثر من قرن من الزمان التى لن يجلس فيها أى شخص من أفراد عائلة كين داخل مجلس الإدارة . كانت تقارير كوهين تشير إلى أن ريتشارد كان قد عقد عددا من الصفقات الرابحة الرائعة لصالح فلورنتينا ولكن



فرصة حصول ريتشارد على رئاسة البنك سوف تعنى له بكل تأكيد أكثر مما يعنيه العمل مع فتاة روزنوفسكى .

كان هناك سبب آخر يثير ضيق ويليام وهو أنه لم يعد يثق فى الجيل الجديد من المديرين فى البنك .كان جاك توماس - نائب الرئيس الجديد - هو الفتى المفضل لتولى رئاسة البنك بعد ويليام . قد يكون بالفعل قد استكمل تعليمه فى برستون وتخرج من بيتا كابا ولكنه كان متهوراً ، مصطنعا للغاية ، فكر ويليام ، كما أن طموحه كان جامحا ، لم يكن على الإطلاق الرجل المناسب لرئاسة بنك ليستر . كان على ويليام أن يظل محتفظا بكرسيه حتى الخامسة والستين محاولا خلالها إقناع ريتشارد بأن ينضم إلى البنك قبل أن يتم الخامسة والستين بوقت كاف . كان ويليام يدرك تماما أن كات على استعداد لأن تستعيد ريتشارد بأى ثمن ولكن بمرور السنين وجد ويليام صعوبة فى التخلى عن عناده . ومما هون عليهما الأمر أن زواج فيرجينيا كان يسير على ما يرام وكانت قد أصبحت حاملا . إذا رفض ريتشارد العودة إلى المنزل والتخلى عن فتاة روزنوفسكى ، يمكنه أن يترك إذن كل شىء لفيرجينيا ، إن أنجبت حفيدا ذكرا .

كان ويليام فى مكتبه فى البنك عندما داهمته أول أزمة قلبية . لم تكن أزمة خطيرة . أخبره الأطباء وقتها أنه يجب أن يستريح قليلا ولكنه سوف يحيا لما لا يقل عن عشرين عاما أخرى . وقد أخبر ويليام طبيبه الشاب النابغ - كم كان يفتقد أندور مكنزى ! - أنه كان يريد أن يبقى على قيد الحياة لعشر سنوات أخرى فقط لكى يشهد نهاية خدمته فى البنك .

على مدى الأسابيع القليلة التى قضاها فى فترة نقاهة فى المنزل ، سمح ويليام فى شىء من التردد والتوجس لجاك توماس أن

يتولى مسئولية اتخاذ القرارات فى البنك ولكن ما إن عاد ويليام إلى البنك بادر باستعادة وضعه كاملا كرئيس للبنك خشية أن يكون توماس قد أفرط فى استغلال السلطة أثناء فترة غيابه . من آن إلى آخر ، كانت كات تجد فى نفسها الشجاعة لكى تتوسل إلى ويليام بأن يدعها تحادث ريتشارد بشكل مباشر ولكنه بقى على عناده قائلا : " إن الفتى يعرف تماما أنه يمكن أن يعود إلى المنزل فى أى وقت شاء . وكل ما عليه فعله هو أن ينهى علاقته بتلك الفتاة الماكرة " .

فى اليوم الذى انتحر فيه هنرى أوسبورن ، أصيب ويليام بأزمة قلبية ثانية ولكنه لم يعلق على الألم . بقيت كات مستيقظة بجواره طوال الليل خشية أن يموت ولكن رغبته فى التعرف على مصير محاكمة هابيل روزنوفسكى أبقته على قيد الحياة . أخذ ويليام يراقب تطور القضية ومجرياتها بمنتهى الاهتمام لأنه كان يدرك أن وفاة أوسبورن سوف تقوى موقف روزنوفسكى إلى أقصى حد . عندما تم إطلاق سراح روزنوفسكى أخيرا بحكم بسيط اقتصر على ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ ودفع غرامة تقدر بـ ٢٥ ألف دولار ، لم تثر بساطة الحكم دهشة ويليام . لم يكن من الصعب تصور أن الحكومة قد وافقت على عقد صفقة مع محامى هابيل روزنوفسكى اللامع .

ولكن ويليام اندهش ـ مع ذلك ـ عندما شعر بالذنب بعض الشىء وبقدر من الارتياح لأن هابيل روزنوفسكى لم يواجه عقوبة السجن .

ما إن انتهت المحاكمة ، لم يعد ويليام يعبأ ما إن كان هابيل سوف يغرق أسهم إنتر ستيت أم لا فى سوق المال . كان مازال مستعدا لمواجهته . ولكن لم يحدث شىء ومضت الأسابيع حتى بدأ ويليام يفقد اهتمامه ببارون شيكاغو ولم يعد يشغل تفكيره سوى ريتشارد الذى كان يريد الآن أن يراه بشدة . " التقدم فى السن





والخوف من الموت يحدث تغيرا مفاجئا فى القلب " ، لقد قرأ هذه العبارة ذات مرة . وفى صباح أحد أيام شهر سبتمبر ، صرح لكات برغبته . لم تسأله عن سبب تغيير رأيه ، كان يكفيها أن تعرف أن ويليام كان يريد أن يرى ابنه الوحيد .

قالت لزوجها : " سوف أتصل بريتشارد فى الحال وأدعوه هو وزوجته " وكان عدم اعتراضه على ذكر عبارة هو وزوجته بمثابة مفاجأة سعيدة بالنسبة لها .

قال ويليام فى هدوء : " لا بأس . أرجوك أبلغى ريتشارد أننى أريد أن أراه ثانية قبل أن أموت " .

"لا تكن سخيفا يا عزيزى لقد قال لك الطبيب أن تهدأ قليلا وسوف تحيا لعشرين عاماً أخرى " .

" أنا فقط أريد أن أستكمل فترة خدمتى فى البنك كرئيس وأرى ريتشارد فى مكانى . سوف يكفينى هذا . لماذا لا تسافرين إلى الساحل ثانية وتعلمين ريتشارد برغبتى يا كات ؟"

سألته كات فى اضطراب : " ما الذى تعنيه بكلمة ثانية ؟ "

ابتسم ويليام : " أعلم أنك قد ذهبت إلى سان فرانسيسكو عدة مرات بالفعل يا عزيزتى . كلما كنت أسافر فى رحلة عمل على مدى السنوات القليلة الماضية ، كنت تنتهزين الفرصة لزيارة والدتك . ولكنها عندما توفيت فى العام الماضى ، أصبحت أعذارك مفضوحة للغاية . لقد تزوجنا منذ سبعة وعشرين عاما وأنا أعلم الآن تماما كل عاداتك . مازلت محتفظة بنفس الجمال الذى عرفته فيك يا عزيزتى ولكننى لا أظن أن يكون لك عشيق وأنت فى الرابعة والخمسين . لذا لم يكن من الصعب علىَّ أن أدرك أنك كنت تزورين ريتشارد " .

قالت كات : " أجل كنت أزوره لِمَ لم تذكر هذا الأمر من قبل طالما كنت تعرفه ؟"

قال ويليام : " لأننى فى صميم قلبى كنت سعيدا بذلك . كنت أكره فكرة أن يكون قد فقد اتصاله بكلينا. كيف حاله ؟"

" كلاهما على ما يرام ولقد أصبح لديك حفيدة الآن فضلا عن الحفيد " .

كرر ويليام : " حفيدة وحفيد ؟ "

قالت كات : " أجل ، اسمها أنابيل " .

سأل ويليام لأول مرة : " واسم حفيدى ؟ "

عندما أخبرته كات بالاسم ، كان عليه أن يبتسم .

لقد كانت نصف كذبة .

قال ويليام : " جيد . هلا سافرت إلى سان فرانسيسكو لتعدى الأمر . أخبريه أننى أحبه " . كان قد سمع ذات مرة رجلا كبيرا آخر وهو يقول هذه العبارة ؛ رجل كان على وشك أن يفقد ابنه .

شعرت كات فى هذه الليلة بسعادة لم تشعر بها منذ سنوات . اتصلت بريتشارد لكى تخبره بأنها سوف تحضر لزيارته فى الأسبوع التالى حاملة أنباء سعيدة معها .

عندما عادت كات إلى نيويورك بعد ثلاثة أسابيع ؛ سعد ويليام عندما أخبرته بأن ريتشارد وفلورنتينا سوف يأتيان لزيارته فى مقتبل العام التالى والتى كانت أول فرصة متاحة لهما لمغادرة سان فرانسيسكو معاً . كانت تحمل معها الكثير من القصص والأنباء وأخذت تقص عليه مدى ما أحرزاه من نجاح وكيف أن حفيد ويليام كان نسخة من جده وكيف أن ريتشارد وفلورنتينا كانا يتطلعان للعودة إلى نيويورك للزيارة .



استمع ويليام بإمعان لكل ما حكته ووجد نفسه هو الآخر سعيدا وراضيا عن نفسه . كان قد أعجب بكل ما سمعه بشأن فلورنتينا وبدأ يخشى من أن ريتشارد إن لم يعد مبكرا فإنه لن يعود أبدا ؛ وهذا يعنى أن تؤول رئاسة البنك إلى جاك توماس . لم يكترث ويليام بالتفكير فى ذلك .

عاد ويليام إلى عمله فى الاثنين التالى بمعنويات مرتفعة بعد فترة غياب طويلة ، وبعد أن تعافى جيدا من النوبة القلبية الثانية انتابه شعور بأنه قد أصبح لديه الآن هدف يستحق أن يعيش من أجله .

قال الطبيب الشاب النابه : " يجب أن تكون أكثر هدوءا وحرصا " ولكن ويليام كان مصمما على استعادة وضعه وهيبته كاملة كرئيس للبنك حتى يمهد الطريق لابنه الوحيد . فور وصوله البنك حياه البواب الذى أخبره بأن السيد جاك توماس كان يبحث عنه وكان قد اتصل به فى البيت فى وقت سابق . شكر ويليام موظفه القديم ، كان هذا الموظف هو الشخص الوحيد الذى خدم ليستر لسنوات تفوق سنوات خدمة رئيس البنك نفسه .

سأل : " هل هناك أمر ما لا يمكن إرجاؤه ؟ "

" كلا يا سيدى " .

سار ويليام ببطء نحو مكتب رئيس البنك . عندما فتح الباب وجد ثلاثة من المديرين مجتمعين بالفعل ووجد جاك توماس جالسا متخذا وضعه تماما فى مقعده .

قال ويليام ضاحكا : " هل كان غيابى طويلا إلى هذه الحد ؟ ألم أعد رئيسا لمجلس الإدارة ؟ "

قال جاك توماس وهو ينهض سريعا من فوق مقعد الرئيس : " بالطبع أنت كذلك . مرحبا بك ثانية يا ويليام " .

وجد ويليام صعوبة فى استساغة استخدام جاك توماس لاسمه الأول . إن هذا الجيل متبسط لدرجة كبيرة . لم يكن أى منهما يعرف الآخر إلا منذ سنوات قليلة فقط ولم يكن أى منهم قد تخطى الأربعين بيوم واحد .

سأل ويليام : " ما الخطب ؟ "

" هابيل روزنوفسكى " قالها جاك توماس بدون إبداء أى تعبير .

شعر ويليام بغصة فى معدته وجلس فوق أقرب مقعد جلدى .

سأل ويليام فى إنهاك : " ما الذى يريد هذه المرة ؟ ألا يمكنه أن يدعنى أستكمل ما بقى لى من أيام فى هدوء وسلام ؟"

سار جاك توماس نحو ويليام :

" لقد عزم على تفعيل المادة السابعة وقد قرر أن يعقد اجتماعا ينيب فيه شخصا عنه هدفه الوحيد إقالتك من منصبك " .

" لا يمكنه أن يفعل ذلك . لأنه لا يملك الثمانية بالمائة اللازمة . وقد نص قانون البنك بوضوح على أن مدير البنك يجب أن يخطر مباشرة فى الحال إن حصل أى شخص خارجى على ثمانية بالمائة من الأسهم " .

" إنه يقول إنه سوف يحصل على الثمانية بالمائة غدا صباحا " .

قال ويليام : " كلا ، كلا لقد راقبت هذا الأمر بمنتهى العناية ، ليس هناك شخص يمكن أن يبيع أسهمه لروزنوفسكى . ليس هناك أى شخص يمكن أن يفعل ذلك " .

قال جاك توماس : " بيتر بارفيت "

قال ويليام وهو يبتسم فى زهو : " كلا . لقد اشتريت أسهمه منذ عام من خلال طرف ثالث " .



ارتسمت علامات الصدمة على جاك توماس وبقى الجميع صامتين لعدة دقائق .

أدرك ويليام للمرة الأولى فى حياته كم كان توماس يريد أن يكون الرئيس التالى لليستر .

قال جاك توماس : " حسنا . إنه يزعم بأنه سوف يحصل على الثمانية بالمائة بحلول الغد مما سوف يمنحه حق انتخاب ثلاثة مديرين فى مجلس الإدارة ومنع تفعيل أى قرار مصيرى خاص بسياسة البنك لمدة ثلاثة أشهر . إنها الشروط التى أدخلتها أنت فى قانون البنك لكى تحافظ على وضعك بداخله على المدى الطويل . كما أنه قد عقد العزم أيضا على إعلان قراره من خلال الإعلانات فى كل أنحاء البلاد . إنه يهدد ـ على سبيل الاحتياط ـ بأنه سوف يقوم بانقلاب فى ليستر معتمدا على قوة البارون إن لاقى أى اعتراض من جانبنا . وقد أوضح لنا أن هناك وسيلة واحدة فقط سوف تجعله يتخلى عن كل هذه الخطط تماما " .

قال ويليام : " وما هى هذه الوسيلة ؟ "

أجاب جاك توماس : " أن تقدم أنت استقالتك كرئيس للبنك " .

قال ويليام فى صوت يشبه الصياح : " ولكن هذا ابتزاز " .

" ربما ، ولكنك إن لم تقدم استقالتك قبل ظهيرة الاثنين القادم فسوف يصدر هذا الإعلان لكل حاملى الأسهم . لقد حجز بالفعل مساحة فى أربعين جريدة ومجلة " .

قال ويليام : " لقد جن الرجل " . ثم أخرج منديله من جيب سترته ومسح جبينه .

قال جاك توماس : " ولكن هذا ليس كل شىء . لقد طالب أيضا ألا يحل أى شخص من عائلة كين محلك فى مجلس الإدارة

على مدى السنوات العشر التالية وأن استقالتك لا يجب أن تكون مسببة أى لا يجب أن تكون بسبب حالتك المرضية أو أى سبب آخر يبرر رحيلك المفاجئ " .

لقد كان يحمل ملفا كبيرا يحمل عنوان : " مجموعة البارون " .

كرر ويليام وهو يقرأ الخطاب : " مجنون " .

قال جاك توماس : " ومع ذلك فقد دعوت لعقد اجتماع للمجلس غدا فى العاشرة صباحا ، أعتقد أنك يجب أن تدرس مطالبه تفصيليا يا ويليام " .

ترك المديرون الثلاثة ويليام وحيدا فى مكتبه ولم يزره أحد طوال اليوم . جلس فى مكتبه محاولا أن يتصل بأى مدير من المديرين الآخرين ولكنه لم ينجح إلا فى التحدث مع واحد أو اثنين منهم ولم يشعر أنه واثق من أنهم سوف يمنحوه المساندة . فأدرك أن الاجتماع لن يكون معروف العواقب ولكن طالما لم يكن هناك شخص آخر يحمل الثمانية أسهم ، فهذا يعنى أنه فى مأمن . وبدأ يعد - بناء على ذلك - استراتيجيته لكى يستعيد زمام سيطرته على مجلس الإدارة . راجع قائمة حاملى الأسهم ؛ على حد علمه لم يكن أى منهم على استعداد لأن يبيع أسهمه . ضحك فى نفسه . لقد فشل هابيل روزنوفسكى فى إحداث الانقلاب ثم عاد إلى بيته فى وقت مبكر من مساء ذلك اليوم وحبس نفسه فى مكتبه لكى يفكر فى كل وسائل القضاء على هابيل روزنوفسكى نهائيا . لم يذهب إلى فراشه قبل الثالثة صباحا ولكنه كان قد قرر ما ينبغى عليه عمله . يجب أن أزيح جاك توماس من مجلس الإدارة بحيث يحل ريتشارد محله .



وصل ويليام إلى اجتماع مجلس الإدارة فى وقت مبكر فى صباح اليوم التالى وجلس فى مكتبه يراجع كل ملاحظاته واثقا من نصره . شعر أن خطته كانت محكمة وبأنه قد وضع كل شىء فى الحسبان . وفى العاشرة إلا خمس دقائق ، أبلغته السكرتيرة بأن هناك شخصًا يدعى "هابيل روزنوفسكى يريد أن يحادثه على الهاتف " .

قال ويليام : " ماذا ؟ "

" السيد روزنوفسكى " .

كرر ويليام الاسم فى عدم تصديق : " أوصلينى بالسيد روزنوفسكى " .

" أمرك يا سيدى " .

" السيد كين ؟ " تلك النبرة المتعالية التى لا يمكن أن ينساها ويليام .

قال ويليام مجهداً : " نعم ، ما الذى تسعى وراءه هذه المرة ؟ "

" باسم قوانين البنك ، يجب أن أخطرك أننى أصبحت الآن أمتلك ثمانية بالمائة من أسهم ليستر وبأننى عازم على تفعيل المادة السابعة ما لم يتم تنفيذ كل مطالبى فى موعد أقصاه ظهر غد الاثنين " .

تمتم ويليام قائلا : " من أين حصلت على الاثنين بالمائة المتبقية ؟"

وضع هابيل السماعة . فأسرع ويليام بمراجعة قائمة أسماء حاملى الأسهم محاولا العثور على الشخص الذى أقدم على خيانته . كان ويليام مازال يرجف عندما دق جرس الهاتف ثانية .

" اجتماع مجلس الإدارة على وشك البدء يا سيدى " .

مع دقات العاشرة دخل ويليام قاعة الاجتماعات . نظر حول المائدة وأدرك فجأة كم كان لا يعرف إلا عددا محدودا من المديرين الجدد . فى المرة الأخيرة التى كان عليه أن يواجه صراعا داخل هذه الغرفة ، لم يكن يعرف أياً من المديرين ومع ذلك فقد كسب معركته .ابتسم لنفسه وهو مازال واثقا بدرجة معقولة من أنه قادر على إلحاق الهزيمة بهابيل روزنوفسكى . نهض ويليام وبدأ يخاطب مجلس الإدارة :

"أيها السادة ، لقد دعونا لعقد هذا الاجتماع لأننا تلقينا إخطارا من السيد هابيل روزنوفسكى صاحب مجموعة البارون - وهو مجرم أدانه القانون ولكنه يملك جرأة تهديدى بشكل مباشر - بأنه سوف يستخدم الثمانية بالمائة التى يملكها فى بنكى لكى يحرجنا وبأننا إن لم نستجب لمطالبه فسوف يسعى لإحداث انقلاب من خلال إجراء انتخابات جديدة ما لم أقدم استقالتنى من رئاسة وإدارة البنك بدون أى تبرير . أنتم جميعا تعرفون أنه لم يبق لى سوى تسع سنوات فى خدمة البنك لحين وقت التقاعد وهذا يعنى أننى إن غادرت البنك قبل هذا التاريخ فإنه سوف يساء تفسير استقالتى فى عالم المال " .

نظر ويليام إلى الملاحظات التى دونها أمامه بعد أن قرر أن يخوض معركته بضراوة .

" أنا على استعداد ، أيها السادة ، أن أضع كل أسهمى وعشرة ملايين دولار إضافية من مالى الخاص تحت تصرف البنك للتصدى لأى عمل يقدم عليه السيد روزنوفسكى مع الحفاظ على وضع ليستر المالى بتعويض أى خسارة من مالى الخاص . أتمنى - أيها السادة - فى ظل هذه الظروف أن أحظى بكامل مساندتكم ضد هابيل



روزنوفسكى . أنا واثق من أنكم لستم رجالا يمكن أن يذعنوا لهذا الابتزاز الرخيص " .

ساد الصمت فى القاعة . شعر ويليام أنه قد حقق نصرا مؤكدا . ولكن إذا بجاك توماس يسأله إن كان يمكن أن يستجوبه المجلس بشأن علاقته بهابيل روزنوفسكى . فاجأ الطلب ويليام ولكنه وافق بدون تردد . لم يكن جاك توماس يخيفه .

قال جاك توماس : " هذا الصراع الدائر بينك وبين هابيل روزنوفسكى استمر لأكثر من ثلاثين عاما . هل تعتقد أننا إن وافقنا على خطتك هذه فسوف يضع هذا حدا للصراع بينكما ؟ "

تمتم ويليام قائلا وهو يجول بعينيه فى كل ارجاء الغرفة بحثا عن المساندة : " ما الذى يمكن أن يفعله الرجل أكثر من ذلك ؟ ما الذى يمكن أن يفعله أكثر من ذلك ؟"

قال سكرتير الشركة الجديد الذى لم يكن يروق لويليام : " لا يمكن أن نتكهن بذلك ولكنه بعد امتلاك الثمانية بالمائة يملك سلطات تضاهى كل سلطاتك . كما أننا جميعا نعرف أنكما مصران على عدم الاستسلام والانخراط فى هذا الصراع حتى النهاية . بالرغم من أنك قد قدمت عشرة ملايين دولار لكى تحمى وضعك المالى ؛ إن دأب روزنوفسكى على التدخل وعرقلة القرارات الخاصة بسياسات البنك وعقد الاجتماعات وتنظيم عطاءات بدون الالتفات إلى مصلحة البنك ، فإن هذا سوف يثير ذعرا . سوف يعرض هذا البنك والشركات التابعة له - التى يجب أن نؤدى واجبنا نحوها بصفتنا مديرين داخل البنك - على أفضل الاحتمالات لحرج بالغ ، أما على أسوأ الظروف فيمكن أن يؤدى فى النهاية إلى الانهيار " .

قال ويليام : " كلا ، كلا . بوجود مساندتى الشخصية يمكن أن نواجه كل هذه الأمور ونتصدى لها " .

واصل سكرتير الشركة حديثه : " إن القرار الذى يجب أن نتخذه اليوم هو هل نحن على استعداد لمواجهة السيد روزنوفسكى والتصدى له ؛ بالرغم من أن هذا يمكن أن يكبدنا خسائر على المدى الطويل " .

قال ويليام : " ليس إن تعهدت بتوفير التغطية المالية اللازمة من مالى الخاص " .

قال جاك توماس : " يمكنك أن تفعل ذلك ولكننا لسنا بصدد مناقشة الأمور المالية وحدها هنا ؛ هناك مشاكل كبيرة أخرى سوف يفرض على البنك مواجهتها . الآن بعد أن أصبح روزنوفسكى قادرا على تفعيل المادة السابعة ؛ يمكنه أن يعبث معنا كما يحلو له . أى أن البنك يمكن أن يقضى كل وقته بعد ذلك فقط فى التصدى لألاعيب هابيل روزنوفسكى ومراقبة تحركاته " .

صمت جاك توماس لكى يحدث كلامه التأثير المطلوب على المجلس . بينما بقى ويليام صامتا . ثم نظر توماس إلى ويليام واستطرد حديثه قائلا : " الآن يجب أن أطرح عليك سؤالا شخصيا للغاية يا سيدى الرئيس يثير قلق كل من فى هذه القاعة وأتمنى أن تكون صريحا فى إجابتك مهما كانت مثيرة لضيقك " .

رفع ويليام رأسه وهو يسأل نفسه عما يمكن أن يكون السؤال . ما الذى كان يتحدثون فيه من ورائه ؟ من بحق السماء يظن توماس جاك هذا نفسه ؟ شعر ويليام أنه يخسر المبادرة .

قال ويليام : " سوف أجيب عن أى سؤال يطرحه علىَّ المجلس . ليس هناك شيء أو شخص أخشاه " وكان أثناء ذلك ينظر بحدة إلى جاك توماس .

قال جاك توماس : " شكرا لك سيدى الرئيس ؛ هل كنت بشكل أو آخر متورطا فى الملف الذى أرسل إلى وزارة العدل فى



واشنطن والذى أدى إلى اعتقال هابيل روزنوفسكى واتهامه بالاحتيال فى الوقت الذى كنت تعرف فيه أنه أحد حاملى الأسهم الأساسيين فى بنك ليستر ؟"

سأله ويليام : " هل قال لك هذا ؟ "

" نعم ؛ هو يزعم بأنك سبب اعتقاله الوحيد " .

بقى ويليام صامتا لبضع دقائق مفكرا فى الإجابة بينما نظر ثانية إلى الملاحظات المدونة أمامه . ولكنها لم تسعفه . لم يكن قد خطر ببال ويليام أن يطرح عليه مثل هذا السؤال ولكنه لم يسبق له أبدا أن كذب على المجلس على مدى ثلاثة وعشرين عاما ؛ ولن يقدم على ذلك الآن .

قال ويليام كاسرا حاجز الصمت : " أجل ؛ فعلت ، لقد وقعت المعلومات بين يدى ورأيت أن واجبى يحتم علىَّ أن أبعث بالملف إلى وزارة العدل " .

" وكيف وقعت المعلومات بين يديك ؟"

لم يجب ويليام .

قال جاك توماس : " أعتقد أننا جميعا نعرف الإجابة عن هذا السؤال يا سيدى الرئيس . كما أنك قد أخطرت السلطات بدون أن تخطر مجلس إدارة البنك بما أنت عازم عليه وبهذا عرضتنا جميعا للخطر . عرضت سمعتنا ومستقبلنا وكل شيء فى البنك للخطر من أجل صراعك الشخصى " .

قال ويليام وهو يعلم أنه كان يصيح : " ولكن روزنوفسكى كان يسعى لتدميرى " .

" لذا من أجل أن تدمره جازفت باستقرار البنك وسمعته " .

قال ويليام : " إنه بنكى "

قال جاك توماس : " كلا إنه ليس بنكك . أنت تملك فقط ثمانية بالمائة من الأسهم تماما مثل السيد روزنوفسكى وأنت الآن رئيس ومدير بنك ليستر ولكن البنك ليس ملكك لكى توظفه لخدمة مصالحك الشخصية بدون استشارة باقى المديرين " .

قال ويليام : " يجب أن أطالب بإجراء اقتراع ثقة من المجلس . أنا أطلب مساندتكم ضد هابيل روزنوفسكى " .

قال سكرتير البنك : " هذا ليس له علاقة باقتراع الثقة بل سيكون بشأن كونك مستحقا أو غير مستحق لإدارة البنك فى الظروف الراهنة . ألا تدرك ذلك يا سيادة الرئيس ؟"

قال ويليام هو يشيح بعينيه : " ليكن . هذا المجلس يجب أن يقرر ما إن كان يريد أن ينهى تاريخى العملى بامتهان الآن بعد ما يقرب من ربع قرن من خدمة البنك أو مواجهة تهديدات مجرم مدان " .

أومأ جاك توماس إلى سكرتير البنك فوزع بطاقات الاقتراع على كل عضو من أعضاء المجلس . شعر ويليام أن الأمر كله كان مدبرا مسبقا قبل الاجتماع . ألقى نظرة على التسعة والعشرين رجلا الملتفين حول مائدة الاجتماعات . كان قد اختار العديد منهم بنفسه . كان قد سمع ذات مرة أن هناك مجموعة صغيرة من المديرين تساند الحزب الديمقراطى وجون كيندى . بعضهم لن يدع روزنوفسكى ينال منه . ولكن ليس الآن . وقال فى نفسه : " أرجوكم دعونى أستكمل فترة عملى كرئيس للبنك ؛ ثم سوف أنصرف بعدها فى هدوء دون أن أحدث جلبة ولكن ليس بهذه الطريقة " .

أخذ ويليام يتأمل أعضاء مجلس الإدارة وهم يعيدون بطاقات الاقتراع إلى السكرتير . كان يفتحها ببطء . كان الصمت يسود الغرفة وكل العيون مركزة على السكرتير وهو يفتح البطاقات الأخيرة



المتبقية ؛ مع تدوين كلمتى " نعم " و " لا " بمنتهى الدقة على قطعة من الورق كانت موضوعة أمامه والتى كانت مقسمة إلى عمودين . لاحظ ويليام أنه كانت هناك قائمة أطول من الأخرى بشكل لافت ولكنه لم يتبين أيهما . لم يكن يتصور يوما أن يحدث داخل قاعة مجلس إدارته تصويت بينه وبين هابيل روزنوفسكى .

كان السكرتير يقول شيئا . لم يصدق ويليام أذنيه . بسبعة عشر صوتا مقابل اثنى عشر صوتا ؛ فقد ويليام ثقة المجلس . استطاع ويليام بالكاد أن ينهض من مقعده . كان هابيل روزنوفسكى قد هزمه فى معركتهما الأخيرة . لم يسمع صوت أحد منذ أن غادر ويليام قاعة الاجتماعات . عاد إلى مكتب رئيس البنك والتقط معطفه وتوقف فقط لكى يلقى نظرة أخيرة على صورة تشارلز ليستر ثم سار ببطء بطول الرواق الطويل ومنه إلى الباب الأمامى .

قال البواب : " تسرنا عودتك ثانية يا سيدى الرئيس . أراك غدا يا سيدى " .

أدرك ويليام أنه لن يرى الرجل ثانية .فاستدار وصافح الرجل الذى أرشده إلى مكان قاعة الاجتماعات منذ ثلاثة وعشرين عاما مضت .

قال الرجل الذى داهمته المفاجأة : " تصبح على خير يا سيدى " بينما وقف يراقب ويليام وهو يركب فى المقعد الخلفى من السيارة لآخر مرة .

قاد السائق السيارة عائدا إلى المنزل وعندما وصل إلى شارع إيست سيكستى إيتث ؛ انهار ويليام عند عتبة الباب الأمامى . فقام السائق وكات بإدخاله إلى المنزل . تبينت كات أنه كان يبكى فلفته بذراعيها

" ما الخطب يا ويليام ؟ ما الذى حدث ؟"

قال وهو ينتحب : " لقد طردونى من بنكى . مجلس إدارتى لم يعد يثق بى . عندما بدا الأمر جديا ، ساندوا هابيل روزنوفسكى " .

نجحت كات فى وضعه فى فراشه وجلست معه طوال الليل . لم ينطق بكلمة . ولم ينم ليلتها .

جاء الخبر فى جريدة الوول ستريت فى صباح الاثنين التالى بالبساطة التالية : " ويليام لويل كين رئيس ومدير بنك ليستر قدم استقالته بعد اجتماع مجلس الإدارة بالأمس " .

لم يذكر أى تبرير للاستقالة أو إن كانت ترجع لأسباب مرضية لهذا الرحيل المفاجئ كما لم يمكن هناك أى تنويه بأن ابنه سوف يحل محله فى مجلس الإدارة . كان ويليام يدرك تماما أن الشائعات سوف تحوم حوله فى وول ستريت وأن عليه أن يتوقع الأسوأ . جلس فى فراشه وحيدا .لم يعد عابئا بكل ما يجرى فى هذا العالم .

قرأ هابيل خبر استقالة ويليام كين فى جريدة الوول ستريت فى نفس اليوم. فرفع سماعة الهاتف واتصل ببنك ليستر وطلب محادثة الرئيس الجديد . بعد بضع ثوان قليلة جاءه صوت جاك توماس على الخط .

" صباح الخير يا سيد روزنوفسكى " .

" صباح الخير يا سيد توماس . أريد أن أؤكد أننى سوف أمنح أسهم إنتر ستيت للبنك بسعر السوق اليوم كما أن أسهمى التى تمثل ثمانية بالمائة فى ليستر سوف تودع باسمك أنت شخصيا مقابل مليونى دولار " .





" شكرا لك يا سيد روزنوفسكى ؛ هذا سخاء بالغ منك " .

قال هابيل روزنوفسكى : " لست بحاجة لشكرى يا سيادة الرئيس ؛ هذا ليس أكثر مما اتفقنا عليه عندما بعتنى حصة الاثنين بالمائة الخاصة بك " .

# الفصل الحادى والأربعون

فوجئ هابيل عندما شعر أن فوزه النهائى على ويليام لم يمنحه تلك السعادة الغامرة التى كان يتوقعها .

حاول جورج أن يقنعه بأن يسافر إلى وارسو بحثا عن موقع لبناء فندق للبارون هناك ولكن هابيل لم يشعر برغبة فى ذلك . كان كلما كبر ؛ شعر أنه أصبح يخشى أن يموت فى الغربة بدون أن يرى فلورنتينا ثانية . بقى هابيل على مدى أشهر لا يبدى أى اهتمام بنشاط المجموعة . وعندما تعرض جون إف كينيدى للاغتيال فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ ؛ ازداد شعور هابيل بالاحباط والخوف على أمريكا . ولكن جورج نجح فى إقناعه فى النهاية بأن القيام برحلة خارجية لن يضيره ؛ وبأن الأمور قد تبدو مختلفة وأكثر سهولة عند عودته .



# الجزء السابع

## ١٩٦٣ - ١٩٦٧

سافر هابيل إلى وارسو حيث حصل على موافقة لبناء أول فنادق مجموعة البارون فى دول شيوعية . كان إتقانه للغة قد ترك انطباعا رائعا لدى المسئولين فى وارسو وكان سعيدا بأنه نجح فى التفوق على الهوليداى إن والإنتيركونتيننتال فيما وراء الستار الحديدى. ولكنه لم يسعه أن يتجاهل ... كما لم يسعه أن يمنع نفسه من التأثر عندما عين جون رونوفيسكى أول سفير أمريكى من أصل بولندى فى وارسو من قبل ليندون جونسون . ولكن يبدو الآن أنه لم يعد هناك شيء يمكن أن يشعره بالسعادة . كان قد قضى على كين وفقد ابنته وأخذ يسأل نفسه إن كان ويليام ينتابه نفس الشعور حيال ابنه . بعد وارسو ؛ طاف العالم ؛ كان يقيم فى فنادقه القديمة ويشهد بناء فنادقه الجديدة . افتتح أول بارون فى كيب تاون فى جنوب أفريقيا وطار عائدا إلى ألمانيا لكى يفتتح بارون دوسلدورف .

ثم قضى هابيل بعدها ستة أشهر فى بارونه المفضل فى باريس وهو يجوب الشوارع يوميا ويحضر حفلات الأوبرا والمسرح مساء لعله أن يستعيد ذكرياته الجميلة مع فلورنتينا .

غادر باريس فى النهاية وعاد إلى أمريكا بعد فترة غربة طويلة . بينما كان يهبط درجات الطائرة التابعة للطيران الفرنسى إير فرانس ٧٠٧ فى مطار كينيدى الدولى ؛ بدا ظهره منحنيا ورأسه الخالى من الشعر مغطى بقبعة سوداء لم يعرفه أحد . كان جورج واقفا فى استقباله ؛ جورج المخلص ؛ الأمين ؛ وقد بدا أكبر سنا قليلا . أخطره جورج كالعادة بكل مجريات الأمور فى المجموعة . كانت الأرباح - على ما يبدو - أكبر من المعتاد بسبب سعى موظفيه الجدد إلى التفانى فى خدمة الفندق فى مختلف أنحاء العالم . أصبح هابيل يملك ٧٢ فندقا بطاقة تشغيل تصل إلى ٢٢ ألف موظف . لم



يبد هابيل مصغيا لما يقول جورج . كان كل ما يريد أن يعرفه هو أخبار فلورنتينا .

قال جورج : " إنها على ما يرام وسوف تأتى إلى نيويورك فى بداية العام المقبل " .

سأل هابيل وقد اعتراه حماس مفاجئ : " لماذا ؟ "

" سوف تفتتح محلها الجديد فى فيفث آفينو " .

" فيفث آفينيو "

قال جورج : " إنه المحل الحادى عشر " .

" هل رأيتها يا جورج ؟ " .

" نعم " .

" هل هى على ما يرام ؛ هل هى سعيدة ؟ "

" كلاهما على ما يرام وكلاهما سعيد وكلاهما ناجح . يجب أن تكون فخورا بها يا هابيل . لقد أصبح حفيدك الآن فتى قويا كما أن لك حفيدة جميلة . إنها صورة من فلورنتينا عندما كانت فى مثل سنها " .

" هل ستوافق على رؤيتى ؟ "

" هل ستوافق على رؤية زوجها ؟ "

" كلا يا جورج لا يمكن أبدا أن أقابل هذا الفتى طالما بقى والده على قيد الحياة " .

" ماذا لو مت قبله ؟ "

بقى هابيل وجورج صامتين بطول الطريق نحو الفندق وتناول هابيل عشاءه بمفرده فى جناحه فى هذه الليلة .

على مدى الأشهر الستة التالية ؛ لم يغادر الاستراحة مرة واحدة .

# الفصل الثانى والأربعون

عندما افتتحت فلورنتينا كين محلها الجديد فى فيفث آفينيو فى مارس عام ١٩٦٧ ؛ بدا وكأن كل سكان نيويورك كانوا حاضرين باستثناء هابيل روزنوفسكى ووبليام كين .

كانت كات ولوسى قد تركتا ويليام وحيدا فى فراشه يحادث نفسه وذهبا إلى افتتاح محل فلورنتينا

ترك جورج هابيل فى جناحه لكى يذهب لحضور الاحتفال . كان قد حاول أن يقنعه بأن يصحبه ولكن هابيل علق قائلا بأن ابنته كانت قد افتتحت عشر محلات بدونه وبأن افتتاح محل آخر بدونه لن يضيرها فى شيء . فما كان من جورج إلا أن نعته بأنه عنيد مسن مجنون وتركه وذهب وحيدا . عندما وصل إلى المحل ؛ كان محلا رائعا مغطى بسجاجيد سميكة وآخر صيحة فى عالم المفروشات السويدية ؛ تذكر جورج الطريقة التى اعتاد أن ينجز بها هابيل الأشياء . وجد فلورنتينا ترتدى ثوبا أزرق طويلا وهى تضع علامة إف التى أصبحت الآن إحدى العلامات التجارية الشهيرة





فوق ياقة ثوبها المرتفعة . رحبت بجورج وقدمته لكات ولوسى كين اللتين كانتا تتحدثان مع زافيا . كانت علامات السعادة مرتسمة على وجه كات ولوسى وفاجأ جورج بالسؤال عن هابيل روزنوفسكى .

" لقد قلت له إنه رجل عنيد مسن مجنون لتفويته هذا الحفل . هل السيد كين هنا ؟"

فوجئ جورج برد كات كين .

كان ويليام مازال يخاطب النيويورك تايمز فى تذمر ؛ كان قد قرأ ما يثير ضيقه عن جونسون والقوات الأمريكية فى فيتنام ثم طوى الصحيفة ونهض من الفراش . أخذ يرتدى ملابسه ببطء وينظر إلى نفسه فى المرآة بعد أن انتهى من ارتدائها . كان يبدو وكأنه رجل مصرفى . ثم قطب وجهه . وهل يمكن أن يبدو شيئا آخر ؟ ارتدى معطفا أسود ثقيلا وقبعته القديمة والتقط عصاه السوداء السميكة ذات المقبض الفضى ؛ تلك التى كان روبرت كورك قد تركها له ؛ واستطاع بشكل ما أن يصل إلى الشارع . كانت هذه هى أول مرة يخرج فيها إلى الشارع بمفرده على مدى ثلاث سنوات منذ آخر مرة أصيب فيها بأزمة قلبية حادة . اندهشت الخادمة عندما رأته يغادر المنزل بمفرده .

كان مساء يوم ربيع دافئ على غير العادة ؛ ولكن ويليام شعر بالبرودة بعد أن لازم البيت طويلا . استغرق وقتا طويلا إلى أن وصل إلى شارع فيفث آفينيو وشارع فيفتى سيكس ؛ وعندما وصل فى النهاية إلى هناك ؛ كان المكان أمام المحل مكتظا بالناس إلى حد أعجزة عن شق طريقه وسط الحشد نحو الداخل . وقف عند أحد المنحنيات وأخذ يراقب الناس وهم يستمتعون بوقتهم . كان هناك

شباب سعداء متحمسون يشقون طريقهم داخل محل فلورنتينا الجميل . كانت بعض الفتيات يرتدين التنورات الجديدة الواردة من لندن . ماذا بعد ؟ فكر ويليام ثم وقع نظره على ابنه وهو يحادث كات . لقد كبر وأصبح شابا بالغ الوسامة ، كان طويلا وواثقا من نفسه وهادئا ؛ كان يتمتع بروح القيادة والسلطة التى ذكرت ويليام بأبيه . ولكنه فى خضم الزحام والضوضاء ، لم يستطع أن يتبين فلورنتينا . بقى واقفا هناك لما يقرب من ساعة مستمتعا بالزائرين والحضور الذين كانوا يجوبون المحل ذهابا وإيابا ، نادما على سنوات العناد التى أضاعها بعيدا عن ابنه .

بدأ الهواء يعصف في شارع فيفث آفينيو . كان ويليام قد نسى كم كان برد مارس قارساً . رفع ياقته إلى أعلى . يجب أن يعود إلى المنزل ؛ لأنهم كان جميعا سيعودون إلى هناك مساء لتناول العشاء ، وكان بصدد رؤية ولقاء فلورنتينا وأحفاده للمرة الأولى . حفيده وحفيدته الصغيرة آنابيل ، وابنه الحبيب . كان قد أخبر كات كم كان أحمق ورجاها أن تسامحه . كان كل ما أجابته به - بقدر ما كان يذكر - "سوف أحبك دائما " . كانت فلورنتينا قد بعثت إليه خطابا . كم كن خطابا رقيقا . أبدت تفهمها الكامل وتسامحها بشأن كل ما وقع فى الماضى . ثم ختمت خطابها بعبارة " أتوق إلى رؤيتك ".

يجب أن يعود إلى المنزل . كانت كات ستوبخه توبيخا شديدا إن عرفت أنه ترك المنزل فى هذه الليلة الباردة . ولكنه كان يجب أن يشهد افتتاح المحل وعلى أية حال فسوف يقابلهم جميعا فى مساء ذلك اليوم . يجب أن يغادر الآن ويدعهم يستمتعون



باحتفالهم . لن يخبرهم أنه ذهب إلى هناك . سوف يبقى هذا دائما سرا من أسراره .

استدار لكى يعود إلى منزله ورأى رجلا يقف على بعد ياردات قليلة مرتديا معطفا أسود وقبعة أخفى بها الجزء الأكبر من وجهه وكوفية حول عنقه . كان هو الآخر يشعر بالبرودة . لم تكن ليلة مناسبة للرجال المسنين ؛ هكذا فكر ويليام بينما كان يمر بجواره . ثم وقع بصره على السوار الفضى الذى كان يلف معصم الرجل ، تحت كمه مباشرة . وفى ومضة استعاد ويليام كل الذكريات وربط بينها جميعا لأول مرة . كانت البداية فى بلازا ثم بوسطن ثم ألمانيا والآن فيفث آفينيو . استدار الرجل وبدأ يسير نحوه .لابد أنه ظل واقفا هنا لفترة طويلة لأن وجهه كان قد احمر من شدة الهواء . أخذ يحدق إلى ويليام بعينيه الزرقاوين اللتين لا تخطئهما العين . كانا الآن على بعد ياردات قليلة من بعضهما البعض . وهما يمران ، رفع ويليام قبعته القديمة محييا الرجل . فرد الرجل تحيته بتحية وواصل كل منهما سيره فى طريق مختلف بدون أن ينطقا بكلمة واحدة .

جال بخاطر ويليام أنه يجب أن يعود إلى المنزل ، قبل أن يعودوا إلى هناك . إن متعة لقاء ريتشارد وابنيه سوف تجعل الحياة تستحق العيش ثانية . يجب أن يتعرف على فلورنتينا جيدا ويجب أن يطلب منها أن تسامحه ، يجب أن يثق فى أنها سوف تتفهم كل ما فهمه هو أخيرا الآن . يا لها من فتاة رائعة ، هكذا قال له الجميع .

عندما وصل إلى شارع إيست سيكستى إيتث ، تعثر إلى أن عثر على مفتاحه ثم فتح الباب الأمامى . وأخبر الخادمة بأنها يجب أن تضىء كل الأنوار ، ويجب أن تشعل النار للترحيب بهم . كان سعيداً للغاية ولكنه كان فى قمة الإنهاك .

قال ويليام : " ارفعى الستائر وأضيئى الشموع فى غرفة المائدة . سوف نحتفل بالكثير اليوم " .

كان ويليام يتوق إلى عودتهم . جلس على الكرسى الجلدى القديم بجوار النيران المشتعلة وأخذ يفكر فى سعادة فى الأمسية التى كانت فى انتظاره . سوف يلتف أحفاده حوله ، كل السنوات التى افتقدها . متى نطق حفيده لأول مرة بكلمة " ثلاثة " ؟ إنها فرصة لدفن الماضى واكتساب المسامحة لعيش المستقبل . كانت الغرفة رائعة للغاية ودافئة بعد برد الهواء ، ولكن الرحلة كانت تستحق العناء .

بعد بضع دقائق ، سمعت جلبة وضوضاء سعيدة أسفل الدرج وجاءت الخادمة لتخبر ويليام بأن ابنه قد وصل . كان يقف فى البهو مع أمه وزوجته وأجمل طفلين كانت قد رأتهما الخادمة . ثم أسرعت لكى تتأكد من أن العشاء جاهز وسوف يقدم فى الوقت المحدد . كانت تريد أن يكون كل شيء مثاليا فى ذلك المساء .

عندما دخل ريتشارد الغرفة ، كانت فلورنتينا تقف بجواره . كانت تبدو مشرقة .

قال ريتشارد : " أبى أود أن أقدم لك زوجتى " .

ولكن ويليام لويل كان بوده أن يستدير لكى يرد التحية ولكنه لم يستطع . كان قد فارق الحياة .

# الفصل الثالث والأربعون

وضع هابيل المظروف على المنضدة المجاورة لفراشه . لم يكن قد ارتدى ملابسه بعد . كان قد اعتاد ألا ينهض قبل الثانية عشرة ظهرا . حاول أن يزيح صينية الإفطار من عند ركبتيه ويضعها على الأرض ـ كانت انحناءة مجهدة تتطلب قدرا كبيرا من البراعة فى مثل هذه السن . فوجد نفسه مضطرا فى النهاية إلى دفعها لكى تسقط على الأرض . لم يكن اليوم مختلفا عن الأيام التى سبقته . لم يعد يكترث . التقط المظروف مرة أخرى وقرأ الخطاب المرفق للمرة الثانية .

" بناء على رغبة الراحل السيد كورتيس فنتون ـ الذى كان يشغل فى وقت ما منصب مدير بنك كونتيننتال تراست فى شارع لاسال فى شيكاغو ـ نرسل إليك الخطاب المرفق وفق رغبته بوجوب إرساله عند وقوع ظروف معينة . برجاء إخطارنا فور وصول الخطاب بالتوقيع على النسخة المرفقة وإعادتها فى المظروف الذى

يحمل عنواننا والمرفق أيضا بمحتوى الظروف " .

عزيزى السيد روزنوفسكى

لقد بقى هذا الخطاب فى حوزة محامى الخاص حتى اليوم لأسباب سوف تتضح لك بعد مواصلة القراءة .

عندما أغلقت حساباتك فى بنك كونتيننتال تراست عام ١٩٥١ بعد تعامل دام بيننا لأكثر من عشرين عاما ؛ بالرغم من أن هذا بالطبع كان يثير حزنى ؛ ولكن لأننى كنت أعرف أنك تشعر أننى تصرفت بشكل مشين . ولكن ما لم تعرفه فى ذلك الوقت هو أننى كنت قد تلقيت تعليمات صارمة من الشخص الذى ساندك ألا أكشف لك عن بعض الحقائق .

عندما زرتنى لأول مرة فى البنك عام ١٩٢٩ ؛ طلبت منى أن أقدم لك مساندة مالية لكى تسدد الدين الذى خلفه لك ديفيز ليروى لكى تمتلك الفنادق التى كانت تشكل وقتها مجموعة ريكموند . لم أتمكن وقتها من العثور على ممول لساندتك بالرغم من أننى حاولت بنفسى أن أتصل بالعديد منهم . ولكننى أوليت الأمر اهتماما خاصا لأننى شعرت وقتها أنك تتمتع بحماس متدفق سوف يدفعك للنجاح فى المجال الذى اخترته . وقد سعدت كثيرا عندما تقدم بى العمر أن ثقتى كانت فى محلها . يجب أن أضيف أيضا أننى شعرت وقتها بقدر من المسئولية لأننى أنا الذى كنت قد نصحتك بشراء الخمسة والعشرين بالمائة من أسهم مجموعة ريكموند من السيدة إيمى ليروى فى الوقت الذى لم أكن



أملك فيه أية دراية عن الضائقة المالية التى كان يمر بها السيد ليروى عندها .

لقد ابتعدت عن الموضوع الأساسى .

لم أنجح فى العثور على ممول ليساندك وكنت قد فقدت كل الأمل عندما جئت لزيارتى فى صباح الاثنين . أما زلت تذكر هذا اليوم ؟ ولكن قبل موعدك المحدد بثلاثين دقيقة فقط ،تلقيت مكالمة هاتفية من ممول على استعداد لأن يمدك بالمال اللازم والذى كان يشاركنى فى ثقته الكبيرة فى شخصك . ولكن كان شرطه الوحيد ـ كما ذكرت لك فى ذلك الوقت ـ هو أن يبقى مجهولا لأن تمويله لك كان يمكن أن يشكل تعارضا مع مصلحته الخاصة والمهنية . لقد كانت الشروط التى قدمها لك فى ذلك الوقت لكى تستعيد سيطرتك على مجموعة ريكموند ؛ شروطاً سخية للغاية من وجهة نظرى وقد أفدت أنت منها أفضل إفادة . وقد سعد ممولك سعادة بالغة عندما نجحت فى استثمار أمواله وإعادة تسديد الدين الأصلى .

لقد فقدت كل اتصال بكما بعد عام ١٩٥١ ولكننى بعد أن تقاعدت من عملى فى البنك بقليل ؛ قرأت قصة محزنة بشأن ممولك فى الصحف ؛ حثتنى على كتابة هذا الخطاب ؛ حال وافتنى المنية قبل أى منكما .

إننى أكتب إليك الآن ليس لكى أثبت حسن نيتى فى الأمر برمته ولكن لكى لا تواصل العيش تحت اعتقاد واه بأن ممولك كان السيد ديفيد مكستون صاحب فنادق ستفينس . لقد كان السيد مكستون أحد كبار المعجبين

بك ولكنه لم يخاطبنى أبدا فى هذا الشأن . إن الرجل الذى جعل إنشاء مجموعة البارون ممكنة - ببصيرته النافذة وسخائه الشخصى - هو ويليام لويل كين ؛ رئيس بنك ليستر فى نيويورك .

لقد توسلت للسيد كين أن يخبرك بهذا الأمر ولكنه رفض أن يخرق أحد النصوص الأساسية وهو أن أى مستفيد من استثمارات ثروة العائلة يجب أن يجهل المصدر الممول له . وبعدما سددت الدين ثم علم السيد كين بعد ذلك بعلاقتك بهنرى أوسبورن وعمله بشكل شخصى فى مجموعة البارون أصبح السيد كين أكثر إصراراً على تكتم الأمر .

لقد أصدرت أوامرى بالتخلص من هذا الخطاب إن وافتك المنية قبل السيد كين . الذى كان سيتلقى فى هذه الحالة خطابا آخر أشرح له فيه جهلك التام بكل ما أسداه لك .

أيًا كان من سيتلقى الخطاب منكما ، فقد شرفت بالتعامل معكما .

المخلص دائما

كورتيس فنتون

التقط هابيل سماعة الهاتف من جانب فراشه وقال : " ابحث [عن] السيد جورج فورا . يجب أن أرتدى ملابسى " .

# الفصل الرابع والأربعون

كانت جنازة ويليام لويل كين جنازة مشرفة . وقف ريتشارد وفلورنتينا بجوار كات وفيرجينيا ولوسى فى الجانب المقابل . كان هذا التنسيق سيروق للجدة كين . حضر الجنازة ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ وخمسة من الكونجرس ومعظم رجال المصارف البارزين وصاحب جريدة الوول ستريت . كان جاك توماس وكل مدير من مديرى مجلس إدارة بنك ليستر حاضرين ؛ كانت رؤوس الجميع منكسة تبتهل إلى الله من أجل ويليام

لم يلحظ أحد الرجلين اللذين كانا يقفان فى مؤخرة الجمع برؤوس منكسة ؛ وقد بدا كل منهما منفصلا عن الحفل الأساسى . كانا قد وصلا متأخرين بضع دقائق وانصرفا فى هدوء فى نهاية المراسم. ولكن فلورنتينا عرفت العرج عندما أسرع الرجل القصير العجوز بمغادرة القاعة . وأخبرت ريتشارد . ولكنهما تكتما الأمر عن كات .

بعد بضعة أيام قليلة ، ذهب الرجل الأطول قامة إلى محل فلورنتينا لكى يقابلها فى فيفث آفينيو . كان قد سمع أنها بصدد العودة إلى سان فرانسيسكو وكان يسعى للحصول على مساعدتها قبل أن ترحل . استمعت لما جاء به الرجل بمنتهى الإمعان ورحبت بطلبه .

* * *

وصلت فلورنتينا وريتشارد إلى فندق البارون فى عصر اليوم التالى . كان جورج نوفاك واقفا لاستقبالهما هناك وقادهما إلى الطابق الثانى والأربعين . بعد عشر سنوات ، تعرفت فلورنتينا بالكاد على والدها ، الذى كان طريح الفراش ، والذى كان يرتدى نظارات نصف دائرية عند مؤخرة أنفه ، كان فراشه مازال بدون وسائد ولكنه كان يبتسم فى تردد . أخذا يتحادثان عن أيامهما السعيدة وضحكا قليلا وبكيا كثيرا .

قال هابيل : " يجب أن تسامحنا يا ريتشارد . إن البولنديين جنس عاطفى " .

قال ريتشارد : " أعلم ، فأبنائى نصف بولنديين " .

تناولوا جميعا العشاء فى وقت متأخر من هذا اليوم ، كان عشاء فاخرا من اللحم البقرى الشهى ، يتناسب مع عودة الابنة الغالية .

تحدث هابيل عن المستقبل وكيف يرى مستقبل مجموعة البارون ، وقال :

" يجب أن تكون هناك فلورنتينا فى كل فندق " .

ضحكت فلورنتينا ووافقته الرأى .



أخبر ريتشارد عن كم الحزن الذى يشعر به تجاه أبيه ، وأفصح تفصيليا عن كل الأخطاء التى اقترفها فى حقه على مدى سنوات طويلة وكيف أنه لم يخطر بباله يوما حتى ولو للحظة أن ويليام يمكن أن يكون الشخص الذى موله وكيف أنه كان يحب أن يحظى ولو بفرصة واحدة لكى يشكره بشكل شخصى على ما أسداه له .

قال ريتشارد : " كان سيتفهم موقفك " .

قال هابيل : " لقد التقينا ببعضنا البعض ، هل تعرف ذلك ؟ ، فى اليوم الذى توفى فيه " .

حدقت فلورنتينا وريتشارد إليه بدهشة .

قال هابيل : " أجل لقد حدث ذلك بالفعل . لقد مررنا بجوار بعضنا البعض فى فيفث آفينيو ، كان قد ذهب إلى هناك لكى يشاهد افتتاح محلك . لقد رفع قبعته محييا إياى . لقد كان هذا كافيا . كافيا للغاية " .

كان قد بقى لهابيل طلب واحد يطلبه من فلورنتينا وهو أن تصحبه هى وريتشارد فى رحلته إلى وارسو بعد تسعة أشهر لافتتاح آخر فرع من البارون .

قال هابيل ، وقد اعتراه الحماس ثانية : " هل لك أن تتصور بارون وارسو ؟ ، الآن أصبح لدينا فندق لا يمكن أن يفتتحه إلا رئيس مجموعة البارون " .

* * *

على مدى الأشهر القليلة التالية كانت عائلة كين تزور هابيل بانتظام وبدأت فلورنتينا تزداد اقترابا من والدها ثانية . أعجب هابيل بريتشارد إعجابا بالغا وببصيرته التى كانت تضبط دائما

طموحات ابنته الجامحة . كما عشق حفيديه . أما الصغيرة آنابيل فقد كانت شيئا مختلفا . نادرا ما شعر هابيل فى حياته السابقة بمثل السعادة التى شعر بها فى هذه الفترة من حياته وبدأ يعد العدة لكى يرجع إلى بولندا ظافرا لافتتاح بارون وارسو .

افتتح رئيس مجموعة البارون فندق وارسو بعد ستة أشهر بعد الموعد المحدد . كانت عقود البناء تستغرق وقتا لحين إنجازها فى وارسو كما كان الحال فى كل مناحى الحياة الأخرى هناك .

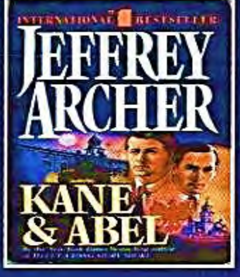
فى خطابها الأول - كرئيس للمجموعة - أخبرت فلورنتينا الحضور كيف أن شعورها بالفخر بافتتاح هذا الفندق الرائع أصبح ممزوجا بألم فراق أبيها الراحل وغيابه عن افتتاح الفندق بنفسه .

فى وصيته ؛ ترك هابيل كل ثروته لفلورنتينا باستثناء تركة ضئيلة وصفها القائم على تنفيذ الوصية بأنها هدية ثقيلة متمثلة فى سوار فضى نادر ولكنه ذو قيمة لا تقدر ؛ محفور عليه اسم الأسطورة " بارون هابيل روزنوفسكى " .

كان الشخص الذى تركت له هذه الهبة هو حفيده " ويليام هابيل كين "

## «قنبلة شديدة الانفجار» - بابلشرز ويكلى






**ولدا في عالمين مختلفين وجمعهما مصير واحد**

في الخامس عشر من إبريل عام ١٩٠٦، جاء طفلان إلى العالم. جاء الأول إلى حياة مترفة تحفها الرفاهية والرخاء، أما الثاني فقد ولد في عالم الشقاء والكفاح. كبر كل منهما في جانب مختلف من الكرة الأرضية، وتربى الأول في ظل حياة مرفهة عرف فيها المدارس العريقة وتعرف على التاريخ من خلال القراءة؛ أما الثاني فقد نشأ في ظل الحروب والعبودية، وأشقاه التاريخ الذي كان جزءاً منه.

ويليام لويل كين، سليل عائلة مرموقة في بوسطن تعمل في المجال المصرفي، أما إبيل روزنوفسكي فقد كان مهاجراً بولندياً لا يملك حتى قوت يومه؛ كان أحدهما من الذهب والآخر من الصلب. كان روزنوفسكي هو العدو اللدود لكين، بينما كان كين يجسد كل ما كان روزنوفسكي يناضل ضده. في ظل الصراع المحتدم بينهما كان كل منهما يدرك أنه لن يكون هناك سوى غالب واحد ومغلوب واحد أو منتصر ومهزوم.

على مدار ثلاثة أجيال، وفي ظل عالم يموج بالتغير السريع؛ ثارت صراعات عاتية وتحققت أحلام وانهارت امبراطوريات وخفت بريق الثروة.

«رواية تأخذ بألباب القراء من أول صفحة إلى آخر صفحة، إنها رائعة».

- «جون باركهام»

«أتحدى أن يستمتع أحد بهذه الرواية التي تعد أفضل الروايات التي قرأتها على الإطلاق».

- «أوتو بريمنجر»

« ليس هناك راوٍ على قيد الحياة أفضل من كاتب هذه الرواية».

- «لاري كينج»

